ممدوح نوفل

مغدوشة

قصة الحرب على المخيمات في لبنان



مغدوشــة

قصــة الحــرب على المخيمـات فــي لبنــان

ممدوح نوفل

مواطـــن، المؤسســة الفلسـطينية لدراســة الديـمقراطية

رام الله – فلسطين

٢٠٠٦

Magdousheh: The Story of the War Against the Refugee Camps in Lebanon

By Mamdouh Nofel

P.O.Box: 1845 Ramallah, Palestine
2006

ISBN 9950-312-27-2

This book is published as part of an agreement of cooperation with the Chr. Michelsen Institute - Norway

مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية
ص.ب ١٨٤٥، رام الله، فلسطين
٢٠٠٦

يصدر هذا الكتاب ضمن اتفاقية تعاون مع مركز أبحاث كرس مكلسن - النرويج

تصميم وتنفيذ مؤسسة **ناديا** للطباعة والنشر والإعلان والتوزيع
رام الله - هاتف ٢٩٦٠٩١٩ - ٠٢

ما يرد في هذا الكتاب من آراء وأفكار يعبر عن وجهة نظر المؤلف ولا يعكس بالضرورة موقف مواطن - المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية.

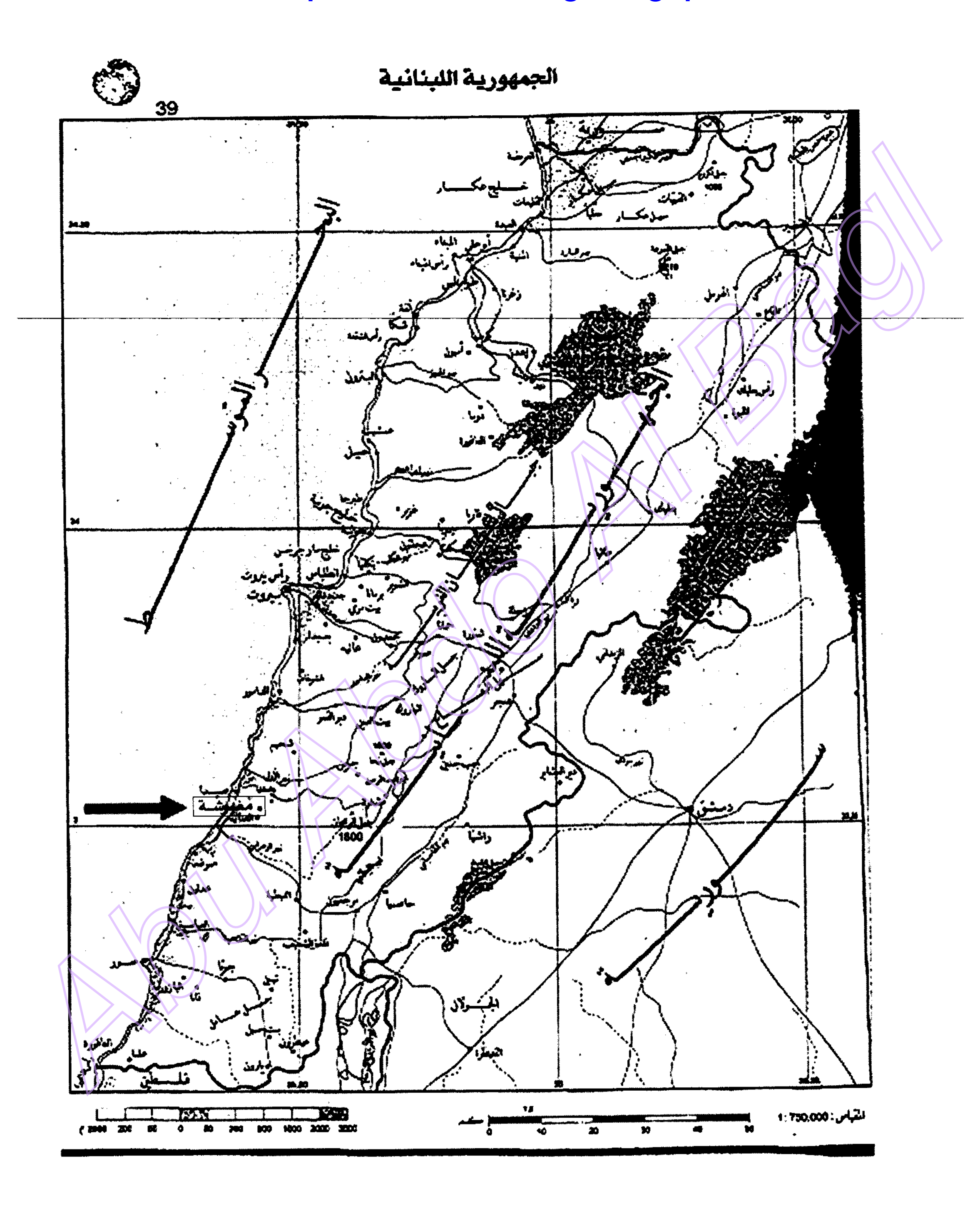
إهـــــداء

إلى الشهداء

وكل من تألم وتعذب في سبيل تمكين شعب فلسطين من

استعادة حقوقه الوطنية المغتصبة وبناء دولته المستقلة والمزدهرة

الجمهورية اللبنانية



المحتـــويات



تقديم

في مقدمة "ليلة انتخاب السيد الرئيس"، رأى فضل النقيب أن ممدوح نوفل استوفى مهمة الفن الأولى حين أفلح في استعادة الاحساس بالحياة وتحويل الاشياء المألوفة إلى أشياء غير مألوفة. وقد عرض كاتب مقدمة الكتاب الذي سبق هذا الكتاب الأسباب التي بنى رأيه عليها، وفيها ما يغنيني عن الإفاضة . فقد وجدت في "مغدوشة، قصة الحرب على المخيمات في لبنان" ما وجده فضل في سابقه. إننا هنا أيضا إزاء نص استوفى شروط العمل الفني وهو يقدم روايةً أحداثها وأبطالها واقعيون.

وباستعادة تقويم فضل الكتاب السابق، يمكن القول عن هذا الجديد إنه قدم هو الآخر مشهدا من مشاهد التراجيديا الفلسطينية وتميز بتقديم مشهد من التراجيديا اللبنانية. ليس هذا فقط، بل إنه أغنى المشهدين كليهما، حين قدم ما فعله الأشقاء العرب وما أحجموا عن فعله ولم يهمل ما فعلته إسرائيل، فأحاط بالصورة التراجيدية كاملة.

يستند الكاتب إلى خزين غني بالخبرة والمعلومات ويغدق علينا منه بسخاء غيرمسبوق. وقد تضافر أمران جعلا خزين ممدوح وفيراً: موقعه القيادي الذي جعله واحدا من صانعي الأحداث ووصله بصانعيها الآخرين؛ وولعه بتقصي التفاصيل، الولع الذي تخدمه عين نفاذة وبصيرة لا تهمل دلالة أي حدث. ويمكن التذكير هنا بأن الذين شغلوا في الساحة الفلسطينية مكانة مساوية لمكانة ممدوح واستحوذ عليهم الولع بالتفاصيل كانوا كثيرين. لكن ممدوح تفرد بين هؤلاء بمواظبته على كتابة يوميات يسجل فيها أولا بأول كل ما كان يفعله أو يسمع به أو يعاينه. وإلى اليوميات، واظب المولع بالتفاصيل على كتابة محضر كامل لكل لقاء عمل اشترك فيه، وعني بأن يضم المحضر أقواله هو وأقوال الآخرين وملاحظاته على الجميع. وفي هذا وذاك، حرص الكاتب على أن لا تتأثر صياغته ليومياته ومحاضره لا بأهوائه ولا بآرائه المسبقة.

هذا الخزين، او هذا النوع من الخزين وفر لصاحبه ما لم يتوفر لسواه ممن كتبوا شهاداتهم او ألفوا قصصا وروايات تستقي مادتها من مجرى الحياة العامة. إنه الخزين الذي أغنى الراوي عن النبش في ثنايا ذاكرته وذاكرات غيره، وهو الذي جنبه مشقة تقصي النتف المتفرقة في المراجع العامة. وبوجود الخزين الغني، لم يعد الكاتب في حاجة إلى المخيلة لملء فجوات الذاكرة أو استدراك ما أهملته المراجع.

معنى هذا أن الرواية التي يحكيها ممدوح هنا لم تنج من شوائب الأهواء والآراء المسبقة وحدها، بل نجت كذلك من المؤثرات السلبية التي تلون محفوظ الذاكرة بألوان مستجدة فتطمس لونه الأصلي أو تبهته. وببقاء اللون الأصلي، نجت الرواية من مؤثرين إثنين كان من شأن أي منهما أن يشوهها: جنوح المخيلة أو قصورها؛ والأخطاء المتعمدة وغير المتعمدة التي قد تنطوي عليها المراجع العامة. وثمة ميزة أخرى؛ فبالإستناد على ما سجل بتمامه في حينه، توفرت للسرد والوصف واستنباط الدوافع طزاجةٌ كاملة المذاق. وذلك لأن الراوي احتفظ بهذه الطزاجة حين نقل ما نقله من خزينه الى الرواية. وهكذا، تلقينا رواية تحكي ما جرى قبل عقود بالصيغة التي كان يمكن أن يحكى بها يوم وقوعه أو لحظة وقوعه بالذات. ومما لا شك فيه أن طزاجة الحكي فعلت فعلها في تعزيز صدقية الرواية، الصدقية التاريخية والصدقية الفنية. وبتوفر المذاق الطازج، خدم التاريخي الفني في النص وخدم الفني التاريخي: عزز كل منهما حضور الآخر.

مع كل ما تقدم، معه كله، لم يكن من اليسير الظفر برواية موثوقة لو لم يكن الراوي أمينا أمانة تامة، ليس فقط في إعداده خزينه في حينه، بل، أيضاً، في التعاطي معه بعد انقضاء عقود. وما أسهل أن يدرك القارئ أن ممدوح نوفل نقل من أوراقه القديمة ما نقله إلى الرواية دون أن يخضع العملية للأهواء أو الآراء المسبقة، لا لقديمها ولا لمستجدها. لم يبرز ما يحبذه ويكتم أو يبهت ما لا يحبذه، بل أعطى لكل منهما مساحة متساوية. وبهذا، أتاح الراوي للقارئ أن يتلقى الحكايات المتعددة للحدث الواحد ويطّلع على وجهات النظر المتباينة بشأنه.

الشاهد الأريب لا يحيرك في أمره ولا يترك مجالا للشك في صدق ما يحكيه، حتى حين لا تتفق معه بشأن ما يمكن استخلاصه من دلالة أو رأي. يفرد الشاهد الأريب ما لديه، لا يكتم منه شيئاً ولا يضيف إليه شيئاً تحت أي ذريعة. يروي ما خبره بنفسه، وما رآه بأم عينه أو سمعه بأم أذنه، ويترك لك أن تكوّن رأيك وتستخلص الدلالة وتنشيء حكمك بنفسك. ومما لا شك فيه أن راوي قصة احتلال مغدوشة والحرب على المخيمات في لبنان هو شاهد أريب.

يضيق الراوي بشخص ما ويملك أسباباً تبرر ضيقه، لكنه لا يتعسف بفرض أسبابه وحدها على النص. إنه يبسط هذه الأسباب خلال روايته، يصف سلوك الشخص ويصور شخصيته ومواقفه، لكنه يبسط أيضا أسباب الآخرين الذين يخالفونه الرأي في الشخص نفسه. ويفعل الراوي الشيء ذاته بوجهيه إن تعلق الأمر بشخص يعجبه هو ويضيق آخرون به. هو يضيق مثلا بشخصية نايف حواتمة حد الاختناق ويسرد الوقائع التي تشي بضيقه وتبرره:

ختل الأمين العام للجبهة الديمقراطية التي كان هو عضواً في مكتبها السياسي وقائداً لمسلحيها، وتلوّن هذا الأمين العام، وارتهان مواقفه لحساباته المفرطة في الذاتية،

واستهانته بالنظام الداخلي للجبهة، وتعسفه في استخدام سلطته بما هو أمين عام، ووهن عزيمته حين يحتاج الأمر إلى العزائم الشديدة، وما إلى ذلك مما هو متواتر في ثنايا الرواية. إلا أن وفرة الأسباب التي تسوّغ الشعور السلبي ضد نايف حواتمه لا تدفع الراوي إلى إغفال الوقائع التي تظهر الأمين العام في صورة أخرى، خصوصا وقائع دفاع قادة آخرين في الجبهة عن أمينهم العام وما يعدّونه هم حرصا منه على صيانة مصالح هذه الجبهة. ويعجب الراوي بوليد جنبلاط حد الافتتان ويبث إعجابه في ما يسرده من وقائع صلاته به بما في هذا سمر موائده. لكن المعجب بالزعيم اللبناني الطائفي الذي يتزعم حزبا له اسم اشتراكي ديمقراطي لا يهمل الوقائع الأخرى التي تظهر أن هذا الزعيم لا يستحق الإعجاب.

وفي هذا وذاك وما يماثلهما وهو كثير، وسواء اتفق القارئ مع الكاتب أو خالفه الرأي، تتضاعف أهمية النص ويحتفظ السرد بسلاسته وعفويته وقدرته على الإمتاع.

يروي ممدوح نوفل وقائع خريف ١٩٨٦ على الساحة اللبنانية، الخريف الذي شهد أقبح جولات حرب المخيمات. وتشكل وقائع احتلال القوات الفلسطينية بلدة مغدوشة اللبنانية مركز السرد وتستحوذ على الجزء الأكبر من مساحته، لأن الإحاطة بملابسات احتلال بلدة لم يسيء أهلها الى الفلسطينيين أحوجت الراوي إلى استحضار سلسلة من الوقائع التي تفسر الدافع الفلسطيني لاحتلال البلدة. وفي المحصلة، ظفرنا بنص يروي أهم ما جرى على الساحة اللبنانية منذ حل الوجود الفلسطيني المسلح فيها ويرسم الصور والشخصيات التي صنعت مجرى الأحداث منذ ١٩٦٨.

وبفتح الخزين المحتفظ بطزاجته، حضرت الجروح بطزاجتها هي الأخرى، ما انفغر منها قبل حرب المخيمات وما انفغر في إبّانها، وما أوقعه خصوم الفلسطينيين بهم وما أوقعوه هم بأنفسهم. وبسرد لا يتكلف أي صنعة، حكى الراوي ما هو مؤس وما هو مبهج، وصور القبيح والحسن، واستحضر الخيّر والشرير والذي بين بينٍ، ووضع أمامنا ما فعله صانعو الأحداث وشهودها وما قالوه، النجوم منهم والمغمورين، ما يوجع من الفعل والقول وما يريح، ما هو وضيع وما هو ماجد، لم يبالغ في إبراز شيء ولم يتستر على شيء.

ولئن تعددت عناصر الدراما في النص كما هو الشأن في أي نص يحكي حكاية ملحمية، فإن واحدا منها برز أكثر من سواه وكان أوجعها وأشدها تأثيرا في دمج الفاجعة الشخصية بالفاجعة العامة. إنه أسى الوطني متقدم الذهن معلي شأن المبادئ وهو يعارك متخلفي الذهن في الصف الذي ينتمي إليه ونهّازي الفرص فيغلبه هؤلاء. وهو الأسى الذي يكتمل الإحساس به في النص كما في الحياة حين يضطر المناضل إلى إخلاء الميدان ويبقى نهازو الفرص فيه.

الحضور الكبير لهذا العامل يغري بالإفاضة في الحديث عنه لو لم يكن من غير الجائز مصادرة حق القارئ في التعرف عليه بنفسه. ويمكن الاكتفاء بتنويه لا بد منه: فالمعاناة التي وفق ممدوح في تصويرها تلقي ضوءً ساطعاً على طبيعة الصراع الداخلي في الساحة الفلسطينية، صراع الفصائل في ما بينها والصراع داخل كل فصيل. ولكم تعددت وجوه الصراع الداخلي، هذه التي يرصد النص كثيرا منها: الصراع بين الموغلين في سياسة وبين الذين يعارضونها، الصراع بين الراغبين في أن يستقل العمل الوطني الفلسطيني عن أنظمة الحكم العربية وبين التابعين لهذه النظمة أو المستخذين أمام ضغوطها، الصراع بين الوالغين في شتى أنواع الفساد وبين المتشبثين بالنزاهة، بين من توهن الأخطار عزائمهم وبين الأشداء، ناهيك بالصراع بين متقدمي الذهن وبين المتخلفين. وما أشد وقع المونولوجات التي يبثها الراوي في ثنايا الحكاية الطويلة فتنقل إلينا صخب الهواجس والأسئلة التي أضطرمت في نفسه وأوجاعها، وما أيسر أن يكتشف القارئ أنها الأسئلة والهواجس ذاتها التي تضطرم حتى الآن في نفس كل قابض على الجمر!

استحضرت الرواية أسباب خيبة أمل صاحبها في الجبهة الشعبية ثم في الجبهة الديمقراطية التي انقسمت عن الشعبية، وأشرت على ما سيتواتر بعد ذلك فيوصله أو يكاد يوصله إلى خيبة أمل عامة. وكان من المنطقي أن يمضي الموجوع بخيبة الأمل في واحد من الطرق التي مضى فيها نظراؤه، فيلبس القبع ويتبع الربع الموغل في الأخطاء والفساد، أو يعتزل العمل العام، أو يجد الوسيلة التي تبقيه فيه من دون أن يتعرض لخيبات أمل أخرى. وقد وجد ممدوح نوفل ما أبقاه في الخدمة العامة فاختار الكتابة. وإن جاز للإنسان أن يتنبأ وفق ما يرغب فيه، فالمتوقع أن يوغل المنتقل إلى الكتابة في ميدان الكتابة بمقدار ما ينأى عن الحمأة المنفرة.

لكن، حتى لو لم يمض إلى أبعد مما بلغه، فقد ظفرنا من ممدوح نوفل حتى الآن بما يكفي لإحلاله في مكان لائق بين الكتاب المتميزين . لقد جاء الرجل إلى الميدان الجديد متأخراً بعض الشيء، غير أنه جاء إليه من التجربة الفلسطينية الفريدة والمديدة والتي ظلت تغتني بشيءٍ جديد في كل يوم جديد. لم يحتج ممدوح للمخيلة لأن في التجربة الفلسطينية أفضية قلما يبلغها الخيال ذاته. وها هو ذا منجزه في هذا الكتاب وغيره وهو يقدم البرهان على ما توفره التجربة الفلسطينية وما يمكن اغترافه منها.

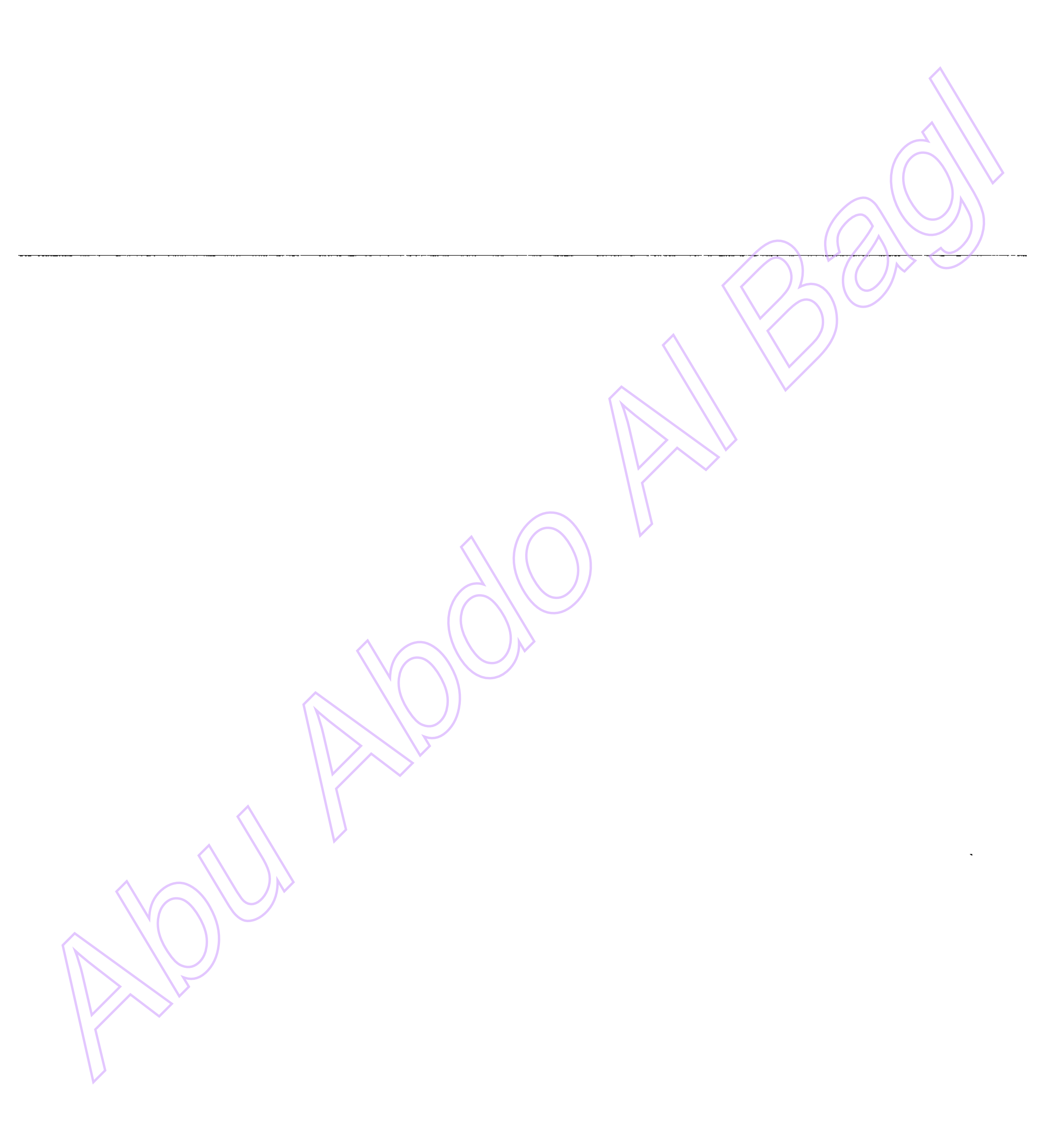
لقد ذكّرنا فضل النقيب بكتّاب كبار كتبوا ما وصف بأنه رواية غير خيالية، كما ذكّرنا بآخرين كتبوا الرواية غير الخيالية فكبروا بها. وفي "مغدوشة، قصة الحرب على المخيمات في لبنان" نحن إزاء رواية أخرى من هذا النوع، الرواية التي تستقي مادتها كلها، وقائعها وشخصياتها، من الواقع ولا تتدخل المخيلة في صياغتها لا بكثير ولا بقليل. وبهذا الكتاب كما بسابقه، لم يعد ممدوح نوفل هو الناشط في الشأن العام الذي ينشر

يوميات أو شهادات، بل انتقل إلى مرتبة الكاتب المحترف ووقع على عاتقه ما يقع على المحترفين من مسؤولية، وصار للقراء والنقاد الحق الكامل في أن يعاملوا منجزه على هذا الأساس.

لا أملك قبع الناقد ولا أنوي أن أملكه، فليس من حقي أن أنضم إلى ربع النقاد. لكني أتوقع أن يتعامل النقد الجاد مع هذا الكتاب بما له وما عليه، وليس بما له فقط كما فعلت أنا في هذه المقدمة. وإذا كان من المتوقع أن يبرز النقد مثالب الكتاب، فمن المؤكد أن هذه المثالب لا تطمس مزاياه الغالبة. إنه منجز صعد ممدوح نوفل به خطوة أخرى نحو امتلاك زمام الكتابة الراقية.

فيصل حوراني

٢٠٠٥/٧/١٠



تعريف بالكتاب

تاريخ الشعب الفلسطيني الحديث فصول ألم وعذاب متتالية ومتلاحقة. دوّن الآباء والأجداد بعضها لكن كثير من فصولها لم تدون وزرعت في الأرض مع أصحابها ونحن نلمس يوميا تجلياتها في سلوك الإنسان الفلسطيني، كما نلمس بعضها في قدسية الأرض وما ينبت فوقها من ثمرات. وإذا كان البحث عن هذا التراث الثمين لا يزال متواصلاً فعلينا أن نقر بان هذا البحث لم ينجز، بعد، ما ينبغي انجازه. ومن المؤكد أن في ذاكرة كثيرين ما يسهل البحث لو ان شهود الأحداث الذين ما زالوا أحياء أباحوا لمخزونهم بان يفيض، وحق الأرض على الأحياء من أبنائها أن يخففوا عنها مشاق الحفر وعذاب التنقيب. وحين يتعلق الأمر بتجربة الثورة الفلسطينية من حق الجيل الحالي والأجيال اللاحقة أن يجدوا تاريخ الثورة المعاصرة مدونا وموثقا بأدوات التدوين والتوثيق الحديثة المتوفرة في عصر التكنولوجيا، فهذا التاريخ ملكاً جماعياً ليس من حق أحد احتكاره أو اخفاؤه أو تزييفه.

صحيح أن فصول طريق الآلام الفلسطيني لم تكتمل، لكن الصحيح أيضا أن النضال الوطني الفلسطيني يقف على أبواب مرحلة جديدة، وتدوين فصول المرحلة الماضية مسألة حيوية وضرورة وطنية. فالثورة التي انطلقت عام ١٩٦٥ تحولت بعد ٣٠ سنة إلى "سلطة حكم ذاتي انتقالي" مستقبلها مفتوح على احتمالات عدة. ولا أحد يستطيع استبعاد احتمال اندثارها واللحاق بالهيئة العربية العليا التي تولت دفة قيادة الشعب الفلسطيني فترة من الزمن حتى نكبة ١٩٤٨ ثم اندثرت بعدها.

وتأجيل تدوين تاريخ الثورة المعاصرة وتأخير نشره يعني خسارة مزدوجة: من جهة اخضاع التعامل مع هذا التاريخ لاعتبارات حزبية وسياسية متنوعة وخلق أرضية للتبديد او للتشويه والتزوير. ثم إن تزاحم الأحداث وتسارعها، من جهة أخرى، يعرض بعض التراث الثمين للضياع والاندثار بحكم طغيان الراهن على الماضي ويبدد فرصة الاستفادة من تجربة غنية.

لاشك في أن لكل شهيد وسجين وجريح ومناضل فلسطيني قصة، ولكل قرية ومخيم ومدينة داخل الوطن وخارجه حكاية، ومجموع القصص والحكايات تشكل الرواية الفلسطينية الكاملة المليئة بالأحلام والآلام. وإذا كان وراء كل خبر أو بيان أو وثيقة صدرت عن حالة الشعب والقضية والثورة، تعب إنسان فلسطيني وحرق دم وأعصاب وعرق، فالقليل من هذا الجهد مرئي ومعروف ومدون يستطيع من يرغب في الإمساك به تحقيق مراده، اما كثيره فلا يزال بعيدا عن التداول. وبعضه بات ذكريات ومشاعر خاصة ليس سهلا على الأجيال المتعاقبة العثور عليها إذا لم يدونها هؤلاء او يدونها شهودها الآخرون اليوم قبل أن تفقدها الذاكرة.

أعتقد أن التواجد الفلسطيني المدني والعسكري على الساحة اللبنانية هو أحد الفصول الحيوية والهامة في تاريخ الشعب الفلسطيني وتاريخ ثورته المعاصرة. بدأ مع نكبة عام ١٩٤٨ وتطور مع انطلاقة الثورة عام ١٩٦٥، ونما وكبر مع تطور النضال الوطني الفلسطيني وبروز الثورة قوة مقررة في الساحة اللبنانية. وإذا كانت الثورة الفلسطينية المعاصرة أمضت مرحلة طفولتها مشردة في شتى أنحاء الأرض العربية وتجمعت فترة ١٩٦٧- ١٩٧١ في الأردن، فإن هذه الثورة عاشت مرحلة شبابها في الساحة اللبنانية ١٩٧١-١٩٨٢ وهرمت بعد رحيل قيادتها ومعظم كادرها إلى تونس وغيرها عام ١٩٨٢، وشاخت بسرعة بعد العودة للوطن وقيام السلطة عام ١٩٩٤.

في هذه الأوراق المتواضعة محاولة على درب أداء الواجب إزاء تاريخ مئات ألوف الفلسطينيين الذين اقتلعتهم الأقدار من أرضهم في فلسطين عام ١٩٤٧-١٩٤٨، ورمت بهم رياحها دون خيار منهم على أرض لبنان المجاور لوطنهم فلسطين. وذاقوا عذاب وآلام الهجرة واللجوء، بعضها كان من صنع الاشقاء. وبعد ربع قرن ذاقوا حلاوة الحياة في عز ثورتهم في لبنان ١٩٧٤-١٩٨٢، وذاقوا أيضا علقمها بعد ترحيل قيادة الثورة عنه.

شاءت الأقدار أن أكون في الفترة الواقعة بين عام ١٩٧١ وعام ١٩٨٨ شاهدا على الفرح والعذاب اللذين عاشهما الشعب الفلسطيني في لبنان. وإن كان لي أن اعتز بأني كنت أحد المساهمين في جلب هذا الفرح لهم، فإني أعترف أني كنت شريكا في التسبب ببعض تلك العذابات، ضمن حدود موقعي في مؤسسات م ت ف والثورة. وإن عضويتي في المجلس العسكري الأعلى لقوات الثورة الفلسطينية، والمجلس المركزي لمنظمة التحرير ولأني كنت عضوا في المكتب السياسي للجبهة

الديمقراطية وقائد قواتها المسلحة الثورية وأمين تنظيمها الحزبي في لبنان خلال تلك الفترة، فإني أتحمل قسطا من المسؤولية إزاء كل ما جرى في لبنان خلال الحروب الظالمة على المخيمات ١٩٨٤-١٩٨٨، خصوصا منذ عينت في العام ١٩٨٤ قائدا لقوات منظمة التحرير في لبنان بعد أن رحل القائد العام أبوعمار وأعضاء المجلس العسكري عام ١٩٨٤.

إلى ذلك، كنت ولم أزل على قناعة أن دور الثورة الفلسطينية في لبنان يحتاج إلى مراجعة موضوعية وشجاعة، تفرز الخطأ عن الصواب وتحدد التخوم والفواصل بين ما هو ايجابي وما هو سلبي، وتميز الأخطاء الاستراتيجية عن الأخطاء التكتيكية، وتفصل بين ما فرضته الظروف الموضوعية في سياق مرحلة الكفاح المسلح والدفاع عن استقلالية القرار الفلسطيني وما صنعته الذات الفلسطينية المقررة.

وكلي أمل أن يساهم هذا الكتاب بمعلوماته التفصيلية الحقيقة في إجراء المراجعة الضرورية والمطلوبة من الفلسطينيين واللبنانيين ومن كل من كان له دورا في إسعاد أو تعذيب الشعبين الفلسطيني واللبناني. ويرى القارئ في الكتاب صورة حية عن وقائع صنوف عذاب ذاقها قسم من الشعب الفلسطيني في لبنان، دونتها يوم بيوم في دفاتري الخاصة جريا على عادة التزمت بها اثناء عملي في المجال العسكري. ويجد الباحث في فصوله صورة واقعية عن جوانب هامة في حياة الثورة في لبنان والثقافة والتقاليد التي زرعتها في حياة الفلسطينيين في المخيمات، وعن الصراع بين المصالح الخاصة للفصائل والقيادات مع المصالح الوطنية العامة. وفيه أيضا بعضا من المشاعر والخواطر موصوفة كما كانت في ابان طزاجتها حين احتوتها دفاتري في حينه. وكلي أمل في ان تساعد على استكمال الصورة والتعرف على آثارها على الإنسان الفلسطيني.

وانطلاقا من قناعتي بأهمية التوثيق في تسجيل التاريخ آثرت كتابة الحقيقة كما عشتها ودونتها برغم معرفتي بأنها جارحة احيانا. وثبّت الأسماء والاماكن التي شهدت الأحداث وفرضت على شخصياتها العودة الى خشبة المسرح واداء أدوارهم التي قاموا بها في تلك الفترة. وحرصا على تدوين الحقيقة وإعطاء التاريخ حقه واستحضار ما جرى كما جرى في حينه،دونت وقائع الإحداث بتفاصيلها الصغيرة كلما اقتضى الامر وذلك وفق التسلسل الزمني للقاءات والاجتماعات والاتصالات. كما دونت نصوص الحوار دون تزويق، وفي هذا كله يتعرف القارئ على المواقف الحقيقية للعديد من الدول والقوى والشخصيات الفلسطينية والعربية واللبنانية والدولية خلال تلك الأحداث وذاك الزمن الصعب.

ولا ادري تحت اي بند يمكن تصنيف اوراق الكتاب، هل هي شهادة تاريخية خالية من المجاملة والتنميق، أو هي مذكرات شخصية، أو رواية تقريرية لاحداث عشتها؟ واذا كانت الاوراق لا تصدر حكما نهائيا على أحد والحكم متروك للقارئ ومتروك للتاريخ والأجيال اللاحقة، فمما لا شك فيه أنها تقدم ما يلزم لاصدار الحكم وتساعد في استخلاص بعض العبر، وتساهم في تقييم مواقف بعض القوى والقيادات الفلسطينية، وتبين مدى إخلاصها في وضع مصالح الشعب فوق مصالحها التنظيمية والشخصية الخاصة. وقد تساعد في الوصول إلى حكم عادل بحق المرحلة كلها وبحق من كان في موقع صنع القرار.

وأخيرا، بقي علي الاعتراف باني وضعت مسودة هذا الكتاب أواخر عام ١٩٨٩ وترددت في نشره بسبب معرفتي أن ما يحتويه من وقائع ومعلومات قد يجلب، على بعض من أعز وأقدر دورهم، الكثير من الألم والعذاب. وكلي أمل في أن لا يسبب نشر الكتاب الآن أذى لأحد. وان يتعامل كل من ورد اسمه مع الكتاب باعتباره جزءا من تاريخ لا احد منا يستطيع التبرؤ منه، وهو لم يعد ملك احد بعينه.

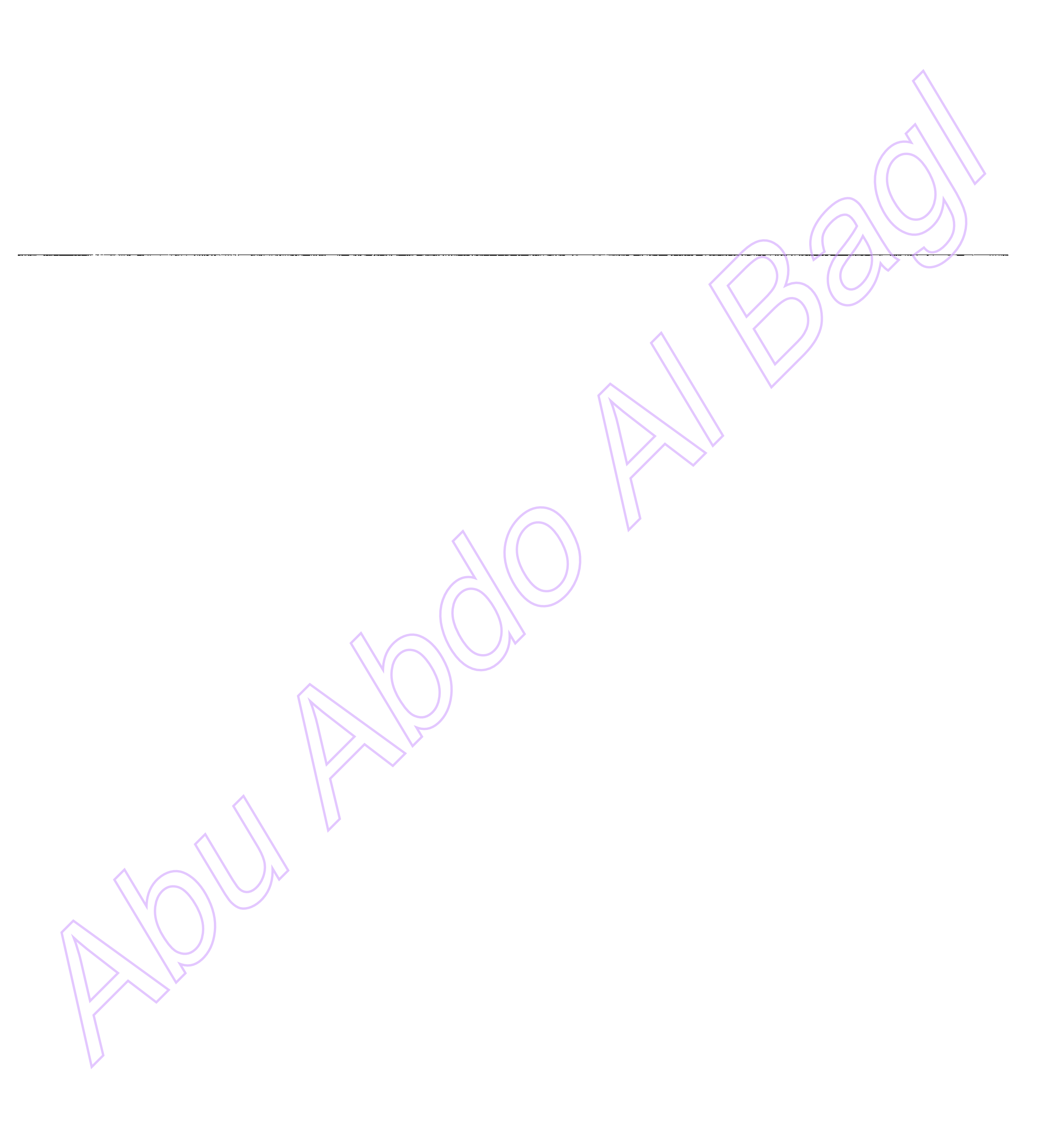
وفي هذه المقدمة اجد نفسي ملزما بشكر الاستاذ وليد جنبلاط الصديق الوفي للشعب الفلسطيني، أحد ابطال هذه الراواية، على تشجيعه وموافقته على نشر الكتاب بالرغم من معرفته بما يتضمن من مواقف واسرار قد تجلب له بعض المتاعب. وتأثرت كثيرا عندما التقيته في بيروت آخر يوم في شهر كانون الثاني ٢٠٠٥ بعد غياب دام اكثر من ١٦ سنة. وشعرت يومها برجفة خوف حقيقي هزتني من الاعماق وانا استمع لحديثه الصريح وعندما رد دون نقاش او تردد على استئذاني نشر الكتاب وقال: إنشر ما تريد، يبدو اننا في عام ١٩٧٧-١٩٧٨ حيث كان الانقسام اللبناني الداخلي عميقا وخطيرا، وكان التوتر مع الشقيقة سورية على أشده وفي ذلك العام المشئوم تم اغتيال كمال جنبلاط ووقعت حوادث كبرى في البلد والمنطقة وضمنها اتفاقات كامب ديفيد المصرية الاسرائيلية.

قلت: لكن الكتاب يتحدث بالتفصيل عن دور الحزب التقدمي ودور وليد شخصيا في مساندة حركة "فتح" والجبهة الديمقراطية عسكريا وسياسيا ومعنويا في مواجهة حركة "امل" ومن ساندها في حربها الظالمة على المخيمات. قال: "انشر دون تأخير من يدري ماذا تخبأ لنا الايام، لم يعد لدي ما أخاف عليه وأخشاه، وهذا من تاريخنا المشترك يجب ان يعرفه الناس".

الى ذلك لا يسعني الا ان أشكر كل من ساهم في قراءة مخطوطة الكتاب وتدقيقها وصحح المعلومات الواردة فيها، وأشكر أيضا جميع من شجعوني، واخص بالذكر الصديق فيصل الحوراني الذي نقح صياغة الكتاب ولم يبخل علي بملاحظاته، والاصدقاء جميل هلال والعقيد عبد الكريم رزق احد شخصيات الرواية، ولينا حوراني، وغسان عبد الله، واسرة مؤسسة مواطن الذين ساهموا في تدقيق الكتاب وفي اخراجه الى حيز الوجود.

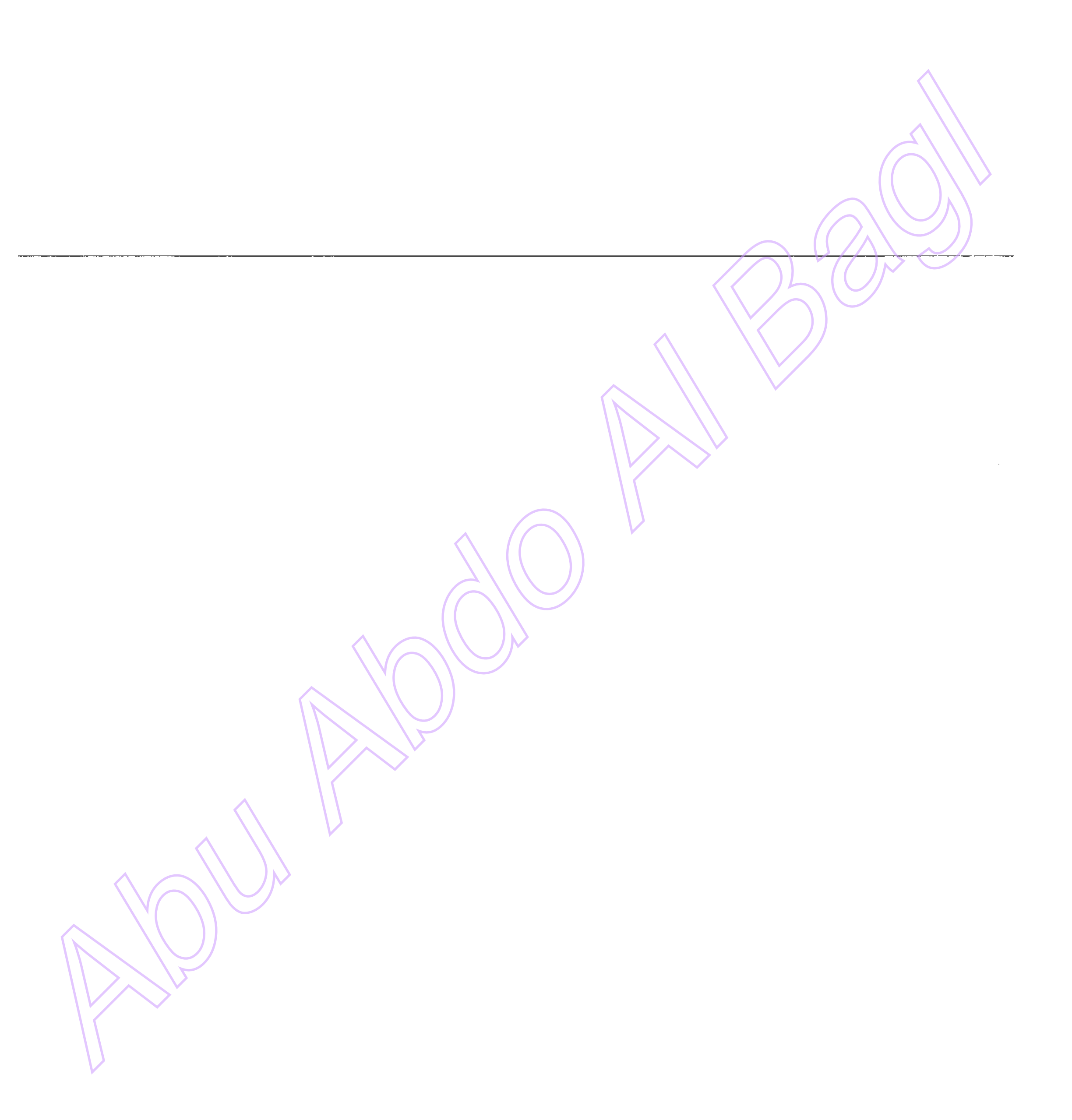
ممدوح نوفل

٢٠٠٦


Abu Abdo Al Bagl

الفصل الأول

بدء الحروب على المخيمات الفلسطينية


Abu Abdo Al Bagl

بدء الحروب على المخيمات الفلسطينية

رحيل منظمة التحرير عن بيروت حرك مطامع كثيرين

قبل توقف حرب إسرائيل على لبنان عام ١٩٨٢، وبناء على اتفاق رئيس الحكومة اللبنانية شفيق الوزان مع المبعوث الأمريكي فليب حبيب[1]، فتحت القوات الإسرائيلية ممرا بريا أمام القوات السورية وقوات جيش التحرير الفلسطيني ـ لواء بدر المربوط بالجيش الأردني، للخروج من بيروت إلى سوريا والأردن. وفتحت ممرا آخر بحريا لانسحاب قيادة وقوات وكوادر منظمة التحرير الفلسطينية من مدينة بيروت إلى الدول التي تم الاتفاق عليها.

في حينه، خرجت القوات السورية بكامل أفرادها وما كان قد بقي سالما من معداتها، وسلكت الطريق الذي حدد لها في الاتفاق وهو طريق بيروت ـ دمشق، بدءا من كنيسة مارمخائيل مرورا بالحازمية والكحالة وظهر البيدر وانتهاء ببلدة شتورا في البقاع ومنطقة المصنع على الحدود السورية اللبنانية الرسمية. وانسحب مع القوات السورية قادة وكوادر ومقاتلي منظمة طلائع حرب التحرير الشعبية– قوات الصاعقة الفلسطينية الموالية لسوريا وهي الجناح العسكري لفرع حزب البعث الفلسطيني، وأيضا قادة الجبهة الشعبية "القيادة العامة" التي يتزعمها أحمد جبريل، وكوادرها ومقاتلوها وهي مقربة من نظام الحكم في سوريا.

في حينه، آثر ياسر عرفات التوجه مع أركانه وطاقم المساعدين وبضع مئات من المقاتلين معظمهم من قوات الحرس الخاص " قوة ال ١٧ " إلى إحدى الجزر اليونانية في طريقه إلى العاصمة التونسية. وقد رفض اقتراحا قدمه عدد من أعضاء القيادة أن تكون وجهته الأولى هي العاصمة السورية دمشق ومنها يغادر إلى حيث يشاء. وكان في قرار ابو عمار

إشارة سياسية صريحة تعكس حجم توتر العلاقة بين القيادتين السورية والفلسطينية خلال الحرب. واختيار أبو عمار بلدا أجنبيا وليس عربيا، محطة أولى في رحلة الخروج من بيروت إلى المجهول كان هو الآخر رسالة احتجاج صريحة عن انزعاجه وإحباطه من موقف النظام العربي الضعيف خلال فترة الحصار الطويلة[٢]. وتأكيدا رسميا علنيا على رفض قيادة المنظمة بشكل واضح الانضمام إلى أي من المحاور العربية التي قسّمت دول الجامعة العربية إلى محاور متنابذة، بعد توقيع الرئيس السادات اتفاقات كامب ديفيد مع إسرائيل برعاية الرئيس الأمريكي كارتر عام ١٩٧٩[٣].

قبل بدء عملية الرحيل أو الترحيل دخلت، استنادا لواحد من بنود الاتفاق مع فيليب حبيب، قوة متعددة الجنسيات مدينة بيروت وضواحيها كانت قوات "المارينز" الأمريكية والقوات الفرنسية هي عمودها الفقري. وانسحبت القوات الإسرائيلية و"القوات الانعزالية"[٤] جزئيا من ميناء بيروت أول محطة في خطة الترحيل فيما تمركزت فيه وحدات من قوات المارينز الأمريكية. واسند لهذه القوات مهمة الأشراف على عملية ترحيل القيادة والمقاتلين وتوفير الحماية للمرحلين من أي إعتداء، بدءا من وصولهم أرض ميناء بيروت مرورا بركوبهم بواخر الترحيل التي تم استئجارها خصيصا لنقلهم، وانتهاء بمحطات الوصول العربية المتفق عليها وكانت هذه هي: تونس، الجزائر، سوريا، العراق، اليمنين الشمالي والجنوبي السودان، وليبيا، وقد تم تحديدها مسبقا بناء على ترتيبات شارك فيها ممثلون عن الإدارة الأمريكية.

وفي ميناء بيروت تأكدت القوات المتعددة الجنسية، وفق الإتفاق، من أن جميع المقاتلين الفلسطينيين وضعوا أسلحتهم ومعداتهم الحربية في الأماكن التي خصصت لها على ظهر كل باخرة. واستنادا لتعهد الحكومة الإسرائيلية للمبعوث الأمريكي حبيب بعدم دخول المخيمات وعدم التعرض للمدنيين الفلسطينيين في بيروت، تعهدت دول وحكومات قوات متعددة الجنسية حماية المخيمات الفلسطينية من الاعتداءات الإسرائيلية المحتملة.

وقبل وبعد رحيل أبو عمار من بيروت بحماية قطع البحرية الأمريكية والفرنسية، تواصل ترحيل مقاتلي وكوادر الأجهزة المدنية والأمنية الفلسطينية وعناصر المليشيا. ورغم قول أبو عمار في ميناء بيروت ردا على سؤال أحد الصحفيين "انه ذاهب إلى فلسطين" إلا أن أبو إياد وأبو جهاد وأبو الوليد وجميع أركان القيادة الفلسطينية، سياسيين وعسكريين، كانوا مقتنعين تماما أنهم يغادرون بيروت دون رجعة وإنهم جميعا ذاهبون إلى المجهول. وقد ادرج هؤلاء حديث أبو عمار في خانة المكابرة ورفع المعنويات وعدم الاعتراف بالهزيمة المؤلمة والقاسية التي لحقت بالثورة الفلسطينية.

وبالرغم من هذه التعهدات ظلت صيحات النسوة والصبايا الفلسطينيات المودعات للقيادة والمقاتلين الراحلين تقول عند مرور كل قافلة باتجاه ميناء بيروت: "لا ترحلوا، خذونا معكم ولا تتركونا تحت رحمة قوات حزب الكتائب والجيش اللبناني

والإسرائيليين " . وكانت صيحاتهن الحزينة الباكية تعكس حقيقة مشاعر الفلسطينيين في لبنان على كل المستويات، خصوصا مشاعر أبناء المخيمات [٥].

وبعد رحيل أبوعمار وقبل رحيل آخر دفعة من القيادة والمقاتلين الفلسطينيين سيطرت قوات الجيش اللبناني والقوات الانعزالية على معظم مناطق وأحياء بيروت الغربية التي كانت خاضعة للسيطرة الفلسطينية الوطنية اللبنانية. وصار في الظهور الفلسطيني المدني ناهيك عن العسكري، في أحياء أبو شاكر، البربير، الفاكهاني، قصقص، أبو سهل، صبرا، شاتيلا، برج البراجنة..ألخ مخاطرة كبيرة. بما في ذلك الوصول إلى المستشفيات لإخراج الجرحى ونقلهم إلى بواخر الترحيل الراسية في ميناء بيروت[٦]. بالرغم من ذلك، أصر العميد سعد صايل " أبو الوليد " [٧] مدير غرفة العمليات المركزية الفلسطينية ـ اللبنانية المشتركة على أن يودع هو ومن تبقى من أعضاء المجلس العسكري الفلسطيني الأعلى مدينة بيروت بأداء زيارة رسمية لمقبرة شهداء فلسطين الواقعة في حي قصقص[٨].

في الطريق للمقبرة، لم يكن الحشد كبيرا اذا قورن مع الحشود الجماهيرية التي كانت تسير عادة خلف الجنازات وإلى هذه المقبرة بالذات، واقتصر الأمر على بضع عشرات من الكوادر والمقاتلين ساروا صامتين. فالمسيرة نظمت على عجل والخوف يسيطر على الجميع. وعند بوابة المقبرة غابت ألحان الفرق الموسيقية الحزينة التي كانت ترافق جنازات الفلسطينيين. وقبل وضع إكليل الزهور على قبر الحاج أمين الحسيني، تساءل أبو الوليد بحزن شديد وبصوت خافت: هل ستطأ أقدام أولادنا ارض فلسطين؟ هل سنستطيع يوما ما تنفيذ وصية الشهداء بنقلهم إلى أرض الآباء والأجداد ؟ أو أن مواقفنا وممارساتنا وهزيمتنا في بيروت ستقود إلى نبش قبورهم ورمي عظامهم في المزابل ؟ هل سنجد من يدفنّا باحترام كما دفنّا مئات الكوادر المقاتلين ؟ وهل سنجد لنا في هذا الوطن العربي الكبير مكانا ندفن فيه ؟

كان أبو الوليد رجلا مؤمنا لكنه لم يكن متزمتا[٩]، وطرحه هذه الأسئلة وسواها كان له ما يبرره. خاصة أن الثورة الفلسطينية خرجت من بيروت وعلاقتها مع معظم الدول العربية لم تكن على ما يرام. وكان الجيش الإسرائيلي يحاصر بيروت الغربية من جميع الجهات، جنده يقفون بآلياتهم الخفيفة والثقيلة على بعد مئات الأمتار فقط من المخيمات الفلسطينية. والرئيس اللبناني الجديد، المنتخب للتوَ الشيخ بشير الجميل كان الخصم الأول للفلسطينيين وصار الحاكم والحكم. هو قائد القوات اللبنانية وموحد القوات الانعزالية ضد الفلسطينيين والسوريين، وهو باني أول تحالف عربي رسمي مع دولة إسرائيل منذ قيامها على الأرض الفلسطينية في العام ١٩٤٨[١٠].

وبالرغم من الوضع الاعتباري لموقع رئاسة الجمهورية اللبنانية، فإن الرئيس الجديد الذي لم يكن قد تولى مسؤولية الرئاسة رسمياً، بعد، لم يتردد عن التعبير عما يدور في ذهنه. وبعد أيام قليلة من انتخابه قال علنا وفي خطاب رسمي بثه التلفزيون اللبناني جملته الشهيرة: " يوجد في المنطقة خمس شعوب وأربع دول، وهناك شعب زائد يجب

الخلاص منه"، وكان يقصد الشعب الفلسطيني البالغ تعداده أكثر من خمسة ملايين إنسان مشتتين في شتى أنحاء المعمورة.

وبالرغم من تعهد فليب حبيب بحماية المخيمات الفلسطينية من الاعتداءات فإن ثقة الفلسطينيين، قيادة وشعبا، في الإدارات الأمريكية المتعاقبة كانت معدومة. وقد ظل ينظرون إليها باعتبارها العدو رقم واحد حامي حمى دولة إسرائيل، حليفتهم التي تحتل وطنهم منذ قيامها وحتى الساعة. وظلت مناظر توديع المقاتلين الفلسطينيين في الملعب البلدي[١١] وعلى طول الطريق، جارحة ومؤلمة للجميع. المغادرون يبكون ويطلقون النار في الهواء لسبب غير معروف ويلوحون للمودعين والودعات بإشارات الاعتزاز والافتخار بخروجهم بسلاحهم، والمودعون والمودعات يبكون ويلوحون بشارات الحزن على الفراق. وكلا الطرفين كان قلقا على نفسه وعلى من يودع من الأهل والأحبة والأصدقاء. المغادرون قلقون من المصير المجهول الذي ينتظرهم في بلدان المهاجر والشتات المتكررين، وقلقون على من تركوا خلفهم من الأحبة، خاصة أنهم يعرفون أن القوات الإسرائيلية وحليفتها الإنعزالية لن ترحم من تبقى من المدنيين الفلسطينيين العزل من السلاح. والمودعون قلقون على من رحلوا وعلى أنفسهم هم الذين كانوا على يقين أن المنتصرين في الحرب سوف ينتقمون منهم.

في الأول من أيلول/سبتمبر ١٩٨٢، ودع من تبقوا من القيادة الفلسطينية بيروت ورحلوا على ظهر باخرة يونانية حملتهم هم وما يزيد على ألف كادر ومقاتل فلسطيني إلى ميناء طرطوس السوري. وبعد أقل من ساعة من رحيلهم استكملت القوات الإنعزالية وقوات الجيش اللبناني انتشارها في كل أحياء بيروت الغربية. ودخلت إلى قلب المعاقل الفلسطينية في شوارع أحياء الفاكهاني وأبو سهل وحمد وجامعة بيروت العربية. ووقفت على أبواب مخيمات صبرا وشاتيلا والداعوق وبير حسن وبرج البراجنة.

وبعد اقل من ٤٨ ساعة خرق الجنرال شارون وزير الدفاع الإسرائيلي اتفاق فليب حبيب ودخلت قواته أحياء بيروت الغربية، وراحت تمشطها بحثا عن بقايا كوادر منظمة التحرير وإستكملت بهذا سيطرتها على العاصمة. ووجدت قوات الجيش اللبناني ومعها القوات الانعزالية فرصتها للانتقام من الفلسطينيين والقوى الوطنية اللبنانية التي قاتلتها إبان الحرب الأهلية ١٩٧٥-١٩٧٨. وبدلا من البحث عن سبل حل الأزمة اللبنانية وتصفية ذيول ونتائج الحرب الأهلية، توجهت القوات الانعزالية نحو تصفية حساباتها مع الحركة الوطنية اللبنانية، وراحت تسعى للتنكيل بالوطنيين اللبنانيين، ودخلت في صراع ثأري مكشوف مع أبناء الطائفة الدرزية في الجبل، وأبناء الطائفة الشيعة في بيروت الغربية وضواحيها وفي بعض مناطق الجنوب.

لاحقا وبعد أقل من أسبوعين، بتاريخ ١٦/٩/١٩٨٢، تناقلت وكالت الأنباء خبرا عاجلا من بيروت الشرقية يقول: "تمكن مجهولون من تفجير مبنى في منطقة الأشرفية [١٢] كان الرئيس اللبناني الجديد بشير يعقد اجتماعا مع قيادة القوات اللبنانية". وقالت

الوكالات: "الانفجار كبير جدا دمر المبنى بالكامل وهز أرجاء بيروت كلها، ومصير الرئيس اللبناني ومن معه مجهول".

وفي المساء أكدت الوكالات مقتل الرئيس اللبناني المنتخب. منذ أيام معدودة فقط. في حينه، لم يخفي الفلسطينيون في لبنان والوطنيون اللبنانيون من شيعة ودروز وسنة فرحتهم بمقتل بشير عدوهم اللدود، لكنهم وضعوا أياديهم على قلوبهم خوفا من رد فعل القوات الإنعزالية، وبخاصة اتباع بشير، ورد فعل إسرائيل التي راهنت على بشير في بناء تحالف لبناني إسرائيلي وفرضت انتخابه رئيسا للجمهورية بقوة سطوتها على لبنان.

ومع معرفة الجميع، لبنانيين وإسرائيليين وأمريكيين وفرنسيين، بأن وضع الثورة الفلسطينية وإمكانياتها العسكرية والأمنية في تلك الفترة لا تمكنها القيام بمثل هذا العمل السياسي العسكري الكبير، فإن الفلسطينيين كانوا هم الضحية وعلى رؤوسهم وقع رد الفعل على مقتل بشير. وبتشجيع من الجنرال شارون وبعض أركان قيادة جيشه، ارتكبت قوات الكتائب يوم ١٧ أيلول/سبتمبر ١٩٩٢ مجزرة رهيبة ضد أهالي مخيمي صبرا وشاتيلا، راح ضحيتها اعداد كبيرة من الاطفال والرجال والنساء والشيوخ معظمهم فلسطينيون، وكان ضمن القتلى أعداد قليلة من العمال السوريين والفقراء اللبنانيين الذين دفعتهم الحاجة إلى السكن في المخيم المنكوب.

وعلى امتداد عام ١٩٨٣ لم تستكن قوى الحركة الوطنية والإسلامية اللبنانية ومن تبقى من القوات الفلسطينية في البقاع أمام ممارسات القوات الانعزالية المتحالفة مع الغزاة الإسرائيليين والمستقوية بهم. وبدأت مقاومة سريه مسلحة لقوات الاحتلال الإسرائيلية وضد القوات الانعزالية في بيروت ومناطق الجبل والبقاع والجنوب ومناطق لبنانية أخرى. ولقيت المقاومة الوطنية اللبنانية دعما ماديا وعسكريا وتشجيعا معنويا كبيرا من القيادتين السورية والليبية ومن قيادة م ت ف والقيادة الإيرانية. ودخلت الحرب البارة بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي على هذا المحور من الصراع[١٣]. وبادر الاتحاد السوفيتي ودول حلف وارسو إلى إدانة الغزو الإسرائيلي للبنان، وطالبت الحكومة الإسرائيلية سحب قواتها فورا من لبنان إلى مواقعها قبل بدء الحرب. وأكدت دول الحلف تمسكها بوحدة وسلامة أراضي الدولة اللبنانية ضمن حدودها الدولية المعروفة. ولم يخفي الاتحاد السوفيتي امتعاظه من تشكيل القوات المتعددة الجنسيات واقتصارها على قوات من حلف الناتو وعارض استمرار تواجد هذه القوات في لبنان.

ثم لم يمض وقت طويل حتى تحولت الاشتباكات المتفرقة بين المقاومة الوطنية اللبنانية والقوات الانعزالية إلى حرب أهلية شاملة. اشتعلت نيرانها بقوة في مناطق الجبل وبيروت وشرق صيدا والبقاع. وخشيت القيادة الإسرائيلية الغرق في هذه الحرب وسارعت إلى سحب قواتها من مناطق الجبل وبعض المناطق المحيطة بمدينة بيروت.

وتعرضت القوات المتعددة الجنسيات لهجمات نوعية كان أبرزها تفجير حزب الله مقر قوات المارينز الأمريكية ومقر قيادة القوات الفرنسية في بيروت(١٤). وظهر حزب الله كقوة أساسية على الساحة الوطنية اللبنانية وبرزت أفواج المقاومة الإسلامية– حركة "أمل" الشيعية قوة قائدة للمقاومة الوطنية اللبنانية.

أما بقايا قوات الثورة الفلسطينية التي لم تغادر الأراضي اللبنانية والتي حافظت على وجودها في مناطق شتورة وزحلة وبعلبك والهرمل وطرابلس وعلى طول الحدود السورية اللبنانية، فقد واصلت مقاومتها للقوات الإسرائيلية المتمركزة في الجبل والبقاع الغربي. ورويدا رويدا، مدت القوات الفلسطينية نشاطها إلى مناطق بيروت وصيدا وصور والنبطية في الجنوب اللبناني المحتل. واستثمرت الفصائل الفلسطينية إقدام إسرائيل فتح الحدود مع لبنان أمام حركة المدنيين فراحت تعمل على نقل ما يمكن نقله من أسلحة وذخائر ومتفجرات إلى خلاياها في الضفة الغربية وداخل إسرائيل(١٥). وسارعت بالتعاون مع القوى الوطنية اللبنانية إلى تصفية بقايا جيوب القوات الانعزالية في المناطق الوطنية التي لم تدخلها قوات الاحتلال الإسرائيلي، وبخاصة منطقتي الجبل والبقاع.

ووطدت قوى الثورة الفلسطينية تحالفاتها مع كل القوى الوطنية والإسلامية اللبنانية بدء من الحزب التقدمي الاشتراكي بزعامة وليد جنبلاط، مرورا بحركة "أمل" بزعامة نبيه بري، وحزب الله، وانتهاء بالشيوعيين والناصريين. وكان واضحا لجميع اللبنانيين وكل القوى الإقليمية والدولية أن فكرة العودة العسكرية الفلسطينية إلى لبنان والدفاع عن الوجود الفلسطيني المدني فيه كان هو المحرك الرئيسي لكل ذاك النشاط العسكري والسياسي الفلسطيني. ولم تبخل فصائل الثورة الفلسطينية في حينه في تزويد القوى الوطنية والإسلامية بما يلزم من معدات عسكرية ومن مال، وقدمت لهم المعدات والخبرات الفنية العسكرية الضرورية. ونال الحزب التقدمي الاشتراكي وحركة "أمل" وحزب الله حصة الأسد من تلك المساعدات(١٦).

وكانت القيادة الإسرائيلية تزود القوات اللبنانية بالاسلحة والذخائر، ولم تكن تعارض تزويد الحزب التقدمي الاشتراكي بالسلاح من المقاومة الفلسطينية ظنا منها أنها بهذا الموقف تحافظ على شيء من التوازن في العلاقة بين الدروز والمسيحيين في لبنان، وان اشتعال الحرب بين الطرفين يدفع بكليهما للتقرب أكثر فأكثر من إسرائيل ويشغل الساحة اللبنانية في أمور أخرى غير التواجد الإسرائيلي. كانت شاحنات الحزب التقدمي الاشتراكي تعبر الحواجز الإسرائيلية إلى البقاع وهي فارغة وتعود منه إلى المدن والقرى الدرزية في الجبل وهي محملة بالأسلحة والذخائر الفلسطينية. وكثيرا ما كانت شاحنات فصائل الثورة الفلسطينية، وبخاصة الجبهتين والديمقراطية والشعبية المحملة بالأسلحة والذخائر تفرغ حمولتها في شاحنات الحزب التقدمي الاشتراكي على مرأى من القوات الإسرائيلية المرابطة في محيط مدينة صوفر.

لاحقا، بعد انسحاب القوات الإسرائيلية من الجبل ومحيط بيروت اشتد عود المقاومة الوطنية والإسلامية اللبنانية، وزحفت قوات فصائل الثورة الفلسطينية من البقاع إلى الجبل، وتسلل بعضها إلى مخيم برج البراجنة والى بعض أحياء الضاحية الجنوبية من بيروت.

توجهات قيادة حركة "أمل" العدوانية فاجأت الفلسطينيين

في السادس من شباط/فبراير ١٩٨٤ تمكنت حركة "أمل" والقوى الوطنية اللبنانية من طرد القوات الانعزالية من أحياء بيروت الغربية، وساهمت المساعدة اللوجستية السورية والميدانية فلسطينية في تمكينها من السيطر التامة على الأحياء التي يقطنها أبناء طوائف الشيعة والسنة. أما الأحياء الدرزية فسيطرت عليها قوات الحزب التقدمي الاشتراكي بزعامة وليد جنبلاط، وسميت تلك الحركة بانتفاضة ٦ شباط/فبراير.

ومنذ السادس من شباط/فبراير ١٩٨٤ وبعد سيطرتها على بيروت الغربية، برزت "أمل" كممثل قوي للطائفة الشيعة في لبنان. وكبرت طموحاتها في قيادة الساحة اللبنانية وفي السيطرة على كل المناطق الوطنية. واختفت من أجهزة الإعلام الوطنية اللبنانية كل الأحاديث عن دور المقاتلين الفلسطينيين في مقاومة الغزو الإسرائيلي، وغاب الحديث عن مساهمتهم البطولية في تحرير الجبل وبيروت الوطنية من الوجود العسكري الكتائبي. ولم يعد أحد يشير إلى دور أبناء مخيمات برج البراجنة وشاتيلا والداعوق وصبرا ومار إلياس في طرد القوات الانعزالية من بيروت الغربية والضاحية الجنوبية. وشاع حديث طويل عريض عن الممارسات السلبية للمقاتلين الفلسطينيين قبل عام ١٩٨٢.

وعلى امتداد أسابيع وشهور عديدة نبّشت "أمل" والمتحالفين معها عن الممارسات الخاطئة التي عفا عليها الزمن للفصائل والأجهزة الفلسطينية. واستحضرت أسماء كوادر فلسطينية وشهر بها كرموز للمارسات السلبية الفاقعة، بعضها حقيقي، وبعضها الآخر غير موجود، وكان ضمنها من توفاه الله واستشهد وهو يقاتل الاحتلال، وبعضها غادر لبنان منذ سنوات. واختلقت روايات لا أول لها ولا آخر، وضخمت حوادث فردية قديمة. واستثمرت جيدا قيادة" أمل" الانقسام الذي وقع داخل حركة "فتح" ومنظمة التحرير بقيادة نمر صالح "أبو صالح" وقدري وأبو موسى وأبو خالد العملة، وركزت حملتها على عرفات والعرفاتيين من الفلسطينيين. وجهدت "امل" في تعبئة الشارع

الوطني اللبناني، وخصوصا أبناء الطائفة الشيعية، ضد الثورة الفلسطينية في لبنان تحت شعار لا عودة بأوضاع لبنان إلى ما كانت علية قبل حرب ١٩٨٢، أي ضد عودة م.ت.ف إلى المخيمات وبسط سيطرتها على المناطق الوطنية اللبنانية. وقد حدث هذا، مع أن قيادة "أمل" وجميع القوى الوطنية اللبنانية كانت تعرف أن قيادة م. ت. ف استوعبت نتائج الحرب وأسقطت هذا الخيار من توجهاتها.

في حينه، تلاقت مصالح "أمل" وطموحاتها مع المصالح السورية في مواجهة العودة الفلسطينية القوية إلى الساحة اللبنانية. فالمصلحة السورية كانت تقضي ملء الفراغ الذي أحدثه خروج منظمة التحرير من لبنان والاستفراد بهذا البلد والهيمنة علية. ودرء المخاطر التي يمكن أن تأتي منه كبلد مجاور لها ليس فيه سلطة حاكمة قوية وتنخرة حروب وصراعات طائفية. كما كانت هذه المصلحة تقضي ايضا باستثمار لبنان ما أمكن اقتصاديا وإستخدامه ورقة سياسية وعسكرية في صراع سوريا مع إسرائيل، ولتحقيق هذه الأهداف عملت القيادة السورية في اتجاهين: الأول هو إلغاء وجود أي طرف إقليمي منافس لها. والترجمة العملية لذلك كانت تعني منع م. ت. ف. وفصائلها خصوصا "فتح" بقيادة عرفات من العودة بقوة إلى لبنان باعتبارها الطرف الإقليمي القوي القادر على المنافسة بحكم وجود ما يزيد على ٣٧٠ ألف لاجئ فلسطيني على أرض هذا البلد. أما اتجاه الحركة السورية الثاني على خلق قوة محلية لبنانية قوية موالية لسوريا تنطق بلسانها وتنفذ توجهاتها وتدافع عن مصالحها في لبنان.

إلى ذلك، كبرت طموحات "أمل" وتعدت حدود السيطرة على المناطق التي تقطنها أغلبية شيعية، وتوسعت لتشمل رغبتها في السيطرة على كل المناطق الوطنية اللبنانية. ولم لا ما دام أن "أمل" هي التنظيم السياسي المعبر عن الطائفة الشيعية أو غالبيتها الساحقة في بلد تنخرة الطائفية السياسية. والشيعة في لبنان هم الطائفة الأكبر من حيث العدد والأفقر من حيث الأوضاع الاقتصادية. مناطق تواجدهم الأساسية هي البقاع والجنوب وضواحي بيروت الجنوبية وبعض قرى الجبل. وهي المناطق الأشد فقرا والأكثر تخلفا من حيث العمران ومن حيث وجود المقومات الأساسية للحياة. أهملتهم السلطة اللبنانية على مدار سنوات طويلة وهم المحرومون من الحقوق والامتيازات في السلطة، حصتهم من رأس هرم السلطة هي رئاسة المجلس النيابي. أما رئاسة الجمهورية فهي للموارنة ورئاسة الوزراء للسنة، علما بأن تعداد أبناء هاتين الطائفتين كل على انفراد أقل عددا من أبناء الطائفة الشيعة.

في سنوات الحرب الأهلية تعمقت النعرات الطائفية والمذهبية في لبنان، ونمت معها طموحات الطائفة الشيعية التي افاقت على أوضاعها المزرية وتنبهت لحقوقها المهضومة، ووجدت في خروج منظمة التحرير وقواتها من بيروت والجنوب وفي التشجيع السوري فرصة ذهبية لتصحيح الخطأ التاريخي الذي ارتكب بحقها. تعارضت مصالحها مع وجود م. ت. ف. في لبنان ومع الوجود العسكري الفلسطيني القوي على أراضيه فاندفعت للتصادم معه بأمل منعه من التمدد والنمو وتقليصه عبر التهجير قدر الإمكان.

ومنذ السادس من شباط/فبراير ١٩٨٤ شرعت "أمل" في تحضير أوضاعها العسكرية للسيطرة: فتحت صفوف قواتها لاستقبال المتطوعين من أبناء الطائفة الشيعية، وأنشأت تشكيلات عسكرية جديدة وشكلت وحدات قتالية نظامية من بقايا ألوية الجيش اللبناني الرسمي. رممت أوضاع اللواء السادس من الجيش اللبناني "فشيعت" تركيبته القاعدية والقيادية، وزودته بالعناصر الشيعية لاستكمال ملاكاته البشرية. وسلحته بالأسلحة الثقيلة التي حصلت عليها من سوريا، وبات هذا اللواء بالتحديد بمثابة القوة الضاربة لحركة "أمل" وسوريا في لبنان. ووظفت "أمل" آلاف الشباب من أبناء الطائفة الشيعية في صفوف قواتها غير النظامية من دون معايير وطنية، مما سمح بدخول وطنيين لبنانيين وعملاء خلفتهم إسرائيل ورائها بعد الانسحاب. مناضلين وطنيين وشرفاء، وخونة ومهربين، تجمعوا في ذات التشكيل العسكري والموقع القتالي الواحد لقوات "أمل". وفتحت مئات المكاتب والمراكز المدنية والعسكرية، خصوصا في أحياء السنة في بيروت الغربية، وفي المناطق الشيعية في البقاع والجنوب وضاحية بيروت الجنوبية.

"كنتنت" الجنوب من حدود صيدا وحتى رأس الناقورة على الحدود مع إسرائيل. أغلقت الضاحية الجنوبية وكل الأحياء الشيعية في بيروت في وجه القوى الوطنية اللبنانية، ودخلت في منافسة مع حزب الله في كل المجالات. وجردت السنة من قوتها العسكرية الناشئة. وأنهت بالتعاون مع الحزب التقدمي الاشتراكي وتشجيع سوري تواجد حركة المرابطون التي كان يتزعمها إبراهيم قليلات باعتبارها قوة صغيرة عميلة للفلسطينيين وتأتمر بأوامرهم.

صيف عام ١٩٨٤ أصبحت "أمل" القوة العسكرية الأولى في لبنان، وصارت قوة سياسية يسلم الجميع بدورها القيادي في مدينة بيروت وكل الساحة الوطنية اللبنانية. لاحقا، بعد انسحاب القوات الإسرائيلية من صيدا والجنوب

فرضت "أمل" نفسها كقوة مهيمنة على الجنوب بدء من جسر سينيق الواقع على بوابة صيدا الجنوبية وحتى مشارف الشريط الحدودي، او المنطقة الأمنية العازلة التي أقامتها إسرائيل داخل الأراضي اللبنانية. وانطلقت قيادة "أمل" في تعبئة داخلية تشحذ الروح العدوانية ضد الفلسطينيين والقوى الوطنية اللبنانية بما في ذلك حزب الله الشيعي والتنظيم الناصري بقيادة مصطفى سعد[١٧].

وراحت أجهزة "أمل" الأمنية والعسكرية تصعد مضايقاتها يوما بعد آخر على الفلسطينيين في جنوب لبنان. وفرضت حواجزها الأمنية والعسكرية أشكالا من الإرهاب على الفلسطينيين وشلت حركتهم من والى هذه المنطقة. وبدأت قواتها بالقيام بمداهمات منظمة واعتقالات عشوائية في صفوف الشبان الفلسطينيين. وتعمدت توجيه الإهانات للنساء والشيوخ. وقامت، بدون أي مبرر، بإطلاق نار عشوائي باتجاه المخيمات الفلسطينية في الجنوب، خصوصا مخيم الرشيدية، وهو مخيم أقيم وسط كثافة شيعية جنوبيَ مدينة صور على شاطئ البحر على بعد قرابة ٢٠ كليومتر عن حدود فلسطين، وقد أقيم على قطعة أرض جميلة زادها اللاجئون الفلسطينيون جمالا حين زروعوها بشتى صنوف الحمضيات والخضروات وحين أقاموا لأصحاب الأرض من اللبنانيين بيارات وبساتين شبيهة ببيارتهم وبساتينهم التي تركوها في فلسطين.

ومنذ عام الهجرة ١٩٤٨–١٩٤٩ وحتى الثمانينات نما مخيم الرشيدية وفاق عدد سكانه في حالات السلم على ١٧ ألف نسمة. وفي حرب ١٩٨٢ جرفت القوات الإسرائيلية معظم منازل المخيم بأمل دفع أهله إلى الرحيل شمالا بعيدا عن الحدود الإسرائيلية. لكن أهل هذا المخيم تمترسوا فوق الأنقاض ورفضوا مغادرة المنطقة، ثم تدخلت هيئة الأمم المتحدة، وأعاد الأهالي بناء مخيمهم من جديد بمساعد وكالة غوث اللاجئين "الانروا" ومنظمة التحرير ومؤسسات إنسانية ومنظمات غير حكومية اخرى.

وكان مخيم الرشيدية واحدا من أكبر المخيمات الفلسطينية المنتشرة في جنوب لبنان يجاوره من الشمال مخيم البص. وهذا المخيم الصغير كان تعداده في حالة السلم وقبل حرب ١٩٨٢ نحو خمسة آلاف نسمة. يجاوره من الشمال الشرقي مخيم البرج الشمالي وتعداده عشرة آلاف. وشمال هذه المخيمات الثلاث مخيمات صغيرة مبنية على ساحل البحر هي جل البحر والقاسمية والبرغلية والمعشوق، وتعداد سكانها مجتمعة كان يصل إلى عشرة آلاف نسمة. وقد عمل أهل هذه المخيمات في الزراعة، وتعايشوا مع إخوانهم سكان الجنوب سنين طويلة، صاهروهم وتزاوجوا بعضهم من بعض، وشاركوهم العمل والتجارة. وبحكم خبرتهم الطويلة في مجال الزراعة أحيي سكان المخيمات الفلسطينية أرض الجنوب اللبناني وزروعوها لأصحابها بالحمضيات والخضروات.

ومنذ عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٦٧ لم يتعكر صفو الحياة والعلاقة بين الفلسطينيين واللبنانيين في كل لبنان ومن ضمنه الجنوب. بقي الفلسطينيون يحلمون بالعودة إلى وطنهم وبالحل العادل لقضيتهم وبقي اللبنانيون يظهرون لهم المودة والاحترام ولم تخلَ من التألم لمصيبتهم ومن التضامن مع قضيتهم العادلة. ومع انطلاقة الثورة الفلسطينية وظهور العمل الفدائي الفلسطيني في النصف الثاني من الستينات تفتح ذهن الفلسطينيين في لبنان وضمنهم المقيمون في الجنوب على دورهم تجاه هدف العودة واسترداد الوطن السليب، وانتعشت وطنيتهم الفلسطينية، وبرزت روحهم الكفاحية، وانخرطوا في الثورة، وهرّبوا السلاح من قواعد الثورة في سوريا إلى مخيماتهم. ومن هذه المخيمات، نفذ الفلسطينيون بشكل مبكر عمليات قتالية ضد عدوهم المحتل لأرضهم. ومن اجل تفعيل ثورتهم الفتية دفعوا ثمنا باهظا على يد المخابرات اللبنانية، لكنهم انتزعوا لاحقا في عام ١٩٦٩ "اتفاق القاهرة" الذي رعاه الرئيس جمال عبد الناصر(١٨). وأعطاهم الاتفاق الحق الرسمي في التواجد المسلح على حدود فلسطين وممارسة الكفاح المسلح ضد إسرائيل من الأراضي اللبنانية. وعلى امتداد عقد السبعينات تضامن اللبنانيون أهل الجنوب مع الثورة الفلسطينية وتحملوا الكثير من الآلام والصعوبات التي خلقتها إسرائيل لهم وللفلسطينيين في المخيمات.

وبعد احتلال إسرائيل عام ١٩٨٢ للجنوب ولأجزاء أخرى واسعة من لبنان تعاون الفلسطينيون واللبنانيون في مقاومة الغزاة. وأنكر الفلسطينيون ذاتهم وقاتلوا القوات الإسرائيلية تحت اسم "جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية"(١٩) وراياتها. وبالرغم من ذلك، فان شهوة السلطة والهيمنة أنست قادة "أمل" وكوادرها كل هذا التاريخ المشترك، وأنستهم العيش المشترك الذي إمتد على مدى أكثر من ثلاثة عقود من الزمن، كما أنستهم "الخبز والملح" الذي أكلوه هم والفلسطينيون.

بعد أربع شهور فقط من انتفاضة شباط/فبراير ١٩٨٤في بيروت، أي في مطلع تموز/يوليو ١٩٨٤ اختارت قيادة "أمل"، مخيم شاتيلا ليكون موقع التصادم الأول مع الفلسطينيين. واختيارها لهذا المخيم بالتحديد لم يكن بمحض الصدفة أو لسبب يتعلق بسلوك أبنائه ضد الشيعة أو ضد "أمل" أو ناسها، بل اتى وفقا لخطة مدروسة ومعدة سلفا هدفها الهيمنة وإنهاء الوجود الفلسطيني الفاعل في لبنان. وكان هناك ايضا اعتبارات أخرى تتعلق بموقع مخيم شاتيلا وبحجمه السكاني ونوعية السكان المحيطيين به.

فهذا المخيم يقع على الأطراف الجنوبية لحي صبرا وحي الداعوق في المنطقة الغربية من بيروت ذات الكثافة الشيعية. يحده شرقا حي فرحات ومعظم سكانه من الشيعة الذين نزحوا على امتداد سنوات طويلة من مدن الجنوب اللبناني وبلداته وقراه إما هربا من القصف الإسرائيلي وإما هربا من البطالة وطلبا للقمة العيش، ويحده من الغرب المدينة الرياضة التي بناها رئيس الجمهورية اللبنانية الأسبق كميل شمعون،

وحي عرسال، وهذا الحي حي شيعي اسمه يدل على هوية سكانه. وعرسال، قرية شيعية بقاعية فقيرة تقع في منطقة نائية على الحدود اللبنانية السورية في شمال شرق مدينة بعلبك، يعيش أهلها على تهريب البضائع بين سوريا ولبنان وتربية الماشية والزراعة البعلية. ويحد مخيم شاتيلا من الجنوب حرش من الصنوبر تمتزج فيه أكواخ ومنازل بسيطة يقطنها عمال سوريون وغجر ولبنانيين فقراء قدموا من كل المناطق اللبنانية. عدد سكان المخيم تراوح ما بين ٨ و ١٥ ألف نسمة وفقا للظروف الأمنية. وقبل حرب ١٩٨٢، زاد عدد سكان مخيم شاتيلا عن ١٥ ألف، وازدهرت أوضاع هذا المخيم العمرانية والاقتصادية بسبب قربه من المدينة ومن الأحياء التي كانت تتمركز فيها قيادة منظمة التحرير الفلسطينية وفصائلها المتعددة وأجهزتها.

وخلال حصار بيروت، من القوات الإسرائيلية في العام ١٩٨٢، كان المخيم هدفا مباشرا لقصف المدفعية الإسرائيلية الثقيلة وغارات الطيران باعتباره رمزا للثورة الفلسطينية وأحد مواقعها القتالية الأساسية. وبعد انسحاب إسرائيل من بيروت، وبعد المجزرة الرهيبة التي تعرض لها، لم المخيم جراحه ورمم مبانيه المهدمة والمهشمة، وتجمع فيه ما يقارب سبعة آلاف نسمة من الفقراء وذوي الشهداء.

في ٢ تموز/يوليو ١٩٨٤ افتعل احد عناصر "أمل" حادثة فردية مع أحد أبناء عائلات المخيم، استفزت واستنفرت شباب المخيم من كل التنظيمات. وردت قيادة "أمل" على الاستنفار بحشد مجموعات كبيرة من مقاتليها في محيط المخيم وإطلاق نيران غزيرة على بيوته وشوارعه تسببت في سقوط شهيدين من أبنائه واعتقلت ما يزيد على عشره شبان، وأحرقت سبعة منازل منها ثلاثة نوادي لمنظمات شبابية فلسطينية. وبسبب هذا الحادث تعكرت علاقة المخيم مع جواره من الشيعة الذين تعايش معهم سنوات طويلة.

وبالرغم من حذر سكان المخيم وضبطهم لأنفسهم ورفضهم الانجرار إلى رد فعل منفعل يزيد الأمر تدهورا وتعقيدا، فإن حواجز "أمل" المحيطة بالمخيم تابعت استفزازها لأهله. ولم يطل الأمر كثيرا حتى تكررت العملية "الفردية" الاستفزازية وكانت هذه المرة ضد مخيم برج البراجنة. وشنت قوات "أمل" يوم ١٢/١٠/١٩٨٤ دون سبب، عملية واسعة نسبيا ضد المخيم، استخدمت فيها للمرة الأولى المدافع الصاروخية وقذائف الهاون والرشاشات الثقيلة، ودامت الاشتباكات بين شباب المخيم وعناصر "أمل" أكثر من ٢٤ ساعة. وكانت خسائر المخيم البشرية مفجعة حيث سقط ١٣ شهيدا و٢٥ جريحا.

وكان لهذه العملية أهمية خاصة لانها ترافقت مع حملة واسعة مضللة من الأجهزة الرسمية والخاصة التي تشرف عليها "أمل": الإذاعة الرسمية، القناة التلفزيونية رقم "٧" - إضافة لبعض الصحف الأساسية ومنها جريدة "السفير" وجريدة "الحقيقة" لصاحبها النائب زاهر الخطيب، ومجلة "أمل".

وقد تركزت الحملة على تصوير ما جرى على انه اشتباكات فلسطينية داخلية بين أنصار ياسر عرفات وخصومه مما أثار هواجس وقلق سكان المخيمات من استغلال "أمل" لواقع الساحة الفلسطينية المنقسم سياسيا[٢٠] وتمرير مشروع اعتدائها على المخيمات. وترافقت هذه الاستفزازات والتحرشات والاشتباكات مع ارتفاع وتيرة التحريض ضد قيادة م. ت. ف. وتعبئة قوية ضد الوجود الفلسطيني تحت شعار لا لوجود العرفاتيين المستسلم في مخيمات لبنان، ولا لعودة الأوضاع في لبنان إلى الحالة التي كانت قائمة قبل الغزو الإسرائيلي في عام ١٩٨٢، ولا للأمن الذاتي الفلسطيني في المخيمات[٢١]. وساهمت القوى الفلسطينية المنشقة، خصوصا جماعة فتح الانتفاضة بقيادة أبو موسى، في عملية التحريض ضد العرفاتيين[٢٢].

انفجار الحرب وبروز دور اللواء السادس في العدوان

وسط مناخ فلسطيني مصدوم ومفجوع بما قامت به "أمل" وبما تعبئ به في أوساط الطائفة الشيعية خصوصا وفي المناطق الوطنية عموما، ضد الشعب الفلسطيني وثورته، بدأت "أمل" حربها الأولى الواسعة ضد الفلسطينيين. وخيبة الأمل والصدمة والفجيعة الفلسطينية كانت بسبب نكران قيادة "أمل" الجميل ونسيان معروف الفلسطينيين. اغفلت "أمل" بشكل واع ومتعمد صنوف الدعم المادي والتسليحي الفلسطيني، والتضحيات الفلسطينية الكبيرة التي قدمت من اجل تحرير بيروت الغربية والضاحية الجنوبية وصيدا وشرقها..الخ شطبت هذه كلها من الذاكرة ومن التاريخ عند "أمل".

وكالعادة بدأت المعركة بحادث "فردي" يوم ١٩٨٥/٥/١٦ واستمرت حتى ١٧/ ١٩٨٥/٦، وعرفت بحرب رمضان وكانت فاصلة في تكريس الصراع الدامي بين الطرفين. بسبب ذاك الحادث الفردي المفتعل، اندلعت الإشتباكات في أطراف مخيمات شاتيلا وصبرا والداعوق. وشنت قوات "أمل" حملة مطاردة واسعة للمهجرين الفلسطينيين في أحياء بيروت الغربية. واستبسل أبناء المخيمات في الدفاع عن النفس ودحروا المهاجمين وأجبروهم على قبول وقف إطلاق النار عقب يوم قتال عنيف. واتفق الطرفان على تموضع قوات نظامية من اللواء السادس عند أطراف المخيم بوصفها قوة فصل بين الطرفين. وبالكاد أنهى اللواء السادس نشر وتمركز قواته حتى بدأت بدون سبب أو ذريعة قصفا عشوائيا ومركزا على المخيمات دون تمييز. وترافق القصف مع قيام حواجز "أمل" بحملة اعتقالات واسعة للشبان الفلسطينيين في أحياء بيروت وعلى طرقات الجبل الجنوب والبقاع.

تواصلت الاشتباكات واستخدم اللواء السادس كافة أسلحته الثقيلة وتركزت عملياته وبالتعاون مع مليشيا "أمل" على مخيم الداعوق الواقع بين حي صبرا ومخيم شاتيلا

الذي لا تتجاوز مساحته مساحة ملعب كرة قدم. وتواصلت المعارك ثلاثة عشر يوما. وبالرغم من صرخات الاستغاثة والاستنجاد التي أطلقها أهالي المخيم للسوريين والقوى الوطنية والإسلامية للتدخل، إلا أن ذلك كله لم يجد آذانا صاغية من أحد.

وبعد قتال دام وسقوط العديد من الشهداء من الشيوخ والنساء والأطفال والمقاتلين تشرد أهالي مخيم الداعوق البالغ عددهم ثلاثة آلاف نسمة. وبعد تدميره تدميرا تاما سقط المخيم بيد قوات "أمل" وقوات اللواء السادس ونكلت أبشع تنكيل بكل من خرج حيا من بين الأنقاض[٢٣]. وأعتقل من نجا من الموت وتم قتل بعض الجرحى، وسويت أرض المخيم بالجرافات لمسحه من الوجود، ومسح آثار الجريمة التي ارتكبت بحق أهله الأبرياء دون ذنب اقترفوه سوى انهم فلسطينيون فرض القدر عليهم الإقامة في هذا المخيم. ولم ينجو مخيم شاتيلا هو الآخر من الخسائر والدمار.

صحيح أن قوات "أمل" واللواء السادس لم تحاول اقتحام هذا المخيم، إلا أن القصف المدفعي من مختلف العيارات طال ٤٠٪ من مبانيه ودمر ما يزيد على ٤٢٥ منزلا تدميرا شبه كامل. أما الخسائر البشرية فبلغت بين شاتيلا وشوارع بيروت الغربية، حيث طورد الشبان الفلسطينيون، ٢١٠ شهداء و٦٢٠ جريحا و٤٠٠ مفقود ومعتقل لم يعرف لاحقا مصير معظمهم.

في حينه، وبسبب من حالة الانشقاق التي كانت تعيشها "فتح" داخل المخيمات، وغياب قادتها الأساسيين، قامت قيادة الجبهة الديمقراطية في لبنان بمسؤوليتها الوطنية الميدانية بكفاءة. صحيح أن قيادة الجبهة ترددت في تحميل القيادة السورية وقواتها المسؤولية المباشرة عن القتل والدمار الذي حصل في المخيمات وأهلها، إلا أنها بادرت إلى تحميل قيادة "أمل" وقيادة اللواء السادس المسؤولية الكاملة عن ذلك، وغمزت في مواقفها وتصريحاتها العلنية من موقف سوريا باعتبارها المشجعة والمحركة والداعمة لحركة "أمل" ومخططها الهادف إلى تدمير الوجود المدني الفلسطيني في بيروت وضواحيها[٢٤]. واستخدمت قيادة الجبهة الديمقراطية في التدليل على ذلك عبارة "حركة "أمل" ومن يدعمها ويقف ورائها".

أما قيادة "فتح" المحلية في لبنان وقيادتها المركزية الموجودة في تونس فقد حمّلتا سوريا وعملائها في قيادة "أمل" والمنشقين عن "فتح" المسئولية عن كل ذلك علنا وبوضوح. ونجحت قيادة "فتح" المحلية وبالتنسيق مع تنظيم الجبهة الديمقراطية في توحيد موقف كل أبناء مخيمات الداعوق وصبرا وشاتيلا تحت شعار وحدة المدافعين عن المخيم بغض النظر عن انتماءاتهم التنظيمية وخلافاتهم السياسية. وفتحت الجبهة الديمقراطية مستودعاتها لكل المقاتلين وجميع الشبان القادرين على حمل السلاح والراغبين في الإنهماك في حمله دفاعا عن النفس وعن المخيم. وبفعل دورها الميداني حظي تنظيم الجبهة الديمقراطية في لبنان باحترام وتقدير أبناء المخيمات في لبنان

والقوى والشخصيات الوطنية اللبنانية المتضررة من طغيان دور "أمل" والمتخوفه من تطلعاتها ومطامعها. وبالمقدار ذاته، حظيت قيادة الجبهة في لبنان على العداء من قبل قيادة وكوادر "أمل" وحلفائها من اللبنانيين والفلسطينيين، خصوصا بعض فصائل جبهة الإنقاذ الفلسطينية، المناوئة لقيادة منظمة التحرير، والأحزاب اللبنانية وثيقة الصلة بسوريا بما في ذلك الحزب الشيوعي. وقد حمل هؤلاء ياسرعرفات والعرفاتيين مسؤولية القتال الذي وقع.

لم يرق دور للجبهة الديمقراطية هذا للقيادة السورية . وتعكرت علاقتها مع قيادتها المقيمة في دمشق، ورفعت من وتيرة ضغطها على الجبهة في سوريا وفي لبنان. وقلصت سوريا التسهيلات الإدارية التي كانت تقدمها للجبهة الديمقراطية وأوقفت في هذا السياق حركة باص المقاتلين الذين يتنقلون بين سوريا ولبنان، وجمدت رخص الحركة لعدد من سيارات قادة الجبهة وألغت أذونات السفر الممنوحة من قبل سوريا للقيادة والمقاتلين من سوريا الى لبنان وبالعكس. وأوعزت الإستخبارات السورية لقيادة "أمل" بإطالة أمد اعتقال صالح زيدان عضو اللجنة المركزية للجبهة الذي قاد معارك الدفاع عن مخيم الداعوق ونجا من الموت باعجوبة ووقع أسيرا بيد قوات "أمل" واللواء السادس. واستخدمت المخابرات السورية أكثر من طرف سوري ولبناني وفلسطيني في الضغط والابتزاز. وكان هدفها من كل ذلك ثني الجبهة عن القيام بدورها في الدفاع عن المخيمات والضغط عليها للالتحاق بجبهة الانقاذ الفلسطينية التي تشكلت من الجبهة الشعبية بزعامة جورج حبش، وطلائع حرب التحرير الشعبية "الصاعقة"، والجبهة الشعبية القيادة العامة بزعامة أحمد جبريل، وجبهة النضال الشعبي، والمنشقين عن "فتح" الذين حملوا اسم "فتح"- الإنتفاضة، وشخصيات فلسطينية مستقلة على رأسها خالد الفاهوم رئيس المجلس الوطني الفلسطيني.

وفي حينه تحفظ بعض أعضاء المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية وعدد محدود من قادة الجبهة في لبنان على تصدر الجبهة وقواتها العسكرية المعركة وتقديم الدعم المعنوي والسياسي والتسليحي لمنظمة "فتح" وقواتها في لبنان. لكن، بالرغم من الاعتراض والتحفظ صمدت قيادة الجبهة، ومرت الضغوط السورية وضغوط "أمل" في لبنان بسلام دون أن تترك آثارا واسعة على سياسة الجبهة ومواقفها ولم تؤثر في علاقاتها وأوضاعها الداخلية. وفي سياق الحفاظ على التوازن الداخلي في الجبهة الديمقراطية تم تثبيت خط عمل تكتيتيكي يقوم على مراعاة المصالح الخاصة بالجبهة، والحرص على عدم بروز دورها التصادمي مع "أمل" في وسائل الإعلام. وجرت مبالغات في التشديد على الانضباط الذاتي لكوادر الجبهة والانتباه لدور عناصر وكوادر "فتح" التي التحقت ببعض مواقع ومراكز الجبهة في لبنان(٢٥)، ومنعت هذه العناصر من القيام بأي أعمال تورط الجبهة في صراع مباشر مع السوريين ومع "أمل".

هجوم واسع على مخيم برج البراجنة

بالرغم من اتفاقات وقف إطلاق النار المتعددة بين "أمل" والقوى الفلسطينية، وتكرار دعوات عودة الأمور إلى طبيعتها، إلا أن حالة التوتر الشديد بين الطرفين بقيت قائمة، لاسيما أن "أمل" التي لم تستطع تجريد بقية مخيمات بيروت والجنوب من أسلحتها واستمرت تحاصرها، وشددت على منع دخول مواد الاعمار إليها ولم تطلق سراح المعتقلين الفلسطينيين والمفقودون وظل مصيرهم مجهول.

بتاريخ ١٩٨٥/٩/٤ صباحاً فوجئ أهالي مخيم برج البراجنة بنيران غزيرة تطلق باتجاه مخيمهم وبمحاولات اقتحام بعض المواقع الدفاعية، وتواصلت الهجمات دون مقدمات أو مبرر ملموس. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فقامت قوات "أمل" صبيحة اليوم ذاته بتطويق المباني التي يقطنها الفلسطينيون منذ سنوات طويلة في حارة حريك أحد ضواحي بيروت، وانزلت الرجال من بيوتهم إلى الشارع، وتم قتل ٣٠ رجلا بدم بارد أمام أعين السكان. وواصلت قوات "أمل" قصف مخيم برج البراجنة بالرشاشات الثقيلة ومدافع الهاون. وجرت عدة محاولات لاقتحامه ودامت الاشتباكات في محيطه عشرة أيام كاملة سقط خلالها ٢٠ شهيدا و٨٥ جريحا من أبناء المخيم إضافة للثلاثين الذين أعدموا في حارة حريك[٢٦].

بالاستناد للعشرة الطويلة التي جمعتهم بأبناء الطائفة الشيعية لم يصدق أهالي مخيم برج البراجنة، هم البالغ عددهم ٢٥ ألف في حالة السلم، ما فعلته "أمل" ضد مخيمهم وضد الفلسطينيين المقيمين في حارة حريك. فالمخيم جزء لا يتجزأ من الضاحية الجنوبية وبعض بيوته متداخلة مع بيوت الشيعة في الأحياء المجاورة للمخيم. وبحكم جيرة ٣٧ عاما، تزاوجوا مع بعضهم البعض ولم تتأثر علاقاتهم بالمذهبية. وبالرغم من تغلغل الطائفية والمذهبية في أعماق المجتمع اللبناني، فأنها لم تغزوا المخيم ولم تؤثر في علاقته مع جواره.

الأغلبية الساحقة من سكان هذا المخيم هجّرت من ديارها في شمال فلسطين خلال عام ١٩٤٧-١٩٤٨. ومع الزمن، نشأت صداقات حميمة بين العديد من العائلات الفلسطينية والعائلات الشيعية. وفي سنوات الحرب الأهلية لعب أبناء المخيم دورا أساسيا في الدفاع عن مناطق تواجد الطائفة الشيعية، خصوصا ضاحية بيروت الجنوبية وكانوا يعتبرن ذلك دفاعا عن النفس. وقبل انتفاضة شباط/فبراير ١٩٨٤ ساهم شباب المخيم في الدفاع عن أهالي الضاحية وسكان حي الشياح، والكل يشهد لبطولاتهم في معارك الشياح وكنيسة مار ميخائيل الشهيرة ضد الكتائب وحلفائهم. المفاجئون من أبناء المخيم كانوا في غالبيتهم من كبار السن، وهم الذين ضغطوا على شباب المخيم ومنعوهم من مآزرة إخوانهم في مخيم شاتيلا عندما تعرض للقصف والحصار والدمار على ايدي قوات "أمل"، وكانت حجتهم أن ما حصل في شاتيلا خطأ يمكن تصحيحة، ولم يعفوا شباب شاتيلا عن مسؤولية الانجرار وراء استفزازات كوادر "أمل" الحاقدة.

بعد مجزرة حارة حريك واشتباكات ١٩٨٥/٩/٤ اقتنع شباب مخيم برج البراجنة بأن ما جري ضد مخيمهم ليس سوى مقدمة لعاصفة قويه هدفها اقتلاع الوجود الفلسطيني من بيروت ومنطقة صور وليس فقط تدمير مخيمي شاتيلا والداعوق وتهجير سكانهما. ورأى هؤلاء ان ما تقوم به "أمل" يحظى بمباركة اسرائيلية وامريكية مقرونة بصمت عربي وسوفييتي. وبينت مجريات الصراع وما رافقها من مواقف ان ما تقوم به "أمل" له علاقة مباشرة بالصراع الجاري بين قيادة م ت ف والقيادة السورية حول استقلالية القرار الفلسطيني. كما بينت أن اندفاع قيادة م ت ف بعد حرب ١٩٨٢ نحو تطوير علاقتها مع مصر، وتوصلها مع الحكومة الأردنية إلى "اتفاق عمان" ١٩٨٥/٢/١١[٢٧] حول صيغة العمل والتحرك المشترك، له علاقة بالذي يجري ضد الوجود الفلسطيني في لبنان. وبدأ شباب المخيم بتحضير أنفسهم على قاعدة أن الاشتباكات سوف تتجدد وتوقفها ليس سوى هدنة مؤقته هدفها تجميع القوى وامتصاص ردود الأفعال المحلية والعربية والدولية على الجرائم التي ترتكبها قوات "أمل" في كل اشتباك.

بعد أيام قليلة أكدت الأحداث صحة هذه التقديرات. وبالرغم من النداءات والمذكرات التي وجهت من أهالي المخيمات ومن الفصائل الفلسطينية إلى الأحزاب والقوى والشخصيات ورجال الدين في لبنان، إلا أن جحيم نيران المدافع والرشاشات الثقيلة إنفتح من جديد يوم ١٩٨٥/١٠/٧ على بقايا مخيم شاتيلا. ودام القصف المركز مدة سبعة أيام تخللها محاولات اقتحامات متكررة سقط خلالها مزيدا من القتلى والجرحى ودمر مباني إضافية.

وقبل أن يتمكن أبناء المخيمات من لملمة أوضاعهم بادرت "أمل" يوم ١٩٨٥/١٢/١٩ إلى شن أوسع حملة اعتقالات ضد الشباب الفلسطيني في مخيمات البص والبرج الشمالي والرشيدية الواقعة بجوار مدينة صور في الجنوب. أودع المعتقلون في سجون متعددة وتعرضوا لأبشع أنواع التعذيب تسببت في استشهاد بعضهم. وفي ١٩٨٦/٣/٢٨ فتحت "أمل" نيرانها مجددا ضد بقايا مخيم شاتيلا وحاولت اقتحامه عدة مرات، إلا أن بسالة المدافعين عن المخيم لم تمكنهم من تحقيق هدفهم. واستمرت الاشتباكات حتى يوم ١٩٨٦/٤/١٧، سقط خلالها ٢٤ شهيدا و٧٥ جريحا من أبناء المخيم.

كل هذه الاشتباكات جرت والساحة الفلسطينية منقسمة على ذاتها بين جبهة إنقاذ وطني وبين م ت ف التي تكرست شرعيتها من جديد في دورة المجلس الوطني الفلسطيني السابعة عشر التي انعقدت في عمان بين ٢٢ و١٩٨٤/١١/٢٩ وقاطعتها الجبهتين الديمقراطية والشعبية وجميع أطراف جبهة الإنقاذ الفلسطينية الموالية لسوريا.

ومن الحق أن يقال أن الانقسام والخلاف الفلسطيني قد لعبا دورا في زيادة معاناة أبناء المخيمات؛ فالحروب التي تعرضت لها جرى تغطيتها تحت مظلة محاربة العرفاتيين في

المخيمات وانهاء وجودهم فيها. صحيح أن عناصر الجبهة الشعبية وكوادرها وبعض عناصر جبهة الإنقاذ وكوادرها ساهموا في الدفاع عن المخيمات وشاركوا في التصدي لهجمات "أمل"، لكن الصحيح أيضا أن هذا الإسهام كثيرا ما تم بمبادرات فردية محلية، ولم يسند بمواقف سياسية رسمية من اي من قيادتي الجبهتين. وقد تسبب الخلاف الفلسطيني الداخلي في تبديد جهود وطاقات قتالية الفلسطينية كبيرة ووفر قسما من الغطاء السياسي والشعبي لحروب "أمل" والدمار الذي لحق بالمخيمات.

في معارك الدفاع عن المخيمات أبرز ناسها قدرة خارقة على التحمل يصعب وصفها وعلى العيش في ظروف لا يتصورها إنسان. وأظهر المقاتلون الفلسطينيون بجانب البسالة مهارة قتالية عالية، وسجلوا تفان منقطع النظير وبطولات نادرة دفن معظمها مع أبطالها الشهداء. عام كامل من العيش في ظل الحصار وتحت القصف وبين ركام الدمار، تحملت فيه المرأة الفلسطينية ابنة المخيم ما لم تتحمله امرأة في العالم. تحملت الهبوط بعيشها من مستوى حياة أواخر القرن العشرين إلى مستوى القرون الوسطى. ولم يتوقف الأمر عند هذا الجانب، بل قدمت نساء المخيم عشرات الشهيدات اللواتي سقطن في القصف على منازلهن وفي خطوط التماس وهن يدافعن عن بيوتهن ويسعفن أزواجهن وأولادهن. وفي "ممرات الموت"[٢٨]، كانت المرأة تعبر مجازفة بحياتها من شاتيلا والبرج باتجاه الأحياء المجاورة لإحضار حليب الأطفال وما تيسر من مواد تموينية أخرى، لان الرجال صاروا هدفا للقتل والاعتقال المحققين بين جولات المعارك المتلاحقة وخلال فترات الهدنة المتقطعة. وعلى هذه المرات، كان قناصة "امل" يتسلون بتصيد النساء بطلقات بنادقهم؛ كانوا يسمحون لهن بالمرور من ممرات إجبارية ثم يتبارون في دقة الإصابة بالمسدسات والرشاشات. كان القتل يتم على المزاج، وكانت المرأة الفلسطينية هي الضحية وهي الهدف، ذنبها انها فلسطينية ومرغمة على الخروج من المخيم لتحضر ما يقيم أود الأطفال بعد ان جفف الخوف وسوء التغذية حليب النساء.

مشروع قيادة "أمل" أقلق القوى والاحزاب الوطنية

حركت حروب "أمل" ضد المخيمات الفلسطينية مشاعر الوطنيين اللبنانيين، واستفزت معظم الأحزاب، وأثارت تخوفات العديد منها، خصوصا الحزب التقدمي الاشتراكي وحزب الله والحزب الشيوعي اللبناني والتنظيم الناصري. أما منظمة العمل الشيوعي فكانت قيادتها وكوادرها شبه مستهدفه مثلها مثل الفصائل الفلسطينية بسبب موقفها التضامني الواضح والصريح مع أبناء المخيمات. وشعرت هذه القوى بأن انتصار "أمل" على الفلسطينيين في المخيمات يعني هيمنة قواتها وسيطرتها سيطرة كاملة على المناطق الوطنية، وقد تندفع باتجاه توجيه ضربات للقوى الوطنية، لاسيما وان قيادة "أمل" نجحت في تهييج المشاعر الشيعية والعصبوية التنظيمية ضد الطوائف

والأحزاب اللبنانية الأخرى دون تمييز. وراحت كوادرها وعناصرها تتصرف بعنجهية مع كل الوطنيين اللبنانيين بما في ذلك الاعتداء عليهم واعتقال بعضهم. وصار وصول كوادر الأحزاب والتنظيمات اللبنانية من غير "أمل" إلى مدينة صور والنبطية وقرى الجنوب اللبناني بحاجة إلى تصريح خاص خاضع لمزاج حواجز "أمل" على الطريق. وقد عمد الحزب التقدمي الاشتراكي إلى الإفصاح عن موقفه وأعلن معارضته بشدة تصفية المخيمات الفلسطينية وضرب الوجود الفلسطيني في لبنان.

ولم يتوقف الحزب التقدمي عند هذا الحد، واندفع بدون أي تحفظات إلى تقديم المساعدة اللوجستية للمدافعين عن المخيمات. وكثفت قيادات الحزب الوسطى والأساسية لقاءاتها المباشرة مع قيادتي "فتح" والجبهة الديمقراطية في لبنان، وأعطت تعليمات واضحة إلى عدد من كوادرها الأولى في بيروت ومنطقة عرمون والشويفات وضمنهم هشام ناصر الدين وأبو إياد، وأبو الشهيد بحماية قادة فتح والمساعدة في إخفائهم وتأمين تنقلاتهم. وكلفوا بالتنسيق مع قيادة "فتح" وقيادة الجبهة الديمقراطية في بيروت وتقديم كل المعلومات المتوفرة عند الحزب عن نوايا قوات "أمل" واللواء السادس ومخططاتهما وحركة حشودهما. وبناء على هذه التوجهات تولى قادة في الحزب التقدمي في بيروت تأمين عدد من المنازل السرية لقيادات "فتح"، وكثيرا ما أخفى كوادر الحزب في مراكزهم بعض قادة "فتح" المطاردين من القوات السورية ومنشقي "فتح"-الإنتفاضة و"أمل". وقامت كوادر في الحزب بنقل العديد من كوادر "فتح" من الجبل وبيروت إلى صيدا وبالعكس. وسربوا عددا من هويات الحزب والعديد من أوراق مهمات التحرك للعديد من كوادر "فتح" وبعض كوادر الجبهة الديمقراطية. كما لم يبخل الحزب أيضا في وضع آلياته تحت تصرف هؤلاء لنقل ما يلزم من أسلحة وذخائر وأفراد. ولئن فعل بعضهم هذا لاغراض المنفعة الشخصية، فإن الغالبية تصرفت من منطلقات صداقة وعلاقة ومواقف سياسية وفكرية وتنظيمية تتعلق بالصراع في الحركة اللبنانية.

وساهم كوادر الحزب التقدمي في استقبال العديد من مقاتلي "فتح" والجبهة الديمقراطية الذين عبروا الحدود السورية مشيا على الأقدام إلى لبنان. وصرف الحزب في بعض الأحيان كميات من الأسلحة والذخائر من مستودعاته. واوعز للعديد من تجار الأسلحة من الدروز مساعدة حركة "فتح" في شراء الأسلحة والذخائر. وسهل كوادر الحزب عمل المدفعية الفلسطينية وراجماتها لتقديم الدعم والإسناد من الجبل للمخيمات المحاصرة. وفي أحيان كثيرة ساهم ضباط مدفعية الحزب بصورة سرية في ضرب مواقع قوات "أمل" واللواء السادس اثناء هجومها على المخيمات. وكثيرا ما تم الاتفاق مع بعض القادة المحليين على التمويه على مواقف الحزب من خلال الاعتقال الصوري والمؤقت لبعض أطقم المدفعية والراجمات الفلسطينية. وكثيرا ما احتجز كوادر في الحزب راجمات الجبهة الديمقراطية بهدف تذخيرها لتمكينها من قصف مواقع "أمل" في محيط المخيمات.

ومع تصاعد عمليات "أمل" ضد المخيمات نقل جنبلاط وقادة الحزب الآخرون تضامنهم مع المخيمات الفلسطينية إلى مستوى عملي وسياسي أعلى: حرضوا الأحزاب والشخصيات الوطنية ضد ما تقوم به "أمل"، وشجعوا التنظيم الشعبي الناصري في صيدا بقيادة مصطفى سعد على اتخاذ موقف علني ضد مواقف "أمل" وممارساتها وضد تحويل الجنوب إلى كانتون شيعي. وقد حرض جنبلاط مشايخ الطائفة الدرزية وقيادتها الروحية ضد ممارسات "أمل" ودفعهم إلى إصدار مواقف وبيانات علنية أكدوا فيها رفضهم تصفية الوجود الفلسطيني في لبنان. وأعرب شيوخ الطائفة الدرزية عن تضامنهم مع أهالي المخيمات. ومارست قيادة الحزب ضغوطا كبيرة على العديد من ضباط الجيش اللبناني في محاولة لردع اللوائين السادس والأول عن تنفيذ أوامر "أمل" ومنعهما من التورط في الدم الفلسطيني.

وظل زعيم الحزب وليد جنبلاط يكرر مقولته المعهودة: "القضية الفلسطينية أكبر من لبنان بكل طوائفه، وهي قضية دولية وعربية ولا تحل بتدمير عدد من المخيمات أو ذبح بضعة ألوف من سكانها. الدم الفلسطيني يحرق أصابع كل من يلعب بالقضية ولا يزول عن الأيادي التي تتلطخ به. وما أكثر ما اطاحت القضية الفلسطينية بعروش عربية..". بإختصار تحول الحزب التقدمي الاشتراكي إلى ما يشبه الشريك الكامل للفلسطينيين في معركة الدفاع عن المخيمات، وتوترت علاقة قيادته بسوريا وقيادة "أمل".

وكما أثارت جرائم "أمل" ضد المخيمات مشاعر الوطنيين والإسلاميين اللبنانيين، حركت مشاعر الشارع العربي والرأي العام العالمي. وعبر العديد من الأحزاب والقوى العربية عن استنكارها لما يجري ضد المخيمات الفلسطينية، وأدان العديد من الأحزاب الأوروبية ولجان الدفاع عن حقوق الإنسان ممارسات "أمل" ودعتها إلى التوقف فورا عن مهاجمة المخيمات الفلسطينية وفك الحصار عنها، وطالبتها بإطلاق سراح المعتقلين الفلسطينيين والكشف عن مصير المفقودين. وبالرغم من ذلك كله، لم توقف "أمل" هجماتها ولم تتراجع عن مشروعها المدعوم من سوريا. وبعد إشتباكات نيسان/ ابريل بشهر واحد وقعت اشتباكات اشد واعنف كانت أقسى على سكان المخيمات من سابقاتها أضعافا مضاعفة.

بتاريخ ١٩٨٦/٣/٣٠رفع شباب مخيمات الجنوب الأعلام الفلسطينية في ذكرى يوم الأرض في مخيم الرشيدية، غير آبهين بمواقف "أمل" العدوانية ضد الوطنية الفلسطينية. وردا على ذلك فرضت "أمل" حصارا شبه كامل على مخيمات الجنوب، واعتقلت حواجزها ١٢ شابا من أبنائها وأهانت العديد من نسائها وشيوخها. وداهمت "امل" مخيمات البص والبرج الشمالي والمعشوق والشبريحا. واستنفر شباب مخيم الرشيدية هممهم واخرجوا أسلحتهم من مخابئها، وأغلقوا مخيمهم في وجه دوريات "أمل" ومنعوها من دخول المخيم وإرهاب الناس. وتوترت علاقة قيادة "أمل" المحلية مع أهالي مخيم الرشيدية. واعتبرت قيادة "أمل" في الجنوب تصرف شباب المخيم بمثابة

تحدي لها، وشددت الحصار على حركة الأفراد والتموين الطازج من والى المخيم، وطالبت أهل المخيم تسليم أسلحتهم وفتح أبواب مخيمهم أمام دورياتها الأمنية والعسكرية.

رفض شباب المخيم الطلب وصعدت "أمل" إجراءات الحصار وضيقت حركة النساء، ومنعت دخول التموين الجاف للمخيم، وعرقلت دخول شاحنات وكالة الغوث، الأونروا، ولم تسمح إلا بدخول كمية من التموين الطازج تكفي ليوم واحد فقط. ومنعت العمال الزراعيين من العمل في المزارع والبساتين المحيطة بالمخيم. وأشاعت أنها على وشك اقتحام المخيم، ووسعت دائرة الاعتقالات مما أدى إلى توقف الشباب عن التحرك خارج المخيم. وبدأ بعض العائلات بالرحيل عن مخيمات الجنوب عبر الطرق الزراعية إلى منطقة صيدا والشريط الساحلي الواقع بين صيدا وبيروت وبعض قرى الشوف وإقليم الخروب الخاضعين لسيطرة الحزب التقدمي الاشتراكي. وأقدمت قوات "أمل" على جرف مساكن الفلسطينيين في مخيم جل البحر الصغير الواقع على مدخل مدينة صور، واعتقلت عشرات الشباب من مختلف المخيمات. وفي الفترة ذاتها واصلت "أمل" حصارها لمخيمات بيروت.

في تاريخ ١٩٨٦/٥/٢٢ شنت قوات "أمل" وقوات اللواء السادس هجمات عنيفة على مخيمي شاتيلا وبرج البراجنة تصدى لها المدافعون ببساله ومنعوها من اقتحام المخيمين وتواصلت الاشتباكات شهرين كاملين كلفت مخيم شاتيلا ٥٧ شهيدا و ٣٠٠ جريح، أما مخيم برج البراجنة فكانت خسائره البشرية ٢٩ شهيدا و ٣٥٠ جريحا.

صباح يوم ٣٠ أيلول/سبتمبر ١٩٨٦ في الساعة ١٥:٣٠ أرسلت "أمل" سيارة مسلحة برشاشات ثقيلة وراحت تطلق نيرانها الغزيرة باتجاه مخيم الرشيدية مما أدى إلى استشهاد امرأة وجرح أربعة مواطنين. بادر إثرها شباب المخيم بالرد على مصادر النيران وعلى مواقع "أمل" في محيط المخيم، واستمرت الاشتباكات ١١ يوما تخللتها اتصالات أسفرت عن اتفاق على وقف إطلاق النيران. لكن هذا الإتفاق لم يطبق ولم تلتزم "أمل" به. وتواصلت الاشتباكات الخفيفة والمتقطعة بصورة يومية حتى يوم ١٩٨٦/١٠/٥ حيث تم الإعلان في دمشق عن اتفاق على وقف إطلاق النار وقعته "أمل" وجبهة الإنقاذ الفلسطيني عرف باسم اتفاق دمشق.

موضوعيا كانت اعتداءات "أمل" على مخيمات صور واجراءاتها ضد القوى الوطنية اللبنانية بمثابة رسالة سياسية لإسرائيل هدفها القول إنها مستعدة لتطبيق عملي لمضمون الاجراءات الأمنية التي نص عليها اتفاق ١٧ أيار/مايو ١٩٨٣ بين لبنان وإسرائيل والذي الغي في ٥ آذار ١٩٨٤، وأنها مستعدة للقيام بدور امني تسيطر فيه قواتها على المخيمات الفلسطينية وتمنع قوى الثورة الفلسطينية وقوى المقاومة الوطنية اللبنانية من استخدام لبنان في العمل العسكري ضد إسرائيل، ومستعدة للحد من نمو حزب الله وتطور نفوذه في الجنوب.

هجوم على مخيم الرشيدية

في الأيام التالية على توقيع اتفاق دمشق تطورت عمليات "أمل" الحربية ضد مخيم الرشيدية بسرعة، وقامت قواتها بعدة محاولات لاقتحام المخيم وحددت "أمل" لنفسها ثلاثة أيام لانجاز المهمة، لكنها كفت عن المحاولة بعدما فشلت ومنيت بخسائر كبير، واتضح لها أن لدى المخيم قدرات عسكرية كبيرة للدفاع عن الذات. واستبدلت قيادة "أمل" خطة الاقتحام بخطة الاستنزاف والتدمير التدريجي، ورفعت وتيرة قصف المخيم بالأسلحة الثقيلة ودمرت ٢٠٠ منزل على أطراف المخيم، وتسببت في إصابة ٥٩٠ مواطنا كانت إصاباتهم متفاوتة كان بينهم نحو ١٠٠ بحالة الخطر الشديد.

وألحقت عمليات "أمل" أضرارا متفاوته بمئتي منزل وسط المخيم. وكان من ضمن ما تضرر مستوصف المخيم، وهو عبارة عن عيادة بسيطة، يعمل فيها طبيبين أحدهما حديث التخرج والثاني طبيب عام. وقد حاول الطبيبان أداء اكبر دور ممكن في ظروف بالغة الصعوبة. واعتمد الطبيبان سياسة تقنين شديدة في صرف الأدوية، وخصصا غرفتين لوضع المرضى والجرحى تحت المراقبة لريثما يتم نقلهم إلى بيوت مدنية أكثر أمنا. وبمعدات بسيطة جدا اضطر الطبيبان إلى إجراء عديد العمليات الجراحية بالرغم من عدم خبرتهما بالجراحة ونقص التجهيزات اللازمة لأجرائها. وبرز لدى السكان حالات فقر دم تسببت في وفاة طفلين. وظهرت تأزمات نفسية ناجمة عن الرعب، خصوصا لدى الأطفال. ونضبت بعض صنوف الأدوية التي يحتاجها ذوي الأمراض المزمنة، مثل مرضى القلب أو السكري. وظهرت عند العديد من النساء حالات عسر في الولادة واحتاج العديد منهن إلى عمليات قيصرية.

ومن آذار/مارس وحتى أيلول/سبتمبر ١٩٨٦ لم تكن حالة المخيمات الفلسطينية الأخرى أفضل من مخيم الرشيدية. حيث تواصلت الاعتداءات والاعتقالات وعمليات الحصار وبلغ الجوع في المخيمات مرحلة خطرة. وارتفعت نداءات الأهالي طالبة المساعدة وفك الحصار. وصح قول الشاعر: "لقد أسمعت لو ناديت حيا / ولكن لا حياة لم تنادي" على الصعيد العربي والدولي واللبناني. ولم يكن أمام أهالي المخيمات من خيار سوى الصمود والمقاومة. وصار الخروج من المخيم يعني الانضمام إلى قوافل المفقودين في سجون "أمل" أو إلى المقابر مباشرة.

في حينه، حاولت قيادة بعض الفصائل المحلية الاستنجاد بالسفارة السوفيتية إلا أنها لم تجد أذنا صاغية. وتذرع السوفييت بأنهم غير قادرين على التدخل مع السوريين و"أمل" لوقف المجازر، كما تذرعوا بأنهم يخشون من فقدان مواقعهم في سوريا بعدما فقدوها في مصر. وظهر السوفييت وكأنهم يعاقبون الشعب الفلسطيني على توقيع قيادة م. ت. ف. اتفاق عمان الذي عارضوه هم خشية أن يكون بداية تمدد كامب ديفيد المصري الإسرائيلي على الجبهتين الفلسطينية والأردنية.

ومع ارتفاع صرخات الاستغاثة من داخل المخيمات ارتفعت وتيرة المطالبة الشعبية في صيدا، وبخاصة من أبناء مخيم عين الحلوة ومخيم المية ومية والفلسطينيين والوطنيين اللبنانيين بضرورة عمل شيء ما لإنقاذ اهالي مخيم الرشيدية والمخيمات الأخرى المحاصرة. وبدأت ذات الحالة تبرز في صفوف مقاتلي مختلف فصائل الثورة المتواجدة في منطقة صيدا. وارتفعت وتيرة الضغط على قيادة حركة "فتح" وقيادة الجبهة الديمقراطية في لبنان للقيام بعمل ما يساعد على تخفيف الضغط على المخيمات المحاصرة في الجنوب ومحيط بيروت.



هوامش الفصل الأول

١ - "فيليب حبيب" أمريكي من أصل لبنان أشرف بوصفه مبعوث الرئيس الأمريكي رونالد ريغان خلال ١٣ شهرا على إتفاقين هامين في تاريخ صراع إسرائيل مع منظمة التحرير الفلسطينية. عقد الأول، في تموز/يوليو ١٩٨١، وهو الاتفاق الذي وضع حدا لما اصطلح على تسميته "حرب المدفعية" بين إسرائيل والمنظمة. والثاني، تم التوصل إليه في أب/اغسطس ١٩٨٢ إبان حرب إسرائيل على لبنان، وقد جرى التفاوض عليه في بيروت المحاصرة بوساطة رئيس الوزراء اللبناني شفيق الوزان ومدير المكتب الثاني اللبناني "المخابرات" جوني عبده، وكثيرا ما إنضم إليهما صائب سلام رئيس الوزراء اللبناني الأسبق. وبموجب هذا الاتفاق تم ترحيل قيادة وكوادر ومقاتلي منظمة التحرير عن بيروت بحرا باسلحتهم، تحت إشراف وحماية قوات متعددة الجنسية أمريكية وفرنسية وإيطالية. في حينه، لم يشارك فيليب حبيب في أي لقاء مع الطرف الفلسطيني بحجة أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تعترف بمنظمة التحرير ممثلا للشعب الفلسطيني. وقد مثل الجانب الفلسطيني في الاتصالات العميد سعد صايل "أبو الوليد" وهاني الحسن عضوي اللجنة المركزية ل"فتح"، وكان أبو الهول وأبو الزعيم يشاركان بين حين وآخر في الاجتماعات. ونال الإتفاق موافقة القيادة الفلسطينية، وتضمن وقف إطلاق نار شامل ونهائي والفصل بين المتحاربين. كما تضمن إطلاق سراح طيار إسرائيلي أسر بعد أسقاط طائرته أثناء الحرب في منطقة النبطية.

٢ - دام القتال والحصار فترة ٨٧ يوما، ظهر خلالها عجز النظام الرسمي العربي عن تقديم اي عون مهم للمواطنين اللبنانيين والفلسطينيين الذين قاوموا العدوان الاسرائيلي. وزادت الخيبة الفلسطينية بالموقف العربي عندما عجز الزعماء العرب عن عقد مؤتمر قمة. وتحدث عرفات علنا، من تحت الحصار، عن تواطؤ بعض الدول العربية ضد منظمة التحرير، قاصدا سوريا ولبنان.

٣ - راجع نص إتفاقات كامب في: الوثائق الفلسطينية العربية - إصدار مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت - عام ١٩٧٩ .

٤ - الانعزالية: مصطلح أطلقته الأحزاب والقوى الوطنية اللبنانية بزعامة كمال جنبلاط على حزب الكتائب اليميني الذي كان يتزعمه بيار الجميل، والقوات اللبنانية بزعامة سمير جعجع وبقية القوى المسيحية التي شكلت مع جزء رئيسي من الجيش اللبناني جبهة موحدة ابان فترة الحرب الأهلية في لبنان.

٥- إبان رحيل قيادة منظمة التحرير وكوادرها عن بيروت، ساد شعور قوي في صفوف أبناء المخيمات الفلسطينية في لبنان بأن وزير الدفاع الاسرائيلي شارون والقوات الانعزالية سوف يرتكبون مجازر ضد المدنيين الفلسطينيين. وبعد أيام اتضحت دقة التقدير، وتبين ان مشاعر الناس العاديين كانت اقرب إلى الواقع من تقدير القيادة.

٦- قبل خروج قوات الثورة من بيروت، بايام قليلة، حاول مجهولون اغتيال على عبد الخالق "أبو نبيل" عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي، مسؤول تنسيق علاقة الحزب مع قيادة م. ت. ف. وقيادة الحركة الوطنية اللبنانية، ومتابعة اوضاع مئآت من كوادر الحزب الذين انخرطوا في صفوف الجبهة الديمقراطية وفصائل الثورة الاخرى. في حينه، وجهت التهمة للمخابرات العراقية ونجا أبو نبيل بأعجوبة حيث اخترقت رصاصة القاتل فمه من الخدين دون ان تمس الاعصاب واجزاء الفم الداخلية. وقبل مغادرتي بيروت، تحركت إلى مستشفى الجامعة الأمريكية ونقلته إلى ظهر السفينة. وخلال مشوار الوصول إلى المستشفى ومنه إلى السفينة، لمست طبيعة خطر الإنسحاب المحدق بالفلسطينيين والوطنيين اللبنانيين.

٧ـ كان العميد سعد صايل "أبو الوليد" قائدا لاحد ألوية الجيش الاردني وهو يحمل، بعد، رتبة عقيد، ارتبط بعلاقة خاصة مع قيادة "فتح"، من بداية الثورة، والتحق مع معظم ضباط لوائه بالثورة الفلسطينية بداية أحداث ايلول/سبتمبر عام ١٩٧٠ في عمان. غادر الأردن إلى سوريا مع خروج القوات الفلسطينية، وشكل لواء اليرموك الذي ضم لصفوفه الضباط والجنود الذين تركوا الجيش الاردني والتحقوا بالثورة. حظي باحترام وتقدير جميع القيادات السياسية والعسكرية الفلسطينية. ولعب دورا حاسما في إعادة تنظيم القوات الفلسطينية خصوصا قوات "فتح"، وأدخل نظام الرتب والتشكيلات العسكرية النظامية في بنية قوات الثورة. إمتاز بمواقفه الوحدوية، وانتخب عضوا في اللجنة المركزية ل "فتح"، وتولى مهمة مدير غرفة العمليات المركزية للثورة، وكان دوره مركزيا في صمود الثورة في بيروت في حرب ١٩٨٢. وبعد الرحيل من بيروت جعل ابو الوليد من مدينة دمشق مقرا له. وقاوم حركة المنشقين عن "فتح" بحزم. وفي إحدى جولاته الميدانية على مواقع القوات في البقاع الخاضعة لسيطرة مطلقة للقوات السورية، اطلقت عليه النيران يوم ٢٩ ايلول/سبتمبر ١٩٨٢ من كمين أعد بإحكام، واستشهد ودفن في مقبرة الشهداء قرب مخيم اليرموك في دمشق.

٨ ـ تقع مقبرة الشهداء في حي قصقص في بيروت الغربية. فيها دفن الحاج امين الحسيني وعدد كبير من الكوادر والمقاتلين الفلسطينيين. وفي مرحلة سيطرة م ت ف على الوضع في المناطق الوطنية، اعتادت القيادة الفلسطينية على زيارتها في المناسبات الوطنية واقامة مراسم احتفالية رسمية.

٩ ـ كان أبو الوليد سعد صايل مؤمنا ولم يكن متزمتا، لم يكن يعترض على تناول أعضاء الوفود مثلا المشروبات الروحية. وفي رحلة مشتركة إلى بلغاريا، جمعت أبو جهاد وممدوح نوفل وأعضاء في المجلس العسكري، تواطأ أبو الوليد مع آخرين في الوفد على توريط أبو جهاد في عشاء في ملهى ليلي تابع لفندق سياحي في مدينة فارنا السياحية على شاطئ البحر الاسود.

١٠ـ يعتبر بشير الجميل، الذي انتخب اثناء الغزو الاسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢، وبتأثيره، رئيسا للجمهورية اللبنانية، باني أول تحالف رسمي عربي مع إسرائيل. ساند احتلال إسرائيل للبنان، بل حثها على عبور الأراضي اللبنانية ودخول العاصمة بيروت. وشارك القوات الإسرائيلية قتالها ضد منظمة التحرير وهو الذي أسس لعقد إتفاق ١٧ أيار/مايو، الذي عقد في عهد أخيه امين الجميل.

١١ـ كانت مناظر تجمع المقاتلين في الملعب البلدي في منطقة أبو شاكر، والتحرك في قوافل الترحيل مؤلمة جدا، طغت عليها أجواء الحزن والألم، وظهر في سلوك المقاتلين حالة من الهياج الجماعي أثناء الوداع رافقه إطلاق نار غزير وهتافات وصياح وندب وبكاء وخطابات.

١٢ـ تم نسف المقر بواسطة عبوة متفجرات كبيرة دمرت الحجرة التي انعقد فيها اجتماع قيادة حزب الكتائب برئاسة بشير الجميل. وكان هذا النمط من العمليات قد ازدهر قبل الحرب. في حينه، القي القبض على مواطن لبناني اسمه "حبيب الشرتوني" من كوادر الحزب السوري القومي الاجتماعي الذي تربطه علاقة متينة بسوريا. وتمت محاكمته وتحميله مسئولية تنفيذ العملية، دون الإشارة إلى الجهة أو الجهات التي شجعته وساعدته في التنفيذ.

١٣ـ الحرب الباردة: هو المصطلح الشهير استخدم في وصف الصراع بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي على مدى النصف الثاني من القرن الماضي. وتعبير باردة لا يعني ان الطرفين لم يلجئا إلى السلاح، بل وقعت حروب كثيرة، كبيرة وصغيرة بينهما، تمت بواسط الاخرين وعلى اراضيهم.

١٤ ـتم تدمير مقر قوات المارينز الأمريكية، ومقر القوات الفرنسية، في بيروت في عملية جرى التخطيط لها باحكام. وأسفرت تفجير المقرين عن قتل وجرح مئات العسكريين، امريكان وفرنسيين، وساهمت العملية في تسريع خروج قوات المارينز الأمريكية من بيروت. في حينه، اتهم حزب الله بتنفيذ العملية بواسطة مقاتلين انتحاريين. وقد اعطت العملية موقعا مميزا لحزب الله في الشارع الوطني اللبناني، وفتحت الطريق أمامه زعامة الطائفة الشيعية.

١٥- بعد إحتلال إسرائيل أجزاء واسعة من لبنان عام ١٩٨٢، ووصول قواتها منطقة ظهر البيدر وتطويق مدينة بيروت، فتح الجيش الإسرائيلي بوابات عبور بين إسرائيل ولبنان، وسمح بحركة المدنيين اللبنانيين إلى إسرائيل. في حينه، استغلت فصائل الثورة هذه الترتيبات، خصوصا الجبهة الديمقراطية، ونقلت بواسطة عناصر لبنانية كميات مهمة من الأسلحة والذخائر إلى فلسطين. وشغلت عددا من الكوادر من أصول فلسطينية في مهام النقل والاستطلاع بواسطة هويات لبنانية مزورة.

١٦- بعد انسحاب القوات الإسرائيلية من بيروت، ومعظم المناطق اللبنانية، تولت قوات "امل" أمن المناطق الشيعية. ولاحقاً، استخدمت الإستخبارات السورية قوات "أمل" في مواجهة قوات منظمة التحرير، ونظام الرئيس امين الجميل وكل القوى اللبنانية التي عارضت الوجود السوري في لبنان. وبرز دور "أمل" أكثر خلال حروبها على المخيمات الفلسطينية، علما بان قيادة "فتح" ساهمت بفعالية في وجود حركة "أمل" وقدمت للإمام موسى الصدر مؤسسها مساعدات مالية وتسليحية كبيرة. وبعد حرب ١٩٨٢، قدمت "فتح" وباقي فصائل الثورة الفلسطينية لحركة "أمل" مساعدات عسكرية كبيرة.

١٧- بعد انسحاب القوات الإسرائيلية من منطقة صيدا، جرت اشتباكات واسعة بين القوى الوطنية اللبنانية والفلسطينية من جهة والقوات الانعزالية من الجهة الأخرى. وتمكنت القوات الفلسطينية والوطنية اللبنانية من طرد "الانعزاليين" من قرى شرق صيدا وضمنها عددا من القرى المسيحية. في حينه، سيطرت قوات "أمل" على المنطقة ورفضت قيادتها السماح للقوى اللبنانية، بما فيها التنظيم الشعبي الناصري، بالتواجد في المنطقة وقراها المسيحية "مغدوشة وجنسنايا وعين الدلب والقرّية"، علما بأن هذه القرى تابعة لمدينة صيدا وظلت تحت حماية التنظيم الشعبي الناصري طيلة فترة الحرب الاهلية. ولاحقاً، حولت "أمل" هذه القرى وحارة صيدا الشيعية إلى مواقع عسكرية في الاعتداء على المخيمات الفلسطينية.

١٨- مع توسع التواجد الفلسطيني المسلح في لبنان عام ١٩٦٨ - ١٩٦٩، وقعت اشتباكات بين الجيش اللبناني والفدائيين. في حينه، رمى الرئيس المصري جمال عبد الناصر بثقله بجانب الثورة الفلسطينية لاعتبارات تتعلق بهزيمة حزيران/يونيو ١٩٦٧ ومحاولة استثمار المقاومة الفلسطينية في الصراع ضد إسرائيل. ودعا ناصر ممثلين عن الحكومة اللبنانية والمنظمة إلى اجتماع في القاهرة. وفي تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٩، توصل الطرفان برعاية مصرية إلى اتفاق عرف باسم "اتفاق القاهرة" ظل سريا حتى على المجلس النيابي اللبناني، بحجة عدم اعطاء إسرائيل مبررا لمهاجمة لبنان. ورسم الاتفاق تواجد الفدائين في لبنان، وسمح بتسليح أبناء المخيمات. وحدد للفدائيين قواعد ارتكاز وطرق للحركة والمرور، وأعطاهم حق العمل العسكري ضد إسرائيل. واستنادا لهذا الاتفاق، عززت المقاومة الفلسطينية وجودها في لبنان خصوصاً بعد أحداث ايلول/سبتمبر ١٩٧٠ مع الجيش الاردني ورحيل قوات الثورة من الاردن.

١٩- جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية، تشكلت كاطار فضفاض نفذت القوى الوطنية اللبنانية تحت رايته عملياتها ضد الاحتلال الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢. وتواصل العمل تحت هذا الاسم واستثمرته المقاومة الفلسطينية بضع سنوات ونفذت عددا من العمليات ضد الجيش الإسرائيلي تحت رايته. ولاحقاً، برز بجانب المقاومة الوطنية حركة المقاومة الاسلامية التي رفع رايتها حزب الله.

٢٠- الانقسام الفلسطيني راجع بشأنه: يزيد صايغ، الكفاح المسلح والبحث عن الدولة ١٩٤٩-١٩٩٣، بيروت - مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ٢٠٠٢.

٢١- بعد خروج أبوعمار وقوات "فتح" من مدينة طرابلس، أعادت قيادة "فتح" بناء تواجدها العسكري في لبنان، واعتمدت على تنظيمها في المخيمات. وأرسلت قيادة "فتح"، سرا، عبر البحر، أعدادا كبيرة من الكوادر والمقاتلين إلى منطقة صيدا. وشكلت قوات منهم نظامية تمركزت في المنطقة. وقدم لها التنظيم الشعبي الناصري والحزب التقدمي الاشتراكي تسهيلات كبيرة. لاحقا نجحت "فتح" في

إخراج المنشقين من مدينة صيدا ومخيمي عين الحلوة والمية ومية والمخيمات الاخرى المحاصرة في بيروت والجنوب. وفيإاطار صراع الرئيس امين الجميل مع السوريين، قدم الجيش اللبناني والقوات اللبنانية تسهيلات واسعة ل"فتح" بما ذلك اقامة مراكز في بيروت الشرقية لاستقبال الكوادر والمقاتلين وتسفيرهم من وإلى قبرص، وأصبحت "فتح" مرة اخرى قوة عسكرية فعالة في المخيمات وفي منطقة صيدا.

٢٢ـ لم تستطع جماعة "فتح- الانتفاضة" المحافظة على وحدتها التنظيمية. وظهرت خلافات سياسية وتنظيمية حادة داخل صفها القيادي الاول تتعلق بالمواقع القيادية وبدور قوات الثورة في لبنان والمسؤولية عن أموال التنظيم وموارده. ونجح تكتل أبو خالد العملة وأبو موسى في الهيمنة على الوضع، وتم طرد "أبو صالح" و"قدري" عضوي اللجنة المركزية لـ"فتح" الام المنشقين عنها وآخرين من العناصر القيادية المؤسسة للانشقاق. ولعبت الاستخبارات السورية دورا اساسيا في ذلك. وبعد فصله، اجرى أبو صالح اتصالات بقيادة "فتح" وطلب مساعدته على الهروب من دمشق. في حينه، ظل ابو صالح محجوزا في منزله، واستوعبت "فتح" معظم الكوادر التي انفصلت عن أبو موسى وقدمت مساعدات مالية لآخرين.

٢٣ـاعتقلت قوات "امل" واللواء السادس صالح زيدان عضو اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية الذي تولى قيادة المقاومة في المخيم. وسلم بعد اعتقاله للإستخبارات السورية حيث كان يرأسها العميد غازي كنعان قائد الإستخبارات السورية في لبنان وبقي في معتقلاتها فترة طويلة. اطلق سراحه لاحقا بعد تدخل مباشر من القيادة السوفيتية.

٢٤ـ بعد خروج قوات "فتح" من لبنان، ظل أبو عمار يتعامل مع قوات الديمقراطية والشعبية ومليشيا "فتح" في المخيمات بمثابة وجود عسكري لمنظمة التحرير. وجرت محاولات تشكيل قيادة عسكرية فلسطينية في لبنان تابعة لقيادة جيش التحرير الفلسطيني الا انها لم تمارس دورها القيادي حتى بحدوده الدنيا.

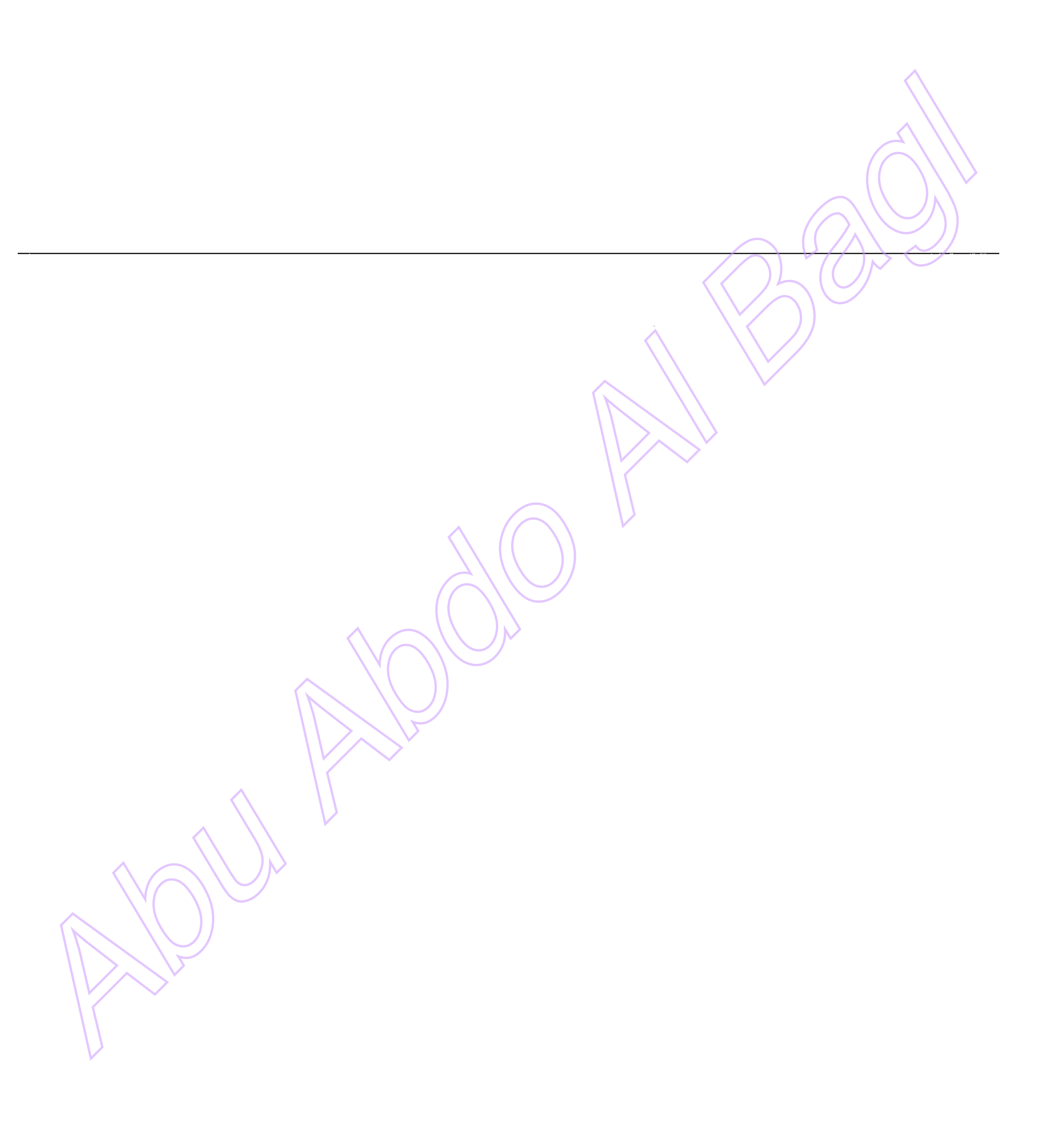
٢٥ـ وافقت، في حينه، دون قرار رسمي من قيادة الجبهة ومن خلف ظهرها على التحاق بعض كوادر "فتح" بالجبهة، وصرفت لهم بطاقات الجبهة العسكرية واوراق لمهام الحركة والتنقل. وتسبب هذا الموقف في خلق اشكالات داخلية بجانب تصعيد المخابرات السورية اجراءاتها ضد كوادر الجبهة وقيادتها.

٢٦ـأرقام الشهداء والجرحى والبيوت المدمر أخذت من مصدرين أساسيين الصحف اللبنانية والبرقيات اللاسكية الصادرة عن غرفة العمليات التابعة للجبهة الديمقراطية ومن دفاتري الشخصية.

٢٧ـ راجع نص الاتفاق في: القرارات الدولية حول القضية الفلسطينية ١٩١٧-١٩٩١، م.ت.ف.- دائرة الثقافة، ١٩٩١.

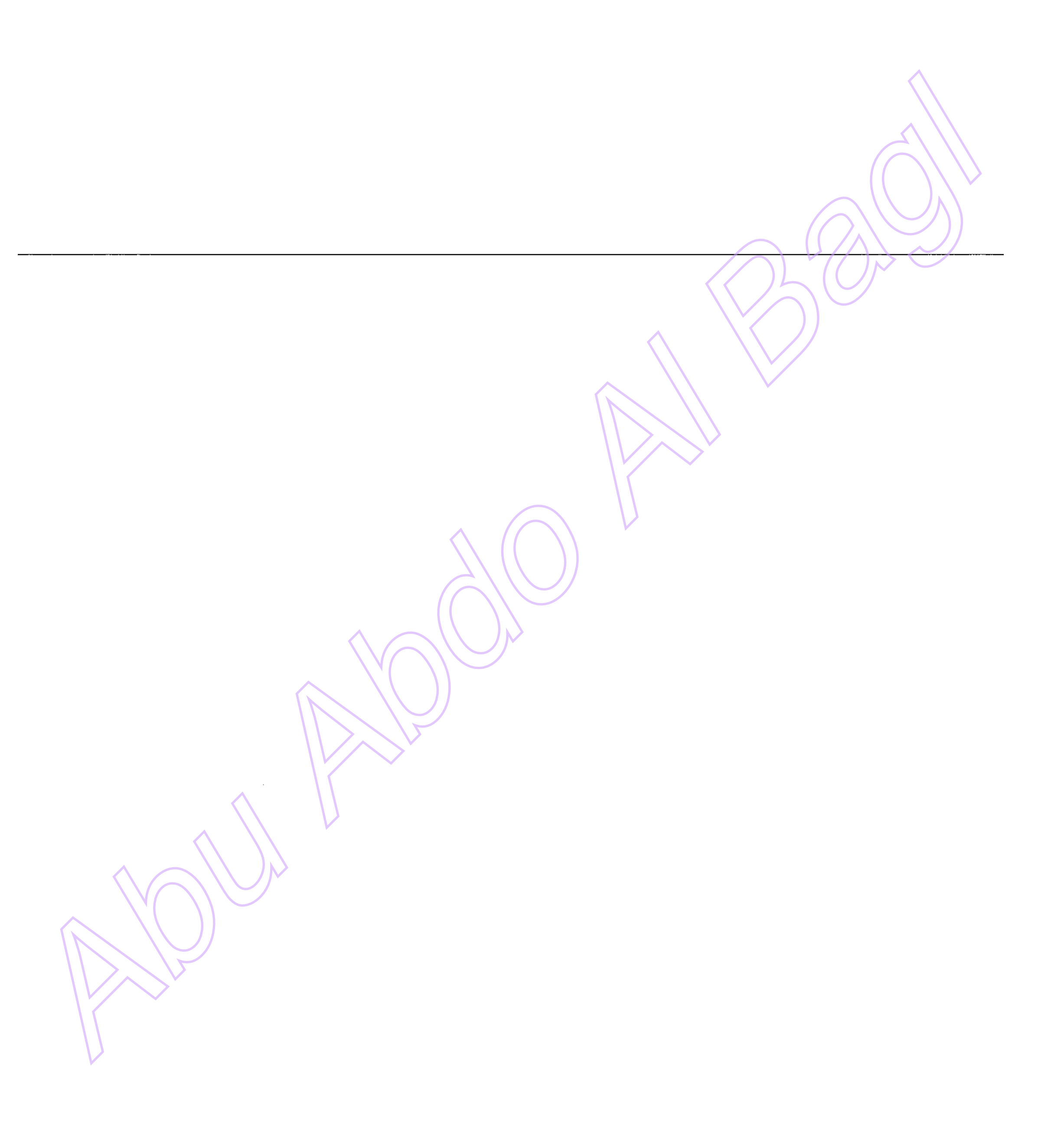
٢٨ ـ ممرات الموت: خلال الحصار، تركت حركة "أمل" مسارب للخروج من المخيمات بأمل تفريغها من السكان والمقاتلين. كانت المرأة من شاتيلا وبرج البراجنة والرشيدية تعبر هذه الممرات باتجاه الأحياء المجاورة لاحضار حليب للأطفال وما تيسر من مواد تموينية أخرى، خصوصاً بعدما أصبح الرجال هدفا للقتل والاعتقال. وصار القتل على المزاج، وكانت المرأة الفلسطينية هي الضحية. وراح قناصة "أمل" يسمحون للنساء الخروج عبر ممرات إجبارية ويتبارون في إصابتهن بالمسدسات والرشاشات.

٢٩ـ في سياق تعزيز العلاقة بالرفاق السوفيت، وطدت قيادة الجبهة علاقتها بالسفارتين السوفيتيتين في دمشق وبيروت. وفي فترة الحرب على المخيمات، كنت التقى بالسفير السوفيتي في بيروت "كلاتوشا" الذي جمعتني به صداقة شخصية اضافة للصداقة السياسية، وكانت لقاءاتنا صريحة ومفيدة.


Abu Abdo Al Bagl

الفصل الثاني

قرار الرد واحتلال قرى شرق صيدا خلط الأوراق وأربك مخطط "أمل"



قرار الرد واحتلال قرى شرق صيدا
خلط الأوراق وأربك مخطط "أمل"

وليد جنبلاط ومصطفى سعد شجعا الهجوم

قبل التوجه إلى قصر "المختارة"، مقر وليد جنبلاط، مع عصام سالم ممثل القائد العام ابو عمار في لبنان، كنا واثقين أن فكرة الهجوم على مواقع "أمل" في قرى شرق صيدا ستلقى الدعم والتأييد المطلوبين. فالحزب التقدمي الاشتراكي يتضامن مع الشعب الفلسطيني ومع قضيته العادلة قبل أن يتولى وليد زعامة حزب أبيه كمال جنبلاط شهيد القضية الفلسطينية، كما يوصف فلسطينيا وعربيا. والحزب بزعامة وليد يكن تقديرا عاليا للثورة الفلسطينية ولنضال الشعب الفلسطيني من أجل حقوقه الوطنية المشروعة. ووليد يقدر هو وقادة الحزب لقوى الثورة دورها في مساعدة الحزب على تحرير بلدات صوفر وبحمدون وعالية وقرى الجبل من قوات الكتائب وحلفائها بعد انسحاب القوات الإسرائيلية. وبجانب ذلك، رأى قادة الحزب في انتصار "أمل" على الفلسطينيين إضعافا لدور الحزب والطائفة الدرزية في لبنان. وقد هجس هؤلاء بأن "الغول الشيعي" على حد وصفهم له سوف يبلع الطوائف الاخرى كلها إذا قدر له أن يسيطر، ومواقع الحزب في بيروت والجنوب مهددة من "أمل" المدعومة سوريا، وضرب المقاومة الفلسطينية "وتسوير" الوضع الفلسطيني وإلحاقه بسوريا يفقد الحزب القدرة على المناورة ويعطل إمكانية استثماره الورقة الفلسطينية.

في اللقاء، مع وليد عرضنا، عصام وأنا فكرة الهجوم وأهدافها، وبينّا القوى التي يمكن أن تشارك في الهجوم، وحصرنا الامر بقوات "فتح" والجبهة الديمقراطية، وابقينا الباب مفتوحا لاشراك "فتح" "المجلس الثوري" أي "جماعة ابو نضال"[1]. وبعد سماع العرض دقق جنبلاط، في حقيقة موقف أبو عمار من العملية، وفي أهداف العملية كما نراها، وقدرة القوات الفلسطينية على تنفيذها بنجاح. وسأل عن موقف جبهة الإنقاذ الفلسطينية واحتمال وقوع إشتباكات فلسطينية ـ فلسطينية في حال نجاح الهجوم.

وبعد نقاش مريح غير طويل مفعم بالثقة المتبادلة، شدد رئيس الحزب، الذي يكره كثرة الكلام ويمقت النقاش الطويل، على ضرورة الإسراع في تنفيذ العملية قبل انهيار أي من المخيمات الفلسطينية، ونصح بالاستفادة من مواقف جماعة حزب الله المناهضة لقيادة "أمل"، والعمل على تجيير مواقف هذا الحزب الصاعد لصالح نجاح العملية وطرد "أمل" من منطقة شرق صيدا وحماية مخيم عين الحلوة. وأيد جنبلاط فكرة كسب مجموعة "المجلس الثوري" في صيدا وإشراكهم بصيغة ما في الهجوم، ونصح بالبحث عن سبل إشراك أي مجموعات فلسطينية أخرى من جبهة الإنقاذ في المعركة، وذلك بهدف توريطها في الصراع ضد "أمل" وتخريب علاقتها بالسوريين. وبالحد الأدنى تحيدها وتجنب شرها وتعطيل استخدامها من قبل السوريين في تفجير قتال فلسطيني فلسطيني.

إلى ذلك، نبه جنبلاط إلى خطورة العملية من الزاويتين السياسية والعسكرية، وحذر من ردود الفعل السورية والشيعية. وقال: "أدرك أبعاد العملية في حالتي الفشل والنجاح، أنا معها، وانتم تأخرتم في تنفيذها، والمهم الإسراع وعدم التسرّع وأن يكون النجاح مضمونا ١٠٠٪ لأن فشل هذه العملية المفصلية ممنوع". ولفت جنبلاط نظرنا إلى أمرين رئيسيين: الاول، ضرورة ضمان النجاح لان الفشل يعني تدمير مخيم عين الحلوة وإنهيار المخيمات الاخرى، والثاني، ضرورة حسم المعركة بأقصر وقت ممكن بما لا يترك أي مجال لتدخل أي قوى فلسطينية أو لبنانية إلى جانب "أمل".

وختم وليد حديثه بالقول: "إذا نجحتم سأهاجمكم في الإعلام بعنف، وسوف أقول هذا تمدد فلسطيني خارج المخيمات ومؤشر خطير على العودة بالأوضاع إلى ما كانت عليه قبل عام ١٩٨٢، أما إذا فشلتم وفشلت العملية فسأدافع عنكم بكل قوتي وسوف أزج امكانات الحزب والطائفة في الدفاع عنكم وعن المخيمات. وسأرفع شعار إن ما يجري ضد المخيمات يدفع كل حر فلسطيني إلى الانتحار.. وسأتحرك تجاه جبهة الإنقاذ للملمة الموضوع".

وكرر جنبلاط التحذير من الفشل، وقدر ان ثمنه "لن يقل عن ترحيلكم على ظهر البواخر كما رحلت قيادة م. ت. ف. من بيروت وتسليم المخيمات لجبهة الإنقاذ". واشار الى انه سوف يبادر لطرح هذه الفكرة لانقاذ المخيمات وما يمكن إنقاذه من الوضع الفلسطيني في لبنان، وتوقع انهياره انهيارا مميتا إذا فشلنا. واكد ان وليد جنبلاط إبن كمال جنبلاط لن يتخلى عن القضية الفلسطينية ولن يتخلى عن كوادر الثورة كأفراد. وطلب جنبلاط عدم التوقف أمام تصريحاته الصحفية، لان موقفه الحقيقي سوف يبقى كما هو وكما سمعناه منه مباشرة وشدد على ضرورة التواصل. واشار إلى انه سوف يكلف قائد الحزب في منطقة الغرب وهو ابو اياد، وعضو المكتب السياسي في الحزب هشام ناصر الدين بالاتصال بنا قبل وخلال المعركة، وابلاغنا بمستجدات الموقف اولا باول.

قبل مغادرة القصر سأل وليد عن إمكانات "فتح" والديمقراطية من الأسلحة والذخائر وعن المطلوب من حزبه هو. وعندما قدمت له إحتياجات الطرفين لخوض المعركة، وعد بالمساعدة وتسليمها لنا في صيدا مباشرة. وشدد على العمل بسرية مطلقة وضرورة تنسيق تفاصيل العملية مع مصطفى سعد "أبومعروف" زعيم التنظيم الشعبي الناصري في صيدا، كما شدد على ان يتم الاتفاق مع هذا الزعيم الصيداوي على أن يتسلم التنظيم المسؤولية السياسية العامة عن القرى بعد تحريرها من "أمل"، باعتبارها جزء من منطقة صيدا وتقع ضمن دائرة مسؤوليات تنظيمه. وعند باب القصر طلب جنبلاط إبلاغه بالموعد النهائي للهجوم وشدد على سرية ما جرى وسرية استلام الذخائر التي سيرسلها إلى صيدا. وطلب مني وضع الاعتبارات الحزبية جانبا "وعدم إعلام قيادة الجبهة الديمقراطية بما تم في اللقاء خشية وصوله للسوريين أو صدوره في نشرة حزبية تسمى "تعميم داخلي"، أو تدوينه في محاضر اجتماعات المكتب السياسي". وقال: "لعلمكم، هذه كلها تصل الإخوان السوريين بالتفصيل، وكذلك اجتماعات القيادة الفلسطينية في تونس".

عدت وعصام من المختارة إلى صيدا بتصميم أكبر على تنفيذ المهمة. وبعد هذا اللقاء شعر كل منا بأن المسألة لم تعد مجرد فكرة مطروحة للتداول والنقاش. واتفقنا على تأجيل مفاتحة أبو معروف إلى ما بعد الاتصال مع أبوعمار ووضعه في أجواء اللقاء مع وليد جنبلاط، وبعد استكمال التحضيرات العسكرية الأساسية. لقد قدرنا أن مفاتحة مصطفى سعد بالقصة مختلفة عن المكاشفة التي تمت مع وليد جنبلاط. فالحديث مع أبو معروف يجب أن يكون تفصيليا يشمل دوره الشخصي ودور التنظيم الشعبي الناصري في العملية وما بعدها. وكنا واثقين من أن موقف جنبلاط يشجع "أبو معروف" على الاندفاع في دعم العملية، ولن نحتاج إلى جهد أو محاججة لإقناعه بمبررات العملية لان "الغول الشيعي" الذي تحدث عنه جنبلاط أكل جزءا كبيرا من نفوذ مصطفى سعد ونفوذ التنظيم الشعبي الناصري خارج حدود مدينة صيدا وبات ينافسه داخلها. والشيعة من أهالي "حارة صيدا" بدأوا التمرد على سلطة أبو معروف في المدينة بعد أن تم تأمين عمق بشري وجغرافي شيعي للحارة. وأهل الحارة لم يعودوا بحاجة إلى تسهيلات من التنظيم الناصري للوصول إلى منطقتي النبطية وصور وطريقهم صارت سالكة عبر قرى شرق صيدا دون حاجة للمرور في قلب المدينة.

إلى ذلك، اتفقت مع عصام على الإسراع في شراء اكبر كمية ممكنة من الذخائر لتوفير الاحتياط الكافي إذا طالت المعركة. وتعهد عصام بتأمين مبلغا ماليا استثنائيا من أبو عمار لشراء ما يلزم لتغطية متطلبات معركة تدوم شهرا كاملا. والتزمت انا بمتابعة الجوانب العسكرية الأخرى كافة مع اللجنة الثنائية المشتركة المشكلة من التنظيمين، والاهتمام باستطلاع مواقع "أمل" وجمع المعلومات عن قواها وقدراتها القتالية، وتحديد القوى البشرية المطلوبة للهجوم وللإحتياط، وشددنا على مقولة وليد الفشل ممنوع في هذه المعركة.

مساء اليوم التالي ١٨/٩/١٩٨٦ ترأست اجتماعا للقيادة العسكرية لقوات الجبهة الديمقراطية لمناقشة العملية ودور الكوادر والمجموعات فيها. وطرحت خلاصة ما جرى مع وليد جنبلاط وما تم الاتفاق عليه مع عصام ممثل أبو عمار. وفي الاجتماع نوقشت الخطة العسكرية من جميع جوانبها. وكان الرأي الغالب أن يتركز دور قوات الجبهة الديمقراطية باتجاه احتلال بلدة جنسنايا، باعتبارها الموقع الذي يقرر مصير المعركة حتى في حال فشل الهجوم على قريتي عين الدلب والقريّة القريبتين من مخيم المية ومية. فموقع جنسنايا الاستراتيجي يتحكم بالمنطقة والسيطرة عليها يقطع طريق إمدادات "أمل". واحتلالها يقطع صلة قرى عين الدلب والقرية وحارة صيدا، مع عمقها الشيعي في عنقون والنبطية. واحتلالها يخلق مفاجئة حاسمة تضع قوات "أمل" أمام خيار وحيد هو الانسحاب السريع الى مواقعها الخلفية قبل إحكام إغلاق الطوق عليها.

وشدد أعضاء القيادة العسكرية للجبهة الديمقراطية على ضرورة إشراك قسم من قوات حركة "فتح" في معركة عين الدلب لضمان حسم الهجوم بأسرع وقت ممكن، وتقليص فترة تعرض مخيم المية والمية الملاصق لها للرمايات المتوقعة من قوات "أمل".

وفي الاجتماع جرى تقسيم العمل، فأسندت مهمة قيادة الهجوم على محور جنسنايا للرفيق لطفي عيسى، وحددت القوة اللازمة للهجوم[٢]. وأسندت مهمة المشاركة مع "فتح" في الهجوم على محور عين الدلب إلى الرفيق (غ ع) وقوته المتمركزة في مخيم المية ومية وما يلحق بها من قوات أخرى. وتوزع اعضاء القيادة العسكرية بقية المهام من نوع إستنفار قوات المليشيا في مخيم عين الحلوة ومدينة صيدا، وسحب قسم من قوات الجبهة في منطقتي الشمال والبقاع ونقلها إلى منطقة صيدا، وتثبيت قوة احتياطية تبقى جاهزة بيد القيادة، وقوة أخرى مهمتها مشاغلة مواقع قوات "أمل" في مغدوشة. وتم فرز قوة لمشاركة قوات "فتح" في قطع الطريق بين حارة صيدا وعين الدلب والقرية.

وشدد المجتمعون على أهمية إشراك جماعة المجلس الثوري في منطقة صيدا وتوريطهم في المعركة، وأكدوا على أن العقيد أبو عمر قائد قوات المجلس الثوري في منطقة صيدا رجل وطني فلسطيني مخلص، وهو وناس جماعته نادمون على المشاركة في الانشقاق عن "فتح"، والالتحاق بجماعة أبو صالح وأبو موسى وأبو خالد العملة قادة الانشقاق. كما أكدوا أن أبو عمر أعطى أوامره لكوادر المجلس الثوري في الرشيدية وفي مخيمات بيروت بالتصدي لقوات "أمل" والمشاركة بفعالية في الدفاع عن المخيمات وأهلها جنبا إلى جنب مع المدافعين عنها من مختلف التنظيمات، حتى لو كانوا عرفاتيين، وأنهم شاركوا فعلا في معارك الدفاع.

إقرار خطة الهجوم في اجتماع مشترك

بتاريخ ١٩/٩/١٩٨٦ صباحاً وقبل أن نبادر الى الاتصال مع العقيد علاء قائد قوات "فتح" في صيدا والجنوب والعقيد عبد المعطي السبعاوي مدير عملياتها، بادرا هما وحضرا إلى مقر قيادة قوات الجبهة الديمقراطية. وعقد اجتماع مشترك وضعت فيه خطة الهجوم بتفاصيلها. ووزعت المهام على الطرفين وحددت الواجبات الدفاعية والهجومية على النحو التالي:

أولا- تشكيل غرفة عمليات مشتركة لقيادة العملية، وتثبيت المندوبين فيها.

ثانيا- وتقويتها على محاور المية ومية ومغدوشة وحارة صيدا وجسر سينيق جنوبي المدينة. وتثبيت قوات الدفاع المشتركة بما هي قوات مستقلة تماما عن القوات المكلفة في الهجوم، وعدم إشراكها في كل الأحوال في المهمة الهجومية، وتكليف قوات "فتح" بتولي المهمة وتنظيم مشاركة الآخرين فيها.

ثالثا- إيلاء قوات حركة "فتح" بمفردها مسؤولية الهجوم على محور بلدة القرية وتحشيد القوى البشرية والوسائط والمعدات اللازمة لإنجاز المهمة.

رابعا- إيلاء قوات الجبهة الديمقراطية مسؤولية الهجوم على جنسنايا وتحميلها المسؤولية عن إشراك قوة من المجلس الثوري. وقد شدد قادة "فتح" هنا على ضرورة إبلاغ المعنيين من المجلس الثوري بخطة الهجوم وساعة الصفر في الوقت المناسب، وتأجيل ذلك حتى اللحظة الأخيرة إذا أمكن.

خامسا- تشكيل قوة مشتركة من "فتح" والديمقراطية للهجوم على محور عين الدلب، وإيلاء "فتح" قيادة الهجوم على هذا القاطع.

سادسا- تشكيل قوة احتياط مشتركة تبقى بيد القيادة ولا تزج في القتال على أي من المحاور إلا بقرار مشترك في غرفة العمليات.

سابعا- تحديد قوات الإسناد المدفعي وتوزيع قواطع النيران. وقد تم الاتفاق على أن يباشر ضباط المدفعية بتركيز أسلحتهم في المواقع المناسبة والبدء في تسجيل الاحداثيات اللازمة للأهداف المنوي ضربها وتغطية تقدم قوات الهجوم.

ثامنا- الشروع فورا في عمليات الاستطلاع الميداني وإنجاز المهام المطلوبة خلال ٧٢ ساعة على أن يتم صب المعلومات أولا بأول في غرفة العمليات.

تاسعا- تكليف قيادة "فتح" تأمين جميع إحتياطات الذخيرة اللازمة للمعركة.

عاشرا- تكليف قيادة "فتح" مهمة الإمداد والتموين للجميع خلال المعركة.

وفي نهاية الاجتماع تم الاتفاق على عدم إبلاغ أو إشراك أي قوة من قوى جبهة الإنقاذ. كما تم الإتفاق على ان يتم تضليل "أمل" والسوريين وأطراف جبهة الإنقاذ بإطلاق إشاعة خلاصتها "فتح" ستهاجم بقرار من أبو عمار مواقع "أمل" في بلدة مغدوشة.

بعد توزيع المهام انطلق الجميع للعمل بكل حيوية ونشاط. الكل مقتنع بأن من العار على القوات الفلسطينية القوية والكبيرة المتواجدة في عين الحلوة ومنطقة صيدا أن تبقى مكتوفة اليدين تتفرج على أهلها وهم يذبحون على الطرقات ويموتون جوعا في ظل الحصار الذي تفرضه "أمل" على مخيمات بيروت والجنوب. والكل مقتنع، ايضا، بأن هجوم "أمل" على مخيم عين الحلوة قادم لا محالة إن لم تتم المبادرة الى منع وقوعه، ومشروع "أمل" الهادف إلى تصفية نفوذ م. ت. ف. في لبنان لا يكتمل قبل تصفية مخيم عين الحلوة والمسألة مسألة وقت وليس أكثر. والتقدير موحد عند الوطنيين اللبنانيين والفلسطينيين بأن المعركة ضد الوجود الفلسطيني في صيدا ستتواصل بعد الانتهاء من الرشيدية.

الى ذلك، ظل ضغط ابو عمار يزداد على القيادة العسكرية في لبنان، "فتح" وديمقراطية، أكثر فأكثر باتجاه التسريع في إنجاز المهمة. وقد طلب ابو عمار في آخر اتصال أن نحدد ساعة الصفر خلال ٤٨ ساعة. في حينه تهرب قادة "فتح" الميدانيون علاء، وعبد المعطي السبعاوي، وعصام سالم، من تقديم التزام قطعي بتوقيت هجومنا وأرسلوا للقائد العام فقط الخطة[٣]. وأصر هؤلاء في الاجتماع المشترك أن أعفيهم من غضب أبوعمار وأشرح له أسباب وضرورات التأخير. وبالفعل، تحدثت مع أبو عمار وأكدت له أن لا عودة عن الفكرة ولا تردد في تنفيذها، وأوامر القائد العام سوف تنفذ في جميع الظروف والأحوال، والتحضيرات الميدانية قائمة على قدم وساق لضمان النجاح في التنفيذ. ونجحت في إقناع القائد العام بان يترك لنا حرية تحديد ساعة الصفر على ان نبلغها إليه خلال بضعة أيام، وطلبت أن يقرن هو موافقته على الخطة بأمر قتالي رسمي واضح، باعتبار ما سنقدم عليه مسؤولية وطنية جسيمة، وللنجاح او الفشل فيها توابع ونتائج وطنية كبيرة.

كان ابو عمار يخشى تردد وتراجع قيادة الجبهة الديمقراطية في دمشق عن المشاركة في العملية، وقد شعرت بأنه ما زال على خشيته.

لاحقا استعنت بابي جهاد خليل الوزير الذي تفهم ظروفنا وتعهد بإقناع ابوعمار بوجهة نظرنا. وتعمدت في المكالمة مع تونس أن أوحي بأن العملية سوف تكون ضد مواقع "أمل" في مغدوشة، وذلك بهدف التضليل، فكل الاتصالات بين تونس وبيروت مرصودة من الاستخبارات السورية. وكان بعض كوادر فصائل جبهة الإنقاذ ينقلون ل "فتح" والجبهة الديمقراطية أولا بأول ما ينقل لهم عن الكلام الذي يسجله السوريون في مكالمات أبو عمار[٤].

في ضوء عملية التضليل والتسريبات التي قمنا بها، لم ينتظر مصطفى سعد اتصالنا به، بل بادر مساء يوم ١٩/٩/١٩٨٦ ودعانا لاجتماع خاص وشدد على أهمية حضور قائدي "فتح"، عبد المعطي وعلاء، بجانب عصام، باعتبار ان هؤلاء هم قادة قوات "فتح" في الميدان. في حينه اعتذر علاء وعبد المعطي وفضلا قيام كل فرد بالمهمات التي حددت له في الخطة، وكانا يخشيان أن يضغط أبو معروف لتعطيل العملية.

توجهت مع عصام إلى منزل أبو معروف ووجدناه منزعجا وتحدث أمام كوادر التنظيم الحاضرين بأنه ضد "التمدد الفلسطيني" خارج المخيمات، وانه لا يقبل أن يقوم الفلسطينيون أو سواهم بأي عمل في منطقة صيدا بدون علمه وبعيدا عن توجهات قيادة "التنظيم الشعبي الناصري" و"قوات الشهيد معروف سعد". واسترسل أبو معروف أمام كوادره في اتهامنا، افرادا وتنظيمات، بمحاولة توريط أهل صيدا في معركة مع الشيعة، وتحويل الحرب الدائرة من حرب العرفاتيين ضد "أمل" وبالعكس، إلى حرب لبنانية ـ لبنانية، وسنية ـ شيعية.

توتر عصام سالم وحاول الرد على أبو معروف بحده فقاطعته وطلبت من أبو معروف التحدث على انفراد واعتذرت من الحضور على هذا الطلب الثقيل.

بعد مغادرة الحاضرين بادر أبو معروف وقال إنه عاتب علينا عتبا شديدا. وطلب أن لا نهتم بما ذكره أمام كوادر التنظيم لانه قال ما قاله لتسريبه رسالة للسوريين ولقيادة "أمل" لغرض لا يخفي علينا. وأضاف ابو معروف "أظن أنكم فاهمون قصدي من ذلك". بادر عصام للرد وقال: "أصبح العتب معكوس يا أبو معروف، لقد اتهمتنا بالخيانة الوطنية، كل ما قلته مفهوم ومحمول أما قولك بأن الحرب الدائرة هي بين العرفاتيين وحركة "أمل" فهذا يجرح القلب والعقل معا، خاصة وأن مخيم الرشيدية على وشك السقوط".

لقد عتب ابو معروف علينا بسبب زيارتنا للمختارة واتفاقنا مع وليد جنبلاط من خلف ظهره: "أنا الأولى بالتشاور". وبين انه ليس ضد الدفاع عن الرشيدية بعمل عسكري من صيدا، ومن الافضل له تكتيكيا له وللتنظيم الناصري أن يقال إن ممدوح نوفل وعصام سالم رتبوا العملية مع وليد جنبلاط من خلف ظهر أبو معروف، لكنه أشار إلى أن وليد لن يفيدنا كثيرا من الناحية العسكرية. وقال: بالنهاية، إذا نجحتم ستحتاجون أبو معروف وقوات الشهيد معروف سعد، وإذا فشلتم ستحتاجوننا أكثر. أتركونا الآن من العتب ودعونا نبحث الموضوع بشكل جدي". وتساءل عما إذا كان من الممكن دعوة الدكتور أسامة شقيقه ونائبه وأبو درويش القائد العسكري للتنظيم إلى إجتماعنا.

فذكرت أن المهمة تتطلب أولا التفاهم معه هو شخصيا على المبدأ والخطوط العريضة، ويبدو أننا متفاهمين قبل الدخول في بحث المسألة. وبينت ان الموضوع لا يزال مجرد فكرة نتداولها مع بعضنا ومع عدد محدود من الأصدقاء. وطمأنته بأننا نقر ونعترف

بان القرار النهائي يتخذ فقط في بيت أبو معروف ونعرف حجم العبء الذي سيتحمله صاحب هذا البيت سواء فشلنا أو نجحنا. قطع أبو معروف حديثي وقال: سامع يا عصام حديث العسكر الدبلوماسي؟ بكلمتين تم توريطي وتم امتصاص عتبي عليكم.

قلت: الموضوع جدي وحاسم وأنا لا أتحدث بدبلوماسية هذه قناعة عصام وقناعتي وقناعة كل الإخوان في تونس ولبنان، وخاصة الأخ أبو عمار. واكدت قناعتنا بأن القرار النهائي لا يمكن اتخاذه إلا في هذا البيت لأنه قد يتعرض للقصف والتدمير مثل بيوت المخيم وحتى قبلها. وأشرت ألى ان هدف اللقاء مع وليد جنبلاط استطلاع موقفه قبل المجيء إلى بيت أبو معروف لأخذ القرار. ونعرف أنه يصعب على ابو معروف القيام بعملية جس نبض وليد جنبلاط حول عمل سيقوم به الفلسطينيون.

قطع أبو معروف الكلام واستفهم عن موقف جنبلاط بالضبط؟ صحيح أن تشاوركم مع وليد ضروري وأنا لا أستطيع مفاتحته في هكذا قضية فلسطينية.

رد عصام وقال: ذهبنا إلى وليد واستقصينا رأيه وطلبنا منه دعما سياسيا وذخائر. ونحن نعرف موقف أبو معروف ونعرف حاجته مثلنا للذخائر. وبيّن عصام أن وليد شجعنا على القيام بالعملية وأكد على مسألتين: الأولى، التفاهم مع أبو معروف وترتيب الأمر معه تفصيليا ووضع كل السيناريوهات المحتملة، والثانية التحذير من خطر الفشل. وبالاجمال عرض عصام وقائع حوارنا واتفاقنا مع جنبلاط وشدد على أن وليد طلب إبلاغ رأي أبو معروف إليه.

أثنى أبو معروف على أهمية نصائح وليد، واعتبرها نصائح مهمة جدا لكنه لاحظ ان جنبلاط يريد إلقاء كل العبء على ظهره وظهر التنظيم الناصري. واكد مصطفى جاهزيته لتحمل المسؤولية والإنسان لا يستطيع الهروب من قدرة، ولكن على وليد والحزب التقدمي أن يساعدا ويتحملا قسطا من المسؤولية. وقال ان المساعدة المطلوبة من جنبلاط هي المساندة السياسية وليس العسكرية. وأبدى ابو معروف استعداده هو لتزويدنا بكل ما عنده من ذخائر إذا كان وليد مستعد لتحمل نتائج المعركة السياسية. وقال: " على كل حال، بغض النظر عن رأي أخي وصديقي وليد، أنتم يا إخوان تأخرتم في تقديم النجدة للمخيمات المحاصرة، أهالي صيدا يتساءلون عن جدوى وجود كل هذا السلاح وكل هؤلاء المسلحين الفلسطينيين في صيدا وعين الحلوة في وقت هلكت فيه المخيمات الأخرى وبعضها بات على وشك الانهيار والسقوط. واعتبر الوضع في مخيمات الرشيدية والبص والبرج الشمالي ومخيمات بيروت كارثة حقيقية. وذكر انه لا يريد تفجيرها مع حركة "أمل" ونبيه بري مباشرة، ولولا خوفه من تحول المعركة إلى حرب سنية ـ شيعية لقام بالعملية نيابة عن الفلسطينيين. وشدد على ضمان النجاح. وقال: أنتم عسكر وأخبر مني بالمسائل العسكرية.

وتساءل أيهما أسهل احتلال قرى شرق صيدا أم بلدة مغدوشة؟ ورأى ان مغدوشة أهم وأخطر، واحتلال بلدات القرية وعين الدلب وجنسنايا لا يغني عن احتلال مغدوشة.

وشكك في القدرة على احتلال مغدوشة والقرى الأخرى دفعة واحدة. واقترح التركيز على جهة واحدة وضمان النجاح. وكرر القول بأن الفشل يشكل كارثة علينا نحن، أفرادا وتنظيمات، وعلى التنظيم الناصري، وعلى المخيمات المحاصرة. وقال : "إذا فشلتم، انتهى وجودكم في عين الحلوة والمية ومية وكل المخيمات الأخرى وقد تكون النتيجة تدمير بعضها. فشلكم يعني ترحيل المقاتلين الفلسطينيين على ظهر البواخر، وتحت إشراف أخوكم أبو معروف".

وسأل مصطفى: ما هو رأي أبو عمار الحقيقي في العملية؟ وأشار ألى اهمية رأيه لأن الموضوع سياسي أولا وعسكري ثانيا. ثم راح يتحدث عن جغرافيا المنطقة باعتبار أننا لا نعرف الأرض، وبين ان المنطقة واسعة وان بدت من بعيد كأنها صغيرة، والسيطرة عليها تتطلب قوات كبيرة وخطة عسكرية محكمة. وقال "أنا لست عسكريا محترفا مثلكم، لكني قد أساعد في بعض التفاصيل بحكم معرفتي بطبيعة الأرض"[٥]. وبين ان بامكاننا الاستفادة من أن جميع القرى مسيحية ١٠٠٪ وهذا عنصر ايجابي، خصوصا أن من تبقى من سكانها يكرهون "أمل" لاعتبارات طائفية وسياسية ومسلكية. وقال: "تصوروا أن أهل مغدوشة وجنسنايا أصحاب النبيذ والعرق الفاخرين محرومون من شرب كأس العرق أو كأس نبيذ، لا أدري ماذا ستفعل بنا حركة "أمل" إذا حكمت هذا البلد؟" ثم اقترح الاتفاق سلفا على سيناريو ما بعد احتلال قرى شرق صيدا، وقال مازحا إنه سيقوم ومعه التنظيم الناصري وأهل صيدا فورا بتحرير هذه القرى من الاحتلال الفلسطيني، "وتحريرها منكم يجب أن يتم من خلال عملية إستلام وتسليم رسمية بيننا وبينكم أمام عدسات التلفزيون. وعلى كل حال، بعد طرد "أمل" منها يصبح لكل حادث حديث"، ثم طلب الاطلاع على خطتنا لكي يطمئن إلى فرصة النجاح.

وبعد اطلاع الرجل على خطتنا، قال عصام إن الأخ أبو عمار يهديه تحياته ويتمنى عليه الموافقة على العملية وعمل التغطية السياسية اللازمة لها، وأبو عمار ينتظر أن يبلغ عصام إليه موقف أبو معروف ورده الرسمي.

- يعني هو موافق على العملية ومستعد لتحمل نتائجها معنا؟

- نعم موافق، ويلح على التنفيذ بأسرع وقت، وقد وضع شرطا وحيدا هو أخذ موافقة أبو معروف أولا على الخطة وعلى العملية ككل.

- هذا تفنيص (كذب أبيض) يا أبو علي، ياسر عرفات وأعضاء مركزية "فتح" بعد الخروج من لبنان نسوا مصطفى سعد ووالده الشهيد معروف سعد الذي قاتل دفاعا عن فلسطين.

- أنا لا أفنص على أبو معروف، وأبوعمار لا ينسى المناضلين الأوفياء.

واكد عصام بصورة جدية ورسمية ان أبوعمار مع العملية ومع الإسراع في التنفيذ لاعتبارات سياسية لم يتحدث عنها. وذكر أن أبوعمار تشاور مع محسن ابراهيم وطلب أخذ رأي مصطفى سعد ورأي وليد جنبلاط، وقد أبلغ من عصام وقيادة "فتح" المحلية تقديرا خلاصته لن نواجه مشكلة مع الاثنين. وبيّن عصام أن الموضوع من زاويته العسكرية مسؤولية الإخوة ممدوح نوفل وعلاء وعبد المعطي السبعاوي قائد قوات "فتح" في لبنان ونائبه، وقال "اود ان اؤكد امامك يا ابو معروف ان مسئولية الفشل والنجاح في رقبتهم، وانت الشاهد على هذا الموقف".

- يعني نحن جميعا معلقين الآن في رقبة ممدوح وعبد المعطي وعلاء ؟ الله يستر ما نغرق. سمعتهم العسكرية جيدة جدا ولا غبار عليها، لكن النجاح يتطلب انضباط شباب "فتح" وهذا الأمر ليس بيد ممدوح وبالكاد علاء وعبد المعطي قادران على ذلك.

قال مصطفى سعد هذا ثم شرح ابعاد النجاح محليا وعربيا ودوليا وطلب تقدير ردود الفعل على كل المستويات. ورأى أن النجاح يعني فشل المشروع السوري الذي يعمل على تركيب حركة "أمل" على أكتاف القوى الوطنية اللبنانية واكتاف الفلسطينيين. كما يعني فشل شطب م. ت. ف. من لبنان، ويفتح الباب لتكريس الدور العسكري الفلسطيني من جديد لسنوات طويلة. وقال إن النجاح يعني شطب مشروع حرب اسرائيل عام ١٩٨٢ وعودة م. ت. ف. بثقلها للساحة، والأميركان والإسرائيليون والأوروبيين سوف يفهمون أن تنظيف لبنان من المقاومة الفلسطينية لم يتم، وأنهم بحاجة إما إلى عملية غزو جديدة أو التسليم بان لا أمن واستقرار في لبنان دون حل القضية الفلسطينية. ورأى مصطفى ان لها نتائج عربية أيضا، واذا كان جميع عرب الأنظمة الرسمية وقوى حركة التحرر الوطني العربية جميعهم صامتين على حرب المخيمات وعمليات الذبح الجارية للفلسطينيين فان النجاح يهزهم ويسهل تحرك بعضهم. لكن تحركهم لن يكون حبا بالثورة الفلسطينية بل خوفا منها، وقال: "تفضل يا ممدوح طمننا على نجاح هذا المشروع الوطني الفلسطيني اللبناني الهام والخطير".

مناقشة تفاصيل الخطة مع قيادة التنظيم الناصري

قلت لمصطفى سعد إننا لن ننسى لك هذا الموقف سواء نجحنا أو فشلنا. فطلب هو أن أدخل في الموضوع بلا مجاملات، وشدد مرة أخرى على أن المهم هو نجاح العملية. فأكدت له أن حجم القوات الفلسطينية في منطقة صيدا كبير وقدرتها القتالية جيدة جيدا، وهي معبأة تماما للقتال ضد قوات "أمل" وهذا يوفر نسبة عالية من النجاح سلفا، فأكد هو من جانبه أن أهالي صيدا جميعهم معبأون ضد "أمل". وقال إنه واثق أن عناصر وكوادر التنظيم الناصري سيشاركون في المعركة حتى لو لم تصدر لهم أوامر منه، أو حتى إذا جرى القتال بالرغم منه. وأشار إلى انه لا يستطيع منع عناصر

التنظيم من الدفاع عن مدينتهم صيدا، وان نبيه بري أصبح لا يطاق حتى من قبل بعض الشيعة. واعتذر على المقاطعة وطلب أن اتابع حديثي. فقلت إنه يفترض بالقوات المتواجدة وبالأسلحة المتوفرة بما في ذلك المدافع والراجمات أن تنجز المهمة خلال ٢٤ ساعة كحد أقصى.

- هل تقصد مغدوشة وشرق صيدا ؟

- لا، أقصد قرى شرق صيدا فقط.

بحثنا الأمر وتبين لنا أننا لاعتبارات معنوية وعسكرية وسياسية بحاجة إلى نجاح مضمون مئة بالمئة، حتى لو كان صغيرا. الهجوم على مغدوشة معقد والنجاح غير مضمون خصوصا إذا كان ضمن حملة واسعة تشمل قرى شرق صيدا. وقلت إننا نقدر أن معركة مغدوشة ستكون طويلة لان لدى قوات "أمل" عمقا جغرافيا وبشريا كبيرا يمكّنها إدامة المعركة فترة طويلة. وبينت ان نجاح معركة مغدوشة يتطلب تحضيرات سياسية وعسكرية أوسع، وقوات "فتح" والديمقراطية لا تستطيع إنجاز المهمة في قرى شرق صيدا ومغدوشة في وقت واحد. والنجاح في قرى شرق صيدا شبه مضمون وأسهل من مغدوشة، وردود الفعل السورية والإسرائيلية على احتلال قرى شرق صيدا أخف. خاصة ان احتلال مغدوشة يهدد عدد واسع من القرى الشيعية ويفتح الطريق إلى منطقتي صور والنبطية، أما احتلال شرق صيدا فيوسع دائرة الدفاع عن المخيمات وعن مدينة صيدا، ويهدد عددا محدودا فقط من القرى الشيعية. واكدت ان العمل ضد مغدوشة قبل تحرير شرق صيدا يعرض القوات الفلسطينية لخطر الوقوع في مصيدة. إذ يصعب الصعود إلى مغدوشة قبل تحرير عين الدلب مثلا، وأنه هو سيد العارفين بطبيعة الأرض.

- هل سيشمل الهجوم في مرحلته الأولى جنسنايا، أم هل تتركوها لمرحلة ثانية؟ جنسنايا بعيدة وموقعها إستراتيجي، وهي عقدة المنطقة ومن يحتلها يحتل قرى المحاربية وبيصور بالإضافة لعين الدلب والقرية، أنا ابن المنطقة وأعرفها بالمتر.

- سنركز قوانا على جبهة واحدة، وسوف نقوم بالهجوم في وقت واحد على قرى عين الدلب والقرية وجنسنايا، وسنهاجم في المرحلة الأولى وفي الساعات الأولى من ثلاث محاور. سنهاجم جنسنايا لأن من دون احتلالها يصعب الصمود في القرية وعين الدلب، ومن مغدوشة وجنسنايا تستطيع قوات "أمل" تطويقنا وإيقاع خسائر كبيرة في صفوف قواتنا، ويصير ثمن التواجد في القرية وعين الدلب كبيرا وباهظا. واحتلال جنسنايا يفتح الطريق امام تقدم لاحق ويعطي صيدا والمخيم عمقا كبيرا.

- الآن فهمت الإطار العام للعملية، لكن لا تنسوا أن جنسنايا هي أهم قرية في جميع قرى شرق صيدا بعد مغدوشة. وبدون طرد "أمل" منها يبقى مخيم عين الحلوة تحت رحمتها.

- صحيح، ونحن نبحث عن نجاح مضمون في أول عملية هجومية.

وبينت أن مغدوشة بلدة كبيرة وتحريرها صعب ويحتاج إلى وقت طويل. وقلت إن المرحلة الثانية من الهجوم يجب أن تكون مغدوشة، ويجب أن لا نتأخر في طرد "أمل" منها، لكن بعد النجاح في شرق صيدا، والنجاح يجر النجاح. ومن قرى شرق صيدا تستطيع القوات الفلسطينية الضغط على قرية عنقون إذا حاولت "أمل" الضغط من بلدة مغدوشة على مخيم عين الحلوة ومدينة صيدا. ونحن في الديمقراطية و"فتح" نبحث في البداية عن الأسهل والمضمون وعن خلق عمق لوجودنا في عين الحلوة والمية ومية. ومن معمل رفيق الحريري وضواحي الصالحية نستطيع السيطرة بالنيران على الحركة في كل منطقة الهجوم.

- أحسن! هذه أول توريطة مباشرة لي، معمل الحريري والصالحية من مسؤليات التنظيم الشعبي الناصري، وهذا معروف لحركة "أمل" وللسوريين(٦) وجميع القوى اللبنانية.

- بسيطة يا أبو معروف. نعمل مسرحية اشتباك بين قواتنا وقوات الشهيد معروف سعد في منطقة معمل الحريري والصالحية فتخرج قوات التنظيم مؤقتا من المنطقة دون اصابات في الطرفين، ويصدر التنظيم الناصري بيانا عنيفا يهاجم العرفاتيين وحلفائهم وتمددهم خارج المخيمات.

رد أبو معروف بسرعة بارك الله فيك، لا. وشدد على حساسية الوضع في الساحة وأنه لا يتحمل هكذا مسرحيات. "لا أستطيع مهاجمة العرفاتيين أمام أهل المخيمات وأهل صيدا والناس لن يفهموا موقفي وسوف يفسروه انحياز للسوريين ضد المخيمات. أنا سأصدر أمرا الليلة للتنظيم للانسحاب من المنطقة، وسأوزع خبرا يقول أننا انسحبنا لأننا لا نريد الدخول في صدام مع الفلسطينيين الذين تمركزت قواتهم في هذه المواقع دون إرادة ورغبة التنظيم الشعبي الناصري". وأضاف أظن أن هذا الإخراج أفضل لنا ولكم، وطلب أن نرسل مجموعة صغيرة لاستلام المنطقة مبكرا ودون مشاكل.

"لا بأس، إخراج جيد ومقبول". أعلنت قبولي الاقتراح، وبينت أن ما يهمنا هو أن يكون أبو معروف والتنظيم الشعبي مرتاحين سياسيا من أولها، "لأننا سنحملهم الكثير في آخرها".

- إسمعوا يا شباب. نصيحة أخوكم أبو معروف أعطونا الحقيقة واتركوا الكذب علينا! نحن أقدر على الإخراج المسرحي، يا عمي لبنان مدرسة والسياسة فيها لعب كشاتبين.

تدخل عصام وقال: "نحن مع أبو معروف لا نعرف إلا الحقيقة ونشهد لكم بالتقدم على الفلسطينيين في المناورات والتكتيك. ولكن أظن أنك تشهد أن أبوعمار ملك التكتيك والمناورة السياسية".

فشهد أبومعروف بأن أبو عمار هو إمبراطور المناورة والتكتيك وليس ملكهما فقط، والمناورة عنده لها أسس وأصول يمكن للإنسان أن يروي عنها قصص لها فصول عديدة. صدقوني يا إخوان لولا براعة القيادة الفلسطينية لضاعت القضية الفلسطينية".

ورد أبوعلى بأن الصحيح براعة أبوعمار شخصيا وليس القيادة الفلسطينية، ولدى الفلسطينيين قاده بلهاء وآخرون نص كم على البركة وماسحو الجوخ كثيرون.

قلت: "أيضا، لا تنسوا براعة أبو إياد في المناورة والتكتيك".

وافق عصام صحيح أبو إياد مناور جيد، لكنه أصر على ان أبو عمار متقدم عليه بأميال.

قال ابو معروف أن لا داعي للخلاف حول هذا الموضوع، "أعرف أن عصام عرفاتي ولاشيء سواه، وأعرف أنه الممثل الشخصي والشرعي لياسر عرفات في لبنان، ويريد جرنا للحديث عن ياسر عرفات وهذا موضوعه المفضل". ثم تساءل. أين وصلنا؟ "فقلت إننا وصلنا معمل الحريري وتوافقنا على انسحاب التنظيم الناصري منه واستلامه من قبل قواتنا. فأجاب إبن معروف سعد بأنه إن كنا وصلنا إلى هناك فهو لا يدري إلى أين سنأخذه بعدها ثم قال: "أتركونا الآن من المزح دعونا نثبت الخلاصات": وثبتنا نقطة اولى: انسحاب قوات التنظيم من معمل الحريري ومن تلال الصالحية لصالح تواجد قوات "فتح" هناك، على أن يكون ذلك مؤقتا.

أخرجت قلمي وفتحت دفتري. فقال عصام احذر يا أبو معروف، ممدوح فتح دفتره المعهود وبدأ بالتسجيل كالعادة. دفتر ممدوح يمثل خطرا حقيقيا علينا كلنا ونذهب في داهية إذا وقع بيد السوريين أو الإسرائيليين.

أجبت بان دعونا نشرب شاياً وسأروي لكم قصة حين كاد دفتري يوقعني في مشكلة عويصة. فعقب أبو معروف بأن الجلسة إحلوت كثير. دعانا للانتقال من المكتب إلى البيت لنتناول كأسا قبل تناول العشاء. وأضاف بمرح: "وبما أنني خريج الاتحاد السوفيتي وزوجتي روسية فأنا أحب الفودكا".

نهضنا ثلاثتنا، وأمسكت بيد أبو معروف لأقوده. عندها، قال هو بحزن شديد: "آه يا ممدوح ما أعز النظر[٧]. أتمنى لو بقي لي عشر نظر. أنا رجل عملي وميداني وأعرف شرق صيدا وكل الجنوب اللبناني بالشبر، أمنيتي أن أكون معكم على الأرض، ولكن البركة فيكم".

قلت مستذكرا الإعتداء الذى أودى ببصر مضيفنا: "هذا أرفع وسام نلته بنضالك من أجل العروبة، وطبعا شعبنا لم ينس الشهيد معروف سعد الذي استشهد من أجل العمال والكادحين صيادي السمك صيداويين وفلسطينيين. ولن ينسى تضحيات أبو معروف من أجل فلسطين والعروبة، والكل يعرف أن معروف سعد كان يتمنى الاستشهاد على أرض فلسطين، قاتل مع عز الدين القسام والشيخ حسن سلامة.

- كان الشيخ حسن صديق والدي الحميم. وبعد استشهاد الشيخ حسن احتضن والدي اسرته بكاملها، وزوجة أخوك عصام بنت الشيخ حسن في مقام أختي. فقد عاشت في بيتنا وأنا وعيت الدنيا وهي عندنا، وبقيت لسنوات طويلة أعتقد أنها أختي من أمي وأبي. على كل حال، أعان الله أختي على الحياة مع أخيك أبوعلي. كلنا مشاريع شهداء، ومعروف سعد قتل لأنه عروبي فلسطيني وكان نصير العمال والفقراء، قتل خلال مظاهرة الصيادين وفقا لجريمة مدبرة مسبقا.

في بيت أبو معروف، تابعنا الحديث أثناء العشاء. وقلت: إننا ثبتنا النقطة الأولى يا أبو معروف وهي تسليمنا معمل الحريري ومنطقة الصالحية. فقال هو: "إفتح دفترك وسجل التسليم لفترة مؤقتة وضع عشرة خطوط حمر تحت مؤقتة". ثم بين أنه لا يستطيع ترك حراسة معمل الحريري لأحد. فرفيق الحريري هو ابن صيدا وأبو معروف لا يستطيع التخلي عن حراسة أملاكه بما فيها معامله وأملاك عائلته.

- سجلناها يا أبو معروف.

فاطمأن هو، وذكرني بوعدي أن أروي قصة الدفتر، وقال إنه يظن أن الوقت مناسب لروايتها.

- "يوم انسحاب القوات الإسرائيلية من مدينة صيدا تحركت من الجبل إلى صيدا. كنت أحمل بطاقة هويه لبنانية مزورة، والرفيق السائق الذي نناديه بلقبه الحاج، لبناني يحمل هوية لبنانية رسمية قديمة. عند مفرق خلدة قال الحاج: نزولنا خطر عليك، الجيش اللبناني منتشر على طول الطريق بكثافة وحواجزه تدقق في الهويات، وأنت لا تتحدث اللهجة اللبنانية ولهجتك الفلسطينية سافرة، وهويتك المزورة مكشوفة، وأخشى أن تحصل اشكالات نحن في غنى عنها الآن"، وأضاف: "أنا بصراحة لا أستطيع تحمل المسؤولية. ثم إن لا أحد من الرفاق يعرف أننا ذاهبون إلى صيدا، الرفاق بانتظارك في بيروت. قلت له، بسيطة يا حاج، بعد لقائنا الشباب في عين الحلوة تعود أنت إلى بيروت ومعك رسالة تتضمن المطلوب تأمينه للمخيمات". وحاول الحاج التهرب من الذهاب إلى صيدا، إلا أنه استجاب لضغوطي واستفزازي له خصوصاً عندما قلت له أنت خائف من الجيش اللبناني. وقد قال يومها: "أنا خائف عليك ويطيب لي الموت معك"، وتابع مسيرته مسرعا صوب بقايا قصر الرئيس اللبناني الأسبق كميل شمعون في منطقة السعديات - الجية[٨].

"في الطريق إلى صيدا كانت آليات الجيش اللبناني منتشرة بكثافة على طول الطريق من القصر وحتى جسر الأوليّ بانتظار استكمال انسحاب القوات الإسرائيلية. كانت حواجز هذا الجيش تفتش بعض السيارات بصورة عشوائية. ومع اقترابنا من صيدا لاحظنا التفتيش صار يطال جميع السيارات دون استثناء. حاول الحاج إقناعي بالعودة، إلا أن إصراري أرغمه على المتابعة. وعند وصولنا منطقة الرميلة كان طابور طويل من

السيارات المدنية يقف وسط طابور من السيارات العسكرية، وكان الجنود اللبنانيون في حالة تأهب قصوى. الحواجز تدقق في أوراق السيارات وهويات الأفراد. اقتربنا من الحاجز وانتظرنا دورنا في التفتيش، تجاوزنا الحاجز قبل الأخير بسلام أبرزنا أوراقنا الثبوتية ومررنا بسرعة. تقدمنا ببطء شديد نحو الحاجز الأخير. لاحظنا ان قوة الحاجز تدقق في عملية التفتيش وتطلب من الركاب النزول من السيارات. سأل الحاج هل مسدسك معك؟ فجعلته يفهم أني تركته في الجبل، فيما كان المسدس في مكانه المعتاد على وسطي، وكانت شنطتي تحوي أوراق تتعلق بالعمل لم ادقق فيها.

"وحين جاء دورنا في التفتيش وطلب منا الجندي النزول من السيارة إلى الأرض، حملت شنطتي بيدي ونزلت. بعد تفتيش مقاعد السيارة وصندوقها الخلفي، قلب الجندي الهويات وأعاد لي هويتي، وطلب مني فتح الحقيبة. دقق في هوية السائق وسأله هل هذه هويتك؟ رفع الحاج صوته مدافعا عن نفسه وذكر نسبه وحسبه ومكان سكنه. إلا أن الجندي لم يقتنع وأبقى الهوية بيده. ونظر داخل الشنطة وراح يقلب الأوراق والملفات وأمسك بمفكرتي اليومية وأخرجها من الشنطة. أمسكت المفكرة وانتزعتها من يده وقلت له: هذا دفتر شخصي وليس مسدسا او عبوة متفجرات، لا يحق لك العبث بالأغراض الشخصية.

رد بعصبية، وأظنه انتبه للهجتي الفلسطينية وقال: من حقي أن أقرأ ما فيه.

ـ لا ليس من حقك الإطلاع على الأسرار الشخصية للناس. ودخلنا في جدال. هو من جانبه يصر على قراءة ما في الدفتر وأنا من جانبي أرفض، فطلبت من الجندي أن يدعو قائده الضابط.

قال الحاج: أعطني هويتي ومشينا يا ابن الحلال.

" قال الجندي: تفضلا معي. توجهنا سويا الى مبنى القيادة، وهناك وجدنا ضابطا شابا يحمل رتبة نقيب له شاربان سميكان. سأل ما المشكلة؟ روى له الجندي ما حصل معنا. قال لنا الضابط انتظروا قليلا وأمر الجندي العودة إلى الحاجز وتسهيل حركة المرور.

" قلب الضابط هوية الحاج وأعادها له. دافع الحاج عن شرعية هويته القديمة وراح يتحدث بلهجة لبنانية أصلية معددا أسماء أفراد عائلته. قال الضابط: أنت لبناني أصلي، لكن هويتك تبعث الشك. وطلب من الحاج الخروج من المكان حاول الحاج البقاء معي إلا أن الضابط طلب منه الخروج. ونظر في هويتي وأعادها لي ولم يكتشف أنها مزورة. وسألني عن سبب رفضي السماح للجندي قراءة ما في الدفتر.

حاولت اللعب على الطائفية، شكله وشاربه الكثيف أقنعاني بأنه مسلم. وكان ردي على سؤاله بسؤال، وقلت: قبل أن أجيبك هل من الممكن التعرف على اسمك وبلدك؟ فذكر

لي اسمه وبلده. قلت مع الاحترام والتقدير، لا مشكلة في اطلاعك على ما هو مكتوب في المذكرة. فتحت المفكرة واقتربت منه وقلت له اقرأ هذا العنوان: لقاء مع مروان فارس وقيادة الحزب السوري القومي. المكان: منزل مروان. قلبت صفحات أخرى من الدفتر وقلت اقرأ، وكان عنوان المدون: لقاء مع وليد جنبلاط، المكان: قصر المختارة. وقتها نهض الضابط من خلف طاولته وانزوى بي جانبا وقال الآن فهمت السبب، توكل على الله، لكن لا تتعجلوا النزول إلى صيدا القوات الإسرائيلية ما تزال عند مداخلها.

خرجت مسرعا نحو السيارة وانطلقت مع الحاج إلى مخيم عين الحلوة، وهناك واجهنا مشكلة من نوع آخر قبل أن نهتدي إلى الشباب ونلتقي بهم لا مجال لسردها في هذه السهرة".

وبهذا ختمت قصتي، فعلق أبو معروف: "هذا كلام خطير وفيه استهتار"، أرجوك يا ممدوح أن لا تدون شيئا عن لقاءاتنا". وأضاف عصام: "ممدوح مغامر يا أبو معروف وهو يسجل أنفاسنا يوميا سواء كنا في اجتماعات رسمية أو غير الرسمية."

علقت أنا بأن تدوين التاريخ مسئولية وطنية تتطلب أحيانا المغامرة. ونقلت الحديث إلى الموضوع الرئيسي من خلال السؤال أين وصلنا يا أبو معروف؟ قال: "بعدنا في معمل الحريري ولم نخرج من بلدة الصالحية".

وتابعت شرح الخطة العسكرية وبينت تفاصيل المحاور الثلاثة التي ستهاجم القوات الفلسطينية مواقع قوات "أمل" من خلالها في وقت واحد: محور كفر جرة - جنسنايا. وهو ينقسم إلى فرعين: فرع هجوم وهمي هدفه امتصاص قوة "أمل" الرئيسية. التقدم فيه يتم بسيارتين يبدأ من كفر جرة نزولا إلى وادي بعنقودين صعودا باتجاه مثلث بيصور. والهدف إيهام قوات "أمل" بأن قواتنا تقوم بحركة التفاف واسعة على كل المنطقة. أما الفرع الثاني وهو الرئيسي، فسيكون هجوم مشاة من كفر جرة على جنسنايا البلد.

- اسمع يا ممدوح، هذا نحر للشباب، أنا إبن المنطقة وأعرفها جيدا. التحرك الراجل على هذا المحور ليلا مستحيل. أيام الشباب كنا نذهب إلى كازينو وادي بعنقودين. هذا مكان من أجمل ما خلق الله على الأرض. وهذا الكازينو كان من أشهر كازينوات لبنان، كان فيه "ماء وظل ووجه حسن"، حضراتكم خربتموه ودمرتموه، ولو انكم سلمتموه لنا لحافظنا عليه واستفدنا منه ولكنا جالسين هناك الآن.

- يا أبو معروف، استلمناه مدمراً وخربان.

- لا أريد أن أدقق في التفاصيل، لكن ما أريد قوله أن قرية كفر جرة مفصولة عن جنسنايا بواد وعر جدا وعميق، وهو أوعر من الوادي الذي يفصل مغدوشة عن جبل الحليب وغير مطروق أصلا. ويمكن مقاتل واحد صد هجوم كتيبة مشاة صاعدة من

قاع الوادي إلى بلدة جنسنايا. الوادي عميق، والنظر غشاش يا ممدوح، والصعود من الوادي صعب، أنا أعرفه، الصعود منه نهارا يحتاج إلى ثلاث أو أربع ساعات، ولا يمكن للإنسان أن يقاتل ويهاجم وهو هالك من التعب.

قال عصام: "هذا رأيي أيضا، ولكن اسمع يا أبو معروف بقية الخطّة!".

ووصفت أنا كل ما قاله أبو معروف بأنه دقيق وصحيح وهو يؤكد أن ذاكرته قوية جدا. لكن الهجوم على هذا المحور يقوم على أساس تسلل قوة الهجوم الأولى إلى قلب جنسنايا قبل بدء الهجوم بأربع وعشرين ساعة. وبينت أن هذه الخطة اقترحها الضباط الشبان الذين استطلعوا الطريق وأقاموا في البلدة ٤٨ ساعة. كنت أنا نفسي قد دققت الوضع على الأرض قبل لقائنا ونزلت الوادي وصعدت سفح الجبل باتجاه جنسنايا، واستمعت مباشرة لكل أفراد قوة الاستطلاع فردا فرداً، ونتيجة لذلك، وافقت على الفكرة والشغل جار عليها على قدم وساق. والمعلومات المؤكدة تبين أن معظم بيوت القرية خالية من أهلها خصوصا بيوت الجهة الشمالية المشرفة على الوادي والمطلة على كفر جرة. يوميا تقع مناوشات بين شبابنا في كفر جرة ومقاتلي "أمل" في جنسنايا. وجود "أمل" في القرية والاشتباكات اليومية دفعت الناس إلى الرحيل. ومعلومات الاستطلاع تقول أن قوة "أمل" في بلدة جنسنايا قليلة العدد، وهذا أمر أعتبره طبيعياً بحكم موقعها الخلفي وطرقها الوعرة، وعسكر "أمل" لا يتوقعون الهجوم من الوادي. يتمركز في جنسنيا قرابة ٦٠ عنصرا من عناصر "أمل" موزعين في أربع مواقع أساسية، ومركز القيادة الذي أقيم في المدرسة الواقعة جنوب شرق البلدة، وهو يقوم بتفتيش السيارات المتحركة على الشارع الرئيسي. وهناك موقع رشاش دوشكا على التلة الخضراء الواقعة شمل شرق القريه.

بيّن لي أبو معروف أن هذه التلة هي المقبرة، وهي تشرف على المنطقة الشمالية وضمنها الكازينو والوادي وعلى سفوح كفر جرة، والطريق الواصل من الكازينو إلى بلدة بيصور.

- صحيح يا أبو معروف، وهناك موقع رشاش عيار ٥٠٠ ملم منصوب غرب شمال القرية.

- أنت تتحدث عن تلة الكنيسة المشرفة على الوادي من الجهة الغربية والمشرفة أيضا على الطريق الواصل بين الوادي والكنيسة.

- صحيح ذاكرتك قوية جدا يا أبو معروف. أما الموقع الرابع فهو خلة الزيتون جنوب القرية، ولا شك أنك تعرفها.

- طبعا أعرفها، والله يا إخوان أستطيع وصف المنطقة شجرة شجرة. صحيح أني فقدت نظري لكن ذاكرتي والحمد لله لازالت قوية جدا، على التلة الرابعة هناك حاووز ماء

كبير تشرب منه بلدتي القرية وجنسنايا، وأظن أنه يسقي قرية المحاربية أيضا. وسأل هل يمكن للشباب التسلل والإقامة في القرية قبل ٢٤ ساعة من بدء الهجوم ودون أن يكتشف وجودهم، ألا تخشى من مرور فلاح ؟

- الحركة في الطرف الشمالي من القرية خفيفة جدا، وأظن أنها ممنوعة على الناس باعتبارها منطقة عسكرية. وعلى كل حال معالجة مرور فلاح أمر سهل جدا. جرّبنا التواجد في القرية، ويتواجد فيها باستمرار مجموعة استطلاع صغيرة. البيوت خالية ومهجورة، وقوات "أمل" تتواجد في مواقعها العسكرية، وحركتها محصورة في التنقل بين مواقعها.

قال أبو معروف إننا أدرى بالأمور العسكرية، لكنه أعرف منا بالمنطقة التي يعرفها جيدا، وقد وصف هذه المنطقة بالتفصيل: السفح الشمالي لجنسنايا حرش أخضر وجميل جدا، يقابله سفح كفر جرة الصخري الأجرد. وبين ابو معروف ان أهل جنسنايا ناس حضاريون، زرعوا المنطقة بالعنب والزيتون والتين واللوز ولم ينسوا زرع الورود. زرعوا الورود في شوارع القرية. وسأل هل تعرفون لماذا ؟ واجاب هو بأن جميع أهل جنسنايا مسيحيين متحررين. ويوميا كان ناس القرية شبابا وصبايا ونساء، صغارا وكبار سن، يخرجون في أماسي أيام الصيف والربيع ويتمشون في شوارع القرية والطرق الخارجية المؤدية لقريتهم. وجزم: "أريد أن أقولها وأمري لله، المسيحيون في جنوب لبنان عموما ناس حضاريين يتقدمون اجتماعيا وثقافيا على المسلمين، متحررون وعاداتهم حلوة". واستحضر أبو معروف ما سماه أيام العز وراحة البال، حين كان شباب جنسنايا ومغدوشة وصباياهما يخرجون مساء للمشي في الشوارع وعلى أطراف القرية، كل بنت تمشي مع صديقها بصورة طبيعة أمام أبوها وأمها وأخوها. وأنا واثق أنهم يمشون بشكل طبيعي جدا، ومن يتصرف بشكل طبيعي لا أظن أنه بحاجة لعمل شيء بالسر. قال هذا عن المسيحيون وقارنه بمسلمين يعتبرون خروج بنت مع شاب جريمة قد تؤدي لمذابح، علما أن بامكانهما الخروج بالسر من خلف ظهر الأهل وبعيدا عن أعين المجتمع.

وتابع ابو معروف الحديث واشار الى تراجع الأوضاع الاجتماعية في السنوات الأخيرة، وقال إنه يعرف عائلات صيداوية لم ترسل البنات للجامعات ليس بسبب الفقر بل صونا للشرف. واعتبر ذلك جريمة بحق المجتمع. ورجانا أن نحافظ إذا تمت العملية على ورود التلال، ثم طلب مني اكمال الحديث في الخطة.

فقلت إن هذه هي خطتنا لاحتلال جنسنايا وطرد قوات "أمل" منها، أما عين الدلب والقرية فلها خطة تفصيلية أخرى جيدة ومضمونة النجاح. الإخوان علاء وعبد المعطي ومعهم رفاق من الجبهة وضعوا الخطة ودققوها ميدانيا، والنجاح شبه مضمون مئة بالمئة.

ـ قبل الحديث عن عين الدلب والقرية أود أن أسجل أمامكم أن خطة جنسنايا تتضمن مجازفة كبيرة. يا راجل راعي ماعز بامكانه تخريب الخطة وتكون النتيجة قتل الشباب وأسرهم.

وافقت محدثي على أن في الخطة مجازفة، لكنها حاسمة ومضمونة النجاح في حال اجتياز مرحلة التمركز في البلدة. ولمنع الناس من الحركة سنبقي على المناوشات الخفيفة مستمرة. الشباب سوف يختفون في البيوت الفارغة، ويراقبون التحركات ويمنعون حركة المواطنين وحجز مؤقت كل من يكتشف وجودهم وبعد تحرير القرية نعتذر لهم ونقدم ما يلزم.

ـ هذا هو رأيي وقد قلته. وأنا لا أريد تعطيل خطتكم، الموضوع يحتاج إلى عناصر منضبطة جدا، والى قائد كفوء وحازم قادر على السيطرة وضبط الشباب طوال النهار. وهناك حاجة إلى خطة إمداد تفصيلية.

فأقررت بأن عنصر المفاجئة أساسي في العملية، نحن لسنا بحاجة لأكثر من ثلاثين عنصر ينامون داخل البلدة. ويبدأ الهجوم بعد وصول القوة الأساسية واخذ قسط من الراحة لا تقل عن ساعتين. التسلل حتى مشارف البلدة قبل الهجوم بيوم أو يومين أمر سهل. المنطقة حرجية وأحراشها كثيفة وهناك يمكن إخفاء كتيبة بكامل معداتها.

ـ صحيح، على خيرة الله.

قال أبو معروف هذا، ثم سبقني هو بالحديث عن بقية المحاور: صار واضحا ان المحور الثاني هو الهجوم من قلب المية ومية وجنوبه على قرية عين الدلب. وهذا محور قصير طوله عشرات ومئات الأمتار، والمهم طرد قوات "أمل" من تله عين الدلب الجنوبية والتمركز فيها. العملية على هذا المحور سهلة، لكن يجب عدم الاستهتار لان حجم قوات "أمل" كبير وأسلحتها ثقيلة. والمحور الثالث سيكون من أطراف مخيم المية ومية الشمالية ومن البساتين باتجاه بلدة القرية. وهذا المحور أطول نسبيا، والمهم احتلال مثلث محطة البنزين ومعها البنايات العالية الواقعة شرق البلدة. العملية صعبة. ولكن، إذا حسمت جنسنايا بسرعة، فإن بلدة القرية تغدو مطوقة تماما وقد تسقط دون قتال.

ـ صحيح يا أبو معروف. هذه خطتنا وثقتي بالشباب كبيرة وأظن أنهم متحمسون لتنفيذها. والواقع أن خطتنا كانت تؤكد على ضرورة السيطرة على المنطقة كلها في ليلة واحدة، لأن أي تأخر في حسم المعركة وفي السيطرة على طرقاتها يعني تمكين "أمل" من حشد قوات كبيرة، وربما تدخل السوريين بصورة أو أخرى، وخاصة عبر القصف المدفعي. وكنا واثقين بأننا سنحتمل ضغوط "أمل" العسكرية، وسنقوم بما علينا وسندقق في كل صغيرة وكبيرة ونأمل في النجاح. قلت هذا وطلبت من محدثنا الدعاء لنا بالتوفيق. وإذا كان صمودنا في الأرض بعد طرد "أمل" منها مسألة حيوية،

فإن صمود أبو معروف في وجه الضغوط السورية والليبية وضغوط جماعاتهم في الحركة الوطنية اللبنانية وجبهة الإنقاذ الفلسطينية أكثر حيوية، ويحسم النتيجة السياسية للمعركة سياسيا.

حرروها واتركوا الباقي على اخوكم أبو معروف. جهر بهذا التشجيع ثم أوصانا بمسألتين: الأولى عدم المس بأهالي القرى، وتقليص الإشتباكات ما أمكن داخلها، وتقليص القصف المدفعي إلى أقل قدر ممكن. وعدم الاعتداء على ممتلكات الناس. وقد تمنى علينا أن نشدد على هذه المسألة الحساسة. والمسألة الأخرى ترك منافذ لانسحاب قوات "أمل"، مثلا الشارع الرئيسي الواصل بين محطة البنزين وبستان النهر. ثم ذكرنا بأن عمليتنا تقوم على المباغتة والتطويق وسوف يكون فيها أسرى. "وإذا حصلتم على أسرى، أرجوكم أن تحافظوا على حياتهم، وأن تسلموهم لنا. وهذا الأمر يفيدنا ويساعدنا لاحقا على تسويق تواجد قوات الشهيد معروف سعد في المنطقة، وكان الله في عوننا للتغطية والتستير عليكم، ويخفف من استنفار الطائفة الشيعية ضدكم، ويريح أهالي المنطقة ككل". وعن وقت التنفيذ، قال أبو معروف: "كلما أسرعتم كلما كان هذا أفضل". فتعهد عصام أن يتم الهجوم فور إنجاز التحضيرات الضرورية، ووعد أن يبلغ إلى أبو معروف الموعد، باليوم والساعة.

نجاح العملية فاق التقدير واربك قيادة "أمل"

قرابة منتصف الليل غادرنا منزل أبو معروف مرتاحين. الغطاء السياسي للعملية تأمن، وإنجاز ما تبقى من أعمال لتنفيذها رهن بدورنا. وعلى مدخل البيت، افترقنا بعد أن اتفقنا على التواصل. وفي اليوم التالي عقد أركان غرفة العمليات المشتركة "فتح" وديمقراطية اجتماعا، وحددت ساعة الصفر الساعة ٠٠:٢٤ منتصف الليل من يوم ٢٥/٩/١٩٨٦. وبدأ العد العكسي للتنفيذ. وتم الاتفاق على إطلاق حملة الإشاعات المضللة عن نوايا "فتح" تفجير الوضع في منطقة صيدا بالهجوم على مغدوشة وحارة صيدا. وأن أبوعمار أصدر أوامره بالرد على محاصرة المخيمات بطرد "أمل" من مغدوشة، والاستعداد لتنفيذ عمل كبير يؤدي إلى تهجير أهالي حارة صيدا[٩] في حال تهجير أي من المخيمات، وإسكان النازحين من المخيمات في هذه الحارة.

ومع انتشار هذه الإشاعات، كان ضغط حركة "أمل" على مخيمات بيروت وصور يزداد، وكان مقاتلو "فتح" والجبهة الديمقراطية يسابقون الزمن في تحضيراتهم العسكرية النهائية. وبهدوء احتلت القوات المهاجمة مراكزها المتقدمة، وتسلل ١٥ كادرا من قادة مجموعات الهجوم إلى قلب جنسنايا، ولحق بهم ٤٥ مقاتلا تمركزوا في حرش جنسنايا على بعد أقل من ١٠٠ متر من بيوت البلدة. واحتلت قوات حركة "فتح" مواقعها الأمامية تمهيدا للهجوم في محور القرية وعين الدلب. كل ذلك تم بسرية وتم

التمويه على العملية بصورة جيدة وناجحة وتحققت المفاجئة وصار الهجوم سهلا إلى حد كبير.

ومع غروب شمس يوم ١٩٨٦/٩/٢٥ ساد الهدوء منطقة صيدا باستثناء بعض الطلقات الخفيفة التي كانت تسمع على محور كفر جرة. وقبل الساعة ٢٢:٠٠ كان مقاتلو حركة "فتح" على أهبة الاستعداد للهجوم. خلال تلك الساعة تحركت محمولات من المجلس الثوري "جماعة أبو عمر" من عين الحلوة إلى كفر جرة. وفي الوقت ذاته كان عصام سالم يجلس وحده مع وليد جنبلاط في قصر المختارة. أبلغة ساعة الصفر وشرح له خطة الهجوم وتوقيتها وتقديراتنا للعملية، وقبل مغادرة المختارة عائدا إلى صيدا، طلب عصام من مضيفه الاستعداد لإصدار تصريحه المتفق عليه ضد التمدد الفلسطيني خارج المخيمات.

في الوقت ذاته صعدت مع أبوعمر قائد قوات المجلس الثوري وعدد من أعضاء القيادة العسكرية للجبهة الديمقراطية على سطح مبنى عال في قرية كفر جرة يشرف على مسرح العملية. وهناك، جلسنا ننتظر بلوغ عقارب الساعة منتصف ليلة ٢٥/٩/ ١٩٨٦، لإعطاء الأمر لاسلكيا ببدء الهجوم وإطلاق إشارة التقدم. وفي الوقت ذاته كان الإخوان علاء وعبد المعطي يقفان على رأس قواتهما للانطلاق في الهجوم باتجاه المواقع المحددة لها.

قبل اقتراب عقارب الساعة من ساعة الصفر بدأت قوات "فتح" هجوما ناجحا على محاورها، وتلقت قوات الجبهة ومعها مجموعات المجلس الثوري أمر البدء بالتقدم. فبدأت قوات الجبهة هجومها حسب الخطة. وبينت الاتصالات اللاسلكية الأولية أن بداية الهجوم كانت موفقة تماما، وأن قوات "أمل" فوجئت. وفي الساعة الأولى حقق المهاجمون ما كان مقدرا له أكثر من ثلاث ساعات. وفي أقل من ٧ ساعات تم طرد جميع قوات "أمل" من قرى جنسنايا والقرية وعين الدلب ومن كل تلال شرق صيدا، وأسرت القوات المهاجمة عددا من عناصر "أمل"، وغنمت قوات "فتح" والديمقراطية والمجلس الثوري كميات لا بأس بها من الأسلحة والذخائر والآليات العسكرية، وحوصرت عدة قرى شيعية وفتحت الطريق أمام القوات الفلسطينية للتقدم باتجاه قرى إقليم التفاح والنبطية. باختصار انهار الوضع المعنوي لقوات "أمل" خلال ساعات وتمهدت الطريق أمام القوات الفلسطينية لتتوغل في عمق "أمل" والقرى والبلدات الشيعية.

بعد التأكد ميدانيا من نجاح الهجوم في جميع المحاور، تحركت قبل طلوع الفجر مع عصام إلى جنسنايا والقرية وعين الدلب هنأنا الإخوة بالنجاح وتابعنا الحركة نحو منزل مصطفى سعد. كان الحرس بانتظارنا وقال إن أبو معروف لا زال يقظا بانتظاركم.

سأل أبو معروف قمحة أم شعيرة ؟

قلت: قمحة كبيرة وأسهل مما توقعنا والعملية نجحت تماما: الأخوين علاء وعبد المعطي أنجزوا المهمة، وشباب الجبهة طهروا بلدة جنسيايا واحتفلوا على الطريقة اللبنانية مع عدد من وجهاء البلدة واهدوهم كمية من العرق المحلي حملوها معهم. كل ذلك تم بسرعة وتمت مراعاة الصورة الحضارية التي تحدث أبو معروف عنها(١٠)، لم يتم الاعتداء على المدنيين ولم نبلغ عن إصابات جدية في صفوفهم.

- تمزحون.. فشلت العملية أم تأجلت؟

قال عصام: "غدا صباحا نتجول سويا في المنطقة".

قلت إن خسائر حركة "أمل" البشرية والعسكرية كبيرة في كل المحاور، ولدينا عددا من الأسرى.

احذروا الهجوم المضاد غدا، "أمل" والسوريون لن يسكتوا.

قلت إن "أمل" بحاجة إلى ما لا يقل عن ٧٢ ساعة للمة أوضاعها قبل الهجوم المعاكس. خلال اقل من ٢٤ ساعة سوف نستبدل قسم من قوة الهجوم المرهقة بقوة جديدة مرتاحة وسوف نعزز دفاعاتنا في جميع أنحاء المنطقة. ليس سهلا على سوريا التدخل بقوات كبيرة أظن ان إسرائيل لن تسمح للسوريين تجاوز جسر الأولي وقرى عبرا والهلالية. وكان من رأيي أنه يمكن للقوات السورية مساعدة حركة "أمل" بقصف مواقعنا الجديدة والقديمة بالمدافع، والقصف المدفعي وحده لا يغير الوضع على الأرض. وتوقعت ان ترفع المخابرات السورية وتيرة ضغطها على قيادة الجبهة الديمقراطية المقيمة في دمشق، وقد تخيرها بين بقاء ممدوح وقوات الجبهة الديمقراطية مع العرفاتيين في قرى شرق صيدا وبين بقائها هي قيادة الجبهة، في عاصمة الأمويين في دمشق، سيتعرض الرفاق لضغوط سورية جديدة أقسى من التي تعرضت لها الجبهة بعد المشاركة في دورة المجلس الوطني التوحيدية عام في نيسان ١٩٧٨ لكننا سوف نصمد(١١).

سأل أبو معروف: "هل أنت واثق من صمود نايف وبقية الإخوان؟ ثم قال "على كل حال، بعد ساعات سوف أوزع على الصحف ووكالات الأنباء تصريحا أهاجم فيه "التمدد الفلسطيني العرفاتي خارج المخيمات"، وقد أشير بصيغة وأخرى للتحالف الجديد بين "فتح" والديمقراطية، وأطالب علنا بانسحابكم إلى حدود المخيمات وتسليم قرى شرق صيدا لقوات التنظيم الناصري".

قال عصام إنه سيتوجه الآن إلى المختارة وينقل صورة الوضع للأخ وليد جنبلاط "أبو تيمور" ويطلب منه إصدار تصريح ضد التمدد العرفاتي. وقلت أنا إننا سوف نوزع بيانا على الصحف والوكالات يحمل أسم "القوات الفلسطينية الموحدة" نبرر فيه هجومنا وطرد "أمل" ونؤكد عدم رغبتنا بالتمدد خارج المخيمات، وسنقول إن ما قمنا به هو دفاع عن النفس وليس أكثر. وسوف نعلن في البيان استعدادنا تسليم

المنطقة لقوة مشتركة من الحركة الوطنية على أن تضمن القوة المشتركة عدم عودة "أمل" للمنطقة. ونطالب القوى الوطنية تامين دخول التموين إلى المخيمات المحاصرة في بيروت والجنوب.

طلب أبو معروف أن نلتقي غدا، وأكد على أن المهم هو الصمود: "ثبتوا أوضاعكم على الأرض"، ووعد بأن يجهز قوة لدخول المنطقة لتعزيز وضعنا والتحضير للخطوة اللاحقة، وتعهد بأن يتصل مع السوريين ونبيه بري ليبلغ إليهم ما نوى القيام به وأخذ موافقتهم إذا أمكن على دخول قوات التنظيم للمنطقة، "وسوف أدخلها حتى إذا لم يوافقوا، وقد اضطر إلى خطف رجلي بزيارة قصيرة إلى دمشق. المهم الصمود في المواقع مدة ٤٨ ساعة وعلينا أن نبقى على اتصال دائم".

- بعد عودتك من دمشق نلتقي في بيتكم، نتابع العملية وتطوراتها، ونبلغ الصحافة أن أبو معروف مصر على وقف التمدد خارج المخيمات وانسحاب القوات الفلسطينية إلى مواقعها القديمة مقابل ضمان عدم تعرض مخيمات صيدا لاعتداءات خارجية.

- اقتراح جيد نعود ونلتقي في الثامنة صباحا.

ذهب عصام إلى مقره للاتصال بالقائد العام "أبوعمار" ثم التوجه إلى المختارة للقاء بزعيم الحزب التقدمي "جنبلاط"، وعدت إلى كفر جرة ومنها إلى جنسنايا عبر الطريق المحررة. وعبرت الشارع الرسمي فتحته الجرافات وأزالت المتاريس التي بنتها حركة "أمل". ومن جنسنايا تحركت إلى قرية القرية عبر طريقها الرئيس، وهناك التقيت الإخوة علاء وعبد المعطي. وبعد دراسة الموقف اتفقنا على استثمار الفوز ومتابعة الهجوم في النهار باتجاه قرية المحاربية وقرية بيصور، خاصة أن معلومات الاستطلاع تفيد بأن قوات "أمل" انسحبت من القريتين بالرغم من عدم تقدم قواتنا باتجاههما. وتم الاتفاق أيضا على تشكيل قوة شرطة عسكرية تتولى المحافظة على أرواح وممتلكات أهالي القرى ومحاسبة كل من يعتدي على المواطنين[١٢]. واتفق أيضا على تعزيز دفاعات المنطقة وحشد اكبر قدر ممكن من المليشيا والمباشرة فورا بنقل مقرات القيادة من المخيم إلى "القرى المحررة".

انتشر الخبر بسرعة في مدينة صيدا، وعمت الفرحة سكان مخيمي عين الحلوة والمية ومية، ولم ينتظر بعض الشباب الفلسطيني في صيدا وأبناء المخيمات أوامر أحد وتوجهوا بعد طلوع الشمس بأسلحتهم إلى قرى شرق صيدا لإسناد إخوانهم المقاتلين. وأصيبت الفصائل الفلسطينية الأخرى بصدمة، وتباينت مواقفها بين معاتب لعدم إشراكه في المعركة وبين مطالب بمعالجة الموضوع والتفاهم مع أبو معروف وعدم استفزاز السوريين. وكانت صدمة نبيه بري أشد وأقوى، وقد بقي ينفي لأيام سقوط المنطقة بيد قوات منظمة التحرير مع أن مراسلي الصحف ووكالات الأنباء تجولوا في المنطقة والتقطوا صور المقاتلين الفلسطينيين وصور أسرى "أمل" وصوروا آلياتها العسكرية المدمرة. واجروا

مقابلات مع أهالي القرى الذين اثنوا على القوات الفلسطينية لأنها لم تعتدي عليهم بل سهلت لهم الحركة باتجاه مدينة صيدا ولم تفرض قيودا على حياتهم.

حاولت "أمل" إطالة أمد المعركة عبر عمليات القصف المدفعي والتراشق بالرشاشات الثقيلة كما حاولت التقدم واستعادة موقعي المحاربية وبيصور إلا أنها فشلت. وتعرضت مواقع "أمل" في مغدوشة وحارة صيدا والقرى الشيعية القريبة من جنسنايا والقرية إلى قصف مدفعي فلسطيني ونيران رشاشات ثقيلة. ارتدت على "أمل" في ضغوط شعبية شيعية. وحمّل حزب الله وأهالي حارة صيدا وقرى خط التماس الجديد ذات الكثافة الشيعية قيادة "أمل" مسؤولية توريطهم وتعريض أرواحهم وممتلكاتهم وقراهم للخطر. وارتفعت أسهم حزب الله، وهو ما كان آنذاك التنظيم الشيعي الجديد المنافس لـ "أمل" وزادت شعبية هذا الحزب في صفوف الفلسطينيين واهالي صيدا خصوصا بعد اللقاءات المتعددة التي عقدها قادة حزب الله مع قيادة حركة "فتح" والجبهة الديمقراطية في منزل مصطفى سعد ومنزل الشيخ ماهر حمود على عدم التعرض للمدنيين من أبناء الطائفة الشيعية.

لاحقا نجح أبو معروف ووليد جنلاط في إقناع قيادة "أمل" والسورين بتسليم المنطقة لقوات الحركة الوطنية اللبنانية بقيادة التنظيم الشعبي الناصري، وتعهدا أن يضغطا على الفلسطينيين لإخراجهم من المنطقة وإعادتهم إلى المخيمات. ودخل الطرفان الفلسطيني والوطني اللبناني في نقاش معقد حول شروط الانسحاب وسبل حماية المخيمات استمر بضع أيام وفرت للقوات الفلسطينية فرصة تحصين مواقعها الجديدة وتعزيز تواجدها في المواقع الجديدة.

في حينه أصدر أبوعمار قرارا بتثبت القوات الفلسطينية في المواقع الجديدة وعدم الانسحاب منها. ورفض أبو عمار تسليم المنطقة لقوات التنظيم الشعبي الناصري حتى بصيغة مسرحية، لكنه في النهاية لم يعارض تواجدها بجانب القوات الفلسطينية وليس بديلا لها.

بعد أقل من ٧٢ ساعة أرسل التنظيم الشعبي الناصري إلى المنطقة بقرار من أبو معروف قوة عسكرية كانت محمولة بطريقة استعراضية على ظهر عدد من السيارات المسلحة. وقمنا، بالرغم من اعتراض أبوعمار، بتمويه المقاتلين الفلسطينيين بشعارات وملابس قوات الشهيد معروف سعد. وارتفعت درجة التوتر السوري من دور الجبهة الديمقراطية في المعركة. وزادوا مضايقاتهم على لقيادة الجبهة الديمقراطية في دمشق والبقاع.

هوامش الفصل الثاني

١) ظل تنظيم "فتح- المجلس الثوري" (جماعة أبو نضال) في نظر قيادة م. ت. ف. على أنه تنظيم ارهابي مشبوه يعمل في خدمة أجهزة المخابرات الاقليمية والدولية. وبعد انشقاق حركة "فتح" وتشكيل جماعة "فتح-الانتفاضة" بزعامة أبو موسى وأبو خالد العملة التحقت مجموعة من ضباط "فتح" بقيادة العقيد أبو عمر بجماعة "المجلس الثوري"، وحاولت المجموعة فلسطنة تنظيم "المجلس الثوري" في لبنان، وساهموا في الدفاع عن المخيمات. وخلال التحضير لمعركة شرق صيدا، أبدى أبو عمر حماسا شديدا للمشاركة وفعلا شاركت قوات "المجلس الثوري" في المعركة وساهمت في طرد قوات "امل" من شرق صيدا ومغدوشة،. وبعد فترة وجيزة من المشاركة، اختفت آثار أبو عمر وكوادر المجموعة وعددهم قرابة ٢٠. لاحقاً، علم أنهم أعدموا بأمر من صبري البنا "أبو نضال" شخصيا، بتهمة اقامة علاقات مع العرفاتيين والعمل لصالحهم. وتجدر الاشارة إلى أن عمليات التصفية الجسدية للخصوم والمعارضين كانت تعتبر عملا ثوريا في أعراف أبو نضال ومجموعته.

٢) لطفي عيسى: التحق بالجبهة الديمقراطية من بداية تأسيسها عام ١٩٦٩وتدرج في تولي المسئوليات في قوات الجبهة وصار عضوا في قيادتها العسكرية. ساهم في جميع معارك الدفاع عن الشعب والثورة في الاردن ولبنان، عرف بشجاعته وميدانيته. تم اغتياله يرجح أن يكون بسبب إعلانه تأييد تيار التجديد والديمقراطية الذي تشكل في الجبهة الديمقراطية عام ١٩٩٠ والذي انشق لاحقا وشكل الاتحاد الديمقراطي "فدا" تنظيما مستقلا وخشي قاتلوه ان يمتد الانشقاق إلى القوات.

٣) اشتهر أبو عمار بحبه معرفة التفاصيل وولعه بالتدخل في كل صغيرة وكبيرة. وكان المقربون يحاولون اشباع رغبته بكتابة التقارير التفصيلية. وكان يهتم بها بالرغم من أن بعضها تفصيلي جدا وليس ذا قيمة.

٤) اهتمت أجهزة الأمن الفلسطينية كثيرا بأن يخترق أحدهما الآخرين. وكثيرا ما اعتمدت العلاقات الشخصية والعشائرية في إحداث الاختراقات الامنية المتبادلة .

٥) مصطفى سعد مواليد مدينة صيدا، امضى طفولته وشبابه المبكر في المدينة وهو على دراية تفصيلية بالقرى والناس وبتلال وهضاب المنطقة. ومع فقدانه بصره، ظل مصطفى سعد يتميز بذاكرة قوية، وكان يحفظ عن ظهر قلب أسماء التلال والوديان في محيط مدينة صيدا. وأظهر خلال نقاش الخطة ذاكرة قوية تختزن معرفة تفصيلة.

٦) يمتلك المرحوم رفيق الحريري، وهو من صار رئيس وزراء لبنان، شبكة كبيرة من المشاريع الانتاجاية الصناعية والتجارية والسياحية في لبنان، بعضها في منطقة صيدا مسقط رأسه. وخلال الحرب الاهلية، تعطل عمل معظم المصانع وأوكل في منطقة صيدا للتنظيم الناصري مسؤولية حمايتها من التخريب. وقدم مساعدات مالية سخية للتنظيم. في حينه، ركزت قوات الثورة على ارض احد المصانع وفوق اسطح مبانيه بعض أسلحة الاسناد، وتم الانسحاب منه بعد انتهاء المعركة مباشرة.

٧) خلال احتلال القوات الإسرائيلية لمدينة صيدا تعرض منزل مصطفى سعد إلى عملية تخريبية كبيرة استهدفت تفجير المنزل على من فيه. واسفر الانفجار عن استشهاد طفلته نتاشا، ونجا هو باعجوبة، حيث كانت اصابته بليغة طالت انحاء مختلفة من جسدة وشوه وجهه وفقد فيها الابصار في عينيه. ولم يحمل القضاء اللبناني جهة محددة مسؤولية الحادث. لاحقا اشار أبو معروف إلى تورط القوات اللبنانية في الحادث.

٨) يقع قصر رئيس الجمهورية اللبنانية الاسبق كميل شمعون في منطقة السعديات على شاطئ البحر على طريق صيدا بيروت. في بدء الحرب الاهلية، احتلته القوات الفلسطينية وتم نهبه واحراقه

وتدميره. ولم تتمكن القيادة الفلسطينية من المحافظة على سلامته. ولا يزال آثر القصر شاهدا على الحرب وبشاعتها.

٩) مدينة صيدا احدى المدن اللبنانية الكبيرة، غالبية سكانها من الطائفة السنية، وفيها اقلية مسيحية واخرى شيعية. تتمركز الأخيرة في الحي الشمالي الشرقي من المدينة الذي يعرف باسم "حارة صيدا". لفترة طويلة، بقيت الحارة منضبطة لقيادة مصطفى سعد زعيم المدينة، لكنها تمردت إلى حد ما بعد صعود دور حركة "أمل" وتحولها بمساعدة السوريين إلى القوة الرئيسية الأولى المهيمنة على معظم المناطق الوطنية عسكريا وسياسيا. خلال حرب المخيمات، هددت قوات "فتح" بتدمير حارة صيدا وتهجير اهلها في حال اقتحام اي مخيم فلسطيني.

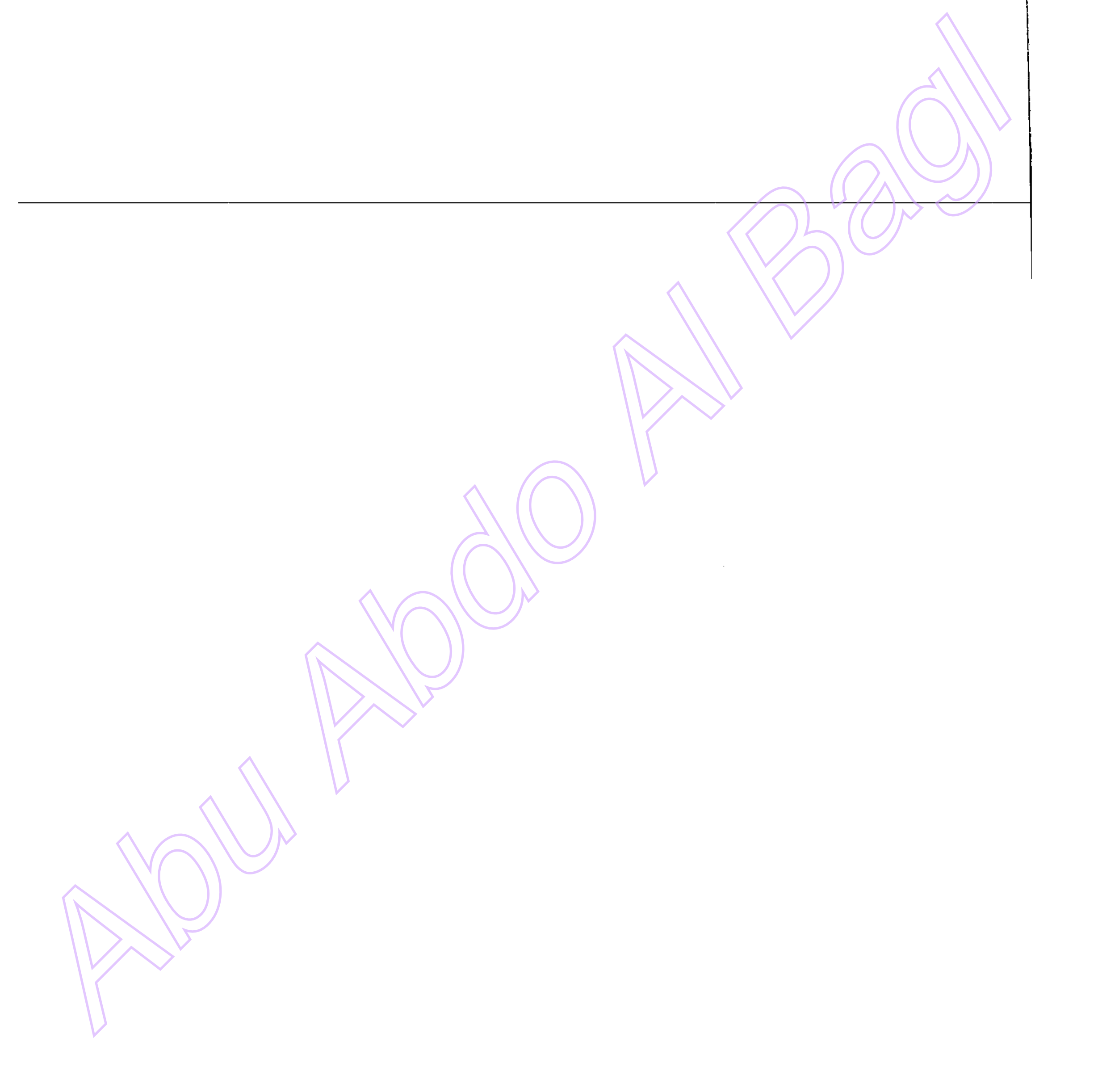
١٠) يحيط بمدينة صيدا من جهة الشرق عدد من القرى المسيحية اهمها واكبرها مغدوشة وجنسنايا والقرية وعين الدلب، وخلال الحرب الاهلية، تعرض اهلها لبعض عمليات الارهاب والتنكيل، وهاجر معظمهم إلى المناطق المسيحية وبعضهم إلى خارج لبنان. في حينه، تدخل التنظيم الناصري ووفر الحماية والامان لمن بقي. وظلت علاقات وجهاء القرى ورجال الدين فيها حميمة مع القوى الوطنية اللبنانية، وعاش اهلها حياتهم الحرة سنوات طويلة، لكنهم فقدوها بعد خضوع قراهم لسيطرة حركة "أمل"، ومنعوا من بيع المشروبات. وخلال التحضير لطرد "أمل" منها، أصر قائد القوة الفلسطينية المهاجمة على حمل كمية لا بأس منها من العرق. وفي أول لقاء له بمختار القرية ووجهائها وزعها عليهم كهدية: وقال لهم نحن نؤمن بان الدين لله والأرض للجميع.

١١) بفعل دور الجبهة في مواجهة حروب "أمل" على المخيمات، فرضت الإستخبارات السورية إجراءات استثنائية ضد حركة كوادر وقيادة الجبهة في المناطق اللبنانية الخاضعة لسيطرتها. وبعد مساعدة قدمتها كوادر الجبهة إلى أبو جهاد في الانتقال من بعلبك إلى طرابلس، شددت سوريا إجراءاتها واعتقلت عصام عبد اللطيف عضو المكتب السياسي للجبهة، وأصبح عدد آخر من قيادة الجبهة مطلوبا للسوريين. وكنت واحدا من المستهدفين من السوريين وجماعة أبو موسى، وأقمت في منطقة صيدا ولم أتحرك خارجها فترة زمنية طويلة استمرت عمليا حتى تاريخ مغادرتي لبنان عام ١٩٨٨.

١٢) تم تعيين الرفيق أبو سمرة قائد قوة الشرطة العسكرية المشتركة. وحملت القوة اشارات التنظيم الناصري. وكان تعيين أبو سمرة مدار نكته كونه لون الجلد اسود، وفي سياق المداعبة كان يقال له من الاصدقاء اشهد انك لبناني اصيل أبوك لبناني وأمك من السنغال.

الفصل الثالث

معركة مغدوشة
خلطت الاوراق واستفزت الأجهزة السورية


Abu Abdo Al Bagl

معركة مغدوشة

خلطت الاوراق واستفزت الأجهزة السورية

عرفات شدد على متابعة الهجوم وطر "أمل" من البلدة

بعد احتلال القوات الفلسطينية بلدة جنسنايا وقرى شرق صيدا المجاورة لها بسهولة، حاولت حركة "أمل" استعادة المواقع التي خسرتها لكنها فشلت في استرداد اي موقع، وارتفعت معنويات الفلسطينيين في مخيمي عين الحلوة والمية ومية والمخيمات المحاصرة في بيروت والجنوب. وتحرر المقاتلون وقوات المليشيا الشعبية في منطقة صيدا من عقدة الذنب بالتقصير ازاء نجدة اخوانهم في مخيمات شاتيلا وبرج البراجنة والرشيدية. وعادت لهم ثقتهم بانفسهم وقيادتهم وبقدراتهم القتالية التي تزعزعت بعد حرب اسرائيل على لبنان عام ١٩٨٢[١]، وبعد اقتحام قوات اللواء السادس في الجيش اللبناني وعناصر "أمل" مخيم الداعوق المجاور لشاتيلا وفشل الفصائل في فك الحصار عن المخيمات وتزويدها بالتموين.

الى ذلك، انتعشت معنويات اهل مدينة صيدا وجمهور التنظيم الناصري وباقي القوى الوطنية والاسلامية اللبنانية في جميع انحاء الجنوب، خصوصا أن عنجهية قيادة وكوادر "أمل" كانت قد مست كرامتهم ومنع بعضهم، وضمنهم كوادر في حزب الله، من الوصول الى بيوتهم في مدينة صور وقراها واعتقل آخرون وأهينوا على الحواجز.

ولم يتردد مقاتلو وكوادر وكبار ضباط "فتح" والجبهة الديمقراطية في التباهي في عين الحلوة وفي علاقاتهم مع كوادر ومقاتلي جبهة الانقاذ الفلسطينية وعبر اجهزة الاتصال، بالانجاز وبحسن التخطيط ودقة التنفيذ وسلاسة المعركة، وباهمية النتائج التي تحققت، وتلقوا عبارات الثناء والمديح من الصيداويين قبل ناس المخيم.

وقبل استكمال عمليات التمركز والسيطرة في قرى شرق صيدا، طغت مسالة تحرير بلدة مغدوشة وطرد قوات "أمل" والجيش اللبناني على ما عداه في تفكير قيادتي "فتح" والجبهة الديمقراطية العسكريتين في لبنان، ولم يكن هذا مجرد ترجمة للمقولة

العسكرية المعروفة التي تؤكد أهمية استثمار الفوز ومتابعة الهجوم، بل كان ضرورة وطنية، هدفها تعطيل قدرة قيادة "أمل" عن الرد من مغدوشة والضغط عسكريا على مخيمي عين الحلوة والمية ومية وتهجيرهما. خاصة ان قيادة "أمل" أعلنت النفير العام في الجنوب، وبدأت بتحشيد قواتها في بلدات عنقون والغازية ومغدوشة ومحيطها، ورفعت وتيرة ضغطها على مخيم الرشيدية ومخيمات بيروت.

وفي اللقاءات اليومية المتواصلة بين قيادتي الديمقراطية و"فتح" في لبنان تم الاتفاق مبدئيا على أمرين اساسيين: الاول مستعجل، وهو ابلاغ وجهاء حارة صيدا ومشايخها ومختار الغازية رسالة مباشرة بواسطة ابو معروف والقوى الوطنية اللبنانية واضحة تقول ان اعتداء "أمل" على المخيمين سيتم الرد عليه من قوات "فتح" والجبهة بالهجوم على حارة صيدا وبلدة الغازية. وإن طبيعة الهجوم والاعمال العسكرية الفلسطينية ضد الحارة والغازية وحجم التدمير تتقرر حسب اعمال قوات "أمل" ضد الفلسطينيين في المخيمين والمخيمات الاخرى، وابلاغ حزب الله ومشايخ الشيعة، والجماعة الاسلامية التي يتزعمها الشيخ ماهر حمود والمقربة من حزب الله ايضا، ان القيادة الفلسطينية المركزية في تونس لن تسمح بسقوط اي مخيم، واصدرت أوامر للقوات في منطقة صيدا بالرد بكل قوة وبكل الوسائط المتوفرة على اي عمل تقوم به "أمل" يغير في وضع المخيمات.

والامر الثاني، الشروع في جمع المعلومات عن قوى "أمل" والجيش اللبناني في بلدة مغدوشة ومحيطها ومباشرة عمليات الاستطلاع بهدوء، والتحضير لعقد اجتماع خاص بين قيادتي التنظيمين لمناقشة عملية احتلال مغدوشة وطرد قوات "أمل" منها، ووضع خطة هجوم تفصيلية، وتوزيع المهام القتالية بدءا من حشد القوى والوسائط وانتهاء بتحديد ساعة الصفر، واعتبر هذا الامر الثاني، ليس ملحا بحيث يمكن تأجيله لبضعة أيام او أسابيع ،على أن لا يمتد التأجيل أسابيع كثيرة.

ولم يكن مصطفى سعد زعيم صيدا بحاجة لمن ينبهه الى ضرورة تحذير "امل" في المنطقة من نتائج الاعتداء على الفلسطينيين في صيدا ومخيم عين الحلوة. وبادر هو فاستدعى مختار بلدة الغازية وعددا من شخصيات الحارة وحذرهم من نتائج اعمال قوات "أمل" السلبية في الجنوب وبيروت على وضع أبناء الطائفة الشيعية في منطقة صيدا[٢]. وبالغ أبو معروف في الحديث عن الاخطار التي تحيط بالحارة وبلدة الغازية وابدى تخوفه من المستقبل، وقال مرات كثيرة بمناسبة وبدونها انه أوقف مخططات خطيرة لجماعة عرفات كانت تستهدف قصف بلدة الغازية وحارة صيدا وعنقون بالمدافع والراجمات الثقيلة.

وترافق حديث ابو معروف مع ترويج أجهزة أمن "فتح" والجبهة الديمقراطية خبرا يقول إن قوات المنظمة تلقت اوامر من القائد العام عرفات تعتبر مخيم عين الحلوة خطا احمر يتطلب الرد على اعتداءات "أمل" بالوسائل المتاحة كلها. وتأكيدا للخبر حركت

" فتح " بضع مجموعات الى منطقة جسر سينيق على طريق صور في مواجهة بلدة الغازية، واخرى محمولة وراجلة باتجاه حارة صيدا. واستدعى عبد المعطي السبعاوي مدير عمليات " فتح " وكمال مدحت مسئول الامن مختار بلدة الغازية وابلغا إليه شفويا مضمون الانذار الفلسطيني.

بعد أيام قليلة استكملت قوات "فتح" والجبهة الديمقراطية تمركزها وسيطرتها على جميع تلال منطقة شرق صيدا وطرقها، وسهل تواجد قوات التنظيم الناصري ومن رغب من فصائل منظمة التحرير الفلسطينية في انحاء المنطقة عملية السيطرة العسكرية والامنية. واقيمت تحصينات قوية قادرة على التصدي لقوات "أمل" اذا فكرت في استعادة مواقعها التي فقدتها. وفي سياق ضبط الوضع اقيمت حواجز مشتركة شارك فيها التنظيم الناصري لمنع عمليات النهب والتعدي على ممتلكات المواطنين[٣]. واتفق الطرفان "فتح" والديمقراطية على التفرغ لعملية احتلال مغدوشة والشغل الجدي لطرد قوات "أمل" منها.

في منتصف تشرين الاول اوكتوبر ١٩٨٦ عقد اجتماع ثنائي ضم أعضاء القيادتين العسكريتين بحثت فيه خطة الهجوم على مغدوشة ومحيطها. وكان جميع الحاضرين على قناعة ان الفشل في معركة مغدوشة ممنوع، ويعرض الانجاز المعنوي والسياسي والميداني الذي تحقق في شرق صيدا للتبخر. والاهم اقروا ان خسارة معركة مغدوشة تعني تهجير فوري لسكان مخيمي عين الحلوة والمية ومية، ناهيك عن النتائج السلبية على المخيمات المحاصرة وعلى أهل صيدا ودور ابو معروف قائدا للمنطقة، وقد أقرّ المجتمعون ما يلي: أولا الحصول على موافقة خطية من القائد العام أبوعمار، خاصة وان تبعات العملية ونتائجها ورد فعل "امل" والقوات السورية قد تكون قاسية ومدمرة وقد تلجأ الى تهجير مخيم عين الحلوة لفترة. وأكد قادة فتح، عصام وعبد المعطي وعلاء وكمال مدحت ان موافقة ابو عمار موجودة قبل الهجوم على جنسنايا والقرى الاخرى. وقد تجددت الموافقة بعد تحريرها ونقل عن ابو عمار انه قال بعد الاشادة بالانجاز في جنسنايا والقرى الاخرى: " لا تنسوا مغدوشة، مخيم عين الحلوة يبقى في خطر دون طرد "أمل" منها". وأمر باستثمار الفوز المهم والشروع فورا ودون تردد في التحضير لاحتلال مغدوشة وباسرع وقت ممكن وطلب ابلاغه ساعة الصفر. وتحدث مندوبو الديمقراطية عن موافقة المكتب السياسي على العملية. وأكد فهد سليمان عضو المكتب السياسي ان الموافقة تمت سابقا في اطار الحديث عن معركة جنسنايا وقرى شرق صيدا، وانه شخصيا ابلغ المكتب السياسي بان الهجوم على جنسنايا والقرى المحيطة بها جزء من معركة اوسع تشمل مغدوشة، وان الخطر على مخيمات صيدا لا يزول الا بطرد قوات "امل" من بلدة مغدوشة ومن المرتفعات المحيطة بها المسيطرة على المخيم والمدينة والمنطقة.

ولم يتوقف الطرفان مطولا امام موقف مصطفى سعد ووليد جنبلاط من العملية الجديدة، وكان الجميع على قناعة بانهما سوف يرحبان بالخطوة وسوف يشددان على ضمان النجاح كما فعلا في معركة شرق صيدا، وكلاهما يعرف اهمية موقع بلدة مغدوشة في السيطرة على منطقة صيدا وفي تحديد اتجاهات الصراع العسكري في الفترة اللاحقة. واتفق المجتمعون على:

أولاً، ممدوح وابو علي عصام بالاتصال بهما ووضعهما في الصورة اولا باول، والطلب اليهما تحضير الوضع لتقديم الغطاء السياسي للعملية كما حصل في شرق صيدا.

ثانيا، تشكيل غرفة عمليات مشتركة خاصة بعملية مغدوشة، يتواجد فيها ضباط مناوبون على مدار عقارب الساعة، ويلتقي فيها يومياً اعضاء القيادة المعنيين بالاشراف على العملية وقيادتها، عبد المعطي ومحمود خليفاوي. واتفق على أن يتم تزويد هذه الغرفة يوميا بالمعلومات الامنية والسياسية والعسكرية التي يتم تجميعها، وتتولى الغرفة تعميم المعلومات وتوزيعها على الافراد والجهات المعنية واطلاع قيادة الطرفين اولا بأول على مسار عملية التحضير. واسند لغرفة العمليات ايضا متابعة جميع الشئون الادارية واللوجستية، على ان تتولى إدارة الشئون الإدارية في "فتح" تغطية الجوانب المتعلقة بالتموين والوقود والمستلزمات الاخرى.

ثالثا، إحاطة العملية بسرية كاملة، وعدم مفاتحة اي جهة فلسطينية بالتوجه الرسمي، وتجنب احتمال تسريب الخطة للسوريين ومنها إلى "أمل". وعدم إشراك أي تنظيم آخر في مهام الاستطلاع. وتأجيل بحث اشراك القوى الأخرى في عملية الهجوم إلى مرحلة لاحقة قبل ساعة الصفر بوقت قصير. واعتبار اي حديث في الموضوع مع اي من القوى الفلسطينية الاخرى مشاورات اولية. والتمويه بكل الوسائل المتاحة على العملية وتضليل "أمل" والإستخبارات السورية بالحديث عن التحضير لهجوم فلسطيني واسع على حارة صيدا وقرية الغازية والتحرك باتجاه مصفاة الزهراني والسيطرة على المثلث وشق الطريق للرشيدية ومخيمات صور.

رابعا، تم تقسيم بلدة مغدوشة الى ثلاثة محاور رئيسية: الاول، الجهة الشرقية من البلدة من آخر بيت على طريق عنقون وحتى الكنيسة وسط البلدة. واتفق ان تتولى قوات "فتح" مهمة الهجوم على هذا المحور، ويسبقه استطلاع الاحياء من داخلها بواسط عناصر شيعية ومسيحية من ابناء البلدة واقاربهم، وتسريب عناصر استطلاع الى داخل البلدة حيث أمكن، وعدم الاكتفاء بعمليات الرصد من بعيد وجمع المعلومات بالواسطة. المحور الثاني يبدأ من اطراف بلدة مغدوشة الغربية وينتهي بساحة بالكنيسة ووسط البلدة، وتكون الكنيسة نقطة تلاقي القوات المهاجمة من الشرق والغرب. وتقرر مشاركة الجبهة الديمقراطيبة في هذا المحور بقوة قوامها فصيل. واختارت الجبهة أبو صلاح الغزاوي قائدا للفصيل على أن يعمل تحت إمرة قائد المحور.

خامسا، في ضوء عمليات الاستطلاع وجمع المعلومات يتم تحديد نوع وحجم القوى والوسائط اللازمة للمعركة ككل. وكان واضحا ان الحديث يدور حول تولى قوات "فتح" بصورة مستقلة مهمة السيطرة على المحور الشرقي وتطهير الاحياء الواقعة في نطاقة. والعمل على حشد القوى والوسائط اللازمة لانجاز المهمة وتقريبها من خطة الهجوم في الوقت المتفق عليه. ورصد قوة احتياطة للدعم والاسناد وتعويض الخسائر وتبديل القوات والتثبت في المواقع الجديدة بعد احتلالها. الى ذلك، تتولى قوات الجبهة الديمقراطية الشق الثاني من المهمة اي الهجوم من المحور الغربي والسيطرة على تلة السيدة والتقدم باتجاه الكنيسة وتتحمل واجب حشد القوى والوسائط اللازمة للمهمة من بدايتها وحتى نهايتها كما هو مطلوب من حركة "فتح" في المحور الاول، واتفق على توفير وسائل اتصال بين المجموعات.

سادسا، يتم حشد قوة الاسناد المدفعي اللازمة للمعركة، ويتولى ضباط المدفعية حشد المدافع والراجمات وتحديد مواقع تمركزها ونقلها الى مرابضها المستحدثة بالتدريج، والشروع في عمليات الرصد وتسجيل احداثيات الاهداف المنوي ضربها في كل مرحلة من مراحل الهجوم، بما في ذلك طرق الامداد الخلفية ومواقع قوات الجيش اللبناني المتركزة في المنطقة والتعامل معها باعتبارها جزء من قوة "أمل". وشدد الجميع على ايلاء مسألة سلامة السكان المدنيين خاصة أهل مغدوشة أهمية استثنائية.

سابعا، يخصص للمعركة ككل قوة احتياط مركزية تحشد في مواقع قريبة من اطراف البلدة.

ثامنا، تتولى "فتح" مهمة توفير الذخائر اللازمة وتزويد جميع المقاتلين بالمواد التموينية على ان تزود مجموعات الهجوم باحتياطات تكفي مدة ٤٨ ساعة.

بعد اقرار هذه التوجهات، عينت الجبهة الديمقراطية المقدم محمود خليفاوي قائدا لقوة الجبهة التي ستشترك في الهجوم، وثبتت "فتح" المقدم عبد المعطي قائدا لقوة "فتح". وانطلق محمود وعبد المعطي في التنسيق وكانا يقدمان لغرفة العمليات المشتركة يوميا حصيلة العمل في مجالاته المختلفة.

التمهيد للمعركة تم بنجاح سياسيا وعسكريا

انطلق خليفاوي وعبد المعطي في عملهما، وثبتا احد مقرات "فتح" في المخيم بمثابة غرفة عمليات خاصة بمتابعة عملية مغدوشة. وشرعا في عمليات الاستطلاع وجمع المعلومات عن مواقع "أمل" وطبيعة انتشار قواتها في البلدة، واستثمرا جميع الطاقات وشبكة العلاقات المتوفرة لدى الطرفين، وضمنها ارسال عناصر لبنانية الى داخل مغدوشة بذرائع مختلفة. وتذكر خليفاوي اصدقائه القدامى في بلدة مغدوشة من

اعضاء وانصار الحزب القومي السوري الاجتماعي والحزب الشيوعي اللبناني ومنظمة العمل الشيوعي. في هذا السياق،اجرى اتصال مع احد الاصدقاء القدامى، عضو سابق في الحزب القومي السوري الاجتماعي من ابناء مغدوشة ونصير للمقاومة الفلسطينية ومتضامن مع الشعب الفلسطيني وكنيته ابو جهاد، فاتحه بالمهمة وطلب مساعدته. ولم يتردد ابو جهاد في الموافقة على القيام بكل يلزم في حدود قدرته وامكاناته المادية والاجتماعية وعلاقاته الشخصية كما قال. وابو جهاد رجل قوي البنية في اواخر العقد الخامس من العمر، ميسور الحال بيته يقع في أطراف مغدوشة الشرقية.

وافق ابو جهاد على المشاركة في المهمة من منطلقات وطنية لبنانية وقومية وانسانية ودون اي مقابل. ولم يفكر الرجل في الأضرار المحتملة التي قد تلحق به وبأسرته في حال انكشاف امره. ورفض بالمطلق تقبل اي مساعدة مالية حتى بحدود تغطية نفقات تحركاته. لم يحتمل هذا الانسان الشريف قهر "أمل" لابناء بلدته واللبنانيين في الجنوب وفي بيروت. كما لم يحتمل حصارها للمخيمات وتنكيلها بالفلسطينيين لمجرد انهم فلسطينييون. وشرع ابو جهاد في عمل كل ما يطلبه صديقة محمود خليفاوي. مشى زواريب مغدوشة زاروبا بعد زاروب، وأحصى مواقع حركة "أمل" والجيش موقعا بعد موقع. وبالتعاون مع محمود وضباط آخرين، تم تحميل المعلومات عن مواقع "أمل" على الخرائط العسكرية. ورصد ابو جهاد نوع اسلحة قوات "أمل" والجيش والمعدات، وحصى عدد الافراد وراقب عاداتهم اليومية وضمنها نظام تبديل الحرس وطرق الامداد والتموين وتوزيعه على المواقع.

ولم يتوقف جهد ابو جهاد ابن مغدوشة عند هذا الحد، بل كان يحضر يوميا في الصباح الباكر من مغدوشة الى مخيم عين الحلوة والمية ومية، ويقوم بجولة في اطراف مغدوشة من جهة بلدة درب السيم وجبل الحليب. وكانا يصطحبان معهما قادة الوحدات والسرايا والفصائل والمجموعات المقرر مشاركتها في الهجوم وكان ضمنهم ابو فادي وابو سمرة. وانتقل العمل خطوة نوعية متقدمة بناء على اقتراح ابو جهاد، حيث استقبل في منزله عناصر الاستطلاع بعد ان ارشدهم على الطبيعة وطريق الوصول الى المنزل وكيفية تجنب الاحتكاك بمواقع قوات "أمل" والجيش. كانت ثقة ابو جهاد بنفسه عالية وثقته بمحمود خليفاوي وكوادر الجبهة العسكرية أعلى. تجول معهم كضيوف واصدقاء في وضح النهار في شوارع بلدة مغدوشة وزواريبها، ولم يخشى انكشاف امره، وابدى استعدادا لاستقبال اعداد كبيرة من الكوادر والمقاتلين في منزله وان يرافقهم ساعة الهجوم. الى ذلك، انجزت مجموعات حركة "فتح" مهام الاستطلاع بنجاح واستعان عبد المعطي السبعاوي بعناصر لبنانية مسيحية وشيعية زارت مغدوشة بعضها وصلها من الجنوب وآخرون من بيوت والجبل[٤]. وفي ضوء المعلومات التي تم تجميعها من داخل مغدوشة وخارجها تم تحديد ثلاث محاور للتقدم والهجوم.

كان المحور الاول هو محور بساتين درب السيم الشرقية باتجاه بيت ابو جهاد واطراف البلدة الشرقية. وبالرغم من طول المسافة ووعورة الطبيعة كان لا بد من تحرك المقاتلين على ارجلهم بكامل الأسلحة والمعدات الخفيفة والثقيلة، حيث يتعذر نقلها بأي واسطة اخرى. واتفق على بناء نقاط ارتكاز متقدمة في اطراف البلدة الشرقية والشمالية الشرقية، وتم نقل كثير من الاسلحة والمعدات اليها بالتدريج وقبل المعركة.

اما المحور الثاني فكان اعقد واصعب، حيث اتضح ان لا مناص من صعود منحدر سحيق يفصل تلة تمثال السيدة العذراء عن وادي درب السيم. المنحدر غير مطروق يخلو من الطرق والمسارب الراجلة ويتعذر صعوده بسبب انحداره الشديد. انه جبل عال واقف في الطريق بلا سفوح أو منحدرات، أشجاره الحرجية كثيفة نما بينها شجيرات واشواك تجعل حتى حركة الماعز شبه مستحيلة، اما حركة الانسان فكانت مغامرة ونسبة نجاح من يحاول الصعود منها ضئيلة جدا ويعرض حياته لخطر السقوط الى قعر الوادي.

واقر الاجتماع محور عمل ثالث آكثر خطورة شبيه بمغامرة اخفاء الكوادر والمقاتلين في بلدة جنسنايا. وبالرغم من إقرار الجميع بان الظرف مختلف ونسبة الخطر في مغدوشة اعلى بحكم الطبيعة الجغرافية وطبيعة انتشار قوات "أمل" والجيش اللبناني، الا انه لا مناص من ارسال طليعة الهجوم الى داخل البلدة قبل ٤٨ـ٢٤ ساعة من ساعة الصفر. وقد شجع وجود ابو جهاد ابن مغدوشة على اعتماد هذا التوجه خاصة عندما ابدى استعداده لاستقبال قسم من عناصر الاستطلاع ومجموعات الهجوم في منزله وتوزيعها بهدوء في بيوت فارغة مجاورة لمواقع "أمل". ولاحقا استطلع ابو جهاد لهذا الغرض بيوت فارغة في محيط مواقع "أمل" وكان بعضها في المباني ذاتها التي تتمركز فيها قوات "أمل".

وبجانب هذه المحاور الثلاثة الرئيسية تبين ان هناك ضرورة لحشد قوة هجوم على السفوح الغربية لبلدة مغدوشة للسيطرة على طريق مغدوشة الرئيسي من جهة صيدا ودرب السيم ومنع قوات "أمل" واللواء السادس من التقدم على هذا المحور وتطويق القوات في محور تمثال السيدة. ومن جهة اخرى مشاغلة قوات قوات "أمل" والجيش في محيط زغريا ومرتفعات الغازية وتلة الزنزبيل، ومساعدة قوة الجبهة الديمقراطية المكلفة بالسيطرة على المحور الغربي الممتد من الكنيسة وسط البلد الى تمثال السيدة غربها.

وبموازاة العمل الميداني جرى ابلاغ ابوعمار بالتوجه والوقت التقريبي، ورحب بالخطة واصدر الأمر الشفوي فورا على ان يليه أمر خطي يوفر الغطاء الوطني للعملية. وراح عرفات يتابع التحضيرات اولا باول. وبدأ يلح يوميا على قيادة "فتح" والديمقراطية في لبنان الاسراع في تنفيذ المهمة، وكثيرا ما ساهم في التمويه على الهدف بالحديث عن استخدام الزوارق في الوصول عبر البحر الى مخيمات القاسمية وابو الاسود والبص

والرشيدية والبرج الشمال. كان يحض الجميع على العمل ويشدد على الصمود في شرق صيدا وفي كل موقع يتم السيطرة عليه. ولم يكن يكتفي بالحديث مع اعضاء القيادة الاولى وكان يتحدث مع قادة الوحدات في مواقعهم شرق صيدا ومع كوادر المليشيا والتنظيم.

الى ذلك، تحرك فهد سليمان الى دمشق في زيارة خاطفة وعاد في اليوم ذاته حاملا موافقة المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية على العملية. ولم يواجه فهد متاعب في انتزاع موافقة الرفاق وحمل مع الموافقة تشديدهم على أهمية عدم التسرع وضمان النجاح، ومحاولة اشراك الجبهة الشعبية في الهجوم وتوريطها في المعركة كي تتحمل مع الجبهة الديمقراطية جزءا من المسئولية عن نتائج المعركة وعن مشاركتها جماعة عرفات في هكذا عملية، ومواجهة قسما من رد الفعل السلبي المتوقع للمخابرات السورية.

وفي سياق عملية التحضير، التقيت وعصام مرات عدة مع وليد جنبلاط في قصر المختارة. لم يدخل وليد في مناقشة تفاصيل الخطة كما ناقش خطة شرق صيدا ويبدو ان ثقته بالتخطيط وبالقدرات الفلسطينية كما ظهرت في معركة جنسنايا وشرق صيدا جعلته يكتفي بالاستماع لعرض موجز للخطوات التحضيرية ومراحل الهجوم. وكان في كل مرة يؤكد، من جهة، استعداده لتوفير الغطاء السياسي اللبناني المطلوب للقوات الفلسطينية، ويشدد، من جهة اخرى، على ضمان نجاح العملية وعدم التعرض للقرى الشيعية المجاورة. وكان ويحذر من ان الموقف السوري من مغدوشة سوف يكون مختلفا عن الموقف من شرق صيدا، وتساهل السوريين إزاء جنسنايا سوف لا يتكرر في مغدوشة. وبيّن أن لديه معلومات تفيد بأنهم يعملون على استثمار الحركة والتمدد الفلسطيني خارج المخيمات في الحصول على موافقة أميركية واوروبية واسرائيلية للعودة الى بيروت والجبل وصيدا. وظل جنبلاط يحذر من مخاطر الفشل على الوضع الفلسطيني في لبنان وخاصة في مخيم عين الحلوة.

من جهته رحب مصطفى سعد بالعملية وقال أكثر من مرة أظن ان الهجوم على مغدوشة كان يجب ان يسبق الهجوم على جنسنايا وشرق صيدا، حيث تنبهت حركة "أمل" وقوة الجيش اللبناني المتمركزة في المنطقة على التوجهات الفلسطينية وحشدت قوات اضافية، وبات الهجوم واحتلال بلدة مغدوشة اكثر صعوبة. لكنه كان ايضا يختم الحديث في هذه النقطة بالاشادة بالانجاز الهام الذي تحقق في قرى شرق صيدا، ويشدد على ضمان النجاح في مغدوشة. وعندما عرضت امامه لتفاصيل الخطة، هبّ أبو معروف من مقعده وهتف: "الله اكبر! هذه خطة انتحارية غير مضمونة مبنية على عدم معرفة بطبيعة الارض"(٥).

وكرر أبو معروف تحذيره السابق من خطورة الصعود من درب السيم الى تلة الكنيسة والى شرق مغدوشة، وقال "انا اعرف المنطقة جيدا، الصعود نهارا مستحيل والصعود

ليلا يعرض الشباب للابادة نصفهم سوف تتكسر عضامهم من السقوط السحيق، والنصف الآخر تبيده قوات اذا قدر له وصول بيوت مغدوشة. جندي مقاتل من حزب الله او اللواء السادس يمكنه صد خمسين مقاتل وهم يتسلقون التلة، ببندقية صيد يمكن صد الهجوم".

واعترض زعيم التنظيم الشعبي الناصري ايضا على فكرة تقدم قوة من حركة "فتح" من درب السيم عبر الطريق الترابي الوعر الطويل الى شرق مغدوشة. واقترح البحث عن نقاط انطلاق بديلة حتى لو كانت أطول. لكننا لم نوافق ابو معروف على تحفظاته واكدنا ان نتائج الاستطلاع وجمع المعلومات تشير الى امكانية تنفيذ الخطة المقترحة بنجاح، خاصة ان قوات "أمل" سوف تفاجئ بالهجوم على مواقعها من داخل البلدة قبل الهجوم من الخارج.

بالاجمال يمكن القول ان قيادتي "فتح" والديمقراطية حصلتا على موافقة التنظيم الناصري وموافقة وليد جنبلاط ولم يجعل مصطفى سعد من تحفظاته شرطا على التنفيذ، واكتفى بالقول: "اللهم اشهد اني قد ادليت برأيي وقدمت نصيحة اخوية رفضها الجنرالات".

مع ارتفاع حدة التوتر الامني مع حركة "أمل" في بيروت والجنوب وشرق صيدا تزايد الحديث في الشارع واوساط القوى الفلسطينية واللبنانية حول الهجوم على حارة صيدا والغازية. وكثفت كوادر الجبهة الشعبية وجبهة التحرير الفلسطينية وجبهة النضال الشعبي والمجلس الثوري التوافد الى مقرات "فتح" والجبهة الديمقراطية في منطقة صيدا. البعض قدم لطرح فكرة تحرير بلدة مغدوشة وطرد "أمل" منها وابدوا استعدادهم للمشاركة في الهجوم، وطبعا لم ينسوا تكرار معاتبة قيادة "فتح" والجبهة لتفردهما في معركة شرق صيدا والتحذير من تكرار السلوك ذاته، وقد أنذرنا المعاتبون التفرد في مغدوشة يولد قطيعة كاملة.

في حينه تعاملت قيادة "فتح" والجبهة الديمقراطية في لبنان مع المسألة من منطلقات التردد والخوف من تسرب الخطة للطرف الآخر. ولعب النجاح في معركة شرق صيدا ونتائج الاستطلاع المشجعة دورا في استبعاد اشراك بقية الفصائل او بعضها على الاقل. شخصيا كنت ميالا لاشراك المجلس الثوري وتوريط اخرين في المعركة السياسية التي ستعقب المعركة العسكرية ليس من منطلق الاستجابة لطلب المكتب السياسي للجبهة بل لقناعتي بان هذه المعركة سوف تكون اصعب سياسيا وعسكرية. لكن الاخوة في "فتح" رفضوا هذا المنطق. وتم الاتفاق على الشروع في العد العكسي لتنفيذ خطة الهجوم، وأظهر خليفاوي وعبد المعطي قائدي المعركة تفاؤلا كبيرا بالنجاح.

وبعد التدقيق في خرائط البلدة ومحيطها والتمحيص النظري والميداني المبني على استطلاع مثابر وموثوق، تبين ان نسبة كبيرة من سكان مغدوشة غادروا البلدة

منذ زمن طويل، بعضهم غادر بحثا عن الامن، خاصة بعد سيطرة "أمل" على البلدة وآخرون غادروا بحثا عن لقمة العيش وتعليم الاولاد. واكدت التقارير ان عمليات الاستطلاع من الداخل تمت بسرية تامة ونجاح كامل، وتم جمع معلومات تفصيلية عن مواقع قوات "أمل" والجيش. وتعرف قادة الوحدات والسرايا والمجموعات المشاركة في الهجوم على أهدافهم وطرق التقدم نحوها. جميعهم تقريبا دخلوا البلدة واقتربوا من مواقع "أمل" والجيش وتفحصوا التحصينات والاسلحة الجماعية ونظام الحراسة. بعضهم نام في البلدة اكثر من ليلة وهناك أيضا من نام في مباني خالية مقابلة ومجاورة لمقرات حركة "أمل".

الى ذلك، أكد تقارير الاستطلاع اهمية التركيز من بداية المعركة على السيطرة على الطريق الرسمي الواصل من مدينة صيدا الى بلدة مغدوشة عبر درب السيم لتأمين عمليات الاسعاف والاخلاء والامداد بالمؤن والذخائر. واكد محمود ان التأخر في تحرير الطريق الرئيسي قد يسبب كوارث، ولا يمكن نقل جريح واحد اذا بقيت الطريق تحت سيطرة "أمل".

وبعد مناقشة التقارير والملاحظات تم الاتفاق في غرفة العمليات المشتركة على ان تخصص "فتح" ثلاث كتائب مشاة للمشاركة في الهجوم والتثبت في مواقع متقدمة باتجاه اهدافها المحددة. وان يتولى بديع سليمان ومحمد علي وابو الليل وجمال سليمان قيادة مجموعات الهجوم في المحاور الرئيسية. على ان لا يمس هذا الحشد الوضع القتالي على محور جنسنايا وقرى شرق صيدا، وسمح فقط باستبدال عناصر ومجموعات مختارة لاغراض تعزيز الهجوم على مغدوشة: الكتيبة الاولى مشاة مسلحة باسلحة خفيفة ومتوسطة وقواذف ار بي جي وقنابل يدوية، تتقدم بكامل سلاحها وتموينها الجاف نحو مغدوشة من درب السيم صعودا في الطريق الترابي، على ان تقوم بعملية التقرب تدريجيا قبل ٤٨ ساعة وتتمركز بين أحراش درب السيم واطراف مغدوشة، ولا بأس من تسريب مجموعات صغيرة قبل ٢٤ ساعة الى داخل البلدة اذا أمكن والتمركز في المباني الفارغة من السكان. وتم التشديد على الضبط والربط والتزام عدم الحركة في البلدة اطلاقا بانتظار ساعة الصفر.

وعلى الكتيبة الثانية الانتشار في المنطقة المتدة من اطراف درب السيم الغربية مرورا بالبساتين الواقعة بين مغدوشة والغازية وصيدا، وانتهاء بالشارع الرئيسي الواصل بين صيدا وصور من جسر سينيق في مواجهة الغازية. اما الكتيبة الثالثة فهي احتياط المعركة تتمركز في اطراف المخيم الجنوبية وجبل الحليب على ان يكون بعضها محمولا وسريع الحركة يتدخل في محاور القتال بناء على قرار غرفة العمليات وفق الحاجة الطارئة ويستخدم في تعزيز الهجوم وتطويره او في تبديل القوات.

الى ذلك، اتفق على ان تشارك الجبهة الديمقراطية بقوة قوامها كتيبتين وسرية مشاة، تكون اسلحتها بنادق ورشاشات خفيفة وقنابل يدوية متنوعة هجومية ودفاعية ودخانية. واقترح احدهم قنابل حارقة الا ان الاقتراح رفض وقيل لا ضرورة لاستخدام هذا النوع من القنابل في حرب المدن. واتفق على ان تتولى الكتيبة الاولى مهمة تطهير تلة السيدة اولا ثم تتجه شرقا نحو الكنيسة. وتم رصد مجموعات خاصة مهمتها مباغتة قوات "أمل" في محيط الكنيسة وتمهيد الطريق للقوات المتقدمة من المحورين الشرقي والغربي. وتتمركز الكتيبة الثانية في السفوح الغربية لتلة السيدة ومنطقة البنايات قيد الانشاء المواجهة للغازية جنوبا وتمثال السيدة شرقا. وتتولى تامين الطريق والتقدم باتجاه منطقة السيدة لمساندة قوة الكتيبة الاولى المكلفة بتطهير منطقة التلة والتمثال. وتلتحق سرية المشاة بقوة الاحتياط المركزي.

وأصر خليفاوي على توفير مئات الأمتار من الحبال القوية لاستخدامها عند الضرورة للتلسق الى تلة السيدة لتعزيز الهجوم او في عمليات الاخلاء في حال تعثر الهجوم على المحاور الرئيسية والتأخر في السيطرة على الطريق. في حينه استهجن البعض الفكرة الا ان محمود اصر عليها وامر بشراء الكمية المطلوبة. ولم يكتفي بتأمين المواد وامر باجراء تدريب عدد من الكوادر على التسلق على الحبال وصعود الجبال بالاحمال الثقيلة(٦).

وتقرر، كذلك توضيع عدد من اسلحة الاسناد الثقيلة رشاشات ومدافع مباشرة غير مرتدة في جبل الحليب شرق مخيم عين الحلوة على ان تكون موحدة في اطار خطة واحدة وتحت امرة قائد واحد، ويبنى لها مرابض محصنه تحميها من مدافع "أمل" والجيش والرشاشات الثقيلة المتمركزة في الجهة الشمالية والشرقية من مغدوشة. وانيطت بأسلحة الإسناد المشتركة مهمة تقديم الدعم للمجموعات المهاجمة والتصدي لاسلحة "أمل" الثقيلة وقطع طرق الامداد من جهة عنقون والنبطية. واسندت مهمة قيادتها لاحد ضباط الاختصاص. وتم الاتفاق على تشكيل قوة مشتركة من المدافع والراجمات الثقيلة واسندت مهمة قيادتها لاحد ضباط الجبهة من ذوي الاختصاص. وكلف قائد القوة بالشروع في توضيع المدافع وتسجيل الاحداثيات. وثبتت توجيهات بشأن استخدام هذه الاسلحة بحيث يتم فقط في حال الضرورة القصوى وان لا توجه نيرانها للمناطق المأهولة بالسكان.

واتفق مبدئيا على ان يتم الهجوم في حدود منتصف ليلة ٢٤ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٦، وان يبدأ من دون تمهيد مدفعي، كما اتفق على تحقيق المفاجئة بانطلاق الهجوم من الداخل اولا ومن الخارج ثانيا، على أن تتدخل المدفعية وأسلحة الإسناد في المرحلة الثالثة وعند اللزوم. وعلى ان تبدأ قوة الهجوم في التمركز في مواقعها القتالية داخل البلدة وفي اطرافها قبل ٤٨ ساعة. وان يتم ابلاغ وليد جنبلاط ومصطفى سعد ومحسن ابراهيم بالموعد وان يقال لهم هذا تاريخ غير نهائي قابل للتبديل حسب المعطيات التي تواجهنا. ويومها أرسل محسن رسالة شفوية قال فيها: "خذوا بالكم حسابات

مغدوشة لبنانيا وسوريا وعربيا واسرائيليا يختلف نوعيا عن حسابات معركة شرق صيدا. دققوا وزنوا خطواتكم، وفي جميع الحالات الفشل في معركة مغدوشة ممنوع ونتائجه كارثية على الجميع، لا اريد احباطكم بل اظهار حرصا شديدا على ضمان النجاح، فكروا طويلا قبل القرار". ووضع تحت الجملة الاخيرة خطيّ تشديد وليس خطا واحدا فقط.

احتلال مغدوشة حطم عنجهية قيادة "أمل" واعاد الاعتبار للمقاتل الفلسطيني

فجر يوم ٢٢ تشرين الثاني "نوفمبر" ١٩٨٦ أكدت غرفة العمليات المشتركة، "فتح" والديمقراطية، ان جميع وحدات الاسناد من المشاة والمدفعية والرشاشات انهت تمركزها في مواقعها المحددة. وفي المساء، قبل غروب الشمس تحرك عبد المعطي السبعاوي راجلا على رأس مجموعات الهجوم من قوات "فتح" باتجاه الاهداف المحددة. انطلقت القوة بهدوء وسرية تامة من درب السيم باتجاه نقاط التمركز في اطراف بلدة مغدوشة على المحور الشرقي. تبعتها في الليلة ذاتها مجموعات الجبهة الديمقراطية وعلى راسها محمود خليفاوي. وتحرك الرائد ابو سمرة قائد الكتيبة الثانية في قوات الجبهة ومعه أبو فادي على رأس القوة المكلفة بالالتفاف على مواقع "أمل" في محيط الكنيسة. وكان ابو جهاد ابن مغدوشة المناضل في الحزب القومي السوري الاجتماعي في الطليعة واثقا من نفسه وممن يتعاون معهم.

الى ذلك، تجمع عدد من أعضاء قيادة "فتح" والديمقراطية في غرفة العمليات يتابعون حركة المجموعات على كل المحاور. وتحرك ابو علي عصام ممثل ابو عمار الى المختارة لابلاغ نبأ البدء بالهجوم إلى وليد جنبلاط. كان الجميع قلقين، القادة والمقاتلون المتقدمون للهجوم على المحور الشرقي والمتسللون الى داخل البلدة مع ابو جهاد كانوا قلقين من انكشاف امرهم قبل بدء الهجوم، لان اكتشافهم يعرضهم للقتل والابادة دون ان يتمكنوا من الرد او الدفاع عن النفس. والمتواجدون في غرفة العمليات كانوا قلقون أكثر لأنهم مقتنعون بقول ابو معروف بامكان مجموعة صغيرة تتمركز في بيوت مغدوشة المطلة على الوادي والمشرفة على طريق درب السيم الترابي ابادة كتيبة دون ان يلحق بها اي أذى. والكل يعرف ان نتيجة اكتشاف قوات "أمل" والجيش اللبناني حركة المجموعات سوف تكون مدمرة لا تتوقف عند حدود فشل العملية بل قتل المئات من المناضلين أو جرحهم واحتمال اسر بعضهم. ناهيك عن نتائجه على وضع المخيم ووضع الفلسطينيين في صيدا.

قبل غروب شمس يوم ٢٤ تشرين الثاني "نوفمبر" كان الجميع، افرادا ومجموعات، قد وصلوا النقاط المحددة لهم وتمركزوا في نقاط الانقضاض والهجوم، وضمنها المجموعات المكلفة بمباغتة قوات "أمل" والجيش من داخل البلدة، وتمكنت من التسلل واقتربت من

مواقع "أمل" والجيش. كان الحديث على الاجهزة ممنوع، الكل في حال صمت لاسلكي، غرفة العمليات تتحدث عند اللزوم والكل يتلقى وينصت بانتظار ساعة الصفر.

فجأة تحدث علي الاسمر أحد قادة المجموعات المكلفة مهاجمة احد الملاجئ التي تستخدمها حركة "أمل" غرفة عمليات متقدمة. قال بصوت هادئ ومنخفض جدا: من صفر ٧ الى صفر صفر، ليس لدى اي من افراد المجموعة ساعة، كم الوقت الان؟ نحن نتمركز فوق الملجأ تماما، هل ننزل ونلقي القبض على جميع الموجودين تحتنا وننتهي؟ وتلقى الرد بضرورة الالتزام بالخطة وضبط الاعصاب وانتظار الاوامر والمحافظة على الصمت الكامل.

بالرغم المخالفة فإن حديث سمرة خلق حالة فرح وراحة في نفوس اعضاء القيادة المتمركزين في غرفة العمليات، ولاحقا تبين ان مفعول الحديث كان كبيرا في نفوس جميع قادة الزمر والمجموعات والفصائل الذين يحملون اجهزة الاتصال وكانوا جميعهم على السمع.

انهى من كنا ندللّه بمناداته الاسمر مكالمته القصيرة، بعدها بدقائق قليلة وقبل منتصف الليل الوقت المحدد لبدء الهجوم، دوت اصوات نيران غزيرة في منطقة كتيبة "فتح" الاولى واشتعلت سفوح مغدوشة الشمالية الشرقية ومنطقة البساتين شرق بيوت بلدة درب السيم. وتلقت غرفة العمليات ملاحظة مقتضبة من عبد المعطي السبعاوي تقول: اثناء التقدم داخل اطراف البلدة على المحور الشرقي، اكتشفت قوات حركة "أمل" والجيش تحركات احدى مجموعاتنا وفتحت النار باتجاها واضطرت المجموعة للرد على مصادر النيران واسكتتها. وأصدر عبد المعطي أمرا لجميع المجموعات ببدأ الهجوم وعدم انتظار ساعة الصفر الاصلية.

وقبل ان ينهي عبد المعطي امره اصدر محمود خليفاوي امره للجميع بالتقدم واقتحام المواقع المحدد. وفتحت القوات، مهاجمين ووحدات إسناد من رشاشات ومدافع مباشرة نيرانها باتجاه مصادر نيران "أمل" والجيش داخل مغدوشة وفي أطرافها. فوجئت قوات "أمل" والجيش بالهجوم وغزارة النيران التي تعرضت لها، وارتبك قادة ومقاتلي "أمل" في جميع المواقع. تمت المباغة وفر من استطاع من عناصر وكوادر "أمل" والجيش من المواقع وقتل وجرح كثيرون وترك بعضهم اسلحتهم الفردية، واستولت القوات على عدد من المواقع والاليات وضمنها مصفحات ومجنزرات، دون مقاومة تذكر. صحيح ان المفاجئة تمت لكنها كانت ناقصة، واشارت البرقيات الواردة من محاور الهجوم ان جميع المجموعات حققت تقدما ملموسا فاق التقدير، باستثناء كتيبة "فتح" الاولى المكلفة بالسيطرة على مثلث عنقون مغدوشة درب السيم. حيث اصدمت بمواقع قوية للجيش واستخدم الجيش الدبابات في المعركة، واستخدم المقاتلون الفلسطينيون قذائف ال آر بي جي بكثافة ونفذت جميعها وتحولت القواذف

الى عبئ. ووقعت خسائر كبيرة في صفوف كادر ومقاتلي الكتيبة وانشغل الجميع في عملية اخلاء الشهداء والجرحى من ارض المعركة.

الى ذلك، حققت قوة الجبهة بقيادة محمود ومعه عدة مجموعات بقيادة سعيد البدوي ابو فادي والمكلفة بالتقدم باتجاه تمثال السيدة نجاحا باهرا وسيطرت على مواقع "أمل" دون خسائر تذكر، وفر اطقم الملالات وتركوا آلياتهم في مرابضها. واخترقت الكتيبة الثانية بقيادة ابو سمرة البلدة وتابعت هجومها وبلغت منطقة المدارس في اطراف البلدة الجنوبية الشرقية وقطعت القوة طريق الامداد الرئيسي لقوات "أمل". وتحدث قائد الكتيبة ابو سمرة على الجهاز عن جبن كوادر حركة "أمل" وهروبهم من مواقعهم. واصدر عبد المعطي اوامره لكتيبة "فتح" الثانية بالتحرك من احراش درب السيم والصعود باتجاه الكنيسة لتعويض الفشل في استكمال المهمة المحددة بالاستيلاء على اطراف البلدة الشرقية وقطاع طريق امدادات "أمل". واحتدم القتال وسيطرت القوات الفلسطينية على الموقف واحتلت معظم احياء مغدوشة باستثناء الاحياء الواقعة في نطاق المحور الشرقي. وتجاوزت قوات "فتح" منطقة الكنيسة وساحة البلدة. وتلاقت قوة "فتح" مع قوة الجبهة بقيادة ابوسمرة.

فاجأ الهجوم على مغدوشة قادة جميع القوى الفلسطينية واللبنانية باستثناء قيادتي حركة "فتح" والديمقراطية وقيادتي الحزب التقدمي الاشتراكي والتنظيم الناصري. وفوجئ الناس في المخيم والمدينة بالمعركة وذهلوا من شدة القصف وقوة الاشتباكات، خاصة وان غرفة العمليات اصدرت اوامرها للراجمات بقصف مواقع الجيش ومرابض مدفعيته ودباباته خارج مغدوشة بعد تدخلها في المعركة.

ولم تنتظر قيادة الجبهة الشعبية وجبهة النضال وجبهة التحرير الفلسطينية والجبهة العربية في منطقة صيدا طلوع الفجر، وتجمع في منزل ابو معروف كلا من ابو غالب وابو نزار عضوي قيادة الجبهة الشعبية، وابو عدوي ممثل جبهة النضال الشعبي، ومحمد ياسين من جبهة التحرير الفلسطينية، وممثل جبهة التحرير العربية. واعلنوا استنكارهم تفرد "فتح" والجبهة الديمقراطية مرة ثانية في تقرير مصير الحركتين الوطنيتين اللبنانية والفلسطينية ومصير المخيمات، وطلبوا عقد اجتماع فوري للقوى الوطنية اللبنانية والفلسطينية التي تلتقي عادة في منزل ابو معروف. واستجاب ابو معروف لطلبهم وارسل احد ضباط الاتصال دعاني وعصام ممثل ابو عمار للاجتماع وكانت الساعة تجاوزت الثانية فجرا.

بالرغم من دقة الموقف ورغبتي في البقاء في غرفة العمليات لمتابعة المعركة أصر عصام على ان نتوجه الى الاجتماع ونواجه سويا رد فعل التنظيمات. كان عصام قد عاد من المختارة مبتهجا وكان يتكلم ويغمر والسعادة تغمر وجهه، ليس بسبب نجاح المرحلة الاولى الاصعب في الهجوم فقط، بل وايضا لانه على حد تعبيره "خوزق" التنظيمات

الفلسطينية التي عاملت "فتح" كما يعامل الأجرب وابتعدت عنها خوفاً من المخابرات السورية وبعضهم تحالف مع المنشقين عن "فتح" جماعة ابو موسى وابو خالد العملة(٧).

بدأ ابو معروف الاجتماع بالاستفسار عن الوضع في مغدوشة واتبعه عتب شخصي لمفاجئتنا القوى الوطنية الفلسطينية واللبنانية. وحاول تغطية موقف "فتح" والديمقراطية وقال: "العتب كبير، لكن المهم الآن طمنونا على الوضع، هل تمركز الشباب في الكنيسة يا ممدوح؟ هل تحصنوا في تلة السيدة؟ هل تم تأمين الطريق يا عصام؟ هل تم أسر أحدا من افراد "أمل" والجيش؟ وبعد الاستفسار طلب أبو معروف منا أن نسلم إليه الأسرى دون تأخير. وبين الرجل أن تسليمه الأسرى سيساعده في الإتصالات الساخنة التي بدأت بالفعل قبل وصولنا إليه: "قبل قليل تلقيت اتصالات من جماعة نبية بري وجماعة المخابرات السورية وحزب الله تهربت منها جميعها، رد عليها اخي د.اسامة واعتذر منهم وقال بأنه "لا يستطيع إيقاظ أبو معروف لأنه يتناول حبة منومة كل ليلة ويمنع طبيا ايقاظه".

وأكد عصام أن الوضع في مغدوشة ممتاز وحساسية الظرف كما تعرف يا ابومعروف وطبيعة العملية فرضا علينا السرية. وقال عصام مجارياً حاجة أبو معروف إلى التستر اننا لم نبلغ ابو معروف ولا وليد جنبلاط بساعة الصفر فقط تحدثنا عن احتمالات الهجوم. ووجه عصام حديثة لممثلي الفصائل وقال "إن ساعة الصفر فرضت علينا فرضاً إثر انكشاف احدى مجموعاتنا، "ثم دعونا نتكلم بصراحة، انا لا أضمن عدم تسريب الخبر للسوريين وحركة "أمل" في حال مشاركة اعداد كبيرة من المقاتلين والكوادر من فصائل كثيرة والإطلاع عليه".

انفعل ممثلو الفصائل وتحدث اكثر من مندوب في وقت واحد. وتدخل أبو معروف وطلب من مندوب الشعبية أن يتحدث هو أولا ثم يليه آخرون. تحدث ابو غالب بانفعال وركز على خطورة فقدان الثقة بين القوى الفلسطينية بوصفها أخطر المسائل، وعدها كبيرة الكبائر. "وروى مندوب الشعبية أنه شارك أمس في لقاء مع الاخوان في "فتح" والديمقراطية وعرض عليهم تنفيذ عملية مشتركة لاحتلال مغدوشة حتى نرتاح ونريّح شعبنا لكنهم تظاهروا بعدم جاهزيتهم لهكذا معركة وقالوا المهم الان التثبت في المواقع في شرق صيدا وعدم استفزاز السوريين اكثر. ثم جاءت المفاجئة". وأضاف "على كل حال نحن في الجبهة الشعبية لم ننتظر اذنا من احد حركنا مجموعاتنا وسوف نجد لانفسنا قاطعا في البلدة نتولى مهمة تطهيره والدفاع عنه وعن شعبنا".

ومن جانبه أكد أبو عدوي ممثل جبهة النضال عتبه الشديد على تجاوزه بالرغم من أنه على اتصال ساعة بساعة مع ممدوح نوفل وعصام سالم اللذين تربطه بهما صداقة شخصية قديمة يعتز بها. واضاف "موجهاً الخطاب لنا في "فتح" والديمقراطية:

إرتكبتم خطأً جسيماً حين نفذتم العملية وحدكم، مصلحتكم تكمن في توريطنا جميعا، السوريون ناقمون عليكم" وختم أبو عدوي حديثه بالقول: "لا مجال للعتب الآن نحن سنشارك في المعركة دفاعا عن شعبنا ونضع قواتنا تحت تصرف الاخوان ولا نريد ان نبحث عن اي دور خارج الخطة".

عندها، تدخلت أنا واعتذرت من الجميع بدءا من ابو معروف وانتهاء بكل أخ او تنظيم يعتبر اننا خذلناه ولم نتصرف بشكل صحيح معه. وقلت: "ثقتنا بالاخوان جميعا عالية جدا ولن اطيل الان في شرح الظروف والاسباب التي دفعتنا للتفرد". ثم قلت صدقا إننا فكرنا فعلاً في إشراك الجميع ثم نحينا الفكرة وحصل ما حصل، وسنجد الوقت الكافي للبحث في سبل توحيد الموقف الفلسطيني في اطار قيادة وطنية فلسطينية موحدة تتولى مهمة التخطيط للدفاع عن شعبنا في لبنان". واقترحت ان ينضم من يرغب من الاخوان الى غرفة عمليات المشتركة "فتح" والديمقراطية ويشاركونا في قيادة المعركة فيما نحن ما نزال في البداية ومعركة مغدوشة سوف تكون طويلة حيث يمكن لقيادة "أمل" حشد اعداد كبيرة من المقاتلين من عمقها، ولن تتساهل وهي تشهد تواجدنا على ابواب الغازية وعنقون والنبطية. واضفت وأظن ان الاخوان السوريين لن يسكتوا هذه المرة كما سكتوا بعد احتلال جنسنايا وقرى شرق صيدا.

تدخل مصطفى سعد فذكر أن المتضررين من العملية الأولى لم يسكتوا حتى الآن وهم يعتقدون ان شرق صيدا تحت اوامر التنظيم الشعبي الناصري وقال إنه تعهد لهؤلاء بان يخرج العرفاتيين بعد حين من المنطقة ويعيدهم إلى المخيمات. وبشأن تدخلهم في مسألة مغدوشة قال مصطفى: "أخي أسامة سمع منهم كلاما مباشرا خلاصته سوف يدخلون صيدا ويصعدون الى مغدوشة اذا واصل العرفاتيون التقدم. وعلق على موضوع الانضمام الى غرفة عمليات "فتح" فقال: "من يريد ان ينضم فهو حر، أما نحن في التنظيم الشعبي فإننا لا ننضم لاحد، بل نفتح غرفة عملياتنا للجميع".

اثنى مندوبو الفصائل على موقف ابو معروف واقترح احدهم ان ينضم الجميع الى غرفة عمليات التنظيم الشعبي. قلت: لا بأس، ولكن الا تعتقدون اننا نحمل ابو معروف عبئا كبيرا. فنفى هو أن يكون العبء مما يثقل عليه ثم استدرك: "طبعاً أنا لا أعني أن يتولى التنظيم قيادة العملية والمسئولية عنها، ما قصدته هو متابعة اجتماعاتنا على النحو الذي نجتمع فيه الآن."

قال عصام: نحن موافقون على ما يقرره ابو معروف، وطلب اذن بالمغادرة لأنه مضطر للتحرك من جديد للمختارة لابلاغ جنبلاط بمجريات المعركة. قال مصطفى: "هذا واجب، تأخرتم يا عصام في ابلاغ وليد يبدو ان خطتكم هذه المرة ليست مبكلة مثل خطة جنسنايا وشرق صيدا، وليد معني بالمعركة مثل مصطفى ولا يجوز تجاوزه".

نهض عصام، وتعمدت أنا النهوض والاختلاء به، وتركت جهاز الاتصال مفتوحاً ليسمع الجميع مجريات المعركة في جميع المحاور عوضا عن وجودنا. تحدثت مع

عصام حول ضرورة ان يعين وليد مندوب يقيم في مدينة صيدا ويتابع معنا مجريات المعركة، وينقل تطورات الموقف لوليد اولا باول ورأيت أن لا نكتفي باللقات المتباعدة في المختارة. فالموقف يتطلب التواصل ساعة ساعة.

غادر عصام منزل ابو معروف في وقت كانت قوات "أمل" والجيش تشن هجومها المعاكس. استمع الجميع لأحاديث محمود خليفاوي وعبد المعطي السبعاوي على الجهاز وهم يطلبون من الجميع الصمود في المواقع ويعدون قادة الفصائل والجماعات بارسال الامدادات المطلوبة فورا. استأذنت الحضور: "الوضع يتطور بسرعة مضطر للمغادرة الاخوان في مغدوشة بانتظار قواتكم ونحن ننتظركم في غرفة العمليات وسنلتقي حتما عند أبو معروف". واقترحت تكليف كل من يصعد الى مغدوشة للمشاركة في المعركة او لاي غرض آخر ان يتصل بالاخوين عبد المعطي ومحمود خليفاوي، وقلت اننا، نحن، جميع قادة "فتح" والديمقراطية في لبنان تحت إمرتهما. وغادرت المكان قلقا، نحو غرفة العمليات لمتابعة الموقف.

بالرغم من المفاجئة والخسائر الكبيرة التي لحقت بقوات "أمل" والجيش في الهجوم الاول، استجمع الجيش اللبناني قوته ولملمت "أمل" فلول المقاتلين والكوادر وحشدت قوات اضافية نقلتها على وجه السرعة من عنقون والنبطية، وشن الجيش و"أمل" هجوما معاكسا، واستغلت الثغرة التي تشكلت بسبب فشل هجوم الكتيبة الاولى على المحور الشرقي، وحقق الهجوم المعاكس انجازا محدودا لكنه خطيرا خصوصا اذا نجحوا في تطويره. وفي ضوء هذا التطور الذي تجمعت لدي وقائعه وانا في غرفة العمليات، تحرك العقيد علاء الى مغدوشة ومعه عددا من الكوادر والمقاتلين والمليشيا من "فتح" ومن ابناء المخيم. وراحت القوات المشتركة تتصدى ببسالة لقوات الهجوم المعاكس، واستعان عبد المعطي بالمدفعية فقصفت مواقع "أمل" والجيش وحشودهما على طريق عنقون. وأمر محمود مد الحبال من سفوح مغدوشة الى بلدة درب السيم واختار منطقة صخرية جرداء مقابل تمثال السيدة. واستخدمت الحبال في اخلاء بعض الجرحى ونقل الامدادات البشرية وتسلق المقاتلون بواسطتها. وبات الوضع في تلك النقطة صعبا حيث تجمعت اعداد كبيره خليط من المقاتلين والكوادر والمليشيا من "فتح" والديمقراطية، وتحولت بيوت المنطقة وزواريبها الى نقطة قتال قوية، ومع تحشيد القوات الوافدة، تم إخلاء الشهداء والجرحى الذين سقطوا واصيبوا في القتال.

لم تتوقف نكسة الهجوم الفلسطيني عند هذا الحد، ووقع عبد المعطي وخليفاوي عند الظهيرة في كمين اثناء تفقدهم القوات في منطقة شرق الكنيسة. واصيب خليفاوي قائد اصابة بليغة في رجله. واستشهد في القتال عدد من قادة الفصائل والسرايا في مختلف وحدات "فتح" والجبهة. وهذه الخسائر والاصابات اثرت في قدرة القوات المشتركة على الصمود وتراجع بعضها الى مواقع خلفية.

تواصل احتدام القتال. وتدخلت المدفعية الفلسطينية الثقيلة وراجمات الصواريخ فقصفت خطوط تقدم قوات "أمل" والجيش ومراكز تحشد القوات الخلفية ومراكزها القيادية. ومنحت نيران المدافع والصواريخ القوة المدافعة فرصة التقاط الانفاس، وتم زج الاحتياط في المعركة ودار قتال عنيف وخسرت قوات "أمل" والجيش أعداداً كبيرة بين جريح وقتيل ونجح المقاتلون الفلسطينيون في وقف الهجوم المعاكس، وتحولت البيوت في محيط الكنيسة وساحة البلدة الى ميدان كر وفر بين الطرفين. وصارت الكنيسة هدفا مباشرا للطرفين وحشد كل طرف قوات كبيرة في محيطها ولم ينجح اي منهما في فرض سيطرة كاملة عليها.

وبالرغم من إصابته المتوسطة، وإصراري وإصرار أركان غرفة العمليات على خليفاوي للاهتمام بحالته الصحية والانتقال الى المخيم فورا لتلقي العلاج، فان القائد الجريح أصر من جانبه البقاء إلى أن يستقر الوضع وندحر المهاجمون، ولم يتوقف خليفاوي عن متابعة دوره القيادي مع اخوانه. وتحدث عبد المعطي السبعاوي واكد ان حالة محمود لا تدعو للقلق وتحتمل تأجيل نزوله ريثما يتم تأمين الطريق وضمان سلامة الانتقال مئة في المئة.

قبل غروب الشمس تحرك محمود في سيارة اسعاف غنمتها قوات "فتح" من مواقع "أمل"، واستخدم طريق مغدوشة الرئيسي قبل التأكد من تطهيرها بصورة نهائية. وعند بلوغها المنعطف الرئيسي مقابل تلة الزنزبيل تعرضت السيارة لوابل من نيران البنادق والرشاشات الخفيفة. وفقد الاتصال اللاسلكي فجأة مع محمود وسائقه ومرافقه. وتلقت غرفة العمليات المشتركة ملاحظة تؤكد اصابة سيارة اسعاف بيضاء تابعة لحركة "أمل" وتدهورها على الشارع الرئيسي غرب مغدوشة. وصدرت الاوامر للمجموعات المتمركزة في منطقة التلال والمباني الواقعة على السفح الغربي لتلة السيدة بالتحرك نحو السيارة والتحقق من حالة محمود ومن ومعه وتقديم الاسعاف اللازم. ونشطت نيران المدافع والراجمات فوفرت حماية لقوة مشاة تحركت صوب المنطقة. ولاحظت حركة "أمل" تحركات القوة وسلطت نيران غزيرة على محيط السيارة وعرقلة امكانية وصولها بيسر وسهولة.

في البداية كانت المعلومات ملتبسة تشير الى ان مواقع "أمل" والجيش هي التي اطلقت النار على السيارة التي استقلها محمود، وكان في الظن أن هناك سيارة اسعاف اخرى غير السيارة التي استعملها محمود في الانتقال من مغدوشة الى المخيم. ثم تبين لاحقا أن محمود ومن معه تعرضوا لنيران صديقة أطلقتها مجموعة من مجموعاتنا ظنت ان سيارة الاسعاف تابعة لحركة "أمل" وهي تتحرك على الطريق وتصورت أنها تتحرك بهدف استطلاع الموقف على الارض.

وأياً ما كان عليه الأمر، فقد ظل مصير محمود غامضا وتحرك عدد اضافي من الكوادر للمنطقة ودارت اشتباكات عنيفة. وتحرك لطفي عيسى عضو القيادة العسكرية للجبهة

وقائد قواتها في محور جنسنايا للبحث عن محمود ورفاقه. وبعد غروب الشمس بزمن ليس قصير وصلت احدى المجموعات المشتركة الى السيارة وكانت الصدمة قوية حين عثرت المجموعة على محمود جثة هامدة خارج السيارة وبجانبه جثتي السائق والمرافق. وتم نقلهم الى صيدا تحت نيران غزيرة وظروف بالغة التعقيد.

ومع انتشار خبر استشهاد محمود ورفاقه اهتز وضع قيادة وكوادر ومقاتلي الجبهة الديمقراطية و"فتح" في مغدوشة، وبكاهم فتحاويون كثيرون مثلما بكاهم رفاقهم في الجبهة الديمقراطية وأكثر. وتم نعي القائد العسكري الشهيد باسم منظمة التحرير الفلسطينية وقيادة قوات الثورة في لبنان بجانب نعي الجبهة الديمقراطية باعتباره أيضاً عضوا في لجنتها المركزية فضلاً عن عضويته في قيادتها العسكرية. وتولى لطفي عيسى مهمة محمود وانتقل مباشرة الى مقر قوات الجبهة في تلة السيدة.

لم تتوقف الصدمة عند حدود مدينة صيدا ومنطقة الجنوب وتعدتها فبلغت الساحة السورية ومنظمات الجبهة الديمقراطية في العالم. وانشغلت قيادة الجبهة و"فتح" في لبنان في ترتيبات نقل جثمان محمود الى دمشق ودفنه حيث تقيم زوجته وباقي افراد العائلة. كان على الجميع، قيادة الجبهة والقوى والفصائل وأهل الشهيد ورفاقه انتظار موافقة المخابرات السورية على نقل الجثمان ودفنه في مقبرة الشهداء في مخيم اليرموك قرب دمشق. وظل القلق من ابتزاز سوري سيد الموقف، خصوصاً ان أخبار دمشق أشارت الى ان المخابرات السورية حانقة جدا على الجبهة الديمقراطية وقد لا تسمح دفن من استشهد وهو يقاتل ضد الموقف السوري. وتأخر وصول الموافقة على الدفن أكثر من المعتاد وعندما اذنوا آخر الأمر بدخول جثمان الشهيد، حددوا لهم التوقيت واجبروا قيادة الجبهة على دفنه ليلاً ودون مراسم.

وفتحت المقرات في مخيم عين الحلوة وبقية المخيمات الفلسطينية بما فيها المخيمات المحاصرة في بيروت والجنوب لتقبل التعازي باستشهاد محمود خليفاوي وبقية رفاقه من كوادر "فتح" والجبهة ومقاتليها، وكان عدد شهداء اليوم الاول غير قليل. وقد تضمنت القائمة أسماء عدد كبير من قادة السرايا والفصائل والمجموعات.

الى ذلك، اشتدت حدة المعارك في جميع انحاء مغدوشة والمنطقة المحيطة، وارسلت "فتح" والجبهة الشعبية مزيدا من القوات الى البلدة معظمها من المليشيا والقوة الاحتياطية وارسلت الشعبية والتنظيمات الاخرى تعزيزات اضافية. وحشدت قوات "أمل" والجيش أعدادا كبيرة وشنت بعد غروب شمس اليوم الثاني عدة هجمات جديدة بأمل طرد القوات الفلسطينية من مواقعها، الا انها تكبدت خسائر كبيرة وفشلت هجماتها وتراجعت تحت ضغط المدافعين. ولاحقا شنت قوات "فتح" والجبهة عدة هجمات على معظم المحاور بأمل تطهير البلدة وتنظيف بقية الاحياء من بقايا مجموعات "أمل" والجيش وحققت نجاحات مهمة لكنها لم تنجح في تحقيق الهدف كاملا وسيطرت كتيبة ابو سمرة على

منطقة المدارس واستولت على كميات من الاسلحة والذخائر وطهرت الطريق الموصل الى تلة السيدة. واستولى المقاتلون على بعض ملالات "أمل" والجيش جاهزة للحركة، تركها طواقمها بتأثير غزارة قذائف ال ار بي جي.

وظن ابو سمرة قائد الكتيبة واركانه ان السيطرة باتت كاملة والمنطقة صارت نظيفة تماما، وراح يتمشى في الشارع في وضح النهار دون ادنى حذر. وبينما كان أبو سمرة يتحدث مع غرفة العمليات ويرد على قادة الهجوم في اطار كتيبته انقطع الاتصال معه فجأة. وبعد لحظات قليلة، جاء صوت مرافق ابو سمرة الذي كان يتجول معه وقال: "تعرضنا لاطلاق نار من قناص مختبئ في احد المباني القريبة، اصيب الرفيق ابو سمرة اصابة بليغة جدا وجسده ينزف دما من الصدر والرأس، لا أدري ماذا افعل اطلاق النار متواصل ؟ ابلغوا مقر الكتيبة ومقر قيادة الهجوم في مغوشة بضرورة تقديم المساعدة وارسال مجموعة اسعاف وحمّالة باسرع وقت باسرع. حالة ابو سمرة سيئة جدا".

تلقيت خبر استشهاد ابو سمرة قائد الكتيبة الثانية وأنا في اجتماع مستعجل دعا له ابو معروف في منزله. كان ابو معروف يتحدث بانفعال حول تزايد الضغوط السورية واكد ان معلوماته تشير الى ان القوات السورية سوف تتقدم في الوثبة الاولى من خلدة الى جسر الاولي، ثم تدخل صيدا في وثبة تالية. وقال إن الأمريكان اعطوا السوريين الضوء الاخضر ليتصدوا لتمدد العرفاتيين خارج المخيمات. والسوريون يهددون باجراءت قوية سيتخذونها ضد التنظيم الشعبي الناصري، وهم يتهمون مصطفى سعد شخصيا بمآزرة العرفاتيين. واسترسل مصطفى في الحديث عن مواقف القوى الفلسطينية في دمشق واللبنانية في بيروت وكيف ان الجميع يدين موقف العرفاتيين وتمددهم خارج المخيمات، وبعضهم يغمز من قناة التنظيم الناصري ويتهم مصطفى بالتواطؤ مع عرفات وزلمه.

ونقل ابو معروف استياء السوفييت من الهجوم على مغدوشة وقال: "موقف الرفاق السوفيت كما ورد على لسان السفير كالاتوشا وآخرين في السفارة في بيروت ليس في صالحنا. هم يعتبرون الهجوم استفزازا للسوريين وللطائفة الشيعية، واحتلال مغدوشة يعطل جهودهم والجهود العربية من اجل انهاء الحرب على المخيمات". واستفسر ابو معروف عن الوضع في مغدوشة ليقول: "اذا لم يحسم الوضع بصورة نهائية في ٤٨ ساعة سيتطور الموقف العسكري والسياسي ضد الوجود الفلسطيني خارج المخيمات في مغدوشة وشرق صيدا. وابدى تخوفه من اقتحام قوات "أمل" أحد المخيمات الفلسطينية المحاصرة.

وعند هذه النقطة من الحديث تأكد نبأ استشهاد أبو سمرة. فقلت بصوت جعله الأسى مكسوراً: "كلكم تعرفون ابو سمرة ودوره في مقارعة اسرائيل وفي الدفاع عن الثورة

وعن الوجود الفلسطيني في لبنان". وقطع حديثي اكثر من واحد من المشاركين في الاجتماع وأشاد الجميع بمناقب ابو سمرة وخليفاوي، وقدموا لي التعازي بالشهداء. شكرتهم على موقفهم واضفت: "خلال أقل من ٣٦ ساعة فقدنا والاخوان "فتح" اربعة من خيرة قادة الكتائب وثمانية من اشجع قادة الفصائل والسرايا اضافة الى عشرات المقاتلين الابطال، لكننا، لن نرضخ للضغوط، سنواصل المعركة حتى يتم فك الحصار عن المخيمات و"فتح" الطرق اليها وتصلها امدادات التموين بحرية. خسائرنا البشرية لن تذهب سدى، ورغم فداحتها نحن واثقون من طرد قوات "أمل" من مغدوشة قد تتأخر العملية لكننا سنحقق الهدف. وعلى نبيه بري ومن يقف وراءه ان يعرف انه اذا اقتحمت "أمل" واللواء السادس ايا من المخيمات فلن نسكت، وقدراتنا القتالية في "فتح" والديمقراطية تسمح لنا بتدمير الغازية وعنقون وحارة صيدا لو أجزنا لأنفسنا أن نفعل هذا.

ويومها شككت في إمكانية تجاوز القوات السورية نهر الاولي ودخول مدينة صيدا وكررت قولي إن اسرائيل لم تسمح للقوات السورية في السابق بالتواجد في صيدا والزهراني واظن ان الموقف الاسرائيلي لا يزال على حاله.

وبشأن الموقف السوفيتي حاولت تخفيف وتبسيط مدلولات معارضة القيادة السوفيتية للتمدد الفلسطيني خارج المخيمات، واستحضرت الموقف السوفييتي الرافض للحرب الظالمة الجارية ضد الفلسطينيين في لبنان. واشرت الى انهم بدأوا بتفهم الموقف الفلسطيني ويشجعون الفصائل الفلسطينية على تجاوز الخلافات وعقد دورة توحيدية للمجلس الوطني الفلسطيني، والحديث جار الآن عن عقدها في مطلع العام القادم. واكدت ان المعلومات المتوفرة تشير الى ان الاخ ابو عمار والاخوة في قيادة "فتح" لم يعودوا يتمسكون باتفاق عمان الذي تسبب في تدهور العلاقات الفلسطينية السوفيتية، وهو الاتفاق الذي كان له دوره ايضا في الحرب الجارية ضد المخيمات. وختمت حديثي بالاستئذان لمتابعة التطورات واقترحت ان نبقى على تواصل.

ثبات القوات الفلسطينية في مغدوشة خلق تفاعلات واسعة

لم يتم، إذن، حسم المعركة، الا ان خبر احتلال القوات الفلسطينية بلدة مغدوشة طغى على ما عداه في الاخبار، وظل الخبر الابرز فيما تناقلته وسائل الاعلام. ولم يتوقف المواطنون الفلسطينيون واللبنانيون والمراقبون السياسيون ولا القوى الوطنية عند ادعاءات نبيه بري باستعادة بلدة مغدوشة وطرد الفلسطينيين منها، فأخبار قيادة "أمل" حول المعارك مع الفلسطينيين في محيط مخيمات بيروت والجنوب وفي معارك شرق صيدا ثبت عدم صدقها. ناهيك عن الصور والمقابلات

التي تابعت الصحافة ووكالات الانباء نشرها وبثتها بعض محطات التلفزيون من ارض المعركة. في حينه قلق وليد جنبلاط من المعلومات التي سربتها المخابرات السورية وقيادة حركة "أمل"، وارسل عددا من ضباطه للتدقيق في الوضع الميداني. وقد صعد هؤلاء إلى مغدوشة على الاقدام ثم خرجوا بانطباع ان المعركة طويلة وليس سهلاً على "أمل" استعادة المواقع التي فقدتها.

وساهم نزوح اعداد كبيرة من أهل حارة صيدا والغازية والقرى الشيعية الأخرى المجاورة لمغدوشة أو صيدا إلى بيروت والجنوب في كشف حقيقة الوضع. وعلت أصوات شيعية ذات وزن حمّلت قيادة حركة "أمل" مسؤولية هذا النزوح. ودعت بيانات حزب الله ومناشدته الموجهة إلى القوى الفلسطينية الى عدم تحميل اهالي حارة صيدا والغازية وعنقون والقرى المحيطة بمغدوشة وزر سياسة قيادة "أمل" الخاطئة، وحذرت من أن الخطر يتهدد القرى الشيعية وليس مخيمي عين الحلوة والمية ومية ومدينة وصيدا كما تدعي قيادة "أمل". وحمّل حزب الله في بياناته قيادة "أمل" مسئولية الحاق الضرر بمصالح اهل الجنوب والاساءة الى الطائفة الشيعية وعلاقتها بالاخوة المسلمين الفلسطينيين. وشرع الحزب في اجراء اتصالات مكثفة مع القوى الفلسطينية المشاركة في المعركة.

وبهدي هذا الموقف وظف حزب الله علاقته الحميمة بالجماعة الاسلامية في صيدا التي يتزعمها الشيخ ماهر حمود في الاتصالات للضغط على "أمل". وطرح الحزب نفسه حلا للاشكال بديلا عن الطرفين في مغدوشة وتعهد بضمان أمن وسلامة المخيمات.

بهذا كلّه، خلقت معركة مغدوشة وضعا عسكريا وسياسيا جديدين. وكرست القوات الفلسطينية سيطرتها على معظم احياء مغدوشة، وتشكلت خطوط تماس بين الطرفين في البلدة وبات واضحا للمراقبين ان القصة طويلة وليس بامكان اي من الطرفين حسم الوضع العسكري بالضربة القاضية وشن هجوم ساحق ينهي وجود الطرف الآخر. وبدأت تفاعلات المعركة في الحقل السياسي والدبلوماسي العربي والدولي تظهر في الاتصالات والتحركات التي شهدتها المنطقة. وكما انتعشت أوضاع الفلسطينيين في منطقة صيدا وبقية مخيمات لبنان، تعززت مكانة م.ت.ف. عربيا وانتعش دور ابو عمار خاصة بعد تحرك ايران وعدد من الزعماء العرب بناء على طلب قيادة "أمل" والقيادة السورية، ومطالبتهم بوقف التمدد الفلسطيني باتجاه الجنوب داخل المناطق الشيعية. وغير الزعيم الليبي معمر القذافي موقفه، فأوقف هجومه ضد عرفات وقيادته التي ألف أن يسميها

المستسلمة، وهاجم قيادة "أمل" واتهمها بالتآمر مع إسرائيل ضد الوجود الفلسطيني في لبنان وغمز من قناة سوريا.

وبعد تيقن المخابرات السورية من عجز قوات "أمل" عن طرد المقاتلين الفلسطينتيين من مغدوشة بالقوة، صعّد السوريّون مستوى ضغطهم على مصطفى سعد والتنظيم الناصري ووليد جنبلاط ومحسن ابراهيم. ورفعوا وتيرة الضغط والتهديد لقيادة الجبهة الديمقراطية في دمشق وطالبوها بسحب قواتها من مغدوشة اذا ارادوا البقاء في سورية. واعتقلوا عصام عبد اللطيف عضو المكتب السياسي للجبهة، لانه تهكم على السياسة السورية في لبنان واتهما بمحاولة التقرب من الامريكيين على حساب الدم الفلسطيني. وطلبت المخابرات السورية وقيادة حزب البعث من اصدقائهم في جبهة الانقاذ مشاركة حركة "أمل" في القتال ضد العرفاتيين، وممارسة ضغط قوي على قيادة "فتح" والديمقراطية في لبنان للانسحاب. واستجابت معظم فصائل الانقاذ للشق الثاني من الطلب السوري ونقلوا رسائل التهديد. وحاول بعضهم التورط في عمليات اغتيال قياديين في حركة "فتح" والديمقراطية.

وفي هذا الجو، دخلت إسرائيل على خط الصراع ولم تستطع البقاء في موقف المتفرج، وخشيت اندفاع قوات م.ت.ف. نحو الجنوب وتطوير هجومها واحتلال مواقع متقدمة تستطيع منها ضرب المستوطنات والمدن الإسرائيلية القريبة من الحدود مع لبنان. وتدخل الطيران الاسرائيلي فقصف مواقع القوات الفلسطينية في مغدوشة ومنطقة قرى شرق صيدا مرات عدة، وتمكنت القوات الفلسطينية من إسقاط طائرة اسرائيلية حطّ حطامها في مكان خارج نطاق سيطرة هذه القوات قرب بلدة عنقون، وأسرت مجموعات "أمل المؤمنة" [٨] طيارها "رون اراد" [٩].

إلى ذلك، تضعضعت أوضاع "أمل" العسكرية والسياسية وصعد دور "حزب الله"، وارتفعت أصوات وطنية لبنانية سنية ودرزية وعلمانية ضد هيمنة "أمل" وضد تصرفها المؤذية للوضع الوطني اللبناني برمته.وتوترت علاقة الجبهة الديمقراطية بسورية، واتخذت المخابرات السورية إجراءات أمنية وإدارية ضد وجود قيادة الجبهة في سوريا. وفوجئت ببرقية من المكتب السياسي ارسلت مفتوحة دون تشفير تقول إن هذا المكتب السياسي قرر سحب قوات الجبهة من مغدوشة وقرى شرق صيدا.

في البداية لم أصدق ما جاء في البرقية بل اعتبرته نوعا من المناورة بهدف امتصاص النقمة السورية. لكن تكرار البرقية وتاكيد طلب الالتزام بمضمونها دفعتني الى التخوف من ان تكون تهديدات وضغوط المخابرات السورية افلحت

في التأثير على موقف الرفاق. وظهر أن ما يردنا في لبنان من برقيات باسم المكتب السياسي هو قرارات رسمية وليس مناورة. لكن الامر ظل غير محسوم في ذهني الى ان جاءت برقية تؤكد على مضمون البرقية الاولى وتطلب منا الرد وتصر على التنفيذ خلال ٢٤ ساعة. ومن جانبي قررت اهمال البرقيتين واخفاء الامر عن الجميع وطلبت من عامل الاشارة نزعهما من الارشيف.

واعترف اني فكرت للحظات في تنفيذ قرار المكتب السياسي وتحميل الرفاق في دمشق المسئولية. فكرت بسبب شعوري بان المعركة طويلة وخسائرنا كبيرة، وزاد في الطين بلة خبر اصابة لطفي عيسى "أبو اللطف" بطلقة في رقبته اطلقها قناص من احد المباني. لكن سرعان ما طردت الفكرة من ذهني باعتبارها مدمرة للجبهة، والاهم أنها مدمرة لمخيم عين الحلوة والوجود الفلسطيني المدني والعسكري في لبنان. ثم أجريت حديثاً مباشراً مع عبد الكريم وعامر قاروط وماهر حمدي، اعضاء القيادة العسكرية للجبهة، وحثثتهم على الاستعداد للصعود الى مغدوشة وملء الفراغ الذي احدثته خسائرنا البشرية.

هوامش الفصل الثالث

١- أعادت معركة مغدوشة بعضا من الثقة بالذات لكوادر القوات النظامية الفلسطينية وعناصر الميليشيا الشعبية بعد معاناتها نوعا من عدم الثقة بالذات وبالقيادة نتيجة التراجعات المؤلمة التي فرضت على الحركة الوطنية الفلسطينية، وسلسلة الضربات التي تلقاها المقاتلون واهلهم في حرب المخيمات. بدأت حالة التراجع المعنوي بالرحيل عن بيروت اثر الهجوم الإسرائيلي على لبنان وتعمقت بسبب العجز في فك الحصار وتزويد المخيمات بالتموين. وبعد احتلال مغدوشة، تعززت مكانة قوات "فتح" في لبنان، وبدأت حركة "أمل"، تراجع حساباتها وراحت تبحث عن مخارج لتجميد الاوضاع، ووافقت على منح "حزب الله" دورا اكبر في الدفاع عن المصالح الشيعية.

٢- اقامت قوات الثورة الفلسطينية شبكة علاقات واسعة مع القوى والشخصيات والعلماء اللبنانيين ولم تتردد "فتح" في استخدام وسيلة الترغيب في استقطاب الافراد والقوى وكان ضمنهم شخصيات وطنية مرموقة واحزاب اساسية، ومختار بلدة الغازية كان واحدا منهم. وهو رجل وطني لبناني ساعد "فتح" في فترات سابقة وتلقى منها مساعدات. وظل حريصا على توفير الامن والسلامة لابناء بلدته. ولم يتردد في اللجوء إلى اي وسيلة لتحقيق هدفه ونجح فعلا في تجنيب قريته الخراب والدمار.

٣- في الحرب الاهلية اللبنانية برزت ظاهرة حرق البيوت ونهب الممتلكات، مارسها كل من انتصر في احدى جولات الحرب، حتى حين كان النصر محدودا ومؤقتا. وبلغت عمليات النهب والتخريب في اكثر من موقع حد هدم سقوف المنازل لاستخراج قضبان الحديد وبيعها. حصل هذا في بلدة الدامور وبلدة درب السيم. في معركة شرق صيدا، نجحت القوات الفلسطينية بالتعاون مع قوات التنظيم الناصري في الحد من هذه الظاهرة، وكان لهذا الموقف اثره الايجابي في نفوس المسيحيين في المناطق والبلدات الأخرى.

٤- ضمت أجهزة أمن فصائل الثورة الفلسطينية الاساسية عناصر لبنانية بعضها انضم للعمل عن قناعة بقومية المعركة وضرورة مؤازرة الشعب الفلسطيني، وآخرون التحقوا لاغراض شخصية، وكان هناك ايضا من ادى خدمات كبيرة بناء على تكليف من تنظيمه اللبناني. ونجحت "فتح" في تجنيد وتشغيل العنصر اللبناني في الاستطلاع وجمع المعلومات عن القوى الوطنية اللبنانية الوطنية والاسلامية والانعزالية وكذلك عن القوات السورية في لبنان ونواياها بشأن "فتح" والمخيمات.

٥- يعتز مصطفى سعد بمعرفته التفصيلية بالأرض والسكان. وبناء على خبرته رأى في الخطة مجازفة غير مضمونة، لكنه اكتفى يومها بتسجيل تحفظه على الخطة ولم يحاول فرض رأيه.

٦- ظهرت الفكرة في البداية شبه خيالية واقرب إلى أفلام "جيمس بوند" على حد تعبير بعض الرفاق، لكن وقائع المعركة بينت ان لدى الإنسان طاقة كامنة كبيرة وعلى هذه الطاقة راهن خليفاوي وكسب الرهان.

٧- في سياق دعم الانشقاق لم تكتف المخابرات السورية بتشكيل "جبهة الرفض المعارضة للحلول السلمية" بل ضغطت على الفصائل المقيمة في دمشق واجبرتها على مقاطعة "فتح" على كل المستويات. وكثيرا ما شعر كوادر "فتح" ومقاتلوها في لبنان بالعزلة والحصار. لاحقا، تبدل الموقف بشكل تدريجي وبذلت جهود لتقريب وجهات النظر تمهيدا لعقد دورة المجلس الوطني الثامنة عشر التوحيدية.

٨- في اطار صراعات داخل "أمل" والطائفة الشيعية، شكل مصطفى الديراني "أبو علي" احد كوادر "أمل" تنظيما داخل التنظيم أطلق عليه في البداية اسم "أمل المؤمنة". لاحقا، التحق أبو علي وجماعته

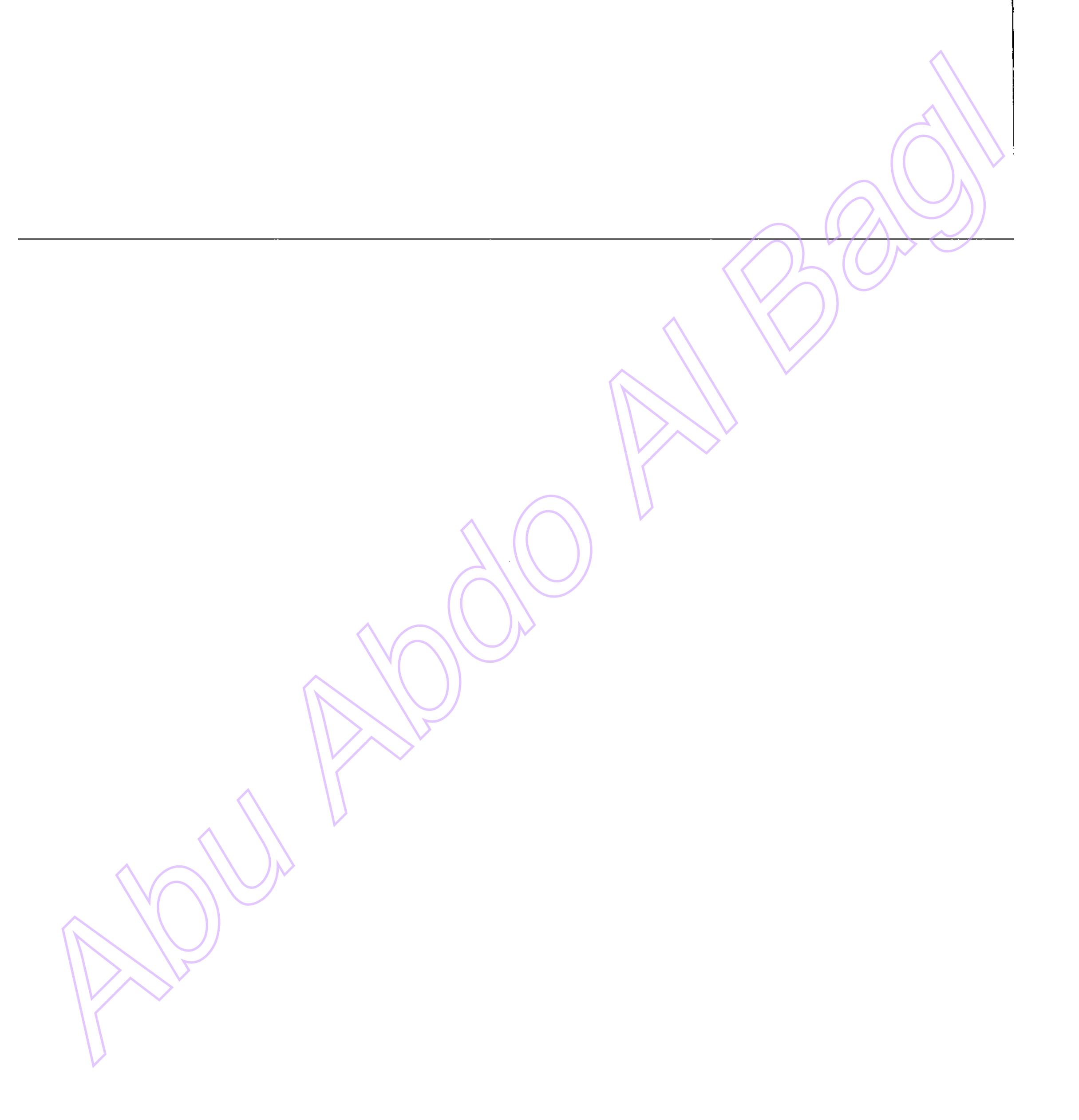
بحزب الله. وفي مرحلة تالية قامت القوات الإسرائيلية بعملية خاصة وخطفته من منزله في منطقة بعلبك بأمل معرفة معلومات إضافية بشأن الطيار رون اراد. وظل أبو علي الديراني في السجن الإسرائيلي سنوات طويلة إلى ان اطلق سراحه في عملية التبادل التي اجراها حزب الله بوساطة المانية.

٩- رون أراد: تمكنت المقاومات الأرضية المشتركة، "جبهة ديمقراطية و"فتح"، المتمركزة في مغدوشة من اصابة طائرة إسرائيلية سقطت في منطقة النبطية. وتمكنت احدى المجموعات الشيعية، مقربة من "حزب الله" "جماعة مصطفى الديراني" وغير معادية للفلسطينيين من اسر طيارها مصابا بجروح بليغة. وفي أكثر من لقاء مع الديراني، حاولت قيادة الجبهة و"فتح" في لبنان استلام الطيار، الا ان المجموعة وقائدها كانوا يقولون الامر خرج من أيديهم. وتعهد أبو علي الديراني بان يتبنى اطلاق سراح مجموعة كبيرة من الاسرى الفلسطينيين تساوي، بالحد الادنى، ضعف الاسرى اللبنانيين حين يمكن اجراء مبادلة على الطيار مع اسرائيل. وللان لا تزال قضية مصير الطيار "رون اراد" مجهولة حتى الان.



الفصل الرابع

ضغوط هائلة للانسحاب من مغدوشة


Abu Abdo Al Bagl

ضغوط هائلة للانسحاب من مغدوشة

اخفاء قرار المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية عن قيادتها في لبنان

لماذا قرار الانسحاب من مغدوشة؟ لقد دفعنا ثمنا باهظا من أجل طرد قوات حركة "أمل" من البلدة واحتلالها، إجمالي شهداء الثورة مئة وعشرون شهيدا جميعهم من خيرة الكوادر وأفضل المقاتلين المجربين. عشرون شهيد من الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ومائة آخرون معظمهم من حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح". هذا السؤال طرق دماغي كضربة إزميل حاد أصابت أعماقه الحساسة الحديثة والقديمة. لم أصدق قرار المكتب السياسي للجبهة الديموقراطية، التنظيم الذي كنت حينئذ انتمي اليه وأشغل موقعاً في قيادته العليا، بل أخفيت برقيتهم التي نقلت هذا القرار عن الرفاق ضباط القوات ومقاتليها وعن كوادر التنظيم في لبنان، وطلبت من ضابط اللاسلكي نزع النسخة الأصلية من الملف وعدم إبلاغ أحد بمضمونها، بأمل النجاح في إقناع الرفاق في قيادة الجبهة بالتراجع عن قرارها الخطأ. ولكن كتم الأسرار لا يعفي الذهن من التفكير بالأمر المكتوم بل يشغل العقل فيه ويبقيه حاضرا في الذهن كل لحظة. واخفاء الأمور الهامة والحساسة عن الاخرين يستنفر الحواس ويحصر التفكير في المخفي ولاشيء سواه، خاصة إذا كان الأمر المخفي كبير والمخفى عنهم مقربين أعزاء عند الإنسان المجبر على إخفاء الحقيقة.

هكذا حصل معي عندما أخفيت عن والدي ووالدتي انتظامي في صفوف تنظيم حركة القوميين العرب عام ١٩٦٢[١]، التي من رحمها ولدت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بعد هزيمة حزيران/يونيو ١٩٦٧ وعن هذه الجبهة، انشقت الجبهة الديمقراطية في ٢٢ شباط/فبراير ١٩٦٩. في حينه، عشت صراعا مع الذات سبب لي صداعا شديدا وشرودا ذهنيا لم يزولا إلا بعد أن صارحت والدي بالموضوع.

هذا ما فعله بي من جديد إخفاء قرار الانسحاب من مغدوشة عن الرفاق. يومها لم يعترض والدي وحذرني من مخاطر ومصاعب العمل الحزبي والسياسي وقال ما معناه: "هذا طريق قد يقود إلى الزعامة لكن قبل بلوغها يدخل الإنسان السجون ويواجه مؤامرات من أقرب الناس وقد يقتل قبل بلوغ الكرسي".

كابوس تلبسني رافقني أينما توجهت وكيفما تحركت طاردني في كل لحظة، في السيارة، في غرفة العمليات، في الصعود إلى بلدة مغدوشة وفي النزول منها، في اللقاءات الوطنية، وفي الاجتماعات الحزبية الداخلية. كنت أحاول الهرب من هذا الكابوس، غير أنه كان يطاردني ويجرني في كل لحظة إلى أسئلة صعبة محرجة حول قضايا كثيرة قديمة وحديثة. وتداعت إلى ذهني مشاهد عديدة لي وللرفاق في قيادة الجبهة الديمقراطية وللشهداء والجرحى في معركة مغدوشة والمعارك السابقة وتلك التي كانت جارية على أشدها في محيط مخيمات برج البراجنة وشاتيلا والرشيدية. شاهدت نفسي أثناء الغارات الإسرائيلية على مواقعنا في الأردن. وشاهدت رفاقي القدامى وهم يستشهدون في الأغوار وفي أحراش جرش، والجولان، وجنوب لبنان وقد مثلوا لي كما رأيتهم في لحظات استشهادهم بالرغم من أنهم استشهدوا قبل قرابة ٢٠ عاما. كانت صور المعارك والشهداء تمر أمامي كشريط سينمائي يدور بسرعة صاروخية ولا يتوقف، ومع دوراته، كان صداعا شديدا يدور في رأسي، يرتجف له الجسم، وتتوتر الأعصاب، وأشعر بالإرهاق وبحاجة قوية للراحة في نوم عميق والابتعاد عن الوجود.

لكن ما أصعب الوصول إلى النوم عندما يكون مطلوبا ويكون أمنية. صار النوم مثل الحبيبة التي تعرف عمق حب حبيبها لها وغرامه بها إلا أنها تهرب كلما حاول الحبيب الاقتراب منها، تتدلل وتتعزز لتنال المطلوب. فما الذي ينبغي أن أفعله حتى يأتي النوم ويريحني واستريح ؟ كيف أستدرجه وأرضيه، هل أتحدث عن قرار الانسحاب الذي أخفيه في نفسي؟ ولكن لمن أتحدث؟ هل فكر الرفاق في قيادة الجبهة بالنتائج قبل اتخاذ القرار بالانسحاب من مغدوشة، أو أنهم اتخذوا قرارهم كباقي القرارات التي كثيرا ما أخذت بالتشاور بين الحاضرين وحدهم؟ هل هم في صورة الوضع المأساوي في مخيمات شاتيلا وبرج البراجنة والرشيدية وعين الحلوة المحاصرة منذ ما يقارب الشهرين؟ هل يعرفون قيمة احتلال بلدة مغدوشة ودوره في وقف اعتداءات "أمل" على المخيمات وفك الحصار المضروب حولها وتحرير الأسرى من سجون "أمل" ؟ هل يدركون حجم خطر الانسحاب من هذه البلدة الاستراتيجية على مصير مخيم عين الحلوة ومخيم المية ومية وعلى الوجود الفلسطيني في مدينة صيدا؟ لماذا صعدنا إلى مغدوشة طالما أننا سننسحب منها هكذا ببساطة وقبل فك الحصار عن المخيمات؟ لماذا كان تقديم مزيد من الشهداء والخسائر هل كان ينقصنا وينقص شعبنا وشهداء وأرامل ويتامى وجرحى ومعاقين وخراب بيوت؟

حاولت إيجاد المبرر والعذر لقرار الرفاق في القيادة المتواجدين في دمشق لكن الضمير الحي يظل يطارد الوهم وينسفه خاصة إذا كانت الأوهام تبني لتحجب حقائق كبرى ساطعة لا غبار عليها.

الرفاق في المكتب السياسي يعرفون حقيقة وضع المخيمات بدقة، وصورة الوضع المأساوي عرضت أمامهم قبل احتلال مغدوشة، والمسألة ليست معقدة إلى حد يصعب ادراكها. وضع أهالي المخيمات بائس ومزري من دون حصار ومن دون حروب، فما بالك والحرب الدائرة ضدهم هي الثانية على يد "أمل" في غضون أقل من أربعة شهور؟ إذن لماذا قرار الانسحاب من مغدوشة ولماذا الإصرار على تنفيذه فورا ؟ هل من مبرر سوى ارتفاع وتيرة الضغط السوري على الرفاق في دمشق؟ هل هذه هي أول مرة نتعرض فيها لمثل هذا الضغط؟ لماذا الاستجابة الآن، ألم نحشد طاقات التنظيم وبشيء من التطرف التنظيمي عام ١٩٧٦عندما تصادمت قوى الثورة الفلسطينية مع الجيش السوري عندما دخل لبنان للسيطرة على البلد وحماية القوات اليمينية اللبنانية؟ ألم نساهم بقوة في استصدار قرار من قيادة الثورة بفرض الخدمة الالزامية على الفلسطينيين الخاضعين لسلطة م.ت.ف.؟ ألم نفصل عشرات الطلاب الجامعيين من كوادرالتنظيم في البلدان العربية والاشتراكية والرأسمالية بتهمة التقاعس عن أداء الخدمة الوطنية في صفوف قوات الجبهة في لبنان، للتصدي للجيش السوري الموغل في الأراضي اللبنانية؟ ألم نقف في وجه الغزو السوري وكأننا ندافع عن أرض فلسطين في وجه غزو اسرائيلي؟ ألم نرفض تأجيل تنفيذ قرار الخدمة والسماح لبعض الطلاب الحزبيين تقديم فحوصهم النهائية[٢]؟ ألم نتهم بعضهم بالتمسك بأفكار البرجوازية الصغيرة لأنه رفض خسارة سنة من دراسته الجامعية؟ هل تعب الرفاق في دمشق من النضال ويئسوا من إمكانية الدفاع عن المخيمات؟ هل فضلوا مسألة تأمين مكان مريح لاقامتهم على المصلحة الوطنية ومصلحة أبناء المخيمات بالتحديد؟

كيف لي أن أهرب من هذه الأسئلة الكبيرة والمحرجة؟ وهي تتعلق بمستقبلي ومستقبل تنظيم وهبته شبابي وحياتي وربطت به كل آمالي وتطلعاتي نحو مستقبل أفضل لي ولأهلي وشعبي؟

صراع مع الذات وصراع مع الآخرين، كيف لي أن أصفيه بسرعة لارتاح؟ لكن هيهات، إنها الحياة صراع متصل لا يتوقف يتغير شكله وموقعه وموضوعه وأطرافه، لكنه يبقى صراعا يحلو أحيانا ويكون أمرّ من العلقم أحيان أخرى كثيرة. هذه سنة الحياة؛ ولد الصراع مع الذات والآخرين بين البشر والكائنات الحية في البر والبحر منذ لحظة التكوين.

هذه الدوامة التي وقعت فيها أو دفعت إليها مكرها، والأمر سيان، تختلف عن سواها اختلافا جذريا ونوعيا لأنها تدور حول من شاركتهم النضال مدى عشرين عام. صراع

مع الذات ومع من ربطت مصيرك بهم وربطوا مصيرهم بك، مع من آمنت أنهم صفوة مخلصة للنضال من أحل سعادة الفقراء من شعبك وتحرير أرضك وبناء عالم جديد تسوده الحرية والديمقراطية خال من جميع أشكال العبودية والاستغلال ولا مصالح ذاتية فوق المصلحة الوطنية.

كثيرا ما اختلفنا لكن خلافنا اليوم ليس كأي خلاف سابق، خلافنا اليوم من النوع الخطير، ويدور حول خيار مصيري لا يتعلق بفرد محدد بل يمس مستقبل التنظيم في الصميم، يمس التوجهات الوطنية والمبادئ والقيم التي جمعت الرفاق بعضهم مع بعض.

الخيار واضح، إما صمود التنظيم وقيادته في مواجهة ضغوط المخابرات السورية والدفاع عن مصلحة الشعب في مخيمات عين الحلوة والرشيدية والبرج وشاتيلا وعن وجود الثورة الفلسطينية في لبنان وتبادل الدعم مع القوى اللبنانية التي تدعمنا، أو وضع المصلحة الخاصة لفئة من التنظيم فوق المصلحة الوطنية وبقائها في وضع مريح في دمشق. في جميع الحالات امتيازات الوضع القيادي يمكن توفيرها في زمن الثورة الفلسطينية في كل مكان وزمان والتمسك بالبقاء في دمشق غير مفهوم خاصة وان ثمنه الانسحاب المذل من بلدة مغدوشه واضعاف القدرة على الدفاع عن المخيمات.

وبافترض حسن النية تكون المعادلة المطروحة هي هذه: مصلحة التنظيم أو مصلحة أبناء المخيمات. إن هذه المعادلة مغلوطة من الأساس حاول البعض فبرَكتها لتمرير مواقف سياسية مضمرة. وفي كل الأحوال، لا أحد يمكنه الدفاع عن موقف يفضل مصلحة التنظيم على مصالح الناس. وتركيب علاقات الحزب بجمهوره على هذا النحو يحتوي سموم قاتلة ومبيدة للحزب، ولا مصلحة لأي تنظيم سوى مصلحة شعبه. وعندما تتشكل مصالح خاصة للتنظيم تضعه في موضع التعارض مع مصلحة الشعب عندها على الحزب السلام ويتحول إلى جسم يبنى من أجل الذات. وكل الأجسام الحزبية التي تبنى على هذا الأساس تتآكل بسرعة وتتوقف أجسامها عن النمو وتتحول إلى هياكل إدارية وتنظيمية خاوية.

المهم هو عدم التسرع وعدم الاستسلام، هذا ما أقنعت نفسي به: عليك أن تتحمل مسؤوليتك الوطنية والحزبية في مثل هذه اللحظات الصعبة والمرة، وعمل المستطاع من أجل تعطيل القرار وبالحد الأدنى تأجيله أطول فترة ممكنة. المهم ألا يتم الانسحاب وفقا لشروط المخابرات السورية وبناء على ضغوطاتهم. لا بأس من المساومة ولا بدّ من إطالة صمود المخيمات إذا تعذر فك الحصار عنها.

برقية الرفاق في دمشق بشأن قرار الانسحاب تضمنت سطرا ضمن سطور أخرى يقول: الرفيق الأمين العام المساعد ياسر عبد ربه في الطريق إليكم.

قلت لنفسي جيد، ياسر يمكن التفاهم معه ومفيد أن يسمع بنفسه رأي الوطنين اللبنانيين وخاصة راي محسن ابراهيم ووليد جنبلاط ومصطفى سعد بشأن الانسحاب، رأي هؤلاء يحترمه جميع الفلسطينيين ويؤثر في موقف ياسر. وهو مقتنع مثلي ومثلهم بقيمة بلدة مغدوشة في الضغط على قيادة "أمل" ومنع اقتحام المخيمات وتعزيز صمودها. وعبد ربه يدرك تماما أن محسن ابراهيم[٣] ووليد ومصطفى وطنيون قوميون مخلصون للقضية الفلسطينية ولهم مصلحة مباشرة في الحفاظ على البندقية الفلسطينية وعلى الدور الفلسطيني في لبنان. موقفهم من الانسحاب ومن قصة مغدوشة وشرق صيدا كلها غير معروفة للجميع، ومن المفيد أن يطلع عليها ياسر بنفسه. لقد كان هؤلاء منذ البداية مع تعزيز الدفاع عن مخيم عين الحلوة ومع احتلال المنطقة وطرد قوات أمل منها قبل أن تبادر هي للهجوم على مخيم عين الحلوة والمية ومية ومدينة صيدا. ووليد ومصطفى نصحا بذلك أكثر من مرة وقدموا المساعدات العملية لضمان نجاح الهجوم.

هذه الحقيقة لا يعرفها الرفاق في دمشق وحتى في تنظيم لبنان، وبقيت طي الكتمان بناء على طلب وليد جنبلاط ومصطفى سعد. قيلت مباشرة لي ولممثل القائد العام في لبنان أبو على عصام. قالها وليد جنبلاط وقالها مصطفى سعد كما مر معنا. والباطنية عند وليد جنبلاط ليست وليدة قناعاته الدينية أو بسبب انتمائه للطائفة الدرزية، بل هي جزء من اللعبة السياسية في لبنان ومن لا يتقنها يدفع ثمنا غاليا يصل حد الاغتيال. الباطنية والمراوغة وسرعة تبديل المواقف مدرسة متكاملة ينتمي اليها معظم السياسيين اللبنانيين من موارنة ودروز وشيعة وسنه. وحتى الفلسطينيون تعلموها وأتقنوها رغم أنها تتعارض مع طريقة عملهم في السياسة والتنظيم. إنها الحاجة وهي التي تعلم الإنسان وتجبره أن يكون باطنيا في لبنان. الصراحة والوضوح في الحياة السياسية اللبنانية يساويان السذاجة والبله وثمن ذلك باهظ. حياتك والأهداف التي يسعى الإنسان لتحقيقها تنتهي بسيارة مفخخة أو بطلقات كاتم صوت، أو تكتيل قوى كبيرة ضدك وضد موقفك. وأي موقف يتخذه أي طرف في لبنان تجد حتما من هو ضده ومن هو مستعد لعمل المستحيل لإفشاله واحباطه. المسألة ليست نكاية شخصية أو حساسية بل تلاقي وتقاطع وتشابك مصالح، أو تعارض وتصارع مصالح قوى دولية وإقليمية ومحلية لبنانية. تتداخل مصالحها بعضها مع بعض وتنفصل تبعا للقضية الآنية المطروحة، أي أنها بنت اللحظة. وما أسرع تبدل المواقف وإعادة الاصطفاف! الدرس الأول في المدرسة السياسية اللبنانية يقول المهم تحقيق الهدف وتجنب الانكسار بصرف النظر عن الطريقة.

وليد ومصطفى وآخرون من القيادات اللبنانية تابعوا معركة شرق صيدا ومغدوشة لحظة بلحظة. لقد دخل هؤلاء في صراعات مع قيادة " أمل " . قاتلتهم وقاتلوها بالسلاح واشتبكت معهم جميعا دونما استثناء وتمادت بصلافة حتى وهم متحالفين في وجه الانعزاليين[٤].

في الظاهر كان قادة القوى الوطنية والإسلامية يشيدون بالتحالف مع سوريا، لكن الحقيقة المضمرة تؤكد أنهم جميعهم، باستثناء قادة فرع حزب البعث و"أمل" ضد سياستها في لبنان. خاصة وأن القيادة السورية اختارت حركة أمل معتمدها الرئيسي والأول في البلد دون أن تتخلى عن الآخرين ضمنهم وليد جنبلاط ومصطفى سعد ناهيك عن البعث بزعامة عاصم قانصو.

استخدمت المخابرات السورية في لبنان حركة أمل ضد منظمة التحرير وضد الوجود الفلسطيني برمته في لبنان، واستخدمت وليد جنبلاط و"أمل" معاً ضد حركة "المرابطون" الناصرية بزعامة إبراهيم قليلات[٥] وضد القوى المارونية. السياسة السورية في لبنان تقوم على الهيمنة على البلد، استخدمت القوى اللبنانية الانعزالية لضرب القوى الوطنية اللبنانية والفلسطينية المعارضة للتواجد السوري في لبنان، ولم تتردد في استخدام قواها الذاتية عند اللزوم. نشاطات القوى الوطنية اللبنانية والفلسطينية جميعها مرصودة بدقة والقوات السورية في لبنان جاهزة دوما لتوجيه الضربات الضرورية في الشمال والبقاع وبيروت، وكانت قوة الضربة السورية لهذا الطرف أو ذاك تتناسب طردا مع طبيعة الموقف المعارض ومدى تأثيره العملي على وجودها ومصالحها في لبنان.

وليد جنبلاط ومصطفى سعد وأمثالهما كانوا مع احتلال بلدة مغدوشة وقرى شرق صيدا نكاية بحركة "أمل" ومن يقف ورائها، ومع الصمود فيها ومع التمدد الفلسطيني حتى صور والنبطية. هذا هو موقفهم الحقيقي، أما مواقفهم في الصحافة وفي اللقاءات مع القوى اللبنانية والفلسطينية فكانت ضد ذلك. وفي الاجتماعات المتواصلة مع السوريين في دمشق، كان ممكنا ان تسمع وليد ومصطفى وأمثالهما فتحسب أنهم يشاركون أو بصدد المشاركة في ضرب المخيمات والقضاء على الوجود الفلسطيني المسلح وحتى غير المسلح في لبنان حتى وهم يضمرون العكس. سألت نفسي هل الرفاق في المكتب السياسي في دمشق يعرفون هذه الحقيقة أم أنهم يتعاملون مع أقوال وليد ومصطفى في دمشق وحدها باعتبارها حقيقة مؤكدة وعليها بنوا قرارهم بالانسحاب؟ الأمور ستنجلي مع وصول الأمين العام المساعد ياسر عبد ربه وفي كل الأحوال لا انسحاب من مغدوشة.

قيادة الديمقراطية توفد ياسر عبد ربه إلى صيدا

المعارك في مغدوشة ومحيطها على أشدها ولم تتوقف محاولات "أمل" استرجاع مواقعها التي خسرتها في مغدوشة. صحيح أن المدفعية السورية تدخلت والبلدة تتعرض بين فترة وأخرى لقصف مدفعي سوري عنيف من مسافات بعيدة وتنفذه بطاريات الجيش المرابطة في منطقة مشغرة[٦] لكن دفاعاتنا متينة، والقصف المدفعي

لا يحتل أرضا، تمهد المدافع الطريق للمشاة للاحتلال لكنها لا تحتل أي أرض. قوة الهجوم الفلسطينية التي احتلت مغدوشة استبدلت والمدافعون يتمركزون في مواقع حصينة، والطريق من مخيم عين الحلوة إلى البلدة باتت سالكة ولو بصعوبة أمام السيارات العسكرية وسيارات الاسعاف ولم يبقى على استكمالها سوى مسافة قصيرة وهذا يريح المقاتلين من التسلق على الحبال والسير على الاقدام مسافات طوية وعرة، ويسهل نقل الإمدادات العسكرية والتموين وإخلاء الإصابات.

وصل عبد ربه صيدا والقتال على أشده ولم تسمح لنا حدة المعارك بتنظيم زيارته للبلدة رغم إلحاحه على اللقاء مع المقاتلين في مواقعهم الامامية. فالتقيت به في مخيم عين الحلوة وكان المخيم يتعرض لقصف الهاونات ونيران رشاشات "أمل" من محيط مغدوشة ومن بلدة الغازية والبساتين المحيطة بالبلدتين.

في بداية اللقاء بادر عبد ربه بسيل من الأسئلة، كيف الوضع على الأرض في مغدوشة ؟ وما هي قدرة المخيمات على الصمود خاصة مخيمي الرشيدية وشاتيلا؟ ما هي حقيقة مواقف القوى الوطنية اللبنانية خاصة وليد جنبلاط ومصطفى سعد وحزب الله ؟ ما هو موقف قيادة فتح في تونس؟ وأشار ياسر إلى أن الضغط السوري يتزايد على الفلسطينيين وعلى قيادة الجبهة الديمقراطية بشكل خاص، يريدون منا الانسحاب فورا دون ضمان سلامة المخيمات، وقرروا وقف حركة كوادر الجبهة وقيادتها من والى سوريا، والأمين العام نايف حواتمة غير قادر على العودة من الخارج إلى دمشق، وهو شخصيا غير قادر على مغادرة دمشق وكذلك الرفاق الآخرين في المكتب السياسي.

وبيّن ياسر أن أطراف جبهة الإنقاذ فقدوا حسهم النضالي وروحهم الوطنية، وقال: "ومع الأسف الشديد، الرفاق في قيادة الجبهة الشعبية يمارسون التحريض ضدنا. وعن موقف القوى الأخرى لا تسأل". وأكد أن السوريون وجماعة أبو موسى عيونهم حمراء على ممدوح نوفل يتهموه بأنه ممثل عرفات في لبنان. وشدد ياسر على ضرورة أن أتخذ الإحتياطات الأمنية اللازمة ورفع اليقظة وتشديد الحراسة وتقليل الحركة وتغيير السكن. وقال: الموضوع جدي ويجب التعامل معه بمنتهى الجدية. أبو جمال (عبد الحليم خدام) والمخابرات السورية فقدوا أعصابهم وباتوا مهسترين".

واعتبر عبد ربه احتلال قوات "فتح" والجبهة بلدة مغدوشة ضربة معلم وعمل عسكري رائع، وخسارة الرفيق محمود خليفاوي عضو القيادة العسكرية للجبهة وأبو سمرة قائد الكتيبة والشباب الآخرين كبيرة، لكنها لم تذهب سدى. وقيمة هذا الإنجاز مهمة وكبيرة خاصة في مسألة المخيمات واستقلالية القرار الفلسطيني، وحجمه يظهر في رد الفعل السوري. وأكد ياسر أن المخابرات السورية هددت قيادة الجبهة مباشرة (٧) وأصروا على ذهاب أحد أعضاء المكتب السياسي إلى صيدا للاشراف على تنفيذ الانسحاب، وهذا هو ما جعلهم يأذنون له بمغادرة دمشق. وقال مازحا "طبعا انا قادم

لتنفيذ القرار السوري، والنقاش ممنوع". وأضاف: تصوروا، من نقطة المصنع على الحدود السورية اللبنانية حتى مداخل مدينة صيدا جميع الحواجز السورية لم توقفنا، سهلوا الحركة على الحدود وعلى طول الطريق بانتظار تنفيذ رغبتهم. ولم يستبعد ياسر وقوع تدخل عسكري سوري مباشر في مغدوشة وشرق صيدا وطلب أخذ الاحتياطات اللازمة. وقال: "نحن في الجبهة محشورون دورنا في معركة مغدوشة بارز ولامع ومكشوف للجميع. المعركة تاريخية لجهة ردع قيادة حركة أمل، والجماهير الفلسطينية في سوريا وفي كل الساحات تهلل لهذا الإنجاز، لكن المشكلة قائمة في مواقف القوى الحزبية الفلسطينية واللبنانية".

وأشار ياسر إلى تهرب أعضاء المكتب السياسي للجبهة من المشاركة في الاجتماعات واللقاءات الوطنية التي تعقد في دمشق وقال "وما أكثرها في هذه الأيام!". وأن الإخوان في الحركة الوطنية اللبنانية دون استثناء يساندون حركة أمل وجميعهم يصرون على الانسحاب من مغدوشة ووقف التمدد الفلسطيني خارج المخيمات(٨). ولاحظ أنه حتى وليد جنبلاط ومصطفى سعد وأمثالهما رفعوا نبرة نقدهم ضد قيادة الجبهة ناهيك عن الردح ضد عرفات والعرفاتيين. وطلب ياسر تنظيم لقاءات معهم لبحث الأمر والتعرف على حقيقة مواقفهم. لم يكن ياسر يجهل أن كل الأطراف مضطرة أمام السوريين الحديث بلغة تحمي الرؤوس، إلا أنه شاء أن يتيقن وأشار إلى أن الجبهة مضطرة للمسايرة احيانا في هذه الاجتماعات. وقال إن إخواننا في قيادة فتح غير موجودين في دمشق ومرتاحين من هذا الصداع وعبئ المسألة واقع علينا.

وتحدث عبد ربه عن الخطأ الذي ارتكبته قيادة الجبهة الديمقراطية عندما حصرت وجودها القيادي والعسكري والاداري بعد حرب ١٩٨٢ في الأراضي السورية. وان الجبهة تتعرض لابتزاز سوري قوي.

وعن برقية المكتب السياسي التي تأمرنا بالانسحاب من مغدوشة قال ياسر إننا أرسلناها بالمفتوح حتى يلتقطها الإخوان السوريين ويخففوا الضغط. والرفاق في دمشق مع الانسحاب إذا كان الانسحاب لا يؤذي موقفنا عسكريا وجماهيريا وسياسيا. السوريون وجميع القوى اللبنانية والفلسطينية تقول إنه إذا انسحبت قوات الجبهة الديمقراطية من مغدوشة وقرى شرق صيدا فستنسحب قوات "فتح" فورا لأنها لا تستطيع الصمود وحدها، وتساءل عن تقديرنا نحن للموقف هل هذا التقدير الرائج صحيح أو مبالغ فيه؟

تسابقنا في الحديث فهد سليمان عضو المكتب السياسي سكرتير المكتب التنظيمي وأنا وتقاطعت الكلمات ذاتها: "الانسحاب جريمة". تابعت أنا وصف الموقف حتى استوفيته، ثم قلت إن استمرار القتال في اطراف البلدة والمنطقة غير مخيف وليس ضار، بل مفيد لأنه يخفف الضغط عن مخيمات الرشيدية والبرج وشاتيلا ويستنزف

قوات أمل ويزيد ضغط سكان القرى الشيعية ضدها. وبينت لياسر أن وضع المخيمات في بيروت والجنوب تحسن جزئيا، وان حدة هجمات قوات أمل على الرشيدية وشاتيلا وبرج البراجنة خفت، وقيادة أمل سحبت قسما مهما من قواتها من محيط مخيم الرشيدية وحشدتها باتجاه مغدوشة والقرى الشيعية المحيطة بها. ورأيت أنه أصبح بإمكان القوات الفلسطينية في المخيمات المحيطة بالرشيدية وشاتيلا خرق طوق الحصار وإمداد المخيمين ببعض المواد التموينية.

وعدّدت بالأرقام خسائر الجبهة والإخوة في "فتح"، وبينت أنها وقلت أنها جميعها خسائر نوعية. وأكدت ان ضخامة الخسائر لم تؤثر في معنويات المقاتلين وفي قدرتنا على ادامة المعركة. وان الوضع المعنوي في صفوف المقاتلين بالاجمال جيد جدا. وأكدت على انه ليس بمقدور قوات "أمل" بمفردها استرجاع البلدة التي أبديت أسفي للدمار الذي لحق بها. وقلت إن مغدوشة المعروفة بجمالها عليها السلام، والبلدة لم تعد صالحة للسكن بعد قصفها بالهاونات والصواريخ. وأضفت مازحا: أعان الله سكانها المسيحيين أهل الذمة على مصيبتهم في حرب الشيعة اللبنانيين مع أهل السنة الفلسطينيين.

وأكدت على أن الحالة المعنوية للجماهير الفلسطينية في منطقة صيدا ممتازة، وأهالي المخيمات وسكان البلدة وسكان صيدا من غير الشيعة جميعهم مرتاحين للعملية. مرتاحين لتهشيم قوات أمل وكسر عنجهية قيادتها. المسألة في حسابات اللبنانيين طائفية، سنه وشيعه، وأبو معروف سعيد بالنتيجة وعامل عيد على المكشوف. وأشرت إلى أن المعلومات المتوفرة تشير إلى أن جمهور "أمل" بدأ يعيد الحسابات، وأهالي بلدة الغازية أرسلوا عدة وفود إلى أبو معروف. وعصام ممثل القائد العام التقى مختار بلدة الغازية بناء على طلب المختار. وعبرت عن قناعتي بأن الناس تبحث عن مصالحها وأمنها، وفي الحروب يبحث الأهالي المدنيون عن سلامتهم وسلامة أبنائهم وأرزاقهم. وبينت الاعتبارات التي يبني عليها التنظيم الشعبي الناصري والحزب التقدمي الاشتراكي موقفهما من المعركة، وقلت أن حزب الله بالرغم من تركيبته الشيعية يتقرب من الفلسطينيين ويبحث عن دور في مواجهة "أمل" ويسعى لتعزيز وضعه في صفوف الطائفة خاصة في الجنوب، وطلب منا ومن قيادة فتح في لبنان تسهيل تواجده العسكري في بلدة مغدوشة.

قطع ياسر الحديث ليلاحظ أن وليد جنبلاط ومصطفى سعد يتحدثان في اجتماعات دمشق بلغة سورية وهما الأشد تطرفا ضدنا. فقلت أنا إن هذا أمر طبيعي وموقف الزعيمين اللبنانيين مفهوم. واستحضرت المثل الشعبي اللبناني "أنا ما مت لكن شفت من ماتوا". وبينت أن وليد يخشى أن يلحق بوالده المرحوم كمال جنبلاط، وأبو معروف كذلك، وان اللبنانيين دون استثناء مقتنعون بان المخابرات السورية مستعدة لاستخدام كل الوسائل لتدمير من يعارضها. وأنبأت ياسر بأن جنبلاط ينتظره في المختارة وأبو معروف ينتظره في بيته، والإخوان قادة "فتح" في لبنان يريدون اللقاء به وجميعهم

يعرفون أنه قادم إلى لبنان لمعالجة المشكلة، وأبو معروف سأل عما إذا كنا سننضبط للقرار الحزبي الذي يحمله. وحثثت ياسر على الالتقاء بكوادر "فتح" لأنه مفيد من الزاوية السياسية والمعنوية، خاصة أنهم معزولون ومقطوعون عن اللقاءات المباشرة مع قيادتهم ومع القيادات الفلسطينية الأخرى.

وقد حبذ ياسر ما اقترحته وقال إن لدينا وقتا للحديث في الأطر الداخلية، وهو شخصيا يفضل أن نبدأ باللقاء مع القوى اللبنانية والفلسطينية، وسألنا عن رأينا، واقترحت زيارة وليد أولا، خصوصا أن المبيت سيكون في عين الحلوة. كما اقترحت أن يتولى فهد مرافقة ياسر في جولته، وأبقى أنا لمتابعة الوضع العسكري، وأشرت إلى احتمال أن تحاول حركة "أمل" شن هجوم معاكس إلا أن فهد أصر على أن لا خوف على مغدوشة لأن الوضع العسكري فيها جيد، وأضاف "أنت تعرف وليد وعلاقتك به مميزة وهو يرتاح للحديث بحضورك، وأنت أصبحت من أهل المختارة كما يقول الدروز وكل القوى الوطنية اللبنانية، وموضوع البحث حساس ودقيق والأفضل أن تكون أنت وياسر وأبقى أنا هنا لأتابع التطورات".واكد فهد ثقته بالشباب في مغدوشة وانهم على قد الحمل، وانه نفسه صار خبيرا في الطبوغرافيا والمدفعية بعد هذه المعارك.

في حينه طلب ياسر التحدث مع القيادة الميدانية في مغدوشة لأنه إذا تعذر زيارة الشباب في مواقعهم فعلى الأقل نتحدث معهم عبر الجهاز، كما قال. فتحت جهاز الاتصال اليدوي، وطلبت أن يناديهم هو مباشرة فهم على اتصال دائم، وكان أبو ربيع عبد الكريم ومعه عامر قاروط وماهر حمدي هم الذين يتولون قيادة المعركة.

وتحدث ياسر مع عبد الكريم والرفاق الاخرين وكانت كلماته حارة من الأعماق، حياهم على موقفهم وعزاهم بالشهيدين خليفاوي أبو سمرة وبقية الشهداء الآخرين، وحثهم على الصمود في المواقع، وقال: شعبكم داخل الوطن وخارجه مشدود نحوكم، المعركة فاصلة وعليها يتقرر ليس فقط مصير المخيمات شاتيلا والبرج والرشيدية، بل وكل الوجود الفلسطيني في لبنان. وبيّن أن كثير من مستقبل منظمة التحرير رهن ما يدور في هذه البقعة الصغيرة. وتحدث مع ماهر حمدي والمتواجدين في غرفة عمليات مغدوشة فردا فردا. فهتفت بياسر المسترسل في الحديث أن كفى، وحثثته على التحرك لأننا تأخرنا ولأن طريق المختارة طويل، وموعدنا مع وليد يتطلب التحرك فورا. وقلت لنفسي إن ما قاله ياسر للرفاق حول المعركة يكفي لتثبيت وجودنا، وقرار المكتب السياسي بالانسحاب من مغدوشة تغير دون جهد ما دام الرفيق الأمين العام المساعد متحمس لبقاء قواتنا فيها.

أثر حديث ياسر مع الرفاق في مغدوشة قي نفسي وأزال الكابوس عن ذهني، وأحل محله الندم الذاتي على تسرعي في اتهام الرفاق في دمشق إذ تصورت أني مضيت في شكوكي أبعد مما ينبغي. نعم أسأت الظن برفاقي وسأعترف يوما بذلك هكذا قلت في نفسي، وهذا ما دار في ذهني ونحن متجهين عبر جسر الأولي إلى المختارة.

وبعد عبور الجسر قطعت الصمت ونبهت ياسر إلى أننا دخلنا الآن منطقة الخطر حيث بامكان المخابرات السورية الوصول إلى هذه المنطقة، وهم كما تعرف يتواجدون في منطقة الشوف، ونحن عادة نسلك طرق فرعية لنتجنب حواجزهم.

فشدد ياسر على ضرورة الانتباه، وقال إن جماعة سورية في الصاعقة والقيادة العامة حذّرونا جديا. ثم استفسر عن حقيقة موقف جنبلاط ودقق ببعض التفاصيل من نوع متى كان آخر لقاء مع وليد ومن كان حاضرا. وتساءل عما إذا كان من الممكن المراهنة على استمرار وليد ومصطفى في مساند احتلال مغدوشة ؟ وكانت استفساراته تنم عن شعور بثقل الضغوط السياسية والعملية للسوريين ومن معهم من القوى الفلسطينية واللبنانية على الجبهة في سوريا وكان قلقا من مستقبل العلاقة مع سوريا.

أجبت باختصار وأكدت أن وليد ومصطفى شركاء في المعركة ومواقفهم مضمونة. رد ياسر برواية ما حصل في آخر اجتماع في فندق شيراتون في دمشق بحضور عضو مجلس قيادة الثورة الليبية عبد السلام جلود وكل الجوقة الفلسطينية واللبنانية على حد تعبيره[٩]، وأضاف أننا هنا مرتاحون من أجواء النكد هذه، وأقسم انه يمرض بعد كل اجتماع يحضره، وان مرضه جدي، توتر مستمر، لا نوم ولا أكل، فقط دخان في دخان، وقال: "صدقا، بت أشك في وطنية قوى جبهة الإنقاذ الفلسطينية، تصور يا رجل، تخلوا عن وطنيتهم من أجل إرضاء القيادة السورية!". وخص بالذكر جماعة جبريل وجماعة "فتح" ـ الانتفاضة بقيادة أبو موسى.

وحين سألت أنا عن الجبهة الشعبية، قال هو: "موقفهم مع الأسف هو الأسوأ، وأنت تعرف من يمثلهم في الاجتماعات. السيد أحمد اليماني "أبو ماهر" يتحدث وكأنه ليس ابن مخيمات لبنان، نسى الأخ أنه لاجئ. تسمع حديثه فتعتقد، لو لم تكن تعرفه، أن المتحدث ضابط مخابرات سوري من مواليد القرداحة بلدة الرئيس الأسد[١٠]". وقدر ياسر أن نهاية ابو ماهر مؤلمة، رجل تجاوز الستين يختم حياته النضالية بمواقف تضر بالمصالح الوطنية. واتهامه بخيانة المخيمات وأهلها ليس فيه مبالغة أو تطرف. ثم استفسر ياسر حول موقف قيادة الجبهة الشعبية في لبنان، وكيف يترجم على الأرض موقف كوادرهم في شاتيلا والرشيدية. فوصفت الموقف بأن لا بأس به، وبينت لياسر كيف بدأ هنا فرز وطني على أساس الموقف من الحرب على المخيمات، وقلت إن هذا ليس سيئا. وهو افضل من الفرز على عرفاتي او غير عرفاتي. وحول مواقف القوى اللبنانية أكدت على ضرورة الانطلاق في معالجة قصة مغدوشة من قاعد ثابتة خلاصتها وليد ومصطفى سعد مهتمين بهزيمة قيادة أمل في مغدوشة بعد هزيمتها في شرق صيدا، وما يقال في اجتماعات دمشق لا يعبر عن موقفهما الحقيقي، والواقع أن مصطفى يعتبرها معركة الدفاع عن مملكته في صيدا، ووليد يتصرف عمليا وكأن المعركة معركة الدفاع عن المختارة وبعقلين في قلب الشوف. وبينت ان لقاءاتنا مع وليد وكوادر الحزب شبه يومية. وذكرت ياسر بأنه يعرف طبيعة علاقة وليد الخاصة بعصام ورويت له

كيف أمر وليد بفتح المستودعات لحركة فتح، أعطاهم صواريخ راجمات وقذائف آر بي جي وقذائف مدافع هاون ثقيلة وذخائر خفيفة متنوعة، إضافة لعدد من قطع الرشاشات الثقيلة والمدافع المضادة للدبابات. ولتأكيد مدى عمق علاقتنا، عصام وأنا بوليد، قلت إننا إذا تخلفنا عن زيارته يوما فإنه يرسل مندوب من طرفه لأخذ تقرير ميداني عن سير معركة مغدوشة.

بعد كل تصريح ناري يطلقه وليد ضدنا وضد قيادة م.ت.ف، كان يدعونا إلى لقاء ويعرض امكانياته العسكرية ويدقق هو في التطورات. وهو يقول بكل صراحة ووضوح أنه لا يستطيع اتخاذ موقف علني إلى جانبنا ضد حركة أمل للأسباب المعروفة. والإخوان في القيادة السورية بالرغم من تصريحاته العلنية المتكررة ضد عرفات وضد التمدد الفلسطيني غير راضين وهم يريدون منه دخول المعركة مباشرة بجانب نبيه ضدنا. وقد أكد وليد لي أنه رفض الخضوع لهذا الطلب وقال لهم إن كان البعض مستعد تحمل وزر الدم الفلسطيني أنا والطائفة الدرزية لا نستطيع تحمل ذلك، والدم الفلسطيني يحرق كل من يلعب به، "ويا ما حكام عرب طاروا ودول عربية تشقلبت بسبب القضية الفلسطينية وبسبب اللعب بدم الشعب الفلسطيني". حجة جنبلاط بسيطة وناجحة حتى الآن، يقول للسوريين: "تقاتلون ياسر عرفات اليوم، اليوم، فما الذي يضمن لي ألا تصالحوه غدا ؟ أنتم دولة لها مصالح، ومصالحها هي التي تتحكم برسم سياستها"، ويستشهد بما حصل عام ١٩٧٦ وما بعدها.

وليد ذكي ويحاجج السوريين باستمرار يعرف أنهم لا يستطيعون لاعتبارات عربية ودولية إلغاء اعترافهم بمنظمة التحرير ممثلا شرعيا ووحيد، ويستخدم الموضوع باتهامهم بأنهم ليسو جادين في إضعاف عرفات وإنهاء وجوده في لبنان. يقول لهم: "من لا يزال يتحدث عن م.ت.ف باعتبارها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني يعني أنه حريص على حفظ خط رجعه لنفسة". وأكثر من مرة قال وليد لعبد الحليم: "إذا تورط وليد جنبلاط في المخيمات راح دعسا بين أرجل العرب والمسلمين ولن يجد من يدافع عنه أو يقول الله يرحمه، حتى في الطائفة، لان مشايخها وكوادر الحزب لم ينسوا مساعدة الفلسطينيين لهم في الدفاع عن الجبل وفي تحرير بحمدون وعاليه وكل منطقة الغرب والشحار من الجيش اللبناني وقوات الكتائب وحلفائها الانعزاليين[١١]". ويؤكد وليد لنا وللسوريين أن الدروز ليسوا مستعدين للاشتباك مع المخيمات الفلسطينية وما فعله نبيه في دروز بيروت ليس قليلا ولم ينسوه[١٢].

قلت للرفيق ياسر كل هذا ثم جزمت: أن هذا هو موقف وليد الحقيقي، وهو يحاول داخل الاجتماعات إرضاء السوريين بالكلام لكنه عمليا يقف بجانبنا ويساعدنا، وعلى كل حال أعتقد أنك ستسمع منه مباشرة كلام بهذا المعنى.

سأل ياسر " هل أعطانا ذخائر وأسلحة ؟

- ليس للجبهة مباشرة، بل بواسطة عصام. والواقع أن أخذنا من وليد جنبلاط كمية من الذخائر الخفيفة وقذائف أر بي جي، مع وعد بإعطائنا بعض الأنواع التي طلبناها. وأنا أظن انه يخشى تسريب مساعدته لنا ويشك في قدرتنا على حفظ الأسرار ويعتبر وجود قيادة الجبهة في دمشق في هذا الظرف بالذات نقطة سوداء في مسيرتها الناصعة كما قال. وقد تحدث معي أكثر من مرة حول وجود نايف وياسر وبقية المكتب السياسي في دمشق ؟ وأراد أن يخرجوا من دمشق، وكان مهتّماً إلى أبعد حد بالحوارات الفلسطينية من أجل استعادة الوحدة، ورأيه أنه يجب استعادة الوحدة بسرعة وبأي ثمن، وهو يطالب بعدم التوقف أمام التفاصيل، وأن لا نجعل إلغاء اتفاق عمان شرطا مسبقا فهذا يعقد الأمور ولا يسهل الوحدة، خاصة وانه يعتقد أن اتفاق عمان انتهى ولم يعد قائما.

وأضفت: أنني مع هذا الرأي، اتفاق عمان أصبح جثة، لم تعمل الأطراف مراسيم رسمية لدفنه بعد. الملك حسين زهق من العلاقة مع قيادة المنظمة وهو الذي قتل الاتفاق وياسر عرفات سرق الجثة من عمان وحفظها في البراد ليبيعها لنا ولغيرنا. عرفات براغماتي يريد أن يتاجر بالجثة.

رد ياسر بأن هذا صحيح لكن معظم الرفاق في قيادة الجبهة لم يتوصلوا بعد إلى هذه القناعة. وتحدث عن تباينات بدأت تظهر في صفوف الجبهة الشعبية حول موضوع استعادة الوحدة، وهو يرى أن حرب المخيمات حشرتهم، وشعار وحدة المدافعين عن المخيمات يمكن أن يؤدي إلى فرض الوحدة على المستوى الوطني. وأشار إلى أهمية توحد القاعدة الحزبية والجماهيرية للتنظيمات الفلسطينية في لبنان وفي الأراضي المحتلة، وهذا ممكن التحقيق وتحقيقه يلزم القيادات بالتحرك الجدي لاستعادة وحدة المنظمة. وأكد على أهمية تعزيز هذا التوجه في كل المناطق والمواقع في لبنان، وعلى ضرورة توريط الجبهة الشعبية إذا أمكن في المشاركة في القتال الدائر في مغدوشة ومحيطها. وقال إن من المفيد أن يتكلم مصطفى سعد مع ناس الشعبية خصوصا مع كوادرهم أبناء المخيمات، وحديث وليد معهم مفيد أيضا.

وأشار إلى أنه يفكر بالسفر إلى الكويت للقاء مع ابو اياد، والإخوة في قيادة فتح أرسلوا رسالة جديدة دعونا فيها إلى لقاء جديد مع ابو اياد وحددوا أن يكون اللقاء في الكويت بعد أسبوعين. وأكد أن موقف الرفاق في الحزب الشيوعي الفلسطيني جيد، وهم متحمسون لاستعادة الوحدة الوطنية لأسباب عديدة، ويعتقدون أن الظروف باتت مهيأة لدخولهم اللجنة التنفيذية[١٣].

قلت إن هذا حق لهم كان يجب ان يحصلوا عليه منذ مدة. وهو حق طبيعي مهضوم منذ فترة طويلة، ومن الغريب أن تكون جماعة فلان وعلنتان المسماة فصيلاً أعضاء في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير فيما الشيوعيون خارجها. إنني مع هذه الخطوة

النوعية الجديدة ومع وضعها في لقاءاتنا مع قيادة فتح شرطا من شروط استعادة الوحدة الوطنية، وإذا نجحنا فهذا إنجاز وطني حقيقي يساعد في تمتين الوحدة الوطنية على المستوى الشعبي يصلب المنظمة ويقوي القوى الديمقراطية فيها.

وبيّن ياسر أن هناك عقبات وصعوبات ليست بسيطة. وان تأثيرات العربية السعودية ودول الخليج وامتداداتهم في الساحة الفلسطينية قد تحول دون ذلك. وقال إن خروج الماركسيين والشيوعيين من منظمة التحرير لا يزعج السعودية ودول الخليج، وجماعاتهم في الساحة الفلسطينية مبسوطين على خروج الجبهتين الديمقراطية والشعبية من قيادة المنظمة وهم يبذلون جهودا كبيرة ويمارسون ضغوطا لإبقاء الوضع الفلسطيني على حاله.

فوافقت ياسر على أن هذه فكرة عظيمة، وبعض الضغط السوفيتي على عرفات مفيد لأنه يخلق نوعا من التوازن. فوافقني ياسر على رأيي. وأوضح انه يفكر في السفر مع عضو قيادة الحزب الشيوعي الفلسطيني سليمان النجاب إلى موسكو إذا تمكن من مغادرة دمشق وبحث موضوع الوحدة الوطنية الفلسطينية من جميع جوانبه، ومنها مسألة دخول الحزب الشيوعي اللجنة التنفيذية. وقال: "هل تصدق إذا قلت لك أن صاحبنا نايف حواتمة غير متحمس لدخول الحزب الشيوعي اللجنة التنفيذية ؟ فأبديت أني لا أستبعد ذلك، والأسباب ذاتية وتنظيمية محضة. وجود الجبهة الديمقراطية في التنفيذية امتياز لا يملكه الحزب الشيوعي. ونايف يتصرف باعتباره ممثل الحركة الشيوعية الفلسطينية والعربية، ويهمه تكريس نفسه الممثل الوحيد للخط السوفيتي في المنظمة ولا يريد شريكا في هذا التمثيل، ودخول الحزب اللجنة التنفيذية يجعله بمثابة الضرة عند نايف.

أكد ياسر أن هذه الملاحظة دقيقة، وقدّر أن صاحبنا أبو النوف أذكى من أن يسجل على نفسه بوضوح موقف من هذا القبيل، لكنه لن يعجز عن طرح موقفه مواربه. واوضح ان قيادة الشعبية متحمسة للموضوع أكثر من نايف. وروى لي أن جورج حبش في آخر لقاء مع الشعبية قال بالحرف: "نحن مستعدون لجعل دخول الحزب الشيوعي الفلسطيني إلى قيادة المنظمة شرطا ملزما لاستعادة الوحدة"، أما نايف فقد وعد بأن نعمل من أجل ذلك ولكن ليس من الضروري أن يكون شرطا ملزما. وتذرع نايف بأن وضع هذا الشرط قد يعرقل استعادة الوحدة لان العقبات كثيرة وكبيرة.

فقلت أنا إن جورج يتمتع بأفق وطني فلسطيني أوسع، اما ما يتذرع به نايف فليس هو السبب الحقيقي، وجزمت بان نايف يفضل عدم دخول الحزب اللجنة التنفيذية وإن راح يتذرع بالحرص الزائد على استعادة الوحدة، ولم أستبعد أن يحرض قيادة فتح ضد الفكرة. وأكدت على ضرورة متابعة الموضوع بجهد جدي. واقترحت بقاء ياسر في مدينة صيدا عدة أيام ويتواصل عبر الهاتف مع أبو عمار وأبو جهاد. وقلت لمن ارتحت

إلى موقفه أن ابق وريّح رأسك من الصداع وتنفس هواء نقيا وبامكاننا تهريبك من صيدا عبر البحر إلى قبرص.

ضحك ياسر وقال: "فكرة عظيمة ومريحة على الصعيد الشخصي، لكن مطلوب مني العودة غدا، سأمدد بقائي يوم آخر". وبيّن أن عبد السلام جلود وعبد الحليم خدام قاعدين في دمشق ينتظران عودته ويأملان أن تصير قواتنا خارج مغدوشة قبل وصوله دمشق، وهم في دمشق لا مانع لديهم في أن نخسر بل يتمنون أن نكون جميعا في المقبرة.

قلت مازحا: "اقتربنا من المختارة، وإذا كانت هذه مهمتك وسوف تبحثها مع جنبلاط فالأفضل أن نعود إلى صيدا، خيك وليد إذا سمع هذا الكلام إما أن يأمر بحبسنا أو طردنا، وأنا على كل حال مستعد أن أتخلى عنك وادعي باني أحضرتك للمختارة مخفورا للاعتقال، وإذا رفض أبو تيمور اعتقالك الحل بسيط، أقول لأصحابي مشايخ الطائفة وكوادر الحزب التقدمي بأنك ماروني كتائبي من بيروت الشرقية، وعندها دبر رأسك أنت ونايف معهم... محسوبك صار درزي حتى بعض اللبنانيين باتوا يشكون في الأمر نتيجة عمق العلاقة مع وليد وكوادر الحزب، وبعضهم يرى في استخدامي حرف القاف في الكلام تأكيداً على الأصول الدرزية ومزحتي هذه لم تكن بغير أساس، فقد انتهى بعض هؤلاء إلى احتسابي واحداً منهم. وبينت كيف أن أهل بلدتي قلقيلية يلفظون القاف ثقيلة في معظم الأحيان ويخففونها أحيانا دون قانون سوى العادة، نقول مثلا: "أهل كلكيلية"، ونقول أيضا قلت لك، الأولى مخففه جدا والثانية ثقيلة جدا ولا أحد يعرف السبب أو كيف يتم تركيب الكلمات المشابهة.

ثم عدت بالحديث إلى مواضيعه الجدية، وأكدت على أهمية إشعار جنبلاط بتصميم الجبهة على متابعة معركة مغدوشة والبقاء فيها حتى يفك الحصار عن مخيم الرشيدية والمخيمات الأخرى. وبينت لياسر أن هذا موقفي وسأبقى عنده مهما تطورت الضغوط السورية على الرفاق في قيادة الجبهة في دمشق ولا خيار لنا سوى الصمود. الانسحاب يدمر معنويات التنظيم ويهدم علاقاته الوطنية، خاصة أن خسائرنا كبير ونوعية. والأهم من خسائر الجبهة أن الانسحاب لن يوقف المخطط السوري ولا هجوم "أمل" على المخيمات، بل إنه يشجع "أمل" على مواصلة المعركة. والانسحاب أيضا يعني دون مبالغة وضع ٨٠ ألف فلسطيني في عين الحلوة وصيدا أمام مصير أسود. حقد قيادة "أمل" على عين الحلوة وصيدا كبير وزاد خلالٍ معارك شرق صيدا ومغدوشة، ولا مبالغة إذا قلت ستقع مجازر جماعية لا تقل هولاً عن التي ارتكبت في صبرا وشاتيلا على يد الكتائب والإسرائيليين إبان الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢. والأخوان في حركة أمل جهزوا سيوفهم للانتقام والثأر من الفلسطينيين، ولا ينبغي أن تنسى أن "أمل" مخترقة بعملاء إسرائيل، مثلها في هذا مثل فصائل المنظمة قبل عام ١٩٨٢.

وأشرت إلى انه من المفيد أيضا أن يلمس جنبلاط تباين موقف الجبهة الشعبية حول المعركة وأن ما يقوله أبو ماهر اليماني في الاجتماعات مع "أمل" والسوريين لا يعبر عن حقيقة موقف الشعبية. المهم تشجيع وليد للاستمرار في موقفه واللقاء مع قيادة الشعبية في لبنان والضغط عليهم ليقوموا من جانبهم بالضغط على أصحابهم في سورية. وأكدت أن الكلام عن انقسام موقف الشعبية حول حرب المخيمات ليس تأليف وافتراء، وان كوادرهم ومقاتليهم من أبناء المخيمات يشاركون في معارك الدفاع عن شاتيلا وبرج البراجنة والرشيدية. وموقف كوادرهم في مخيم عين الحلوة من احتلال مغدوشة جيدة جدا، وأرسلوا بهدوء مجموعة صغيرة للمشاركة في القتال واشاعوا انهم يشاركون في المعركة من بدايتها، وعدد من كوادرهم عاتبوا رفاقنا على عدم ابلاغهم بالعملية وعدم إشراكهم فيها من بدايتها، وقالوا لا تصدقوا ما يقوله أبو ماهر اليماني في اجتماعات دمشق، حديث أبو ماهر هدفه الاستهلال السوري. الشعبية هي في كل الظروف والأحوال تنظيم فلسطيني ويبدو أن مواقفهم داخل الوطن جيدة، قرأت بيانا صادر عن منظمتهم في الأردن وآخر من الداخل والبيانان جيدان.

وأكدت ان كوادر جبهة النضال الشعبي وجبهة التحرير الفلسطينية وعدد واسع من كوادر جماعة أبو موسى ومقاتليها في منطقة صيدا والجنوب هم مع احتلال مغدوشة، وبعضهم يطالب بمواصلة الهجوم حتى يتم فك الحصار عن المخيمات. وقد رفضنا والإخوة في "فتح" أطروحة بعض القوى بطرد "أمل" من الغازية وحارة صيدا. وأكدنا في بيت أبو معروف تمسكنا بعدم تحويل المعركة إلى حرب شيعية ـ فلسطينية، ونحاول استثمار موقف حزب الله. والأمين العام لحزب الله، عباس الموسوي، رجل سياسة محنك، شاب متحمس لإضعاف حركة "أمل" وهو يرفض أن يتهم الحزب بالتبعية لأحد سواء إيران أو سوريا، ويعتز بالعلاقة مع ايران ولا يطمئن لحزب البعث السوري ويكره حزب البعث العراقي.

اللقاء مع وليد جنبلاط في قصر في المختارة

أمام باب قصر المختارة الخارجي، توقفت السيارات، أسرع الحرس إلى فتح الباب فبدا أنه على علم مسبق بقدومنا وأنه كان بالانتظار. إجراءات الحراسة في العادة مشددة، وعند البوابة يتم التدقيق في الزوار، وقليلة السيارات التي يسمح لها بالدخول إلى ساحة القصر.

وقبل النزل من السيارة، أكدت على ضرورة وضع جنبلاط في صورة التوجهات والاتصالات الوطنية الجارية بشان استعادة وحدة منظمة التحرير، ولا بأس في طلب بعض الذخائر وطلبك يعجل في صرف ما وعدنا به.

في الباحة الداخلية للقصر كان وليد يتمشى مع هشام ناصر الدين وداود حامد عضوي قيادة الحزب. صحيح أن المشي في محيط القصر وساحته كان عادة من عادات وليد، لكنه كما اعتقد تَقصَّدَ التواجد هذه المرة في الساحة ليكون هو شخصيا في الاستقبال، وهذه مسألة قلما يعملها وليد حتى مع كبار الزوار. ويلتزم بها في المناسبات الرسمية فقط وإن كان يكره ما فيها من تصنع وتكلف في السلوك، وهو لا يحب التكلف والتزلف والتملق بل يمقت ذلك.

وليد دقيق الملاحظة، متواضع، ويحب المتواضعين ولا يطيق المتعالين، وأكثر من مرة غمز من قناة الرفيق نايف حواتمة وقارن سلوكه مع جورج حبش من هذه الزاوية، أشاد بتواضع الحكيم جورج ونقد تصنع نايف. وأنا أتذكر أني قلت له في أحدى السهرات أن من المفيد أن يعرج أثناء زيارته لدمشق على مكتب الجبهة الديمقراطية في الأزبكية ومكتب الجبهة الشعبية وأن يلتقي جورج ونايف ويشد أزرهم ويقوي ركبهم فأجاب بصراحة: "أنا لا أرتاح للقاء حواتمة، أنا رجل عملي ولا أحب التنظير والخطابات وكثرة الكلام. خطابي كما تعرف إذا زاد عن عشرة أسطر أعتبره طويلا ومملا، صاحبك أبو النوف تقول له كيف حالك، فيجيبك بمحاضرة ساعة..ساعتين، حسب وقتك، أنت تقول له السلام عليكم، وهو يرد وعليكم السلام ثم لا تدري بعدها كيف ينهال منه الكلام. المحاضرة عن الوضع الدولي والعربي والظروف المحيطة بالوضع المحلي تبدأ من لحظة الجلوس الأولى وعبر الحديث عن الوضع المحلي يكرر ويكرر ويعيدك لما قاله حول الاوضاع الدولية والعربية. وقد بين وليد جنبلاط أنه يكره هذا الأسلوب خصوصا أن نايف يكرر ذات التحليل حتى لو غبت عنه سنة أو سنتين، وكأنه شريط مسجل يضاف له بعض الرتوش ويشطب بعض الوصلات. ولهذا كان وليد يتحاشى اللقاء مع نايف وهو يرى أن الحكيم أكثر تواضعا، يسأل ويسمع الجواب ويترك لضيفه فرصة الكلام ويعلق باختصار. وتساءل جنبلاط عما إذا كان هذا السيناريو يحصل فقط معه، وأبدى استعدادا لزيارة مكتبنا ومكتب الجبهة الشعبية بشرط أن أرسل لصاحبك أبو النوف رسالة تقول له أن ارحم وليد وأعفيه من المحاضرة فهو لازال يحفظها من آخر لقاء ومستعد لأن يعيدها جملة جملة، وأن أقول أيضا إن وليد لن يتكلم بصراحة لأنه لا يستطيع أن يكون في دمشق صريحا وصادقا مع أحد، الكلام كله يصل للإخوان في المخابرات وأحيانا على الكاسيتات. ويا رجل، هل تصدق أن قيادات بارزة تكتب تقارير للمخابرات السورية بخط يدها. هل تصدق أن الرعب من المخابرات بلغ إلى هذا الحد".

ويومها، أوضح وليد أنه لا يعني أن نايف أو جورج حبش يفعلان هذا، ولكن يروج أن كل ما يقال في الاجتماعات الفلسطينية التي تعقد في دمشق يصل خلال ساعات إلى علي دوبا "أبو حازم" مدير المخابرات السورية، عبد الحليم خدام "أبو جمال" ويصل في اليوم ذاته غازي كنعان مدير الاستخبارات السورية في لبنان.

ويومها أضاف: على كل حال، أحوالنا نحن اللبنانيين ليست أحسن، هذه العادة انتقلت لطرفنا ان لم نكن نحن السباقين وكانت جارية تحت الطاولة منذ القدم. وروى واقعة طلب أن تبقى طي الكتمان. وعلق على موضوع طي الكتمان والسرية عندهم وعندنا، عندما تقول هذا الموضوع سري وأرجو أن يبقى طي الكتمان، فهذا الوصف يفهم على أنه مهم ويجب أن يعرفه الجميع، فالتأكيد على سرية الكلام وإبقائه محصور يعني عند الفلسطينيين واللبنانيين وعند العرب على ما أعتقد أن المطلوب هو نشره وتعميمه على أوسع نطاق. وطبعا، الحزبيون خير من نشر وأذاع، وللأمانة ينشرون الأسرار بشكل منظم ويوزعوا المعلومات السرية بعضهم عن بعض مكتوبة في تعاميم خطية، وتعاميمهم والحمد الله لا تكتفي بذكر المعلومة بل تذكر أيضا المصدر. وللدقة يشار إلى المكان والوقت والتاريخ بدقة وأمانة حزبية صارمة!.

وذكر وليد أن الحزب التقدمي الاشتراكي بريء من هذه العادات والتقاليد التي وصفها ساخرا بأنها الحميدة! وقال إن كوادره بالكاد يبلّغون بالمواضيع الحساسة، وإذا عرفوها فأنهم يعتبروها غير مهمة وينسونها بسرعة. اهتماماتهم السياسية متدنية، وهم يعتبرون القضايا السياسية والعمل السياسي شغل البيك وأهل القصر. ويومها روى وليد قصة حديث خاص جدا تحدثه مع أمين عام حزب لبناني يساري، وكيف أن الحديث جرى في المساء، في المختارة، ليفاجأ في العاشرة صباحا بأن الحديث بكامله موجود بخط اليد على مكتب علي دوبا ونسخة منه على مكتب خدام. وأكد وليد أنه شاهد التقرير بأم عينه وأن علي دوبا قرأ له منه بعض الفقرات وهي منقوله حرفيا كما قيلت في اللقاء. وأقسم وليد أن الجلسة كانت ثنائية، راس براس، مع الرفيق المعني. وختم جنبلاط يومها الرواية بالقول إنه ليس بالضرورة أن يكون الرفيق الأمين العام هو كاتب التقرير، إذ يمكن أن الرجل عقد إجتماع لجماعته في الليلة ذاتها وروى لهم ما حصل في مكان زرعت فيه آلة تسجيل. المهم الرواية نقلت بتفاصيلها للإخوان بطريقة أو أخرى. وعلق قائلا أن عمل المخابرات وسرعة حصولهم على المعلومات ونقلها قد أذهلته : "بريد طيار أسرع من البرق".

في ساحة القصر تابعنا المشي مع وليد وهشام ناصر الدين وداوود حامد. وكالعادة، تخلل المشي دردشات أولية تعتبر مداخل وعناوين للحديث اللاحق.

في بداية الدردشة قال ياسر: والله يا أبو تيمور أحسدك على هذه القعدة وأحسد الرفاق المتواجدين في لبنان على راحة البال وبعدهم عن وجع الراس الذي نعانيه في دمشق. وتحدث ياسر عن الهم والغم السياسي اليومي الذي يواجهه في سوريا، وتبسط في شرح مصادر المعاناة بأسلوب التشنيع المرح الذي يتقنه ياسر. وضحك وليد وجارى ياسر في التشنيع الساخر. أما هشام ناصر الدين عضو المكتب السياسي للحزب التقدمي فقدم أول ملاحظته :"السهرة حامية من أولها، الله يسترنا منها ويحمي القصر وصاحبه، على الأقل حتى يكبر الولد تيمور". ووجه هشام حديثه إلى ياسر مستمرا في السخرية : "المعلم حامي على الأخير وواقف على نقرة حتى يخربها

ويعلن موقف ضد الشقيقة، وبعدها طبعا سيأتون إلى المختاره لإجراء حوار ونقاش أخوي وديمقراطي صريح جدا". واقترح هشام أن يستكمل الحديث في القصر لأن هذا أستر "ولان الله مع السوريين في لبنان منذ عام ١٩٧٦ ويخشى أن ينقل الكلام لهم". وأضاف هشام ممعنا في السخرية: "اعتقد ان الله ليس على استعداد لسماع الكلام داخل القصر لأنه يخرج من بيت درزي".

علق داوود حامد عضو قيادة الحزب وقال: "أنا لم أسمع شيئا ولم أر لا ياسر عبد ربه ولا ممدوح نوفل، وإذا سُئلت يوم الحساب العسير، ويبدوا أنه بات قريبا، فسوف أنكر أني كنت موجودا، وسأقسم على الكتب السماوية الثلاثة بأني لم ألتق أي فلسطيني منذ وطأت أقدام الجيش العربي السوري أراضي محافظة لبنان الجزء الغالي والنفيس من سوريا الكبرى التي اقتطعتها الإمبريالية العالمية من الوطن السوري لتمزق الوطن العربي الكبير". وأضاف: "اعتبروني مش موجود، سلام عليكم، وقبل أن أغادر أود القول: المهم هو الصمود في هذه المعركة الحاسمة، مغدوشة قضية سياسية كبيرة قبل أن تكون عسكرية، والمهم ألا نخسر بالسياسة ما كسبناه بالقتال، هكذا عمل فينا الرئيس السادات وباقي زعماء العرب".

ودعنا داوود بدعوى أن لديه ارتباطا مسبقا وبعض الأشغال المتعلقة بمغدوشة وسواها كلفة بها الرئيس وليد عليه انجازها الليلة. وبعد السلام التفت إلى هشام ناصر الدين وقال له: "أرجو الانتباه لا تكثر من الشرب خليك صاح، احفظ درسك، سوف أسمع منك التفاصيل".

وما كاد داوود يبتعد باتجاه بوابه القصر الخارجية حتى ناداه وليد وقال: "داوود، خذ معك هشام، ألاحظ انه صار خوّيفا ويحسب حسابات واسعة، خرب بعد انتخابه عضوا في المكتب السياسي للحزب". فرد داوود: "قرار الحزب يا حضرة الرئيس أن يحضر هشام ناصر الدين عضو قيادة الحزب ليضع الحزب في صورة المباحثات، وشخصيا أريد التضحيه به وشطبه على البكير حيث صار منافسا خطيرا".

بهذا المزاح المرح صعدنا الدرج الموصل إلى غرف القصر وصالوناته الداخلية. وكالعادة حضرت القهوه العربية فورا، قهوة أهلا وسهلا، ومعها السؤال المعتاد عما نحب أن نشرب بعدها. وعلق وليد مازحا: "الرفاق شيوعيون أصليون يحبون المشروبات الروحية وعلى رأسها الفودكا مشروب الرفاق السوفيت المفضل وفي ذيلها الكونياك والوسكي مشروب الإمبريالية العالمية". وأضاف: "الأخ ياسر عبد ربه قادم من دمشق وهو يكره رائحة المازوت الذي ينبعث من مداخن دفاياتها، فأشعلوا لنا مواقد الحطب، ضيوفنا العزيزون قادمون من عند أسيادنا الحكام في الشام".

طلب ياسر كأس عرق بيتي قائلا انه لم يشرب العرق منذ فترة طويلة. ثم أضاف: "حتى عرقكم يا أخ وليد يتغير طعمه عندما يعبر الحدود السورية، يظهر بيغشوه". قال

وليد: "هذا تزوير للحقائق، عرقنا أصيل، لكنه، مثل كل القيادات اللبنانية، "يتسورن" بمجرد عبوره الحدود". فبث ياسر غمزته: "وطبعا، القيادات اللبنانية وعلى رأسها الأخ وليد جنبلاط". وعلق وليد: "هذا التعبير شيوعي غير مقبول وهو ضد القومية العربية حسب القاموس الأصيل، يجب أن تقول القيادات الطلائعية وعلى رأسها الأخ الرئيس الطليعي ابن شهيد الأمة العربية الرفيق القومي كمال جنبلاط"، وأضاف وليد: "أنا لا أمزح، هذه جمل سمعتها في مناسبة جمعتني مع الرفيق عبد الله الأحمر الأمين العام المساعد لحزب البعث السوري. تصور أن الأحمر بذل جهدا ليقنعني أن كمال جنبلاط كان صديقا حميما لحزب البعث العربي الاشتراكي وكاد في سياق حديثه أن يقول إن كمال جنبلاط منتسب سري منذ القدم لحزب البعث".

جلسات السمر مع وليد جنبلاط ممتعة ومريحة لمن يتعود عليها ويفهم أصولها، خاصة اذا كانت الجلسة محصورة بالمقربين من وليد ومع من يثق فيهم. تجد عنده دائما معلومات جديدة هامة، مصادره كثيرة ومتنوعة، ومعلوماته لا يخفيها عن الذين يثق بهم ويرتاح لهم. لكنه مضلل من الطراز الأول إذا كان في الحضور من لا يثق به. يتقن استقبال الرسائل غير المباشرة يلتقطها على الطاير، ويجيد إرسالها بطريقة حمالة أوجه، ويترك للمتلقي اختيار الوجه الذي يريد. بارع هو في مد اللقاء ساعات إذا رغب، وهو ينهيه خلال دقائق إذا زهق. إنه مؤدب، لكنه جلف إلى أبعد حد مع من يتجاوز الحدود. ودود إلى آخر الود مع من يثق فيهم. قليل الكلام يحب الاستماع ويستفسر عن أدق التفاصيل في القضايا التي يعتبرها هامة، ويشرد ذهنه عند الحديث في قضايا لا يعتبرها ذات قيمة. يكره التحليل النظري الطويل، ويستمتع بالحديث المباشر في القضايا العملية، يحفظ تاريخ لبنان والعرب بشكل وافي وتفصيلي. يحب الحديث عن الماضي القريب، ويربط وقائعه بالحاضر.

والأحاديث في جلسات الحوار وسهرات قصر المختارة متنوعة، سياسية واجتماعية، مفتوحة او مغلقة، سهرات رسمية، سهرات مرح وبحبحة وتنكيت. ليس صعبا على من يتعودها أن يعرف طبيعة السهرة التي ينوي جنبلاط أن يحيها، مقدماتها تعرّف بها سلفا، والمقدمات تتضمن طابع الحديث وطبيعة الحضور، التوقيت الزمني، ومكان الجلسة في القصر، وشكل التعامل مع الضيف الرئيسي، وأيضا التعامل مع حاشية القصر والمراجعين الطارئين. المشي في ساحة القصر وطبيعة الحضور والحديث المازح الذي افتتح به السهرة، أكدت لي يومها أن سهرتنا سوف تكون طويلة وغير رسمية، بين السهرة الاجتماعية المفتوحة والسهرة السياسية شبه المغلقة. وهذا النوع من السهرات هو الأنجح والأكثر متعة، يأخذ فيها وليد راحته ويتحدث بصراحة، يبحث بجدية ويتيح لضيفه أن يكون مرتاح للحديث، في الحكي والاصغاء.

بعد جولة النكت بادر ياسر إلى طرح سؤال: إلى أين نحن ماضون يا إخوان؟ أمورنا معقدة وهي تتدهور بسرعة، كيف ترى آخرتها يا أخ وليد؟ والاخوان في سوريا ماضون

في مشروع استبدال قيادة المنظمة حتى النهاية وإذا فشلوا لن يترددوا في تدميرها؟. رد وليد فوصف الوضع بفيلم أمريكي طويل، وقدّر أن القصة طويلة ونحن لا نزال في المناظر الاولى من العرض والآتي أوسخ وأعظم. وشكك وليد في قدرة الوطنيين اللبنانيين والفلسطينيين وحدهم إفشال المخطط الجهنمي. وتساءل حول حقيقة الموقف السوفيتي وقال: لا أدري إذا كان بإمكان أصحابكم وأصحابنا السوفييت فعل شيء يساعد في الخروج من المأزق؟ ووصف ما نقوم به نحن وهم، القيادة الفلسطينية وبعض اللبنانيين، بأنه محاولة إعاقة وعرقلة للمشروع وليس أكثر.

وقدّر وليد أن التطورات المحلية في لبنان والأخرى الإقليمية والدولية تجري لصالح الطرف الآخر وأن هذا الحال قد يستمر فترة طويلة. مرحلة كاملة، إلا إذا وقعت مفاجأة، معجزة سماوية ما، علما أن عصر المعجزات انتهى. كل العرب، كما وصفهم مضيفنا، يتآمرون ضدهم وضدنا. والإخوان في سوريا لديهم تفويض أميركي، الاميركيون غطسوهم في المستنقع اللبناني وقالوا لهم العبوا على راحتكم، ولكن ضمن حدود الملعب المحدد وأصول اللعبة المرسومة سلفا. ورأى جنبلاط أن المسألة الفلسطينية هي الموضوع الرئيسي في كل اللعبة الجارية. وما يجري في لبنان هو محاولة رسم حل للقضية الفلسطينية على نار خفيفة. إشغال الجميع فلسطينيين ولبنانيين وعربا لحين إنضاج الحل الأميركي، والفلسطينيون مشطوبون تماما في هذا الحل سواء كانوا منظمة تحرير أو معارضة وجبهة رفض تابعة لسوريا وسواها. ولا بأس عند أميركا وإسرائيل من شطب الشعب الفلسطيني إذا أمكن. وبشان الوضع الفلسطيني الداخلي قال: "بقاؤكم خارج منظمة التحرير أنتم والشعبية غلط وجريمة وطنية[١٤]، إلا إذا كنتم مع الحل العربي عبر الأردن مثلا. وبالمناسبة حتى الحل عبر الأردن لا يعني الانسحاب من الضفة، يمكن الانسحاب من غزة فقط، وحتى هذا سيكون ثمنه كبير جدا وقيوده أكبر من قيود كامب ديفيد".

وأشار وليد إلى أن نجاح حركة "أمل" في معركتها مع الفلسطينيين، يغريها ويشجعها على نقل المعركة للجبل وقد تصل إلى المختارة. وقدّر أن السورين يلعبون بالمحرمات وقد تحرقهم في النهاية. اللعب بالمحرمات الوطنية والقومية، يحرق في النهاية أمهر اللاعبين، وقديما قالوا من ينام على حد السيف بالسيف يقتل. يلعبون بالورقة الطائفية في لبنان ويستخدمون الآن الورقة الشيعية ضد الفلسطينيين واللبنانيين ويعملون على تقوية التيار الشيعي واستنهاضه. وتيار الطائفية سواء كان شيعي أو سنيا، علويا أو درزيا أو مسيحيا، أومسلما، خطر على الجميع دون استثناء. لاحقا لا أحد ينجو من نارها إذا استمر اللعب بالطائفية. سوريا لن تنجو من النار إذا استمرت في اللعب بالطائفية. كل الدول العربية قطع فسيفساء طائفية أو اثنية ومن هو سالم من الطائفية غاطس في الأثنية. كل المنطقة العربية قابلة للتفتت، ضربة إزميل قوية تفتتها من المحيط إلى الخليج. سوريا مركبة على أساس طائفي واثني، العراق فيه تركيبة طائفية واثنية خطيرة. السودان الجزائر والمغرب

فيها طوائف واثنيات. مصر فيها طائفية. وحتى السعودية ودول الخليج فيها طائفية. وتساءل جنبلاط كيف يمكن إفهام الإخوان السوريين خطورة هذا الموضوع ؟ وأجاب : " لا أدري، وأشك أنهم سيتجاوبون مع رؤيتي، يمكن أنا متشائم لكني هكذا أرى الصورة مع الأسف الشديد " .

وحول ما يجري في منطقة صيدا ومغدوشة وسواها من قرى شرقها، أكد وليد انه ضد عودة الوضع في لبنان إلى ما كان عليه قبل حرب ١٩٨٢، لكنه أيضا ضد تدمير المخيمات وذبح الفلسطينيين تحت ستار هذا الشعار. انه شعار حق يراد به باطل. حماية عين الحلوة حق وواجب، مغدوشة قرية مسيحية تابعة لصيدا وليس لجبل عامل، أي يجب ان تكون تحت سيطرة القوى الوطنية بقيادة مصطفى سعد وحمايتها. احتلالها من قبل حركة أمل اعتداء صارخ على التنظيم الناصري وأهل صيدا والفلسطينيين المقيمين في المنطقة. وأكد انه ينظر للخطوة الفلسطينية في مغدوشة في سياق عملية العرقلة والإعاقة لمشروع أمل المدمر للقوى الوطنية اللبنانية والفلسطينية. والخطوة تعطي القوى اللبنانية مزيد من الوقت لعل مفاجأة، أو معجزة ما، تقع. واستهجن وليد موقف قيادة الجبهة الشعبية وأشار إلى انه عاجز عن استيعابه، وعبر عن ألم من موقف جورج حبش من هذه الحرب وقال: " موقفه من قصة حرب المخيمات غير مفهوم لي وأنا غير قادرا على استيعابه على الإطلاق. وجوده في جبهة الإنقاذ جريمة بحق نفسه وبحق الشعب الفلسطيني. احترم جورج حبش، وحرام تكون نهاية قائد تاريخي مثله بهذه المأساوية الدامية، ومندوبهم في الاجتماعات يتصرف وكأنه سوري أكثر من السوريين، سألت عنه قالوا إن أصله فلسطيني من أبناء مخيمات لبنان " .

وأبدى جنبلاط حزنه لتوهان الجبهة الشعبية علما بان الطريق واضح. وأشار على انه لم يلتق جورج منذ فترة طويلة ويتحاشى اللقاء معه في دمشق لأنه لا يعرف من هم حوله ولا يثق بهم كثيرا. وقال: " جميعنا مخترقون لأجهزة المخابرات بصورة أو بأخرى " . ووجه سؤالا مباشرا لياسر، " لماذا أنت ونايف وجورج مرابطون في دمشق؟ " وأضاف: " لا أحب اللقاء بأحد منكم هناك، ولا أستطيع الكلام بصراحة ووضوح " . وأبدى رغبة في لقاء جورج حبش في بلد عربي غير دمشق إذا كان حضوره إلى المختارة صعب. وقدم وليد نصيحة خلاصتها عدم بقاء أي قيادي وطني فلسطيني في دمشق خاصة في ظل الحرب الظالمة الجارية ضد المخيمات واستمرار الموقف السوري من منظمة التحرير. وخص بالذكر جورج حبش ونايف حواتمة وياسر عبد ربه، إلا إذا كان الفلسطينيون مقتنعين بأنها حرب " أمل " وسوريا ليست طرفا فيها، وأن العرفاتين هم أساس العلة والبلاء للشعبين.. وختم حديثه: " قلت معظم ما عندي وأرغب في سماع رأيكم ورؤيتكم للوضع الحالي وكيف تفكرون للمستقبل " .

نظر ياسر عبد ربه إلى ساعته وتساءل عن الوقت المتاح لهذا اللقاء ؟

رد وليد بأن معانا طول الليل ونحن في أول السهرة، وقدّم عرضا: "تنامون الليلة في المختارة وفي الصباح الله معكم، إلا إذا كان لديكم ارتباطات أخرى". فعرضت أنا أن نسهر الليل كله ثم نعود إلى صيدا، لأن الإخوان بانتظارنا ولدينا أشغال كثيرة، وياسر لم يلتق بأحد من الفلسطينيين أو اللبنانيين، والوضع في مغدوشة يتطلب أن نبقى قريبين من الإخوان ومن صاحبنا أبو معروف.

في حديثه، قال ياسر إن الإخوان في القيادة السورية في سلوكهم معنا وأفعالهم في لبنان يبرهنون على أنهم ماضون في مشروعهم حتى النهاية ونلمس أن ما أنجزه الشباب في مغدوشة أربكهم ويتصرفون كمن فقد صوابه، والسؤال المهم الآن كيف نعزز الصمود في مغدوشة؟ ورد وليد بالقول ان السوريين وقيادة "أمل" فقدوا أعصابهم، وأنهم في اللقاءات الثنائية يحملونه المسؤولية ويتهمونه بالمشاركة الميدانية المباشرة، "وآخر مرة طلبوا مني تسليمهم عصام سالم ممثل ياسر عرفات في لبنان، ولازم ممدوح ينتبه، الشر باين في عيونهم اتجاهه أيضا. أنا لست عسكريا، لكن المقدم فياض وحتى العسكريين السوريين يعتبرون المسألة عملية عسكرية نوعية نظرا لطبيعة جغرافيا المنطقة".

وقلت انا إن السوريين فوجئوا بالعملية، ولم يتوقعوا أن نتمكن من احتلال مغدوشة بسرعة. وأعدت ما سبق أن ذكرته عن خسائر "أمل" البشرية والعسكرية والمشاكل داخل الطائفة الشيعية، وتحميل أهالي حارة صيدا والغازية والقرى المحيطة نبيه بري المسؤولية. وخشيتهم من تدمير بيوتهم، خصوصا أن الطرفين يستخدمان الأسلحة الثقيلة. واعترفت بأننا لم نقصر بل استخدمنا الراجمات الكورية والروسية ومدافع الميدان الثقيلة.

ومن جانبه، أكد وليد ان حزب الله بدأ يتحرك خصوصا في الجنوب، مفيد التعاطي الايجابي معه ولكن بيقظة وحذر شديدين. ونصح أن نستفيد نحن من موقف هذا الحزب، لانه لا يمثل خطرا مباشرا علينا أو عليكم، ثم استدرك: "لاحقا لا نعرف كيف يتطور موقفه".

وتابع ياسر حديثه فقال: الإخوان في دمشق كشفوا عن عضلاتهم في وجهنا، أخذوا إجراءات عملية ضدنا، ضيقوا الحركة وقيدوا التواجد، أوقفوا معظم التسهيلات الإدارية. وأشار إلى أن هذه الإجراءات ليست ذات قيمة أمام الذي يجري ضد الوجود الفلسطيني المدني في لبنان. وبيّن ان التفكير يتركز الآن حول كيفة الاستفادة من مغدوشة سياسيا وفي فك الحصار عن المخيمات وحماية المدنيين الفلسطينيين. والقضية المركزية المباشرة، كما حددها ياسر هي استعادة وحدة منظمة التحرير والوحدة التي برزت بين الكوادر والمقاتلين في المخيمات يمكن تطويرها والاستناد إليها في الضغط على الجميع من أجل استعادة الوحدة. وأكد جاهزية الجبهة الديمقراطية لاستعادة الوحدة، ويجب ضرب الحديد وهو حامي، والمهم أن تقبل قيادة "فتح" عقد مجلس وطني توحيدي بأسرع

وقت. وكشف ياسر لوليد نيته السفر إلى الكويت لمناقشة فكرة عقد المجلس الوطني مع صلاح خلف "أبو اياد". وبشأن اتفاق عمان أكد أن الجبهة على قناعة انه انتهى على يد الملك حسين، وأن أبو عمار يناور وهو مستعد لإعلان التشييع، وهو يبحث عن المخرج الأفضل. ورأى أن أفضل مخرج هو قرار من المجلس الوطني الفلسطيني بالغاء الاتفاق. ومن هناك يبيع أبو عمار القرار للقوى الفلسطينية أولا الجبهة الديمقراطية والجبهة الشعبية والحزب الشيوعي، ويستطيع القول للعرب أن إخواني في الفصائل وداخل "فتح" ضغطوا علي، والملك حسين لم يساعدني. وبيّن ياسر ان الخطوط العريضة لهذا السيناريو متفق عليها مع الحزب الشيوعي الفلسطيني.

وأشار ياسر إلى وجود مشكلة حقيقية مع الرفاق في قيادة الشعبية، إنهم محشورون، وغير موحدين حول المسالة، إلا أن مواقف كوادرهم وقواعدهم في المخيمات جيدة وايجابية بشان استعادة الوحدة وهم يشاركون في الدفاع عن المخيمات.

وهنا تدخلت أنا في الحديث وأكدت ما قاله ياسر وأشرت إلى أن مقاتلي الشعبية إن لم يشاركوا في معركة مغدوشة كما لم يشاركوا قبلها في معارك شرق صيدا فلأننا نحن من جانبنا لم نحاول إشراكهم، إذ كان مفهوما لنا نحن والإخوة في "فتح" أن مشاركتهم في أعمال الهجومية تفوق طاقتهم السياسية وتضعهم في تصادم مباشر ومكشوف مع الإخوان السوريين في وقت لم يحسموا أمرهم.

وحين تابع ياسر الحديث، أكد أن موقف كوادر الشعبية في الأردن وفي الأراضي الفلسطينية المحتلة ممتاز وشاركوا في إصدار البيانات ضد حركة "أمل" وضد السياسة السورية الداعمة لها. وطلب ياسر من وليد أن يلتقي د. جورج حبش بأسرع وقت ممكن وقال: رغم ملاحظاتك الصحيحة، مفيد أن يسمع جورج رأيك، مكان اللقاء ليس مهم، جميع القادة الفلسطينيين وضمنهم جورج يحترمون رأي المختارة في عهد وليد كما كانوا في عهد كمال بك. ومفيد أيضا الحديث مع رفيقنا نايف، صحيح أن ليس لدينا مشكلة كبيرة حول الموضوع، ولكن رأيك يقطع الطريق على أي تردد ويعطينا دفعه للأمام. ونصح ياسر جنبلاط بلقاء قادة جبهة النضال الشعبي بزعامة سمير غوشة وجبهة التحرير الفلسطينية، أيضا، فهذه اللقاءات تساعد في توسيع جبهة القوى الرافضة لمخطط أمل والسوريين.

وأكد عبد ربه أن قيادة الجبهة الديمقراطية ستمضي قدما باتجاه استعادة الوحدة الوطنية حتى إذا لم تشارك قيادة الشعبية في الحركة. ورأى أن إفهام جورج هذا الموقف يحشر الجبهة الشعبية أكثر ويفرض عليهم المشاركة الجادة في الحوار. وشكك ياسر في قدرة الشعبية على البقاء خارج قيادة المنظمة في حال عودة الجبهة الديمقراطية والحزب الشيوعي إليها. ونوه بان الوضع الآن مختلف عن سنوات السبعين، وحرب المخيمات حشرتهم وحشرت كل جماعة سوريا من فلسطينيين ولبنانيين.

وبشأن وضع مغدوشة، أوضح ياسر موقف الجبهة وقال اننا سوف نناور في موضوع الانسحاب، ونطرح تسليم البلدة للقوى الوطنية اللبنانية ونخص بالذكر أبو معروف وقوات الشهيد معروف سعد. وبيّن أنه سوف يعقد الليلة لقاء مع مصطفى إذا سمح الوقت، تشارك فيه "فتح" لطرح الفكرة. وإذا وافق مصطفى فهذا غطاء سياسي جيد، وإذا وافق الإخوان السوريين على الفكرة نعمل تبديل ملابس وتبديل شعارات وليس أكثر. وشكك ياسر في موافقة السوريين على الفكرة لانهم يريدون أن يستكملوا مشروعهم الذي لن يتوقف عند حدود تدمير مخيمات شاتيلا وبرج البراجنة والرشيدية، بل الهدف هو إنهاء الوجود الفلسطيني المنظم في كل لبنان، وهذا المر لا يتحقق إلا بتدمير مخيم عين الحلوة وتدمير القوات الفلسطينية المتواجدة في منطقة صيدا لأن السوريين و "أمل" لمسوا أنها قوة لا يستهان بها وقادرة على إيذائهم.

نهض وليد وتوجه ليجدد كأس المشروب، وهو يقول هذه فكرة جديدة يا ياسر لكنها خطرة، مهمة لكن خطرة. وشدد على ضرورة دراسة الفكرة جيدا وعدم استعجال طرحها مع السوريين. ونصح بضرورة التفاهم مع "فتح" قبل البحث مع اي انسان آخر. والمسألة، كما قال، تحتاج إلى تبكيل جيد مع مصطفى سعد. وتساءل وليد هذا إذا كان بمقدور مصطفى سعد وإخوانه تحملها، وأبدى تخوفه من تعرض مصطفى سعد لاحقا لضغوط قوية وإضطراره إلى تسليم ما يتسلمه منكم للسوريين وجماعاتهم. وقال إن وضع مصطفى صعب وهو يتعرض لضغط كبير، وبعض المحيطين به لا يؤتمن جانبهم، وعلى كل حال، هكذا ختم وليد حديثه : "هذا مجرد رأي، والقرار بالنهاية فلسطيني".

وعلى هذا عقب ياسر: "رأيك صحيح تماما، غدا سأتصل مع الأخ أبو عمار وأرسل له رسالة خطية، وسنبحث الأمر مع أبو معروف".

شعرت أن جواب ياسر لم يطمئن وليد بما فيه الكفاية. ونظرا لمعرفتي بأن وليد مع بقاء المنطقة تحت السيطرة الفلسطينية المضمونة، تدخلت قائلا: إن البقاء في مغدوشة أمر محسوم وغير خاضع للبحث والنقاش، ولن ننزل من مغدوشة حتى لو أرسل وليد ذاته قواته للمنطقة. وصارحت وليد بقناعتي بأن أبو معروف لا يوفر لنا الضمانات المطلوبة كما أن غيره لا يوفرها إذا صمم السوريون. وقلت إن الضمان الوحيد من وجهة نظري يتمثل في وقف العمليات الهجومية ضد المخيمات، وفك الحصار عن الرشيدية وبرج البراجنة وشاتيلا، وإدخال التموين إليها وفتح الطرقات وضمان حركة الأهالي، دخولا وخروجا دون أي مضايقات. وأضفت أننا نريد أيضا ضمانات وطنية لبنانية، وبدون ذلك ستبقى مغدوشة معنا، وقد نطور أعمالنا الهجومية إذا زاد السوريون في ضغطهم على المخيمات المحاصرة.

ومن جانبه أكد ياسر أن لا حديث عن الانسحاب أو تسليمها لأي جهة طالما الحصار مفروضا على المخيمات، وأن الموضوع مجرد فكرة هدفها كسب الوقت وتخفيف الضغط على المخيمات من جهة أخرى وليس أكثر.

أبدى وليد تفهمه للدوافع، وكرر التأكيد على ضرورة تجنب الخلاف وضرورة التفاهم مع قيادة "فتح" في تونس. فأكد ياسر التزام الجبهة بالتشاور مع "فتح" في لبنان وتونس وان جميع الخطوات سوف تتم بصورة منسقة ومشتركة مع قيادة "فتح". وأن الطرفين سوف يستخدمان مغدوشة في الضغط على موقف الجبهة الشعبية والآخرين وإجبارهم على المشاركة في الدفاع عن مغدوشة باعتبارها خط الدفاع الاول عن عين الحلوة وصيدا. وقال إنه علم من ممدوح أن كوادر الجبهة الشعبية العسكرية تضغط بهذا الاتجاه، وقد أرسلوا هم وجبهة النضال والمجلس الثوري إلى مغدوشة مجموعات صغيرة، وبالإمكان توريطهم أكثر فأكثر. واقترح ياسر أن يعقد وليد لقاءا ثنائيا مع مصطفى سعد لتعزيز وضعه وتصليب موقف تنظيمه. وقال ان لا ملاحظات حتى الآن على مصطفى لكن نقدر ظرفه وصعوبة موقفه.

"خلاص، سوف أزور صيدا خلال الأيام القليلة القادمة" أعطى أبو تيمور هذا الوعد، فتدخل هشام ناصر الدين وقال: "زيارتك صيدا في هذا الظرف تستنفر السوريين وتستفز قيادة "أمل".

رد وليد بأنه يعرف أن الإخوان السوريين واقفون له على نقرة، وقال أنه سيدلي بتصريح في صيدا يخفف خوفهم من الزيارة. واوضح انه سيقول إننا بحثنا في كيفية معالجة الوضع الشاذ الذي نشأ في مغدوشة ومعالجة أسبابه وتعطيل أي تفاعلات سلبية على وضع صيدا وأهلها.

وعلى هذا علق ياسر وقال بهذه الحدود، محمولة. فرد وليد: لا تخف لن أقول ما تسمعه مني في فندق الشيراتون في دمشق. واستفهم وليد من ياسر عما يفعله من سماه "السكير العربيد عبد السلام جلود في دمشق"(١٥)؟ وتمنى لو أمكن ايجاد وسيلة لدفعه إلى السفر منها، خصوصا ان وجوده فيها مؤذي، كما تمنى أن يبادر معمر القذافي إلى سحبه. وحبذ ياسر الفكرة، ووعد بأن يطلب من أبوعمار أن يتصل مع معمر. وأشار إلى تصريحات العقيد القذافي حول حرب المخيمات ووصفها بانها جيدة. وهاجم ما سماه "الدور السافل القذر" الذي يقوم به عبد السلام. وتحدث عن الاتصالات مع الرفاق السوفييت فروى أنه فهم منهم انهم تحدثوا مع السوريين بكلام ايجابي مرات عدة، وقد قالوا هم أن السوريين ردوا عليهم بحديث صحافي كالمنشور في الجرائد. وكرروا أمامهم، هم السوفيت، اللازمة المعروفة عرفات والعرفاتين". وفي اللقاءات السوفيتية السورية ينكر السوريون أنهم طرف في المشاكل بين عرفات والقوى الوطنية اللبنانية، ويطلبون من السوفيت دائما اللقاء مع الرفيق "أبو أنيس" جورج حاوي. وقال ياسر إن أبو أنيس صار ملكيا أكثر من الملك، سوري أكثر من السوريين. وتسائل ياسر عما إذا كان وليد يتابع ما يكتب في جريدة الحزب الشيوعي، "النداء". وقال بألم إن أعضاء في المكتب السياسي للحزب هم الذين يتولون الهجوم والردح ضد الوجود الفلسطيني. وبعضهم استخدم تعابير مثل الشعب العرفاتي والمخيمات العرفاتيه وحرض ضدها

ووصف المخيمات بأنها أوكار مخربين. وتنبأ ياسر بنهاية مؤلمة للحزب الشيوعي اللبناني بقيادة الأخ أبو أنيس. وأشار إلى ان مهمته، هو ياسر، والرفاق الآخرين مسح التشويهات التي يلحقها الشيوعيون بالموقف الفلسطيني عند الرفاق السوفييت.

هنا، أضاف وليد أن تخريب أبو أنيس ليس محصورا في الوضع الفلسطيني: "نحن والحمد لله مشمولين بالعملية". وعلق: "يا هيك الماركسية يا بلاها، صاحبكم في المبادئ، هذا، نازل طالع ينقل كلام ويحاول تبييض الصفحة على حساب الآخرين". وأبدى ياسر استغرابه وعدم قدرته على استيعاب موقف أبو أنيس وبعض رفاقه خصوصا انه يتعارض كليا مع مصلحة الوطنيين اللبنانيين وحتى مع مصلحة الحزب ذاته. وطرح الأسئلة التي تشغل باله: حتى لو وضعنا المبادئ جانبا فما هي الفائدة التي سيجنيها الحزب الشيوعي من موقفه ضد منظمة التحرير وضد الشعب الفلسطيني في لبنان؟ ما هي مصلحته في الدفاع عن السيد نبيه بري وقادة "أمل" وتبرير أعمالهم الإجرامية ضد أطفال المخيمات ونسائها وشيوخها؟ ثم لاحظ أن عاصم قانصو ذاته، وهو البعثي،لا يقوم بهذا الدور.

في هذه الأثناء حضر طعام العشاء وأنجز تحضير المائدة، ودخلت زوجة وليد وجلست تستمع بعدما عرفها وليد بالرفيق ياسر مع تعليق "طبعا ممدوح معروف من سكان البيت وأسرار وليد عنده". فقالت الزوجة مخاطبة زوجها إنها ترى ياسر وتراه على التليفزيون وتقرأ له في الجرائد، اما ممدوح وعصام فهما من أهل البيت، معزتك عندهم كبيرة ومعزتك لهما أكبر. وبعد أن رجت أن لا يعد كلامها تدخلاً في شؤون الحزب التقدمي، قدمت السيدة الأريبة هذه الملاحظة لزوجها: "أشعر بأنك تروي لهم أشياء لا ترويها لقادة الحزب". والتفتت نحو هشام ناصر الدين لتقول له: "اظن انك يا رفيق تشاركني هذا الرأي"؟

بعد الاستئذان من الرئيس، رد هشام: "الرئيس يبحث مع الفلسطينيين المسائل الإستراتيجيه والخاصة الحساسة، ومعنا يركز على القضايا التكتيكية التفصيلية. وأقر عضو المكتب السياسي بأنه يتعرف على الموقف الحقيقي للرئيس والحزب من خلال الجلسات التي يحضرها مع الإخوان الفلسطينيين، وهي في هذه الايام جلسات كثيرة وطويلة. ثم قال: "ممدوح وعصام صارا معروفين لأهل القصر وحرسه أكثر من أعضاء المكتب السياسي للحزب. وأنا أجزم أن الخير السوري سينهال بقوة على المختاره خلال الفترة القريبة القادمة ولن يتأخر، بفضل هذه الزيارات العزيزة، وتوجت الآن بزيارة الاخ ياسر!.

ودعا هشام الله أن يستر ويحمي المختاره وقصرها وأهله. وقدم ما سماه شهادة لوجه الله خلاصتها ان الفلسطينيين تلحقهم العواصف والزوابع حيث يحلون، وحيث يأخذ الفلسطينيون راحتهم كما هو الحال في هذا البيت فإن العواصف تكون أقوى وأشد.

وقال: "جلسة الليلة تشعرني أن النسمات الأولية للزوبعة القوية هلت علينا ومعها البشائر والخيرات السورية..."

تدخل وليد: "اسمع يا هشام، ما سمعته الليلة لا علاقة للحزب التقدمي به، هل سمعتنا نذكر اسم الحزب؟ أعتقد أن أياً منا لم يخطئ فيذكر اسمه. وأكد وليد أن الزوبعة حاصلة بزيارة الإخوان الفلسطينيين القصر وبدونها، وأن وليد جنبلاط لا يفكر في الانتساب لحزب البعث ولن يقبل إدراج اسمه في قائمة المخبرين عند أبو جمال أو أبو حازم. وان رتبه وليد وأحسن لبناني لن تزيد عند الإخوان على مخبر، والفرق يكون فقط في التصنيف، مخبر نشيط وصادق، مخبر كسول وكاذب، ولهذا لن يرحموك حتى لو غيرت دينك من مسلم درزي إلى مسلم علوي.

دعتنا زوجة وليد إلى مائدة العشاء. وقبل الجلوس إلى المائدة اختلى ياسر مع وليد، وجلسنا نحن الباقين إلى المائدة وتابعنا الدردشه.

قال هشام: أود الحديث بصراحة قبل أن يحضر الرئيس، ممدوح، أرجوكم خففوا التحريض خففوا التوريط، ارحمونا، ارحموا الطائفة، ارحموا أهل هذا البيت ليس لدينا سوى وليد واحد. شخصياً، أشك أننا سنستطيع تجاوز هذا القطوع بسلام". ثم التفت نحو زوجة وليد وقال: هذا كلام ينخر العظم ينخر، وممدوح اكبر محرض". وردت الزوجة بأن وليد يرتاح لممدوح ولرفاقه ويثق بهم. وقالت لهشام: "لا تخف وليد قادر على حسن الاختيار. وفي الظروف الصعبه كالتي يمر بها الفلسطينيون لا يستطيع وليد الهروب من مسؤوليته ومن قدره". والتفتت نحوي وتابعت: "أعرف أن الفلسطينيين يحسبون الأمور بدقه وحساباتهم موفقة وناجحه، أرجو أن تحسبوا الأمور بدقة هذه المرة أيضا ".

بقي هشام على تخوفه، ليس من الحسابات الفلسطينية الخاطئة بل من الحسابات المدروسة بدقة. خاصة أن الفلسطينيين يبحثون دائما، كما قال هو، عن سبل توريط الآخرين في معاركهم، ويسعون لجعل معركتهم معركة الجميع. وعلة الحزب التقدمي ووليد والطائفة كما وصفها هشام أنهم لا يستطيعون إلا أن يكونوا بجانب الفلسطينيين، ليس حبا ببعضهم فقط بل لان ثمة مصلحة مشتركة.

وحين رجع المختليان، وقبل الجلوس إلى المائدة استحضر ياسر شؤون الحزب الشيوعي اللبناني، وأبدى رغبة في سماع تفسير لهذا الانحراف الفكري السياسي في مواقف قيادة الحزب. وكان من رأيي أنا أن الرفاق الشيوعيين شاطرون وهم يتعاملون مع القضايا الفكرية والسياسية من موقع وضع مصلحة الحزب فوق المبادئ.

عقب وليد: "قصر نظر، من أجل مصالح آنية محدودة فقط". وقدّر أن الرفاق خائفون من البطش وخوفهم حقيقي ومشروع وله ما يبرره، والمخابرات السورية تجيد توصيل

الرسائل الابتزازية والتخويفية وبجانبها رسائل إغراء. وهي كما وصفها وليد ماهرة أيضا في توريط الأشخاص بأساليب مخابراتية مختلفة معروفة.

تساءل هشام، عما إذا كان ياسر قد سمع بسهرات لعب البوكر التي يحضرها بعض الرفاق ليليا وبثّ سخرية "يا ريت كازينو لبنان فاتح، هذا أوفر على الاحزاب الوطنية وأربح لنا سياسيا وماديا".

وجارى ياسر جوّ السخرية: "فهمت أن الرفاق المحترمين غير ماهرون في لعب البوكر ودائما يخسرون".

من جانبه ضحك وليد: وقال: "أنتم مخطئون، الخسارة تكتيك مرسوم. فيها قرار، والمسألة مدروسه بدقة، وأظن أن الرفاق في الكرملين على إطلاع على الموضوع." كان هذا تصويرا كاريكتوريا للوضع، لكنه الكاريكتور الذي يعبر عن الحال التي بلغتها بعض الاحزاب اللبنانية في تلك الفترة.

بعد هذه الوصله، طرح وليد سؤال جدي يتعلق بالموقف العربي من مسألة استعادة وحدة المنظمة وتقدير الفلسطينيين لرد الفعل السوري، وفي أي بلد يمكن عقد المجلس الوطني؟ ورد ياسر بأنه يعتقد أن الموقف السوري من الوحدة لن يكون أسوأ وأقسى من موقفهم في الحرب على المخيمات. وأشار إلى غرق العراقيين في الحرب مع ايران، ومصر المقيّدة باتفاق كامب ديفيد بشقيه الفلسطيني والعربي، وجميع الأطراف العربية فتحت علاقة من تحت الطاولة مع مصر. ووصف صمت السعودية ودول الخليج على ما يجري في المخيمات بأنه مريب. وأكد ياسر أن القيادة السعودية قادرة على وقف ما يجري إذا صممت، وذكر بان خروج ياسر عرفات من مدينة طرابلس حيا كان نتيجة لدور سعودي واتفاق تم بواسطة سعود الفيصل. وأشار إلى أن الصمت السعودي يشجع "أمل" والسوريين على الاستمرار في الحرب الظالمة.

وعلى هذا عقب وليد بأن المشروع أميركي والقرار أميركي والهدف شطب منظمة التحرير. وقال إن جميع زعماء العرب زهقوا وتعبوا ويريدون الخلاص من المنظمة للخلاص من القضية الفلسطينية.

قلت أنا إننا سوف نواجه مشكلة في ايجاد مكان لعقد دورة المجلس الوطني، إذ لا أحد متحمس لاستعادة وحدة منظمة التحرير. فقال ياسر أنه إذا قدر للمجلس أن ينعقد فلن نجد مكان غير الجزائر، فالليبيون والسوريون ضد المنظمة وضد وحدتها بغض النظر عن مواقفهم المعلنة، والآخرون يريدون رضى الأميركان، ثم نحن نريد عقده في بلد عربي يساهم في رفع الحمل معنا.

وذكرت أنا بما وقع بعد حرب ١٩٨٢، حين شعر بعض الزعماء العرب أن الضربة قد تطالهم، فبادروا إلى ضربنا ليقولوا للأميركيين لا تضربونا، نحن نضرب الفلسطينيين نيابة عنكم. وبنيت على هذا أنهم يضربوننا الآن بقسوة ليظهروا حسن نواياهم تجاه السيد الأميركي.

وأكد ياسر ما قاله جنبلاط بشأن رغبة الحكام العرب في الخلاص من القضية الفلسطينية لأنها فعليا مثلت عبئا عليهم على مدى عشرين عاماً. وقال إن المنظمة أربكتهم وأوقعتهم مرات كثيرة في ورطات مع الأميركان والإسرائيليين. وقال إن وزن الآخرين من العرب الراغبين في مساعدتنا لاستعادة الوحدة ضعيف، اليمن مع استعادة الوحدة وهي ترحب بعقد المجلس عندها، ونحن نشكر اليمنيين لكننا نفضل الجزائر لأنها أوزن سياسيا على المستوى العربي والدولي وبامكانها أن تحتمل ردود الفعل أكثر من اليمن. قيادة تونس مع الوحدة إذا عملناها، لكنها لا تستطيع أن تقول شيء سوى مبروك. في مصر والمغرب لن يكونوا سعداء باستعادة وحدة المنظمة. ونحن نلمس أن السوفيت جادون الآن في الدفع باتجاه استعادة وحدة منظمة التحرير.

علق وليد بالقول: مرحلة انحطاط عربي، وأعتقد أنها طويلة وسيتدهور الوضع أكثر وأكثر، أعاننا وأعانكم الله على هذه المرحلة.

تجاوزت الساعة الواحدة فجرا السهرة طالت والحديث لا يمل وجلسة عمل مثمرة، بهذه الكلمات ختم ياسر السهرة. نهضنا جميعا وودعنا أهل المختارة وأصر وليد على النزول معنا إلى ساحة القصر حيث استقبلنا، وقبل الصعود إلى السيارات قال: المهم اربطوا الانسحاب من مغدوشة بخطه عملية تفك الحصار عن المخيمات. وإذا استطعتم كسب الوقت واخذ نفس طويل فهذا جيد، ولكن عليكم التحضير لجولات أخرى، ووجه الكلام لياسر وقال: نلتقي في دمشق ونتحدث بلغة أخرى.

قال ياسر: "طبعا، ولكن ضروري أن نلتقي ثنائيا باستمرار قبل الاجتماعات وبعدها".

هوامش الفصل الرابع

١ـ منذ منتصف خمسينات القرن الماضي، صعد نجم الرئيس المصري جمال عبد الناصر في المنطقة بما هو زعيم قومي معاد للاستعمار ويعمل من اجل تحرير فلسطين، في تلك وفي مرحلة النشاط الطلابي، انتظمت في تنظيم حركة القوميين العرب الذي أسسه جورج حبش ووديع حداد مطلع الخمسينات. وفي مرحلة لاحقة، نقلت بناء على رغبتي الى الجناح العسكري للحركة "شباب الثأر، ثم الى "ابطال العودة" وكنت من اشد المتحمسين لفكرة الكفاح المسلح وحرب التحرير الشعبية التي أخذت بها الجزائر وفيتنام.

٢ـ بعد انفجار الحرب الاهلية في لبنان ودخول القوات السورية الاراضي اللبنانية، قرر المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية ان الثورة والمنظمة في خطر وان المهمة المركزية تتمثل في الدفاع عن الثورة والجبهة وعن الوجود الفلسطيني في لبنان. وقدعملت في اطر المنظمة على انتزاع قرار التعبئة العامة عملت على تطبيقه بحماس وبشكل منفر للناس. وقد جرت عمليات التجنيد بصيغة اقرب إلى الخطف والاعتقال. وانتشرت اشاعات خلاصتها ان الجبهة تعدم كل من يغادر صفوفها وتسجن كل من يرفض اداء الخدمة الالزامية. وفي السياق ذاته، قررت قيادة الجبهة الزام جميع أعضاءها من الطلاب في الجامعات بترك الدراسة والالتحاق بالقوات، ونفذت القرار وخسرت نسبة كبيرة من كادرها في الفروع الخارجية.

٣ـ محسن إبراهيم مفكر وسياسي لبناني قومي، ساهم في تأسيس حركة القوميين العرب مع جورج حبش ووديع حداد. مثل تيار اليسار في الحركة وبنى علاقة حميمة مع عبد الناصر. تبنى دعم الثورة الفلسطينية منذ البداية. وبعد هزيمة حزيران/ يونيو ١٩٦٧، ساهم في تاسيس الجناح العكسري في التنظيم الفلسطيني للحركة ولاحقا ساهم في انشقاق الجبهة الشعبية وتأسيس الجبهة الديمقراطية. وشكل هو من فرع الحركة في لبنان "منظمة العمل الشيوعي". وفي مرحلة الحرب الأهلية بنى علاقة وثيقة جدا مع كمال جنبلاط واسس معة المجلس السياسي المركزي للحركة الوطنية اللبنانية، وتبنى موقف عبد الناصر بشأن الثورة الفلسطينية وظل معها ظالمة او مظلومة. وبنى علاقة وثيقة مع القيادة الفلسطينية خصوصا مع عرفات وأعضاء مركزية "فتح" وكان موضع ثقة الجميع. وظل يشارك في اجتماعات القيادة الفلسطينية حتى انتقال أبو عمار إلى غزة عام ١٩٩٤.

٤ـ بعد انتفاضة ٤ شباط في بيروت الغربية، وقع قتال بين قوات الحزب التقدمي الاشتراكي وقوات حركة "أمل" في بيروت وكاد القتال ان يتمدد إلى المناطق الأخرى. في حينه، وقع الصراع على خلفية التنافس على النفوذ في الاحياء والمناطق. وحاولت قيادة "أمل" بتشجيع سوري فرض هيمنتها على القوى والمناطق الوطنية.

٥ـ حركة "المرابطون" تنظيم لبناني محلي اسسه ابراهيم قليلات وهو شاب من ابناء الطائفة السنية متحمس للناصرية ارتبط بعلاقة وثيقة مع الثورة الفلسطينية وكان يتلقى مساعدة سخية من أبو عمار. في مرحلة الحرب الاهلية، حول قليلات تنظيم "المرابطون" إلى جيش السنة ونما دوره في بيروت وبعض احياء طرابلس. بعد حرب ١٩٨٢ وفي سياق تحجيم دور القوى المؤازرة لعودة الوجود الفلسطيني المسلح إلى بيروت شجعت المخابرات السورية حركة "أمل" على تصفية المرابطون. وفعلا، هوجمت مقرات التنظيم في بيروت وتمت تصفية وجوده وغادر قليلات إلى باريس ولا يزال يعيش في المنفى. ولاعتبارات تكتيكية، ساهم الحزب التقدمي الاشتراكي في عملية تصفية "المرابطون" واعتذر وليد جنبلاط عن هذا الخطأ لاحقا.

٦ـ في سياق دخول الجيش السوري لبنان عام ١٩٧٦ ،تمركزت وحداته في معظم المناطق باستثناء الجنوب المجاور للحدود، وفرضت سيطرتها على جميع الطرق. وفي اطار الانتشار تمركزت قوة مدفعية سورية مهمة في منطقة بحيرة القرعون. وكانت بلدة مشغرة مقر قيادة المدفعية، ومن هناك، قصفت المدفعية السورية المواقع الفلسطينية مرات كثيرة في سياق اسناد قوات "أمل".

٧- استدعي أبو ادهم عضو المكتب السياسي في الجبهة مسئول الامن والمكلف بالتنسيق مع المخابرات السورية الى "الضابطة الفدائية" وأبلغ إليه رسميا الموقف السوري بصيغة انذار مباشر بإجراءات امنية قوية ضد الجبهة واعتقال قيادتها وكوادرها وانهاء وجودها في سوريا ولبنان.

٨- التمدد الفلسطيني خارج المخيمات : مصطلح ظهر بعد انسحاب القوات الإسرائيلية من مناطق محيط بيروت والجبل وصيدا وصور ونجاح القوى الوطنية خصوصا "أمل" في فرض سيطرتها على هذه المناطق ومحيط المخيمات. وبرز هذا الشعار في سياق رفض العودة بالوضع إلى ما قبل عام ١٩٨٢، ورفض عودة الوجود الفلسطيني المسلح إلى لبنان ومحاولة تجريد المخيمات من السلاح وتصفية من وصفوا بانهم جماعة عرفات بعد تفجر الصراع الفلسطيني السوري.

٩- شهد دور ليبيا في لبنان تقلبات كثيرة. وانتقل من دعم كامل ودون حدود للثورة الفلسطينية ومنحها المساعدات المالية والتسليحية السخية جدا إلى موقف عدواني ساند بشكل كامل انشقاق فتح والمنظمة وضرب الوجود العرفاتي في لبنان. وارسل العقيد معمر القذافي زميله الرائد عبد السلام جلود عضو مجلس قيادة الثورة إلى لبنان مرات كثيرة، وكان هم جلود الرئيسي تصفية العرفاتيين في لبنان وتعزيز مواقف المنشقين والقيادة العامة بزعامة احمد جبريل. ولم يكن يكترث لمصير الناس في المخيمات، ومارس ضغطا قويا على قيادة الجبهة الديمقراطية للإنسحاب من مغدوشة.

١٠- احمد اليماني "أبو ماهر" لاجئ فلسطيني من الجليل سكن مخيمات لبنان بعد عام ١٩٤٨، من مؤسسي حركة القوميين العرب في لبنان. وساهم في تأسيس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وكان عضوا في مكتبها السياسي، وكان ممثلها في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير. اتخذ موقفا معارضا لعرفات وساند الانشقاق في "فتح" وتبنى وجهة نظر الاجهزة السورية في الصراع ضد عرفات والعرفاتيين في لبنان.

١١- الغرب والشحار منطقتان قريبتان من بيروت تسكنهما أغلبية درزية، وقعتا تحت سيطرة الكتائب ابان الاحتلال الإسرائيلي. وبعد إنسحاب الجيش الإسرائيلي من منطقة صوفر وبحمدون، شاركت القوات الفلسطينية في طرد قوات الكتائب وحلفائها من هاتين المنطقتين وظل الدروز يقدرون للفلسطينيين هذا الدور.

١٢ - خلال سيطرتها على مناطق بيروت الغربية آذت قوات "أمل" المواطنين الدروز المقيمين فيها وحاولت بتشجيع سوري بسط سيطرتها على الاحياء ذات الاغلبية الدرزية. ووقعت اشتباكات مسلحة بين الطرفين كادت ان تتحول إلى صراع درزي شيعي. ثم انعقدت تسوية غير رسمية اساسها الاقرار بسلطة "أمل" على بيروت مقابل التزامها عدم التعرض للاحياء الدزية.

١٣- منذ انطلاق الثورة عام ١٩٦٥ وحتى المجلس الوطني التوحيدي ١٩٨٧ ظل الحزب الشيوعي الفلسطيني خارج اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير لاعتبارات متنوعة، بعضها كان يتعلق بعقلية الفصائل وتقديس الكفاح المسلح الذي لم يمارسه الحزب من بداية الثورة، والبعض يتعلق بتكوين الحزب ذاته ودوره في الساحة الفلسطينية. ولعب موقف الحزب من قرارات الامم المتحدة واعترافه بالقرار ٢٤٢ الشهير دورا في تعزيز معارضة الفصائل الفدائية لاشراكه في قيادة المنظمة.

١٤ -لم تشارك الجبهتان الديمقراطية والشعبية في دورة المجلس الوطني السابعة عشر في عمان ورفضا ان يتم تسمية مندوب لكل منهما في اللجنة التنفيذية التي انبثقت عن المجلس. لاحقا اعترفت الديمقراطية بخطأ إنسحابها من قيادة المنظمة وعادت إلى اللجنة التنفيذية في الدورة الثامنة عشر لمجلس الوطني التوحيدى التي عقدت في الجزائر.

١٥- في تلك الفترة، اشتهر عبد السلام جلود الشخصية الثانية في القيادة الليبية بتعاطي المشروبات الكحولية بكميات كبيرة أثناء وجوده في سوريا. وكان سلوكه الشخصي موضع تندر القيادات الفلسطينية واللبنانية. وكان موقفه ضعيفا في مواجهة القيادة السورية وظل يتبنى موقفها ضد قيادة م. ت. ف.

الفصل الخامس

دردشة في الطريق من المختارة إلى عرمون


Abu Abdo Al Bagl

دردشة في الطريق من المختارة إلى عرمون

تقييم إيجابي للقاء مع جنبلاط

الطرق الموصلة إلى المختارة متعددة ومتفرعة. وإذا كانت كل الطرق تؤدي إلى الطاحونه أو عين الماء كما يقول المثل الشعبي الفلسطيني القديم، وكل الطرق تؤدي إلى روما كما يقول المثل الغربي القديم، فهذا أيضا ينطبق على بلدة المختارة قديما وحاضرا، سياسيا وجغرافيا. وكل الطرق الصاعدة من الساحل إلى الشوف، من صور حتى بيروت، تؤدي إلى بلدة المختارة عاصمة جبل الشوف[1]. والمسافة بين مدينة صيدا وبلدة المختارة ليست طويلة قطعها يستغرق في العادة ساعة تقل أو تزيد قليلا تبعا للطريق الذي تختار وسرعة السيارة ومهارة السائق في القيادة في الطرق الجبلية المتعرجة والضيقة.

جميع الزعماء اللبنانيين سلكوا أحد هذه الطرق لسبب أو آخر. في العهد اللبناني القديم كانت الأمارة الدرزية فاعلة في الحياة السياسية اللبنانية، موقفها حاسم في ترجيح الموقف لصالح هذه أو تلك من الأمارات المجاورة أو البعيدة. لم تبن تحالفات ولم تقع صراعات على الأرض اللبنانية إلا كانت المختارة طرفا رئيسيا فيها. ومنذ تواجد الثورة الفلسطينية على الأرض اللبنانية عام ١٩٦٨، مثلت المختارة سندا لها، تماما كما ساندت اللاجئين الفلسطينيين بعد طردهم من أرضهم في العام ١٩٤٨. ومنذ تفجرت الحرب الأهلية اللبنانية عام ١٩٧٤ـ ١٩٧٥، غدت المختارة مرجعا لجميع القوى الوطنية اللبنانية ومحط نظر القيادة الفلسطينية.

المختارة ضيعة صغيرة بالقياس للمدن اللبنانية الكبيرة، تقع في قلب منطقة الشوف الجبلية الجميلة وسط منطقة حرشية كثيفة نسبيا، تتأبط كتف جبل صغير يستند شرقا إلى جبل الباروك العالي. والمختارة ليست أكبر البلدات أو الضيع في جبل الشوف من

حيث المساحة أو عدد السكان، وليست أكبر الضيع أو البلدات والمدن الدرزية، لكنها المركز السياسي للشوف. نافستها بلدة دير القمر على زعامة الشوف في مراحل التاريخ اللبناني القديم والحديث. في عهد كميل شمعون عندما كان رئيسا للبنان، برز دور بلدة دير القمر. إلا أن بروز دير القمر لم يحجب النظر عن المختارة، ولم يقلص حركة الزعامات اللبنانية باتجاهها، بل حافظت المختارة على مكانتها المرموقة وموقعها السياسي الفعال، وبقيت كل الطرق سالكة وعامرة في الحركة من مدن صيدا وبيروت وصور وغيرها باتجاه المختارة.

في المرحلة الأولى من الحرب الأهلية اللبنانية ١٩٧٥، تجاوزت دير القمر حدود اتفاق الشرف المعقود بين أهالي الشوف، دروزا ومسيحيين، وأغلقت الطرق المؤدية إلى المختارة. وفي مرحلة لاحقة من الحرب، تعالت دير القمر على المختارة وجارتها بلدة بعقلين الدرزية، فكانت النتيجة تهجير أهل دير القمر وتدمير معظم القرى المسيحية الجميلة في جبل الشوف. لم يدمر الدروز دير القمر بل هجّروها وفقدت مكانتها السياسية.

قصة تدمير القرى المسيحية في الشوف وتهجيرها هي قصة الصراع الطائفي الذي أريد له أن يبقى نارا تحرق جسد لبنان الاقتصادي والسياسي والآدمي. أحيانا تكون نار هذا الصراع خامدة تحت الرماد. وفي مراحل الخمود هذه، كان الجسد اللبناني يتعافى، يقوى وينشط ويتحرك بفعل قوي مرموق، يزدهر اقتصاده، ويطلب العرب وده السياحي والسياسي، وتورد وجنات أبنائه وبناته من استنشاق هوائه العليل. في أيام السلم، كان السهر يطول فتقع على الساهرين في المقاهي والسينمات والمطاعم المقامة بين أجمل مناظر الطبيعة في الأماكن المفتوحة والتي يسمونها في لبنان الكازينوات، وفي البيوت والمضافات، في المدن والقرى، على الساحل وفي جميع الضيع والبلدات، في الجبال وفي البقاع، بغض النظر عن مكانها أو مكانتها السياسية والاقتصادية أو الاجتماعية، وبغض النظر أيضا عن تركيبتها الطائفية المختلطة أو المتفردة. أما عندما يتم النفخ في النار الطائفية، فلبنان يتغير بأسرع من وميض البرق وذبذبات ترددات اللاسلكي، يتحول إلى لبنان آخر غير الذي كنت تعرفه قبل أيام وأسابيع وشهور قليلة.

نفخة واحدة على جمر الطائفية الراقد تحت الرماد كانت كافية لتحريك الجمر، وفي أول حركة له يطقطق، يتفرقع، ويصدر شرارا حارقا في كل الاتجاهات، ويصل الشرار بسرعة إلى القرى والمدن المنثورة على الخارطة اللبنانية. وكل شرارة من جمر هذه النار كانت كافية لإشعال الحقل اللبناني كله. ونار الطائفية تشتعل بسرعة وضراوة قاسية لا تبقي ولا تذر، تغذي نفسها بنفسها، تتنفس هواء البلد النقي فتزداد اشتعالا، تشرب ماءه العليل فتشتد أكثر فأكثر. الماء والنار في الطبيعة قطبان أساسيان في الحياة، لكنهما بطبيعتهما وبسبب من مكوناتهما متنابذان، وهما لا يتجاوران إلا في لبنان الطائفي. النار تطرد الماء في العادة وتحرق الشجر الذي سقاه، والماء يطفئ النار

المشتعلة او يخفف من لهيبها. هكذا تجري دورة الحياة في الماء والنار. لكن، في لبنان تنعكس دورة الحياة مع أول ومضة برق طائفية. في نار الطائفية تشتعل الحرائق دوما فوق المياه اللبنانية وفي باطنها، تماما كما تشتعل في جبال لبنان البليلة الخضراء الجميلة ذات الهواء الجاف العليل، وفي سهوله المرويه والبعليه يتساوى اشتعالها ولهيبها، ومع اشتعالها يحترق البشر في الأنهر والآبار وفي مياه البحر، تماما كما يحصل لهم في المدن والقرى.

في الحروب الأهلية التي اشتعلت على الأرض اللبنانية في القرنين الحالي والسابق، كانت المختارة طرفا رئيسيا[٢]. كانت تدخل فيها بوعي لتحمي نفسها أو توسع نفوذها وتأثيرها. وفي كل مراحل خمود الحروب الأهلية، كانت للمختارة مكانتها وموقعها السياسي والاجتماعي المرموق. ودور المدن والبلدات في السياسة اللبنانية لا يقرره عدد سكانها ومساحتها وشكل عمرانها، بل يقرره مركزها الطائفي وطبيعة شخصية الزعامة الطائفية وطموحاتها ومصالحها في كل مرحلة. وفي كل المراحل، حافظت المختارة على مكانتها.

غادرنا، ياسر وأنا، المختارة بعد منتصف الليل وكنت متخما من الأكل والشرب وقد أبلغت الرفيق السائق أن وجهتنا مدينة صيدا، وطلبت منه أن يسلك طريق المختارة ـ دير القمر ـ صيدا. إخترت هذا الطريق بالرغم من أنه أطول من طريق المختارة ـ إقليم الخروب ـ صيدا لأسباب أمنية، منها تجنب النزول مباشرة من المختارة إلى مفرق وادي الزينه على الساحل حيث الحاجز السوري الأكثر تشددا في التدقيق في الهويات وفي تفتيش السيارات. فهذا الحاجز يضم في العادة عناصر من المخابرات السورية يقفون بانتظام إلى جانب جنود الجيش عندما تتأزم الأمور. وقد تقصدت أيضا تجنب العودة على الطريق ذاته الذي جئنا منه. ومثل هذا التغيير مفيد في تضليل من يراقبنا، والسير على طريق دير القمر الذي يتفرع منه طريق يفضي إلى طريق بيروت ـ دمشق يوحي للمراقب بأن وجهتنا قد تكون دمشق او بيروت او بعلبك وليس بالضرورة صيدا.

بعد انطلاق السيارة من قصر المختارة، رفع الرفيق المرافق صوت الراديو قليلا حسب تعليمات قيادة جهاز الأمن، تاركا لنا حرية الكلام دون خشية ان يتنصت علينا. وتحدث ياسر فوصف موقف وليد بأنه ممتاز، وتساءل: أليس كذلك؟ وأضاف أن لا شك في أن لوليد مصلحة في ضرب حركة "أمل" وإفشال المخطط السوري. وقدّر ياسر أن هناك إمكانية كبيرة وجدية لاستثمار موقف وليد، ثم استدرك: "لكن ضمن حدود بعينها، ودون توهم الاعتماد كليا عليه، خصوصا أن خوفه من السوريين خوف حقيقي ومبرر".

قلت أنا إن وليد محق في التخوف من رد الفعل السوري مثل باقي القوى الوطنية اللبنانية المتضررة من صعود دور حركة "أمل" على حسابهم. وكررت القول بأنهم جميعهم مستعدون للوقوف بجانبنا نكاية بنبيه بري وحركة "أمل"، لكن موقفهم يتجمد عند

حدود التصادم مع القيادة السورية أو إغضابها. وبيّن ياسر أن موقف معظم رفاقنا في المكتب السياسي المقيمين في دمشق لا يختلف في الجوهر عن موقف وليد. فهم مع البقاء في بلدة مغدوشة إذا كان لا يوصل إلى التصادم مع السوريين ومع الإنسحاب منها إذا كان لا يؤذي جماهيريا وسياسيا. وأكد ياسر أهمية معالجة الموقف بحكمة والبحث في سبل للتحايل على الموضوع داخليا وفي العلاقة مع السوريين. ورأى ان أحد مشاكل الجبهة يكمن في انها تقف وحدها في مواجهة جبهة الانقاذ وتتعرض لضغوط سورية جدية، ورفاقنا في المكتب السياسي لا يريدون التضحية بالمكان. أما الرفاق في قيادة الحزب الشيوعي الفلسطيني فهم كما وصفهم ياسر مرتاحون، يقاطعون اجتماعات دمشق ويعتبرون أنفسهم غير معنيين، لا عسكر عندهم ولا مدافع[٣] ولا ما يحزنون. والآخرون، وفي المقدمة الإخوان في الجبهة الشعبية، يحملوننا المسؤولية ويحرضون ضدنا. وبيّن ياسر خطأ المكتب السياسي الفاحش حين وضع بضاعته في سلة وجود الجبهة في سوريا. وأكد أهمية تصحيح الخطأ بإعادة توزيع مراكز الجبهة على عدد من الدول العربية،والتحرر جزئيا من الضغط السوري.

وفي سياق معالجة الأزمة، اعتبر ياسر فكرة تسليم مغدوشة للقوى الوطنية اللبنانية بقيادة مصطفى فكرة جيدة، وحبذ إشراك حزب الله واستخدام ورقته في وجه قيادة "أمل" والسوريين، وسأل عما إذا كنت أظن أن إعطاءهم دورا ميدانيا في مغدوشة يؤذينا من الناحية العسكرية؟ أجبت بالنفي وقلت إن العكس هو الصحيح. وبينت ان وجود مقاتلي حزب الله مع قواتنا وقوات "فتح" يفيدنا سياسيا ويخدم أهدافنا المباشرة في فك الحصار عن المخيمات، ويمنع "أمل" من اقتحامها، ويساهم في الحفاظ على الوجود الفلسطيني المدني والمسلح في مخيمات بيروت وصيدا والجنوب، وجود مقاتلي حزب الله معنا يلزمهم رفع مستوى التنسيق في جميع المناطق.

وفي سياق الحديث، أبدى ياسر قلقه على وضع مخيمي الرشيدية وشاتيلا. ذلك أن الرشيدية واقع في قلب بحر شيعي موال لحركة "أمل" ومهيج ضد الفلسطينيين. وهو بعيد عن صيدا يصعب إمداده بالمؤن والذخائر. ومخيم شاتيلا محاط هو الآخر بجمهور شيعي كبير من جميع الجهات، وهو صغير لا تزيد مساحته عن مساحة ملعب كرة قدم. وقد أشاد ياسر ببسالة الشباب وصمودهم في ظروف قاسية جدا. وقال إن شعبنا شعب جبار، قيادته لا تستحقه، وهو متقدم على قيادته دون استثناء. وذكر ياسر كيف أعادت الحرب على المخيمات، بالرغم من آلامها القاسية، الروح لمنظمة التحرير، ونشطت دور قيادتها، ولولا هذا الألم والعذاب لكان من الممكن أن ينسى العالم أن هناك شيئا اسمه م.ت.ف. وسأل: هل يمكننا عمل شيء إضافي الليلة؟

قلت إن اللقاء مع أبو معروف الليلة صعب بل مستحيل، إذ أننا سنصل صيدا بعد الثانية فجرا. وأقترحت ان نلتقي الرجل صباحا، الساعة التاسعة، ونلتقي بعدها شباب "فتح" ومن عندهم نتحدث مع أبوعمار أو أبوجهاد. والمسألة الراهنة هي جس نبض

الجميع واستطلاع ردود فعلهم على اقتراح تسليم مغدوشة للقوى الوطنية بقيادة أبو معروف. أما اللقاء مع كوادر الجبهة، وزيارة المقاتلين من "فتح" والجبهة في مواقعهم في مغدوشة فيمكن أن يتما بعد الظهر إذا سمحت الظروف بذلك، وفي المساء نلتقي الجماعات الإسلامية والمشايخ.

رحب ياسر بالبرنامج المقترح واعتبره شاملا، وسأل عن أخبار الدكتور نزيه البزري الشخصية الصيداوية الوطنية المستقلة والمرموقة، وما هو موقفه من الجنون الجاري، وهل من ضرورة لزيارته؟ فأفهمت ياسر أن الدكتور نزيه منزوٍ في هذه المرحلة، وزيارته ممكنة في وقت لاحق.

صمت ياسر قليلا، ثم راح يتحدث عن الابتزاز الذي تمارسه القيادة السورية، وكيف يمسكون بالأوراق اللبنانية وبالعديد من الأوراق الفلسطينية ويلعبون بها، واللعب يتم على حساب آلام الوطنين الفلسطينيين واللبنانيين، وأنهم هم كلما لمسوا أن خصمهم مستعد للتنازل ضغطوا أكثر ليوسعوا حجم مكاسبهم، وهم لا يعيرون ادنى اهتمام لكرامة الآخرين حتى لو كانوا مقربين منهم. يجيدون الضرب على الوتر الحساس، يفهمون تركيبة منظمة التحرير وضمنها تركيبة الجبهة الديمقراطية التنظيمية وطبيعة العلاقات والصراعات داخل اطرها القيادية. يعرفون أن الأجهزة والمؤسسات الإدارية والشناشيل، او الزوائد المدنية والعسكرية الثقيلة التي بنيناها بأيدينا تحتاج إلى مكان تستقر فيه، ولذا كان قرارهم الأول هو وضع القيود على هذه المؤسسات لتدفعها نحو الرضوخ، وأكد ياسر من جديد على أهمية توزيع مؤسسات الجبهة وقيادتها وتقليص شناشيلها المثقلة للحركة والتي لا لزوم لها أو لوجودها في دمشق.

دار الحديث والسيارة منطلقة على الطريق الخالي إلا من ضوئها المنتشر أمامنا ومن حركة محدودة لأرنب بري أو سنجاب اقترب من الشارع وولى هاربا نحو الأمان في قلب الحرش. كان الحديث يدور ومسجل السيارة يبث بعض الأغاني الشعبية من اختيار احد الرفيقين، السائق أو المرافق الجالسين في المقعد الأمامي. وكنا قد تجاوزنا جسر نهر القاضي مسافة ليست قليلة، عندها أدركت أن الرفيق السائق جمال لم يفهم المطلوب حين طلبت منه التوجه إلى صيدا طريق الدامور. لقد سلك الطريق الذي اعتاد عليها كلما عدنا من المختارة، وهو طريق دير القمر - جسر القاضي - قبر شمول - خلدة، حيث يوجد مكان مبيتي والمركز الإداري لقوات الجبهة في قرية عيناب، ومقر محطة اللاسلكي الرئيسية، ومقر كتيبة المدفعية ومجموعات وحدة تل الزعتر في قوات الجبهة المنتشرة في المنطقة التي ألف السائق ان يأخذني إليها.

خفف الرفيق السائق صوت المسجل وسرعة السيارة، عندما سمعني أعترض، وتساءل عما إذا كان عليه أن يرجع بنا إلى الوراء؟ قلت "تابع يا رفيق كل الطرق تؤدي إلى المختارة!"

استفسر ياسر حول الوجهة فبينت له أننا متجهون نحو صيدا عبر الطريق الساحلي، أو نبيت في منطقة خلدة. وأبدى ياسر تذمره "أوف! هذا طويل، مرهق وسنتأخر، أشعر بحاجة للنوم". عندها، اقترحت تأجيل النزول إلى صيدا، على ان ننام في الدوحة، حيث يوجد بيت ننام فيه أنا وفهد عندما تكون الأمور هادئة والأحوال رائقة مع الإخوان السوريين.

قال ياسر بنبره قوية وكأنه استعاد حيويته وفقد النعاس: "بس هذا غلط، أعني لا بأس في أن ننام الليلة فيه، ولكن، غلط أن تتردد عليه أنت وفهد، خصوصا في هذا الظرف، وأنا لا أمزح.. الإخوان في المخابرات السورية لن يترددوا في شطب حضرة جنابك، المسألة جدية وهم فاقدون أعصابهم، ولديهم جهات فلسطينية حاقدة وجاهزة لتنفيذ ما يطلب منها".

في تلك اللحظة، وصلنا الحاجز السوري المقام في مفرق قبر شمول. توقفنا لحظة قصيرة استفسر خلالها الجندي المناوب عن هوياتنا، وكالعاده أجابه السائق: "سيارة سيادة العقيد" دون ذكر الاسم. وكالعادة أيضا أدى الجندي السوري التحية العسكرية، وقال: "عفوا سيدي تفضلوا".

لقد تربى الجندي السوري وكل جنود الجيوش العربية على الوقوف باستعداد والتمسمر فوق الأرض لمجرد سماع كلمة عقيد أو عميد وحتى مقدم ورائد، إذا قيلت له من أي إنسان، حتى لو لم يكن في السيارة عقيد ولا ما يحزنون. المهم المظهر ودرجة إتقان الدور. والمطلوب فقط أن تجلس في المقعد الخلفي للسيارة عابسا، ويفضل ان تضع نظارة داكنة اللون، وأن يجلس أمامك السائق وشخص ما يقول سيارة سيادة العقيد، وكلمة سيادة ضرورية لا غنى عنها. وهذا يكفي لان تجتاز جميع حواجز القوات السورية مع "سلام تعظيم" حتى لو كنت مطلوبا للمخابرات السورية أو مطاردا. ويجب ألا تفاجأ إذا تقدم الجندي بكل أدب واحترام وتمنى على السائق أو المرافق على مسمع منك أن يوفر له في المرة القادمة بّدلة عسكرية، أو بوط أو فيلد، ومثل هذه الطلبات أصبحت عادة عند الجنود السوريين في لبنان. والشيء ذاته يفعله معظم رجال الجمارك على الحدود أو داخل الأراضي السورية. وهؤلاء الرجال مكلفون بالسهر على أمن المواطن ومكافحة التهريب. وطلبات بعضهم مبتذله تصل أحيانا حد طلب علبة سجائر أو علبة مناديل ورقية أو ربطة خبز. وطبعا، بإمكان أي سائق شراء موقف بعضهم ببضعة ليرات بقيمة كروز سجائر مارلبورو أو ما يعادله.

مكالمة لاسلكية مع مخيمي شاتيلا وبرج البراجنة

بعد اجتياز الحاجز، طلبت من الرفيق السائق التوجه نحو محطة الإشارة المركزية في قرية عيناب. قال ياسر إنه يعتقد أن ما قمنا به اليوم كاف، كانت الساعة قد بلغت الثانية فجرا، وطلب أن نذهب للنوم. فاقترحت أن نعرج للحظات على المحطة، نقرأ آخر البرقيات عن الموقف في بيروت ومغدوشة ثم نتابع المسير نحو البيت عبر طريق بشامون. تحمس ياسر للفكرة وتطلع إلى ان نتحدث مع الرفاق في البرج وشاتيلا قبل أن ننام. فحذرت من أن النوم قد يطير من العيون بعد سماع حديث علي فيصل المحاصر في برج البراجنة منذ الحرب الأولى على المخيمات، والشيء ذاته مع الرفيق أبو عماد في مخيم شاتيلا.

وبعد أقل من عشرة دقائق، وصلنا المحطة. تناولت ملف الوارد من البرقيات، قلبته بسرعة طاويا البرقيات الإدارية المألوفة، ولفت نظري ثلاث برقيات، الأولى من ضابط أمن منطقة طرابلس في شمال لبنان تقول: "أغلقت قوات حركة "أمل" طريق الهرمل وطريق القبيات التي توصل مدينة طرابس بمنطقة البقاع، وتقوم عناصر حركة "أمل" باعتقال كل من يعبر الطريق من الفلسطينيين، صغارا وكبارا، وتعيد النساء من حيث أتين، طبعا مع توجيه أبشع الإهانات".

وسألت المناوب عما إذا كان قد تم تعميم هذه البرقية على المحطات الفرعية مع طلب وقف الحركة على طريق بعلبك طرابلس. فرد بأن لا، وقال إنهم أرسلوها إلى صيدا ولم يتلقوا أي تعليمات حتى الآن، إذ لا أحد من المسئولين موجود هناك. تناولت القلم وكتبت برقية فيها التعليمات اللازمة وطلبت توزيعها على الجميع. وناولت البرقية لياسر، وتابعت تقليب صفحات الملف، وعلق ياسر، "ألم أقل لك إن الإخوان هستروا، أعتقد أن هذا الإجراء سوف يتبعه إجراءات أخرى أقسى وأشد".

توقفت عند برقية أخرى من مسؤول تنظيم الجبهة في مخيم برج البراجنة علي فيصل، انفعلت لها واقشعر جسمي إزاء قولها: "عقد اجتماع جماهيري في مسجد المخيم، وقرر الأهالي أكل لحم القطط والكلاب والحمير إن وجدت، وطالبوا إمام المسجد بإصدار فتوى بذلك. ووجهوا برقية إلى سماحة الشيخ محمد حسين فضل الله والشيخ مهدي شمس الدين الزعيمين الروحيين للطائفة الشيعية، والشيخ حسن خالد الزعيم الروحي للطائفة السنية، والشيخ محمد أبو شقرا الزعيم الروحي لطائفة الدروز، يطلبون منهم إصدار فتوى رسمية وعلنية بهذا الشأن، وأن يتوجهوا مع نفر من المشايخ والعلماء والمؤمنين إلى المخيم ليروا بأعينهم الأطفال الرضع الذين يشارفون على الموت جوعا بعدما جف الحليب في صدور الأمهات، ويشاهدوا حجم المآسي والدمار الذي لحق بالناس وممتلكاتهم"[٤]. وقلت منفعلا: "حبذا لو أن أهالي المخيمات يحرقون بيوتهم لعل الضمير العربي يصحو".

وقرأ ياسر البرقية، ثم تناول القلم وراح يكتب. وتابعت أنا تقليب أوراق البرقيات الواردة، ثم توقفت وقرأت عنوان البرقية التي شرع في كتابتها ياسر: "بيان صادر عن قوى الثورة الفلسطينية في لبنان". ثم تابعت قراءة النص: "قرر أهالي مخيم برج البراجنه أكل اللحوم المحرمة شرعا في الإسلام بعدما شارف الأهالي على الهلاك". واقترحت دعوة الناس داخل الأرض المحتلة للتحرك والاعتصام مثلا في المسجد الأقصى تضامنا مع المخيمات. فوجدها ياسر فكرة عظيمة، وأضاف أننا، سنطالب بما هو أكبر من ذلك. وتوقف عن الكتابة وقال: إنه ضروري جدا بذل محاولة لخرق الحصار المفروض على مخيم البرج ونقل ما يمكن نقله من الحليب والتموين، والاتصال بسرعة مع مشايخ حزب الله وأركان السفارة الإيرانية. سندعو في البيان إلى عقد مجلس وطني فلسطيني توحيدي بأسرع وقت من أجل إنقاذ نساء المخيمات في لبنان وأطفالها. فحبذت أنا الفكرة وتابع هو كتابه البيان.

قفزت بسرعة عن البرقيات الإدارية وما أكثرها، وتوقفت عند برقية ثالثة من مسئول منظمة الجبهة في منطقة صور ومخيماتها ابراهيم النمر من مخيم الرشيدية موجهه إلى الإمام الخميني، تناشده التدخل شخصيا مع الرئيس حافظ الأسد لوقف المجازر ضد المخيمات، وتطالبه بإصدار فتوى إلى علماء الشيعه في لبنان بالتوجه إلى مخيم الرشيدية وفك الحصار عنه، وإرسال ممثل له يقيم في المخيم مع أبنائه الفلسطينيين المسلمين. أفكار عظيمة، قلت هذا ونقلت إلى ياسر ما قرأت. وتساءل ياسر عن أخبار مغدوشة أيضا. وكان الموقف هناك جيدا، إذ تم صد هجوم جديد قامت به "أمل" قبل الغروب، وحسّن الشباب مواقعهم قليلا. عند هذه النقطة، توقف ياسر عن الكتابه وقال: "دوختونا في مغدوشة، أريد أن أفهم، هل مغدوشة معنا أم معهم ؟ ماذا يعني أن الشباب حسّنوا موقعهم في البلدة؟ وذكّرني ياسر بأن نبيه بري يصر في دمشق على أن ثلثي مغدوشة معهم، وقد أصدر بيانا قبل أيام هلل له التلفزيون السوري قال هو فيه إنه تم تطهير مغدوشة من العرفاتيين وأن وحركة "أمل" تقوم بمتابعة فلولهم خارج البلده!

كان علي أن أوضح الأمر؛ فمعظم أحياء البلدة معنا، وقوات "أمل" ما زالت متواجدة في أطرافها الشرقية والجنوبية الشرقية، ومواقعهم هناك تتغذى من قرى وبلدات كثيرة بدء من بلدة عنقون حتى مدينة النبطيه، ولديهم عمق بشري كبير، والطريق الشرقي من جهة عنقون لا يزال سالكا أمام حركتهم. وعناصرهم متمترسه في تجمع بنايات، وإخراجهم منها لا يتم دفعة واحدة. وقد حاولنا تطويقهم بقطع الطريق الجنوبيه من جهة المدرسة، فدفعنا ثمنا باهظا وكانت خسائرنا كبيرة، إذ أن الأرض مكشوفه، ولديهم هم تحصينات دفاعية قوية، والجيش اللبناني له مواقع قوية في المنطقه، وهي خط الدفاع عن مقر الكتيبه اللبنانية الموجوده في المنطقة. وبينت انه كان بالامكان في اليوم الأول السيطرة على كل البلده، بعدما فوجئت عناصر "أمل" بالهجوم وهربت

من مواقعها. وهذا ما حاول الشهيد خليفاوي وعلاء فعله، لكن محمود أصيب بطلقه قاتلة وتوفي على الطريق اثناء نقله من مغدوشة إلى مخيم عين الحلوة.

وشرحت كيف ان مغدوشة تغيرت عن السابق، ومعرفه الشباب بالبلده قديمه ومعلوماتهم عنها تعود إلى عشر سنوات، البلده كبرت وتغيرت. وخليفاوي كان مع علاء في جولة استطلاع ميدانية، وبعد اصابته بطلقة قناص تم تأجيل عملية استكمال تنظيف المباني الواقعة على الاطراف. وللأمانة فإن الأخوين علاء قائد قوات "فتح" في لبنان ونائبه أبو ياسر عبد المعطي أبليا بلاء حسنا، لكن استشهاد محمود هو الآخر أربك الجميع، كانت ضربه صاعقه أثرت على علاء وعبد المعطي وعلى الوضع المعنوي لكل أفراد الكتيبة التي يقودها محمود المتواجده في مغدوشة، وحتى أنا لم أنج من الأثر السلبي لاستشهاده. محمود مناضل عزيز على الجميع. الكتيبه فقدت خلال ٤٨ ساعه قائدها وأحد قادة السرايا، وأربعة قادة فصائل، عدا عن قادة الجماعات والمقاتلين، وهذا كله يتضمن الجرحى من القادة والافراد. افراد الجيش اللبناني قاتلوا ضدنا بشراسة. لقد كان الثمن باهظا، ونحن الان نتواجد في معظم أحياء البلدة، الأحياء القريبة من تلة السيدة معنا، وكذلك الاحياء الشمالية والوسطى والجنوبية الغربية. هم موجودون في الجهتين الشرقية والجنوبية الشرقية فقط، وأنا لست مع التسرع في حسم الوضع. التسرع ثمنه كبير، هذا قانون مستخلص من الحروب في المناطق المبنية، خصوصا حرب الفنادق في بيروت ومعركة الكحالة والدامور، والافضل بقاء الوضع متحركا فهو يستنزف "أمل" أكثر فأكثر تدريجيا.

علق ياسر بأن هذا يستنزفنا نحن أيضا، بشريا وسياسيا ؟ وكان علي أن أقر بذلك: هذا صحيح، لكننا نرهق حركة "أمل" بهذا الأسلوب ونرغمها على تخفيف ضغطها على مخيم الرشيدية، وقد خف الضغط فعلا واضطروا إلى سحب قسم رئيسي من قواتهم الرئيسية التي تحاصر مخيم الرشيدية وأوقفوا تحضيراتهم لاقتحام هذا المخيم. والى جانب ذلك بقي أهالي القرى المجاورة لمغدوشة قلقين، وهذا يدفعهم للضغط بقوة على قيادة "أمل". وبينت انه لا خوف من الناحية العسكرية، ولو حضرت كل قوات "أمل" ومعها وحدات من الجيش العربي السوري فلن يستطيعوا اخراج قوتنا المشتركة مع قوات "فتح" من البلدة، خصوصا ان مغدوشة بلدة كبيرة، وفيها مبان كبيرة، ولدى مقاتلينا خبرة كبيرة في حرب المدن راكموها في الحرب الأهلية عام ١٩٧٦ وفي حصار إسرائيل بيروت عام ١٩٨٢، الحصار الذي استمر قرابة ثلاثة شهور، وهذه الخبرة تمكنهم من الصمود والقتال فترة طويلة. وبينت أهمية استكمال فتح الطريق، فالوصول إلى البلدة عذاب وموت. وتبديل القوات وتزويد المقاتلين بالتموين والذخائر وإخلاء الجرحى كله يتم عبر حركة مضنية تقوم على التسلق بواسطة الحبال.

لقد استولى مقاتلونا على ثلاث ملالات، وكان شأن هذا أن خفف العبء قليلا[٥]، وقد نشأت منازعة طويلة عريضة مع أبو معروف حول هذه الملالات. الجيش الشعبي التابع

للتنظيم الناصري يريدها لنفسه فورا. ونحن والإخوان في "فتح" نؤجل الموضوع ونستخدم هذه الملالات في نقل الذخائر واخلاء الجرحى. وكاد أن يقع اشتباك حول واحدة من الملالات مع الرفاق في الجبهة الشعبية. شبابنا سيطروا على هذه الملالة في اليوم الأول، ولم يكن ضمن القوة من لديه خبرة في قيادة الملالات. الاخوان في الشعبية سمعوا نبأ الاستيلاء على الملالة وأرسلوا سائقا، وهنا كاد يقع اشتباك. لكنني قلت للشباب أن اتركوها لهم، وفكرت في ان تكون مدخلا لتوريطهم والقول بان قوات الجبهة الشعبية تشارك في الهجوم من اليوم الأول للمعركة وانهم استولوا على ملالة.

وأنهيت حديثي إلى ياسر بالقول إن الحديث عن معركة مغدوشة يطول ويتشعب ويحتاج إلى جلسة طويلة. وحثثته على إكمال كتابة البيان، وذكّرته برغبته في التحدث إلى الشباب في شاتيلا وبرج البراجنة. فأنهى ياسر كتابة البيان، ونظر إلى ساعته فكانت الثالثة الا ربع صباحا، فخشي أن يكون الشباب نائمين بأمل الحصول على قسط من الراحة. وكنت أعرف وقت نوم الشباب، فهو يبدأ مع الثالثة فجرا ويمتد حتى السادسة صباحا وقد يصلون الليل بالنهار أحيانا، خصوصا وان معظم هجمات "أمل" يجري عادة في ساعات الصباح الأولى بدء من الساعة الرابعة. لكنني كنت واثقا بان الشباب سينهضون راكضين من فراشهم إذا علموا أن ياسر سيتحدث معهم.

التفت ياسر إلى عامل اللاسلكي وطلب ان يصله بالرفاق في برج البراجنة وشاتيلا، وناوله البيان وطلب توزيعه بسرعة على جميع المحطات، خصوصا الخارجية. وخط على البيان ملاحظة يطلب نشره فورا وتسليمه لجميع القوى الصديقة والجهات الرسمية المعنية. وأضاف ياسر برقية أخرى طلب ترسل إلى دمشق. والبرقية تقول: "من ياسر إلى أبو ليلى لاطلاع اعضاء المكتب السياسي، الوضع يزداد صعوبة في المخيمات، يستحيل تنفيذ التوجه في ظل هكذا أوضاع. من الضروري الاتصال بالاخوان وخاصة الاخ عبد السلام جلود وابلاغه خطورة الموقف، ورجاء مطالبته ممارسة شيء من الضغط على قيادة "أمل" عبر الاخوان السوريين من اجل فك جزئي للحصار وادخال كمية محدودة من حليب الاطفال والخبز للمخيمات الثلاث. وبدون هكذا اجراء يستحيل تنفيذ التوجه، انتظر الرد، وسأتأخر في الحضور مدة ٢٤ ساعة لمتابعة بعض الامور الهامة. اكرر: الوضع خطير جدا خاصة في برج البراجنة والرشيدية وشاتيلا وينذر بعواقب وخيمة إذا لم يتم تداركه بأسرع وقت وفورا". والتوجه الذي كرر ياسر القول باستحالة تنفيذه كان هو انسحابنا من مغدوشة.

وجدت البرقية عظيمة وأملت في أن تلقى أصداء عند الأخ عبد السلام جلود والاخوان الاخرين. فرد ياسر: "انت واهم، تراهن، سيزيد الاشقاء السوريون من ضغطهم ويشددون الحصار اعتبارا من الغد ظنا منهم ان المخيمات على وشك السقوط. أعلق أملي على أن تجد البرقية أصداء وتجاوبا عند رفاقنا، خصوصا نايف وليس عند عبد السلام والسوريين". ووعد ياسر بأن نتحدث في الموضوع غدا، ووجه نحو عامل الاشارة نظرة تقول إن من الخطأ متابعة الكلام في هذا الموضوع الحزبي الداخلي أمام الرفيق.

فهمت الإيماءة فقضمت الكلام، وطلبت من عامل الاشارة الاتصال بالرفاق علي فيصل وأبو عماد شاتيلا، وقلت: "أعان الله أهل المخيمات وأولهم رفاقنا على محنتهم. طول عمره شعبنا متقدم على قيادته. الدنيا مصالح وكل صاحب مصلحة له حساباته الخاصة. ناد يا رفيق ناد!". بعد لحظات، كان صوت أبوعماد مسؤول منظمة الجبهة في شاتيلا معنا عبر الاثير. بدأ ياسر الحديث بكلمات عاطفية. فحثثته على اختصار الوقت وان يتحدث أيضا مع الرفيق علي فيصل. وسألت عامل الإشارة عن علي، فأجاب بأنه نائم وقد ذهبوا لايقاظه.

نائم في بيته؟

لا، في الملجأ، بيت الرفيق علي أخلي منذ الصباح، قوات "أمل" احتلت البنايات الشرقية الواقعة في منطقة الجورة ومنها يمكن الاشراف على شوارع حارة حريك وزواريبها.

لحظات أخرى، ثم دخل صوت علي الخط. أعاد ياسر مقدمة الحديث، واستفسر من أبو عماد وعلي كليهما عن الوضع الحقيقي في المخيمين ودقق في امكانيات الصمود ومدتها. وجاءت الإجابات مطمئنة جدا، والفارق نوعي بينها وبين ما جاء في البرقية الأخيرة التي تتحدث عن أكل لحوم القطط والكلاب والفئران وعن الفتوى بشأنها.

تحدث ياسر عن الوضع السياسي. لم يخدع الرفاق، وربط احتمال وقوع تطورات ايجابية بالصمود لاطول مدة ممكنة. وشدد على تعميق الوحدة بين المدافعين عن المخيمات بغض النظر عن انتماءاتهم التنظيمية. تحدث عن الصمود في مغدوشة وبطولات الشباب، وختم حديثه قائلا: "كونوا على ثقة تامة، الإنسحاب من مغدوشة مقابل فك الحصار عن البرج والرشيدية ولا شيء قبل ذلك". استفسر علي فيصل عن موقف رفاقنا في دمشق، وعن طبيعة الاجراءات السورية التي اتخذت ضدهم، وقال إن إذاعة الكتائب بثت أخبارا مقلقة حول موضوع مغدوشة وقالت ان اتفاقا قد تم في فندق الشيراتون بحضور عبد السلام جلود والقوى الوطنية اللبنانية والقوى الفلسطينية المتواجدة في دمشق، والاتفاق يقضي بالإنسحاب من مغدوشة واخراج العرفاتيين من المخيمات. وعلق علي: "يظهر أن هناك لعبة سياسية خطيرة". وأضاف أبوعماد أنه إذا صح هذا الكلام فهو يعني حفلة بواخر جديدة لترحيل المقاتلين كما رحلوا بعد حرب ١٩٨٢. وقال إن الإخوان أصحاب من سماه أبو حطة وهو يعني أبوعمار، خائفون وهم يغمزون من قناتنا، ومعلوماتهم تشير إلى أننا سنغلب المصالح الخاصة على مصلحة المخيمات.

وفي رده على هذا كان ياسر حاسما، وقد وصف المعلومات الرائجة بانها اشاعات مغرضة. وطلب طمأنة الجميع وعدم السماح لإذاعة الكتائب ولا للصحف العميلة أو المغلوبة على امرها بان تؤثر على الرفاق وعلى وحدة الموقف في المخيمات. وأكد ان لا شيء من هذا القبيل مطروح ولا حديث عن انسحاب من مغدوشة وغير ذلك قبل فك الحصار عن جميع المخيمات. وانهى ياسر مكالمته بالتاكيد على إدامة الصمود أطول فترة ممكنة.

المبيت في خلدة مجازفة لا بد منها

كانت الساعة قد تجاوزت الثالثة والنصف صباحا حين وصلنا البيت مرهقين[٦]. وطلب ياسر أن ننام قليلا والصباح رباح. ولما حزر أني أريد معرفة تفاصيل المواقف في المكتب السياسي قبل النوم، فقد قال باختصار إن موقف الرفاق الموجودين في دمشق زفت مغلي ويمكن ان يقود إلى كوارث إذا لم يتم التفاهم الفعلي حول ما هو تكتيكي وماهو استراتيجي فيما يتعلق بوضع مغدوشة ووضع كل المخيمات في لبنان. وبيّن أن عددا من الرفاق بسّطوا الموضوع وعالجوه بشكل سطحي، ولعب منظار المكان دوره في تقرير الموقف. وبالرغم من ذلك، قدر ياسر أن الوضع ليس ميئوسا منه، بل يمكن إصلاحه وتعديله. ثم دخل ياسر احدى غرف النوم واستلقيت أنا على كنبة الصالون. وقبل أن اغرق في أفكاري، جاء ياسر الذي جافاه النوم ليقترح إرسال برقية إلى الرفاق في صيدا لترتيب برنامج الغد. وشدد على أهمية ترتيب لقاء صباحي مع مصطفى سعد، نلتقي بعدها مع شباب "فتح" ونتحدث مع أبو عمار أو أبو جهاد، ثم نلتقي الرفاق كوادر الجبهة في منطقة صيدا، وفي المساء نلتقي مشايخ حزب الله وانصارهم في بيت الشيخ ماهر محمود. وقال: "نسيت ان اقول لك، زوجتك قلقة، وصلتها أخبار مشوشة حول اصابتك. المهم إذا امكن تدبير وصولك إلى دمشق مدة ٤٨ ساعة هذا مفيد للعائلة، ومفيد في محاولة تعديل موقف الرفاق، بحضورك قد نتمكن من دوزنة موقفهم".

عاد ياسر إلى غرفة النوم، ففتحت انا جهاز الإرسال اليدوي وأرسلت برقية إلى فهد سليمان عضو قيادة الجبهة الموجود في صيدا واشرت الى انها لاطلاع رمزي وأبو السعيد عضوي قيادة اقليم لبنان في الجبهة وعضوي لجنتها المركزية ايضا وطلبت تنظيم البرنامج وفقا لاقتراح ياسر. وما أن انتهيت من ارسال البرقية حتى عادت الافكار تتلاطم في ذهني كالامواج الهائجة التي حركتها عاصفة قوية الفكرة تضرب سابقتها، تعززها، تقويها، ثم تعود لتتحطم معها عندما تبلغ الصخور القاسية. هل سنقع في المطب السوري؟ هل يصر الرفاق على قرار الإنسحاب بعد الذي قاله ياسر لوليد جنبلاط وللرفاق في شاتيلا وبرج البراجنة؟ هل يضع الرفاق في المكتب السياسي مسألة الحفاظ على وجودهم في دمشق فوق كل اعتبار آخر؟ ماذا دار في فندق الشيراتون في دمشق؟ من الذي حضر الاجتماع؟ لماذا نشارك أصلا في هكذا اجتماعات مع العقيد أبو موسى واحمد جبريل؟ هل الإنسحاب يخدم الوحدة الوطنية التي نسعى لتحقيقها كما قال ياسر؟ لماذا تحفظ وليد جنبلاط على فكرة تسليم مغدوشة إلى مصطفى سعد، هل هي حسابات لبنانية أو هو حرص على الوضع الفلسطيني؟ هل، وهل؟

عشرات الأسئلة مرت بذهني، ولكل سؤال جواب وأكثر، وكل جواب يجر أسئلة جديدة، والأسئلة الجديدة لها أجوبة، والأجوبة تجلب أسئلة، هكذا دواليك بقيت في دوامة لم تتوقف الا بعد ان لسعني البرد، وأفقت من هواجسي واسرعت نحو غرفة النوم، دخلت الفراش وأنا أرتجف ولا أدري هل البرد هو السبب أو الخوف الحقيقي على مصير

الجبهة، أو الخوف على المخيمات؟ لم تدم الرجفة طويلا، بل أخذت بالتلاشي التدريجي بتناسب مع الدفء الذي وفره الفراش لي. غفوت وفكرة النزول إلى دمشق واللقاء مع زوجتي وابني والاصدقاء في منطقة أوتوستراد المزة تسيطر علي ذهني، تكبر وتكبر، ومع هذه الفكرة غاضت الأسئلة والأفكار الأخرى، وأمكن أن أنام.

التاسعة صباحا، صحوت على صوت جرس الباب، حضر الرفاق المرافقون في الموعد المحدد. نهضت، وفتحت لهم الباب، وطرقت باب غرفة ياسر فوجدته مستيقظا. شربنا قهوة الصباح، وطالعنا عناوين الصحف اليومية التي أحضرها الرفاق معهم كالمعتاد. معارك مغدوشة وأخبار المخيمات الاخرى تتصدر الصفحات وتحتل المساحة الأوسع في كل الصحف. لفت نظري خبر انفردت بنشره جريدة "النداء" الناطقة بلسان الحزب الشيوعي اللبناني، الخبر بارز عنوانه الاجتماعات الفلسطينية اللبنانية الليبية في دمشق تقرر انسحاب القوات الفلسطينية من مغدوشة. قربت الخبر من ياسر وقلت اقرأ. قرأ ياسر العنوان وعلق "الدنيا صباح، والصباح رباح، أخوك أبو أنيس موقفه مفهوم. وسنرى كيف نعالج وضع مغدوشة. الليلة قبل النوم قلبت فكرة تسليمها للقوى اللبنانية ووجدتها مناسبة، تعطينا مجالا للمناورة وكسب الوقت".

وحين عبرت عن شكي في أن يقبل ياسر عرفات الفكرة، علق ياسر عبد ربه بأننا سنحاول أولا إقناع عصام والإخوان الآخرين من "فتح" في صيدا، والمهم ان يعرف صاحبنا أبو عمار أن الفكرة ليست مطروحة للتنفيذ بل للمناورة وكسب الوقت والهروب من الضغط السوري والليبي. وأوضح ياسر أنه مقتنع شخصيا بتسليم مغدوشة للقوى الوطنية اللبنانية مقابل فتح الطرق أمام التموين للمخيمات مع ضمان عدم تجدد الاعتداءات، وتطبيق مسألة فك الحصار وانسحاب "أمل" من محيط المخيمات يتم لاحقا بالتدريج، والمهم الان هو الحفاظ على الوجود الفلسطيني في الرشيدية وشاتيلا ومنع انهيار أي من المخيمين.

علقت بأن من المهم عدم التفرد بالقرار من جانبنا، ومن الضروري عدم التسرع، والوضع في المخيمات يتحمل بضعة ايام اضافية، ولابد من التفاهم مع الاخوان في "فتح" في لبنان على كل الامور وكل التفاصيل إذا تعذر التفاهم مع قيادة "فتح" في تونس. نحن و"فتح" قمنا بالعمل بشكل مشترك، وتضحياتهم ليست قليلة، كادراتهم بكت محمود خليفاوي وبكت أبو سمرة وبقية الرفاق الشهداء. بالتفاهم والاقناع يمكن الوصول إلى تكتيك مشترك. هذا ما فعلناه في معركة شرق صيدا قبل شهر. في حينها تعرضنا لضغط مشابه، ناورنا نحن واياهم، تفاهمنا مع أبومعروف وقبل ان توفر لنا قوات الشهيد معروف سعد الغطاء السياسي. وقتها، انسحبنا شكليا واعلاميا، ولم ننسحب عمليا، فقط استبدلنا الشعارات والملابس، ووضعنا حواجز للجيش الشعبي على مداخل المنطقة. السوريون ليسوا أغبياء، فهموا اللعبة وقبلوا التخريجة على مضض حتى يخرجوا بكرامتهم السياسية ولو من الناحية الشكلية.

قال ياسر: "لكن مغدوشة مختلفة عن جنسنايا والقريّة وعين الدلب". وأشار إلى ان حسابات قيادة "أمل" العسكرية والجماهيرية مختلفة. وبلدة مغدوشة بوابة الجنوب من الناحية العسكرية وبقاء القوات الفلسطينية فيها يعني سقوط القرى الشيعية المحيطة بها الواحدة بعد الأخرى، وهذا ما لا ترضاه "أمل" ولا السوريون ولا إسرائيل ايضا. ثم اقترح أن نتحرك نحو صيدا إذ أن الساعة بلغت التاسعة والنصف، ووعد بأن نكمل الحديث في السيارة وفي الاجتماعات مع الرفاق ومع الاخوان في "فتح" والإخوان الوطنيين اللبنانيين.

انطلقت بنا السيارات مسرعة نحو صيدا، والطريق شبه خالية من حركة السيارات خصوصا الذاهبة نحو صيدا. كانت السيارات تشق الطريق مسرعة، لكنها سرعان ما تخفف من حركتها وتتوقف للحظات عند الحواجز السورية المنتشرة على طول الطريق. المسافة بين الحاجز والاخر لا تزيد عن خمسة كيلومترات. الجديد في وضع الحواجز هو التعزيزات، والنظرات الحاقدة التي كان يضربنا بها الجنود السوريون خصوصا الضباط عندما يقال لهم: قيادة فلسطينية.

أحد الضباط قال: "قيادة على عيني ورأسي، ممكن أن نتعرف؟" رد المرافق: "الرفيق ياسر عبد ربه قادم من دمشق". فقال الضابط: "اهلا وسهلا. حلوها سيدي بالتي هي احسن لأني شايفها راح تكبر كثير إذا لم تحل بسرعة". رفعنا رؤوسنا عن الصحف وعلق ياسر على حديث الضابط: "إطمئن سوف تحل، وليس من عقدة الا ولها حل، والمهم حل مشكلة أكل الاطفال في المخيمات". تابعت السيارة تحركها على الطريق الذي قادنا إلى صيدا وقد أمكن أن نشاهد تمثال السيدة العذراء من منطقة قصر السعديات. وقبل وصولنا جسر الأولي ببضعة كيلومترات، وبعد اجتيازنا كوع وادي الزينة، قلت لياسر أنظر، مغدوشة أمامك، وهي تتعرض الآن لقصف مدفعي متقطع. وكان الموقف واضحا من تصاعد الدخان من معظم أحياء البلدة ومن اصوات انفجار القذائف.

توقف ياسر عن القراءة. وقال: "أوف! مدفع مباشر من عيار ٥٧ ملم أو ٧٥ ملم يستطيع قطع الطريق من هذه النقطة". قلت: "مدفع ١٢٢ ملم أو ١٣٠ يمكن استخدامه بالرمي المباشر". ولفت نظر ياسر تمثال السيدة العذراء، وبينت له ان مركز قيادة قواتنا المتقدم يبعد عن التمثال قرابة ١٥٠٠ متر باتجاه الشرق. فأدرك ياسر ان معظم القرية معنا. وأوضحت أنا ان المواقع المحيطة بالتمثال هي مواقع خلفية. واجتذبت انتباهه الجرافة تعمل براحتها، والشغل في شق الطريق قارب على الانتهاء. وبينت أن الجرافة تعمل في سفح تلة السيدة، و"أمل" تقصف المنطقة في محاولة لوقف العمل، لكن الشباب بواسل وهم يعملون ليل نهار تحت القصف.

علق ياسر بان تلة تمثال السيدة العذراء تلة استراتيجية يجب تعزيزها لأن من يصل إلى التمثال يستطيع السيطرة على البلدة كلها. فطمأنت محدثي وقلت إن الشباب مستعدون

للموت دفاعا عن العذراء لأنها فلسطينية. ورويت لياسر قصة طريفة حصلت معي ومع الشيخ عباس الموسوي والشيخ ماهر محمود.

تعرف أن الشيخ عباس هو أمين عام حزب الله، واعتقد أنه مسؤول أيضا عن الشؤون العسكرية. قبل عدة أيام، التقيت مع عصام وعلاء في بيت الشيخ ماهر محمود بالشيخ عباس ومشايخ آخرين من حزب الله. في تلك الجلسة قلت كلاما عاطفيا، وأفرطت في اقتباس الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. ويومها، وفقت، فتذكرت الكثير منها. الشيخ عباس وإخوانه ظنوا أني رجل متدين. الجلسة طالت. عصام وإخوانه غادروا بعد الحديث الرسمي. استبقاني الشيخ ماهر على العشاء مع الشيخ عباس. بعد العشاء طلب مني الشيخ عباس خلوة قصيرة. المهم، ومن دون ذكر المقدمات التي طرحها الشيخ عباس، خلص الرجل إلى جوهر الموضوع، وقال: "أخ ممدوح أنت مناضل مسلم حتى لو كنت في حزب ماركسي، يبدو لي انك مسلم مؤمن، وايمانك عميق". قلت: "بارك الله فيك يا شيخ". ثم قال إن تمثال السيدة يقف على رأس التلة ويشرف على الطريق من صور وحتى بيروت. واضاف كلما تحرك على هذا الطريق شعر من وقفة التمثال بما سماه الاضطهاد المسيحي الواقع على رقاب المسلمين في هذا البلد. التماثيل في الاسلام، كما قال، مكروهة لانها من بقايا مرحلة عبادة الاصنام. ثم جهر بما حمله على الاختلاء بي "أتمنى عليك يا أخ ان تريح المسلمين في منطقة صيدا وكل الجنوب من هذا الرمز، ومن العار بقاؤه واقفا على صدور المسلمين". واستدرك أنه إذا لم أشأ أنا القيام بهذه المهمة لاسباب دنيوية سياسية، "فأنا مستعد لها، ومستعد لأن أرسل معك عددا من الشباب المؤمن ومعهم المتفجرات وكامل التجهيزات لتنفيذها".

تعجل ياسر مستفهما عن إجابتي. قلت: "صبرك، في تلك اللحظة حبكت معي، وقلت له: لكن ياشيخ، يبدو أنك ناسي أن السيدة مريم العذراء ام السيد المسيح سيدة فلسطينية وكذلك إبنها السيد المسيح بغض النظر عن من هو أبوه. ومريم العذراء ياسيدي الشيخ هي رمز عرضنا وشرفنا الفلسطيني، ونحن نموت دفاعا عن العرض والشرف الفلسطيني". عندها ضحك الشيخ عباس ونادى الشيخ ماهر حمود، وروى له القصة. ويومها، ختمت حديثي مع الإثنين: "أرجوكم يامشايخنا، لا تعتدوا على عرضنا وشرفنا الفلسطيني، يكفينا ما فعلته حركة "أمل" وقوات الكتائب في أهلنا في لبنان، ويكفينا ما تفعله إسرائيل في أهلنا منذ سنين". ومنذ تلك اللحظة، نشأت صداقة حميمة بيني وبين الشيخين، وكسرت الحواجز وزالت الرسميات.

ضحك ياسر وعلق: "إذن الشباب صعدوا إلى مغدوشة لإنقاذ العرض والشرف الفلسطينيين".

بلغنا صيدا، ووجهت الرفيق السائق إلى مقر الجبهة في مخيم عين الحلوة، حيث يمكن أن نتوقف لحظات ونستفهم عن الترتيبات من رمزي مسئول منظمة الجبهة في منطقة

صيدا ونتحرك مع فهد ورمزي وأبو السعيد إلى بيت أبو معروف. الطريق من صيدا إلى المخيم ليست آمنة وينبغي عبورها بسرعة وحذر شديد. هكذا أبلغتنا المحطة الفرعية في صيدا: المخيم يتعرض لقصف متقطع والطريق معرض لطلقات القنص من تلال ظهور الغازية، خصوصا المنطقة الواقعة بين التعمير والمخيم.

"بسيطة ندخل المخيم من خلف مدرسة الأميركان". كان هذا هو ما قاله الرفيق السائق، فتركت له أن يتصرف، لكن دون تسرع. "الفدائيون في مثل هذه اللحظات يقودون سياراتهم بسرعة جنونية دون مبرر، هوبرات كوادر المقاومة معروفة وهي طبعا لم تتغير"[٧]، جاء هذا التعليق من ياسر في الوقت الذي كان فيه لاندروفر محمل برشاش عيار ١٤,٥ ثنائي يسير بسرعة جنونية، مطلقا الزامور بأعلى صوته، وبعض طلقات مسدس تنطلق من جانب السائق.

بعد دقائق قليلة، عبرنا المخيم من الطريق "الفوقاني". مخيم عين الحلوة فيه شارعان فقط بالرغم من أن مساحته كبيرة وعدد سكانه يربو على ستين ألفا: شارع "فوقاني" يقع في القسم الشرقي من المخيم القريب من الجبل، وآخر "تحتاني" هو الأقرب إلى السهل والبساتين. ومخيم عين الحلوة أسس بعد نكبة عام ١٩٤٨، سكنته العائلات الفلسطينية التي هاجرت من فلسطين. في البداية، سكن المخيم بضع عشرات من العائلات الفلسطينية جميعها من قرى شمال فلسطين، عبرت الحدود اللبنانية مشيا على الاقدام وكلها أمل في العودة خلال أيام، وإذا طالت الغربة فلن تزيد، كما تصور اللاجئون، على أسابيع قليلة. لم يكن الذين هاجروا إلى لبنان يدرون أن القدر يخبيء لهم كوارث كبيرة كالتي عاشوها منذ ذلك الوقت وطيلة أربعين عاما. وكذلك حال بقية الفلسطينيين الذين هاجروا إلى الاردن ومصر وسوريا. الجميع كان مقتنعا بان الهجرة ستكون محدودة الوقت. هكذا كانت الدول العربية تقول وكل دول العالم. صدق الفلسطينيون هذه الاقوال والاشاعات، والهجرة لم تكن خيارهم، بل أكرهوا عليها بشتى السبل.

أهالي عين الحلوة وسواهم من المهاجرين الفلسطينيين اقاموا في المخيم عدة سنوات، رفضوا البناء والتعمير على امل العودة. رفضوا عروضا عديدة قدمتها وكالة غوث اللاجئين، وبسبب عروضها هذه حقدوا عليها كمؤسسة وعلى الاجانب العاملين فيها. الوكالة تشكلت بقرار من الامم المتحدة لمساعدتهم وإغاثتهم، وقدمت لهم الكثير من المساعدات فعلا. وبالرغم من ذلك، حقد الفلسطينيون عليها وكرهوها، صارعوها، اضربوا عن استلام المساعدات، حطموا مراكزها الادارية اكثر من مرة لأنها تمثل هيئة الأمم المتحدة التي لا تفعل شيئا لاعادتهم إلى وطنهم بل تحاول توطينهم في الشتات. واعتبر اللاجئون الفلسطينيون ما يقدم من مساعدات من هيئة الامم المتحدة مؤامرة لابقائهم بعيدين عن بيوتهم وديارهم.

مع الزمن، استخلص أهالي عين الحلوة ان طردهم بشتى السبل من قراهم كان مؤامرة دولية، والانظمة العربية بمعظمها كانت ضالعة فيها. عندها عمروا المخيم، بنوا في البداية بيوتا صغيرة من التنك والزينكو. عملوا على تأمين بقائهم احياء بانتظار فرج الله. اقاموا علاقات وطيدة مع اخوتهم اللبنانيين من اهالي صيدا وقراها. عملوا في الزراعة والتجارة وساهموا في احداث نهضة زراعية في الجنوب اللبناني، وهم ذوو خبرة عالية في هذا المجال، اكتسبوها من عملهم في ارض فلسطين التي ورثوها أبا عن جد. طيلة فترة إقامتهم لم يميز أهالي مخيم عين الحلوة في علاقاتهم مع اللبنانيين. وكانوا كسائر الفلسطينيين لا يفرقون بين مسيحي ومسلم، ولا يميزون بين الطوائف والملل المسيحية والاسلامية. لا فرق عندهم بين شيعي وسني. وسكن ما يزيد على ألفي فلسطيني من الأيسر حالا في قرية الغازية الشيعية المجاورة لصيدا. ولئن تنبهوا بعد الهجرة للمسائل الطائفية فانها لم تؤثر فيهم. وحتى عندما ورطوا في الحرب الاهلية في لبنان، لم يقاتل الفلسطينيون من منطلقات أو دوافع طائفية. دخلوا المعارك الطائفية بدوافع وأسباب وطنية؛ قاتلوا من حاول أن يعيقهم عن القيام بدورهم في النضال ضد من احتل أرضهم وشردهم[٨].

مع الزمن، كبر مخيم عين الحلوة وكبرت همومه مثله مثل سائر التجمعات الفلسطينية فوق أرض الوطن وخارجه. قبل انطلاقة الثورة في عام ١٩٦٥، كان أهالي مخيم عين الحلوة يقاومون الهجرة مشدودين للعودة. ورفضوا كل مشاريع التوطين والتجنيس التي عرضت عليهم. وانخرطوا في الحركات السياسية التي رفعت شعارات تحرير فلسطين. ومع انطلاقة الثورة الفلسطينية، كانوا من أوائل من انخرطوا فيها. لا بل يمكن القول ان الثورة الفلسطينية انطلقت على الساحة اللبنانية من مخيم عين الحلوة.

أبناء المخيم حملوا السلاح مثل سواهم من أبناء فلسطين من أجل تحرير فلسطين والعودة إليها وليس تحرير مغدوشة المجاورة لمخيمهم ولا قرية عين طورة الواقعة على سفح جبل صنين. صعدوا إلى صنين دفاعا عن حقهم في حمل السلاح وفي النضال من أجل حقوقهم الوطنية في فلسطين. اضطروا للصعود إلى هناك عندما برز من يعمل على منعهم من الكفاح من اجل التحرير. صعدوا إلى مغدوشة عندما حولتها قيادة "أمل" إلى موقع عسكري قوي أسلحته موجة ضد الفلسطينيين وضد نضالهم الوطني. وصعدوا إلى مغدوشة دفاعا عن الذات ودفاعا عن اخوانهم المحاصرين في مخيمات الرشيدية وشاتيلا وبرج البراجنة. بادروا للصعود لأنهم أدركوا أن التأخر في احتلال مغدوشة يجلب الندم. والمشروع كبير يستهدف تجريدهم من البندقية والاستيلاء على منظمة التحرير الفلسطينية ممثلهم الشرعي والوحيد. وهم يدركون ان حركة "أمل" ستفعل بهم أسوأ مما فعلته في مخيمات شاتيلا وبرج البراجنة والرشيدية. مخيمهم عين الحلوة دمر مرات عدة ولا يريدون ان يدمر من جديد[٩]. عام ١٩٨٢ مسح المخيم من الوجود ودمر عن بكرة أبيه، نسفت بيوته وجرفت على يد القوات الاسرائيلية التي غزت لبنان ذاك العام، في حينه سكنوا الخيم مرة أخرى فوق الأنقاض وأعادوا تعمير المخيم من جديد.

قبل عام ١٩٨٢، كان في المخيم طريقان ضيقان فوقاني وتحتاني، وبعد عام حرب ١٩٨٢ حل محلهما في المخيم، شارعان فوقاني وتحتاني. الفارق في التصميم الجديد ليس كبيرا، الطريق الفوقاني تحول إلى شارع معبد وزاد عرضه مترين إلى ثلاثة أمتار فقط. والشيء ذاته حصل في الطريق التحتاني. الأزقة والزواريب كانت موجودة قبل جرف المخيم عام ١٩٨٢ وعادت مع اعادة التعمير. صحيح أن أهالي مخيم عين الحلوة يقطنون فوق رقعة أرض صغيرة مستأجرة وعدد سكانه يزداد ومساحته ثابتة لا تتغير كالقدر. وبالرغم من ذلك، أصر أهل المخيم عند إعادة البناء على المحافظة على الممرات الضيقة والزواريب. ولم يكن ذلك بسبب ضيق المساحة الجغرافية فقط، بل أيضا من باب حرص الفلسطينيين أنفسهم على بناء بيوتهم متلاصقة ومتداخلة ومتصلة بعضها مع بعض عبر ممرات ضيقة كي يكونوا أقرب بعضهم إلى بعض، وكي يمنعوا الأغراب من الوصول بسهولة الى منازلهم. إن تراص البيوت يساعد في تراص ساكنيها.

أعادوا بناء زواريب المخيم التي طالما شكوا من ضيقها. قرروا ذلك بوعي وعن قناعة بأن مخيمهم معرض للاقتحام في السنوات اللاحقة على يد عدو ما. والزواريب سوف تعيق حركة هذا العدو وتوفر للشباب فرصة القتال والدفاع عن المخيم، فتوفر بهذا نسبة أفضل من الحماية النفسية والعسكرية والأمنية.

هوامش الفصل الخامس

١ـ الشوف أحد أقاليم لبنان الرئيسية، هي منطقة جبلية حرجية جميلة اغلبية سكانها من ابناء الطائفة الدرزية. اشتهروا تاريخيا بالتعصب للطائفة والشجاعة في مواجهة الخصوم وطاعة الزعامة التي يتوارثها الجنبلاطيون. دخلوا في صراعات كثيرة مع ابناء الطائفة المارونية عندما حاولوا فرض هيمنتهم.

٢ـ رغم صغر حجم الطائفة الدرزية في لبنان إلا أنها لعبت دورا كبيرا في بناء الدولة اللبنانية. وظلت قيادة الطائفة الدرزية لاعبا رئيسيا في السياسة اللبنانية. وفي عهد زعامة كمال جنبلاط احتلت الطائفة موقعا يفوق حجمها وبرز دور جنبلاط على المستويين الاقليمي والدولي.

٣ـ اضطرب موقف الحزب الشيوعي الفلسطيني من الكفاح المسلح الذي تمارسه الفصائل الفدائية وبدأ الموقف أميَل الى عدم المشاركة فيه. وفي مرحلة ذوبان الشيوعيين الفلسطينيين في الحزب الشيوعي الاردني، وفقط لفترة قصيرة، شكل الحزب قبل حرب ايلول/سبتمبر ١٩٧٠ قوات الانصار وقد عاش هذا التشكيل فترة قصيرة. ولاحقا تم حل الانصار.

٤ـ في حينه، تضمنت البرقيات شيئا من المبالغة، الا انها كانت تعكس الحالة الصعبة التي عاشها الناس.

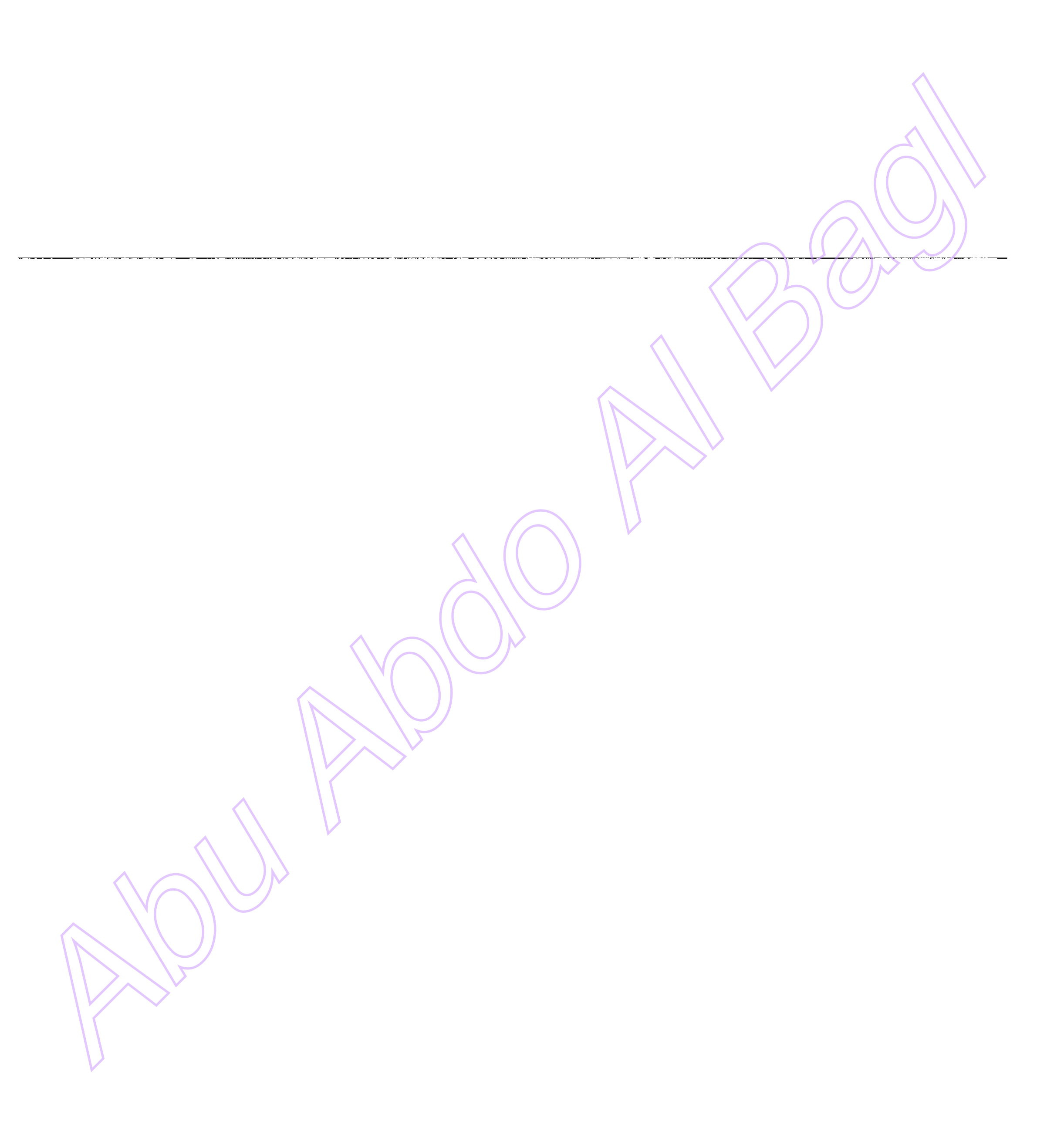
٥ـ الملالة إسم يطلقه اللبنانيون على العربات المجنزرة ناقلة الجنود الخفيفة.

٦ـ تعود ملكية هذا البيت إلى إحدى العائلات الخليجية التي كانت تزور لبنان سنويا لقضاء عطلة الصيف. وجريا على ما صار عادة قامت عناصر من الجبهة بفتح البيت ووجدته خاليا تماما من أثاثه، وكان واضحا ان جهة ما سبقت الجبهة إلى المكان وقامت بتنظيفه أي بسرقة محتوياته.

٧ـ اعتاد معظم السواقين في فصائل الثورة على قيادة سيارتهم بسرعة جنونية. وبدواعي الأمن كانوا ايضا يخرقون انظمة السير ولا يراعون اشارات المرور في زمن وجودها، وتخريبها خفف عنهم نقد الناس.

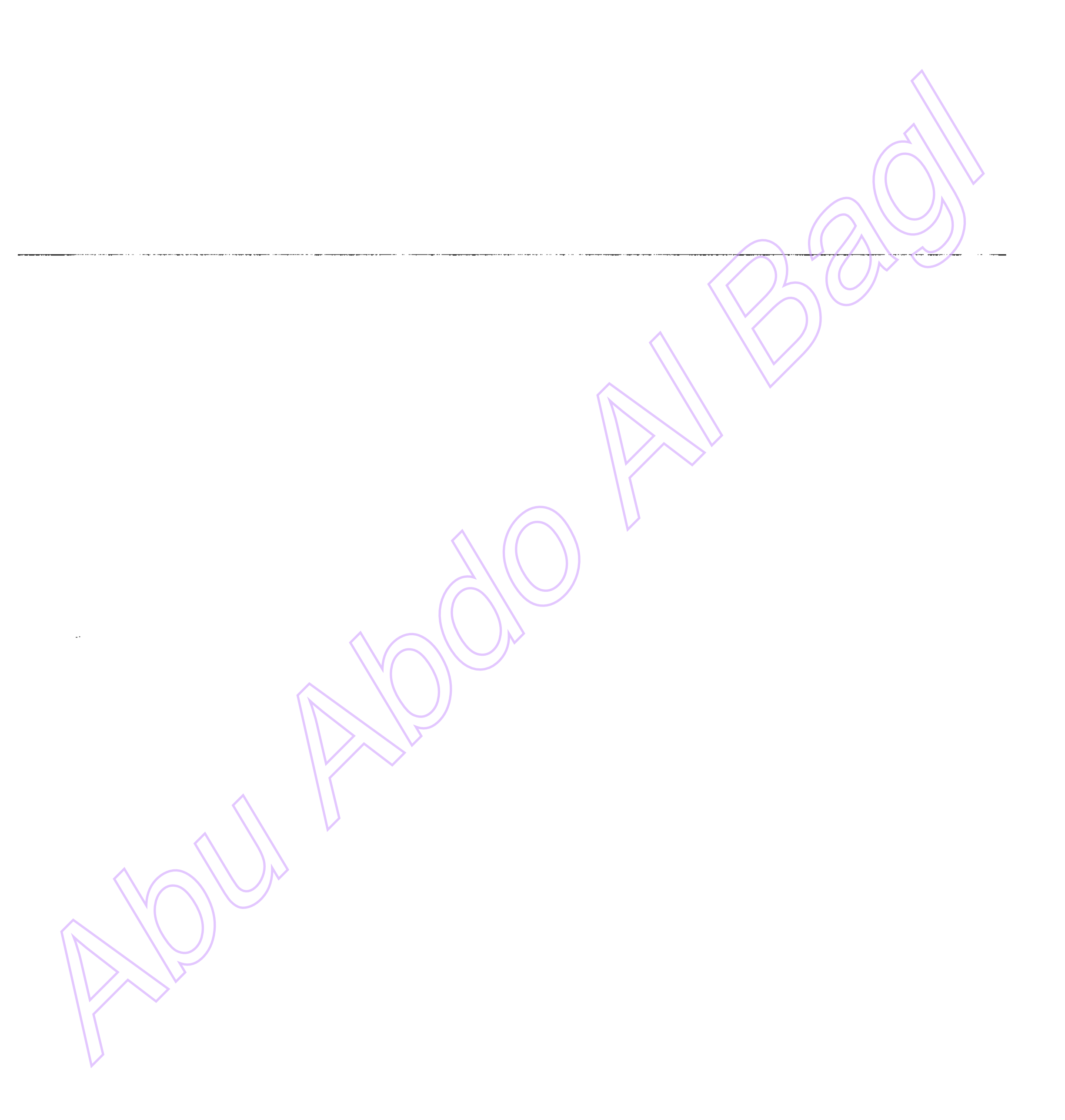
٨ـ لم تكن النعرات الطائفية رائجة في صفوف الفلسطينيين قبل النكبة عام ١٩٤٨. وبالرغم من وجود من هاجر منهم إلى لبنان وسط أجواء طائفية ومذهبية فإن هؤلاء لم يتلوثوا بها بل وحافظوا على تقليد احترام ابناء الديانات الأخرى.

٩ـ تعرض المخيم لعمليات قصف إسرائيلي وغارات طيران مدمرة دفعت سكانه إلى مغادرته لفترات متفاوتة، وفي فترة الغزو الإسرائيلي للأراضي اللبنانية عام ١٩٨٢ تعرض المخيم لعمليات تدمير واسعة.


Abu Abdo Al Bagl

الفصل السادس

لقاء هام في منزل مصطفى سعد "أبو معروف"



لقاء هام في منزل مصطفى سعد "أبو معروف"

قيادة الجبهة الديمقراطية في لبنان تتشدد في موقفها

عبرنا المخيم من الشارع الفوقاني الذي هو أقل عرضة للقنص والقصف، ونزلنا عبر السوق الى الشارع التحتاني حيث مقر عمليات قوات الجبهة الديمقراطية في منطقة صيدا. في المقر، وجدنا عددا كبيرا من الرفاق، بعضهم له عمل والآخر جاء به الفضول وحب الاستطلاع والرغبة في تلقط ما تيسر من الأخبار حول مغدوشة واحوال المخيمات المحاصرة. كثيرون منهم سمعوا بوصول ياسر وسمعوا ايضا ما أذاعه صوت الكتائب وصوت الشعب (إذاعة الحزب الشيوعي اللبناني) وقرأوا في جريدة "النداء" الناطقة باسم الحزب خبر اجتماع جبهة الانقاذ مع القوى اللبنانية في دمشق بحضور الجبهة الديمقراطية، وجاء في الخبر "وفي هذا الاجتماع تقرر الإنسحاب من مغدوشة".

قليل من الرفاق كوادر التنظيم والقوات عرفوا نبأ البرقية الداخلية التي وصلت من دمشق وتقول "قررنا الإنسحاب من مغدوشة". البرقية بقيت معي في جيبي، ونسختها الأصلية نزعتها من الارشيف ومنعت تعميم مضمونها على المحطات الفرعية، وأخفيتها حتى عن الرفاق اعضاء لجنة الاقليم. لكن واقع العمل في قوات الثورة بكل فصائلها وضمنها الجبهة يظهر أنه لا أسرار تحفظ في الأرشيف أو خارجه ولا أسرار تصان من تناقلها بين الكوادر. في الثورة الفلسطينية يكثر الحديث عن أمن الثورة وأمن التنظيم والجماهير، لكن هذا الحديث يتركز بالأساس في اتجاهات لا علاقة لها بأعداء الثورة وخصومها. والفصائل توجه في أغلب الأحيان جهودها باتجاهات داخلية تمس فصائل الثورة الأخرى وعلاقاتها بعضها ببعض، ويستمتع البعض بجمع المعلومات الشخصية الفضائحية عن الكوادر والقيادات، دون اهتمام حقيقي بأمن الثورة.

عند دخولنا المقر، بادرنا بعض الكوادر من الفضوليين بالتساؤل عن مدى صحة الأنباء الرائجة حول قرار قيادة الجبهة في دمشق الإنسحاب من مغدوشة. فكرر ياسر أن

هذه إشاعات عارية عن الصحة هدفها المساس بسمعة الجبهة ودور قواتها ومنظماتها الرائد في معركة مغدوشة وفي الدفاع عن المخيمات الأخرى. ومع أن جواب ياسر كان واضحا وحاسما، فقد ظل البعض يتحدث عن الخبر وكأنه خبر يقين.

دخلنا غرفة البث، ودخل معنا الرفاق في قيادة الاقليم، فهد، ورمزي، وأبوالسعيد، ونائب قائد القوات عضو اللجنة المركزية للجبهة خالد عبد الرحيم. لاحظ رمزي أننا تأخرنا وقال: "إن أبو معروف بالانتظار، وقد انزعج كثيرا بسبب تخلفنا عن الموعد الليلة الماضية". هو الذي ظل ينتظرنا ساعات طويلة، وجمع الأحزاب اللبنانية تواقة للقاء بالرفيق ياسر وسماع أخبار اجتماعات دمشق". وبيّن رمزي أن موقف الجبهة بات مشوشا عند الأحزاب والقوى اللبنانية والفلسطينية وفي الشارع، وأن الإخوان في قيادة "فتح" في لبنان قلقون جدا. وذكر أن الجبهة الشعبية عممت على أجهزتها وجميع محطاتها في لبنان وفي أنحاء العالم أن الجبهة الديمقراطية قررت الإنسحاب من مغدوشة وأن ياسر عبد ربه قدم إلى لبنان لتنفيذ القرار. وهم في الشعبية يقولون إن ممدوح نوفل متمرد على قرارات قيادة الديمقراطية وهو ينفذ قرارات عرفات التي تصله من تونس.

علق ياسر: أوف، هيك إذن وقال إن موقف الجبهة الشعبية والفصائل والقوى مفهوم، وتساءل عن مدى تأثر الشارع بدعايتها. رد أبو السعيد، بأن كل تنظيم فلسطيني هو عبارة عن إذاعة متنقلة خصوصا حين يتعلق الأمر بالأخبار السيئة والصراعات الداخلية، والشيء ذاته ينطبق على القوى والاحزاب اللبنانية. وقال إنه لا أسرار عند التنظيمات، وآذان الناس مفتوحة على الإذاعات وعلى ما يقال في الصحافة. وقال أبو السعيد لياسر إن إذاعة صاحبك جورج حاوي تطنطن منذ مساء أمس حول إنسحاب قوات الجبهة من مغدوشة.

سألت أنا، عن أخبار مغدوشة، طالبا إهمال قصة الإنسحاب، واستفهمت عما إذا كان تم إرسال التموين للرفاق، وهل أرسلت تعزيزات؟ هل أنجز شق الطريق؟ هل من شهداء جدد؟ هل من إصابات؟ هل أنجز أبو الفهد بناء نقطة الخدمات الطبية؟ فطمأننا خالد عبد الرحيم: "الشغل ماشي كويس، لا تغيير على الوضع، وثمة تحسينات طفيفة لبعض مواقعنا باتجاه الكنيسة". وقدم لنا البرقيات الواردة لنقرأها في طريقنا إلى بيت أبو معروف. واقترح خالد ان يتحرك الجميع إلى بيت أبو معروف ويبقى هو ليتابع الوضع العسكري. ودعانا إلى الحذر لأن الطرق تتعرض للقنص والقصف وهو يفضل سلوك الشارع الفوقاني، وبيّن أن القصف يتركز على منطقة مقرات فصائل المقاومة.

خرجنا من غرفة الاشارة باتجاه السيارات، وعند مدخل المقر قذفنا أبو يحيى أحد وجهاء المخيم بالسؤال الموجع للجميع: "هل صحيح أن الجبهة قررت الإنسحاب، إذا كان الخبر صحيحا فنحن راحلون من المخيم، تكفينا مجازر صبرا وشاتيلا والرشيدية". حاولت

تهدئة السائل "الدنيا صباح، الله يصبحك بالخير، نحن محشورون بالوقت، وصاحبك وصاحبنا أبو معروف بالانتظار، وجوابي على سؤالك كلمتان، لم نصعد لمغدوشة لكي ننزل منها، الصيفية هناك، وبرودة مغدوشة في الصيف حلوة".

علق أبو يحيى ونحن نركب السيارات: "هذه هي الأصالة"، وأضاف أن كل أهل عين الحلوة يحيونكم ويحيون قيادة الجبهة الشباب الشجعان. وأمعن في التقريظ: "أنتم فلسطينيون أصلاء وقيادة المنظمة على رأسنا، تاجنا حتى لو كره المتاولة[1] والاشقاء السوريون ومعهم جبهة الرفض كلها".

تعمدت قيادة السيارة بنفسي ليتسنى لي ولياسر الحديث مع فهد. اتجهت من المخيم إلى صيدا وتعمدت سلوك الشارع التحتاني الأكثر عرضة للقصف تجنبا لأي تعليق من أي عنصر ولأن الشارع الغربي هو الاقصر باتجاه صيدا وبيت أبو معروف. على الطريق، تبادل ياسر الحديث مع فهد، وتركزت أسئلة فهد حول موقف وليد جنبلاط، فوصفه ياسر بالممتاز جدا. ولخص ياسر فكرته القائمة على الحاجة لكسب الوقت والهروب من الضغط السوري والمبنية على تسليم مغدوشة للقوى الوطنية اللبنانية بقيادة أبو معروف، مع ضمان وقف اطلاق النار ودخول التموين إلى مخيمات شاتيلا وبرج البراجنة والرشيدية. إستحسن فهد الفكرة ونبه إلى ان أبو معروف سيطلب قرارا سوريا بتكليف رسمي، وقد يطلب موافقة نبيه بري ايضا . واشار فهد إلى ان تأثير مغدوشة مختلف عن تأثير قرى شرق صيدا. وجودنا في مغدوشة، كما وصفه فهد، يعني دق إسفين في المناطق والقرى الشيعية مباشرة. ولئن كان صحيحا ان مغدوشة قرية مسيحية، فالصحيح أيضا أن موقعها في الخارطة اللبنانية غلط، فهي محاطة بكثافة سكانية شيعية من ثلاث جهات.

واقترح فهد طرح فكرة فك الحصار العسكري عن المخيمات وليس دخول التموين فقط، أي المطالبة بالحد الأقصى، وما يتم الحصول عليه يكون بمثابة الحد الادنى، وأن يكون الخط الاحمر عدم عودة قوات "أمل" إلى مغدوشة. فتشبثت بضرورة تسليمها للقوى الوطنية بقيادة أبو معروف. واشار فهد إلى أننا دون ذلك سندمر صورة الجبهة كليا، وسيتم تحميلها مسؤولية الكوارث اللاحقة وحتى السابقة التي حصلت في البرج وشاتيلا والرشيدية. وأعاد إلى الأذهان ان مشروع تدمير الوجود الفلسطيني السياسي وحتى الشعبي في لبنان متواصل، وشباب المخيمات يعيشون على الأمل والمعنويات فقط، وليس أمامهم سوى الاستبسال في الدفاع عن النفس.

قبل نزولنا من السيارات، قال ياسر إنه موافق على حديث فهد وإنه سيحاول الاختلاء مع أبو معروف، لأن هذا أفضل له ولنا. وتوقع أن تكون اللمة كالعادة كبيرة من قائد الجيش الشعبي أبو درويش حتى الحرس، وفي مثل هذا الجو لا يمكن بحث الامور بالمفتوح، ولا بد من الخلوة. وحين دخلنا بيت أبو معروف، وجدناه هو وأركانه الرئيسيين بالانتظار.

الدخول إلى بيت أبو معروف لا يحتاج إلى بروتوكولات، واللقاء به لا يقتضي تحديد مواعيد مسبقة. البيت مفتوح ليل نهار أمام جميع الزوار ومن كل المستويات. وأنت تجد في وقت جئته مراجعين لقضاياهم المختلفة، تجد سياسيين وتجد مواطنين عاديين. الكل موجود ليبحث أمرا ما مع أبو معروف. والامر يبدأ من خلاف عادي مدني ويرقى ليبلغ المسائل الحساسة والمصيرية للشعبين الفلسطيني واللبناني.

بيت أبو معروف، كما يقول هو دائما، هو بيت للفلسطينيين منذ ثورة الشيخ عز الدين القسام وحتى الآن. وهو في الوقت ذاته بيت للبنانيين كلهم،خصوصا الصيداويين والجنوبيين، فيه يلتقي الجميع، المتحابون والمتخاصمون، وعلى عتباته تجمد الخصومات والخلافات، التي إذا ما بحثت داخله فلا بد من الوصول إلى حل ما ولو مؤقت. مصطفى سعد شاب بالكاد بلغ الاربعين، فقد نظره وابنته نتاشا في محاولة الاغتيال البشعة التي استهدفته ابان وجود الاحتلال الاسرائيلي في صيدا. الجريمة ارتكبت ليس بسبب من خصومة شخصية، بل كانت جريمة سياسية مدبرة عن سابق قصد واصرار. كل الدلائل تشير إلى أن الجناة الذين اغتالوا أباه معروف سعد هم أنفسهم الذين وضعوا السيارة المفخخة أمام منزل مصطفى.

وبالرغم من صغر سنه، فإن مصطفى هو زعيم صيدا القوي كما يحب أن يطلق عليه الصيداويون، وقائد بارز من قادة الحركة الوطنية اللبنانية كما يحب أن يسميه الفلسطينيون. ينافسه في صيدا زعيم صيداوي تقليدي هو الاستاذ نزيه البزري. أما قيادة الجنوب فقد نافسه عليها ولايزال كثيرون أبرزهم المقاومة الفلسطينية، ولاحقا انضم حزب الله وحركة "أمل" لهذه المنافسة. أيام عز التواجد والفعل القيادي الفلسطيني في الساحة اللبنانية، كانت منظمة التحرير هي القيادة الفعلية للجنوب، ومن ضمنه مدينة صيدا. وكان مصطفى سعد والتنظيم الناصري الذي يقوده ملحقين بالثورة، تبرز قيادة الثورة إسمه ودوره وفقا لظروف العمل الفلسطيني ومتطلباته في كل فترة. ويخبو نجمه ويكاد ينسى حضوره ووجوده، وذلك، أيضا وفقا للعوامل الفلسطينية ذاتها.

وحالة التنظيم الشعبي الناصري مع الثورة الفلسطينية لم تكن فريدة أو شاذة، بل هي حالة جميع التنظيمات والأحزاب اللبنانية. والتنوع في علاقة الاحزاب الوطنية اللبنانية بالقيادة الفلسطينية في السنوات الممتدة من ١٩٧٦ حتى ١٩٨٢ هو تنوع في الشكل لا يغير المضمون. دورها السياسي مستلب ولا سياسة مستقلة للحركة الوطنية اللبنانية. وهذا الإستلاب استمر بعد خروج قيادة الثورة الفلسطينية من بيروت عام ١٩٨٢. والتغيير الوحيد حصل في هوية المستلب المصادر للإستقلال السياسي للحركة الوطنية، ففي إبان التواجد الفلسطيني سلبت م. ت. ف.الدور السياسي المستقل للحركة الوطنية اللبنانية، أما مع التواجد العسكري السوري فإن سوريا هي التي إستلبت هذا الدور. ولم تعجز اسرائيل عن ممارسة نفس الدور بل إستلبت استقلالية قسم من القوى اللبنانية "الإنعزالية".

هذه الظاهرة ليست طارئة على الحياة السياسية اللبنانية. وليد جنبلاط اعترف بذلك أكثر من مرة. وهو الذي طالما قال "إن تاريخ لبنان السياسي يظهر أنه بقي على الدوام تابعا إما لوالي الشام وإما لوالي عكا" بغض النظر عن هوية هذا الوالي وجنسيته. مصطفى سعد وقبله والده حاولا التحرر من هذه القاعدة فدفع كل منهما الثمن غاليا. في الجوهر، لم يستطع مصطفى الخروج عن القاعدة. وهو يمارس الاستقلال في الباطن وفي حدود المسموح به والشيء ذاته يفعله الآخرون من القادة اللبنانيين.

مصطفى سعد لم يصل لموقعه القيادي بجهده الشخصي، لكنه نجح بجهده الذاتي في تكريس مركزه ودوره بما هو زعيم لبناني. مصطفى ورث الزعامة عن أبيه عام ١٩٧٥ اثر اغتيال الأب في ساحة النجمة في قلب صيدا[٢]. كان مصطفى وقتها طالب هندسة في موسكو عاد يوم اغتيال والده. وفي جنازة التشييع، بويع الطالب المهندس زعيما لصيدا، بايعه الفلسطينيون في عين الحلوة ومخيمات الجنوب كما بايعه الوطنيون اللبنانيون. وهذا الامر ليس بغريب على الحياة السياسية اللبنانية، حيث أن للعائلات ورموزها دورا أساسيا في الحياة السياسية. والتركيبة الطائفية للنظام السياسي الرسمي اللبناني والبنية الاقتصادية للمجتمع توفر للطوائف والعائلات ورموزها مواقع قيادية، وتسمحان بتوارثها ضمن حدود التركيبة الاجمالية المتعارف عليها والمتفق عليها ضمنا بين الطوائف والعائلات والزعامات. والشذوذ او الخروج على هذه القوانين والتقاليد المتوارثة كان دائما يعني الحرب الأهلية والقتل والدمار. وكما ورث مصطفى الزعامة على مدينة صيدا عام ١٩٧٥، ورث وليد زعامة الجبل والطائفة عن أبيه كمال جنبلاط عام ١٩٧٨ إثر اغتيال الأب. والشيء ذاته وقع لداني شمعون، وأمين الجميل وأخيه بشير. وقبل هذا الجيل، ورث رشيد كرامي، ورشيد الصلح، وعبد الله اليافي، وكميل شمعون..الخ الزعامة عن آبائهم وأجدادهم.

عند توليه مقاليد الزعامة، كان مصطفى سعد شابا ضعيف الخبرة السياسية والقيادية، لكنه "لقطها" بسرعة، ولم يفقد الاتجاه الصحيح. في البداية، احتضنته الثورة الفلسطينية، ولم يكن هذا هو السبب الوحيد الذي جعل وارث الزعامة ينتهج خطا سياسيا قوميا وجهته الرئيسية الدفاع عن الوجود الفلسطيني في لبنان وحمايته والنضال من أجل ضمان الحقوق الوطنية والديمقراطية للشعب الفلسطيني في لبنان. فانتهاجه هذا الخط وتوجيه تنظيمه ومدينة صيدا باتجاهه هو نتيجة لخلفية مصطفى السياسية الوطنية والعروبية التي اكتسبها مصطفى من بيت أبيه، ومن مدينة صيدا ذاتها.

والده معروف سعد كان مناضلا وطنيا لبنانيا وقوميا. قاتل في فلسطين مع الشيخ عز الدين القسام وتابع القتال مع الفلسطينيين في ثورة ١٩٣٦ وبعد استشهاد الشيخ، تابع النضال مع فوزي القاوقجي عام ١٩٤٧ـ١٩٤٨. وبعد نكبة فلسطين عام ١٩٤٨، احتضن معروف سعد أسرة الشهيد الشيخ حسن سلامة، صديقه في النضال ضد الاحتلال الانجليزي لفلسطين. ومع مصطفى، تربى في نفس البيت أبناء الشيخ حسن

سلامة وبناته. فصاروا أقرب إلى الأخوة في الرضاعة. باحتضانه هذه الأسرة بعد تشردها من فلسطين، كان المناضل معروف سعد يرسم النموذج والقدوة ويعكس في الوقت ذاته صورة تعامل الصيداويين مع المهاجرين الفلسطينيين.

وكما لم يفرق معروف سعد بين النضال من أجل انتصار قضايا الكادحين اللبنانيين والنضال من اجل تحرير فلسطين، فان ابنه مصطفى سعد لم يفرق أيضا بين المسألتين. وشاءت الاقدار ان يتزامن استشهاد معروف مع استشهاد مواطنين فلسطينين قتلوا على يد الكتائب في قلب عين الرمانة. وبات الحدثان، ضرب الباص في عين الرمانة يوم ١٣ نيسان/ابريل ١٩٧٥ وقتل وجرح جميع ركابه الفلسطينيين[٣] واغتيال معروف سعد، بمثابة تاريخ واحد لبدء الحرب الأهلية اللبنانية التي اشتعلت عام ١٩٧٥ وبقي لهيبها متقدا بضراوة حتى الوقت الذي كنا فيه، او كامنا تحت الرماد قابلا للإشتعال في كل لحظة. والمخطط للجريمتين واحد، مع تغيير طفيف في هوية المنفذ. وهذا المخطط، الذي كان يدرك عمق الترابط بين صيدا اللبنانية وصيدا الفلسطينية، نفذ الجريمتين خلال فترة زمنية واحدة، أيام قليلة تفصل الأولى عن الثانية، ليحدث الشرخ والترابط في آن واحد بين قوى الصراع في المجتمع اللبناني. فالحادثتان وحدتا الفلسطينيين مع الوطنيين اللبنانيين وشرختا في الوقت نفسه المجتمع اللبناني شرخا طائفيا صاعقا.

في بيت أبو معروف، بدأ الحديث بالعتاب حول إعطاء ياسر الأولوية للقاء مع وليد جنبلاط في المختارة وتأخره في القدوم إلى صيدا. وتضمن حديث العتاب شيئا من الغمز واللمز بمواقف وليد جنبلاط، وموقف الجبهة الديمقراطية. كما تضمن اشارات واضحة لاتجاهات الحديث والمواقف الحقيقية للاطراف. وأوقف ياسر وصلة العتاب بالقول: "يا أبو معروف، الإنسان يبدأ عادة بالبعيد، يسأل عن صحته، يتعرف على مواقفه وأحواله، ثم يعود لأهل البيت ليدرس معهم شؤون العشيرة. فنحن الآن في بيتنا الفلسطيني، لندرس حالة عشيرتنا مع كبير قومنا".

بعد هذه الكلمات الرقيقة، عدل أبو معروف قعدته وسأل عن عصام سالم ممثل أبوعمار في لبنان: "أليس وجوده معنا أفضل للبحث يا ياسر؟".

أشار ياسر إلى أن حضور عصام ضروري والطبخة لا يمكن إتمامها بدون عرفاتي من عظم الرقبة. فقال أبو معروف إن عصام شاب ممتاز لكن ممدوح نوفل سيقوده إلى القبر ويعجل حلول آخرته، ولم يبد متأكدا من منهما سيسبق الآخر، أو من سيذهب للنار، لأن الله لن يجمعهما يوم القيامة، كما قال أبو معروف، في مكان واحد. وبين أبو معروف بطريقة مازحة ان اجتماع الاثنين في مكان واحد ينغص حياة الناس، حتى حياة اهل الجنة. وأضاف أنه مجبر على تحمل الاثنين ليل نهار. ثم انتقل للحديث عن الوضع، وأكد ان الوضع خطير، بل انه خطير جدا. وقال إن المؤامرة كبيرة، والمستهدفة هي صيدا المدينة الفلسطينية اللبنانية. وقال إنه يعني بصيدا عين الحلوة وصيدا البلد،

كما يعنينا نحن جميعنا الموجودين في هذا البيت. ووصف الوضع بأنه دقيق وإنه لا يعرف ما إذا كنا سنخرج من هذا القطوع الخطير سالمين. وذكّر الحضور بأن دخول الحمام ليس كالخروج منه. وتوجه إلى الله ليسامح ممدوح وعصام. ثم تذكر عصام وتساءل عن موعد انضمامه إلينا فرد أبو درويش بأنه طلب عصام وسيصل خلال خمس دقائق.

تابع أبو معروف حديثه وحمّل ممدوح وعصام مسئولية ادخال القوى الوطنية بين فترة وأخرى دهليزا وراء دهليز كل واحد أصعب من الآخر، ثم هتف "هات اطلع منه ان كنت شاطر!". لكنه أكد قناعته بان ما نفعله هو كله للمصلحة العامة، دهاليز صعبة وخطرة لكنها عظيمة إذا خرجنا منها سالمين. واشار إلى أن هذا هو قدره وقدر الوطنيين اللبنانيين، وعلى الجميع أن يشارك في تحمل العبء ولا أحد يستطيع الهروب من قدره. وذكّر بان المخطط كبير وخطير، وقال: "لكن مصطفى سعد لن يركع مهما تعرض للضغط. وأنا لا يمكن أن أقبل أن يسجل في تاريخ هذه المدينة أنها قاتلت الفلسطينيين".

وبيّن أبو معروف أن صيدا وقفت طول عمرها مع فلسطين ظالمة أو مظلومة، وقال إن هذا هو موقف الناصريين الذي تعلموه من المعلم الكبير عبد الناصر، وما لا يقبله هو لمدينة صيدا لا يقبله لبيت معروف سعد. وإذا قبلت صيدا الاضرار بالفلسطينيين فهو جاهز للاستقالة والرحيل. وصيدا لن تقبل. وإذا أرادوا تدمير المدينة ليتفضلوا، لكن صيدا لن تركع. وذكّر بان صيدا احترقت أكثر من مرة في التاريخ ولا مانع من تدميرها وحرقها من جديد إذا كان ذلك ثمنا لمواقفها المبدئية.وقال ان معروف سعد مات من أجل فلسطين وفقراء صيدا. ومصطفى فقد نظره وهذا هو أعز ما يملك. وهذا واجب، وهو مستعد لأن يقدم ما تبقى من جسده ومن عائلته، وانه ليس طائفيا وصيدا لن تكون طائفية ابدا.

ثم وجه حديثه إلى ياسر وقال: "الشيعة اخوتنا يا ياسر، أهالي الغازية وأهالي حارة صيدا لا أفرقهم عن أهل المخيم، واعتبرهم مساكين وخائفين على حياتهم واملاكهم". وأشار إلى ان وفودا كثيرة منهم حضروا إلى بيته وأعطاهم هو وعدا بأن لا يمسوا بسوء. وأهالي مغدوشة هم أهل معروف سعد وله بيت فيها وهو لا يقبل لاهل مغدوشة أن يبقوا مشردين من بيوتهم. وفي منطقة صيدا لا هجرة ولا تهجير ولا مهاجرين، الجميع مواطنون وهو لا يفرق بين مسيحي ومسلم، شيعي وسني، فلسطيني ولبناني. إذا كان غيره يفرق بين إبن الجبل وإبن الساحل او بين طائفة وطائفة وملة وملة أو دين ودين فهو حر. وغمز بهذا الحديث من قناة "أمل" وحزب الله ووليد جنبلاط. وقال إن مصطفى سعد لن يخضع ولن يركع، ومغدوشة طول عمرها حي من أحياء مدينة صيدا. وبعد أخراج قوات الكتائب والقوات اللبنانية من عبرا والهلالية والمية مية ودرب السيم، تم إخراجها أيضا من مغدوشة. وأشار إلى أن ممدوح وأبو السعيد وعبد المعطي وعصام وعلاء وجميع الكوادر الفلسطينية يعرفون التضحيات المشتركة وهو لا يظن أنهم نسوها.

وكشف أبو معروف أن نبيه بري خدعه وطلب منه أن تتواجد قوات "أمل" في مغدوشة من أجل طمأنة أهالي الغازية وعنقون وبقية القرى الشيعية المجاورة لها. ويومها، أخذ مصطفى الأمر بطيبة وطنية، واعتبر أن لا فرق بينه وبين نبيه بري، وصيدا طول عمرها عاصمة الجنوب كل الجنوب، وقيادة جنوب لبنان معروفة تاريخيا، ولا يستطيع نبيه ان يغلق الجنوب في وجه ابناء صيدا. وقال: "تصور يا ياسر، شباب التنظيم الناصري في صور ممنوع عليهم العمل العلني في مدينتي صور والنبطية. أنا أعرف ان "أمل" حركة طائفية، لكن لم أكن أتصور أن يتحول نبيه إلى زعيم طائفي". وأشار إلى أن صيدا ستبقى تقاوم الطائفية حتى لو صار الجميع طائفيين، وصيدا سوف تحافظ على العلاقات الديمقراطية السائدة بين جميع الأطراف، فلسطينيين ولبنانيين. وبيّن أنه شكل فور الإنسحاب الإسرائيلي من صيدا قيادة وطنية وقال للجميع تفضلوا وشاركوا فيها، فلسطينيين ولبنانيين، ولكن قادة "أمل" رفضوا المشاركة. وقال: "هم أحرار، لكن بلدة مغدوشة لازم أن تعود لأهلها المسيحيين ولا يجوز اخضاعها لسلطة طائفية من غير أهلها. أهالي مغدوشة أصحاب كيف. هم أحرار، معروف عنهم أنهم يصنعون مشروب عرق ممتاز من عنب مغدوشة المشهور ونبيذهم افضل نبيذ، ونحن نسمي عنب مغدوشة ستاتي لانه بدون بذور. تصور يا ياسر: الإخوان في "أمل" حرموا أهالي مغدوشة المسيحيين من شرب العرق!".

قال أبو درويش إن أهل مغدوشة مسيحيون وشرب الخمر في دينهم حلال وهم أحرار في دينهم وأكلهم وشربهم. شرعا، في الإسلام، لا يجوز التدخل في هذه الأمور، التدخل حرام. وقلت أنا مازحا إن هناك مسلمين يشربون الخمر بافراط، وهناك من يفسر أمره تعالى باجتناب الخمر على انه دعوة لشرائه من الأجانب أو وضعه على الجنب.

تابع أبو معروف حديثه وغمز من قناة ممدوح وعصام وصف واسع من الكوادر الفلسطينية واتهمهم بانهم مصممون على تحرير مغدوشة من اجل خمرها وهوائها العليل. وأكد ان القصة ليست دينية، مسلم أو مسيحي، حتى لو كانوا مسلمين فهم أحرار، وان الله وحده هو الذي يحاسب الجميع على هذه الأمور، وليس مصطفى سعد او نبيه بري او وليد جنبلاط. وقال: "يا أخي انا اشرب، وكلكم تعرفون ذلك وأنا لا أخفي ذلك، هل لنبيه الحق في التدخل في ما أشرب. أنا أعرف أن نبيه يشرب، وهو يشرب كميات كبيرة من الوسكي وله ساعات وأماكن يلجأ إليها وهذا حقه وهو حر في حياته". وأكد أن أهل مغدوشة كانوا منزعجين من سيطرة قوات "أمل" على البلدة. وقد حدث أكثر من مرة قبل "التحرير"، كما قال وهو يضحك ثم يستدرك: "قبل احتلالها على يد الإخوان الفلسطينيين"، أن تحدث معه أصحاب له من مغدوشة، مختار البلدة والخوري ومدير المدرسة وآخرون، حول صعوبة وضعهم، وقال هو لهم أن تصبروا.

وأشار إلى أن جميع أهالي الجنوب، في صور وبنت جبيل والنبطية وعنقون والغازية، وليس فقط أهالي الحارة او مغدوشة، يأتون لبيته، يشكون له همومهم، وبعضهم من

المحسوبين على "أمل" أو من المحسوبين على حزب الله. وأنه يتمنى أن لا يحصل دمار أكثر في مغدوشة، كما يتمنى أن تتم الأمور دون دمار لتجري الأمور كما جرت في بلدات جنسايا وعين الدلب والقرية والمحاربية وبيصور. وأكد أن أهل هذه القرى بقوا في قراهم وهم الآن مرتاحون. وسأل: "أليس كذلك يا ممدوح؟". قلت إن هذا صحيح، وإن مشكلتنا أن كرمهم زائد عن حده ومازاتهم طيبة تجذب من يتذوقها، وهناك من شبابنا من صاروا مقيمين في بيوت القرية ضيوفا على أصحابها.

تابع أبو معروف حديثه وأشار إلى ان الجيش الشعبي استلم جنسنايا من المقاتلين الفلسطينيين، والإخوان في القيادة الفلسطينية في لبنان لم يقصروا في تسهيل المهمة، أما الإخوان في حركة "أمل" وفي دمشق فقد سجلوها نقطة سوداء على التنظيم الشعبي الناصري وقيادته. وروى انه قال لعبد الحليم خدام نائب الرئيس السوري انه لا يقبل التواجد الفلسطيني في قرى شرق صيدا، لأن هذا تمدد وهذه قرى مسيحية واقعة ضمن مسئولية التنظيم، وان التنظيم تدخل لانه لا يستطيع الانتظار ريثما يتم التوصل إلى إتفاق سياسي، إذ إن التأخير يعني التهجير. وبيّن أبو معروف ان عبد الحليم خدام سكت والسكوت رضا. وذكر أنه عاد يومها من دمشق وقال لممدوح وعصام ان عناصر الجيش الشعبي والتنظيم الناصري هم المسؤولون عن حياة السكان وعن قضاياهم اليومية، وهي قرى تابعة إداريا وتنظيميا لصيدا. ويومها، تم إستلام القرى والناس مرتاحة نسبيا. وطلب من ياسر أن يتم تنبيه الشباب في "فتح" والديمقراطية وغيرهم إلى تخفيف الرجل عن هذه القرى، اي تقليل التردد عليها.

وأكد على ضرورة إعادة تعمير مغدوشة، وأن من واجب قيادة منظمة التحرير أن تحمل مسؤوليتها في هذا المجال، وعلى الجميع العمل لاعادة اعمار البلدة. وقال: "حرام، دمروها، وحسابات ممدوح وعصام لم تكن دقيقة في هذه المرة وخطتهم العسكرية لم تكن مبكلة". وطلب مازحا محاسبتنا كلينا وقال إنه لو كان مسؤولا عنا لجردنا من رتبنا. واشتكى من أن المسألة طالت أكثر من اللزوم، وكلما طالت المعركة يتزايد الضغط عليه وعلى الجميع. وأكد ان وضع مغدوشة هو جزء من وضع صيدا، وهو لا يستطيع البقاء في موقع المتفرج، خصوصا أن الإشتباكات في مغدوشة تؤثر على الحياة العامة في صيدا، والبلد مقفلة بسبب المعارك، والناس تضغط عليه، ومهجري مغدوشة هم اهله ولا يستطيع التفرج عليهم، والرمايات من مغدوشة تؤثر مباشرة على بيته. وقال: "أرجوك يا ياسر انظر إلى مغدوشة من الشرفة، ولاحظ كم تؤثر علينا مغدوشة".

نهض أبو معروف، ونادى مصطفى حسن أحد معاونيه فامسك هذا بيده، ونادى هو ياسر: هات يدك، وامسك بها وتوجه كلاهما نحو الشرفة المطلة على البساتين المواجهة لتمثال السيدة العذراء. وقال: "يا إخوان، اتركونا، أرجوكم، لا داعي لتجمع الجميع على الشرفة، يمكن أن تنزل قذيفة لا سمح الله". وفهم الجميع أن أبو معروف يرغب في الاختلاء مع ياسر وان وقت الحديث المفتوح قد انتهى وانتهت معه الرسالة الموجهة من مصطفى علنا لأكثر من طرف.

بقي ياسر وأبو معروف في الشرفة دقائق معدودة عادوا بعدها لمتابعة الحديث بحضور الجميع. همس ياسر في أذني: "اتفقت مع أبو معروف، سنواصل الحديث الآن في العموميات وبعد وقت قصير سنختلي في غرفة داخلية. وبيّن ياسر ان أبو معروف ليس ضد الفكرة الاصلية ولكن لديه شروطا لم يحددها سيتحدث عنها في الخلوة.

ابلغ أبو معروف الحضور أن عصام سالم وصل ووصل معه كمال مدحت مسؤول المخابرات في حركة "فتح" في لبنان. وبعد التسليم على القادمين، والعناق، قال أبو معروف مازحا: إن الأخ ياسر عبد ربه أصر يا عصام على وجودك معنا، لكن صاحبك ممدوح اعترض على حضورك، لأنه بدأ يلعب من خلف ظهرك".

علق عصام بان ممدوح يلعب دائما جيدا، ويلعب دائما على المكشوف وامام الجماهير وهو يساري يؤمن بدور الشعب، خصوصا الطبقة الكادحة. وبين ان المخيف حقا هو اللعب الجاري في دمشق خصوصا على ملعب فندق الشيراتون. ورحب أبو علي عصام بياسر، ووصفه بأنه "ممثلنا وقائدنا جميعا"، وقال إن "فتح" مصرة على عودته لممارسة عضويته في اللجنة التنفيذية للمنظمة[٤]، وأبوعمار قال له عبر الهاتف اكثر من مرة إن مقعد ياسر في التنفيذية محفوظ ولا يمكن لأحد ان يملأه سواه.

شكر ياسر أبو علي عصام الممثل الشخصي للاخ أبوعمار ، وأكد ان قائد الجميع في صيدا هو الأخ أبومعروف، والمهم ان ينضبط الجميع خصوصا أبو علي وممدوح لأوامر القائد أبومعروف. وتساءل ياسر عن الاتصال مع "الختيار" وهل هو سهل. رد مصطفى بأن الاتصال مع تونس من عند الممثل الشخصي أسهل من الاتصال من بيته هو في المخيم. والإخوان في "فتح" اتصالاتهم تتم عبر الأقمار الصناعية، عبر الستلايت. والأمور تطورت بصورة مذهلة، أما تنظيم الجبهة فلا يزال متخلفا جدا في هذا المجال وكذلك في مجالات اخرى كثيرة لها علاقة بقوة رأس المال.

تباين في المواقف في منزل مصطفى سعد

استفسر ياسر من أبو معروف عما إذا أنهى كلامه. قال أبو معروف إن لديه كلمتين فقط يريد قولهما أمام الإخوة في "فتح"، ورجا أن يسمعوا كلامه وينقلوه للأخ أبو عمار وللجميع. وأوضح انه ضد ضرب المقاومة الفلسطينية وضد تجريدها من السلاح، ولكنه، في الوقت نفسه، ضد التجاوزات وضد عودة الوضع إلى ما كان عليه قبل عام ١٩٨٢، "وأرجو أن أكون مفهوما وواضحا يا اخوان في هذه النقطة".

قلت: "واضح يا أبو معروف، ونحن جميعا تحت الأوامر".

طلب أبو معروف مني أن لا أقطع عليه أفكاره، وأشار إلى ان ممدوح وعصام يقولان كلاما جميلا في بيت أبو معروف لكنهما يتصرفان خارجه كما يحلو لهما. وغمز:

" الجميع قارئ على معلم واحد معروف للجميع " وقصد ياسر عرفات. عقب عصام: " إذا كان الحديث جديا ارجوك يا أبو معروف إعطاء مثل واحد " . وفورا، رد مصطفى: " حتى الآن، لم تسلموا الملالات التي استوليتم عليها إلى قيادة التنظيم " . هنا، تدخل المسئول العسكري في التنظيم الناصري أبو درويش وقال: "ليس الملالات فقط يا اخ أبو معروف، والحديث للجميع، بل انهم أيضا لم يخرجوا من البساتين حتى الآن(٥)، ولم يسلموا المجموعة التي فعلت مشكلة مع أهالي بلدة القرية المسالمين " .

قطع ياسر الحديث واقترح تجنب الخوض في التفاصيل كسبا للوقت وعدم مقاطعة أبومعروف. وذكر ياسر مضيفنا بأن الحديث كان يدور حول تثبيت عدد من النقاط الاساسية الجوهرية، وكانت الأولى هي أن لا عودة بالأوضاع إلى ما كانت عليه قبل عام ١٩٨٢. قال أبو معروف: " صحيح، ومعها، يا ياسر، لا لضرب الثورة، ولا لتجريدها من السلاح " . وبيّن ان المسألة الثانية لا تقل أهمية وهي إن مغدوشة جزء من صيدا والتنظيم لن يتساهل في موضوعها. وكرر ان لا بد من عودة أهالي مغدوشة إلى بلدتهم وأملاكهم ولا بد من إعادة إعمارها. والمسألة الرئيسية عنده كانت هي عدم قبول الوطنيين اللبنانيين استمرار الحصار المفروض على المخيمات في بيروت والجنوب. وباعتباره مسؤولا عن الجنوب فهو يعتبر مخيم الرشيدية مسؤولية وطنية وقومية في عنقه وعنق كل وطني لبناني شريف. ومن يدري، كما تساءل، ماذا سيحصل في حارة صيدا او الغازية لو سقط أحد المخيمات لا سمح الله، ودخلته مثلا جماعة داوود داوود قائد منظمة " أمل " في منطقة الجنوب وارتكبت مجازر. وبين ان الوضع في البلد مترابط الحلقات وليس ممكنا الحديث عن مغدوشة دون الحديث عن صور والنبطية والمخيمات. وأكد انه لابد من حل كل الامور المعلقة، ويجب فتح الطرق جميعها أمام حركة الجميع دون تمييز حزبي او طائفي. وقال: " في هذه النقطة بالتحديد، أرجو أن أكون مفهوما وواضحا، هذا موقفنا وليسمعه القاصي والداني " .

وأدان إبن معروف سعد مبدأ معاقبة الشعب الفلسطيني بسبب خلاف ما مع قيادته في تونس. وقال انه يختلف شخصيا مع أبوعمار في أمور كثيرة، لكنه لا يجيز لنفسه ضرب كادر في " فتح " أو الإعتداء على مخيم عين الحلوة. وقال: " انا مستعد لان اترك العمل السياسي كله ولست مستعدا للتصادم مع إخواني الفلسطينيين. هذا الكلام قلته في دمشق ، يذكر الأخ ياسر ذلك، وأكرره الان " . ولفت نظر الجميع لمسألة وحدة الموقف الفلسطيني، وهو يعني وحدة الموقف على مستوى المخيم اولا، خصوصا وحدة الموقف بين " فتح " والجبهة الديمقراطية. وأكد أن هذا شيء ضروري للنجاح في تجاوز القطوع الصعب الذي تمر به الثورة والمنطقة. وبيّن ان معلوماته تفيد بأن هناك بلبلة في مخيم عين الحلوة من الاحاديث والاشاعات الكثيرة حول الإنسحاب من مغدوشة، وقال: " يا إخوان، كل الناس تتابع الموقف في مغدوشة ساعة بساعة، والإذاعات نازلة طالعة وكذلك الصحف " . وأشار إلى حديث جريدة " النداء " وغمز من قناة الحزب

الشيوعي وقال انه لا يدري ما إذا صارت جريدتهم ناطقة بلسان آخرين. وتحدث عن إنسحابات واجتماعات وقرارات تمت في دمشق، وطلب عدم الاستهانة بمثل هذه الامور، وشدد على أهمية الرد على جميع الإشاعات. وإذا كان التنظيم الناصري فقير وليس لديه إذاعة ولا جريدة ولا من يحزنون فقيادته لن تركع، إنها قد تجوع، والجوع ليس عيبا، الركوع والخضوع هو العيب. وطلب من ممدوح وعصام ان لا يناما على حرير بشأن الوضع العسكري في مغدوشة. وأكد أن الوضع في مغدوشة غير مريح اطلاقا. وتوقع أن يتم دخول قوى جديدة محلية واقليمية على خط القتال. ودعا إلى عدم الاطمئنان لكلام المشايخ، وهو يعتبر ايران قوة اقليمية، واللعب بالورقة الايرانية مثل اللعب بالنار، لعبة خطرة جدا. ولا يجوز للعلمانيين اللعب بأوراق الطائفية[٦]. وذكّر الحضور بالمثل القديم القائل، أن لا أحد يصلي مجانا ولوجه الله، بل إنه حتى المسلمون المؤمنون يصلون طمعا في الجنة وتكفيرا عن الذنوب وطلبا للغفران. وختم حديثه: "أنا انهيت حديثي وقلت ما عندي، تفضل يا أخ ياسر. وبعدها نتناول الغداء ونكمل البحث على الطاولة، والقصة طويلة ومعقدة".

بدأ ياسر حديثه بالثناء على حديث أبو معروف بحضور الإخوان في "فتح" وقبل حضورهم. واكد اتفاقه تماما مع كل ما قيل حتى في التعابير التي استخدمها أبو معروف. وقال إنه سيبدأ من حيث انتهى الأخ أبومعروف، وهو شاكر له عرضه القيم والواضح والصريح، وشاكر له موقفه المبدئي الثابت. وأيد ياسر ما قاله أبو معروف حين أكد أن القصة طويلة ومعقدة ولازم أن نتصرف على هذا الأساس. وأشار ياسر إلى انه مقتنع بان ما يجري ضد المخيمات الان هو استكمال لحرب اسرائيل على لبنان عام ١٩٨٢، والهدف هو ضرب الوجود الفلسطيني في لبنان باعتباره شرطا ضروريا لضرب منظمة التحرير وانهاء الثورة وتصفيتها في لبنان وخارجه، وضرب القوى التقدمية اللبنانية. والمؤامرة مستمرة، لم تتوقف منذ دخول القوات الاسرائيلية إلى لبنان.

ثم بيّن ياسر ان السؤال الرئيسي الذي يحتاج إلى إجابة مدققة ومدروسة بعناية شديدة هو كيفية ادارة الصراع وكسب المعركة سياسيا وليس عسكريا فقط. وما يجري في مغدوشة هو صراع سياسي الكلام المستخدم فيه راجمات الصواريخ والرشاشات والبنادق. وأكد أن الفلسطينيين لم يختاروا هذا النمط من الكلام، بل فرض عليهم فرضا من الاخرين. وسأل عن سبل حل المعادلة، كيف تتم حماية المخيمات؟ وكيف تتم صيانة البندقية الفلسطينية في لبنان وصيانة العلاقات الفلسطينية اللبنانية؟ وكيف تتم مواجهة الضغوط السياسية؟ وكيف يفك الحصار عن المخيمات ؟ وأشار إلى ان المعادلة معقدة ومتشابكة. تتداخل فيها العوامل المحلية بالإقليمية والدولية. وأكد أهمية قيام القيادة الفلسطينية بحركة نشطة على المستوى العربي والمستوى الدولي، وعدم الاستهانة بالمشروع المضاد وابعاده الخطرة، ودعا إلى عدم الوقوع في الغرور بفعل بعض الانجازات العسكرية الموقعية التي تمت في منطقة صيدا، فالمسألة اكبر، ودائرة

الصراع أشمل وأوسع. وقال إنه لا يقلل من قيمة ما أنجز في مغدوشة، وهو عمل رائع وله فعله الكبير في توجيه الأحداث، ولولا ما قام الفلسطينيون به في مغدوشة وشرق صيدا، فما كان لأحد أن يفكر في دعوتهم حتى لتوقيع صك الاستسلام، "والمطلوب ذبحنا، ذبح شعبنا". وإذا كان الوضع في مدينة طرابلس انتهى عام ١٩٨٤ بالترحيل على ظهر البواخر، فقد أكد ياسر اعتقد أنه لولا مغدوشة وقبلها شرق صيدا لكانت النهاية اليوم أسوأ بكثير، معسكرات اعتقال جماعية في جرود الهرمل وسهول عكار للشعب كله وليس للمقاتلين فقط. وقد بين الذي كان يتحدث أن احتلال مغدوشة أفقد "الاشقاء" السوريين صوابهم وبدأوا محاولة توظيف الوضع العربي ضد منظمة التحرير، وراحوا يتحدثون عن التمدد الفلسطيني خارج المخيمات، والقوة العسكرية الفلسطينية التي تحاول كسر شوكة الحركة الوطنية اللبنانية وانهاء دورها. وكشف ياسر أن عبد السلام جلود استدعي إلى دمشق لهذا الغرض وضمن هذه الوظيفة. وقال: "علينا التفكير في تعجيل عودته إلى ليبيا، ويبدو أن الأخ معمر القذافي مستغن عنه وأرسله للإقامة في فندق الشيراتون والالتحاق بجبهة الانقاذ".

علق أبو معروف: "أوف! أعاننا الله على عبد السلام جلود، الأخ جالس في الشيراتون وشغله الشاغل مصطفى سعد ومغدوشة، وهو لا يعرف الوضع. وروى أبو معروف أنه تلقى برقية أرسلت إليه قبل وصوله إلى بيته أول أمس عائدا من دمشق، تقول إن عبد السلام جلود يريدك في دمشق مرة أخرى. وقال أنه تذرع بأنه مريض ولا يستطيع العودة، وأشهدني أنا وعصام على هذه الواقعة. وأكد أبو معروف أنه مريض فعلا وهو يفكر في السفر إلى موسكو لإجراء الفحوص السنوية واستكمال العلاج، وسوف ينتظر يومين حتى إذا بقيت الأمور على ما هي عليه فسوف يسافر حتما. وكان واضحا للجميع ان موقف أبو معروف هو مناورة هدفها التهديد وليس أكثر.

تابع ياسر حديثه وتمنى على أبو معروف تأجيل سفره: "معالجة القضية تتطلب وجودكم الدائم". واكد اهمية التحرك باتجاه معمر القذافي، خصوصا ان موقفه المعلن من موضوع الحرب على المخيمات جيد وقابل للتطوير. ورأى انه لابد أيضا من حركة مع الجزائريين واليمنيين وحركة مع السوفيات والأوروبيين. وأشار إلى أن العالم قد يسمع المنظمة فهو لا يفهم الا لغة القوي، وان صراخ نبيه بري وأخوانه بعد مغدوشة فتح باب الحوار حول فك الحصار عن المخيمات. وأكد ياسر ان ما أنجز في مغدوشة سوف يترك أثرا ايجابيا على الوضع الفلسطيني برمته داخل لبنان وخارجه، والمهم ان تحسن القوى الوطنية اللبنانية والقيادة الفلسطينية ادارة الصراع على كل الجبهات بما فيها الجبهة الداخلية. وأكد على اهمية تعزيز وحدة المدافعين عن المخيمات وضرورة دفع الموقف إلى مداه النهائي وصولا إلى استعادة وحدة منظمة التحرير.

وبيّن ياسر ان قيادات الفصائل الأخرى، خصوصا قيادة الجبهة الشعبية، محشورة وليست في وضع مريح ولديها داخليا أكثر من وجهة نظر بشأن معركة الدفاع عن

المخيمات وحول الموقف من مسألة احتلال مغدوشة، وهذه بداية جيدة. وذكر ان بعض كوادر الشعبية يدعون إلى خروج الشعبية من جبهة الانقاذ، وهذا ما كان له أن ينشأ لولا الصمود في المخيمات ولولا الانجاز العسكري الذي تم في شرق صيدا وبعده في مغدوشة. وقال: "شخصيا، اعتقد أن الظروف نضجت لعقد مجلس وطني توحيدي، ونحن نبذل جهودا بهذا الاتجاه، ونجري الاتصالات اللازمة مع كل الاطراف المعنية والمهتمة بهذا الموضوع". وأضاف: "يمكن للاخ أبو معروف ان يلعب دورا رئيسيا على هذا الصعيد بالحديث مع الكوادر الفلسطينية المتواجدة في الجنوب، خصوصا شباب الشعبية وجبهة التحرير الفلسطينية وجبهة النضال الشعبي وجميعهم اعضاء مكاتب سياسية ولجان مركزية في تنظيماتهم".

قطع أبو معروف حديث ياسر وبيّن انه تحدث مع صلاح صلاح عضو المكتب السياسي في الجبهة الشعبية ومع أبو نزار وشباب آخرين في قيادة الجبهة الشعبية ولمس بوادر تغيير في موقفهم، وانه بالامكان تطوير الموقف وتعهد ان يرتب لقاء آخر معهم لاحقا.

وأشار ياسر إلى ان الرد على المشروع الخطير يتم بمشروع وطني كبير. مشروع التدمير للمنظمة وللمخيمات يرد عليه بمشروع استعادة الوحدة الوطنية. وقال: "الآن ليس وقت عتاب وحساب، واعتقد اننا جميعا تعاملنا مع موضوع الوحدة الوطنية بشيء من الخفة والتبسيط ولم ندقق حساباتنا جيدا. ولو دققنا بدون انفعالات لما وقع الانقسام". وبيّن ان المستفيدين والمسرورين من خروج الجبهتين الشعبية والديمقراطية من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير هم أعداء المنظمة وليس الأصدقاء، وان الإنقسام الذي وقع جاء نتيجة قصر نظر في الحسابات السياسية، ولم يستثن في هذا المجال أحدا. وأكد أهمية إجراء مصارحة ومكاشفة داخلية وتحديد أين أخطأ كل طرف وما هي حدود مسؤوليته عن الأزمة والمازق. والمهم الان كما نبه إليه ياسر هو كيف تتم استعادة الوحدة الوطنية. وقد رأى أن على الجميع الاستجابة لنداء الأهل في الداخل ونداء أبناء المخيمات في لبنان وباقي بلدان الشتات. ولا بد أيضا من تجديد الحوار حول استعادة الوحدة بدون اي شروط مسبقة، واستمرار الوحدة بين المقاتلين في المخيمات أمر ضروري لفرض الوحدة الوطنية الشاملة، وكلما تعمقت الوحدة على الأرض كلما اقترب الجميع من استعادة الوحدة الكاملة التي يجب فرضها على من هم فوق، وهذه مسؤولية وطنية كبرى تقع على عاتق الجميع. وحث على العمل من أجل كسب الجبهة الشعبية لموقف المنظمة، وحتى كوادر "فتح" ـ الانتفاضة بقيادة أبو موسى وأبو خالد العملة يجب محاولة كسبهم، ويمكن كسب بعضهم بسهولة، شرط أن يتم الشغل على هذا الموضوع بهدوء والضرب على الوتر الحساس وتحريك فلسطينيتهم.

وأكد ياسر على دور التنظيم الناصري ودور أبو معروف التاريخي، وأشار إلى أن الفلسطينيين وجميع الوطنيين اللبنانيين الشرفاء غير الطائفيين تعودوا أن يذكروا قيادة أبو معروف عندما يجري الحديث عن الجنوب اللبناني، والجميع تعود على اتباع

لفظة الجنوب بالقول: بقيادة الأخ أبو معروف. وقيادة أبو معروف للجنوب ليست منّة أو صدقة من أحد على أحد. فالدور القيادي يتأتى من الفعل على الارض ومن الثقة التي تمنحها الجماهير. وقال: "نحن نعرف ان الجماهير الفلسطينية واللبنانية بايعت الأخ أبو معروف منذ سنوات طويلة ولا أحد بايع الأخ نبيه بري على قيادة الجنوب".

قاطع أبو معروف ياسر وقال: "والله يا إخوان، رغم وضعي الصحي، فأنا لا أنام قبل الثالثة صباحا. وعملي يبدأ من الثامنة، وأحيانا قبل هذا الوقت". وغمز من قناة كوادر الثورة التي تبدأ عملها في العاشرة والحادية عشر صباحا بينما العمال والشغيلة يبدأون عملهم قبل السادسة. وأكد انه لا يسمح لأحد بان يقول لعامل ولأي إنسان إن أبو معروف نائم. وهو في أحيان كثيرة يستقبل الناس بملابس النوم. والمراجعون يأتون من مدينة صور ومن بلدة بنت جبيل داخل الشريط الحدودي ومن النبطية وإقليم الخروب وإقليم التفاح. والمسؤولية عبء كبير. قال هذا ودعا الله ان يعينه عليها. وذكّر أبودرويش رئيسه "لا تنسى الناس في البقاع والشمال وبيروت يا أبو معروف، وكوادر الثورة والأحزاب". ثم أنهى أبو معروف مداخلته بالقول: "أعاننا الله على حمل الامانة، وحمل الامانات ليس بالهين". وأشار إلى انه فكر أكثر من مرة باعتزال العمل السياسي، لكنه كان يعود لنفسه كل مرة ويقول هذا هروب، ومصلحة الجماهير فوق كل اعتبار وهي التي تدفع للإستمرار في النضال. وبعد هذا إعتذر لياسر عن المقاطعة، وغمز من قناة خصمه: "بسيطة ليتفضل السيد نبيه بري ويسكن في النبطية او صور او صيدا ويعالج مشاكل الناس، أنا مستعد لأن افتح له بيتي، أكمل يا ياسر أكمل".

واصل ياسر حديثه وكرر التأكيد على أن دور أبو معروف أمر مفروغ منه ومعروف للجميع ولا أحد يجادل فيه. وقال انه يعلن بحضور الإخوة في "فتح" ونيابة عن الجميع، أننا جميعنا نعمل تحت رايات الحركة الوطنية اللبنانية عموما وتحت راية أبو معروف والجيش الشعبي في الجنوب خصوصا. وأكد أن هذا الكلام ليس تكتيكيا فنحن في مرحلة مختلفة عن مرحلة ما قبل عام ١٩٨٢. كما أكد انه إذا تعذر إجراء مراجعة شاملة وافية لتجربة الثورة في لبنان، خصوصا تجربة العلاقة بين الثورة والحركة الوطنية اللبنانية، فيجب الإقرار بأن الجميع ارتكب أخطاء جسيمة، ولا بد من الإعتراف بذلك مقدمة ضرورية للمراجعة المعمقة التي يجب ان تتم يوما ما. ومصلحة الوطنيين الفلسطينيين تكمن في إرتفاع راية القوى الوطنية اللبنانية.

هنا، أضاف أبو معروف: "طبعا الديمقراطية العلمانية وليس الطائفية المتخلفة".

رد ياسر، وأكد أن القوى الديمقراطية العلمانية في المقدمة وهي الأقدر على التعبير عن مصالح الجماهير العريضة. وقال إن ما ينطبق على صيدا ينطبق على مخيم عين الحلوة ومغدوشة وشرق صيدا والرشيدية والبرج الشمالي والقاسمية وأبو الأسود وكل الجنوب. ومن هذا المنطلق نعالج الوضع في مغدوشة. وأشار إلى أن وضع مغدوشة لا

يعالج فلسطينيا فقط، ومعالجته يجب أن تتم بالتفاهم مع أبو معروف، ومن أجل هذا الغرض قدم هو من دمشق. وقال " نحن مع حل يضمن عودة أهالي مغدوشة لبلدتهم ومع مساعدتهم في إعادة الإعمار. أهالي البلدة لا بد من أخذ رأيهم بتشكيلة القوى التي سترابط في بلدتهم وانتمائها"، وأضاف "طبعا رأيهم معروف سلفا".

وأشار ياسر إلى أهمية بحث الأمر مع الأطراف الأخرى المتأثرة بوضع مغدوشة، وصيدا هي اكثر من تأثر ويتأثر بهذا الوضع، والمعني بصيدا اولا هي الجماهير ثم القوى، ولابد من ان يكون لكل هؤلاء رأي في الحل اللازم للوضع القائم في مغدوشة. وأكد ان الجانب الفلسطيني لا يطمئن لعودة "أمل" إلى مغدوشة، وليس لديه ما يضمن ألا تحاصر قوات "أمل" في هذه الحالة مخيم عين الحلوة. وفي حالة عودة "أمل" إلى مغدوشة، هكذا استدرك ياسر، فإن أهالي مخيم عين الحلوة سوف يصبحون لاجئين في صيدا، في الشوارع والحارات. وقال: "نحن لا نخفي موقفنا، نحن ضد عودة مغدوشة الى "أمل"، وضد عودة "أمل" إلى مغدوشة، هذا وضع يجب أن يفهمه نبيه أولا".

قطع أبو معروف حديث ياسر مرة أخرى، وأكد أن كل أهالي الحارة الجنوبية من صيدا وسكان جبل الحليب المواجهة لمغدوشة مشردون في كراجات البنايات في صيدا. ومن أجل هؤلاء لا بد من حسم الوضع بسرعة. ودعا إلى معالجة الاسباب السياسية التي دفعت الشباب للصعود لمغدوشة. وقال إن مغدوشة نتيجة وليست سببا، السبب هو ما يجري ضد الرشيدية والبرج وشاتيلا، هذا هو المنطلق الجدي لبحث الوضع، كما رواه أبو معروف، وماعدا ذلك كلام في كلام، بغض النظر عما ينقل من هنا او هناك وما يقال في دمشق مع عبد السلام جلود او خدام، وبغض النظر أيضا عن الذي يريد الوصول له الأخ أبو أنيس وما ينشره في صحافة الحزب الشيوعي وإذاعته. أما تفاصيل ترجمة هذا التوجه فقال عنها إنه يمكن الاتفاق عليها ويمكن مناقشتها لاحقا، وأوضح: "لدينا بعض الآراء حول اخراج الموضوع، نبحثها لاحقا نحن والإخوان في "فتح".

وتحدث ياسر عن زيارة المختارة ليوضح السبب الذي جعل السهرة تطول هناك اكثر مما كنا نعتقد، فلم نتمكن من الوصول إلى صيدا ليلا.

علق أبو معروف: "طبعا شربتوا عرق واستغبتم كل الناس". وبيّن انه يعرف جلسات وليد وانها ممتعة خصوصا عندما يكون مزاجه رائقا، و"السهيرة أصحاب كيف، وخيك ممدوح رب هكذا سهرات وعلاقته مع وليد صارت مشبوهة، هو وعصام يطبخان الطبخة في المختارة بهدوء ويأتيان بعدها ليقولا ما رأيك يا أبو معروف. على كل بسيطة، انا لست ضد هكذا علاقات، المهم النتيجة وخدمة المصلحة العامة".

وأشار عصام، مازحا، إلى أن تقريرا تفصيليا وصله من المختارة حول سهرة ممدوح وياسر مع أبو تيمور (وليد). ففهم انه تم التوصل إلى اتفاقات من وراء ظهر "فتح" وظهر أبو معروف. وذكر عصام الجميع بطبيعة علاقته الاستثنائية مع وليد. وأكد ان

وليد لا يخفي عنه شيئا يمس الوضع الفلسطيني، وإذا أخفى فهناك في القصر ناس يقدمون له، هو عصام، تقارير خطية بعلم وليد ورضاه، وان طبخة ياسر في المختارة تمت من وراء ظهر ممدوح، وياسر أخفى الصفقة عن الجميع. وقال عصام: "أنا مبسوط من زيارة ياسر للمختارة، وحساب ممدوح سوف يكون عسيرا، خان العهد وذهب إلى المختارة بدون علمنا". ثم التفت عصام نحو ياسر وقال إن هذه مداعبة وليس أكثر. فعقب أبو معروف على الدردشة: "أنا لا أتدخل بين عصام وياسر أو ممدوح ولا بين عصام ووليد، هذه دهاليز خطيرة واسرارها عميقة".

تناول ياسر الحديث من جديد وقال إنه بغض النظر عن مزحة عصام، فالصحيح أننا بحثنا مع وليد أمورا عديدة ومتشعبة، وكان موقف وليد ممتازا جدا. ثم وجه الخطاب إلى أبو معروف وقال ان وليد يهديك تحياته وسيزورك قريبا في بيتك.

سأل أبو معروف: متى؟ هل اتفقتم على يوم معين ؟

فذكر ياسر أننا اتفقنا على ان تتم الزيارة خلال ايام قليلة، ووليد هو الذي سوف يبادر للاتصال للاتفاق على الزمان، أما المكان فتم تحديده وهو بيت أبو معروف.

فرح مصطفى للخبر وقال: "أهلا وسهلا بالأخ وليد في أي وقت، البيت بيته، ولا فرق بين المختارة وصيدا، والتحالف بيننا ليس جديدا. للأمانة، ورثنا التحالف ولم نصنعه. وليد وانا أكملنا ما صنعه وثبته الشهيدان معروف سعد وكمال جنبلاط". وذكر انه سيرسل رسالة إلى وليد تمهد للزيارة، وانه يفكر في تكليف شقيقه د. أسامة بالذهاب مساء إلى المختارة. وأكد أهمية اللقاء مع وليد في هذه الظروف، وأن هناك اشياء خطيرة تجري، والإنسان لا يستطيع قول كل ما عنده في الجلسات المفتوحة. وضحك وقال: "اتفقت مع ياسر على خلوة قصيرة، وبعد قليل سنرى من يحضرها، بعد إذن جميع الإخوان ودون انتقاص من قيمة أحد، هكذا السياسة في البلد، وهكذا تتطلب المصحلة الوطنية في هذا الظرف الدقيق والحساس".

لم ينتظر عصام تحديد من سيحضر الجلسة المصغرة بل قال: "أرى شيئا ما يطبخ من خلف ظهر "فتح"، أنا المثل الشخصي لياسرعرفات في لبنان، وياسرعرفات هو منظمة التحرير الفلسطينية، والمنظمة هي الممثل الشرعي والوحيد لكل الشعب الفلسطيني. ولذا فأنا ممثل الشعب والمنظمة في لبنان، ولا أقبل عقد خلوات وعقد اتفاقات من خلف ظهري". وأكد انه لا يمكن لأي اتفاق أن يبصر النور إذا لم يصادق عليه ياسر عرفات شخصيا. وحتى لو وافقت كل قيادة "فتح" وكوادرها في لبنان وجميع الفصائل والأطراف الوطنية اللبنانية، ففي النهاية لابد من توقيع عرفات بخط يده، ومباركته ضرورة لا غنى عنها.

خلط عصام في حديثه الهزل بالجد، لكنه كان يعني ما يقول. تدخلت أنا وأكدت حرص أبو معروف والجميع على مشاركة قيادة "فتح" في لبنان في صناعة كل القرارات

التي تهم المخيمات وتمس الوجود الفلسطيني العسكري في لبنان، وأكدت ان عصام ممثل عرفات و "فتح" وبصيغة وأخرى يمكن إضافة م.ت.ف.، أما الشعب الفلسطيني فتمثله القيادة الفلسطينية في لبنان، ومكتب منظمة التحرير في لبنان، وليس ممثل "فتح".

قال ياسر إنه لا داعي للصراع في هذا البيت على من يمثل الشعب الفلسطيني، وسواء كان الأخ أبو علي يمزح او يتحدث بشكل جدي، فقد كنت واضحا في حديثي حول مغدوشة. وأكد عبد ربه أن معالجة وضع مغدوشة يحتاج إلى اتفاق بين كل الأطراف المعنية. وذكر أهالي مغدوشة كطرف لا بد من أخذ رأيه، ووصفهم بالمغلوبين على أمرهم. وأكد أن "فتح" طرف رئيسي متمسمر في مغدوشة لا يمكن لاحد تجاوزه، "خصوصا العرفاتيين من أمثال الأخ عصام"، وقال إننا نعرف أن كل صغيرة وكبيرة لابد من مباركتها من القديس الاكبر قبل اقرارها، فكيف بتنفيذها. وأكد ان لا احد يطعن في رئاسة أبوعمار لمنظمة التحرير ورئيس المنظمة هو قائد الثورة. وأبدى سروره لتعيين عصام ممثلا للاخ القائد العام في لبنان. وتمنى، مازحا، ان يكون الأخ زيد وهبة عضو قيادة "فتح" في لبنان مسؤول التنظيم العمالي والنقابات، والإخوة علاء وعبد المعطي وكمال مدحت مسؤول المخابرات والآخرون في قيادة "فتح" في لبنان مسرورين أيضا. وأبدى ياسر تقديره لدور عصام: "على الأقل التفاهم معك سهل، وغيرك أعان الله أبو معروف عليهم".

ضحك أبو معروف وقال: "الله يستر، بدأ رد الطابات والملعب ضيق، وأنا سأرمي طابة وأرى من سيلتقطها وكيف يردها. معلوماتي تؤكد ان الأخ العميد ممدوح نوفل معين من القيادة الفلسطينية قائدا لقوات الثورة في لبنان، وعصام ممثل شخصي للاخ أبو عمار. ونحن لا نعرف من الأعلى رتبة من الآخر ومن المسؤول عن الثاني؟ وهل يستطيع القائد العسكري لقوات الثورة في لبنان إصدار أمر لكادر أو قائد من "فتح" أو الشعبية؟ وهل أمره يحترم؟ أنا عندي اقتراح بسيط كتجربة، ان يصدر ممدوح الآن أمرا عسكريا بتسليم الملالات إلى أبو درويش، واحدة عند الجبهة الشعبية والثانية عند قوات "فتح" والثالثة عند قوات الجبهة الديمقراطية".

قلت: "طابتك يا أبو معروف قوية وسخنة، وهي عندي. وأستطيع القول، أولا، نحن كلنا جنود عند الأخ أبو معروف في صيدا ومنطقة الجنوب، وجنود عند وليد جنبلاط في المختارة ومنطقة الشوف والاقليم والغرب وعلى طول الطريق الساحلي من خلدة حتى الأولي او الرميلة، لا أعرف الحدود بالضبط، وفي الشمال، نحن، في طرابلس، جنود عند الأستاذين رشيد وعمر كرامي، وفي الهرمل نحن مع السيد علو أحد زعماء منطقة جرود الهمدل وبعلبك، وفي بيروت نحن تائهين في زواريب القيادات المحلية اللبنانية. هذا أولا، وثانيا، أنا وعصام واحد ولا فرق ولا خلاف بيننا، عندما يكون عصام حاضرا فهو يمثل الجميع وعندما يتكلم أحدنا يعبر عن رأي الآخر ولا أحد يستطيع دق اسفين

بيننا، حتى " فتح " أو الديمقراطية لا تقدران على ذلك، أما الإخوان الآخرون من فصائل الثورة وخصوصا جبهة الانقاذ، فممثلهم في الظرف الراهن معروف لنا جميعا، وأنا أعتبرهم إخوانا ضلوا الطريق، راكبهم عفريت ويحتاجون إلى شيخ بارع يطرد العفاريت عنهم. وأعتقد ان الشيخ ماهر حمود او الشيخ عباس الموسوي أو أبو أحمد ممثل السفارة الايرانية أو كلهم جميعا سيساعدوننا في طرد العفريت واعادتهم إلى الصواب" . وعن الملالات، قلت الأخ أبو درويش سيستلمها وهي لا تحتاج إلى أوامر من أحد، لكن بعد ان ننتهي من معركة مغدوشة، ونحن استخلصنا دروسا عسكرية ثمينة من حرب ١٩٨٢ تتعلق ببنية قوات الثورة وتسليحها، أهمها ان الدبابات والملالات عبء علينا تثقل حركتنا وتستنزف طاقاتنا.

وأكد عصام ما قلته: "أنا وممدوح الحال واحد وما قاله يعبر عن وجهة نظري تماما. والأخ زيد وعلاء والآخرون هم فتحاويون ونحن في "فتح" بارعون في توزيع الادوار، هكذا تعمل قيادتنا ونحن على دين ملوكنا سائرون" . وبين انه بعد توقيع القرار من عرفات بالقلم الأحمر فسينضبط الجميع وينفذ" . وذكّر عصام بنشيد أنا ابن " فتح " ما هتفت لغيرها. وقال إن من يهتف بهذا النشيد لا يستطيع الخروج على قرار القائد العام. واستدرك بان المعني طبعا هو الثورة وليس التنظيم، والنشيد صمم لأن " فتح " أطلقت الرصاصة الأولى وهي الآن تتحمل المسؤولية الرئيسية، والإخوان سلموا لها الراية و " نحن لها حاملون وعليها محافظون" .

قلت: "أبو علي رفع الدوز، هذه قضية مختلف حولها أو حول أقسام منها، وعلى كل نحن ديمقراطيون وفي الديمقراطية تتنوع الاراء والاجتهادات، يكمل بعضنا بعضا، بغض النظر عن من يتولى دفة القيادة في كل مرة أو في هذه الساحة او تلك" .

أنهى ياسر حديثه بالتاكيد على ان التفاهم مع جنبلاط تم حول الخطوط العريضة ولم يتم بحث النقاط التفصيلية والعملية. وشدد على أهمية وضع النقاط على الحروف في الخلوة مع أبو معروف والتي يجب أن يحضرها عصام. والمهم، كما حدده ياسر، هو كيف تتم حماية المخيمات وصيانة البندقية الفلسطينية المنضبطة للقيادة الوطنية اللبنانية، وكيف يتم انقاذ الشعب الفلسطيني من المجازر. وقد أكد على وضع مصلحة الوطنيين والتقدميين اللبنانيين والشعب الفلسطيني في لبنان فوق كل اعتبار آخر. وأبدى حرصه على اللقاء مع الإخوة قيادة "فتح" في لبنان وعلى الاتصال مع أبوعمار وأبو جهاد، وأكد أن لا خلاف بل ثمة تفاهم كامل على القضايا الاستراتيجية الاساسية والتكتيكية، ولن نعجز عن إيجاد لغة مشتركة نتحدث بها بشكل موحد مع الطرف الآخر. والطرف الآخر عنى ياسر به الإخوان السوريين و "أمل" ومن معهم من لبنانيين وفلسطينيين. وأشار إلى أنه قد يكون مفيدا من الزاوية التكتيكية تنوع الكلام، على ان يدرك الجميع متى يفيد التنوع ومتى لا يفيد. ثم أعلن انه جائع و "أعتقد أن الأكل جاهز، ولذا اقترح ان نتوقف عن الكلام الآن وننتقل إلى مائدة الطعام" .

وقبل أن ينهض الحضور، قال عصام أن لديه بعض الجمل وهو يود قولها قبل الأكل، وباختصار. فحثه أبو معروف على الكلام: تفضل يا أبو علي!

بدأ عصام حديثه بالترحيب بياسر وتقديره لحرصه على لقاء قيادة "فتح" في لبنان. وبين أن معلوماته من المختارة تفيد بأن وليد جنبلاط مرتاح جدا للقاء الذي تم مع ياسر وممدوح، لكنه ضد الاستعجال بطرح اقتراحات وحلول عملية للوضع في مغدوشة، ويفضل أن تأتي الاقتراحات من غيرنا، مثلا من أبو معروف، أو الانتظار ريثما يغير السوريون وقيادة "أمل" مواقفهم. وأشار عصام إلى أنه تحدث مع الختيار "أبوعمار" قبل حضوره ونقل تحياته للجميع. وبين ان أبو عمار قلق من الأخبار التي نشرت والمعلومات التي نقلت عن الاجتماع الاخير الذي عقد في دمشق بحضور عبد السلام جلود، خصوصا الحديث عن موافقة قيادة الجبهة الديمقراطية على سحب قواتها من مغدوشة.

علق ياسر: "صارت واصلة له"!

رد عصام بان الأمور تنقل له ساعة بساعة وأبو عمار على اتصال دائم بالجميع. وهناك من الإخوان في دمشق وبيروت من يتسابقون في نقلها. وصارحنا عصام بأن أبوعمار غمز من قناة الجبهة الديمقراطية لمشاركتها في الاجتماع، ونقل عنه قوله: "السوريون متآمرون واصحاب مشروع الابادة والتدمير الجاري على الارض". وقال ان أبو عمار يرى أن تعهد السوريين بمنع حركة "أمل" من اقتحام المخيمات مقابل إنسحاب القوات الفلسطينية من مغدوشة كلام لا يركن اليه، بل إنه يخفي قرار تدمير الوجود الفلسطيني في لبنان، المسلح وغير المسلح. وإذا كان السوريون جادين في معالجة الوضع فليتفضلوا ويبحثوا الأمر مع أبو عمار او في إطار جامعة الدول العربية.

وبين عصام ان لديهم أوامر واضحة وصريحة حول مغدوشة خلاصتها أن لا إنسحاب من مغدوشة ولا لتسليمها لأحد. ولم يكتف أبو عمار بإعطاء أوامره إلى عصام او مدحت وعلاء وأبو ياسر عبد المعطي أركان قيادة حركة "فتح" في لبنان، بل وجهها خطية إلى قادة الوحدات مباشرة أيضا، وأكد عصام انه هو شخصيا ضد اي حديث عن الإنسحاب أو ما شابه ذلك قبل ان يفك الحصار عن جميع المخيمات وتفتح الطرق وتعود الحالة لطبيعتها. وقال إن هذا هو رأي الإخوان في قيادة "فتح" في لبنان. وأشار عصام إلى أنه ليس ضد التكتيك والمناورات السياسية، لكن الإنسحاب كما وصفه خط احمر ولا تنازل عن مطلب فك الحصار. وذكر أن معلوماته تفيد بان اوضاع قوات "أمل" تعبانة، وانه التقى مختار بلدة الغازية وعلم أن الطائفة الشيعة بدأت تحمل نبيه وقيادة "أمل" مسؤولية توريطهم في هذا الصراع. وكشف أن حزب الله يجري اتصالات مع "فتح" وقد بدأ يكسب اكثر فأكثر في صفوف الطائفة الشيعة. وقال عصام "أرى انه من المفيد اللعب بورقة حزب الله، لكن دون المساس بالخطوط الحمر.

عقب ياسر على الكلام: " نحن متفقون، والمهم كيف ندير الصراع بأنجح السبل واقل الخسائر".

نهض الجميع إلى المائدة، وتعمد عصام الجلوس بجانبي. وخلال الأكل صارحني عصام بأن الإشاعة التي بلغت الختيار تقول ان ياسر قادم ومعه قرار من المكتب السياسي للجبهة بالإنسحاب من مغدوشة وان قوات الجبهة ستنسحب حتى لو لم تنسحب قوات "فتح". ولدى الختيار، كما روى عصام، معلومات منقولة من دمشق مصدرها الجبهة الشعبية وجبهة التحرير الفلسطينية. والشعبية تقول، نقلا عن أبو ليلى عضو المكتب السياسي للجبهة، ان ياسر ذهب إلى لبنان لتنفيذ قرار الإنسحاب، وممدوح متمرد على القرار. وسأل عصام عما إذا كان هذا صحيحا واستبق اجابتي وقال إنه شخصيا غير مصدق لكن ثقته بدأت بالاهتزاز خصوصا بعد ان نصحه الختيار بان لا يطمئن لموقف الديمقراطية. وكرر عصام ما قاله ابو عمار له، فهم في الديمقراطية عليهم ضغوط كبيرة وقيادتهم في دمشق بدأت تغير لهجتها، ونايف يحاول في لقاءاته مع السوفيات والجزائرين مساواة الضحية بالمجرم، يحمل السوريين المسؤولية لكنه في الوقت نفسه يحمل أبوعمار مسؤولية إشعال حرب المخيمات، ويدمج اتفاق عمان بزيارة القاهرة مع الوضع في لبنان. وأضاف عصام أنه يريد سماع رأيي الشخصي بكل اخوة وصراحة.

ذكّرت عصام بما سمعه من حديث ياسر وهو واضح الدلالة، وصارحته بأمر البرقية التي تتحدث عن قرار بالإنسحاب من مغدوشة، وقلت إني فهمت أنها ارسلت للاستهلاك في العلاقة مع السوريين وبينت له ان حديثي المباشر مع عبد ربه وحديث عبد ربه مع وليد جنبلاط وحديث اليوم مع مصطفى فيها كلها ما يؤكد أن الموضوع لا يتعدى حدود التكتيك والمناورة للتهرب من الضغط السوري. وعددت قائمة التضييقات التي فرضها السوريون على الجبهة وقلت إن ياسر يرغب في الخروج للقاء مع أبوعمار وأبو إياد لكنهم لم يسمحوا له حتى الآن بالمغادرة، واظن أن زيارته للمختارة وحديثه مع أبو معروف أغلقا باب مطار دمشق كليا في وجهه.

وبينت أن بعض الرفاق في دمشق يراعي الموقف السوري انطلاقا من الحرص على مصلحة الجبهة ومصالح الرفاق الشخصية، وبأمل بقاء بعض التسهيلات الادارية الممنوحة لهم. ورجحت ان لا يبلغ موقف الرفاق في دمشق درجة الخضوع للسوريين. والفكرة التي حملها ياسر وطرحها على وليد جنبلاط هي تكرار للعبة التي لعبناها في معالجة موضوع شرق صيدا، فكرة تبديل اللباس، فكرة وضع عدد من الحواجز بلباس التنظيم الشعبي الناصري، وأن يضع شبابنا شعارات التنظيم الشعبي الناصري، قوات الشهيد معروف سعد، على أكتافهم مع بقائهم في مواقعهم. وأنبأت عصام باننا سنطرح هذه الفكرة في الخلوة التي ستتم بعد الغداء مع أبو معروف. وحثثته على ان يطرح هو ملاحظاته بوضوح بحضور ياسر. وقلت إننا سننتقل وبعد الخلوة إلى مستشفى

الهمشري حيث سنختلي بهم هم قادة "فتح" لبحث الأمر مع الإخوان جميعا. وطلبت من عصام أن يكون على ثقة بان لا عودة ل "أمل" إلى مغدوشة ولا إنسحاب لقوات الجبهة منها حتى لو صدر قرار بذلك. وأكدت أنا أنني شخصيا ومعي معظم الرفاق في قيادة لبنان ضد الإنسحاب، ودم الشهداء محمود خليفاوي وأبو سمرة وخمسة عشر كادرا آخر لم يجف بعد: مغدوشة كلفتنا كثيرا، مهر "السيدة العذراء" كان غاليا جدا وأغلى مما توقعت ولا يمكن بيعها بثمن بخس. وذكّرت صديقي الفتحاوي القلق بأن السوريون لم يسمحوا لنا حتى الآن بإدخال رغيف خبز واحد لأي من المخيمات المحاصرة، ولم يساعدنا حزب الله والايرانيون.

قال عصام: "اثق بكلامك، وأنا واثق من موقفك ومن موقف معظم شباب قوات الجبهة". وأبدى تخوفه من موقف الرفاق في دمشق. وقال انه كان يفضل لو تم اللقاء مع قيادة "فتح" في لبنان قبل الذهاب إلى المختارة وقبل اللقاء مع أبو معروف، وان ترتيب جدول اللقاءات خلق حساسيات عند بعض اعضاء قيادة "فتح" في لبنان، خصوصا أن زيارة ياسر جاءت مترافقة مع الاشاعات حول موقف قيادة الجبهة في لقاءات دمشق. وكاشفني بان بعضهم وجدها فرصة للطعن في العلاقة فيما بيننا، وبعضهم يحاول استثمارها في الخلافات والصراعات الفتحاوية الداخلية حول المسؤوليات والصلاحيات المالية والإدارية. والبعض يقول إن الديمقراطية تتصرف وحدها وكأنها هي صاحبة القرار في مغدوشة، وبعضهم رفض الحضور معي، وأنت تعرف من أقصد بذلك. هؤلاء قالوا إنهم ليسوا طراطير، واعتبروا عدم عقد لقاء ثنائي مسبق مؤشرا على عدم صمود الديمقراطية في مواجهة الضغوط، واعتبروا عدم إهتمام ياسر باللقاء مع "فتح" قبل لقاءاته مع اللبنانيين رسالة موجهة إلى دمشق خلاصتها أن موقف الجبهة يختلف عن موقف "فتح" باعتبار "فتح" الآن "نعجة جرباء" ومن يقترب منها يصب بالمرض ويتعرض للعقاب السوري.

فقلت لمحدثي إنه يعرف إخوانه هؤلاء أكثر مما أعرفهم، وان كلامهم هو كلام حق يراد به باطلا. وبينت له أن ترتيب المواعيد أنا المسؤول عنه، وليس ياسر، وإني لم أكن أعتقد أن حساسية الإخوان بالغة هذا المستوى. وكررت نصيحتي بأن من المفيد مفاتحة ياسر بالامر قبل اللقاء مع الإخوان عندهم. وقلت إني شخصيا سأفتح الموضوع بطريقة ودية ورفاقية بحضور الجميع حتى نزيل الالتباسات، لأن معركتنا طويلة، والحفاظ على الموقف الموحد بيننا مسألة حاسمة، وأي شرخ فيه يجلب الكوارث لشعبنا فوق الكوارث التي يعيشها: "المعركة تتطلب العمل دون شكوك، وجود شكوك يشل مبادرتنا، وتفسير الموقف بنوايا سيئة يربك عملنا".

خلوة مصغرة في غرفة النوم لم تحل الخلاف

اختار مضيفنا لخلوتنا ان تنعقد في غرفة النوم لكي يضمن ان لا يتطفل علينا أحد ونكون بمنجاة من اي مراقبة. وقبل بداية الخلوة طلب عصام عدم إطالة الجلسة مع أبو معروف، خصوصا ان الأمور غير ناضجة لطرح اقتراحات محددة. واشار إلى أن اللعبة التي لعبناها في شرق صيدا غير مرضي عنها من أبو عمار، وان القائد العام لا يريد تقديم شيء للسوريين حتى من الناحية الشكلية، والكل يعرف عمق الجرح السوري الذي لحق به. وأكد عصام أننا سنجد صعوبة بالغة جدا في الحديث مع أبو عمار حول تسليم مغدوشة إلى أبو معروف حتى مع الحفاظ على وجودنا فيها تحت عطائه. ونصح بأخذ هذا الموضوع بعين الاعتبار عند الحديث مع تونس.

فاستحضرت المثل الشهير: "كبرها بتكبر وصغرها بتصغر". وقلت إنه لا داعي للقلق. ورجوت عصام ان يكون على ثقة بأن النتيجة سوف تكون مرضية للاخ أبو عمار ومرضية أيضا لشعبنا. والمهم هو الحفاظ على وحدة الموقف المشترك وان نبقى متفاهمين على كل التفاصيل.

في الخلوة، بدأ ياسر الحديث دون مقدمات، واقترح تسليم مغدوشة إلى أبومعروف تحت شعار تسليمها للقوى الوطنية اللبنانية. واعتبر أن هذا التدبير يوفر طمأنينة للناس في المخيمات خصوصا أهل مخيم عين الحلوة.

وبالطريقة ذاتها، الواضحة والمباشرة، قال عصام: "أبو عمار يرفض هذا الاقتراح، وأنا شخصيا لست ضد تسليمها إلى أبو معروف، ولكن بعد فك الحصار عن المخيمات وإنسحاب قوات "أمل" من محيطها. وكرر حجته بأننا إذا انسحبنا الآن وحل محلنا قوات أبو معروف فإن "أمل" والسوريين سيتابعون الحصار ونخسر المخيمات.

عندها، أكد ياسر على أن الإنسحاب والتسليم يجب أن لا يتما فورا، إذ أن المهم هو طرح الفكرة كمبدأ، وان نقول علنا ورسميا إن مغدوشة قرية لبنانية ونحن صعدنا اليها دفاعا عن عين الحلوة ومخيماتنا الاخرى، ومستعدون للإنسحاب منها وتسليمها للقوى الوطنية اللبنانية بقيادة أبو معروف عندما تزول اسباب الصعود. وهذا الكلام يعطينا فرصة، نكسب الوقت، ونخفف الضغط، وإذا دخلوا في مفاوضات معنا حول الموضوع نصر على مفاوضات في صيدا وبحضور قيادة "أمل"، وفي المفاوضات نطلب أكثر من فك الحصار. وختم ياسر حديثه بالقول: "على كل هذا إقتراح، وأود أن نسمع رأي أبو معروف. والمهم ان نجد مخرجا نناور فيه الآن، نحن المحشورون، ويجب أن لا نعدم وسيلة لرد الكرة الى ملعبهم".

الكل محشور يا ياسر، هكذا بدأ أبو معروف حديثه، وأضاف: "أمل" محشورة، ومصطفى سعد ووليد جنبلاط محشوران، والسوريين محشورون أيضا. من البداية،

كنت أعرف اننا سنصل إلى هذه النقطة الحساسة. وقد قلت لمدوح وعصام إن الصعود إلى مغدوشة ليس كالنزول منها. يومها، الإخوان بسطوا الأمور وقالوا المهم الآن النجاح في احتلال البلدة، ولاحقا نفكر في توابع طرد "أمل" منها. حان وقت التفكير العميق، حان وقت الاستحقاقات وتحمل المسؤولية". وأثنى أبو معروف على اقتراح ياسر، لكن الأمور، كما استدرك وهو يصفها، لم تنضج بعد لطرحه ولا لتنفيذه. وقبل الحديث في هكذا اقتراح يجب إخراج قوات "أمل" من كل مغدوشة، كما قال، ويجب أن لا يبقى لها أي وجود في أي بيت، لا في البلدة ولا في أطرافها، وطالما أن "أمل" موجودة في أي زاروب من البلدة يبقى موقفنا التفاوضي ضعيف.

وأبدى أبو معروف تفهمه لموقف أبو عمار إذا كان موقفا آنيا وطرح في سياق تكتيكي. وقال: "اتفقوا فيما بينكم، حلوها يا ياسر مع أبو عمار أولا، خذوا موافقته على الموضوع وتعالوا لنبحث الامر. هاتوا كتابا من قيادة "فتح" في لبنان يوقع عليه الجميع يقول بوضوح الموقعين مستعدون لتسليم مغدوشة للتنظيم الشعبي الناصري".

حاولت وعصام توضيح الأمر. إلا أن أبو معروف قال: "اتركوني أتابع حديثي: أنا لا أستطيع ان أطلب من سوريا ومن نبيه أن أكون البديل لكم". وأوضح انه في وضع لا يستطيع المبادرة فيه لتقديم هكذا طلب، إذ ينبغي له ان يصبح مطلوبا وليس طالبا. وهذا كما رآه هو يتطلب حشر "أمل" ميدانيا أكثر فأكثر حتى تصل الأمور درجة يكون فيها التنظيم الناصري هو المخرج، وبدون ذلك يصبح مصطفى سعد طرفا في المعركة، وهذا لا يخدم صيدا ولا يخدم عين الحلوة. وعبر عن اعتقاده أن بقاء التنظيم خارج المعركة المباشرة افضل للفلسطينيين. وأصر على أن يبدو وكأنه وسيط خير وليس طرفا لان هذا أفضل لصيدا والمخيم وأكد انه ليس وسيطا، ولن يكون وسيطا محايدا، فهو بالطبع منحاز، وهذا الموقف تعرفه "أمل" ويعرفه السوريون وجميع القوى اللبنانية.

وأضاف أبو معروف ما سماه النقطة الأخيرة، فذكرنا بما قلناه من أن وليد جنبلاط سيأتي خلال اليومين القادمين إلى صيدا، وطلب أن لا نستعجل الأمور، بل نتريث حتى يأتي وليد ونناقش الموضوع ونتحمل المسؤولية معا. و"هكذا طبخة تحتاج إلى مناورات عديدة حتى تنضج بشكل جيد".

أيد عصام ما طرحه أبو معروف، واعتبر أنه ينسجم مع الموقف الذي ابلغ إلى أبوعمار. ورد على ملاحظة أبو معروف بشأن موقف أبو عمار، وأكد ثقة أبو عمار في قيادة التنظيم خصوصا أبو معروف شخصيا. وذكّر بقرار أبو عمار الذي يعتبر أبو معروف قائد "فتح" عسكرا وتنظيما في كل لبنان وليس في صيدا وحدها.

وطلب عصام أن يكون أبو معروف على ثقة بأننا لن نختلف لا في التكتيك ولا في الاستراتيجية، وأيد اقتراحه بأن ننتظر جنبلاط. وذكّر بأن ياسر سيتحدث مع قيادة "فتح" بعد وقت قصير ومع أبوعمار، وبعدها نعود ونلتقي ونبحث من جديد. ورأى

ان الوضع دخل مرحلة عض أصابع ومن يصرخ أولا يخسر المعركة، و"أمل" بدأت تتألم، وبعد أيام ستصرخ. ودعا للتريث وانتظار تفاعلات الوضع في صفوف الطائفة الشيعية.

حاولت ترطيب الأجواء وقلت إن هناك سوء فهم للاقتراح. وبينت ان الفكرة مجرد مناورة تكسبنا الأيام القليلة التي تحدث عنها عصام، والموضوع لا يتعدى مرونة تكتيكية مع الاستمرار في الصلابة المبدئية وعلى الأرض. الفكرة، كما فصلتها، هي أن نطرح بالكلام استعدادنا للإنسحاب من مغدوشة وتسليمها للقوى اللبنانية التي نطمئن إليها، وهذا الطرح من حيث المبدأ لا يلحق أي ضرر بموقفنا، بل نكسب ولا نخسر، نبدو مرنين. ودعوت لان نتفق بوضوح على ان مغدوشة يجب أن تبقى معنا كوطنيين فلسطينيين ولبنانيين، وعلى أرضها نرفع علم أبو معروف. وقلت إن بقاء العلم الفلسطيني وحده مرفوعا فوق مغدوشة خطأ جسيم يستنفر اللبنانيين ويحملنا مسؤوليات نحن في غنى عنها. واستحضرت الدرس المستخلص من حرب ١٩٨٢ وما قبلها وبعدها وهو أن يستظل الفلسطينيون بالعلم الوطني اللبناني، يقاتلون اعداءهم على ارض لبنان تحت رايات القوى الوطنية اللبنانية.

وأكدت أن لا احد يطالب بقرار فوري بالإنسحاب، ولا بأس من الانتظار يومين او ثلاثة وحتى بضعة أسابيع، والمهم هو ماذا سنطرح في الاعلام وفي اللقاءات، وليس متى نخلي مواقعنا، وأن نظل على اتفاقنا على أن ما يجب أن يجري على الارض مختلف تماما، ومهمتنا الرئيسية هي تعزيز الدفاع في مغدوشة وتمتينه، وتحسين مواقعنا العسكرية بشكل تدريجي وصولا لطرد "أمل" من كل مغدوشة. وقلت إنه من المبكر الآن تقييم معركة مغدوشة من جميع جوانبها العسكرية، وصحيح أنه يجب إنجاز ما طرحه أبو معروف وطرد "أمل" مما تبقى لها من مواقع في البلدة، لكن دون تسرع، والتسرع ثمنه كبير، ننجح في المهمة لكن بخسائر كبيرة، ويكفينا ما قدمنا من تضحيات. ثم إن فكرة إطالة المعركة لاستنزاف "أمل" فكرة صحيحة تماما. وطلبت من أبو معروف أن يكون على ثقة بان بإمكاننا حسم الوضع خلال ٤٨ ساعة، إلا أننا سنخسر عشرات الشهداء والجرحى من جديد، ستقع مجازر عندنا وعندهم، صعدنا ٩٠٪ من الجبل ونستطيع استكمال الصعود بهدوء، انا اعتبر مغدوشة من الناحية العسكرية محررة، وليس بـ"أمل" فيها سوى جيوب معزولة ننتهي منها بالتدريج.

وأبديت تفهما لموقف أبو معروف بشأن التواجد المشترك مع "أمل"، وأكدت ان لا أحد يقبل ذلك، وهكذا تعايش يكاد يكون أصلا مستحيلا. وقلت إن قيادة "أمل" تقبل تسليم مغدوشة لأبو معروف في إطار مناورة لمتابعة المعركة والضغط على أبو معروف للإنسحاب. وتعهدت ان الوضع على الأرض سيكون قد تغير عندما يحين وقت استلام مغدوشة من قبل التنظيم الناصري، والحل في النهاية سيكون شبيها بما عملناه في قرى شرق صيدا، القرية وعين الدلب وجنسنايا وبيصور.

قطع ياسر حديثي ودعا إلى الكف عن الحديث عن الترتيبات العسكرية على الارض، فهذه قضايا سيكون لدينا وقت كاف لبحثها لاحقا. وكرر القول، حتى لا يساء فهمنا ولا نبدو وكأننا مختلفون، لنؤكد أننا متفقون على الهدف والنتيجة التي نسعى جميعا للتوصل لها، ومتفقون أيضا على التكتيك بخطوطه الرئيسية، أما التباين، كما وصفه، فهو شكلي وهو محصور في اللغة التي نستخدمها مع الاخرين وليس أكثر. وبين ان هناك تطابقا في التصريحات التي صدرت عن "فتح" والجبهة، والطرفان استخدما نفس الكلام، وتنوع الكلام يفيد ولا يضر. واقترح تثبيت الخلاصة التالية: فك الحصار عن المخيمات له الاولوية على سواه؛ لا لعودة قوات "أمل" إلى مغدوشة إطلاقا. الإسراع في حسم الوضع عسكريا ومنع "أمل" من تحسين مواقعها، والعمل على اشراك القوى الفلسطينية الأخرى في المعركة؛ الحل النهائي هو تسليم مغدوشة للأخ أبو معروف مع وضع ترتيبات ميدانية تفصيلية تضمن عدم عودة "أمل" للبلدة.

تحفظ عصام على النقطة الاخيرة إذا كانت النقاط التي طرحها ياسر هي اتفاق نهائي يعني إنسحاب قوات "فتح" من مغدوشة. فأكد ياسر أن لا اتفاق ولا من يحزنون، ولن نطلب من أحد التوقيع على أوراق. وقال إن هذه توجهات عمل نعمل جميعا على هديها في علاقاتنا مع القوى وعلى الارض. واقترح ان نتوجه للقاء مع الاخوة في قيادة "فتح" ونتحدث مع أبو عمار وأبو جهاد بالهاتف، ونعود ثانية لطرف أبو معروف لنضعه في صورة نتيجة الاتصالات.

عقب أبو معروف: "خلاصة جيدة، سلموا على الإخوان أبوعمار وأبو جهاد وأبو الهول وقولوا لهم نحن على العهد باقون، وأبو معروف لا يزال هو أبو معروف رغم كل شيء". وأكد على ضرورة العودة لطرفه لنسهر معا سهرة لا تقل عن السهرة عند وليد جنبلاط.

هوامش الفصل السادس

١ـ المتاولة: مصطلح يطلقه بعض اللبنانيون من أهل السنة والدروز على أبناء الطائفة الشيعية.

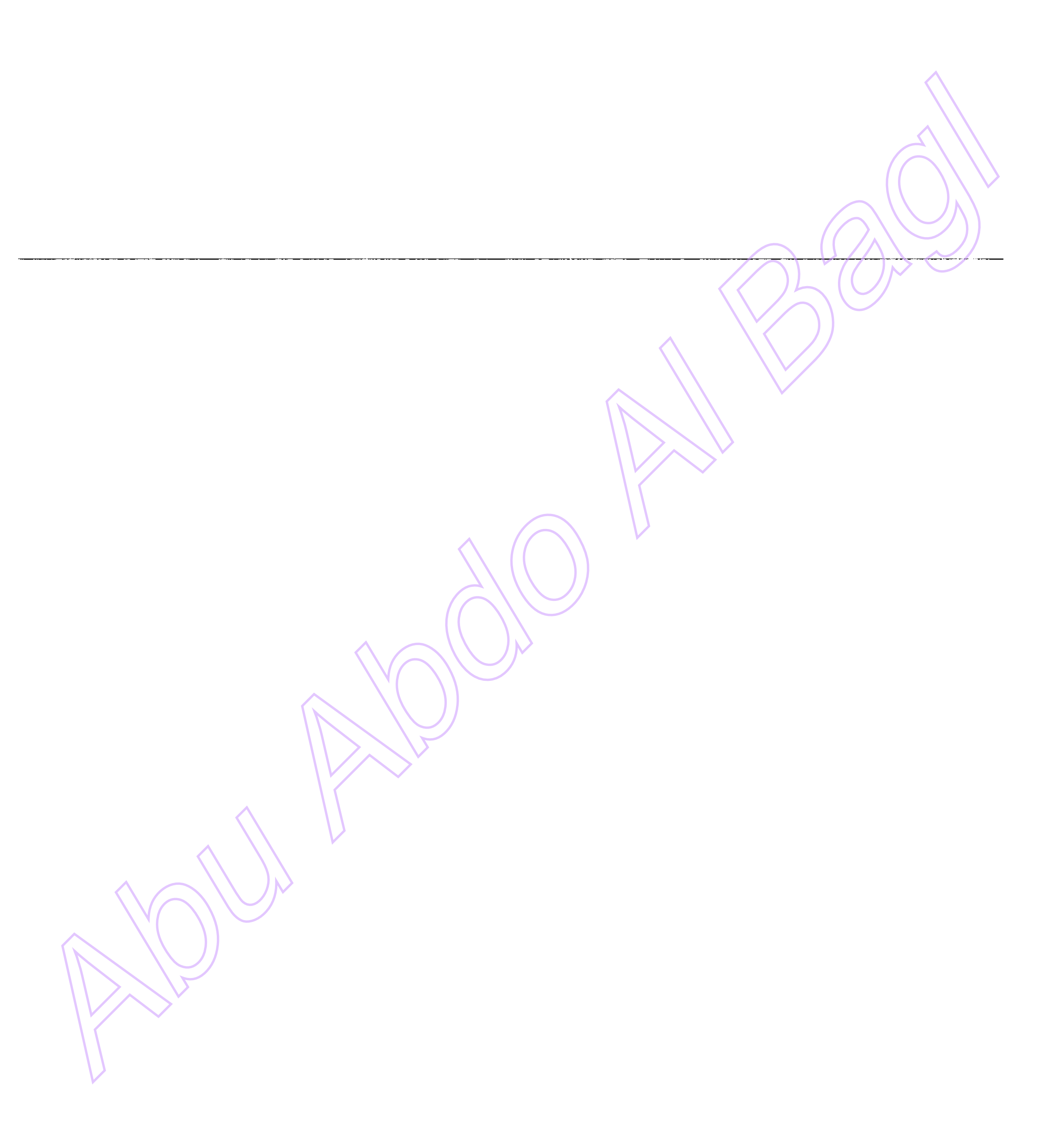
٢ـ تم اغتيال معروف سعد زعيم صيدا والد مصطفى واسامة في قلب مدينة صيدا اثناء قيادته مظاهرة للصيادين في الجنوب الذين كانوا يطالبون بحقوقهم وتحسين ظروف معيشتهم. واعتبر الحادث مدبرا بهدف تفجير الوضع الطائفي في لبنان، وكالعادة، لم يكتشف الفاعل ولا يزال المجرم القاتل مجهولا. في حينه حملت الاحزاب والقوى الوطنية اللبنانية والصيداويين السلطة اللبنانية والمكتب الثاني المسئولية.

٣ـ في ظل أجواء التوتر والتحريض الأمريكي ضد منظمة التحرير، وانزعاج قوى لبنانية فاعلة من تزايد الوجود والنفوذ الفلسطينيين في لبنان، بادرت قوات حزب الكتائب يوم ١٣ نيسان/ابريل ١٩٧٥ بالاعتداء على باص مدني يحمل مواطنين فلسطينيين من أبناء المخيمات، وقتلت وجرحت ركابه ونكلت بجثث بعضهم. وتعمدت هذه القوات ارتكاب الجريمة في قلب حي عين الرمانة أحد الاحياء المسيحية في بيروت الشرقية. وصارت هذه العملية بمثابة تاريخ بدء الحرب الاهلية في لبنان ودخول الفلسطينيين طرفا رئيسيا فيها.

٤ـ لم تشارك الجبهة الديمقراطية في اللجنة التنفيذية التي انبثقت عن الدورة السابعة عشر للمجلس الوطني في عمان بناء على نصائح سوفيتية وضغوط سورية. لاحقا أدركت قيادة الجبهة خطا الخروج من قيادة المنظمة وأكدت على ان العمل من داخل اللجنة التنفيذية أجدى وراحت تعمل على العودة إلى المشاركة في اجتماعات اللجنة التنفيذية.

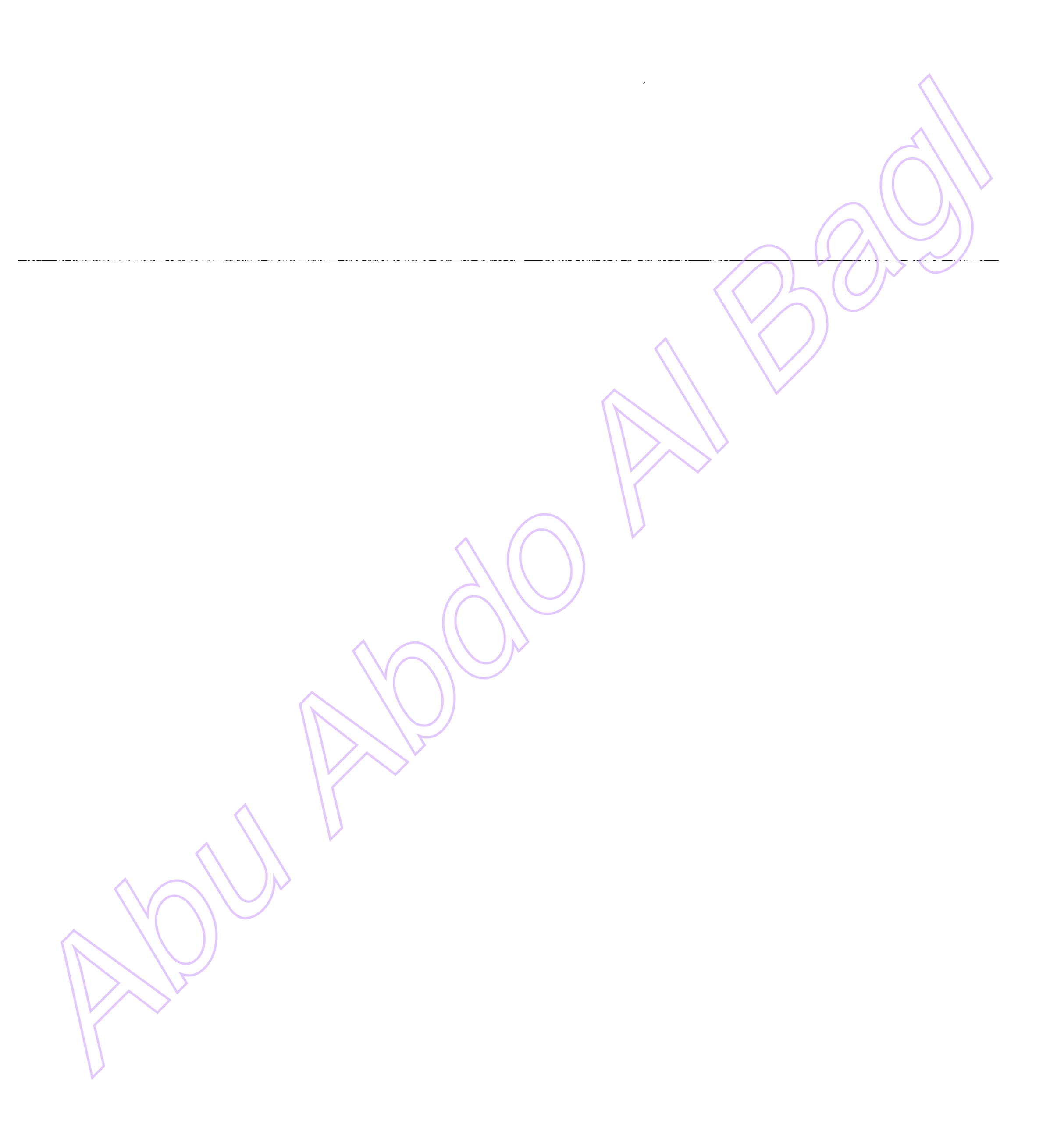
٥ـ اعتادت قوات فصائل الثورة الفلسطينية على نشر قواتها في المناطق المشجرة. وكانت بساتين الحمضيات في منطقة صيدا وصور هي الاماكن المفضلة لاعتبارات تتعلق بالامن وأخرى تتعلق بتوفر بيوت مريحية في هذه البساتين. ولم يكن وجود هذه القوات مرحب به من أصحاب البساتين بل كان هؤلاء ينزعجون إزاء هذا التطاول على الاملاك دون اذن.

٦ـ لم يكن التنظيم الناصري ومصطفى على وئام مع حزب الله، وذلك ليس فقط لاعتبارات تتعلق بالانتماء الطائفي، بل بسبب الاعتبارات السياسية المتعلقة بالتنافس على زعامة صيدا والجنوب.


Abu Abdo Al Bagl

الفصل السابع

مكالمة هاتفية ساخنة مع أبو عمار


Abu Abdo Al Bagl

مكالمة هاتفية ساخنة مع أبو عمار

أبو عمار يرفض فكرة تسليم مغدوشة للقوى اللبنانية

بعد وداع أبو معروف وشكره على الجلسة الممتعة والمنتجة وحسن الضيافة، خرجنا إلى الصالون وكان بعض الرفاق بالانتظار بينما غادر بعضهم لمتابعة مهامه. وكانت مغادرة الرفاق في قيادة الجبهة طبيعية، أما مغادرة عضو قيادة "فتح" كمال مدحت فكان فيها تعبير عن عدم الرضا بسبب استثنائه من الخلوة. كمال مدحت هو مسؤول أمن "فتح" في منطقة الجنوب، موقعه في "فتح" لا يقل عن عصام، وهو يعتبر أن مسؤولياته هي الأهم، وعلاقته مع أبو عمار وأبو جهاد وأبو الهول لا تقل عن علاقة إخوانه الآخرين إن لم تكن أوسع، وهي أمتن مع أبو الهول مسؤوله المباشر.

قال عصام: "خسرتم أول فتحاوي متفهم لموقفكم، يا إخوان شباب "فتح" حساسون، كل واحد فيهم يعتبر نفسه ياسر عرفات".

رد ياسر: "لا، ليس له حق في ذلك، أنت تعرف، الرفيق فهد سليمان لم يشارك في الخلوة مع أنه عضو في قيادة الجبهة الأولى".

حثثت على التحرك فورا كي نكسب الوقت. فنظر ياسر نحوي وطلب إعادة تنظيم البرنامج، وأقترح تأجيل اللقاء الحزبي مع الرفاق إلى ما بعد التاسعة مساء حين نكون انتهينا من اللقاء بالمشايخ في بيت الشيخ ماهر حمود.

توجهنا إلى مستشفى "الهمشري"[١] حيث مقر "فتح" الرئيسي وهو في الوقت ذاته مقر عصام الممثل الشخصي للقائد العام أبو عمار. في هذا المقر يتجمع عادة كوادر "فتح" الأساسيون، ونظرا للحساسيات القائمة بينهم يتعذر جمعهم في مركز آخر. كل منهم له مركزه الخاص وعنده جهاز اتصال مباشر مع أبوعمار في تونس وتأتيه

موازنته بشكل مستقل. وكل منهم يرسل تقريره اليومي مباشرة إلى أبو عمار في تونس دون اطلاع أحد من إخوانه في لبنان عليه. يكتب فيه ما يشاء، ويعطي تقديره الخاص للموقف العسكري والجماهيري. وهم غير منسجمين بعضهم مع بعض، لا بل إنهم متنافرون ومتصارعون على السلطة المحلية وعلى الصلاحيات. بعضهم يتعامل بنفس وطني فلسطيني وحدوي، وآخرون فتحاويون متعصبون يتحدث الواحد منهم دائما ضد الآخر، لكنهم ينسون خلافاتهم فور التصادم مع أي قوة عربية أو فلسطينية. شعارهم: أنا ابن "فتح" ما هتفت لغيرها، وما أسرع ما يتضامن الفتحاويون ضد الغير!

في الطريق إلى الهمشري، قلت لعصام: "أكيد إخوانك جبدونا تقارير للأخ القائد العام من قاع الدست، ولا أعتقد أن أيا من التقارير سوف يكون في صالح زيارة ياسر إلى لبنان وأفكاره. أعتقد أن الصورة الآن مشوشة عند أبو عمار وبقية الإخوان في تونس".

تدخل ياسر: "بسيطة، الختيار وأبو جهاد وأبو الهول يفهمون علينا بالإشارة. وتوضيح موقفنا لا يحتاج إلى شرح مطول. موقفنا واضح: نناور قدر المستطاع دون تنازلات".

قلت: "تستطيع مناقشته أبو جهاد بأفكارك بأريحية وهو يتفهم الأمور في تونس. واقترحت أن نتصل به أولا قبل الآخرين ونشرح له الموقف، ونطلب منه تمهيد الموضوع مع أبو عمار. وذكّرت عصام بالواقعة السابقة وكيف بقي أبو عمار حتى الدقيقة الأخيرة يرفض صيغة الإخراج الذي توصلنا لها حول إعادة ترتيب الوضع في جنسنايا وبقية قرى شرق صيدا. أبو عمار شكاك وهو يرغب في مواصلة التحدي، خصوصا عندما يكون متمكنا من الموضوع، أما أبو جهاد فهو دائما أهدأ وموقفه ألين.

لم يعترض عصام، لكنه أكد على أهمية التركيز على إقناع الختيار بالفكرة. وأشار إلى وجود قرار خطي فعلا بعدم الإنسحاب وعدم تسليم البلدة للقوى الوطنية اللبنانية، أرسله أبو عمار من تونس إلى قادة الوحدات مباشرة.

قال ياسر: "بسيطة، نتحدث مع الاثنين، ومفهوم أن القرار النهائي عند صاحبنا". وأكد على أهمية الإسراع في استعادة الوحدة الوطنية وإعادة تنظيم كل الأوضاع الفلسطينية في جميع الساحات وميادين العمل، وأنه لا بد من خلق مؤسسات ذات صلاحيات جدية. المرحلة حرجة ودقيقة، قال ياسر، وطرف واحد لا يستطيع تحمل المسؤولية، وبالكاد نستطيع نحن جميعا النهوض بها، والمطلوب دوليا وحتى عربيا شطب المنظمة، وهذا لا يواجه إلا بتقوية مؤسسات المنظمة، بها نستظل وبها نواجه، وحدة المنظمة مسألة مصيرية.

وصلنا مقر مستشفى الهمشري، ولم نجد أحدا من الإخوان أعضاء قيادة "فتح" بالانتظار.

قال ياسر: "يبدو أن الإخوان متمردون على المثل الشخصي للقائد العام، هذا شيء خطير. التمرد على المثل هو تمرد على القائد نفسه".

أوضح عصام أنه لم يبلغ أحدا من إخوانه باللقاء، فنحن لم نحدد موعدا دقيقا، كل ما في الأمر أن رمزي جاء أمس صباحا وقال إن الرفيق ياسر سيحضر إلى صيدا وسيلتقي أبو معروف في الصباح ويرغب في اللقاء بقيادة " فتح " بعد أبو معروف. وقال عصام: " على كل حال، هذا هو جهاز التلفون، حاولوا الاتصال مع أبوعمار، وأنا أحاول إبلاغ الإخوان بوجودكم في المقر ".

قلت: الأفضل يا أبو علي إرسال رسالة مع سيارتك لإبلاغ الإخوان، وأنت تعرف السنترال وطريقة الاتصال عبره، أحيانا ننتظر ساعة قبل أن يأتي الجواب. أيد عصام الفكرة وقال: " نرسل رسالة ونكلف السنترال أيضا بالبحث عنهم ". كتبت الرسالة، وتمنيت عليهم الحضور إلى مكتب عصام. وتحركت السيارة. طلب عصام من محطة الاتصال المركزية ربطه مع نقطة التوسط في قبرص، وكلف المعني بالأمر هناك بالبحث عن الأخ القائد العام أبوعمار وأبو جهاد وإبلاغهما أن ياسر عبد ربه وممدوح نوفل يريدان التحدث معهما. جلسنا صامتين للحظات بانتظار التلفون وبانتظار وصول الإخوان.

قطع عصام الصمت وسأل: "أخ ياسر ألا تعتقد أن خروجك من اللجنة التنفيذية للمنظمة كان خطأ ؟ دورك مهم وكبير في التنفيذية، والختيار يعزك ويعتمد عليك، لو كنت أنت الآن بجانب أبو عمار لارتحنا نحن هنا. لو كنت في تونس لطلبناك وشرحنا لك القصة ونمنا ونحن واثقون أنك ستعالج الأمور وترسل لنا القرار المطلوب ".

رد ياسر: " إخوانك حشرونا وحشروا أنفسهم. نحن يا أبو علي كنا وسنبقى حريصين على المنظمة ووحدتها، ولكن بصراحة، الإخوان حددوا موعد المجلس الوطني ومكانه في عمان ثم قالوا تفضلوا شاركوا ". وأشار إلى ان العادة المتبعة كانت تقوم على طبخ الطبخة بين " فتح " والديمقراطية معا ويتم لاحقا إطعامها للآخرين(٢). واتهم ياسر الإخوة في قيادة " فتح " بأنهم تسرعوا كثيرا، فيما تسرعت قيادة الجبهة أيضا وتم التصرف بشيء من الانفعال حين قررت عدم المشاركة في التنفيذية. واعترف ياسر بخطأ عدم قبول انتخاب ممثل الجبهة في اللجنة التنفيذية غيابيا. وأشار إلى أن اعتراض الجبهة على عقد المجلس الوطني في عمان لم يكن على المكان فقط، بل على النتيجة التي توقعت صدورها عن المجلس، والمكتوب يقرأ من عنوانه، وانعقاد المجلس في عمان في تلك الظروف كان سيوصل إلى اتفاق عمان وقد أوصل إليه فعلا. وقال ياسر: " اتفاق عمان يا أبو علي مس في حينه الأسس، مس الثوابت الفلسطينية، الدولة والتمثيل المستقل ".

واستحضر ياسر كيف تصرفت الجبهة عندما عقد المجلس الوطني دورته في عمان وتحملت مسئوليتها الوطنية عندما ظهر خطر عدم تأمين النصاب وتعرضت الشرعية الفلسطينية للتهديد. يومها، أعطت الجبهة الأولوية لحماية الشرعية الفلسطينية بغض النظر عن النتائج السياسية، ولم تحسب كلفة هذا الموقف في العلاقة مع جبهة الرفض

ومع القيادة السورية. وتم إبلاغ الرفاق أعضاء الجبهة في المجلس المتواجدين في عمان، وهم بحدود عشرة، أن يجهزوا أنفسهم للمشاركة ودخول قاعة المجلس واستكمال النصاب في اللحظة الأخيرة إذا لم يتوفر النصاب بدونهم. وهم عمليا كانوا موجودين في المجلس، صحيح أنهم لم يدخلوا القاعة، ولكنهم كانوا جميعهم متواجدين في الغرف الجانبية وجميعهم أعدّوا بطاقات العضوية التي تؤهلهم دخول القاعة في كل وقت.

وأوضح ياسر أهمية بقاء الجبهة و"فتح" جنبا لجنب وذلك يسهل العمل الوطني في لبنان وفي الساحات الأخرى. وتمنى ياسر أن تنتهي حالة التمزق التي تعيشها الساحة بأسرع وقت ممكن. وقال: "من أجل ذلك قد أستعين بكم للسفر إلى تونس من لبنان، خصوصا إذا ظل الإخوان في القيادة السورية مغلقين الحدود في وجهنا ويمنعوننا من السفر للخارج".

قلت إنه يبدو أن الجبهة دخلت رغم أنفها في خصومة جدية مع القيادة السورية، وهذا يتطلب إعادة النظر في تمركزنا في دمشق، وإذا كان التوجه لاستعادة الوحدة جدي فنحن حتما ذاهبون إلى صدام مع السوريين. وتنبأت بأنه إذا لم يتأخر السوريون في أغلاق الحدود في وجهنا ردا على دورنا في معركة مغدوشة، فالمؤكد أنهم سوف يغلقون المكاتب مقابل استعادة الوحدة الوطنية، ولا استبعد ان يبادروا إلى اعتقال بعض أعضاء القيادة والكوادر. وقلت: "ان من المعيب لنا عند شعبنا أن تتعرض المخيمات للدمار ومكتبنا السياسي في دمشق بعيد عن مقر قيادة منظمة التحرير. يجب إعادة توزيع تواجدنا. وقيادة منظمات الفروع الخارجية في الجبهة ولجنة العلاقات الدولية واللجنة المالية بالإمكان نقلها بسهولة إلى خارج دمشق حيث ينبغي ان يكون ياسر والأمين العام نايف.

عقب عصام بأن ما يقوله ممدوح صحيح تماما. وقدّر ان موقف الجبهة كان يمكن أن يكون مختلفا لو أن قيادة الجبهة كانت خارج دمشق عندما اجتمع المجلس الوطني في عمان. وطبعا لو كان موقف السوريين من المنظمة غير موقفهم المعروف لكانت كل الأمور الآن مختلفة. إلا أن التوجه السوري كان، كما وصفه، واضحا منذ اللحظة الأولى التي شجع السوريون فيها الانشقاق بقيادة أبو صالح وأبو موسى وقدري وأبو خالد العملة. واعتبر عصام وجود جميع أعضاء قيادة الجبهة الديمقراطية في دمشق خطأ يؤثر على قرار الجبهة بصرف النظر عن النوايا. وقال "شئتم أم أبيتم، الضيف أسير المحلي(أي المضيف)، ومن يشرب من البئر لا يرمي فيه حجارة، فكيف بالذي يسكن الدار؟ بالتأكيد إنه مضطر لمراعاة حرمتها". وأضاف: "اسمعوا من هذا العبد الفقير اخرجوا من دمشق، خذوا حريتكم في الحركة السياسية، وحافظوا على موقفكم الوطني المميز وعلى دوركم الرائد في القيادة الفلسطينية". ووجه كلامه إلى ياسر: "أنت الآن تناور وتلف وتدور بحثا عن طريقة تتهرب فيها من الضغط السوري، أنا واثق، لو أنك خارج دمشق وحواتمة خارج دمشق لكان موقفكم غير ذلك. معيب وطنيا بقاؤكم خارج اللجنة التنفيذية، يجب أن تعودوا بسرعة".

وافق ياسر على الاستخلاص الذي توصل له عصام، لكنه لاحظ انه ليس كل من هو خارج دمشق يمكن ان يكون له موقف مختلف. وضرب مثلا "صاحبنا أبو النوف موجود الآن خارج دمشق في الجزائر، لكنه يقف بقوة ضد ما نسعى له ويضغط باتجاه مراعاة موقف سوريا لأبعد الحدود". فقلت أنا إن نايف يفكر في العودة إلى دمشق ويبذل المستحيل لتحقيق ذلك، ولو كان وجوده خارج سوريا نهائيا لكان تفكيره اختلف. ولأنه يريد العودة فالمحتم ان يراعي السوريين أكثر حتى مما يراعيهم المتواجدون في دمشق؛ نايف حسم أمره لصالح مراعاة موقف سوريا وجبهة الإنقاذ على حساب اي شيء آخر. واقترحت على ياسر عدم العودة لدمشق، وتمديد إقامته في لبنان مدة ٧٢ ساعة نجهز خلالها ما يلزم بالتعاون أبو علي لسفره إلى تونس. وقلت: "سافر من هنا معززا مكرما خير من الترحيل من مطار دمشق أو الاعتقال"، وتنبأت بأن الترانسفير السوري لقيادة الجبهة من دمشق قادم حتما، ومن أبعد ياسر عرفات عبر مطار دمشق[٣] لن يتردد في ترحيل أبو ليلى وياسر عبد ربه والآخرين. وتنبأت بأن تكون إحدى نتائج معركة مغدوشة العظيمة طرد قيادة الجبهة من دمشق وإغلاق مكاتبها في الأراضي السورية. وأضفت مازحا: "وبعون الله، وتنفيذا لمشيئة القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية، سنبقى نضغط على السوريين من مغدوشة وشرق صيدا والرشيدية وشاتيلا حتى يطردوكم جميعا، ولن ننزل من مغدوشة ولن نخلي قرى شرق صيدا الا بعد خروجكم مسفّرين من دمشق، لن نغضب سواء رحلتم برا أو بحرا أو جوا".

ضحك ياسر وقال مجاريا مزاحي: "فهمت الآن خلفية موقف حضرتكم المتصلب. أنا مع خروج قيادة الجبهة الديمقراطية من دمشق، ونرجوكم، سهلوا لنا تكتيكنا في مغدوشة حتى نحقق هدفي وهدفكم". وأضاف متابعا المزاح: "أخشى أن تكون النتيجة النهائية لموقفكم المبدئي العظيم هي حبسنا في سجن المزة[٤]، ونزول حضراتكم مهزومين من مغدوشة، وعندها نكون مثل مصيفة الغور، لا صيف صيفت ولا سترها بقي عليها".

عقبت غير مازح بإن حبسهم في المزة ممكن، إلا أن خروجنا من مغدوشة غير ممكن طالما نحن أحياء ومن المؤكد انه غير مفيد. وأضاف عصام أنه الآن اكثر تمسكا بالوجود في مغدوشة، وقال إنه سيرسل الليلة تعزيزات إضافية، وسيتصلب في الموقف حتى يسمع خبر زج نايف حواتمة وياسر عبد ربه في سجن المزة أو أنهم رحلوا من دمشق بالبيجامات.. وتمنى ان يرحّل أبو ليلى بعدهم أو قبلهم.

قلت انا إن دخول يا ياسر ونايف المزة قد يحرك الشارع الفلسطيني والمعسكر الاشتراكي وعلى رأسه الرفاق السوفيت. الأخ أبو الفتح ومئات الشباب من "فتح"، لا بل الآلاف، بانتظار مجيء قادة كي يجعلوهم ماركسيين في السجن. ومازحت ياسر: "شغلكم ينتظركم داخل السجن، ولكم شغل مهم أيضا في تونس، اختاروا، كله شغل مفيد وضروري وفيه خدمة للقضية الفلسطينية والقومية العربية وللماركسية اللينينية".

فشل اللقاء مع قيادة "فتح" في التوصل إلى اتفاق

في هذه الأثناء، وصل الأخ عبد المعطي السبعاوي رئيس غرفة العمليات ومعه عدد من الإخوان. فطلب ياسر اقفال هذه الوصلة من الحديث المازح بسرعة، لأن الإخوان إذا سمعوا هكذا كلام لن يقبلوا بحث اي موضوع. ونهض من كرسيه باتجاه التلفون وقال: "يا أبو علي، يبدو ان القائد العام مفقود هو وأبو جهاد، طلبناهم منذ أكثر من ربع ساعة وحتى الآن لم يعثروا عليهم، لابد أن في الأمر شيئا ما".

نهض أبو علي لاستقبال القادمين وهو يقول إن "الختيار في أحسن أحواله هذه الأيام، لأن إحتلال مغدوشة حسّن مزاجه وأعطاه فرصة للانتقام من طرده من سوريا ولبنان. قبل معركة مغدوشة، كان أبوعمار، كما وصف أبوعلي حاله، يركض باتجاه الملوك والرؤساء العرب يطلب تدخلهم لإنقاذ المخيمات ولا حياة لمن تنادي ولا أحد يريد إغضاب السوريين. أما بعد مغدوشة، فالملوك والرؤساء جميعهم يجرون اتصالات يومية معه ويطلبون منه حل القصة وهو الذي يتهرب من الاتصالات، وإذا كان يتهرب من الحديث مع الملوك فلم لا يتهرب من الحديث معكم؟"

انضم الينا عبد المعطي أبو ياسر وعلاء وكمال مدحت وزيد وهبة. قال أحدهم إن بقية الإخوان على الطريق. وحزر علاء: "أكيد أنتم تتحدثون عن الأخ القائد العام، هو يبحث عنكم، قبل حضورنا كنا نتحدث معه، نقطة قبرص حولت الخط عند الأخ أبو ياسر. كانوا يعتقدون أنكم موجودون عنده، على كل، أبلغناهم أنكم عند أبو علي وهم الآن سيكلمونكم". وحذرنا علاء من أن الأخبار المنقولة لعرفات تفيد بان ياسر عبد ربه قادم من دمشق لتنفيذ قرار الجبهة بالإنسحاب من مغدوشة، وهو ساخط. وقدم علاء نصيحة خلاصتها عدم فتح موضوع تسليم مغدوشة للقوى الوطنية. وأشار إلى أن "فتح" تحضر بناء على تعليمات أبو عمار لهجوم واسع الليلة لطرد "أمل" من بقية البلدة. "هكذا طلب منا القائد العام، ونحن جهزنا أنفسنا على هذا الأساس ووضعنا الترتيبات اللازمة مع الأخوين عامر قاروط وعبد الكريم أبو ربيع". ثم ترحم علاء على روح محمود خليفاوي وأبو سمرة وتمنى الشفاء العاجل لأبو اللطف. وقال: "إخوانك يا ياسر كلهم طيبون ومناضلون شجعان، لكن التفاهم مع محمود وأبو سمرة وأبو اللطف كان أسهل من التفاهم مع القاروط وعبد الكريم. وحتى لا نظلمهم، أعتقد ان السبب يعود لكون عبد الكريم وعامر لم يواكبا المهمة من بدايتها، خصوصا عامر، أخونا عسكري مرّ وقابض ما تعلمه في الكلية الحربية اكثر من اللزوم. يريد الأمور على الكاتالوج. قلنا له يا عامر أترك دروس الكلية جانبا".

سألت: "على ماذا اختلفتم"؟

فرد عبد المعطي السبعاوي بأن الأخ عامر مقاتل جيد وقائد ميداني لكنه نظامي أكثر من اللزوم. وضرب السبعاوي مثلا: "قلنا له الليلة هجوم، قال الليلة هجوم، وطلب منا

أمر قتال خطي ليناقشه، قلنا له أمر القتال واضح في الرأس نبحثه معا. قال لا، نحن نظاميون وتعلمنا العمل على النظام، نحن في قوات الجبهة نضع قبل أي مهمة قتالية أمر الحركة على الورق وكل رفيق يأخذ نسخته وينفذ القسم المتعلق به. قلنا له تساهل معنا اليوم. قال لا، أنا سأضع أمر القتال وسيكون جاهزا قبل عودتكم. قلنا له يا أخي ضع وارسم ما تريد ونحن جاهزون لتنفيذ أوامرك. ثم عقب السبعاوي "على كل حال، الإخوان كويسون وهم مع الهجوم". وأضاف موجها الحديث إلى ياسر، "والله يا أبو بشار، أنا ارتحت عندما وافق الإخوان على الهجوم، بصراحة، كنت أخشى أن تكون الوجهة الإنسحاب. موافقتهم على الهجوم طمأنتني، وهذا الكلام قلته للأخ القائد العام وللأخ أبو جهاد".

عقب ياسر: "يبدو أنك صدقت ما تقوله إذاعة صوت الشعب وجريدة النداء".

رد عبد المعطي السبعاوي: "أنا والله لم أقرأ جريدة النداء ولا سمعت راديو جورج حاوي، سلامة رفاقكم في الشعبية وسلامة برقياتكم". وبيّن أن الرصد اللاسلكي التقط أمس برقية لم يعرف مصدرها ولا لمن هي موجهة، تقول إن قرار القوى الوطنية اللبنانية وفصائل الإنقاذ والجبهة الديمقراطية هو إدانة عملية مغدوشة باعتبار انها تمدد "عرفاتي" يلحق الأذى بالعلاقة النضالية بين الشعبين والحركتين الوطنيتين. ونهاية البرقية تقول إن الاجتماع كلف يا سرعبد ربه بالتوجه إلى لبنان لمعالجة تمرد ممدوح نوفل وسيتم سحب قوات الديمقراطية من مغدوشة خلال ٢٤ ساعة. وقال السبعاوي: "لا أخفيكم أننا راقبنا الوضع على الأرض في مغدوشة، لم نلحظ أي تحركات غير عادية لرفاقكم. سألناهم عن الموضوع قالوا هذه إشاعات. سألنا هل هم جاهزون لهجوم مشترك، قالوا جاهزون، قلنا الحمد لله، هذه إشاعات هدفها تقسيمنا. على كل، اتركونا من هذا الموضوع ودعونا ندخل في الحديث الجدي والمفيد".

سأل ياسر: هل البرقية معك؟ وطلب نسخة منها للضرورة. رد علاء بأن البرقية عنده في الأرشيف ومصدرها إما جهاز الجبهة الشعبية أو جهاز جماعة المنشقين بقيادة أبو موسى، والأرجح جماعة المنشقين.

وسأل عصام إخوانه عما إذا كانوا قد عقدوا اجتماعا قبل حضورهم. وأشار إلى أنه طلب من محطة قبرص البحث عن الأخ أبو عمار وهو لا يدري كيف حول الخط إلى مكتب أبو ياسر. وأضاف: "أكيد عامل السنترال المحلي هو الذي حول المكالمة وهذه ترتيبات أبو ياسر من خلف ظهري". ورجا عصام أبو ياسر أن لا يعملها مرة ثانية. وأقترح ان نبدأ اجتماعنا على أن يلتحق الإخوان الآخرون بنا. وقال إن الأخ فتحي أبو العردات عضو قيادة الإقليم مسؤول تنظيم "فتح" في منطقة صيدا والآخرين قادمون على الطريق.

قال عصام إن الأخ ياسر عبد ربه معروف لكم جميعا وهو من قيادة شعبنا عضو لجنة تنفيذية حتى لو كان الآن خارج اللجنة التنفيذية. ورحب بياسر ثم دعاه للكلام. وقال:

" وطبعا جميعكم تعرفون ومبلغون ان الأخ العميد ممدوح هو قائد قوات م.ت.ف. في لبنان " (٥).

بدأ ياسر حديثه بالإشادة بتحرير مغدوشة وطرد "أمل" منها. وتحدث عن قيمة هذا الانجاز بالنسبة لوضع المخيمات وتأثيره على مجمل الوضع الفلسطيني في لبنان. ثم انتقل للحديث عن الوحدة الوطنية الفلسطينية على مستوى لبنان ومخيماته وعلى المستوى الوطني العام. كان الحديث وافيا ومقنعا ومؤثرا، شد انتباه الإخوان. إلا أن الإنشداد والحماس تراجعا عندما تحدث ياسر عن دور القوى الوطنية اللبنانية وضرورة تحشيدها إلى جانبنا. قاطعه بعضهم واستفسر عن نتائج اللقاءات مع وليد جنبلاط ومصطفى سعد.

أدرك ياسر أن الاخوة في قيادة " فتح " لم يكونوا مرتاحين للقاءين مع مصطفى ووليد قبل اللقاء معهم أولا. وقلل من قيمة ما دار في اللقاءين ووصفهما بأنهما بروتوكوليان تما للتعرف على المواقف الحقيقية للإخوان الوطنيين اللبنانيين. ووصف مواقف اللبنانيين في اجتماعات دمشق بأنها سيئة وسلبية. وقال: "إن الأساس في الموقف هو ما نتفق عليه نحن وأنتم. نحن لم نذهب إلى المختارة أو بيت أبو معروف لنصوغ اتفاقات من خلف ظهر " فتح " ، صياغة الاتفاقات تتم أولا بين الشركاء في المعركة " .

وتحدث عن لقاءات دمشق ونعتها بأسوأ النعوت، ومنها عرج على ما يشاع حول موقف الجبهة من البقاء في مغدوشة وحذر من الوقوع في حبال التشكيك التي يزرعها الإخوان السوريون. وشدد على وحدة الموقف بين "فتح" والديمقراطية. وقال إنه مهما سمعتم من أقوال الآن أو غدا فإن موقفنا ثابت خلاصته: "لا إنسحاب بوصة واحدة من مغدوشة قبل فك الحصار عن المخيمات وليبلطوا البحر" . وطالب بالإسراع في حسم الوضع العسكري في البلدة بصورة نهائية وطرد "أمل" مما تبقى لها من مواقع بسرعة. وشدد على ضرورة الانتباه وعدم الاسترخاء، لأن السوريين فقدوا صوابهم، ولم يستبعد إمكانية أن يرسلوا قوات لمؤازرة قوات "أمل" في مغدوشة. وقال : " ملاحظتي على الإخوان في دمشق انهم متأثرون من سقوط مغدوشة بأيدي المقاتلين الفلسطينيين أكثر من تأثرهم يوم سقوط الجولان بأيدي القوات الإسرائيلية وهم مهتمون باستعادة مغدوشة أكثر من إهتمامهم باستعادة الجولان " .

ثم تحدث ياسر عن المناورات السياسية التي ينبغي أن نسلكها لنكسب الوقت ونعطل الضغوط السورية ولشل إمكانية تفكيرهم بالمشاركة في العمليات أو الانتقام في مواقع أخرى. وقبل أن يطرح فكرة تسليم مغدوشة نظريا لأبو معروف وتكرار تجربة صيدا، كرر تأكيده على الموقف الثابت. وكرر الحديث عن مناورات كلامية ليست مطروحة للتنفيذ بل للأستهلاك التكتيكي. ثم قال إن الفكرة هي أن نبدأ بالحديث عن استعداد فلسطيني للإنسحاب من مغدوشة وتسليمها للقوى الوطنية اللبنانية بقيادة

أبو معروف، وهذه الخطوة يجب أن يسبقها وقف شامل ونهائي لإطلاق النار وفك الحصار عن المخيمات ودخول التموين.

بعض الإخوان أثنى على الفكرة طالما أنها ليست مطروحة للتنفيذ: آخرون دعوا إلى أن نضيف حزب الله للقوى الوطنية التي سوف تتسلم مغدوشة، او أن نضيف إطلاق سراح المعتقلين، وإنسحاب قوات حركة "أمل" كليا من محيط المخيمات، وفتح الطرقات المؤدية للمخيمات وطريق طرابلس.

علقت أنا مازحا بعد ان توالت الإضافات والشروط والمطالب الكثيرة وقلت: أقترح ان نضيف حل الحزب الشيوعي اللبناني، ومحاكمة نبيه بري وشنقه في ساحة بئر العبد أو الشياح. ثم أضفت جادا إننا لا نفاوض بعضنا بعضا، بل نفكر معا في التكتيك الذي يسهل عملنا. وقلت إننا إذا أردنا نجاح التكتيك فعلينا أن نخفف ونقلل الشروط والمطالب حتى يكون موقفنا أقرب للمعقول بحيث تفهمه جماهير "أمل" وتفهمه جماهيرنا. ودعوت إلى أن نظهر مرونة على أن نتشدد في الحرص على إنقاذ المخيمات. وذكرتهم باننا نتكلم هنا عن مناورات كلامية نتبعها في صلاتنا مع القوى والجماهير الفلسطينية واللبنانية، ولسنا جالسين على مائدة مفاوضات مع قيادة "أمل". ولهذا اقترحت أن يربط الإنسحاب من مغدوشة بفك الحصار عن المخيمات ودخول التموين، وهذا يتضمن طبعا وقف إطلاق النار.

أحدهم قال إنه ضد كل هذه المناورات وألاعيب السياسة لأن لها تأثيرا سلبيا على الروح المعنوية للمقاتلين ورأى أن الكلام عن الإنسحاب يتعارض مع الكلام عن استكمال تنظيف البلدة وتطهيرها من قوات "أمل"، ونبه إلى برقية القائد العام وكلامه على التلفون، وقال: "أنا فهمت من حديث القائد انه ممنوع على أي فتحاوي الحديث لا بالمناورات ولا بسواها عن الإنسحاب حتى لو فكوا الحصار وأوقفوا إطلاق النار.

إصرار عرفات على موقفه يخلق متاعب كبيرة

في هذه الأثناء، رن جرس الهاتف، فتناوله أبو علي عصام ثم ناوله لياسر بشيء من الانفعال وهو يقول إن الوالد على الخط[٦].

تناول ياسر التلفون ونادى عدة مرات ثم وضع يده على السماعة وقال إنه يظهر أنهم ذهبوا لينادوه. في هذه اللحظات، ودّعنا عدد من قادة "فتح" ورجونا أن نقول إذا سأل أبو عمار عنهم أنهم في مغدوشة وهم يحضرون للهجوم وفق أوامره. وعقب أحدهم بأنه إذا حضر الماء بطل التيمم، وقال: "تفاهموا مع القائد العام وأبلغونا النتيجة خطيا ويفضل بخطه، ونحن جاهزون للتنفيذ.

كان ياسر ينتظر المتكلم على الطرف الأخر، وقال للمغادرين معقبا على كلامهم أنه سيطلب من أبوعمار أن يحدد لهم كيف يجلسون وكيف يأكلون ويشربون ومتى ينامون وكيف يمشون. قال أحدهم إنه إذا فعل أبو عمار ذلك فإنه يريحنا ويسهل علينا الحياة.

بدأت المحادثة وقال ياسر: "كيف حالكم.. مشتاقون..جميع الإخوان موجودون بطرفنا ويهدونك تحياتهم، زرنا الأخوين وليد ومصطفى وهما وإخوانهم يهدونك التحيات، الوضع بطرفنا ممتاز يا ختيار". ثم راح يستمع لكلام أبو عمار. وحين تكلم ثانية قال: "هذه إشاعات يا أخ أبو عمار". ثم صمت. وبعدها قال: "يا ختيار اسمعني! نحن متفقون تماما على كل ما طرحته، وهذا ثبتناه قبل قليل مع أبو علي وبقية الإخوان. الفكرة مجرد مناورة سياسية وليس أكثر، وأنت أول ورب من ناور، هدفنا هو إظهار مرونة لفظية فقط، وهذا مفيد لنا في علاقاتنا، ومفيد أكثر إذا صدر موقف من جانبكم يقول إن قوات الثورة صعدت إلى مغدوشة دفاعا عن النفس ولحماية المخيمات في منطقة صيدا، وهي مستعدة للإنسحاب منها عندما تزول الأسباب التي أدت إلى انفجار معركة مغدوشة، وأن يقال أيضا من جانبكم إن قوات الثورة مستعدة للعودة إلى مواقعها السابقة عندما يتم فك الحصار وتتوقف الحرب الظالمة على المخيمات ويدخلها التموين بصورة طبيعية".

وأضاف ياسر: "مفيدة حركة من جانبكم يا ختيار باتجاه أصحاب أبو العز (يقصد الجزائر) وأيضا باتجاه جاركم الشرقي(يعني ليبيا) وحبذا لو أخونا العقيد يسحب صاحبه الموجود عندنا (عبد السلام جلود) موقفه سيء جدا جدا".

ثم صمت ياسر، وكان يردد بين فترة وأخرى: صحيح صحيح، أو متفقون، ومتفاهمون، ومجرد مناورة وتكتيك فقط. وفجأة انفعل ياسر وقال: "أخ أبو عمار، أنت تعرف موقفنا، نحن لم نخضع للضغوط، ما وصلك عن اجتماعات دمشق كذب في كذب. نحن لم نوافق على الإنسحاب، هذا رأي قيادة الشعبية ورأي عبد السلام جلود. نحن أحرار في حضور أو مقاطعة الاجتماعات في دمشق". وقال: "تأكد أخ أبو عمار أننا نزن حركتنا، وموقفنا محكوم بدقة وفق مصلحة أبناء المخيمات ولا شيء آخر".

لاحظت التوتر، وقلت ياسر أن أعطني الكلام. صمت ياسر للحظات وهو يستمع ثم ترك السماعة لي.

بدأ أبوعمار حديثه لي بالإشادة بدوري الشخصي وبدور قوات الجبهة وكل المقاتلين الفلسطينيين في الدفاع عن الوجود الفلسطيني في لبنان. ثم انتقل للحديث عن المؤامرة السورية الإسرائيلية الأمريكية المرسومة لتهجير الفلسطينيين من لبنان بعد تجريدهم من السلاح. وتحدث عن تحرير مغدوشة وأهميته، وشدد على ضرورة الاحتفاظ بكل مواقعنا وعدم التفريط بأي منها مهما كانت الضغوط. كما شدد على ضرورة

الخلاص وتنظيف مغدوشة نهائيا الليلة من بقايا قوات "أمل" والاستعداد للزحف جنوبا والوصول إلى مخيم الرشيدية. وقال إنه طلب من علاء أن يضع القوة البحرية أيضا تحت إمرة ممدوح، وذكر ان العميد أبو المعتصم أرسل هدايا ستصلنا خلال أيام. كنت استمع وأقول أحيانا شكرا، وأحيانا هذا واجب، وأحيانا بسيطة، نصبر ونتحمل، وأحيانا هذا بفضل تضحيات الشهداء إلى آخر ما هناك من الكلمات التي توحي بالتفاعل والتجاوب. ثم قال: "قبل أن أعطيك أخوك أبو المعتصم، أنت يا ممدوح قائد القوات في لبنان باعتبارك عضو مجلس عسكري أعلى للثورة وكل قوات الثورة تحت أمرتك، ومغدوشة وصيدا ومخيمات شاتيلا والرشيدية والبرج أمانة في عنقك وعنق كل واحد من إخوانك".

قلت: "أخ أبو عمار، قبل الحديث مع أبو المعتصم أود أن تسمع رأيي باختصار.

- تفضل.

- بداية، شكرا على الثقة، وهذه مسؤولية كبيرة أرجو أن أوفق في تحملها وأخفف من عذاب شعبنا. أخ أبو عمار، الوضع في مغدوشة جيد وأنا اعني ما أقول، إطمئن، لا تقلق، ولا تصدق ما يقال في دمشق وفي الإذاعات المحلية اللبنانية. الحسم العسكري السريع للوضع في مغدوشة ممكن لكنه مكلف جدا، والحسم التدريجي يفي بالغرض وبكلفة أقل. حدود التدخل السوري باتت واضحة، إسرائيل لم تسمح لهم بتجاوز النهر والتقدم باتجاه مغدوشة وشرق صيدا. لو سمحت لما انتظروا حتى الآن ولما لجأوا للعرب ليضغطوا علينا.

- لكن ما سنضعه في معارك الاستنزاف يا ممدوح يمكن أن يكون أكثر مما نقدمه دفعة واحدة في معركة فاصلة.

- جيد، سندرس الموضوع نحن والإخوان ونبلغك وجهة نظرنا.

- لا يا ممدوح، هذا أمر عسكري عليكم تنفيذه، وأنت عسكري، أم أنك نسيت عسكريتك؟

- لا، يا أخ أبو عمار، لم أنس العسكرية، وخلّ ثقتك في الإخوان هنا عالية، لا تصدق الإشاعات حول اجتماعات دمشق، ما ينقل كلام ليس دقيقا.

- ولكن معلوماتي الأكيدة أن ياسر وافق في آخر اجتماع بحضور عبد السلام جلود على الإنسحاب من مغدوشة، وأنت تعرف دقة مصادري، معلوماتي من داخل الأركان السورية.

- هذا كلام غير صحيح، ياسر لم يحضر ذلك الاجتماع. وياسر يطالب هنا، منذ لحظة وصوله، بحسم الوضع العسكري في مغدوشة وطرد قوات "أمل" بصورة نهائية. فكرة ياسر لا تتجاوز تكرار ما فعلناه في قرى شرق صيدا بموافقتكم، عندها انفعل

أبوعمار وقال إن الوضع مختلف، وهذا يحتاج إلى قرار، ولا يجوز اللعب بالقضايا الكبيرة يا ممدوح.

ـ أخ أبو عمار، لا أحد يلعب، الكل يتحمل مسؤوليته في حماية المخيمات.

لاحظ ياسر التوتر وطلب أن أوكد لعرفات ان الموضوع مجرد مناورات سياسية هدفها تقليص الخسائر وتوسيع جبهة الأصدقاء.

قلت: أخ أبو عمار أرجوك ان تترك لنا حق المناورة بالكلام بحدود وبما نعتقد انه يخدم المصلحة الوطنية ويسهل عملنا.

لم يعجبه الاقتراح بل قال: "يظهر أنك خربت منذ بدأت تشتغل سياسة، أتركك من الحديث السياسي يا ممدوح وركز جهدك في الشؤون العسكرية".

طاب ياسر أن أترك السماعة له. قلت: "جملة أخيرة أخ أبو عمار قبل أن أعطيك ياسر من جديد، ما أريد قوله: كونوا على ثقة بأننا نقاتل دفاعا عن المخيمات وإعلاء كلمة م.ت.ف. وسنقوم بكل ما يمليه علينا الواجب من مهمات من أجل صمود مخيمات شاتيلا والرشيدية والبرج وانتصارها على كل أعدائها، وسنبقى في مغدوشة حتى تنتصر المخيمات.

ـ بارك الله فيك، إحسموا الوضع دون تردد.

وحين تكلم ياسر بدأ بالتأكيد على أن الإخوان جميعا يقدرون حجم المسؤولية الملقاة على عواتقهم، ويعرفون في الظرف الراهن قيمة الإنجاز الذي تحقق في مغدوشة، وأن الأمور في دمشق وبيروت لم تنضج لإجراء حوار ومباحثات مباشرة مع تونس حول مغدوشة. وقال إن الإخوان في قيادة لبنان مضطرون للدخول في نوع من المباحثات ومضطرون للمناورات وما شابه ذلك. وصمت ياسر لحظة ثم قال: "على كل حال، سنكلف بعض الأصدقاء ممن تثق بهم بجس النبض، وقد طرح هؤلاء فكرة مباحثات رسمية أو غير رسمية تجريها قيادة "أمل" مع المنظمة حول كل الوضع الفلسطيني، تحت عنوان مباحثات لتنظيم العلاقة بين الثورة الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية، هذه فكرة. ومن المفيد أن يتحرك الإخوان الجزائريون ويتبنوا الفكرة ويشتغلوا عليها، وأنت تعرف علاقاتهم مع نبيه بري وقد بات ممكنا استثمارها".

ثم صمت ياسر، وظل يردد بين لحظة وأخرى: جيد، لا مشكلة، سنحاول.

وبعد انتهاء المحادثة، جلس ياسر وجلس الباقون من أعضاء قيادة "فتح"، كان عددهم أقل من النصف، بادرعصام الكلام وقال تقارير الفاكسات هي السبب، "أنا لاحظت عليه منذ الصباح التوتر من موقفكم".

قدّر ياسر أن عرفات مستوعب الوضع بشكل جيد، لكن المشكلة تكمن في انه يعتقد أن هناك فرصة إجراء مباحثات مباشرة بين "أمل" ومنظمة التحرير إذا تعذر إجراء مباحثات بين سوريا والمنظمة. وعبر ياسر عن اعتقاده بأن الفرصة غير سانحة بسهولة والأمور لم تنضج بعد. وأشار إلى ضرورة بذل محاولات جدية والتحرك بهذا الاتجاه.

أضاف عصام معلومة مهمة ووصفها بأنها غير مؤكدة وغير رسمية، خلاصتها أن أبو الهول (هايل عبد الحميد) عضو مركزية "فتح" التقى مع أحد كبار ضباط المخابرات السورية في قبرص وبحث واياه الوضع في لبنان ووضع كوادر "فتح" المعتقلين في السجون السورية. ويعتقد عصام أن أبو عمار يراهن على هذه الاتصالات ويريد استخدام مغدوشة ورقة مساومة. من جانبه، أكد ياسر ان معلوماته المستخلصة من أجواء دمشق تشير إلى أن الإخوان في القيادة السورية ليسوا بصدد الوصول إلى حل مع قيادة المنظمة خصوصا مع أبو عمار، وان مشروعهم يسير باتجاه آخر، وهدفهم شطب القيادة والاستيلاء على المنظمة.

هنا، قلت أنا إننا مضطرون للمغادرة لأن موعدنا في بيت الشيخ ماهر حمود مع مشايخ حزب الله قد حل، ورجحت أن يحضر اللقاء ممثل عن السفارة الإيرانية. وأقترحت أن نذهب معا إلى هناك. على أن نثبت الاستخلاصات وتوجهات العمل.

قال عصام إن الاستخلاصات العسكرية المشتركة تتطلب وجود الآخرين، علاء وعبد المعطي. والصلات مع الجماعات الإسلامية يتولاها الأخوان علاء وعبد المعطي السبعاوي وليس هو. وأوضح عصام ان علاقة السبعاوي حميمة جدا مع الشيخ ماهر محمود، وعلاقاته الأخ علاء مع حزب الله والشيخ جيدة. وقال إن الإخوان الآخرين في قيادة "فتح" يجرون اتصالات لكنها غير رسمية. واقترح ان يشارك علاء وعبد المعطي في اللقاء عند الشيخ ماهر حمود. وطلب من السنترال البحث عن علاء وعبد المعطي وابلاغهما ضرورة الحضور للهمشري. قال زيد وهبة إن لدى الأخوين علاء وأبو ياسر عملا وحضورهما صعب. وبيّن أن التنظيم حضر لهما بناء على أوامر أبوعمار أعدادا كبيرة من مليشيا التنظيم، والشباب جميعهم مقاتلون جاهزون للهجوم الليلة لحسم وضع مغدوشة وفقا لأوامر الختيار. وهؤلاء الشباب ينقصهم بعض التجهيزات الإدارية، وتمنى على أبو علي صرف اللوازم المسجلة في طلبية الصرف.

دخل عصام في نقاش تفصيلي حول الطلبية وحول الموجود والمصروف سابقا وما شابه ذلك. فتدخل ياسر عبد ربه وطلب تأجيل بحث القضايا العملية. وتابع ياسر حديثه بالتأكيد على ضرورة التركيز في اللقاء مع حزب الله ومشايخ الشيعة على الجانب الإنساني المتعلق بأوضاع المخيمات المحاصرة، وان نطلب منهم تنظيم وفد يدخل المخيمات ويطّلع على أوضاع أهلها مباشرة، وأن يتم تسليمهم رسالة باسم

أهالي المخيمات موجهة إلى الإمام الخميني يكون مضمونها هو ما ورد في برقية شباب الرشيدية إلى الإمام ومطالبتهم إياه بإرسال مبعوث خاص من طرفه ليقيم معهم في المخيم مؤقتا.

وحول مغدوشة، أقترح ياسر أن نسمع مطالب حزب الله ولا نعطيهم في هذا اللقاء شيئا بل نقول أننا جاهزون للبحث في كل الوضع ومن ضمنه مغدوشة على أن يتم البحث بعد فك الحصار عن المخيمات وليس قبله، وبعد دخول التموين. وحث ياسر على أن نحمّل مشايخ الحزب مسؤولية أعمال قوات "أمل" وقيادتها من منطلق الموقع الديني الذي يمثلونه ومبادئ الإسلام، ونطلب منهم إصدار فتوى ضد نبيه بري وضد أعمال حركة "أمل".

في هذه الأثناء، رجع المقدم عبد المعطي أبو ياسر وقال وهو مقبل علينا أنه يشكر الإخوان في الديمقراطية الذي تكرموا على الفتحاويين بالمشاركة في اللقاءات مع حزب الله، وأضاف "هذه بادرة خير، كنت أعتقد أنكم ستكملون جولتكم وحدكم". وبهذا كان عبد المعطي يغمز من قناة الديمقراطية على أساس أنها تتصل بالآخرين من وراء ظهر فتح.

قلت، ردا على السخرية واللوم: "أبو ياسر هذا كلام في غير محله، أنت تعرف طبيعة العلاقة القائمة بيننا، ودورنا تجاه "فتح" منذ عام ١٩٨٣ حتى الآن واضح ومعروف للجميع"[(٧)].

نصح عبد المعطي بأن نضع في حسابنا أن قيادة حزب الله سوف تطلب أن يكون للحزب وجود عسكري في مغدوشة، وقد وافقت قيادة "أمل" على تواجدهم، وهي تطالبهم بالمشاركة في المعركة ضد الفلسطينيين. وروى أن قيادة حزب الله بصدد اتخاذ القرار، وهم يفضلون دخول البلدة من دون قتال مع أحد، وهذا يفيدهم في صراعهم مع "أمل" على زعامة الطائفة. وأشار عبد المعطي إلى انه أرسل رسالة للختيار بهذا الخصوص، والمهم أن لا يدخل حزب الله المعركة بجانب حركة "أمل" تحت شعار الدفاع عن الطائفة وحماية قراها، لان دخوله يطيل معركة مغدوشة ويعقدها عسكريا وسياسيا.

رد ياسر بأن هذا يدفعنا للحديث مجددا عن الحسم السريع والنهائي للوضع العسكري في مغدوشة. ورأى أن لا نعطي حزب الله جوابا نهائيا حول طلباته، بل نقول إننا سندرس الأمر ونتشاور مع القيادة، ونطلب مقابل طلباتهم دخول وفد منهم إلى مخيم الرشيدية مثلا أو وقوفهم على حواجز حركة "أمل" ومنع الاعتداءات على الفلسطينيين، ونضغط باتجاه دخول مشايخ الحزب لمخيم الرشيدية ولو من باب الزيارة وضرورة إدخال كمية من التموين باسم حزب الله وأخرى مساعدة من الإمام الخميني.

وحول الموقف في مغدوشة، لخص ياسر التوجه المشترك بنقطتين رئيسيتين: الأولى، حسم الوضع العسكري بسرعة، والثانية، عدم الإنسحاب من البلدة إلا بعد فك الحصار

بصورة شاملة وكاملة عن المخيمات، والاتفاق على وقف نهائي لإطلاق النار والتعهد بعدم خرقه. وحول التكتيك السياسي بشأن حديث الإنسحاب وسواه، فضل ياسر ان لا نقيد أنفسنا بموقف واحد، بل نوزع الأدوار ونتحدث بأكثر من لغة حسب طبيعة اللقاءات والاجتماعات التي تتم، بعضنا يوافق وبعضنا يعارض.

لقاء مع قيادة حزب الله ومشايخ الشيعة

في بيت الشيخ ماهر، كان عددنا نحن كبيرا نسبيا. ووجدنا ما لا يقل عن عشرة مشايخ لا أعرف منهم معرفة شخصية سوى الشيخ عباس الموسوي والشيخ عبد الكريم عبيد. بينما لاحظت ان عبد المعطي السبعاوي يعرفهم جميعا، وكان استقبالهم له حارا.

قبل دخول مجلس المشايخ عليك خلع الحذاء، المجلس أرضي، والمكان ذاته يستخدم للصلاة. وأثناء خلع الأحذية، همست في إذن عبد المعطي: "يبدو أنك على صلة وثيقة معهم ودفعاتك المالية الشهرية لهم منتظمة". قال: "للأمانة، أزورهم بانتظام، ومعظمهم لديه مسؤوليات اجتماعية وهم يقدمون لنا مساعدة كبيرة ويوفرون الحماية لعدد كبير من العائلات الفلسطينية التي تعيش خارج المخيمات في منطقة صور، وصدقا يتكفلون إطعام نسبة كبيرة بصمت. ونحن في "فتح" بناء على تعليمات الختيار واصلنا تحمل المسؤولية رغم الحرب مع حركة "أمل" الشيعية. وأنت تعرف، الختيار يقول دائماً إننا نتقاسم لقمة العيش مع اللبنانيين في السراء والضراء". قلت مازحا: "غدا في دولة فلسطين، إذا قامت إن شاء الله وبقينا أحياء، سأسمع من أبوعمار نفس الجملة، وقد يقول لبعض الأحزاب والجماعات اليهودية انتم أولاد عمنا ونحن وإياكم سنتقاسم الزيت والزعتر ورغيف الخبز".

قال عبد المعطي: "هذه مزحة ثقيلة أنا لا أستطيع تحمل وصولها للختيار منقولة على لساني. ولكن بيني وبينك أظن انه سوف يقولها ويقول ما هو أكثر منها...".

- حتى المزحات يكتب فيها إخوانك تقارير للختيار؟

- يا رجل، كتبة التقارير يحصون علينا أنفاسنا، أعاننا الله عليهم بعد قيام الدولة.

دخلنا صالون المجلس. وبعد التحية، جلسنا موزعين بين المشايخ. بدأ صاحب البيت الشيخ ماهر حمود الحديث بالبسملة، ثم رحب بالوفد الفلسطيني، وانتقل للتعريف بالمشايخ، كل باسمه ولقبه أو رتبته الدينية ومهمته، ولم يشر إلى أي مهمات سياسية لأي منهم لا في حزب الله ولا في تنظيم الجماعة الإسلامية. وعرف الوفد الإيراني: الأخ المؤمن أبو أحمد يعمل في سفارة الجمهورية الإسلامية في دمشق، وآخر يعمل في سفارة إيران في دمشق، كلاهما طليق اللحية، لكنهما لا يرتديان ملابس المشايخ.

بعد التعريف، تحدث الشيخ ماهر عن الفتنة القائمة بين المسلمين على أرض لبنان، وقال إن النصارى الكبار وهو يقصد الأمريكان والأوربيين، والنصارى الصغار، ويقصد المسيحيين في لبنان، نجحوا في خلق هذه الفتنة، ساعدهم على ذلك، حسب قوله، بعض القيادات التي باعت نفسها للشيطان. واستنكر الشيخ ما يجري ضد المسلمين من أطفال ونساء ورجال في المخيمات. وختم حديثه بالقول إن هذه بلوى من الله عز وجل ليمتحننا. وأكد حق المسلمين وواجبهم في الجهاد وحمل السلاح ضد اليهود وضد أعداء الإسلام. ودعا الله أن يعيد اللحمة لصفوف المسلمين ويمكن الحاضرين من وأد الفتنة وقطع الطريق على الكافرين المستفيدين منها ويوفق الجميع في البحث والنقاش. ثم توجه للرفيق ياسر وخصه بالترحيب من جديد ودعاه للكلام.

بدأ ياسر حديثه بشكر الشيخ ماهر على ترتيب اللقاء. وسجل تقدير الشعب الفلسطيني لموقف علماء المسلمين مما يجري ضد الأبرياء. وشكر المشايخ، وقدر لهم مواقفهم الصادقة وتحملهم مشقة السفر لحضور اللقاء. وعرف بالوفد الفلسطيني دون ان يستخدم كلمة رفيق في التعريف على أي من قادة الجبهة، بل وصف الجميع بالإخوان.

كنت جالسا بجانب الشيخ ماهر حمود الذي تربطني به علاقة وثيقة، وقد همس الشيخ في أذني بأن الأخ ياسر عبد ربه أسقط عنا، نحن رفاقه، ماركسيتنا ولم يصفنا بالرفاق، ثم قال "أنتم يا ديمقراطية خطيرون، مع المشايخ شيوخ ومع القوميين قوميون ومع الماركسيين ماركسيون حمر". قلت: "يا شيخ ماهر، هكذا تعلمنا من الماركسية، وأدعو الله أن يوفقك ويهديك إلى خطى انجلز وماركس ولينين وليس ستالين". ضغط الشيخ على يدي وقال: "استغفر الله العظيم، مزحاتك ثقيلة يا شيخ ممدوح، هداك الله إلى ما فيه الخير.

تابع ياسر حديثه وعبر عن أعتقاده بأن مشايخنا الأفاضل ملمون بما يجري ضد أهلنا، وهذه قضية تهم الجميع، ونحن نرى فيما يجري جريمة بحق الدين والقيم والأخلاق والإنسانية. وقال إن شعبنا يعاقب لأنه مشرد من دياره ويناضل من أجل العودة إلى وطنه. وأشار إلى ان المسألة ليست صراعا بين هذا الفرد أو ذلك، بين هذه الطائفة أو تلك، بل إنها صراع سياسي بين خطين: خط يسعى للتكيف والتجاوب مع الاستعمار الأمريكي وخط يقاوم السياسة الأمريكية. وبّين كيف أن أعداء العرب والمسلمين يريدون تصفية البندقية الفلسطينية لأنهم يخشون من ظاهرة تسليح الجماهير. والأمريكان يزرعون الأوهام فيصدقها بعض العرب ويركضون نحو السراب الذي يوحي به الأمريكي. وقال إن ثمة من يعتقدون أن الفلسطينيين عقبة أمام حل القضية اللبنانية. وأكد ان هؤلاء واهمون، وتصفية الوجود الفلسطيني لا تحل مشكلة لبنان. العقبة هي أمريكا وإسرائيل، وهم لا يريدون أي حل للازمة اللبنانية في هذه المرحلة، بل يريدون إبقاء لبنان ملعبا تتلهى به شعوب المنطقة وجرحا نازفا في الوضع العربي.

ثم تحدث ياسر عن أحوال المخيمات. تحدث عن مخيم برج البراجنة والفتوى المطلوبة بأكل اللحوم المحرمة ومنها لحوم جثث الشهداء، تحدث عن شاتيلا ونقص المياه والتموين وحليب الأطفال، تحدث عن الرشيدية وأكل الأعشاب والصيام حتى الموت. وختم هذا الجانب العاطفي من حديثه بمطالبة المشايخ بخطوة عملية لإنقاذ أطفال مسلمين يستغيثون بهم. وطالب ياسر بتشكيل وفود من علماء الدين تتوجه لدخول المخيمات وإدخال التموين بالرغم من أنف نبيه بري.

ثم توجه ياسر إلى الممثلين الإيرانيين، وقال إن لدينا نداء رسميا موجها من أبناء المخيمات إلى السيد الإمام الخميني شخصيا، فهم يتمنون عليه التدخل وإرسال من يمثله من العلماء ليدخلوا المخيمات ويقيموا فيها ويمنعوا المجازر وينقذوا ما يمكن إنقاذه. وقال اننا نعتقد أن الجمهورية الإسلامية والإمام الخميني والعلماء الأفاضل قادرون على عمل شيء، ولا نعتقد أن بامكان نبيه بري تحدي العلماء وتحدي الجمهورية الإسلامية والإمام الخميني. وتمنى على المشايخ التحرك الليلة قبل الغد. وذكر أننا سنقول لشعبنا والعالم إننا التقينا مع المشايخ والعلماء ومع ممثلين عن الإمام الخميني ووضعنا مخيماتنا، رجالها وأطفالها ونساءها، أمانة في أعناقهم. وأضاف: "اعتبروا أبناء المخيم وبناته نصارى يستجيرون بكم، اعتبروهم ما شئتم، ما تريدون منا أن نفعله نحن جاهزون ؟ استحلفكم بالله وبدينه أن تفعلوا شيئا ما لانقاذ أطفالنا وعرضنا وشرفنا. هل أنتم يا معشر العلماء عاجزون عن تكفير المجرم نبيه بري وداوود داوود[٨]. هل أنتم يا ممثلي الأمام الخميني قابلون بأن نقول أننا استجرنا بإمام المسلمين ولم يستجب، ولم يتمكن من حمايتنا؟ ".

كان ياسر يتحدث بانفعال شديد، وكانت كلماته مؤثرة جدا، بكى من وقعها عدد من المشايخ خصوصا كبار السن منهم. وقد هتف أحدهم من شدة التأثر أن كفى يا أخي بالله عليك كفى "!

أدرك ياسر ان كلامه ترك أثرا كبيرا في نفوس الحاضرين ومضى قدما في محاولة استغلال اللحظة العاطفية ورفع وتيرة حديثه العاطفي. وقال للشيخ الذي بكى: "أرجوك يا سيدي الشيخ، اتركني أعبر عن مشاعري أمامكم!". ثم تابع: "الحجة الآن يا سادة هي مغدوشة، هذا ضلال، هذا كذب، الحرب الظالمة على المخيمات بدأت قبل مغدوشة بشهور، معركة مغدوشة فتحت لتجنيب مخيم عين الحلوة كارثة محققة وحتى لا يحصل له ما هو حاصل مع الرشيدية والمخيمات الأخرى. نحن نقول لكم خذوا مغدوشة، خذوا مغدوشة وأعطونا الأمان لمخيماتنا. الخليفة عمر بن الخطاب أعطى الأمان للنصارى في القدس يوم فتحها، طالبهم بالجزية وأعطاهم الأمن والأمان على أملاكهم وأعراضهم. أعطونا الأمان لمخيماتنا وإذا أردتم الجزية على نساء فلسطين وأطفالها وشهدائها فنحن جاهزون لدفع الجزية لكم وللبطل نبيه بري".

ثم غير ياسر نبرة صوته وقال دون انفعال: "نقبل أن تتولوا أنتم العلماء والجمهورية الإسلامية أمن مخيماتنا من الداخل والخارج، ونقبل حكمكم بالنسبة للسلاح، نسلمه لكم إذا أردتم. ندعوكم لاستلام أمن المخيمات ومن ضمن ذلك إستلام مغدوشة، لأن أمن مخيم عين الحلوة من أمن مغدوشة".

وختم ياسر حديثه بتأكيد إصرار الجانب الفلسطيني على عدم الخروج "من هذا البيت الكريم، ومن هذا الاجتماع إلا بعهد من العلماء المؤمنين ومن ممثلي إمامنا الكبير الإمام الخميني بحماية المخيمات ودخولها ومنع المجازر". وأضاف انه إذا بقي الحال على ما هو عليه خلال ال ٤٨ ساعة القادمة فسوف ندعو شعبنا ليرفع الرايات البيضاء، وقال: "أهل مخيمات الرشيدية وشاتيلا والبرج يريدون الاستسلام على أيديكم. نرجوكم أن تتحركوا بأسرع وقت ممكن قبل وقوع المجازر. والتاريخ لا يرحم. والله أقوى من كل الظالمين، كثيرون في التاريخ تورطوا في الدم الفلسطيني ولكنهم جميعهم حرقت أياديهم". ثم صمت.

أحدثت كلمة ياسر وقعا كبيرا في نفوس الحاضرين جميعا. حاول أحد المشايخ تناول الكلام إلا أن عصام سبقه ليكمل ما طرحه ياسر، وقال: "أنا كعسكري لا أستطيع تحمل سقوط أحد المخيمات على يد اليهودي داوود داوود، وفي حال سقوط الرشيدية أو انهياره لا تلومونا على ما سيقع من مجازر، لا تلومونا إن تورط بعض الفلسطينيين في دم الشيعة من أبناء حارة صيدا!". عندها، تدخل الشيخ عباس الموسوي وقال بهدوء: "يا أخ عصام، القائد يصبر وقت الشدائد ولا ينفعل". رد عصام: "صحيح، لكن إذا أنا ضبطت نفسي فلست واثقا من قدرتي على ضبط المقاتلين والعناصر وكوادر التنظيم". وأكد أن سقوط أحد المخيمات ووقوع مجازر فيه سيؤديان إلى مجازر في حارة صيدا ولا أحد يضمن بقاء الوضع مسيطرا عليه في محيط حارة صيدا، ولا بلدة الغازية. وسمى عصام قرى شيعية أخرى. وقال: "حتما ستقع مجازر طويلة عريضة. ثم لماذا الصمت على التعبئة الطائفية الحاقدة التي يقوم بها نبيه بري وداوود داوود؟". وتساءل هل الفلسطينيون هم الذين قتلوا الإمام الحسين؟ وأجاب بأن كلا، وذكّر بانهم هم أول من ساند الإمام الصدر رحمه الله. وأقسم عصام بالله على أنه لو كان الإمام موسى الصدر حيا لما حصل ما حصل. وقال: "نحن، في "فتح"، كان لنا شرف المساهمة في تأسيس "أمل" وكان بيننا وبين السيد الإمام الصدر عهد شرف، نبيه نقض العهد، والعهد خطي وموجود عندنا نسخ منه. أنتم أتباع الخميني، وأنتم أئمة الإسلام، أنتم قادتنا وموجهونا، أنتم ورثة الإمام الصدر نترك لكم الحكم وقرروا ونحن ننفذ".

وسأل عصام بجدية هل نعطي توجيهات لأهلنا برفع الرايات البيضاء كما قال أخي ياسر؟ هل نهجم وندافع عن النفس، هل الدفاع عن النفس حرام؟ هل نندفع حتى نصل مخيم الرشيدية ونفتح الطريق لندخل الطعام؟ ماذا نعمل، قولوا لنا بالله عليكم؟ وأضاف: "أنا لا أخفيكم أن لدي تعليمات من الأخ القائد أبو عمار بعمل كل شيء من أجل منع انهيار أي من المخيمات، نحن نفهم صعوبة التحرك بالنسبة لكم في بيروت بسبب من السيطرة السورية هناك. في الجنوب لا وجود للسوريين، الطريق من جسر سنيق والمنطقة الصناعية في

ضاحية صيدا الجنوبية حتى الرشيدية كلها مواطنون مسلمون من اتباعكم، بامكانكم التأثير عليهم، فتوى منكم ضد نبيه بري وداود داود نعتقد أنها كافية لفض المحيطين به من حوله ".

نجح عصام في استكمال ما طرحه ياسر، وأشعر الحاضرين بأن لدى الفلسطينيين قدرة على إيذاء القرى الشيعية وان إستمرار المعركة ضد المخيمات قد تجر إلى حرب فلسطينية شيعية لا أحد يعرف أبعادها وتفاعلاتها، وإلى مجازر لن تبقى محصورة في حدود المخيمات.

بعد عصام، تناول الكلام شيخ ظهر لنا انه كبيرهم في السن، وعرفونا عليه بأنه قادم من الحوزة العلمية في صديقين. بدأ الشيخ كلامه بصوت منخفض، قرأ الفاتحة ودعا الجميع لقراءتها معه. قرأنا الفاتحة بصوت مسموع، وبعدها دعا الشيخ الله أن يوفقه في الكلام. وقال: "سأتناول ما يجري من الزاوية الشرعية بالاستناد إلى القرآن الكريم باعتباره كلام الله، وهبنا إياه لنسترشد به ونحتكم إليه في كل القضايا".

وأكد الشيخ أن حصار المسلمين للمسلمين حرام شرعا، وقتل المسلم لأخيه المسلم حرام. واستشهد بآيات من القرآن الكريم تدعم الحكم الشرعي الذي ذكره. ثم تحدث عن واجب المسلم في الدفاع النفس، وعن حقه في حمل السلاح دفاعا عن النفس والعرض والأملاك، وأضاف: "في الحال الراهنة التي يعيشها المسلمون في فلسطين ولبنان حيث هم مهددون على يد اليهود والنصارى فمن واجبهم حمل السلاح ومقاتلة اليهود والنصارى حتى يسود حكم الإسلام".

ثم تحدث هذا الشيخ عن واجب أولي الأمر ومنهم العلماء في مثل هذه الحالة، وتلا:(وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي..) إلى آخر الآية الكريمة. واستحضر اقتباسات من الحديث النبوي الشريف. وأضاف: "نحن يا أولادي لسنا صامتين ولا نستطيع أن نكون صامتين، فالله يحاسبنا على ذلك، نحن عملنا ونعمل وقدمنا للقاء معكم من أجل العمل أكثر". ونبه إلى خطورة بعض ما قيل قاصدا توسيع الفتنة كما سماها وإلحاق أذى بمسلمين أبرياء. وقال: "إصدار فتوى شرعية يا أبنائي بإعلان خروج نبيه بري وداود عن الإسلام أي وضعهم في خانة الكفار مسألة لا يجوز النظر بها من زاوية سياسية ودنيوية فقط، عل كل حال هذه الأمور تدارسها عدد من العلماء وهي لا زالت قيد الدرس، نرجو من الله أن يوفقنا إلى طريق الصواب وقول الحق". وختم كلامه بالدعوة إلى التعاون مع حزب الله، وأن حزب الله هم الغالبون. وقال "أبلغوا المسلمين في المخيمات بأننا لا نقبل ولن نسمح بوقوع مجازر ضد ناس مسلمين أبرياء، وسندخل المخيمات، وندخل معنا ما يقدرنا الله عليه. ثم دعا الحاضرين لقراءة الفاتحة مرة أخرى.

بعد هذا الشيخ تكلم أبو أحمد مندوب السفارة الإيرانية، وطلب نسخة من الرسالة الموجهة إلى الإمام الخميني. كان الإيراني يتكلم العربية الفصحى. وقد وعد بأن يرسل الرسالة إلى الإمام الخميني، وثنى على كلام الشيخ وقال انهم ملزمون شرعا بما قاله. وأضاف: "نحن

نريد استيضاح موقفكم من دور الجمهورية الإسلامية وتدخلها من الزاوية السياسية". وسأل عما إذا كنا نريد دورا للجمهورية الإسلامية في معالجة حرب المخيمات؟ وإذا كنتم تريدون ذلك أعلنوا موقفا رسميا في الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى، أرسلوا لنا مذكرة، فهذا يساعدنا في الحديث مع السوريين ومع نبيه بري".

خلال حديث أبو احمد الإيراني كلفت السائق بإحضار نسخة من البرقية الموجهة من المخيم إلى الأمام الخميني، والموجودة في سيارتي. وقد أكد هو أن الجمهورية الإسلامية في إيران ضد ما يجري وهي تعتبره حربا ظالمة على المخيمات. وطلب اقتراحات عملية محددة لمعالجة وضع مغدوشة، وسأل عما إذا كنا مستعدين لتسليمها مثلا إلى حزب الله والإنسحاب منها مقابل فك الحصار عن المخيمات؟ وقال اننا نطرح تسليمها إلى القوى الوطنية والتقدمية دون ذكر القوى الإسلامية وهي الأصدق والأقرب لنا. وأضاف: "أنا أعرف ماذا يقول نبيه بري، وماذا يقول وليد جنبلاط ومصطفى سعد عندما يكونون في سوريا، هم لا يختلفون في حديثهم عن نبيه بري، جميعهم يتكلمون ضدكم، وأنتم تقولون نسلم مغدوشة لهم". ووصف هذا بأنه تناقض. وأكد أن إيران وحزب الله ضد إنسحاب القوات الفلسطينية من مغدوشة قبل معالجة المشكلة بصورة جذرية. ونصح بضرورة الانتباه للوضع العسكري في مغدوشة. وأشار إلى انه سمع في دمشق أنهم يحضّرون لهجوم عسكري كبير لاسترداد البلدة، وقال انهم اذا استردوها فستحصل مجازر في المخيمات. أما إذا فشلوا فلن تحصل أي مجازر. كما أشار إلى ان معلوماته تقول إن أبوعمار ضد الإنسحاب من مغدوشة حتى لو فك الحصار من حول المخيمات، والأوساط السياسية في دمشق تقول إن عرفات ينتظر وقوع مجازر في المخيمات ليبرر لنفسه بعض الخطوات السياسية الاستسلامية الجديدة. وأكد أن الجمهورية الإسلامية تعتبر ذلك خطرا كبيرا على الفلسطينيين في لبنان وكل مكان وعلى القضية الفلسطينية وعلى العرب والإسلام.

وأضاف أبو احمد الإيراني: "سمعت في دمشق إن عبد السلام جلود قدم بطلب من سوريا للضغط على بعض التنظيمات الفلسطينية للدخول في المعركة مع نبيه بري ضدكم، لا تستبعدوا ان يقاتل بعضهم ضدكم في مغدوشة وكذلك قوات من الجيش السوري. وسمعت أيضا ان الجبهة الديمقراطية وافقت على الإنسحاب من مغدوشة، وهذا في نظرنا شيء خطير، وأنا الآن ارتحت لكلام الأخ ياسر وفهمت موقف الديمقراطية على حقيقته". وبيّن ان علاقة العاملين في السفارة الإيرانية مع حركة "أمل" سيئة جدا، وان السفارة تفكر بتحريك سيارة إسعاف باسم الهلال الأحمر الإيراني فيها تموين وحليب إلى المخيمات. وانهم بحثوا الأمر في بيروت مع جهات أمنية سورية ورفض السوريون الطلب. وأكد انهم سوف يكررون الحديث في بيروت، وسوف يجربون الأمر في مخيم الرشيدية، وانهم سوف يستعينون بطهران للضغط على دمشق وعلى نبيه بري. وقال: "سنكتب إلى طهران كل ما قلتموه وبضمنه إرسال ممثل عن الإمام الخميني للإقامة في المخيمات، هذه فكرة عظيمة". وختم حديثه مؤكدا على أهمية التعاون مع حزب الله والجماعة الإسلامية بقيادة الشيخ ماهر حمود وإخوانه المؤمنين.

قبل أن ينهي أبو أحمد حديثه، عاد الرفيق السائق وهو يحمل نسخة البرقية الموجهة من مخيم الرشيدية إلى الإمام الخيمني، فناولتها للشيخ ماهر حمود. وعندما حاول الشيخ الاحتفاظ بها، سحبتها بلطف من يده وقلت إنني سأعيدها إليك بعد ان أقراها للحضور.

بعد ذلك، تحدث الشيخ عباس الموسوي باسم حزب الله، وشن هجوما صريحا وعنيفا على نبيه بري وجميع أركان قيادة حركة "أمل"، وأدان حصار المخيمات، وحمل المسؤولية لسوريا التي تدعم وتشجع بري على الجريمة. وقال: "سلاحنا مستهدف كما سلاحكم". وعرض التعاون بين حزب الله والفلسطينيين. وقال لنا إن وجودنا في مغدوشة مفيد لكم، ومفيد لنا لطمأنة أهالي القرى الشيعية المحيطة بمغدوشة. وذكر بأن الحزب تعاون في السابق مع بعض الإخوان الفلسطينيين في العمل ضد إسرائيل ولا يزال يتعاون حتى الآن". وأكد أن التعاون في مغدوشة يفتح آفاق تعاون أشمل في كل الجنوب اللبناني، وان حزب الله سيتابع مع الفلسطينيين النضال حتى تحرير فلسطين من اليهود، وهذا، كما وصفه هو، واجب فرضه الله على المسلمين وضمنهم إيران وحزب الله. وأكد أن حزب الله ضد تجريد الفلسطينيين من السلاح، وموقفه المبدئي هو مع تسليح أبناء الشعب الفلسطيني وتدريب كل المسلمين في كل مكان وتسليحهم. وغمز من قناة القوى الوطنية والتقدمية اللبنانية وقال: "إن مواقف من يسمون أنفسهم بالقوى الوطنية والتقدمية اللبنانية ليست مبدئية، وبالتالي هي ليست ثابتة".

وأكد الشيخ الموسوي أن حزب الله والعلماء لن يقبلوا سقوط أي من المخيمات على يد جماعة نبيه بري، وأنهم في الحزب عملوا من أجل حماية المخيمات وسوف يواصلون عمل ما يستطيعون. وقدّر أن حزب الله وإيران والعلماء قادرون على ذلك. وأشار إلى أن الأفكار والآراء التي طرحت تساعد قيادة الحزب في تحركاته السياسية والجماهيرية، وهم مستعدون لعقد لقاء آخر تبحث فيه بعض الترتيبات العملية للتعاون. وقال: "نحن لا نستطيع البقاء خارج مغدوشة، أبناء الجنوب والقرى المحيطة بمغدوشة يريدوننا أن نكون هناك، ونأمل أن تحسموا مسألة مشاركتنا في التواجد معكم". وأكد أن حزب الله لن يسمح لحركة "أمل" باستغلال وجوده في مغدوشة، ولن يسمح بسقوط أي من المخيمات المحاصرة. وأنهى الشيخ عباس حديثه بالقول: "لا أريد الإطالة في الحديث اكثر، بانتظار لقاء آخر نعقده لبحث القضايا العملية، الوقت وقت عمل، وإخواني العلماء وممثل الجمهورية الإسلامية سبقوني في الحديث، ونحن في حزب الله نوافق على كل ما قيل. والمهم صفاء النيات فيما بيننا، وسينصرنا الله على القوم الظالمين، وهذا وعد من الله الذي قال ألا إن حزب الله هم الغالبون".

حاولت أخذ الكلام، لكن عبد المعطي السبعاوي سبقني وتوجه للشيخ عباس وسأل عما إذا كانت قيادة حركة "أمل" والقيادة السورية قد وافقتا على دخول الحزب بصفة قوة فصل بين الطرفين مع الحفاظ على المواقع كما هي.

رد الشيخ عباس: "حتى الآن، لم نتلق أي جواب نهائي، لكن "أمل" مرهقة وأوضاعها العسكرية مستنزفة، وهي تطالبنا بدخول المعركة إلى جانبها وتبدي استعدادا للتعاون

معنا في مغدوشة وكل الجنوب وفتح صفحة جديدة من العلاقة معنا إذا نحن وافقنا على دخول المعركة ضدكم". وأكد أن حزب الله يرفض الوقوف بجانب "أمل" ويرفض دخول مغدوشة بقوة السلاح جنبا لجنب مع قوات "أمل"، وان الحزب يريد دخولها سلما وبرضى الفلسطينيين، وأبناء القرى وقواعد الحزب تطالب القيادة بتحمل المسؤولية. وقال إن "بقاءنا في موقع المتفرج يفقدنا تأثيرنا في العديد من القرى. وأضاف "نبيه بري الكافر، (وكرر كلمة كافر وأستأذن من العلماء بإطلاق هذا الحكم عليه) يحرض ضدنا ويقول أننا متواطئون معكم على ذبح الطائفة الشيعية". ورأى الشيخ عباس ان نبيه يكابر في الحديث مع حزب الله ومع السوريين. وقال نحن نرى أنه يخشى أن تسقط بقية مواقعه في البلدة ومحيطها، وانه يعرف أن "أمل" وحدها أعجز من أن تتمكن من استرداد البلدة ويريد أن يحافظ على البقية الباقية. وبين الشيخ عباس أنه يشك بان يوافق السوريون على وجود حزب الله في مغدوشة، وان نبيه بري هو حصانهم الذي يراهنون عليه، وهم ضد وجود أسلحة بيد حزب الله، ويحرضون نبيه لتوسيع الصراع ضد الحزب. وقال الشيخ: "على كل حال، إذا وافقتم أنتم فنحن لن ننتظر موافقة نبيه والسوريين. ومستعدون أيضا للدخول إلى مغدوشة بدون موافقة نبيه إذا اتفقنا على ذلك".

إستأذنت الجميع وقلت إختصارا للوقت، إني أود أن أقرأ نص البرقية الموجهة من أهل الرشيدية للسيد الإمام الخميني، وهي تعبر عن وجهة نظر جميع أبناء المخيمات. وبعد القراءة، سلمت البرقية للشيخ ماهر ورجوته أن يسلم نسخة عنها لجميع الإخوان وان يكفل وصولها إلى صاحبها الأول. وأضفت: "أود بعد إذن إخواني توضيح عدد من المسائل التي تحدث حولها السادة العلماء وممثل الجمهورية الإسلامية، وسوف أعطي الإجابات الأولية على عدد من الأسئلة المطروحة، إذا سمح لي إخواني في "فتح" والجبهة، خصوصا أن نقاطا هامة كثيرة أثيرت ولم نناقشها فيما بيننا كمجموعة فلسطينية ولا حتى على مستوانا كجبهة ديمقراطية".

قاطعني الشيخ ماهر: "حبذا لو تضعونا أيضا في صورة اتصالاتكم واتفاقاتكم مع وليد جنبلاط ومصطفى سعد".

قلت: "سأبدأ الحديث من استفسارات أخي وصديقي الشيخ ماهر، وسوف اترك بعض المسائل للإخوان ياسر وعصام وقادة "فتح". وعن اللقاءات مع وليد جنبلاط ومصطفى سعد، قلت بجمل قليلة: "أولا، لم نعقد يا شيخ أي اتفاق مع أي طرف، لقاءاتنا مع مصطفى ووليد كانت إيجابية جدا وما طرح عليهما طرح عليكم وموقفهما بالاجمال يتلاقى مع موقفنا المشترك نحن المتواجدين في هذا اللقاء، وليد ومصطفى ضد عودة قوات حركة "أمل" إلى مغدوشة، وضد الحرب الظالمة الجارية على المخيمات، لم يتحدثا عن الدور السوري بل حملا بري المسؤولية، بالرغم أننا جميعا نعرف أن نبيه ينفذ مشروعا سوريا خلاصته الهيمنة على لبنان وضرب وجود منظمة التحرير باعتبارها قوة إقليمية منافسة".

تعمدت اختزال الحديث عن اللقائين وتقليل شأنهما لمعرفتي ان قادة حزب الله والجماعة الإسلامية ليسوا على علاقات وطيدة مع أحزاب الحركة الوطنية، وهم ليسوا ضمن الإطار

القيادي الذي يجمع القوى الوطنية والتقدمية، ولا يشاركون في اجتماعاتها، والعلاقة بين مصطفى والجماعة في صيدا تنافسية، وهناك عوامل عديدة تدخل في حسابات الطرفين، وللصراع الطائفي والمذهبي الذي تعيشه الساحة اللبنانية تأثيره غير المعلن على العلاقات بين القوى اللبنانية. والجماعة الإسلامية بقيادة الشيخ ماهر حمود لا تخفي موقفها السلبي بما هي سنية من دور الطائفة الدرزية وزعيمها وليد جنبلاط.

تدخل الشيخ ماهر واستحضر أن الأخ وليد وصف تواجد الفلسطينيين في مغدوشة بأنه "تمدد فلسطيني وعودة بالأوضاع إلى ما قبل عام ١٩٨٢". وأضاف أن موقف جورج حاوي ونديم عبد الصمد أسوأ، وقال انهم كتبوا في الجرائد ودعموا رغبة نبيه بري في نزع السلاح الفلسطيني ووصفوا المخيمات بأوكار الفساد والتخريب. وأكد انه لا يتجنى لا على وليد ولا على حاوي وعبد الصمد، فتصريحاتهم منشورة.

قلت: "صحيح يا شيخ ماهر، قرأناها بدقة واطلعنا عليها ولدينا نسخ عنها، وهي مؤلمة حقا، لكن ما العمل؟ نحن لسنا بصدد محاكمة القوى على مدى تطابق أقوالها مع مبادئها، ولا على مدى صحة الأقوال وسلامتها ومبدأيتها، ولا على مدى تطابق ما يقال في الصحف وفي الاجتماعات مع قيادة "أمل" والإخوان السوريين مع ما يقال لنا في الغرف المغلقة. نحن مضطرون لبذل أقصى الجهود لكسب كل القوى من أصغر قوة إلى أكبرها. نسعى لتوسيع جبهة الأصدقاء وتقليص جبهة الخصوم والأعداء، ونتجنب الدخول في صراعات ومهاترات مع أي طرف. يكفينا صراعنا مع أمريكا وإسرائيل ونبيه بري ومن يقف خلفه. ونشكر من يقول لنا سرا أو علنا إنه ضد الجريمة الجارية ضد الشعب الفلسطيني في لبنان. ثم يا شيخ لا يحمل الله نفسا إلا وسعها. هذه طاقات وليد ومصطفى، وهذه قدرتهم على التحمل، والمحاسبة على المواقف متروكة للجماهير ولقواعد الأحزاب ذاتها وكوادرها".

قال الشيخ ماهر: "والله يحاسب الجميع".

قلت: "صحيح". وأكدت مرة أخرى أننا لم نتفق مع أحد ونأمل في بلورة مشاريع اتفاقات مع الحاضرين هنا ومع الإخوان الآخرين، ونعتقد أن الأمور لم تنضج بعد للتوصل إلى اتفاقات نهائية. وأيدت ما طرحه الأخ أبو أحمد ممثل سفارة الجمهورية الإسلامية حول تواصل المعارك وتوقع هجمات جديدة من "أمل" مدعومة من سورية أو بمشاركة غير مباشرة منها لان المشاركة المباشرة تحتاج إلى موافقة إسرائيلية وأمريكية. واستبعدت مشاركة جبهة الإنقاذ في القتال، وقلت لا أعتقد أن الانحطاط سيصل إلى مستوى التورط على المكشوف مع "أمل" في الحرب ضد المخيمات. وشكرت الحاضرين على مواقفهم التي سمعناها منهم جميعا وأكدت لهم أن شعب فلسطين لا ينسى السيء وانه ويذكر الحسن، يتظاهر بالنسيان لكنه لا ينسى المواقف المشرفة أو المؤلمة والظالمة لأي طرف، وهو يحفّظها لأطفاله كي تبقى حية لا تموت.

نظر ياسر إلى ساعته وأشار إلي بيده مذكرا بموعدنا مع الرفاق وقطع الحديث وقال: "أعتقد أننا أرهقنا العلماء والمشايخ وأكيد أمامهم طريق سفر طويل، استمعنا لآرائكم

الحكيمة واطلعنا على أفكاركم القيمة، وعرضنا مشاكلنا ونرجوكم أن تدرسوا المقترحات التي قدمناها لكم، ونرجو الله أن تكون النتيجة إيجابية ولصالح تعاوننا في المستقبل ضد الظلم وضد الظالمين. وفي جميع الحالات يجب أن نبقى على اتصال دائم. سندرس ما طرح ونبحثه مع إخواننا في القيادة الفلسطينية". والتفت ياسر نحو الحضور من الجانب الفلسطيني، ونهض وقال ان علينا المغادرة بعد أن ارهقنا مشايخنا وعلينا متابعة عملنا وإجراء الاتصالات اللازمة مع الأخ أبو عمار.

أثناء نهوضنا، قال الشيخ عباس الموسوي: "نرجوكم يا أخوان أن تدرسوا اقتراح تواجد حزب الله في مغدوشة، ونأمل أن نتلقى منكم الجواب إيجابيا خلال ٢٤ ساعة، لأن الأمور تجري بتسارع شديد". رد ياسر: "بالتأكيد سندرس الموضوع وغدا نعطيكم الجواب".

أثناء لبس الأحذية، همس الشيخ ماهر حمود: "يا شيخ ممدوح الماركسي، وجود حزب الله في مغدوشة لصالحكم، أرجوك ان لا تعارض الموضوع وأن تسهله وتدعمه، الإخوة في "فتح" شبه موافقين، والشيخ عباس الموسوي لديه رغبة بعقد خلوة معكم". قلت: "تقصد معنا كجبهة". قال: "نعم، ومعك شخصيا، ويفضل أن يكون اللقاء ثنائيا وإذا رغبتم فأنا ثالثكم".

قلت: "جيد، ولدي الرغبة نفسها، ونأمل أن تعقد الخلوة بأسرع وقت". رد الشيخ ماهر: "لنقل الليلة مثلا، فالشيخ عباس سيبقى ضيفي".

قلت: "الليلة صعب، فلدينا برنامج مع ياسر، ممكن غدا أو بعد غد، بعدما يغادر ياسر".

قال: "بعد غد بعيد، دعنا نتفق أوليا ونقول غدا مساء". قلت: "أفضل أن لا يتحدد الآن موعد نهائي، غدا أتصل معك". قال: "جيد سأكون بانتظار مكالمة من جانبكم".

غادرنا جميعا منزل الشيخ ماهر حمود بعد وداع الجميع وشكرنا صاحب البيت، ومنه توجهنا إلى الهمشري. وهناك حاول أبو علي استبقاءنا للعشاء، لكننا اعتذرنا، وقلت أنا إن لدينا اجتماعا داخليا مع كوادر القوات والتنظيم، وتساءلت إذا كانوا يصدقون أن ياسر لم يلتق كوادر الجبهة حتى الآن.

وقبل أن نبرحهم طلب ياسر من أبو علي أن يفكر في ما طرحه على الجماعة، لان فكرة إشراك حزب الله في مغدوشة ليست سيئة، وتستحق البحث والدراسة الجدية. وأقترح ياسر على قادة "فتح" أن يناقشوا هذه الفكرة في ما بينهم، وتعهد أن نناقشها نحن في الديمقراطية، على أن نتصل بأبوعمار وأبو جهاد ونعطي رأينا ونسمع رأيهما فيها.

هوامش الفصل السابع

١ـ مستشفى الهمشري: عملت م.ت.ف. على بناء مستشفى في منطقة صيدا لمعالجة المواطنين والعسكريين الفلسطينيين في الجنوب، اطلقت عليه اسم الشهيد محمود الهمشري الذي اغتالته إسرائيل في باريس. ونجحت في الحصول على مساعدات خارجية لانجاز المشروع وانجزت مراحله الاساسية، الا ان التطورات، في تلك الفترة، حالت دون اتمام المشروع ولم يتم توفير المعدات التجهيزات الطبية اللازمة لتشغيله. وبانتظار استكمال المشروع، حولت قيادة "فتح" المبنى إلى المقر المركزي للحركة في منطقة صيدا والجنوب وقد استخدمه عصام مقرا لعمله بما هو ممثل للقائد العام.

٢ـ نشأت علاقة خاصة بين عدد من أعضاء قيادة الجبهة الديمقراطية وعدد من قادة "فتح" التاريخيين منهم أبو عمار وأبو إياد وأبو مازن وأبو الهول، وانعكست هذه العلاقة في تحالف شبه ثابت بين الطرفين. وكثيرا ما مثل التشاور بين الطرفين أساسا لاتخاذ المواقف والقرارات الوطنية قبل أقرارها في المؤسسات الفلسطينية.

٣ـ لمعرفة تفاصيل اكثر حول إبعاد عرفات من مطار دمشق، راجع القصة في: يزيد الصايغ. الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٤٩ـ ١٩٩٣، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ٢٠٠٢، بيروت.

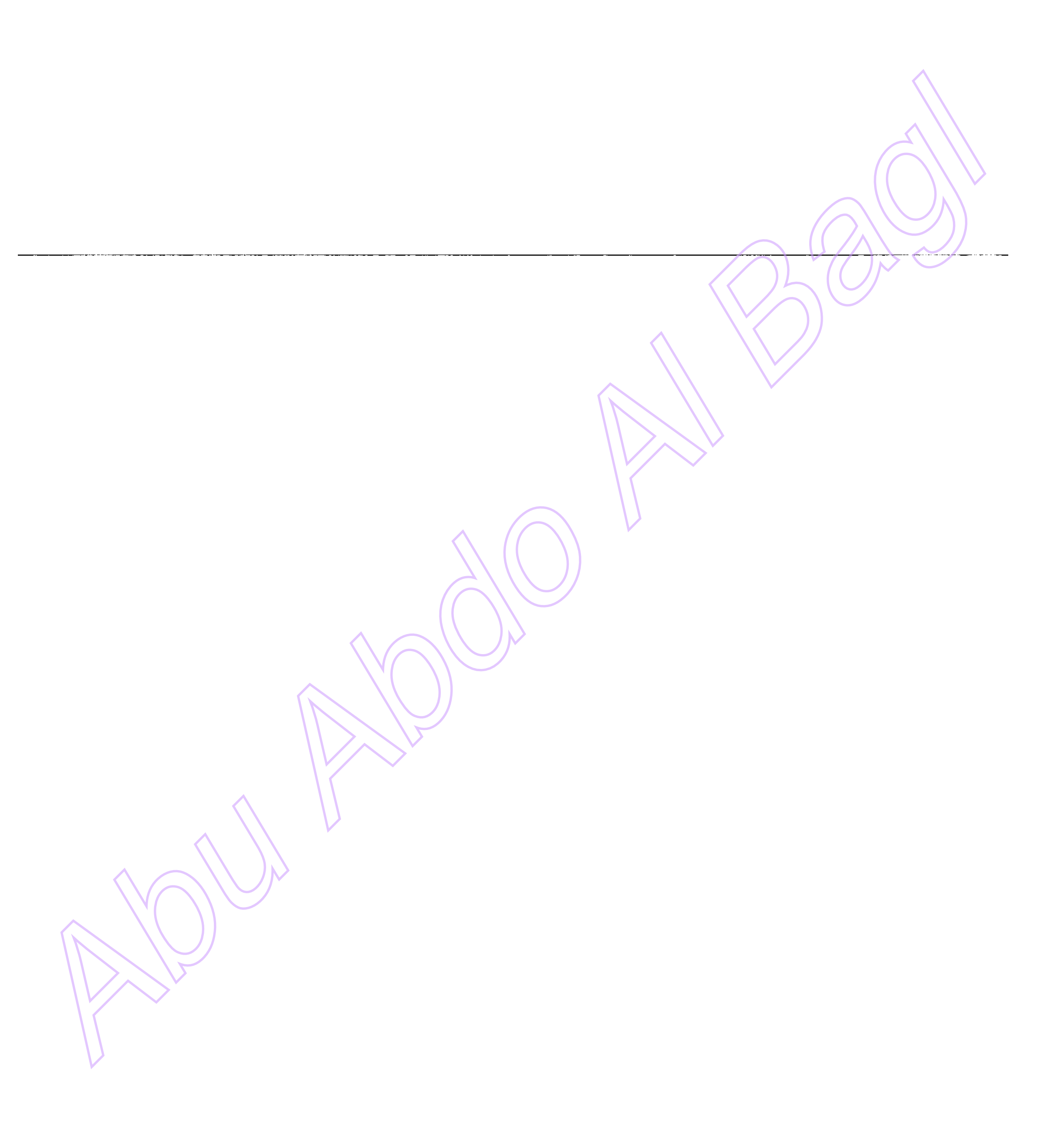
٤ـ سجن المزة أقدم السجون السورية وأشهرها، فيه تم سجن كثير من القادة الوطنيين السوريين من قبل خصومهم في مختلف العهود، وفيه سجن لفترات متفاوتة قادة وكوادر في الحركة الوطنية الفلسطينية.

٥ـ بعد الانشقاق عن "فتح" والاقتتال الداخلي بين "فتح" والمنشقين جماعة أبو موسى ومؤازرة المخابرات السورية للانشقاق، خرج أبو عمار من مدينة طرابلس أواخر عام ١٩٨٤اثر حصار قصير وتولت البحرية الفرنسية حماية رحلة الخروج. في حينه، ظل أبو عمار يعتبر وجود قوات الديمقراطية والشعبية وقوات "فتح" والمليشيا في المخيمات بمثابة وجود عسكري لمنظمة التحرير. وتم تعييني من قبل أبو عمار قائد قوات الثورة الفلسطينية في لبنان، ثم صادقت الهيئات المعنية على القرار بناء على ترشيح أبو عمار. وجرت محاولات تشكيل قيادة عسكرية فلسطينية في لبنان تضم قوى م.ت.ف. إلا ان المحاولة فشلت لاعتبارات منها نزاعات الفصائل وتأثير الموقف السوري على بعض القوى.

٦ـ حمل أبو عمار في حياته أسماء وصفات شخصية ورسمية كثيرة وهو: ياسر عرفات، الوالد، الختيار، الأب، عمو أبو عمار، جدو أبو عمار، وهو القائد العام لقوات الثورة، رئيس منظمة التحرير، رئيس "فتح"، رئيس دولة فلسطين، نائب رئيس المؤتمر الاسلامي، كما أنه نائب رئيس فخري وفعلي لاكثر من اتحاد من الاتحادات الفلسطينية..الخ وجميع هذه الصفات كانت محببة إليه. وكل هذا دون ان نذكر الصفات التي اضيفت بعد عودته إلى الوطن.

٧ـ لعبت الجبهة الديمقراطية دورا مميزا في دعم "فتح" في لبنان في فترة الانشقاق. وكان هذا الدور في البداية نتيجة توجه مركزي، لكن موقف قيادة الجبهة تبدل بتأثير الضغوط التي تعرضت لها من القيادة السياسية وأجهزة المخابرات السورية. غير ان منظمة الجبهة في لبنان خصوصا الجهاز العسكري استمرت في تقديم الدعم لتنظيم فتح وناسه، ولم تتوقف عند حدود مساعدة أبو جهاد على التخلص من كمين نصب له في البقاع، وفي هذا السياق تم تقديم كميات لا بأس بها من الأسلحة والذخائر، إضافة لتزويد كوادر في "فتح" ببطاقات الجبهة وأوراق المهمة الرسمية.

٨ـ داود داود أحد أعضاء قيادة حركة "أمل"، وهو من أصل فلسطيني تولى إبان فترة الحروب على المخيمات قيادة حركة أمل في منطقة الجنوب وكان الأكثر تشددا في معاملة الفلسطينيين ولم يتورع عن ارتكاب مجازر ضد أبناء المخيمات. وكانوا يطلقون عليه صفة داوود اليهودي وليس الفلسطيني، وقد تولى تصفية بعض الفلسطينيين جسديا. تم اغتياله على يد مجهول وجاء الاغتيال بعد إباحة دمه من قبل بعض مشايخ الشيعة واتهام قيادة حزب الله له بالخيانة.


Abu Abdo Al Bagl

الفصل الثامن

عهد شرف بعدم إصدار أمر الإنسحاب من مغدوشة


Abu Abdo Al Bagl

عهد شرف بعدم إصدار أمر الإنسحاب من مغدوشة

بلبلة وارتباك في مواقف قيادة الجبهة الديمقراطية

من مستشفى الهمشري، انتقلنا إلى مخيم عين الحلوة وتحاشينا طلقات القناصة والقذائف ورماية الرشاشات الثقيلة المباشرة بتجنب طريق التعمير المكشوف لمواقع "أمل" في ظهور الغازية، وسلكنا الطريق الواقع شرق مدرسة الأمريكان.

في مقر عمليات قوات الجبهة الديمقراطية، لم نجد سوى الضابط المناوب وهو من مرتب قوات الميليشيا. استفسرت منه عن مكان تجمع الرفاق، فقال إنهم جميعهم بانتظاركم في مقر كتيبة المدفعية في قرية الصالحية. وأفهمنا أنهم بحثوا عنا منذ أكثر من ساعتين، ورجا أن نبقي جهاز الاتصال مفتوحا باستمرار، فالوضع، كما وصفه، لا يحتمل، والرفاق متوترون والكل يفش خلقه في الضابط المناوب أو عمال الإشارة.

سأل ياسر عن الوضع في مغدوشة وهل من جديد؟ هل وقع ما يدفع للتوتر والانفعال؟

رد الضابط المناوب بأن الوضع في مغدوشة أفضل نسبيا، فقد تقدم أبو حسن ومجموعاته بضعة منازل، وفتحوا ثغرة باتجاه الكنيسة، ونظفوا زاروبا طوله أكثر من ٥٠ مترا وبقي أمامهم زاروبان يطلون بعدهما على الشارع الرئيسي شرق الكنيسة مقابل النقطة التي أصيب فيها الرفيق محمود خليفاوي. وبرقيات الرفاق تقول إن أوضاع قوات "أمل" مهلهلة، وما أنجز مهم لأنه يصل مواقع مجموعاتنا مع مجموعات "فتح". وأضاف ضابط الإشارة أنهم استلموا اكثر من برقية من المحاور تشير إلى أن قيادة "فتح" أرسلت تعزيزات كبيرة، والإشاعة تقول إنهم سيطهرون بقية مغدوشة الليلة بناء على أوامر أبو عمار من تونس.

وأشار عامل الإشارة إلى رفاقنا منزعجون وهم المتوترون والقلقون يريدون معرفة حقيقة موقف الجبهة، الإذاعات بما فيها راديو مونت كارلو تقول إن هناك قرارا بالإنسحاب من مغدوشة، وإن ياسر عبد ربه أقنع قيادة "فتح" في لبنان بالإنسحاب، والإنسحاب سوف يتم خلال أقل من ٢٤ ساعة. وتقول الإذاعات أيضا، نقلا عن ناطق رسمي للجبهة الديمقراطية، إن ياسر عبد ربه اتصل مع ياسر عرفات وأبو جهاد خليل الوزير ففوضوه بالتصرف، وقد رجحت مصادر الجبهة أن يتم تسليم مغدوشة لقوة مشتركة من الحزب الشيوعي اللبناني، وحزب البعث، والحزب التقدمي، والحزب الاشتراكي. ويشاع أيضا أن نبيه بري وضع فيتو على تواجد قوات التنظيم الشعبي الناصري بقيادة مصطفى سعد نظرا لانحيازه السافر لجانب العرفاتيين، ونبيه بري يصر على أن تكون القوات تحت إمرة "أمل". وقال الناطق باسم الجبهة في دمشق أيضا إن الرفيق ياسر عبد ربه يجري مفاوضات لضمان وجود فلسطيني ما، واقترح مشاركة جبهة الإنقاذ في القوة المشتركة.

انفعل ياسر لهذه المعلومات وقال: "أما دجالين! يجب استيضاح الموقف من الرفاق في دمشق، ويجب تعميم خبر على جميع المحطات الداخلية والخارجية يصحح الصورة". لكن الضابط المناوب أجابه فورا، يبدو يا رفيق أن الموضوع جدي وحديثهم له أساس".

رد ياسر: "حتى أنت؟".

- نعم، وصلت برقية من الرفاق في دمشق تتضمن تصريح ناطق رسمي من الجبهة.

رد ياسر: "أوف، هيك إذن! أعطني التصريح، هذا شغل أبوليلى، يبدو أن الأخ مستعجل كثيرا، ويعتقد أن المرونة الزائدة مع الإخوان في الأجهزة والقيادة السورية تخفف الضغط وتصون مصالح الجبهة وتحافظ على وجود قيادتها في دمشق".

اقترحت على ياسر أن نتحرك فورا. وأشرت إلى أننا تأخرنا على الرفاق ولدينا مهام كثيرة، وكوادر القوات يجب أن لا يتأخروا عن مواقعهم، وهناك خشية من أن تصعد "أمل" عملياتها الليلة. وافق ياسر وطلب أن نأخذ نص التصريح معنا. فقال الضابط المناوب إن الرفيق فهد سليمان سحب النسخة الأصلية من الملف ولم يسمح بالاحتفاظ بنسخة منها في الأرشيف. فحثثت ياسر على أن نتحرك وقلت إننا سنجد جميع البرقيات الهامة مع فهد.

قبل مغادرتنا مقر العمليات، كتب ياسر برقية إلى دمشق قال فيها إنه لا داعي للتسرع،لأن الأمور تحتاج إلى إنضاج، ولا ضرورة لأصدار تصريحات من جانبكم، ورجا وقف التصريحات حتى يعود، ووعد بأن يتصل بهم ليلا.

تحركنا إلى صيدا المدينة. ومن هناك توجهنا إلى عبرا في طريقنا الى مجدليون والصالحية، لأن طريق حارة صيدا باتت خطرة وغير آمنة، وصار المرور بمحاذاة

منازل الحارة محفوفا بالمخاطر بعد أن استنفرت "أمل" شبابها ودفعتهم لتنظيم حراسات ليلة على مداخل الحارة.

في الطريق إلى بلدة الصالحية، التي هجّرت الحرب ناسها، تبادلنا الحديث حول ما يريده الأمين العام نايف والرفيقان عضوا المكتب السياسي أبو ليلى ونبيل حمادة "أبو أدهم" بالضبط، وإلى أين ستدفع الأمور. وطلبت ان يكون واضحا ومفهوما للجميع أن قرار المكتب السياسي بالإنسحاب من مغدوشة لن ينفذ، وأكدت انه أذا أصر المكتب السياسي على الإنسحاب فلن أبقى في عملي لحظة واحدة، وقد لا أبقى في الجبهة، ولن أسجل في تاريخي أنني وضعت مصلحة عدد قليل من أعضاء القيادة فوق مصلحة أبناء المخيمات ومصلحة منظمة التحرير. إلى ذلك، أكد ياسر خطورة الموقف حيث يبدو أن "الناس" خربت. وقال إن اليأس قاتل، وموقف الرفاق بعد هزيمة الثورة في لبنان عام ١٩٨٢ يائس، وهم محبطون، لا ثقة لهم بالثورة ولا بالمنظمة ولا بالشعب في الداخل والخارج.

وكان من رأيي أنه لو كان مقر القيادة خارج دمشق وكان الرفاق أعضاء المكتب السياسي من أبناء المخيمات في لبنان أو قريبين منها ومستعدين للتضحية فأظن أنهم ما كانوا ليتخذوا هكذا قرار. المسألة بالنسبة لهم نظرية، والإحساس النظري بالألم لا يكفي، والمشاعر الوطنية لا تتأثر بالانتماء الفكري فقط. قد أكون مخطئا وفي حديثي بعض التحامل، لكنني غير قادر على تفسير موقف الرفاق خارج هذا السياق. ولم يوافق ياسر على قراءتي لموقف الرفاق بل اتهمني بالشعبوية. فتشبثت برأيي، وتساءلت عما إذا كان هناك قوى عربية رجعية أو تقدمية متحررة في الفكر والسلوك من النزعات الإقليمية والقطرية. وقلت إن سكوت العرب وتقصيرهم خلال فترة حصار بيروت عام ١٩٨٢، وطيلة فترة الحروب الجارية على المخيمات، يؤكدان أن الشعور القومي ومفهوم التضامن العربي ووحدة حركة التحرر الوطني العربية في مواجهة الاستعمار أصبحت ضعيفة جدا، وفي أدنى مستوياتها، وكل طرف يحاول أن ينفذ بجلده.

وقال ياسر إن الأمور عندنا في الجبهة والساحة الفلسطينية باتت بحاجة لبحث معمق. وأقر بأننا تسرعنا في موضوع عدم المشاركة في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير التي انبثقت عن مجلس عمان، ورهان القيادة الفلسطينية على استعادة دورها الإقليمي والدولي من الساحة اللبنانية يجسد ضبابية المستقبل، والمهم الآن ماذا سنقول للرفاق في هذا الاجتماع.

فنصحت بأن يكون موقفه في موضوع الإنسحاب من عدمه واضحا وحاسما، نحن في مرحلة عض أصابع والوضع الميداني لا يتحمل أي لبس أو شك في موقف القيادة. أكد ياسر أن هذه النقطة محسومة في ذهنه ويجب أن يكون مفهوما لجميع الرفاق أن وجود قوات الجبهة في مغدوشة ليس موضع مساومة إطلاقا.

وسألت ياسر عما سيقوله في الإجتماع عن تصريح الناطق الرسمي باسم الجبهة. وظن هو أن إخفاء التصريح من قبل فهد وسحبه من ملف البرقيات يكفي للقفز عن الموضوع والهروب من إعطاء جواب واضح وصريح يرفض مضمون التصريح. وقلت إن إخفاء التصريح لا يكفي لأن عمال الإشارة يتحدثون حوله، وأجهزة التنظيمات الأخرى تكون قد التقطته، وحتى محطاتنا الفرعية تكون قد التقطته أيضا، وأظن أن الإذاعات المحلية سوف تكرره كل ساعة لأنه موضوع الساعة وهو خبر مثير.

فوعد ياسر بأن نكون واضحين. وأكد انه سوف يخطئ التصريح حتى لو كان غرضه تكتيكيا. وسوف يؤكد في الاجتماع على أن ما صدر لا يعبر عن موقف رسمي للجبهة، وان موقف المكتب السياسي الرسمي حتى اللحظة هو الصمود في مغدوشة والدفاع عن المخيمات وعدم الإنسحاب من أي موقع، وانه في جميع الحالات وكل الظروف لا لعودة قوات "أمل" لبلدة مغدوشة، ولا لأي إنسحاب فلسطيني من أي موقع قبل فك الحصار عن جميع المخيمات. قلت إن هذا عظيم، ومن المهم أن يفهم الرفاق في دمشق هذا الموقف. رد ياسر: "بسيطة غدا سأعود إلى دمشق ونحسم الموضوع معهم".

في الصالحية، كان في انتظارنا الرفاق أعضاء أمانة الإقليم ومعظم أعضاء لجنة الإقليم الموسعة، وأعضاء القيادة العسكرية وقيادة الميليشيا وقيادة منطقة صيدا التنظيمية، وكادر غير قليل من التنظيم والقوات. وفور وصولنا، اقترح فهد عقد اجتماع قصير لأمانة الإقليم قبل اللقاء الموسع، للتفاهم حول الموقف ولوضعنا في أجواء الرفاق وأجواء المخيم. وكان فهد يخشى حصول تباين بين أعضاء المكتب السياسي وأعضاء أمانة الإقليم فتزداد حال البلبلة والارتباك. اعتذرنا للرفاق الآخرين، ودخلنا غرفة جانبية رغم تأفف الرفاق الكوادر وضجرهم من الانتظار الطويل ومن التشوش والالتباس المحيط بموقف الجبهة[1].

على الواقف، ودون إطالة في الحديث، قال ياسر إن الأمور بدأت تتعقد، واقترح أن نجلس قليلا. أخرج فهد نص التصريح الوارد من دمشق من جيبه وقال إن الرفاق في دمشق مزنوقون على الأخير. قدم التصريح إلى ياسر، وقال إن هذا هو آخر وأهم ما وصلنا من دمشق وما عداه هو أخبار عادية تماما. وأشار إلى أن الوضع في مغدوشة جيد وهو يتحسن، و"فتح" قلقة من موقفنا وعلى العلاقة الثنائية واقترح مناقشة الخطوط العريضة لما سيطرح على الرفاق، وشدد على ضرورة توحيد الموقف وتوضيحه على قاعدة الموقف النهائي الذي سيرسو عليه قرار المكتب السياسي في غضون ٤٨ ساعة. واوضح فهد أن هناك خلافا حول الموضوع، وجميع الحاضرين أعضاء لجنة مركزية ولذلك لا مشكلة إذا استمعنا لجميع وجهات النظر. وأضاف فهد انه شخصيا راغب في معرفة حيثيات الموقف الآخر أو الرأي الآخر الذي يتبناه نايف وأبو ليلى ومن يؤيد موقفهم.

رد ياسر بان هناك فكرة عند عدد من الرفاق خلاصتها أن علينا التفكير أولا في مصالح الجبهة في الساحة السورية والساحة اللبنانية. وأوضح انهم يرون أن عرفات دفع بالوضع نحو خيارات صعبة، والسوريون يحاولون وضع قيادة الجبهة أمام أحد خيارين: البقاء في مغدوشة أو البقاء في دمشق. وطرق موضوع البقاء في بيروت والجبل والبقاع وإلى حد ما الشمال، أيضا، وقال إنه أسهل على السوريين طردنا من لبنان وحتى تصفية من يشاؤون، فهنا لا أحد يسأل أو يحتج.

وكشف ياسر أن المخابرات السورية طلبت إقفال مكتب الجبهة في منطقة المزة في دمشق، وقد رفضوا تجديد رخص السيارات المدنية والعسكرية وأوقفوا حركة المجازين وأذونات الدخول والمغادرة من المطار. وقال: "أعتقد أننا أمام امتحان جدي". وأشار إلى أن الموقف السليم يتطلب عدم التسرع بل محاولة كسب الوقت وعدم دفع الأمور من جانبنا إلى التصادم مع السوريين والقطيعة النهائية معهم. وقال انه حضر إلى لبنان لدراسة هذا الغرض وكيفية تحقيقه. وقال إننا إذا خيرنا بين إغلاق المكاتب في دمشق وبين مصلحة المخيمات ومصلحة الجبهة على المدى البعيد فأعتقد أن خيارنا الوحيد هو التضحية بالمكاتب وبوجودنا في دمشق. وأكد ضرورة إجراء وقفة جدية ومراجعة سياستنا على المستوى الوطني. واعتبر أن خروج الجبهة من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير قد أضعفها في مواجهة السوريين وحشرها في العلاقة مع أنصارهم في الساحة الفلسطينية.

وقال ياسر إننا لسنا جبهة إنقاذ في جيب المخابرات السورية، ولسنا مستعدين للانخراط في هكذا جبهة كما تطلب المخابرات السورية، كما أننا لسنا في قيادة المنظمة بل فقدنا الغطاء الذي يمكن أن توفره المنظمة لنا. وأكد أنه سوف يشدد في حديثه مع الرفاق كادر التنظيم على أن الموقف كان وسيبقى أن لا إنسحاب من مغدوشة إلا بعد فك الحصار الكامل عن جميع المخيمات. وسأل ياسر عن موقف الرفاق ورأي قواعد التنظيم وكوادره.

رد فهد محاولا التهوين من دلالة حدة موقف الرفاق في صيدا والمخيمات، وعزا تشددهم إلى حسابات محلية منطلقها الحرص على المخيم والخوف من نتائج الإنسحاب على علاقة منظمات الجبهة الحزبية والجماهيرية بالناس في المخيمات.

عندها، تدخلت أنا، وطلبت من الجميع التوجه للاجتماع بالرفاق حيث تأخرنا، وقلت إننا سوف نستكمل حديثنا بعد الاجتماع، وان رأي بعض الرفاق في المكتب السياسي في دمشق ليس ملزما لنا. فاستدرك فهد قائلا إن أعضاء المكتب السياسي ليسوا ناسا عاديين. وأكد على أن رأي الرفيق الأمين العام والرفيق مسؤول المكتب التنظيمي مهم ولا بد من أخذه بنظر الاعتبار. فأجبت بسرعة وقلت ان مصلحة الناس في المخيمات تبقى فوق إي اعتبارات تنظيمية، ثم إننا موجودون في صيدا والكوادر الموجودون هنا

هم أبناء عين الحلوة ومن القوات، وأي حديث آخر غير الصمود في مغدوشة سوف يترك آثارا معنوية سيئة. وأكدت على أن المطلوب هو خط يعبئ ويشحذ الهمم ولا يحبط، فابن المخيم لا يمكن أن يخرج عن جلده، وظهور نزعة محلية أمر طبيعي، والمهم ان لا تندفع هذه النزعة باتجاهات متطرفة، والملفت للنظر، على كل حال، أننا بدأنا نسمع من بعض أهالي المخيم، ومنهم رفاقنا، تصنيف الناس بين أولاد المخيم والغرباء عن المخيم وهذا خطير.

قطع ياسر الكلام وحث على التوجه إلى الاجتماع على أن نتابع بعده النقاش طالما أن هناك رفاقا لديهم بعض وجهات النظر ولديهم رغبة في بحث مواقف الرفاق في المكتب السياسي.

ووفقا للتقاليد الحزبية، قدم فهد الرفيق الأمين العام المساعد ياسر للحضور، طبعا، كان الجميع يعرفون ياسر جيدا، لكن هذا تقليد حزبي يتبع في افتتاح الاجتماعات الرسمية. وأقترح فهد جدول أعمال يبدأ أولا باستعراض الرفيق ياسر آخر التطورات السياسية، وبعد العرض يفتح المجال للأسئلة والنقاش، وهذا الترتيب جزء من التقليد الحزبي المتبع في إدارة الاجتماعات الحزبية الموسعة. عادة، يستمع الأعضاء لما يقوله ممثل الهيئة الأعلى، ثم يسمح لهم بالاستفسارات، وبعد الاستفسارات يسمح بالنقاش، هذا إذا بقي متسع من الوقت وكان المسؤول طويل بال، وأيضا إذا تجرأ أحد على طرح وجهة نظر مخالفة.

وفي حياة الأحزاب التي تقوم على المركزية الديمقراطية او المركزية الشديدة،غالبا ما يكون الوقت المخصص للنقاش محدودا جدا. والتقليد يقضي باعتبار ما تقوله الهيئات الأعلى توجهات أقرب للقرارات، ولا بأس من بعض الاستفسارات، أما طرح آراء أخرى فقد يعرض صاحبها لأشكال متنوعة من القمع الفكري والسياسي الذي لا يخلو من تسخيف وجهة النظر.

في هذا الاجتماع الحزبي الموسع، دفعت سخونة الوضع أكثر من رفيق لطلب الكلام. المتحدث الأول اقترح أن نبدأ بالاستفسارات،لأن هذا يساعد في اختزال الوقت، ويتيح للرفاق طرح ما لديهم من قضايا، ويعطي الرفيق ياسر فرصة التركيز على القضايا الأكثر ملحاحية. وقد أضاف هذا المتحدث أننا لسنا بحاجة الآن، بعد هذا التأخير، لعرض آخر المستجدات السياسية على الساحة الدولية والعربية والإقليمية والمحلية..الخ، كما يجري عادة في المجالس، جميعنا لدينا مهمات فلماذا لا ندخل صلب الموضوع الساخن. واستأذن في طرح استفسار واحد قال أن الجميع بانتظار الإجابة عليه هو ما حقيقة موقف...

قبل أن يكمل هذا المتحدث كلامه، قاطعه مدير الجلسة فهد وقال: " انتظر يا رفيق، للاجتماعات الحزبية أصولها حتى في أوقات الحرب، أنت طرحت فكرة ومضيت قدما في حديثك وقررت الفكرة وفرضتها على الجميع، ودخلت في نقاشها وكأنك أنت الذي تقرر ".

رد الرفيق: "أعوذ بالله، أنا لا أقرر شيئا، أنا كادر بسيط، لكني تركت زوجتي وأطفالي في المخيم وأنا أسكن الحارة الجنوبية، وأنتم تعرفون ماذا يعني أن تبقى عائلتك في بيت من الطوب في الحارة الجنوبية من المخيم المعرضة للقصف والقنص بصورة متواصلة".

- لسنا الآن في وضع مزاودات من بعضنا على بعض.

- أنا لا أزاود على أحد، فقط أريد أن أفهم موقف الجبهة من مسألة الاستمرار في التواجد في مغدوشة، إذا كان الموقف الإنسحاب، فأنا منسحب من الاجتماع ومن كل الجبهة وعليكم السلام.

قال الرفيق هذا ثم نهض وفي نيته المغادرة. عندها، تدخل ياسر وقال: "قبل أن تنسحب يا رفيق إعرف رأي الجبهة وموقفها وبعدها أنت حر في التصرف!". وأضاف ياسر أنه يؤيد ما قاله رفيقنا من أننا لسنا في وضع نبحث فيه المستجدات والتطورات السياسية، وأثنى على اقتراح الرفيق بأن نبدأ بالاستفسارات، فهذا يختزل الوقت ويضع الاجتماع أمام القضايا الساخنة. واكمل ياسر حديثه: "على كل حال ما أود قوله في بداية هذا الاجتماع هو تعزية أنفسنا بالرفاق الشهداء محمود خليفاوي وأبو سمرة والشهداء الآخرين. محمود وأبو سمرة خسارة كبيرة ليس سهلا تعويضها. لكن عزاءنا أن ما أنجز في مغدوشة هو عمل عظيم، ثمنه كبير لكن نتائجه كبيرة وهامة أيضا على المستوى الوطني العام وليس فقط على صعيد وجود قوات الثورة على الساحة اللبنانية". وأشار إلى أن سبيل المحافظة على هذا الإنجاز الكبير وعدم تبديده هو الوصول إلى هذه النتائج بالتمترس في مغدوشة وعدم الإنسحاب منها ومنع عودة "أمل" بالمطلق إليها. وحتى تسليمها لأبو معروف على غرار ما حصل في قرى شرق صيدا يجب ان يربط بفك الحصار عن مخيمات الرشيدية وشاتيلا وبرج البراجنة وفتح طرقها. وأضاف أن هذا ما كان يود قوله بغض النظر عن مداخلة الرفيق المحقة.

شكوك في صفوف الكادر حول حقيقة موقف قيادة الجبهة

بعد المداخلة الموجزة والحاسمة، فتح الباب لطرح الأسئلة. وتمنى ياسر على الرفاق الاختزال وعدم التكرار، وطلب أن يعرض بعض الرفاق في مداخلاتهم أجواء الناس في المخيم ومواقف وجهاء المخيم والقوى المحلية.

في حينه، تركزت أسئلة الكادر حول ما يشاع ويذاع بشأن إنسحاب قوات الجبهة الديمقراطية من مغدوشة وحول مهمة ياسر في لبنان، وتم التطرق كذلك لمستقبل علاقة الجبهة مع النظام في سوريا، وأثر الموقف من مغدوشة على وضع الجبهة على الساحة اللبنانية، ومستقبل العلاقة مع "فتح" ومنظمة التحرير. ولم ينس بعض الكادر طرح

أسئلة استنكارية حول آلية اتخاذ القرارات في المكتب السياسي وعدم أخذ رأي الهيئات القيادية في إقليم لبنان قبل اتخاذ قرارات تتعلق بالعمل على الساحة اللبنانية من نوع الإنسحاب أو عدمه من مغدوشة. وغمز بعضهم بوضوح من زيارة ياسر، وشككوا في وجود موقف حاسم بالثبات في مغدوشة، وقالوا إن لا دخان بدون نار، وليس معقولا ان كل ما يذاع وينشر هو مجرد افتراءات لا أساس لها من الصحة.

وتساءل آخرون لماذا تم اللقاء مع كادر الإقليم في نهاية جولة ياسر وليس في بدايتها. وتحدث عدد من الكوادر بصورة حاسمة ضد فكرة الإنسحاب مهما كان الثمن، وعرضوا حالة الناس في عين الحلوة والمية مية وصيدا، وأشاروا إلى ان أهل المخيم يشككون في مواقف الجبهة ويغمزون من تأثر قيادتها بالسياسة السورية، وقالوا إن الناس تحمل الجبهة مسؤولية أي مجازر أو دمار يلحق بمخيم عين الحلوة وبأهالي المخيم. آخرون أضافوا المسؤولية ايضا عن مخيمات الرشيدية وشاتيلا والبرج. وأثناء الاجتماع، وردت برقيات من قيادة منظمة الجبهة في مخيمات الرشيدية وبرج البراجنة وشاتيلا تستفسر عن صحة ما تتناقله الإذاعات حول مهمة الرفيق ياسر وحول قرار الجبهة بالإنسحاب من مغدوشة.

بعد الانتهاء من الاستفسارات، والتي لم تخل من مواقف واضحة، تحدث ياسر، وكان منفعلا إلى حد كبير، وعاد وكرر بصورة قاطعة رفض الإنسحاب من مغدوشة، وصعد شروط الجبهة في اي حوار مع القوى اللبنانية حول وضع مغدوشة. وحمّل ياسر القيادة العسكرية لقوات الجبهة المسؤولية عن التأخر في حسم وضع مغدوشة كي يتسنى لنا شق الطريق باتجاه الرشيدية وفك الحصار عن المخيمات الأخرى.

ودعا ياسر كوادر التنظيم الحزبية إلى تعبئة القوى واستنفار الطاقات وإرسال تعزيزات عسكرية إلى مغدوشة والتنسيق مع "فتح" لشن هجوم نهائي وحسم الوضع في مغدوشة خلال فترة ٢٤ ساعة. وطلب من القيادة العسكرية إرسال قوات ولو بأعداد قليلة مهمتها خرق الحصار المضروب حول مخيمات الرشيدية وشاتيلا وبرج البراجنة المحاصرة. ودعا إلى تشكيل جهاز لديه مجموعات عمل مهمتها تزويد المخيمات بالتموين. وختم حديثه: "اسمعوا، لا إنسحاب من مغدوشة حتى لو صدرت أوامر بذلك". وأكد أنه لن تصدر هكذا أوامر.

وقال: "تكتيكيا، قد تصلكم بعض البرقيات من دمشق تختلف عما نقوله مباشرة، وهذا يجب أن يؤخذ في إطار المناورة والتكتيك". وأكد أن لا خلاف في المكتب السياسي، بل هناك اجتهادات في إطار التكتيك فقط. ثم تحدث عن الوحدة الوطنية والتمسك بشعار وحدة المدافعين عن المخيمات، ووحدة المقاتلين على الأرض، وبمقدار ما تتعزز الوحدة على الأرض بمقدار ما تضطر القيادات على التقدم بسرعة باتجاه استعادة وحدة منظمة التحرير. وأشار إلى ان القضايا التي فرقت القوى لم يعد لها قيمة إطلاقا. وكان يقصد الخلاف مع "فتح"، الخلاف الذي عطل مشاركة الجبهة في اللجنة التنفيذية للمنظمة.

ثم تحدث عن العلاقة مع سوريا بصورة تهكمية وقال " "أمري إلى الله، المشروع الجاري ضد المخيمات هو استكمال لحرب إسرائيل في العام ١٩٨٢ ضد منظمة التحرير واستكمال محاولة تقسيم وتفتيت وتدمير م.ت.ف. التي بدأت بانشقاق "فتح" عام ١٩٨٣ على يد جماعة الاخوة أبو صالح وأبو خالد العملة وأبو موسى وقدري". وتوقع ياسر أن يتعرض وجود الجبهة في سوريا ولبنان إلى ضغوط شديدة من الأجهزة السورية، وقد تجري محاولات اغتيال ضد عدد من كوادرنا وقياداتنا في لبنان، وبيّن أن لدى الجبهة معلومات مؤكدة حول الموضوع، ودعا إلى الحذر والانتباه بصورة جيدة. وهاجم ياسر بحدة موقف جبهة الإنقاذ، وقال إن الإخوان ناس هذه الجبهة فقدوا أي انتماء وطني فلسطيني، وهذا أمر يؤسف له خصوصا بالنسبة للرفاق في الجبهة الشعبية.

وختم ياسر مداخلته بالتأكيد على أن الجبهة أمام خيارات مصيرية وصعبة فإما أن تكون حزبا فلسطينيا همومه هي هموم شعبه أو تكون حزبا لشعب آخر.

بهذه الجملة، إنتهى الاجتماع، وغادر الرفاق، كل إلى موقعه ومهامه، والكل متأكد من أن لا إنسحاب من مغدوشة. غادر الرفاق بلدة الصالحية لكن ثقتهم بما قاله الرفيق الأمين العام المساعد ظلت مهزوزة وبقاء قوات الجبهة في مغدوشة مسألة لم تحسم.

بعد خروج الكادر، تجمع أعضاء أمانة الإقليم، وفورا سأل ياسر: "ما رأيكم، ما هو تقديركم؟". وأكثر من صوت قال: عظيم.

قلت إن المهم هو الثبات على هذا الموقف من قبل الرفاق في المكتب السياسي. كثير من الكادر حاول تصديق ما قيل لكنه لم يقتنع.

علق فهد موجها الكلام لياسر بان عيار الكلام كان مرتفعا وثقيلا إلى حد ما، وتصوير الموقف بدا قاطعا لا يترك مجالا حتى للمناورة. ورأى فهد أن القضية خطيرة والوضع صعب، وتوقع أننا سنواجه في لبنان مشاكل مع الإستخبارات السورية وأتباع سوريا وغازي كنعان، وفي سوريا سيفشون خلقهم في قيادة الجبهة. والمهم، كما رآه فهد، هو ترتيب أمورنا بما يخفف من النتائج السلبية للضربة السورية القادمة حتما. واقترح أن نتوجه إلى مدينة صيدا للمبيت هناك.

رد ياسر بأنه مرهق جدا وعنده رغبة شديدة في النوم، وسأل عما إذا كان هناك ضرورة لعقد اجتماع أمانة الإقليم بعد كل هذا الحديث.

قلت ان لا ضرورة لذلك إلا إذا ارتأى الرفاق رأيا آخر. صمت الرفاق، وظهر شبه إجماع على عدم عقد الاجتماع. واتفق على عقد لقاء قصير صباح الغد إذا طرأ جديد.

توجهنا إلى صيدا ومضى كل إلى موقعه. ياسر وفهد وأنا توجهنا إلى بيت خاص قرب مستشفى الهمشري، وهو ملك للجبهة ويستخدم لمبيت أعضاء القيادة الأولى. وعلى

الطريق، حاول فهد فتح نقاش حول ما طرحه ياسر من مواقف. لكن ياسر قطع طريق النقاش: " دماغي تعبان، أرجوكم عدم الحديث ولو ساعة واحدة في القضايا السياسية. مرهق، ٢٤ ساعة حديث متواصل، غيّروا الموضوع واحكوا على أي قضية أخرى! ".

قلت لياسر إن أمامنا ليلا طويلا، فهل تفضل سهرة مع أبو معروف أو عشاء وكأسا في بيت اشتريناه أنا وفهد ودفعنا خلّوه من الموازنة دون علمكم. ضغط فهد على يدي وهمس في أذني أن لا أنسى ان ياسر هو مسؤول المالية المركزية من الناحية الرسمية. ولاحظ ياسر الهمسات واندهش وسأل: " ماذا قلت، بيت ملك للجبهة واشتريتموه بدون علمنا، من أين لكم الأموال، لا نسمع منكم إلا صرخات بان الموازنة لا تكفي حولوا مبلغا استثنائيا ". وتملص فهد: " هذه مزحة من ممدوح هدفها استفزازك ". فقلت لياسر هل تعد أن يبقي الأمر سريا ومكتوما عن الآخرين.

ـ وعد شرف، ويبدو من الآن فصاعدا أنه ستكون هناك كثير من القضايا مكتومة عن عدد من أعضاء المكتب السياسي، خصوصا الرفيق الأمين العام ومسؤول المالية وأبو ادهم. وألاحظ أن بعض الاخوة مرعوبون من السوريين، وأحد الإخوان المرعوبين بدأ يتحدث عن مغادرة العمل السياسي ".

قلت يبدو لي أن وضع الجبهة وحال الرفاق في دمشق ومستقبل العمل الفلسطيني يستحق سهرة. وأشرت إلى أن السهرة بطرف أبومعروف تفقد متعتها بعد أقل من ساعة ، لأن أبو معروف يشرب بسرعة ويسكر بسرعة، بعكس وليد جنبلاط.

ـ بلاها، نذهب للبيت العتيد، لا تظنوا أني نسيت الموضوع.

فكرر فهد أن ممدوح يمزح. وقال انه لا يطمئن للحديث الصريح مع ياسر في القضايا المالية، خصوصا أن ياسر مسؤول المالية المركزية وإذا تحدثنا بصراحة فسيثير الموضوع في اجتماعات المكتب السياسي، وبالحد الأدنى سنكون ضعفاء أمامه عند مناقشة القضايا المالية المتعلقة بإقليم لبنان.

ـ " تحدثوا بصراحة وخذوا راحتكم، ولكم مني وعد بأن لا أبتزكم كثيرا، فقط ابتزاز على الخفيف. ولعلمكم، بدأت أهرب بشكل تدريجي من هذه المسؤولية الوسخة، وتفكيري في هذه المرحلة منصب حول موضوع استعادة الوحدة الوطنية ووحدة منظمة التحرير.

قلت: " أكمل يا فهد ".

قال: " بلاها ".

قلت: " كل ما في الأمر أننا دبرنا كم مليون ليرة لبنانية وتصرفنا على طريقة التجار اليهود، اشترينا بيوتا ومكاتب ". وبينت أن الشراء في لبنان يتم هذه الأيام بدفع خلو

تعويض للساكن وليس لصاحب البيت الأصلي. جميع البيوت التي تعود لمهجرين من الطوائف المختلفة تملكها من سكنها، وتجري عملية بيع وشراء من دون معرفة المالك".

ـ أوف، كنا في بيت واحد صارت بيوتا ومكاتب!

قلت: "وضعنا في الجبهة الديمقراطية والثورة الفلسطينية بعد الرحيل عن بيروت صار مثل وضع المسلمين في نهاية العهد العباسي، كل واحد منا أصبح واليا في منطقته، وكل ولاية مقسمة إلى إمارات صغيرة وممالك صغيرة، أنا وأخوك فهد ولاة لبنان. وخيك أبو سعدو هو والي مدينة طرابلس في الشمال. الطريق إليه أصعب من الطريق إلى حاكم الشام أو إلى والي مصر أيام احتلال الصليبيين القدس وصيدا وصور وعسقلان والكرك. وخيك خالد يونس سكرتير منظمة الجبهة في البقاع وضعه في بعلبك شبيه بوضع والي أنطاكية".

قال ياسر أنه الأقرب إلى وضع والي بعلبك نفسه. وذكر أن صلاح الدين الأيوبي تمكن هو ونور الدين زنكي من تجريد أكثر من حملة من الشام وحتى من حلب إلى القاهرة ولم تعقه كل قلاع الصليبيين وحصونهم على امتداد الساحل الفلسطيني والقدس والكرك. ويومها تدبر صلاح الدين أمره وأمن طريقه عبر الأغوار جنوب البحر الميت، إجتاز مواقع الصليبيين وأطراف سيناء من جنوب عسقلان وغزة. وقال ياسر: "نأمل من حضراتكم أن تتمكنوا أنتم وأبو سعدو وقادة المناطق من تدبير أموركم وإبقاء صلة ما بينكم بعد إغلاق القوات السورية وعناصر حركة "أمل" طريق الهرمل والبقاع".

قلت: "من قال لك إن عندنا صلاح الدين الأيوبي، صلاح الدين كان كرديا وليس فينا أكراد!

أكد فهد أن أبو سعدو مرتاح لوضعه الذي يشبه وضع شيخ طرابلس في ذلك العهد والذي ظل على تحالف مع الصليبيين ضد إخوانه. وقال إن قيادة الإقليم تداولت اقتراحا يقوم على ربط منظمة الجبهة في طرابلس بقيادة إقليم سوريا لان صلة منظمة طرابلس مقطوعة عن بقية الإقليم منذ اكثر من عام، وزيارة طرابلس تتم عبر الدوران من طريق دمشق إلى حمص ثم طرابلس، ورحلة حول العالم أسهل هذه الأيام من الرحلة عبر الأراضي السورية.

حبذ ياسر الفكرة وقال إنه ليس بالضرورة أن تكون على هيئة ربط تنظيمي كامل،إذ يمكن أن يتولى المكتب السياسي تنظيم اتصال مع الشمال، بحيث يتم تأمين زيارات حزبية منتظمة، ويتم تامين نسخة عن المراسلات الحزبية مباشرة دون المرور بقيادة الإقليم في سوريا.

قلت إن الحرب مع "أمل" طويلة، والمشكلة ليست في إرسال بريد وتوّجيهات حزبية، بل في نقل اكبر عدد ممكن من المقاتلين من الشمال إلى صيدا. وذكّرت بأن الوضع

الحزبي والوطني في شمال لبنان مرتاح، المخيمات لم تدخل معارك جدية، الاحتياط الفلسطيني في لبنان موجود في الشمال، وقد اقترحت أن يتم وضع ترتيبات لنقل مقاتلين من طرابلس إلى دمشق، ثم يتولى الرفاق في سوريا تأمين وصولهم لطرفنا مع دفعات المتطوعين القادمين من دمشق.

قال ياسر: "فكرة جيدة تنفيذها سهل".

عند هذا الحد من النقاش، توقفت السيارة أمام البيت فيما كانت أصوات الاشتباكات متواصلة لكنها ليست عنيفة. وعلق ياسر بأن الوضع الليلة هادئ نسبيا. قلت إن الإخوان السوريين يريدون إظهار حسن النية تجاه مهمتك في لبنان ويتمنون لك النجاح في طردنا من مغدوشة. رد ياسر بأني غلطان، وقدّر أن الإخوان يحضرون لعمل عسكري واسع. وسأل كم شقة اشتريتم، وهل إذا بيعت تخسر أم تربح؟

رد فهد: لا خسارة في لبنان في تجارة العقار والأرض، وقد تكون الأرباح قليلة الآن، لكن من المتوقع في وقت لاحق أن تكون الأرباح كبيرة، ثم لماذا نبيعها، هل من نية لمغادرة صيدا؟

رد ياسر بأنه مجرد سؤال، واستفهم عما إذا كانت المعاملات القانونية مستكملة أم أن الأمور جرت كما تجري عادة في المقاومة، وصل باستلام المبلغ وكفى الله المؤمنين شر القتال؟ قلت اننا تعلمنا من درس بيروت وما بعد ١٩٨٢، ولا زلنا حتى الآن غير قادرين على استرداد الكثير من أملاك الجبهة بفعل عدم تسجيلها قانونيا.

دخلنا البيت، وكرر ياسر السؤال: "كم شقة اشتريتم، ومن أين لكم الأموال"؟

قلت: "في صيدا ومحيطها عندنا ثلاث بيوت ملك، ولدينا عدد اكبر من بيوت المهجرين استصلحناها في مجدليون والمية مية. وقمنا ببناء مركز رياضي مهم، ونحن بصدد شراء مبنى المركز الثقافي وتملكه. وبصدد شراء مقر في مخيم الرشيدية، الأسعار الآن منخفضة، وإذا نسيت شيئا فإن ذاكرة فهد أفضل في المسائل المالية وهو المعني بمتابعة هذه الأمور. محسوبك يؤمن الأموال وفهد يتولى صرفها".

أكد فهد ان الانجاز المهم تم في الشمال، حيث تم بناء مقرين في مخيم البداوي، يتكون الأول من ثلاث طوابق وكل طابق فيه صالة وعدة غرف. والثاني عبارة عن مقر واسع في مخيم البارد مع قاعة واسعة مجهزة بكراسي ثابتة.وعقبت بان هذه القاعة أحسن من قاعة سينما الشرق في مخيم اليرموك في دمشق.

كرر ياسر سؤاله عن مصدر المال. رد فهد بان هذا السؤال جوابه عند ممدوح. وتوجب أن أشرح الأمر.

- نغطي من ميزانية القوات أجور مقرات تدفع للتنظيم. وصديقنا أبو علي ممثل القائد العام يقدم بعض التجهيزات، وقد بدأنا منذ مدة ببيع بعض أنواع الذخائر والقذائف

الفائضة عن الحاجة، بعضها غنمناها في المعارك ومعظمها لا يصلح لاستعمال قواتنا. وسوق السلاح في لبنان مزدهر دائما وتجارته رابحة. ومن ريع المبيعات لا نورد سوى قسم بسيط للمالية المركزية والباقي يصب كله عند فهد. وللعلم، نبحث الآن في صفقة بيع راجمتي صواريخ BM 21 ، والسعر المعروض علينا حتى الآن هو ٦٠ ألف دولار في الواحدة، ونحن طلبنا ١٠٠ ألف دولار[٢]. لدينا عشر راجمات حافظنا عليها في حرب ١٩٨٢، جميعها كانت هدايا من العقيد معمر القذافي. للعشر راجمات يتوفر فقط أقل من ١٠٠٠ صاروخ غراد، الرشقة الواحدة للراجمة الواحدة ٤٠ صاروخ.

ولاحظ ياسر: "إذن مشترياتكم واستثماراتكم بمئات ألوف الدولارات".

- هذا صحيح، وكله مسجل في دفتر حساب خاص عند الرفيق شحادة محاسب مالية القوات، وسيأتي يوم نفتح فيه هذا الدفتر مع الاستعداد الكامل لتحمل كل صنوف المحاسبة.

تمنى فهد على ياسر الإبقاء على سرية الموضوع حتى يستكمل بناء مقرات الإقليم وتأسيسها، وأضاف أننا كنا مثل النور، جميع القوى الفلسطينية أعادت إعمار مقراتها وجهزتها بأحسن التجهيزات، باستثنائنا.

قال ياسر: "سري على رأسي، وبيع عدد من الراجمات أمر صحيح، لكن ثمنها يجب توريده للمالية المركزية دون نقصان ولا يجوز التصرف به". هنا، أكدت على سلامة هذا الرأي بشأن الراجمات ووعدت الالتزام الكامل به وتعهدت أن لا نتصرف بثمنها.

خلال الحديث، أحضر الرفاق المرافقون الطعام من المطعم. وكانت مناسبة لنقل الكلام باتجاه موضوع آخر، وتساءلت عن قصة عودة بعض الرفاق إلى الأحزاب اللبنانية التي كان ياسر قد شرع في حكايتها لنا. لكن فهد طلب القفز عن هذه القصة، إذ الأهم، عنده، هو الوضع في المكتب السياسي وإلى أين يتجه؟ وتساءل حول مستقبل علاقة الجبهة بالسوريين. وبيّن أنه مع الصمود في مغدوشة، لكن التصادم مع السوريين يدمرنا في لبنان اكثر من سوريا، واي تصادم مكشوف سوف يحصر الجبهة في منطقة صيدا ويعرض كادرها لخطر الاعتقال وحتى التصفية الجسدية، ويصبح نشاط الجبهة محظورا على الساحة اللبنانية مثلها مثل "فتح"، ومنظمات الجبهة ليست جاهزة للتعاطي مع هكذا وضع، وذكر بان وضع الجبهة يختلف عن "فتح"، قيادة "فتح" الأولى موجودة خارج سوريا ولبنان وعندها حساباتها العربية.

وفي تعقيبه، توقع ياسر أن نتعرض لأكثر من الاعتقال، كما توقع ان تتم بعض التصفيات الجسدية لعدد من الكادر الأول. ولكنه أكد أن لا خيار أمام الجبهة سوى العمل على تقليص الخسائر التي نتعرض لها والتحمل والصمود، والمهم أن يتم التعامل مع الموضوع بجدية. واقترح تقليص الحركة، وتأمين أماكن اختفاء سرية وطرق اتصال

سرية. وقدّر أن المخابرات السورية لن تتساهل مع الجبهة خصوصا قيادتها العسكرية والتنظيمية في لبنان. واعتبر أن عملاء سوريا في جبهة الإنقاذ هم الأخطر وهم أدوات تنفيذ جاهزة لارتكاب جرائم، ورجح أن تلجأ المخابرات السورية لاستخدامهم ضدنا ليبدو الأمر على انه صراعات فلسطينية ـ فلسطينية.

علق فهد بان استنتاجات ياسر دقيقة مع الأسف الشديد وخطيرة جدا. وقال إن الموضوع كبير ويحتاج إلى دراسة وتفكير أعمق، وتوقع أن يكون رد الفعل السوري شبيها برد فعلهم على احتلال قرى شرق صيدا لا بل أوسع واخطر.

قلت إن المسألة واضحة ولا تحتاج إلى دراسة ولا ما يحزنون. وبينت أن ليس أمام الجبهة من خيار سوى الصمود على موقفها ومتابعة خط الدفاع عن المخيمات، وإن أي تراجع أمام المخابرات السورية يزيد من مطالبها، وهم لن يتوقفوا عن الابتزاز حتى يحولوا الجبهة إلى فصيل من فصائل جبهة الإنقاذ، ولن يقبلوا منها موقفا دون ذلك، وهذا يعني نهايتها السياسية على المستوى الوطني في المدى المتوسط والبعيد، والتاريخ لن يرحمنا.

قال فهد إن موقفك معروف، وأشار إلى انه لا يرى أن العلاقة بالنظام السوري ستصل بالضرورة لهذا الحد. تدخل ياسر وبيّن انه أميل للاعتقاد ان الهدف هو تصفية منظمة التحرير وتصفية الوجود الفلسطيني المسلح والمنظم في لبنان، وأي تراجع أمام الضغط السوري سوف يشجع على المضي قدما في هذا الاتجاه. ورأى ان المخرج الوحيد أمام الجبهة هو التعجيل في استعادة وحدة منظمة التحرير. وقال: " على كل حال يبدو لي أن الحال في قيادة اقليم لبنان مرتبكة، شبيهة بحالة مكتبنا السياسي " .

فعقبت بأن ما نسمعه الآن من فهد هو موقف جديد، وقلت إني أنا أمين إقليم لبنان، ولم اسمع في الاجتماعات الرسمية موقفا مغايرا لما طرحته، ويبدو أن الرفيق فهد اقتنع بوجهة نظر الرفاق نايف وأبو ليلى وأبو أدهم الداعية إلى وضع مصالح الجبهة فوق مصلحة المخيمات. ورد فهد بأن التطورات وتسارعها تدفع للتفكير بعمق وإعادة النظر في المواقف. قلت إن هذا موضوع آخر، لا مجال لمناقشته الآن. وقال ياسر انه متعب وهو يفضل النوم فورا، واستغرب هدوء الوضع في مغدوشة بصورة كاملة. وسأل عن برنامج اليوم التالي. وبّين أنه يفضل العودة إلى دمشق ووضع الرفاق في المكتب السياسي في صورة التطورات والمواقف، بأمل وقف أي اندفاع في التصريحات الضارة وسواها. فاقترحت أن نحاول الحديث مع أبو جهاد غدا صباحا، ولا داعي لاجتماع الأمانة، على ان يغادر ياسر بعدها إلى دمشق. وعند هذا الحد، انتهت السهرة وتوجه كل منا إلى سريره.

كلمات فهد الأخيرة كانت مزعجة، لكن شدة الإرهاق وقلة النوم تغلبا على الإزعاج، ونمت بسرعة. لكني صحوت صباحا مرهقا ومكدرا من الكوابيس والأحلام المزعجة

التي يبدو أنها رافقتني طيلة نومي. كانت الساعة تقترب من العاشرة، عندما حضر الرفاق المرافقون ومعهم صحف الصباح. نهض ياسر والرفاق الآخرون. وتناولنا قهوة الصباح ونحن نتصفح الجرائد التي زادت الازعاج إزعاجا، فقد كانت مليئة بالأخبار عن مغدوشة، وفيها أخبار محرفة عن أهداف زيارة ياسر عبد ربه، وفيها تصريح الناطق الرسمي للجبهة من دمشق حول مغدوشة، وفيها أيضا سيناريوهات للإنسحاب والمواقف المحتملة لكل الأطراف المعنية بمستقبل الوضع في مغدوشة ومنطقة صيدا.

لم تورد الصحف كلمة واحدة عن أهل مغدوشة الذين نكبوا وشردوا من بيوتهم. وقبل مغادرة الشقة اقترحت أن نزور أبو معروف ثم يتابع فهد الحركة مع ياسر، وأتحرك أنا إلى غرفة العمليات للاطلاع على الملف اليومي والرد على البرقيات المستعجلة وزيارة مغدوشة وإنجاز ما يلزم من أعمال من نوع التدقيق في الوضع وفي حالة القوات، وإرسال ما يلزم من تعزيزات أو إجراء أي تبديلات ضرورية في الكادر أو الوحدات. لكن فهد أصر علي أن نبقى كلانا مع ياسر لا سيما وأننا سنتكلم مع خليل الوزير في تونس. وعند الكلام مع أبو جهاد من الضروري وجودي نظرا للعلاقة الخاصة.

توجهنا إلى منزل أبو علي عصام للحديث مع أبو جهاد، وقبل صعودنا درج المنزل، أبلغنا الحرس أن أبوعلي توجه إلى منزل أبو معروف. تابعنا المسير إلى بيت أبومعروف وهناك التقينا أبو علي وأخوين آخرين من قيادة "فتح".

قلت: "أكيد هذا لقاء نميمة واستغابة لمواقف قيادة الجبهة الديمقراطية".

أضاف ياسر أنه اعتقد أن شعار لا عودة إلى ما قبل ١٩٨٢ يسحب نفسه ليس فقط على طبيعة العلاقة مع الحركة الوطنية اللبنانية، بل على كل أشكال النميمة والإستغابة التي كنا نمارسها بعضنا ضد بعض قبل حرب ١٩٨٢.

رد أبو معروف: "والله يا ياسر، يبدو أن الكل يكذب بعضه على بعض، لا أحد يريد تغيير شيء. أنا شخصيا قررت السفر للعلاج في موسكو، أخبار الجرايد اليوم لا تبعث على الاطمئنان، يظهر أن إخوانك في دمشق عقدوا صفقات من خلف ظهرك وظهر ممدوح وفهد". وسأل هل قرأت تصريح الناطق الرسمي باسم الجبهة الديمقراطية من دمشق؟

قال ياسر: "قرأته، وهذه مناورات وألاعيب سياسية. أبو معروف لا تهتم، لا تخف على موقفنا، نحن ملتزمون بما قلناه أمس في هذا البيت".

- "والله خايف يا ياسر، الدنيا مصالح وكثيرون يضعون هذه الأيام مصالحهم الخاصة فوق مصلحة الشعب. الحديث في الصحف يدور فقط عن جبهة الإنقاذ و "أمل" وحزب الله والحزب القومي والحزب الشيوعي والتقدمي الاشتراكي، أما أهالي صيدا وأهل

مغدوشة فلا أحد يتحدث عنهم إطلاقا. ممدوح وعصام هما المسؤولان عن كل الذي حصل وما قد يحصل.

ردأبو علي: "فتح" ياأخ أبو معروف مسؤولة وملتزمة حتى لو بقيت وحدها في مغدوشة". ثم وجه كلامه إلى ياسر وقال: "أنا أيضا يا أخ ياسر غير مطمئن لموقف قيادة الجبهة. لدينا معلومات ان قادة في الجبهة التزموا أمس في اجتماع مع جبهة الإنقاذ بإنسحاب قوات الجبهة الديمقراطية خلال ٢٤ ساعة من بلدة مغدوشة". وأكد أن لدى قيادة "فتح" في لبنان قرارا خطيا من ياسر عرفات بالصمود في المواقع مهما كانت النتائج.

رد ياسر: "لا تسمعوا يا أبو علي كلام جبهة الرفض وتحريضها ضد الجبهة".

- جيد علينا أن لا نسمع كلام الناس لكن ماذا تقول في تصريح الناطق الرسمي باسم الجبهة، ماذا يمكن أن تقول عنه؟ هل هو مزور على لسان الجبهة؟ معلومات "الختيار" الرسمية تفيد بأن قوات الجبهة ستنسحب من مغدوشة، وقد طلب وضع ترتيبات ميدانية والتعامل مع الوضع على أنكم منسحبون، معلومات أبو عمار مؤكدة ومصدرها نايف شخصيا.

وأكد أبو علي اضافة لهذا أن "فتح" بدأت تتصرف على هذا الأساس، وانهم جاءوا لطرف أبو معروف لابلاغه قرار عرفات النهائي وهو الصمود في مغدوشة مهما كلف الثمن، حتى لو كانت النتيجة بواخر ترحيل شبيهة بما حصل في بيروت على يد شارون وبعدها في طرابلس على يد السوريين.

وجه أبو معروف حديثه إلى ياسر، وأكد أنه يدرك تماما حجم الضغوط التي تتعرض لها قيادة الجبهة. وذكر بأنه شخصيا دفع ثمن صموده على مبادئه أعز ما يملك. وقال: "أنظر لحالتي يا ياسر، فقدت بصري، فقدت ابنتي نتاشا، أنا أعرف الفاعلين، ومن أعطى أمر نسف بيتي موجود عندي في السجن، وأدلى باعترافات خطيرة جدا، قد تكون إسرائيل خلف العملية لكن لا علاقة لها مباشرة بالتنفيذ، يمكن علاقة غير مباشرة". وأكد أن لكل موقف ثمنا والحساب الدقيق هو الذي يستشرف المستقبل، والحياة كلها وقفة عز. وتساءل عما ستقوله قيادة الجبهة للشعب البائس المحاصر في مخيمات الرشيدية والبرج وشاتيلا؟ "إذا انسحبتم وانهارت المخيمات فعلى منظمة التحرير السلام في لبنان وغير لبنان، والتاريخ لا يرحم أحدا". وأضاف: "انتم أحرار، أنا سأسافر إلى موسكو لأنني لا أتحمل وقوع مجازر ضد الفلسطينيين. بعد قليل سيصل بعض الرفاق من السفارة السوفيتية، سأضعهم في صورة الموقف وسأطلب منهم فيزا وترتيبات سفري، ومن طلّع الحمار على المأذنة ينزله".

رد ياسر بأن أجواء الأمس كانت أفضل، ولا داعي لتكرار ما قلناه، الموضوع ليس موقف الديمقراطية، ممدوح مسؤول أمامكم، وحاضر بينكم. وقال انه سيغادر إلى

دمشق بعد قليل، والأوامر الرسمية المعطاة للرفاق المقاتلين هي الصمود في مغدوشة وعدم الإنسحاب حتى تحت أقصى الظروف، "وعند وصولي لدمشق سأدقق في التصريح وسأرسل لكم برقية".

قال أبو معروف إن ممدوح نوفل هو في النهاية عضو في قيادة حزب يلتزم مبدأ نفذ ثم ناقش، وملتزم بتنفيذ أي قرار حزبي.

هنا كان لا بد من تحديد موقفي بشكل حاسم. وقد قلت: "أبو معروف والحديث لجميع الإخوان، كونوا على ثقة بأني لن أنفذ أي قرار حزبي يلحق الأذى بشعبي، ولن أصدر أوامر تؤدي إلى تدمير تنظيمنا الذي بنيناه بدماء الشهداء. التحقت بالثورة لخدمة شعبي وعندما يتعارض وجودي في الجبهة مع مصالح شعبي فإن خياري سوف يكون دون تردد وضع مصلحة شعبي فوق الاعتبار الآخر، والجبهة في نظري وسيلة وليس هدفا".

رد أبو معروف إن هذا كلام نظري جميل يقال في حالة السعة، وأنت تعرف أنك إذا أنت رفضت تنفيذ القرار الحزبي فسوف يفصلونك من التنظيم، ويعينون بديلا عنك ينفذ القرار".

- عندها يكون لكل حادث حديث.

واقترحت ان نغادر نحن وابو علي حتى نتمكن من التحدث من منزله مع أبو جهاد. فحذرنا أبو علي عصام: "إياكم أن تتحدثوا مع أبو عمار، هو منفعل من تصريح الناطق الرسمي للجبهة". وبيّن أن عرفات دقق كثيرا في حقيقة موقف ياسر، وأكد على عدم التزام أي كادر فتحاوي بأي كلام معكم الا بعد العودة له شخصيا. وأشار إلى أنه بإمكاننا الحديث مع أبو جهاد لكن قيادة "فتح" في لبنان لديها تعليمات واضحة ونهائية وهو لا يرى ان المكالمة مع أبو جهاد يمكن أن تغيرها.

قال ياسر: "نحن نعرف الأخ أبو عمار والأخ أبو جهاد اكثر منكم، المهم خففوا تقاريركم السلبية عنا". وأكد أبو علي أنهم يرسلون تقارير تفصيلية كل ساعة، ويرسلون إلى عرفات كل كلمة ترد حول المعركة ومواقف القوى الوطنية الفلسطينية واللبنانية، ثم قال مازحا: "حليفي الوحيد الأن هو أبو معروف، ومستعد للتحرك معكم إذا أذن لي".

مكالمة تلفونية حزينة مع أبو جهاد

في منزل أبو علي، بدأنا بالبحث عن أبو جهاد في تونس. كانت اتصالاتنا من لبنان مع العالم الخارجي صعبة جدا بالطرق المدنية العادية. والاتصالات من المناطق الوطنية في لبنان، بيروت، صيدا، صور، الشمال، البقاع، تكاد تكون مستحيلة، بينما الاتصال من المناطق الشرقية التي لا نتواجد نحن فيها سهل.

منذ حرب ١٩٨٢ وقبلها، شهدت الخدمات المدنية تراجعا كبيرا وتدهورت بصورة شاملة. ولم تبادر الحكومة اللبنانية إلى إصلاحها. المطار شبه مخرب ومعداته نهبت اكثر من مرة. البريد الألي وضعه ليس افضل والدوام فيه يتم حسب التساهيل والسيطرة عليه للغالب والقوي، والموظفون معظمهم حزبيون. الطرق مخربة منذ سارت عليها جنازير الدبابات الإسرائيلية وقبلها الدبابات السورية، والأمطار والثلوج لم تقصر في توسيع الخراب. والبلدية بالكاد تقوم بجمع الزبالة هذا إذا سمحت لها الظروف الأمنية. هذا كله وأكثر منه كانت تعيشه المناطق الخاضعة لسلطة الأحزاب والقوى الوطنية اللبنانية والجيش السوري. أما أهل المنطقة الشرقية فقد أعادوا تنظيم أوضاعهم وحسنوا مجالات الخدمة البلدية والمدنية كلها.

المقاومة الفلسطينية نجحت أثناء وجودها في بيروت بإمكاناتها المالية الوافرة في تجاوز هذه الصعوبات، وأقامت لنفسها نظام اتصال تلفوني خاص. فصار لديها شبكة اتصال لاسلكية تربطها بجميع أنحاء المعمورة، أجهزتها حديثة ومتطورة جدا من نوع تستخدمه أرقى الجيوش وأغناها. وبعد الخروج من بيروت عام ١٩٨٢، لم تكتف المقاومة بهذا، خصوصا بعدما تباعدت المسافات بين مراكز القيادة وفروعها وتوزعت على عديد الدول العربية، فبنت لنفسها، خصوصا "فتح" شبكة اتصالات تلفونية قاعدتها جزيرة قبرص، حيث أقامت محطة سنترال تلفوني ولاسلكي مركزي، وأصبح المتحدث من صيدا أو أي مكان آخر في لبنان يعتمد على رقم نيقوسيا وليس رقم بيروت، وباتت الاتصالات كأنها اتصالات بين قبرص وتونس أو قبرص وأي بلد آخر في العالم.

طبعا، هذا النظام مكلف جدا لجهة سعر الأجهزة التي تبلغ قيمة الواحد منها ما لا يقل عن ثلاثين ألف دولار، وثمن المكالمات الهاتفية مرتفع جدا باعتبارها اتصلات من وإلى قبرص والدفع بالدولار، ومدتها دائما طويلة ولا أحد يتهيب التكلفة أو ينتبه لها. ويمكن تصور الكلفة إذا عرفنا ان في مخيم عين الحلوة وحده كان يتواجد ما لا يقل عن خمسة أجهزة اتصال، واحد مع الممثل الشخصي لرئيس اللجنة التنفيذية، وآخر مع قائد القوات، وثالث مع مسؤول الأمن المركزي، ورابع مع مسؤول التنظيم، وخامس مع مسؤول التسليح المركزي، وغير هذه. والأجهزة ذاتها باتت موجودة في كل مخيم من المخيمات الأخرى المحاصرة، الرشيدية، برج البراجنة، شاتيلا، ومخيمات الشمال غير المحاصرة.

ولم تكتف " فتح " بهذا النمط من الاتصالات، بل عملت على مواكبة العصر وتكنولوجيته، وأقامت نظام اتصالات تلفونية عبر الأقمار الصناعية، وبات بإمكان الإخوان في قيادة " فتح " التحدث مع القيادة مباشرة دون وساطة محطة قبرص. وتوفرت أجهزة تعمل عبر الأقمار الصناعية يمكن من خلالها الحديث المباشر من صيدا مع أي مكان في العالم. لا شك في ان هذا النظام من الاتصالات كان يلبي الحاجة خصوصا وقت الطوارئ، إلا أن غرضه الرئيسي هو مركزة العمل والصلاحيات وتمكين القيادة في تونس من إحكام سيطرتها على الوضع حتى بتفاصيله المملة، والتدخل في أدق تفاصيل الحياة اليومية للتنظيم والاتصال مع الكادر في كل لحظة.

ترى هل كان هذا الحرص الشديد على هذا النظام المركزي نابعا من عدم الثقة بالقيادات الفرعية؟ أو أنه الخوف من الاستقلال النسبي لهذه القيادات، الاستقلال الذي يظهرها كقيادات فعلية لها وزن وتأثير في شؤون ما تقود؟ أو انه الخوف من قيام نظام مؤسستي يكرس العمل الجماعي وهذا يكون في العادة على حساب الأدوار الفردية للقادة ؟ أو هو تواصل النمط ذاته من العلاقات الذي سارت عليه الثورة منذ سنوات طويلة؟ لا شك في أن كل هذه الاعتبارات مجتمعة هي التي دفعت لإقامة هذا النمط من الاتصالات المكلفة جدا من الناحية المالية، وهو أكثر كلفة من النواحي التنظيمية لجهة قتل روح المبادرة لدى الكادر. فالإصرار على المركزية الشديدة يظل نقيض بناء المؤسسات الجماعية، وافتقار الثورة للمؤسسات أمر خطير سوف يدفع الشعب ثمنه غاليا. وطالما تساءلت أنا: ترى ما هي النتيجة لو أن أنفقت معظم هذا المبلغ على العمل داخل الوطن المحتل؟ ولعلي لا أظلم أحدا لو قلت أن هذا السؤال غاب عن ذهن الجميع، التنظيمات اليسارية قبل الأخرى.

الجميع غرق في بناء دولته الخاصة به على الأراضي اللبنانية، والكل ساهم في بناء الدولة الموحدة لدول المنظمات والفصائل في الفاكهاني والمخيمات. وبعد حرب ١٩٨٢، وبالرغم من تنبه الجميع إلى هذا الخلل الاستراتيجي وتأكيد الجميع على أهمية تركيز الجهود على العمل في داخل الوطن المحتل، فإن الأمر بقي اقرب إلى شعار يرفع بين حين وآخر دون ان يتبدل السلوك. وغرق الجميع بعد حرب ١٩٨٢ في إعادة إعمار ما تهدم من كيان دولته في تلك الحرب أو في الحروب التي شنتها "أمل" على المخيمات.

رجل واحد راح يعمل بصمت وبجدية كاملة باتجاه الأرض المحتلة هو خليل الوزير "أبو جهاد". رجل هادئ في طبعه، يعمل كثيرا، ولكن بصمت ووفق رؤية محددة واضحة في ذهنه. صحيح أنه كان نائب القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية، لكن الصحيح أيضا أن دوره تراجع تجاه متابعة الشؤون اليومية للقوات خارج الأرض المحتلة، وقلما كنا نلمس تدخله في شؤون المنظمة في لبنان. عند الاستفسار عنه الجواب دائما إنه في عمان هو ومساعديه. جهوده منصبة على "القطاع الغربي"[٣]، ونظرته للغربي تغيرت فصار الغربي، منذ تولى هو مسؤوليته يعني جهاز عمل عسكري مهمته العمل مع

الأجهزة الأخرى على تنفيذ العمليات العسكرية ضد المؤسسات والمنشآت الاقتصادية والعسكرية الإسرائيلية.

لم يتأخر سنترال قبرص المركزي في ربطنا مع أبو جهاد، ولم نسأل من أين يتحدث أمن تونس أم من عمان. فهذا لم يكن مهما، كان المهم جرس الهاتف دق وأبلغنا السنترال أن الأخ أبوجهاد على الخط. تحدث أبو علي عصام أولا، وقصر حديثه على القول "تحياتي أخ أبوجهاد، الأخ ياسر والأخ ممدوح يريدان التحدث معك، أرجوك، أخ أبو جهاد، ان تشد عليهما قليلا، أمورنا حتى الآن جيدة إذا بقي الاخوة في الديمقراطية على موقفهم، على كل حال قبل ساعة تقريبا تحدثنا مع الأخ أبو عمار وأعطانا تعليمات شديدة الوضوح، خذ ياسر".

بدأ ياسر حديثه بالاستفسار عن الصحة، وأكد اشتياقه للقعدة مع أبو جهاد، وقال: "قاتل الله من كان سببا في القطيعة، وعلى كل حال نحن مصممون على استعادة الوحدة واستعادة أيام زمان". صمت ياسر وراح يصغي لحديث أبو جهاد، ثم عاد يقول وهو يضحك: "والله فكرة عظيمة، أنت تذهب إلى دمشق وأنا أتوجه إلى تونس، على كل حال أمورنا مع السوريين لم تصل بعد لهذا المستوى. يمكن الأخ أبو الهول علاقته أحسن قليلا، واقتراحي أن تعمل جلسة نميمة مع أبو إياد لعله يقنع أبو الهول ليتوسط لك مع أصحابه في الشام". ثم صمت ياسر، وبعدها قال: "أخ أبو جهاد، أمس بحثنا عنك ولسوء الحظ لم نجدك، تحدثنا مع الأخ أبو عمار، لم يفهم علينا ولا نحن فهمنا عليه".

لحظات صمت أخرى ثم قال ياسر: "لا يا أبو جهاد، خل ثقتك أكبر، التصريح مزور وأنت لست غشيما بأعمال الإخوان، على كل حال، كن على ثقة بأننا سنبقى مع الإخوة في مغدوشة وفي كل مكان، هذا واجبنا". وأكد ياسر أن الفكرة لا تتعدى تبديل ملابس وتكرار ما حصل في قرى شرق صيدا. وراح ياسر يكرر ما قاله في بيت أبو معروف وفي اللقاء مع الأخ وليد جنبلاط حول استخدام مسألة تسليم مغدوشة للقوى الوطنية والإسلامية كتكتيك لفظي ليس مطروحا للتنفيذ. واقترح ياسر أن يتم تحرك سريع مع معمر القذافي وسحب عبد السلام من سوريا، وان تجري محاولة فتح خط اتصال مباشر مع نبيه بري. وأكد أن موقف وليد جنبلاط ممتاز، وقال: "لا تصدقوا التصريحات التي تسمعونها في الإذاعات، الباطنية شغالة وهي سيدة الموقف في لبنان". وأشاد بموقف أبو معروف، ثم صمت لحظات أخرى وبعدها قال: "مفهوم يا شيخ أبو جهاد، صحبتك مع حزب الله قديمة، على كل حال محسوبك أمس كان شيخ ابن شيخ"، وضحك: "الماركسية خلعتها على باب بيت الشيخ ماهر حمود، كانت جلسة مفيدة ومؤثرة، شخصيا لست ضد توريطهم معنا في مغطس مغدوشة، ولا أعتقد أنهم مستعدون للتصادم المباشر مع حركة "أمل" ولكنهم بالسياسة متصادمون مع أصحاب محمود عباس "أبو مازن"، وضحك وكان يقصد السوريين.

وطلب ياسر من أبو جهاد أن يلعب دورا للتأثير على أبو عمار لتسهيل مهمة إشراك القوى الوطنية اللبنانية في مغدوشة وتمرير القطوع الخطر. وأكد أهمية اللقاء في اقرب وقت، وقال: "استلمت رسالتك حول اللقاء، وللعلم الإخوان في الحزب الشيوعي الفلسطيني موافقون على اللقاء وهم مع استعادة الوحدة فورا، وهذه المرة لازم أن يدخلوا اللجنة التنفيذية". وأكد ياسر صعوبة انضمام الجبهة الشعبية للحوار في الوقت الراهن، ثم نوه بأن لديهم اتجاهات بدأت تدعو إلى الوحدة واللقاء. وختم مكالمته بالقول إن ممدوح موجود بجانبي ويريد التحدث معك.

تبادلت التحيات مع أبو جهاد وكانت كلماته حارة ومؤثرة. وقال هو إن المهم يا ممدوح هو منع "أمل" من اقتحام مخيم الرشيدية او البرج او شاتيلا، "ركزوا مساوماتكم على هذه النقطة. استفيدوا من حزب الله، والمشايخ، والإيرانيون نحن على اتصال دائم معهم، شخصيا أعمل المستحيل من أجل إرسال بعض المشايخ الإيرانيين ليدخلوا المخيمات، لعل ذلك يمنع اقتحامها. نحن مستعدون للقاء مع نبيه بري في أي مكان، من المفيد أن تبقوا على اتصال مع كوادر "أمل" ومع مساعدي نبيه. انتبهوا للعلاقة مع أبو علي الديراني خصوصا انه اقرب لحزب الله والإيرانيين أكثر من السوريين[٤]". وطلب صورة عن حقيقة الوضع على الأرض، "وحبذا لو تكتب يا ممدوح، الخلاف السياسي لا يجب أن يحول دون التفاهم على ما يهم شعبنا".

قلت: "عدم الكتابة لا علاقة له بالخلاف السياسي، ثم أين هو الخلاف، نحن موحدون تماما، ولا يفصل بيننا إلا المحرمات". قال: "أنا أتابع الموقف مباشرة وأولا بأول، وبارك الله في جهودكم، كيف الوضع في مغدوشة؟".

- عسكريا،الوضع جيد، لكننا من الناحية السياسية محشورون. الجميع يضغط علينا من اجل الإنسحاب، نفكر بخطوة تكتيكية كما قال ياسر.

- "لا مانع من ذلك، ولكن إذا كان وضعكم في مغدوشة جيدا لعل من المفيد مواصلة الضغط من اجل فك الحصار على المخيمات، هل أستطيع الاطمئنان للوضع العسكري؟ لماذا لم تنظفوا البلد حتى الآن؟ هل لا زلتم بعيدين عن الكنيسة؟ هل استكملتم فتح الطريق؟ سامحكم الله، تأخرتم في شق الطريق الترابي".

- "لا تقلق على الوضع في مغدوشة، الحسم السريع مكلف يا أبو جهاد وخسائرنا ليست بسيطة". التأخر في الحسم له علاقة باستشهاد عدد من الاخوة قادة الوحدات.

- صحيح، تعازينا القلبية لكم ولكل الإخوان، هذا قدرنا، ودم كل شهداء المخيمات في رقبة المجرمين الذين افتعلوا هذه الحروب القذرة". وليعلم نبيه بري ان الدم الفلسطيني حرّاق، ومن المفيد أن يفكر في المستقبل وسيندم لاحقا على فعلته. المشروع السوري يا ممدوح أكبر مما يتصور بعض الإخوان وضمنهم رفاقك في الشام.

وأشار أبو جهاد إلى إن ما يجري عندنا هو استكمال لمشروع تصفية منظمة التحرير الذي بدأته إسرائيل في هجوم ١٩٨٢. وأكد أن لا أحد يستطيع تصفية الثورة لأنها هي الشعب، وأن الأهل في داخل الوطن بدأوا التحرك لدعم صمود المخيمات. وإشار إلى التحركات الشعبية اليومية هناك وأنها تعزز الموقف الفلسطيني في لبنان ومفيدة في تمرين الشعب على النزول للشوارع وتحدي الاحتلال. وسأل عن الوضع في الرشيدية وفي البرج وفي شاتيلا؟

- أوضاع المخيمات الثلاثة صعبة جدا، ولا مبالغة في ما يسمع في الأخبار.

قال أبو جهاد إنه تحدثت صباحا مع الشباب في المخيمات الثلاثة، وأقسم أنه لا يصدق أن من يحاصر المخيمات له علاقة بالعروبة والإسلام. وقال: "استفيدوا من الجيش الشعبي، سأرسل لكم رسالة ثمينة، الرسول يفترض أن يكون قد وصل طرفكم، استفيدوا من الرسالة وثقوا في حاملها، أعطوه ما يريد وهو سوف يساعدكم". وحين يستخدم أبو جهاد مصطلح رسالة ثمينة فلا بد من أنه يعني شحنة أسلحة او شيئا من هذا القبيل.

سألت أبو جهاد عما إذا كان صحيحا ما نشر حول اكتشاف شاحنتي براد محملتين بالأسلحة كانتا في طريقهما إلى لبنان.

رد أبو جهاد بأنهم إذا امسكوا برادين فقط فهذا يعني خسارتنا لا تزيد عن ١٠٪. وأكد على انه سوف يواصل إرسال السلاح والتموين بكل السبل طالما هم يحاصرون المخيمات. وقال: "بعض الإخوان من عندكم وصلوا عمان، اطمئنوا ولا تقلقوا، سوف نرتب أوضاعهم"(٥). والله يا ممدوح، شباب الديمقراطية والتنظيمات الأخرى لهم الأولوية في عمان على شباب "فتح". نستقبلهم ونقدم لهم كل ما يلزم وأحرص شخصيا على لقاء كل من يصل من طرفكم.

- بارك الله فيك، أنت دائما، أصيل يا أبو جهاد.

- هذا واجبنا اتجاه شعبنا، هذه ليست أول محنة نمر فيها، خذوا بالكم من الاغتيالات، حقدهم عليكم كبير، المعلومات تؤكد أنهم أخذوا قرارا بشطب عدد منكم. استفيدوا من الكوادر والعناصر الصغيرة في جبهة الإنقاذ. زجّ جماعة أبو نضال - المجلس الثوري في المعركة خطوة عظيمة، ونحن مستعدون لأن ننسى كل ما فعله أبو نضال، وذلك من أجل أطفال مخيمات الرشيدية وشاتيلا وبرج البراجنة، هذه فرصة أمام أبو نضال ليعود للطريق السليم(٦). افتحوا مستودعاتكم وصدوركم لإخوانكم دون استثناء، المهم إنقاذ المخيمات.

بعد هذا، سأل أبو جهاد عن مدى دقة الأخبار التي تنقل حول لقاءات البعض مع السوريين، وما هي صحة الأخبار بأن الديمقراطية ستنسحب من مغدوشة، وقال إنه إذا كان في هذا السؤال أي إحراج فأنا أرجوك أن تقفز عنه، "أريد رأيك بصراحة".

- بجملتين، لدينا خلاف شديد حول الموضوع، ياسر وقيادة لبنان لا علم لهم بالتصريح، ونحن هنا ضد الإنسحاب بالمطلق. بعض الإخوان في دمشق لديهم وجهة نظر أخرى.

تدخل ياسر: "لا لزوم لهذا الحديث، قل له إن ياسر سيتوجه الآن لدمشق وسيعالج الموضوع".

لاحظ أبو جهاد توقفي وقال إنه إذا كان الحديث مزعجا فلا داعي لاستكماله.

- لا يا أخ أبو جهاد، ياسر تحدث معي وهو متوجه لدمشق وسيعالج الموضوع ويطلب منك أن لا تقلق. هذه حقيقة الأمر، وقبل أن أعطيك ياسر من جديد، أرجو، أخ أبو جهاد، أن تفهمنا، نحن لن نضحي بورقة مغدوشة مجانا، وأرجو أن يفهم الأخ أبو عمار هذا الموضوع. وأتمنى ان تبذل جهدك مع أبو عمار لإقناعه بأهمية ما نقوم به وانه لا يتعدى المرونة السياسية، انه مرونة في الحديث مع القوى الأخرى، ولا شيء على الأرض.

- خذوا راحتكم، تصرفوا، أنتم أقدر على تقدير الوضع منا، نحن نبعد عن الميدان آلاف الأميال وليس من حقنا تقييدكم، ثقتنا بكم كبيرة، وإلى اللقاء.

تناول ياسر سماعة التلفون، وراح يؤكد لأبو جهاد تمسكنا بمغدوشة، وان اجتهاد بعض الإخوان من قيادة الجبهة لن يتحول إلى خطوات عملية. وأكد ان الظروف ناضجة لاستعادة الوحدة على المستوى الوطني. ثم ناول ياسر الجهاز لأبو علي، الذي أخذ يردد: حاضر أخ أبو جهاد، الإخوان جميعا مصممون على فك الحصار عن المخيمات، سقوط أو انهيار أي من المخيمات نتائجه وخيمة على حارة صيدا والمناطق الأخرى. وختم عصام حديثه: "كن على ثقة بأنا سنتقاسم حتى رغيف الخبز مع الإخوان".

انتهت المكالمة، وجلسنا نتبادل الحديث والذكريات القديمة مع ابو جهاد، دقائق قليلة، رن بعدها جرس الهاتف تناول أبو علي السماعة. لحظة، ثم قال" "الختيار على الخط. هل تريدون الحديث معه؟ قلت: "أعتقد لا ضرورة للحديث الآن، لنترك فرصة للأخ أبو جهاد حتى ينضج الأمر مع أبو عمار".

فجأة، سمعنا أبوعلي يقول: غير صحيح يا أخ أبوعمار، الأخ أبو جهاد لم يوافق على الإنسحاب، ولم يطرح أي من الإخوان الموضوع، مش صحيح إطلاقا ما نقل لك، والتسجيلات موجودة بطرفكم، ولا داعي للانفعال يا ختيار..الو، آلو".

فهمنا ان أبو عمار اغلق الخط. وضع أبو علي السماعة وقال إن إخوانه الذين سماهم "الشراميط" نقلوا الى أبو عمار ان أبو جهاد اتصل معنا، ولم يكتفوا بذلك، بل زوروا الحديث، وقالوا له إن أبو جهاد وافق على الإنسحاب من مغدوشة. وللأسف، أبو عمار يصدق كتبة التقارير، التفاهم مع أبو جهاد اسهل بكثير. "أنا أتحدث براحة مع أبو جهاد ولا أشعر باني مضطر لأي تكلف في الحديث معه، لكن مع أبو عمار لا أستطيع أن آخذ راحتي في الحديث".

رد ياسر إن أبو جهاد حمّال الأسية، وهو طول عمره رجل عملي، معايشته للمقاتلين والكادر تعطيه امتياز فهم نفسية الناس، وتقربه من الواقع.

قلت: " هدف أبو عمار قطع صلة أبو جهاد مع كادر فتح في لبنان " . وسألت عصام هل صحيح أن أبو جهاد يفكر في إدخال كوادر وأسلحة من لبنان لتنظيم الداخل في الضفة والقطاع.

ـ من قال لك ؟

ـ سمعت من بعض الإخوان.

ـ صحيح، أبو جهاد أرسل ثلاثة كوادر أساسية اثنان منهم لبنانيان وقال لهما مهتمكم الوحيدة إدخال أفراد وسلاح للداخل، وطلب منهم عدم الإنشغال في حروب المخيمات إطلاقا. وشبه ناس " أمل " بالحشاشين والحرب الدائرة بسببها بحرب المسلمين ضد الحشاشين. وكشف عصام ان أبو جهاد أرسل له رسالة خاصة طلب فيها تقديم التسهيلات اللازمة للمفرزين وفرز كوادر للعمل معهم إذا لزم الأمر. وأشار إلى أن الشباب يعملون بصمت وقال نجحوا في بعض الأمور، وأنه، هو شخصيا، لم يحاول التعرف على تفاصيل عملهم. وسأل عمن أبلغ إلي أنا الموضوع؟ وأكد أنه لم يتكلم مع أي إنسان في المهمة، حتى مع علاء وعبد المعطي. وقدّر عصام ان مصدر معلوماتي هو أبو جهاد شخصيا، واستفسر عن مدى التعاون بيننا في هذا المجال.

ـ التعاون قائم منذ القدم ونحن تعاونا في سنوات ١٩٨٢ و١٩٨٣ و١٩٨٤، في مهام نقل السلاح الى الوطن المحتل.

ـ أذكر تلك الفترة. ولعلمك، أبو جهاد يعتز بتلك الإنجازات التي تحققت وهو معجب بالبنات اللواتي كن ينقلن السلاح للداخل، يعتز بكل واحدة منهن، وآخر مرة كنت في تونس، تحدث أبو جهاد عن البنت التي اتهمها أهلها بالخيانة لأنها كانت تذهب في الأسبوع مرة ومرتين إلى إسرائيل في سيارتها[٧]، وقال إنها مسيحية، القي القبض عليها من قبل الكتائب الذين فتشوا سيارتها وكشفوا المخبأ ومصيرها لا يزال مجهولا.

ـ هذه الرواية صحيحة في جوهرها، وعندما أطلعته على عملنا وإنجازاتنا، قال أبو جهاد يومها إن إمكانيات فتح تحت تصرفك، والمهم نقل السلاح للداخل. وأذكر أنه قال: " كبوا السلاح في ارض فلسطين فينبت لاحقا ويثمر ثورة " . ويومها صرف سيارتين للنقل، واحدة BMW جديدة والثانية مرسيدس ٢٨٠ لف مستعملة.

وبينت أن مصدر معرفتي بما يقوم به أبو جهاد هم الشباب. وقد عرفت الأمر عن طريق الصدفة، حين اتصل شاب من " فتح " بأحد خيوطنا التي كان لها علاقة بهكذا عمل،

وعرض عليه التعاون، وعندما قال لهم رفيقنا أنا لم أعد أعمل في الموضوع، قالوا له نريد مساعدتك. وهذا الشاب أبلغني ما حصل معه. وقلت: " نسيت الإشارة لهذه النقطة خلال المكالمة مع أبو جهاد وأود تأكيد جاهزيتنا للتعاون مع الإخوان ".

رد أبو علي: " سأكتب له. ورجاني أن يبقى الأمر سريا حتى عن كوادر " فتح "، لان شباب أبو جهاد يتحركون في مناطق " أمل "، وبعضهم يدخل مناطق الشريط الحدودي المسيطر عليه من قبل عملاء إسرائيل.

قال ياسر: " إن أمر أبو جهاد عجيب، هذا رجل يغيب ذكره فترة، بعدها تسمع عن أشياء يقوم بها لا تكون خاطرة على بال أحد. تصور، الناس مشغولة بالمخيمات وهو أيضا مشغول بها، وفي الوقت ذاته هو فاتح ورشة خاصة داخل الوطن المحتل لا تخطر على بال أحد.

قلت: " فهمت انه بعد حرب ١٩٨٢ غير اتجاه عمله الرئيسي وأصبح في الأيام الأخيرة مهووسا في مهام العمل المتعلقة بالداخل ".

قال ياسر: " فهمت انه فاتح لهذا العمل عشرين بيتا في عمان ".

صحح أبو علي الرقم إلى ٣٢، وفي كل بيت كادران أو ثلاثة مهمتهم استقبال الناس من الداخل، تنظيمهم وتعبئتهم وتدريبهم وإعادتهم إلى مدنهم وقراهم ومخيماتهم ".

قال ياسر إن على أبو جهاد الانتباه في عمان. مؤخرا، بدأ الإسرائيليون يتحدثون عن وجود أبوجهاد في الأردن ونشاطه من هناك، وهم يعتبرون وجوده هناك خطرا استراتيجيا عليهم. وتنبأ ياسر بأن تبدأ إسرائيل بالضغط على الحكومة الأردنية لإقفال مراكز أبو جهاد، وقد يصل الضغط حد المطالبة بإخراج أبو جهاد وكوادره من عمان.

نظر ياسر إلى ساعته وقال: " أوف، الساعة الآن الواحدة والنصف، أعتقد لازم أن أغادر فورا إلى دمشق ". وأشار إلى أنه يفضل دخولها في النهار ولا يعرف ماذا سيفعلون به. وعندما حضر إلى صيدا سهلت جميع الحواجز المرور، والآن، في العودة، يمكن ان يتصرفوا بطريقة معاكسة، خصوصا أنه خيب ظنهم وفشل في سحبنا من مغدوشة.

أراد أبو علي أن نتأخر حتى الغداء، لكن ياسر أصر على السفر. ونزلنا حتى السيارات وودعناه، مؤكدين على ضرورة الصمود في دمشق أمام كل الضغوط السورية، متمنين له سلامة الوصول وعدم التأخر طويلا في سجن المزة في حال الاعتقال. ودعوته أنا للصمود في المكتب السياسي وقلت له: " سألتزم ما سمعته منك ولن أنفذ أي قرار آخر ".

صادق ياسر على ما قلت، وأكد على أهمية الصمود في مغدوشة وعدم الإنسحاب حتى لو وصلت برقيات فيها أوامر من اللجنة المركزية والمكتب السياسي للجبهة الديمقراطية ومن مؤتمرها العام. وشدد على رفع درجة اليقظة والحذر والانتباه من

الاغتيالات. وقال مازحا وهو يصعد إلى السيارة: "أعطوني صورة لكل منكم حتى نجهز البوسترات سلفا وننعيكم للامة العربية شهداء مغدوشة والمخيمات، وكونوا على ثقة بأننا سنطبعها ملونة كرمال عيونكم أيها الشهداء الأحياء!".

- "إذا حصل وقتلونا، رجاء أن تكتبوا على البوستر جملة واحدة بدون ذكر شيءآخر لا جبهة ولا منظمة ولا رتب ولا مناصب ولا من يحزنون، اكتبوا فقط: مات على حسابه الخاص".

بعد مغادرة ياسر، أصر أبو علي عصام علي لتناول طعام الغداء، فقبلت أن نشرب قهوة ونحاول الاتصال من جديد مع أبو جهاد لمعرفة ما جرى مع أبوعمار ومعرفة الدساسين.

دخل أبو علي إلى المطبخ لإعداد القهوة وربما الغداء. كنت اشعر برغبة شديدة في الاختلاء مع نفسي. طبع غريب، عندما تشتد الأزمات وتكثر المشاكل أشعر دائما برغبة في الانفراد مع الذات. دخلت غرفة النوم وتمددت على السرير، ودارت دوامة التفكير، ومعها كنت أشعر كأن الغرفة تدور، مغمض العينين فيما مواقف الأفراد وصورهم والأحداث تمر بسرعة وتتداخل، وما أكاد ألمح شخصا ما فأحدثه حتى يختفي ويحل محله شخص آخر أو صورة لواقعة أو حدث ما. لا أدري ما اذا كان صاحبي أبو علي قد راقبني طيلة فترة تمددي ولكني صحوت على صوته وهو يقول: "كفاك نوما. أكثر من ساعة ونصف وأنت نائم وأنا أسمع أنينا وكلمات متقاطعة بعضها مفهوم والبعض الآخر يحتاج إلى شرح وتفسير، تفضل، الغداء جاهز، وعلى المائدة تستكمل أحلامك المزعجة". وخلال تناول الطعام، حدثني أبو علي عن بعض ما سمعه، واستنتج أني مهموم لأني غير واثق بنايف والرفاق في دمشق، وسأل "هل تتوقع ان ينجح ياسر في تعطيل قرار المكتب السياسي بالإنسحاب من مغدوشة؟".

- آمل ذلك.

- وإذا لم ينجح وجاءتك الأوامر الحزبية بالإنسحاب؟

- لن أنفذ هكذا قرار. وسأصير أمام أحد خيارين: إما التمرد والتمترس في مغدوشة مع المقاتلين أو ترك العمل ومغادرة الساحة اللبنانية نهائيا. الثورة يا أبو علي في حال تراجع، والثاني هو الأرجح، لان التمرد يعني الانشقاق، والانشقاق الآن ينطبق عليه مقولة ذهب للحج والناس راجعة.

قال: "على كل حال، لكل حادث حديث". وراح يتحدث عن أبو عمار وأبو جهاد وسأل: "شو قصتك مع أبو موسى وأبو خالد العملة، كنت تصرخ فيهما وأنت نائم: أبو جهاد قائد وطني واعتز بعلاقتي به وتهريبه إلى طرابلس واجب وطني".

فرويت لعصام كيفت تعرفت على أبو جهاد أيام العمل في الأغوار الأردنيةعام ١٩٦٨، وقلت إن علاقتنا توطدت بسرعة لأني عرفته جيدا خلال حصارنا في أحراش جرش وعجلون أواخر عام ١٩٧٠ومطلع عام ١٩٧١، وكان له دور اخوي لا أنساه خلال صدام شخصي أصفه الآن بأنه سخيف مع الشهيد أبو علي إياد.

ـ صدام سخيف حول ماذا؟

ـ في أحدى الليالي اشتد القصف، كنا مجمعين في مقر أبو علي إياد في أحراش جرش وهو عبارة عن مغارة. يومها، قال أبو علي بطريقة مازحة، ان "فتح" أخطأت حين دعمت انشقاق الديمقراطية عن الجبهة الشعبية، كانت حساباتها قصيرة النظر، ظنت أن دعم الانشقاق يضعف حركة القوميين العرب بزعامة جورج حبش المنافس الحقيقي لـ "فتح" في تلك الفترة، لكنها لم تتصور أن الديمقراطية ستكون أخطر من حبش وحركة القوميين العرب. وفي حينه، تحدث أبوعلي اياد حول العلاقات الجنسية داخل الجبهة. يومها، شعرت بالإهانه وأخذت الموضوع على محمل الجد، إنها العصبية التنظيمية، ولا ادري ما إذا كانت امتدادا للعصبية القبلية والعشائرية التي جئنا جميعا منها. على كل حال، أجدادنا جميعا هم عنتر ابن شداد والزير سالم وأبو زيد الهلالي. يومها انفعلت وقلت له: اسمع يا وليد العقاب..

ـ هل أبو علي اسمه وليد العقاب ؟

ـ هذا هو اسمه بالفعل، أبو علي بلدياتي، ومعرفتي به قديمة بدأت قبل عام ١٩٦٧، صحيح إنها محدودة بحكم العمر وهو يكبرني بسنوات، لكني لا انسى ان قيادة حركة القوميين العرب كلفتني مراقبته حين كان ينظم شباب البلد في "فتح"، ويقود عملا عسكريا من البلدة. كنا في حركة القوميين العرب مرتبطين بعبد الناصر، وكانت الحركة تعتبر الكفاح المسلح الذي تنادي به "فتح" عبارة عن توريط من حركة الإخوان المسلمين لجمال عبد الناصر في معركة مبكرة غير محضر لها جيدا. تأمل يا أبو علي تلك الأفكار تتعرف على مدى الضياع الفلسطيني في تلك الفترة. على كل حال، يومها قلت لأبو علي أنت فلان وأنا ابن أبو علي وهذه هي الحمراء وذاك هو الميدان. وجملتي هذه تؤكد انه في لحظات الانفعال يخرج المدفون في النفوس ويظهر الأساس. أصلنا جميعا بدو رحل وقبائل وعشاير وحمايل. والحديث عن الحمراء والميدان هو حديث المبارزات في العهد الجاهلي. ثم خرجت من المغارة من مجلس أبو علي ولحق بي أبوجهاد إلى مقرنا وسهرنا حتى الصباح. ولن أنسى تلك الجلسة الممتعة أبدا.

يومها، روى أبو جهاد بطريقة سلسة قصة حياته الشخصية. وبكلام بسيط دون تنميق او تزويق، نسف الكثير من أفكار حركة القوميين العرب حول "فتح" وحول شخصه حيث كنا نعتبره زعيم اليمين في "فتح". ورسخ من حديثه في ذهني قوله بأنه لا يحرث الأرض إلا عجولها، الفلاحون والفقراء لهم دور رئيسي، لكن الثورة

مصلحة جميع قوى الشعب. ديكتاتورية البروليتاريا لا تلائم المجتمع الفلسطيني. أبناء المخيمات هم البروليتاريا والبرجوازية الفلسطينية وطنية أصيلة ولها مصلحة مثل العمال في التحرير والعودة والدولة. كل الزعماء العرب في تلك المرحلة تسببوا في مصيبتنا، تعاونوا بصورة وأخرى مع الإنجليز ومع الحركة الصهيونية وسهلوا قيام دولة إسرائيل فوق أرضنا، وقاوموا بروز قيادات وطنية فلسطينية تمثل الشعب الفلسطيني. وبعضهم باع أرضنا وقالوا إننا نحن الذين بعناها. أهانوا الحاج أمين الحسيني زعيم الشعب الفلسطيني. تصور ان مفتي فلسطين والديار المقدسة يهان ولا يجد بعد عام ١٩٤٨ مكانا يقيم فيه بأمان. عاش في العراق وطرد منها. وطرد من مصر، وسوريا، ومن لبنان.

كانت تلك السهرة مع أبو جهاد مطلع عام ١٩٧١ في أحراش جرش التي حوصرنا فيها، محاضرة قيمة في معاني الوطنية الفلسطينية وعلاقتها بالقومية العربية والأممية. لا أخفيك أني تعلمت منه الكثير، لاحقا خلال العمل المشترك أعجبت بشخصيته، رجل مستقيم، مباشر، واضح. وبعد تلك الجلسة تعمقت العلاقة بيننا.

- وماذا بشأن الزعل مع أبو علي إياد؟

- كالعادة، في الصباح التالي صالحنا أبو جهاد، حضر مع أبوعلي إياد وشربنا القهوة. ولاحقا نشأ تعاون ميداني حميم. ميدانية أبو جهاد واهتمامه الدائم بأوضاع المقاتلين زادت في إعجابي بشخصيته. تصور، في حصار بيروت كان يحرص على زيارة الكمائن الأولى، وكل موقع لا يستطيع زيارته في النهار كان يزوره في الليل. يحفظ عن ظهر قلب أسماء الكوادر الصغيرة والكبيرة. تشعر وكأنه يعرف كل واحد منهم معرفة عميقة. وتقليد زيارة المواقع العسكرية متأصل عند أبو جهاد، خلال حصار بيروت مارس هذا التقليد رغم خطورته الكبيرة.

شعر عصام بأني استرسلت في الحديث عن الماضي، فقال إن تاريخ أبو جهاد معروف وعلاقتك به معروفة، لكن ما هي قصتك مع أبو جهاد والمنشقين أبو خالد العملة وأبو موسى.

- كانوا يريدون قتله. وقبل رواية القصة أريد أن اختم ما بدأته، فمنذ تلك الأيام، احترمت أبو جهاد ولم استسغ يوما وصفه بالرجل اليميني. كنت اعتبر هذا الوصف شتيمة، ولم اقتنع بما كان يقوله اليسار عن رجعية أبو جهاد. ولم اقتنع بأنه من عتاة اليمين حسب تصنيف الماركسيين له. وخلال فترة الصراع مع المنشقين، كان أبو جهاد وأبو عمار في مدينة طرابلس، وكانت قوات " فتح " لا تزال في البقاع يقودها زياد الأطرش قائد الميليشيا في حصار بيروت والرجل المسن المناضل عبود وهو من مؤسسي " فتح " الأوائل في الضفة الغربية. وفي أحد الأيام، حضر أبو جهاد من طرابلس لزيارة القوات في بعلبك، وطبعا، الإخوان السوريون عرفوا بوجوده وحركوا جماعة أبو موسى وأبوخالد العملة.

طوق المنشقون بعلبك ونصبوا الكمائن على الطرق، ووضعوا عناصرهم على الحواجز السورية. يومها، أرسل لي أبو جهاد رسالة قصيرة مع مسؤول قسم صيانة سيارات الجبهة في البقاع قال فيها: أنا في بعلبك، آمل أن تتمكن من المرور لطرفي بأسرع وقت، أفكر في العودة إلى طرابلس بعد ان أنهيت واجبي ومن المفيد أن أراك قبل مغادرتي. ما يجري الآن مؤامرة كبيرة ولها فصول متعددة، والهدف الأساسي هو ما تحدثنا حوله في أحراش جرش قبل أكثر من ١٠ سنوات: شطب الهوية الفلسطينية وشطب التمثيل المستقل. التاريخ يعيد نفسه، لكن تجربة الحاج أمين الحسيني لن تتكرر طالما نحن متمسكون بالبندقية وبقرارنا الوطني المستقل.

يومها، قرأت الرسالة، وسألت الرفيق عن الوضع في بعلبك وعلى الطرقات. قال إن بعلبك محاصرة من كل الاتجاهات وطرقها مغلقة بكمائن جماعة أبوأبو موسى وأبو خالد العملة وأبو نضال واحمد جبريل. قرأت الرسالة مرة ثانية، وكتبت رسالة قصيرة موجهة إلى أبو جهاد قلت فيها: قبل الغروب سأكون بطرفكم، رجاء الانتظار، وحثثته على ان يغادر قدريته الزائدة ويتسلح بالحذر مدة ثلاث ساعات فقط الى ان أبلغه. ومع الغروب، كنت في بعلبك، إلا أنني فوجئت بأن أبوجهاد استقل سيارة الكراج التي حملت رسالتي وتحرك مع السائق إلى طرابلس بهوية مقاتل في الجبهة الديمقراطية. وقبل منتصف الليل، كنت بجانبه في مدينة طرابلس. وفي اليوم التالي، انتشر الخبر، ووصل إلى السوريين وإلى جماعة أبوموسى. وراجعني أبو خالد العملة بالموضوع بحضور العقيد سمير الخطيب وقد أقررت باني سهلت خروج أبو جهاد من الطوق وسهلت انتقاله إلى طرابلس وقلت إن لي الفخر في مساعدة أبو جهاد في الخلاص مما كنتم تدبرونه له.

ويومها، تنبأت بأن يأتي يوم يطلب فيه أبو خالد مني أو من فلسطيني آخر مساعدته في الخلاص من المؤامرات العربية. ووجهت الخطاب الى أبو خالد العملة بالذات " يا خوفي أن يأتي يوم تطلب فيه أنت من أبو جهاد تهريبك من دمشق ". طبعا، بعدها حقد عليّ أخوك أبو خالد العملة، وإخوانك السوريون أوقفوا اعتماد هويات الجبهة العسكرية في التحرك إلى دمشق والغوا أوراق المهمة المتعلقة بالاجازات.

أثناء شرب القهوة، قال أبو علي: "هل تصدق أن أبو صالح عضو مركزية "فتح" سابقا زعيم المنشقين ممنوع الآن من الخروج من بيته في دمشق، وانه أرسل رسالة إلى الختيار يطلب مساعدته على الخروج من دمشق وان الختيار أرسل له رسالة قال فيها "حفاظا على سلامتك، يفضل بقاؤك الآن في دمشق؟" وهل تعرف ان الأخوين أبو اكرم وقدري عضوي قيادة المنشقين أرسلا من دمشق رسائل يعتذران فيها عن الانشقاق ويطلبان العودة إلى "فتح"؟ وأضاف عصام ان أبو اكرم اصبح الآن خارج دمشق وهو موجود في بلد ما بانتظار أن يقبل أبوعمار مقابلته.

- الموضوع متوقع، السلام عليكم، لان هذا المنط من الحديث يبدأ ولا ينتهي.

- قبل المغادرة، أريد وعد شرف بعدم الإنسحاب من مغدوشة، وإذا كان الإخوان جادين في الهجوم خلال ٤٨ ساعة، أريد وعدا منك بالمشاركة. ولا تنس زيارة المختارة لوضع صاحبنا وليد في صورة التطورات الأخيرة.

- جيد، لك مني وعد قاطع بان لا اصدر أمر الإنسحاب وان لا اشرف عليه، ووعد آخر بالمشاركة في الهجوم أذا تم خلال ٤٨ ساعة، أما إذا تأخر فلا اعرف ماذا سيحصل وأين سأكون. زيارة وليد ضرورية جدا، وكن على ثقة باني سأطلعك على كل ما يأتي من رفاقي في دمشق من مواقف وقرارات.

وتحركت مسرعا باتجاه مخيم عين الحلوة.



هوامش الفصل الثامن

١ـ وفقا لمبدا المركزية الديمقراطية، كرست قيادة الجبهة تقليد حصر الخلافات بين أعضاء المكتب السياسي في إطار الهيئة وعدم تسريبها للهيئات الادنى وضمنها اللجنة المركزية، تحت شعار الحفاظ على هيبة القيادة والحرص على تماسك التنظيم وعدم اشغال كوادر الحزب عن المهام الوطنية.

٢ـ في سياق التحريض ضد "فتح" وتقوية خصومها في اليسار، زوّد معمر القذافي جميع التنظيمات الفلسطينية الاساسية بكميات كبيرة من الاسلحة، وكان ضمنها راجمات صواريخ. وظلت "فتح" لا تملك هذا النوع من السلاح، وتحمس كوادرها في لبنان لشراء راجمة وأكثر عندما عرضت عليهم المسألة.

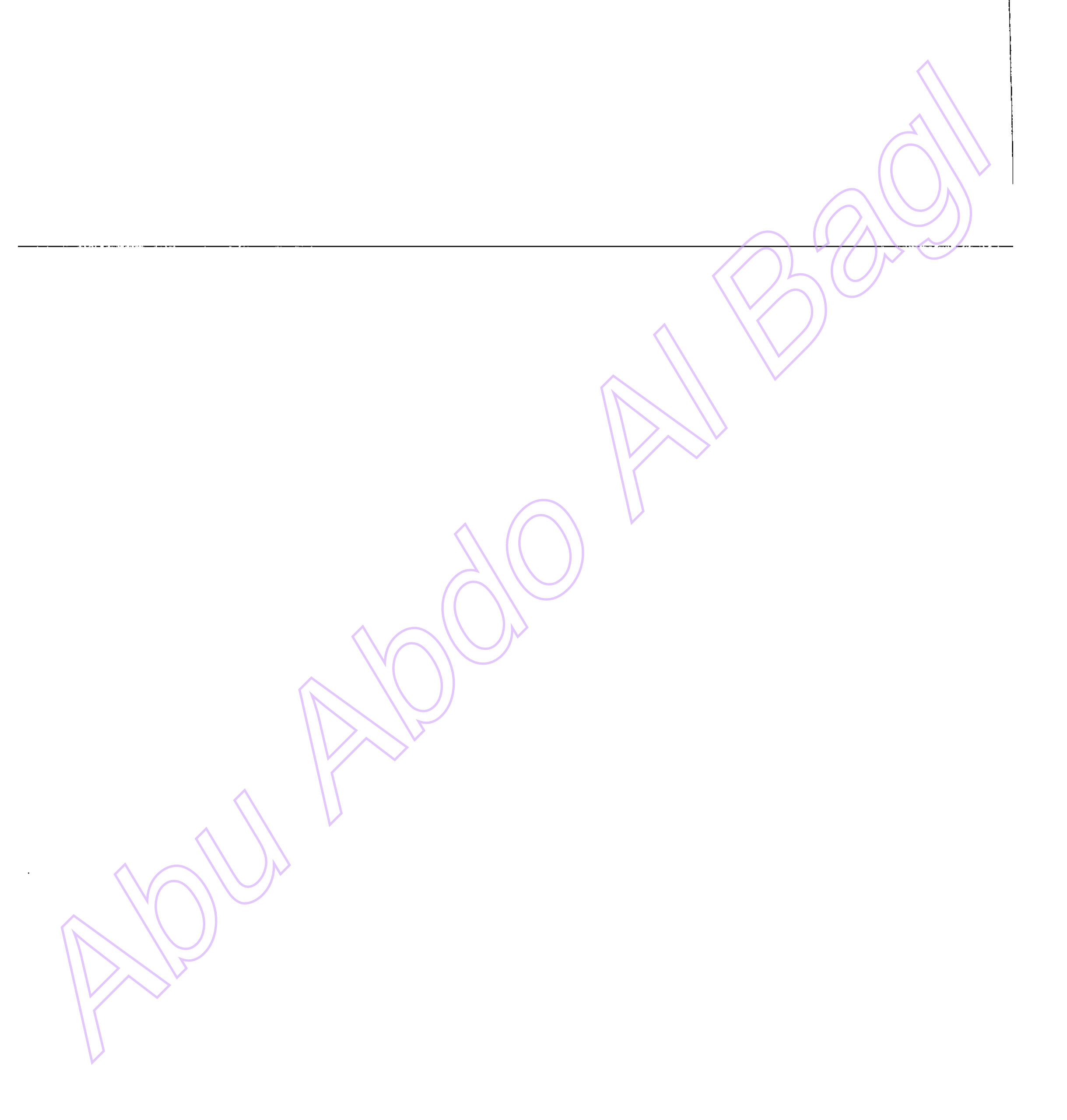
٣ـ القطاع الغربي: مصطلح استخدم لسنوات طويلة في إشارة إلى تنظيم "فتح" في الأراضي الفلسطينية المحتلة. وكان أبو جهاد هو أول من استخدم هذا التعبير وظل يترأس العمل في هذا الحقل حتى استشهاده. ويبين المصطلح مفهوم قيادة "فتح" لموقع الوطن (الضفة والقطاع) في مفهوم الثورة الفلسطينية في تلك المرحلة باعتبارهما يقعان غربيّ الأردن.

٤ـ في إطار الصراع داخل حركة "أمل" والطائفة الشيعية، شكل مصطفى الديراني "أبوٍ علي" أحد كوادر "أمل" تياراً داخل الحركة أطلق عليه في البداية اسم جماعة "أمل المؤمنة". لاحقاً، انضم أبو علي وجماعته إلى حزب الله. وفي مرحلة لاحقة قامت القوات الإسرائيلية بعملية خاصة وخطفته من منزله في منطقة بعلبك بأمل معرفة معلومات إضافية عن الطيار الإسرائيلي رون اراد. وظل أبو علي الديراني في السجن الإسرائيلي سنوات طويلة أطلق سراحه لاحقا في عملية تبادل أسرى أجراها حزب الله بوساطة المانية.

٥ـ قبل دورة المجلس الوطني السابعة عشر التي عقدت في عمان وبعدها توصلت قيادة "فتح" إلى إتفاق مع الملك حسين على عودة كوادر "فتح" إلى الأردن والإقامة فيه كمواطنين وأعضاء في التنظيم على أن لا يقوموا بأي أعمال ذات صبغة عسكرية وأن يحترموا القوانين والانظمة الاردنية. في تلك الفترة، أوعز أبو جهاد للجهات المعنية في "فتح" بتسهيل عودة من يرغب من كوادر الفصائل وميز كوادر الجبهة بتعامل خاص.

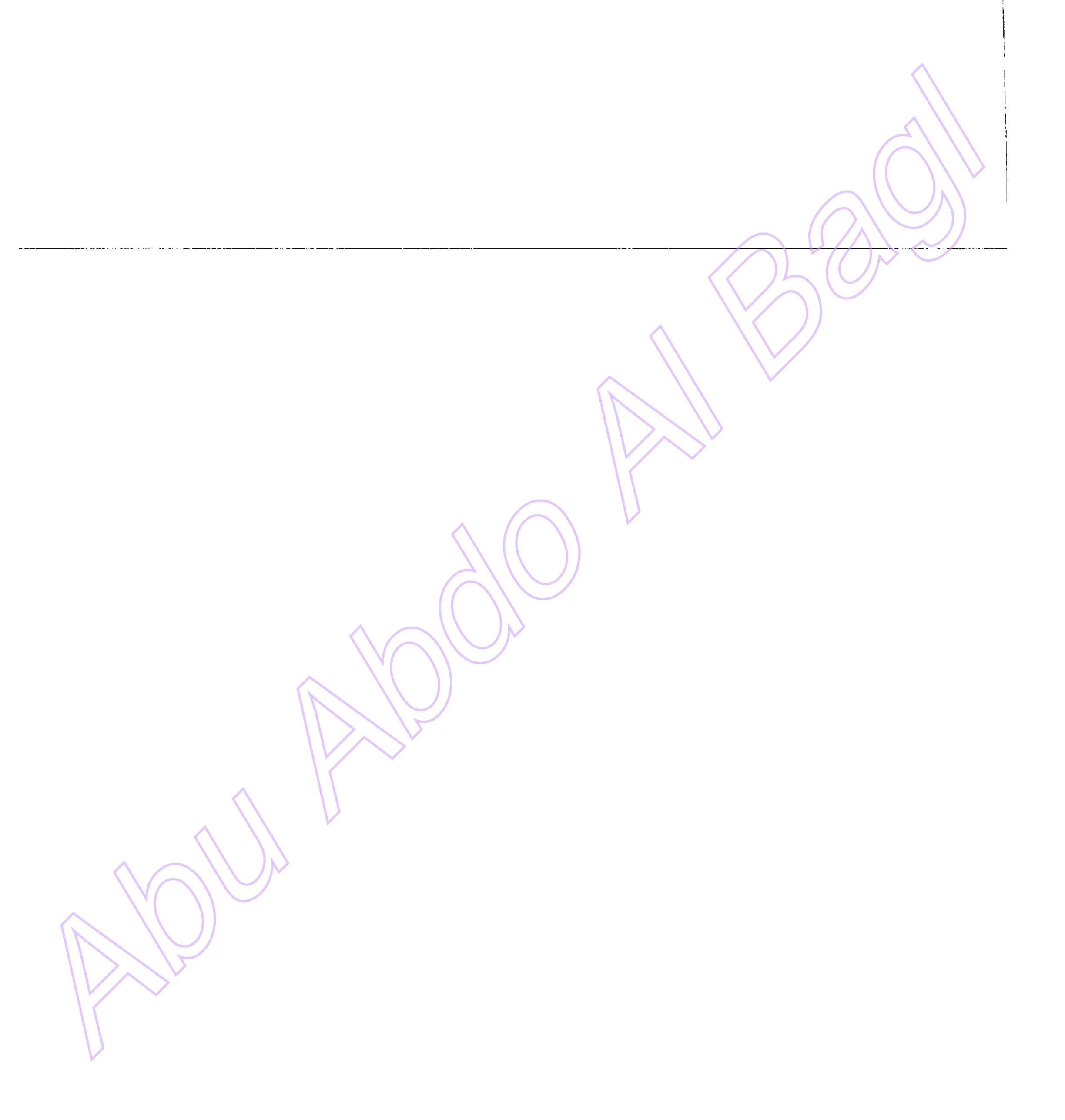
٦ـ ارتكب أبو نضال جرائم كبيرة بحق الثورة الفلسطينية ونفذت جماعته عمليات اغتيال لعدد من كوادر المنظمة بتهمة الاتصال بالعدو الصهيوني. وبالرغم من ذلك أبدى أبو جهاد وأبو عمار استعدادهما للتسامح من أجل المصلحة الوطنية ووافقا على التعاون معه في الدفاع عن المخيمات.

٧ـ بعد احتلال إسرائيل جنوب لبنان ووصول قواتها بيروت ومناطق صوفر وبحمدون في الجبل في العام ١٩٨٢، سهلت سلطات الاحتلال حركة المدنيين اللبنانيين إلى إسرائيل عبر بوابات اقامتها على الحدود في حينه. وقد استغلت الجبهة الخطوة الإسرائيلية ونجحت في نقل كمية مهمة من السلاح إلى الداخل بواسطة عناصر لبنانية. ويسجل لأبو جهاد أنه قدم مساعدات للجبهة هامة ضمنها سيارتين وكمية من المتفجرات الخاصة للمساعدة في توسيع عملية النقل.


Abu Abdo Al Bagl

الفصل التاسع

زيارة حاسمة إلى مغدوشة


Abu Abdo Al Bagl

زيارة حاسمة إلى مغدوشة

التخوف من الخسائر البشرية أطال المعركة وأخر الحسم

بقيت فكرة حسم الوضع في مغدوشة تلاحقني وتضغط بشدة على تفكيري. وقبل أخذ القرار النهائي، كان لا بد من تدقيق الوضع على الارض وسماع رأي الكوادر والمقاتلين والاتفاق مع قادة "فتح" على كيفية الحسم وتوقيته. أكثر من مرة، سألت نفسي هل بامكاننا حسم الوضع؟ وهل ستكون خسائرنا البشرية كبيرة ؟ إن ما قدمناه يفوق قدرتنا على التحمل وهو كثير وكبير ومؤلم. إلا ان عدم حسم الموقف في أيام المعركة الأولى مكّن حركة "أمل" والجيش من حشد قوات اضافية وتعزيز مواقعهما في البلدة. لقد كررت القول إن ترددي في الدفع مع الاخوة في "فتح" باتجاه حسم الوضع كان بسبب خوفي من وقوع خسائر إضافية كبيرة وتأثري الشديد بعدد الشهداء والجرحى الكبير، خصوصا إستشهاد محمود خليفاوي وأبو سمرة، وإصابة الكثير من الكوادر بجراح مختلفة، ومنهم أبو اللطف وأبو جهاد شقيق أبو سمرة، وجميعهم قادة وحدات من خيرة كوادر الجبهة والثورة. نعم، كنت ولا أزال مقتنعا بأن إطالة أمد المعركة يستنزف قوى حركة "أمل" ويولد حالة ضغط جماهيرية على قيادتها، لكن يجب الإعتراف بأن الإستنزاف يطالنا نحن أيضا من الناحيتين السياسية والبشرية.

صحيح أن على القائد العسكري تأجيل حساب الخسائر البشرية منها والعسكرية حتى الانتهاء من المعركة، وعليه ان يضع عواطفه جانبا خلال فترة الحرب، لكن الصحيح ايضا ان الإنسان يبقى هو الإنسان، مهما كانت رتبته العسكرية أو مهمته أو وظيفته. وليس سهلا حتى على أصلب الجنرالات ان يقفزوا دوما عن عواطفهم وانسانيتهم. شخصيا، أعترف بأني أصبت بشيء من الاحباط بفعل حجم الخسائر أولا وحتى عاشرا، أما سلبيات موقف الرفاق في المكتب السياسي فتأتي في خانة الحادي عشر. وهذا الاحباط أضعف عزيمتي وزاد في ترددي في متابعة الهجوم. في حينه، حرصت

على اظهار تماسك قوي واخفيت الاسباب الحقيقية لترددي، لكن كلمات التمجيد والإشادة بمعاني احتلال مغدوشة وأبعاده التي سمعناها من كثيرين لم تستطع ان تنسيني محمود خليفاوي وأبو سمرة والشهداء الاخرين من كوادر "فتح" والجبهة الديمقراطية.

نعم، خسائر الجبهة في الكادر كانت كبيرة، وخسائر "فتح" كانت أكبر. وبالرغم من ان "فتح" لم تفقد قادة من مستوى محمود وأبو سمرة، إلا أن خسارة ما لا يقل عن عشرين كادرا من خيرة مناضلي الثورة اثقلت علينا أنا وأعضاء قيادة "فتح" في لبنان.

توجهت إلى غرفة العمليات، وهناك وجدت عددا من اعضاء أمانة الاقليم يناقشون بعضهم بعضا في الموقف السياسي الذي عرضه ياسر عبد ربه، بعضهم يقول ان موقف ياسر كان موقفا تعبويا وموقف المكتب السياسي الرسمي هو الذي ورد في التصريح الرسمي. آخرون قالوا ان من الواضح ان هناك خلافات كبيرة في المكتب السياسي حول الموضوع.

خلال الحديث، لمست أن هناك مستوى من الاحباط بدأ يظهر في صفوف قيادة الإقليم، حتى ان بعضهم، وعلى رأسه مسؤول المكتب التنظيمي فهد ونائب قائد القوات، بات أميل لمناقشة فكرة الإنسحاب من مغدوشة وتسليمها إلى القوى الوطنية اللبنانية وفرض الامر الواقع على "فتح". وكان لابد من التدخل لوضع حد لهذا النقاش السلبي. وذكرت كيف غادر ياسر قبل قليل صيدا إلى دمشق، وكيف تحدثنا قبل مغادرته مع خليل الوزير أبو جهاد. وقلت إن موقف أبوجهاد اكثر مرونة من موقف أبوعمار، ورأيه أن نحسم الوضع أولا على الأرض ثم ندخل في مفاوضات حقيقية حول تسليم مغدوشة للقوى الوطنية اللبنانية. وأكدت أني شخصيا بت أميل لتبني وجهة النظر هذه. ودعوت إلى أن نصب تفكيرنا الآن على حسم الوضع في مغدوشة.

واقترحت أن نبادر نحن بالهجوم قبل أن يبادر الطرف الآخر. وبينت أني شخصيا لست مرتاحا للهدوء الحالي على المحاور القتالية. وقلت إني اعتقد أن "أمل" والسوريين يحضرون أوضاعهم لهجوم خلال ال٤٨ ساعة القادمة. وبيّنت أن استمرار الوضع على ما هو علية ليس في صالحهم لأنه "يشرشح" نبيه بري والسوريين امام القوى الوطنية ويعطي حزب الله فرصة الدخول على خط مغدوشة ويقوي مواقعه في صفوف الطائفة الشيعية على حساب "أمل". ودعوت الرفاق للاتفاق على التحرك والتفاهم مع "فتح" والبدء بالتحضير الجدي للهجوم، وهذا يتطلب كما بينت أنا فرز ما لايقل عن ١٠٠ مقاتل من المليشيا، وعدد مشابه من الامن والحراسات والإداريين، بالإضافة إلى سحب ٥٠ مقاتلا من الوحدة المتواجدة في منطقة البقاع. وبهذا العدد ومعه عدد مساو من "فتح"، يمكننا حسم الوضع في مغدوشة بسرعة.

قال مسؤول الأمن والاستطلاع العسكري إن هناك معلومات أولية تشير إلى أن السوريين فرزوا كتيبة صاعقة من الجيش السوري لالحاقها بمنظمة حزب البعث في لبنان التي يقودها عاصم قانصو. وقدّر انهم سيحاولون زج قوات الاحزاب اللبنانية الموالية لهم في المعركة بجانب نبيه بري. وأضاف معلومات مهمة تؤكد أن أوضاع قوات "أمل" صارت مهلهلة في معظم المناطق، وخسائرهم في مغدوشة اكبر مما تم تقديره. وقال إن قيادة "أمل" لم تسلم معظم جثث قتلاها لذويهم تجنبا لردود الأفعال الشعبية، وحتى تحافظ على قدرتها في حشد مزيد من المقاتلين من القرى الشيعية. لكن المعلومات حول القتلى تسربت من جرحى "أمل" الذين نقلوا للمستشفيات وبلغت أقاربهم. والمعلومات تفيد أن معظم قيادات "أمل" العسكرية والحزبية في الجنوب مختف عن وجوه الناس.

وأشار ضابط الأمن والاستطلاع إلى معلومات مؤكدة خلاصتها أن داوود داوود نقل قسما من قواته من منطقة صور إلى قرية الغازية، وذلك بناء على ضغط من نبيه بري وعلى "أمل" تطمين الناس. لكن اهالي البلدة رفضوا السماح له بالاقامة في بلدتهم، ومختارها أبو حسين كان موقفه عظيما وقال لداوود داوود انت المسؤول الأول عن كل ما حصل للطرفين. وقال المختار نحن عشنا مع الفلسطينيين ٤٠ عاما وكانت حياتنا معهم طبيعية وحلوة، صاهرناهم وصاهرونا، وشاركناهم وشاركونا في أرضنا وتجارتنا. وقال إن حسابات الزعامة خربت بيوتنا. وذكر أنهم طلبوا من الفلسطينيين من خلال مصطفى سعد تحييد الغازية وقد وافقوا على ذلك، ويكفينا دمار، وخراب بيوت. ثم تساءل المختار: "إلى أين ستهجرنا يا داوود داوود؟ هل تريد تهجيرنا إلى إسرائيل والشريط الحدودي؟ أهالي الغازية لن يرحلوا إلى مرج عيون وإسرائيل، ولن يقاتلوا مع الإسرائيليين ضد المسلمين الفلسطينيين إطلاقا". وأضاف ضابط الإستطلاع إن المعلومات تقول إنهم طلبوا من داوود داوود سحب قواته من البلدة وقالوا له هذه مغدوشة أمامك تفضل وإصعد بقواتك إلى هناك.

وحسب المعلومات المنقولة من البلدة، رفض داوود داوود موقف مختار الغازية وقال له انت يا مختار معروف بفلسطينيتك. ورد عليه المختار: "أمي وبيي لبنانيان شيعيان أما أنت فأمك وبيك وجدك وجد جدك فلسطينيون، ومن لاخير فيه لاخوانه واخواته لا خير فيه لاقاربه وابناء عمومته". بعدها، توتر الجو ووقع سحب سلاح بين الطرفين، وكادت أن تقع اشتباكات بين أهل الغازية الذين ناصروا المختار أبو حسين وبين مجموعات داوود داوود. وتفيد المعلومات أن جماعة حزب الله وتنظيم "أمل" في الغازية وقفوا بجانب المختار.

ختم ضابط الأمن والإستطلاع حديثه بالقول إن حسم الوضع في مغدوشة يفجر الوضع في صفوف الطائفة الشيعية اكثر فأكثر. وحتى بقاء الوضع على حاله من شانه ان يؤدي مع الزمن إلى النتيجة ذاتها تقريبا. وأضاف إن داوود داوود إنتقل مع قواته

من الغازية إلى بلدة عنقون. وفي عنقون، ظهرت بوادر التململ. ولابد من حسم وجهة العمل لأن ال ٤٨ ساعة القادمة تعتبر حاسمة في الوضع السياسي والعسكري.

وتحدث نائب قائد القوات فشكك في إمكانية نقل ٥٠ مقاتلا من البقاع في ظل الإجراءات السورية. وأشار إلى أن معلوماته تؤكد أن حركة الفلسطينيين، شبابا وشيوخا ونساء وأطفالا، باتت ممنوعة من وإلى البقاع. واقترح فهد سليمان امين المكتب التنظيمي لمنظمة الجبهة في لبنان تأجيل الهجوم الحاسم مدة اسبوع أخر ريثما يتبلور الموقف السياسي حسب تعبيره. وأضاف إن حسم المعركة في مغدوشة يعني كسرا للعلاقة مع السوريين، وقد تكون ردة الفعل شطب احد المخيمات الفلسطينية. وزاد في توضيح موقفه وقال إنه إذا كانت قيادة "فتح" تريد حسم الوضع في مغدوشة فلتحسمه وحدها، "فتح" عظمها ازرق وتستطيع تحمل الخسائر وتحمل التبعات السياسية للمعركة. رد أحد أعضاء أمانة التنظيم الحزبي ابن مخيم عين الحلوة على فهد وقال إن هذا موقف جديد يبدو أن الرفيق فهد تأثر بتصريح الرفيق الناطق الرسمي الذي صدر امس عن مكتب الجبهة في دمشق.

وقلت أنا إن هذا موقف جديد غير الذي تحدثنا عنه امس في المجلس الحزبي، وفي البيت بحضور ياسر، فماذا عدى مما بدا؟

قال فهد إن مصلحة التنظيم في لبنان ومصلحة الجبهة ككل فوق كل إعتبار، وتصريح الرفيق الامين العام له قيمة كبرى عندي. وأصر على أن ياسر طرح الموقف من وجهة نظره الشخصية. وقل فهد إنه فهم أن الأغلبية في المكتب السياسي مع تصريح الناطق الرسمي. عندها، اقترحت عقد اجتماع لأمانة الإقليم لمناقشة الموضوع وإبلاغ المكتب السياسي في دمشق رأي الأمانة بصورة رسمية. ونهضت وقلت أنا ذاهب إلى مغدوشة لزيارة الرفاق وبحث الأمر ميدانيا. قال فهد إن الطريق تتعرض الآن للقنص ويفضل تأجيل زيارتك حتى المساء. قلت إن بإمكاني الصعود إلى مغدوشة في الملالة. قال ملالتنا خربانة، قلت ملالة "فتح" شغالة على الخط.

توجهت إلى مقر عمليات "فتح" لمناقشة مسألة حسم الوضع في مغدوشة مع من تواجد من القيادة، لكني لم أجد أحدا سوى الضابط المناوب. سألت عن أبو علي عصام وعبد المعطي وعلاء، فقال المناوب إنهم صعدوا إلى مغدوشة قبل ساعة. سألت عن الملالة، فقال إنهم ذهبوا فيها. صعدت إلى سيارتي وطلبت من السائق التوجه إلى قرية درب السيم وطلبت منه ان يسرع بعد خروجنا من آخر بيوت المخيم خصوصا عند مفرق المقبرة لتفادي القنص.

تساءل السائق عما إذا لم يكن من الأفضل انتظار الناقلة او إستعارة ملالة الشعبية، فقلت إن الشعبية لن تعيرنا الملالة لأنهم سرقوها منا وهم يخشون أن لا نعيدها لهم، ثم إنه ليس لدينا وقت للانتظار. وعرضت أن أقود أنا السيارة إذا كان هو متعبا.

شعر الرفيق السائق بشيء من الحرج والمهانة وكأنني مسست مشاعره وطعنت في شجاعته الشخصية. شغل محرك السيارة وقال: "انا جاهز للموت معك يا رفيق، استشهادي ليس مهما، ولكن اصابتك ولو بجرح بسيط مصيبة في هذا الوقت بالذات. قلت: إننا نحب الحياة، وحتى عندما يستشهد أحدنا فهو يستشهد ليس حبا في الموت بل طمعا في حياة حرة كريمة لشعبه ودفاعا عن نفسه وأهله.

تحرك الرفيق السائق بسرعة ونحن ما زلنا في اول المخيم من الجهة الشمالية. فطلبت منه أن يتمهل، فنحن نريد الوصول بسلام. وقلت إن السرعة مطلوبة بعد الخروج من المخيم، خصوصا عند الكوع المكشوف. فأفهمني السائق أن قناصة "أمل" عادوا إلى تلة "الزنزبيل" ورماياتهم صارت تطال شوارع المخيم بدء من مكتب المجلس الثوري حتى عمق المخيم.

- بسيطة، المسافة بين الزنزبيل والمخيم بعيدة وطلقاتهم لا تؤثر.

- لكنهم يستخدمون قناصات عيار ١٤,٥ ملم.

- ومن اين لهم هذا السلاح، فهو لم يكن معهم سابقا؟

- شباب "فتح" يقولون إن قيادة "فتح" أعطته لحركة "أمل" قديما، عندما كانت العلاقة بين الطرفين قوية وحميمة.

- إنتبه الآن، وبعد قليل أسرع.

خلال أقل من دقيقة، اجتزنا المسافة الخطرة بسلام. وطلقات القناص التي اطلقت باتجاهنا لم تكن دقيقة. وصلنا الحاجز الفلسطيني الاول المقام على جسر درب السيم، فقلت للسائق أن توقف قليلا. ودون ان أنزل من السيارة، سألت مسؤول الحاجز عن حال الطريق، فقال ان الطريق الجديد أصبح سالكا والأخ فتحي أبو العردات شغل الجرافات ليل نهار. سألت عما إذا كانت الطريق سالكة للسيارات المدنية الصغيرة، فقال إن الرانج روفر أفضل وأسهل.

قلت للرفيق السائق تابع الآن وعلى الطريق نتدبر أمرنا، معتمدا على ان نلتقي بالاخ فتحي أبو العردات مسؤول منظمة "فتح" في عين الحلوة وعضو قيادتها في لبنان والذي اخذ على عاتقه انجاز هذا الطريق الحيوي لحركة قواتنا.

بعد درب السيم، بدأنا نواجه صعوبة جدية في التقدم على الطريق التي لم تتم تسويتها بصورة نهائية بعد. وكانت حفر جنازير الجرافة التي لم تتم تسويتها تعرقل السير، ولم يكن لدى قوات الثورة او أبو معروف مدحلة ولا أمشاط التسوية التي تستعملها الاشغال لتسوية الطرقات. إذن، كان لابد من النزول من السيارة عند الحفر الكبيرة وعند المطبات العالية. أكثر من مرة، اضطررت على النزول من السيارة خشية أن تصطدم بالارض. وأخيرا وصلنا نقطة الإنشاءات، وهناك لم نجد فتحي أبو العردات.

استقبلنا جورج سائق الجرافة بالترحاب، وهو عضو سابق في الجبهة الديمقراطية تركها منذ فترة طويلة ليعمل مع مقاول ويعيل اسرته بشكل افضل. رحب جورج بنا وعرض أن نصعد إلى مغدوشة على ظهر الجرافة. قال إن الطريق لا تصلح للسيارات المدنية، ولم يبق أمامه سوى تسوية ٢٥٠ مترا فقط، نصل بعدها إلى مفرق تمثال العذراء. وأوضح أن المتعب ليس هو شق الطريق بل بناء الساتر: "تفضل انظر، الساتر يخفي الجرافة بكاملها وكل قذائف المدفعية المباشرة لا تخترقه ولا تؤثر فيه. قوات "أمل" حاولت تعطيلي عن الشغل ورمتني بأكثر من عشر قذائف، ولكن، تابعت الشغل واحدة من قذائفهم انفجرت على الساتر مقابل الجرافة ولكن الله سلّم. الشغل يارفيق ليل مع نهار، الله يرحمك يا أبو عبدو [يقصد محمود خليفاوي] لو بدأ بشق الطريق يوم بدء الهجوم أو قبل ذلك بيوم لما استشهد. محمود شجاع يا رفيق وشجاعته هي التي قتلته. وذات الشيء بالنسبة لاستشهاد الرفيق أبو سمرا".

قلت إنه لا يجوز تحميل الشهداء المسؤولية يا جورج. المسؤولون هم نحن الأحياء، فقد اعتقدنا أن بإمكاننا السيطرة من بداية الهجوم على الطريق الرسمي الموصل من صيدا إلى مغدوشة. وبعد الهجوم لم ندقق كثيرا في وضع الطريق. لاحقا، اكتشفنا أن فرض السيطرة الكاملة على هذا الطريق يحتاج إلى سيطرة كاملة على جميع تلال الغازية المشرفة عليها . وبصراحة، إن قلة معرفتنا بتفاصيل جغرافية الأرض ساهمت في عدم إيلاء الطريق الأهمية المطلوبة. اعتقدنا أن السيطرة على تلة السيدة الغذراء تعني السيطرة الأوتوماتيكية على المنطقة ومن ضمنها الطريق. على كل حال، رحم الله الشهداء، قلت هذا وشكرت سائق الجرافة وعزمت على أن أمشي بقية المنطقة غير المسواة. وطلبت من الرفيق السائق ان يعود إلى سيارته وينتظرني هناك. اصر جورج على مرافقتي مسافة ال٢٥٠ متر الباقية. وبصعوبه اقنعته بالبقاء ومتابعة الشغل في شق الطريق، فهذا الأمر أهم بكثير من مرافقتي. كنت أشعر بحاجة ماسة لأبقى مع نفسي ولو فترة قصيرة.

تقدمت وحدي باتجاه البلدة. ومع خطواتي الأولى، بدأت دوامة التفكير بموقف المكتب السياسي للجبهة وبالانسحاب من مغدوشة تحاصرني من كل الاتجاهات. المسافة الباقية أمامي لا تزيد على ٢٥٠ متر، لكنها كانت كافية لاسترجع تاريخ كل رفيق في المكتب السياسي، وتاريخ العلاقات داخل الهيئة. ومضت بي الظنون، ورافقتها صور للمواقف السلبية بلغت بشاعتها حدود الشك والاتهام، ليس فقط بالبقرطة والتفسخ والإنحراف بل ما هو أبعد من ذلك. وتلبستني فكرة ان المخابرات السوفيتية K G B تعمل على شطب منظمة التحرير في لبنان عبر تصعيقها، أي تحويلها إلى منظمة تابعة لسوريا مثل منظمة الصاعقة.

ألم يضغط السوفيت على قيادة الجبهة الديمقراطية عام ١٩٨٣وعام ١٩٨٤ للالتحاق بجبهة الانقاذ الموالية لسوريا التي تم تشكيلها بعد الانشقاق الذي دبرته سوريا[١].

تذكرت اللقاءات مع ممثلي السوفيت في بيروت ودمشق، واستعادت ذاكرتي أقوالهم بأن قيادة م.ت.ف. تسعى للتساوق مع الحلول الامريكية وعمل كامب ديفيد فلسطيني والانخراط في التسوية الامريكية الإسرائيلية التي تستبعد الاتحاد السوفييتي وتستهدف طرده من المنطقة. وتذكرت معارضة القيادة السوفيتية العنيفة لاتفاق عمان ولانعقاد دورة المجلس الوطني فيها عام ١٩٨٤، ومعارضتها لاحتلال مغدوشة وقبلها احتلال قرى شرق صيدا.

تذكرت ضغط السوفيت المتواصل علينا، وضغطهم على وليد جنبلاط ومصطفى سعد للضغط علينا وعلى حركة "فتح" للانسحاب من قرى شرق صيدا ومن مغدوشة. وقلت لنفسي ان ادخال سيارة تموين للرشيدية واخرى للبرج وثالثة لشاتيلا ليست قضية استراتيجية يعجز السوفيت عن انتزاعها من السوريين، والحجج التي يسوقونها لنا ليست مقنعة، ولو كانوا راغبين في ذلك لما تعذر عليهم تحقيق هذه المسألة الصغيرة، علاقتهم مع السوريين حميمة ولا أظن ان السوريين سيرفضون لدولة عظمى مثل هذا الطلب البسيط. وكاد الشك يتحول إلى يقين تدعمه الوثائق والحجج الكثيرة التي استعرضتها الذاكرة.

نعم، تلقت قيادة الجبهة الديمقراطية أكثر من رسالة خطية من القيادة السوفيتية تحثها على مقاطعة اجتماع الدورة السابعة عشر للمجلس الوطني التي عقدت في عمان، وتطالبها بإدانة الاتفاق الأردني الفلسطيني الذي توصل له عرفات مع الملك حسين. وفي سياق استعراض العلاقة مع السوفيت، توصلت إلى نتيجة وطنية خلاصتها أن الإتحاد السوفيتي حليفنا الإستراتيجي وتربطنا به علاقات أيدلوجية وتنظيمية وكفاحية ويقدم للجبهة والثورة مساعدات كبيرة ومتنوعة، لكن، من الخطأ حتى مع هذا تناسي مصالحه الاستراتيجية في المنطقة خصوصا انه دولة عظمى تحرص على علاقاتها مع السوريين.

وحسمت الموقف من مسألة استمرار ربط جهاز أمن الجبهة مع الـ KGB واعتبرت أنها تلحق أذى بالغا بالجبهة ويشوه نمو الكادر، وأن بقاء خطوط مسؤول جهاز الامن في الجبهة أبو أدهم واتصالاته الامنية المستقلة مفتوحة مع الـKGB ليس سوى خطأ جسيم، وجريمة الجرائم تكمن في موافقتنا في المكتب السياسي على إقامة علاقة مباشرة بين كوادر أمن الجبهة في سوريا ولبنان وأثينا وقبرص ونيويورك وسواها من الدول وبين ضباط اتصال من جهاز المخابرات السوفيتية. فهذه العلاقة المباشرة كانت كافية لتحويل الرفاق في النهاية إلى وكلاء وعملاء للسوفيت، لا سيما وأن منهم من بدأت تظهر عليهم علامات الفساد المالي واللعب بالدولارات على حد تعبيير بعض كوادر القوات[٢].

أمعنت النظر في تمثال السيدة العذراء الذي اقتربت منه. وقلت إن المكتب السياسي يخفي موضوع العلاقة مع المخابرات السوفيتية عن أعضاء اللجنة المركزية، ولا بد

من طرحه في اول اجتماع للجنة المركزية وانتزاع قرار بوقف هذا الشكل المنفلش من العلاقة الامنية مع السوفيت وأجهزة أمن الدول الإشتراكية الأخرى ويحصرها في التنسيق السياسي والامني على مستويات عليا محددة. وصار من رأيي أن تحصر هذه العلاقة في لبنان في ضابط أمن الإقليم والهيئات القيادية الحزبية. حاولت جاهدا طرد هذه الإفكار، لكن محاولاتي باءت بالفشل. ولم يعد ذهني إلى جادة الصواب إلا بعد أن اهتزت المنطقة بسبب انفجار صاروخ غراد احدث دويا هائلا عند سقوطه فوق تلال الغازية مقابل تمثال السيدة العذراء.

وقفت أتأمل مكان انفجار الصاروخ وأثره. رفعت المنظار العسكري المعلق في رقبتي ونظرت باتجاه الدخان والعجاج. وتبين لي أن الصاروخ سقط فوق تلة جرداء خالية من أي موقع عسكري لـ "أمل". قلت لنفسي بصوت مسموع إن ضرب الصواريخ على المواقع العسكرية الصغيرة عبث. سمعت صوتا ينادي من بعيد: "يا أخ، يا أخ، بلاش هذه الوقفة، أنت تقف في منطقة مكشوفة لقوات "أمل"، أسرع، عندهم في المنطقة قناصون ماهرون".

قلت: بسيطة، وتابعت سيري باتجاه تمثال العذراء. وبعد خطوات قليلة، شاهدت رفيقنا الدكتور أبو الفهد ومعه المرضة. وقد حثاني على أن أسرع قليلا. اسرعت الخطى باتجاه مبنى النقطة الطبية التابعة لقوات الجبهة في مغدوشة. وفي الطريق، مررت على موقع رشاش عيار ٥٠٠ ملم حصّنه شباب "فتح" جيدا. سألتهم عن مصدر ذخائر الرشاش. قالوا إن الرشاش وذخيرته غنيمة من قوات "أمل" في معركة القرية وعين الدلب نقلناها على ظهورنا من درب السيم.

قلت: "سلمت ظهوركم". وتمنيت لهم دوام الصحة والعافية، وسألتهم عن عبد المعطي السبعاوي وعلاء وأبو علي عصام، وفهمت انهم في غرفة العمليات المتقدمة في مغدوشة وقد مروا قبل قليل في الملالة.

عبرت بوابة مبنى النقطة الطبية وكان هذا فيلا واسعة من طابقين، بناها صاحبها من الحجر الابيض. تذكرت فيلات رام الله وشعفاط المبنية من حجر جماعين الشهير. حرص صاحب الفيلا على تصميمها بحيث تبقى أشعة الشمس فيها إلى حين إختفائها في البحر. مدينة صيدا تحت الفيلا كالصحن. الشرفة الجنوبية تصلح مكانا لرصد البحر بدءا من صيدا شمالا حتى شواطئ فلسطين جنوبا. لكن اكياس الرمل التي نقلها الطاقم الطبي لتحصين المكان حجبت المتعة الجمالية التي يمكن ان تمنحها الطبيعة لمن يخطر على باله التمتع بجمالها. وقفت خلف المتراس المبني حديثا وهو بالكاد بلغ حد الحزام وتصورت أن عبد الكريم سينصب رشاشا ثقيلا هنا خلف هذا الساتر؟ تبا لهذه الحرب القذرة! هكذا هتفت، ثم أضفت "على كل حال، قولوا له إذا نصب رشاشا ان ينتبه إلى شجرة الياسمين حتى لا يقتلها برصاص رشاشه. قولوا له هي ليست من

اتباع "أمل" ولا تساند الخائن داوود داوود. يمكن ببساطة إنزال الشجرة من على السور إلى الأرض ثم إعادتها لاحقا".

ضحك الدكتور أبو الفهد. أما المرضة فقالت إنه لو كان في لبنان حزب خضر وعدالة لطلب الخضر من العدالة إرسال جميع أطراف الصراع إلى مصحات عقلية. وجذبت انتباهي إلى الحديقة، نظف صاحب الفيلا ترابها بالغربال، وقسم أرضها بالمنقل والفرجار كي يعطى كل وردة حقها من الأرض. انها حقا مستنبت للورود المنتقاة وردة وردة. قلت إن المنطق يدل على ان صاحب البيت غني ومثقف، أما صاحبة البيت فهي متعلمة وحضارية وأكيد أنها جميلة.

سألتني الممرضة: كيف عرفت انها جميلة ؟ أفهم بالمنطق ان تكون سيدة البيت حضارية ومتعلمة وان يكون زوجها غنيا ومثقفا. شرحت الأمر: "فقير بلادنا قلما يحالفه الحظ ويتزوج جميلة، أما الغني في بلادنا فغالبا ما تكون زوجته جميلة لأنه قادر على دفع مهر زواجها إذا رفع أهلها السعر، ولأن الأهل يرغبون دوما في تزويج بناتهم للأغنياء ليضمنوا لهن مستقبلهن". واستحضرت مثلنا العربي القديم الذي يقول: "الغني بفلوسه بنت السلطان عروسة". قال الدكتور إن هذه نظرة ومقاييس برجوازية للعلاقات الزوجية يا رفيق، وقاتل الله الراسمالية والامبريالية العالمية التي كرست هذه المفاهيم. وقالت المرضة إن الرفيق الدكتور ماركسي لينيني ارثودكسي..

قلت انه جميل ان يكون للانسان بعض الأصقاء من الرأسماليين يميل عليهم في الأوقات الصعبة ويأكل ويشرب ما يتوفر من الطيبات. وأضفت إن المهم هو أن تحافظوا انتم على الحديقة وعلى ممتلكات المنزل. قالت المرضة إن عندهم وصية من صاحب المنزل. وركضت للداخل.

وروى الدكتور قصة حلولهم في الفيلا: "كما تعرف، وصلنا إلى هنا ليلا ووجدنا البيت مفتوح الأبواب والشبابيك ولم نستطع تمييز الأشياء. وضعنا فرشات الإسفنج على الأرض، أما معداتنا الطبية فقد رتبناها في الملجأ. وبعد استراحة قصيرة، تجولت في المنزل على العتمة، ولاحظت أنه كامل الأغراض، وبعض ألواح الزجاج محطمة من ضغط الانفجارات، وفوجئت انه لم يتعرض للنهب والحرق. ملجأ الفيلا حوله صاحبها إلى مستودع تموين، ومشروب النبيذ عندهم بالأجرار. أما العرق فهو معبأ في غالونات. في الصباح وجدنا في الملجأ رسالة من صاحب البيت معلقة على الباب الخلفي وأخرى معلقة على الامامي". وصلت الممرضة ومعها ما سمته وصية صاحب الدار مكتوبة على عدد كبير من الأوراق.

وصية إبن مغدوشة بشأن المحافظة على بيته الجميل(٣)

فتحت الرسالة وقرأت عنوانها وكان: "من صاحب البيت إلى الزائر الكريم"

قطع علي الدكتور القراءة داعيا إياي إلى النزول إلى الملجأ: "الوقوف هنا ليس آمنا، وأكيد انت لا تزال دون غداء ؟ بامكاننا ان نقدم لك وجبة فاخرة من حواضر البيت. ولدينا كشف بالموجودات بكل اصنافها. مخزون الطعام يكفي عشرة مرضى لمدة عشرة أيام".

توجهنا إلى الملجأ، درنا حول الجانب الشرقي من الفيلا. كان الممر مبلطا بحجارة صغيرة جميلة مرصوفة حجرا بجانب حجر، وبين الممر وسور الحديقة صفوف من الورود الجميلة، كتلة كثيفة من الورد الجوري، منه الاصفر ومنه الاحمر والعنابي والابيض. حرص صاحب المنزل على جعل ارتفاع الورود لا يتجاوز نصف قامة الرجل العادي، وترك بعض أغصانها لتناغش ايادي المارة، وكأنها تقول أن لا داعي لتدوس بقدميك فوق جذري، بإمكانك أن تقطف مني ما تشاء دون الضغط على أحشائي.

بعد مربع الجوري يرافقك مربع من الفل الأبيض تهب منه روائح طيبة تذكرك بأفخر العطور الباريسية. وعلى مدى ثلاث خطوات، نصبت أرجوحة تصلح لان تكون سريرا هزازا للعشاق كما للاطفال. شعرت برغبة شديدة في ان أتمدد في الأرجوحة. وتخيلت للحظة ان القتال قد انتهى، وإني مدعو إلى زيارة هذا البيت ومعي زوجتي وإبني. قطعنا ونحن نسير باتجاه الملجأ كل الطرف الشرقي للفيلا. كنت أمسك بالرسالة بيدي. ولم أعلق على المنظر ولم أبح بما دار في ذهني. قالت الممرضة: "مساكين أصحاب هذا البيت، يبدوا أنهم لم يفرحوا في بيتهم، ذنبهم انهم وجدوا في هذا المكان، وذنبنا أننا فلسطينيون أجبرنا على دخوله دفاعا عن المخيم ولمواجهة قوات حركة "أمل".

دخلنا الملجأ. إنه غرفة واسعة جميلة بناها صاحب البيت ضمن تسوية أرض الحديقة والمنزل. ملأ جدرانها الثلاثة المواجهة للباب برفوف من الخشب الصلب. وقسمت صاحبة البيت أو صاحبه أو كلاهما معا الواجهات الثلاث بعناية. جعلوا واحدة للمشروبات الروحية ومعها كل مستلزمات المشروبات من مكسرات ومن صنوف الكبيس البيتي، مصفوفة بشكل منظم في أواني زجاجية واخرى خشبية شبه اثرية. لا داعي لأن ترهق نفسك في التعرف على صنوف الخمرة ومازاتها، كل شيء مسجل وبخط واضح وجميل. وبلحظة سريعة تلحظ أربع جرار فخارية مرصوفة في أربع أطر خشبية شكلها أقرب إلى المقاعد الاثرية. خمر بيتي أحمر، خمر بيتي أبيض، خمر معتق أحمر، والرابع خمر أبيض معتق. مدت الرفيقة الممرضة يدها ورفعت لوحا خشبيا ونظرت في وجهي في حياء وقالت: "هنا وضعت جرة تم اخفاؤها عن العين فيها خمر لذيذ معتق منذ أكثر من عشرين سنة. وجهت اللوح نحو وجهي وقالت اقرأ، صاحب البيت كتب تاريخ تعبئة الجرات ١٩٦٥ ومعه جملة: هذا تاريخ زواجنا وفي اليوبيل

الفضي سنشرب نخبنا من هذه الجرة. وأضافت المرضة: "لم ننتبه للجملة المكتوبة، فتحنا الجرة وشربنا منها قبل أن ننتبه لها، أنا حزينة لأننا كسرنا رغبة أصحاب البيت في الاحتفال بفتحها في عيد زواجهم".

قلت إن الأمور إذا توقفت عند هذا الحد من التعدي فهذه قضية بسيطة. المهم أن يبقى البيت سالما لاصحابه وان لايدمر وان لا تنهب محتوياته. وأضفت أننا كلنا شاهدنا ما حصل في قرية درب السيم المجاورة لمخيم عين الحلوة. نهبت البيوت وحرقت، وخلعت الأبواب والشبابيك، وخلع البلاط وكل الادوات الصحية، والآن جاء دور سرقة حديد السقوف والجدران. الشغل بالمهدات لم يعد يكفي وصار لايلبي حاجة الشبيحة. الحرامية وكل المنتفعين من الحرب الاهلية بدأوا باستخدام الكمبريسات الحديثة لتكسير باطون السطوح واستخراج قضبان الحديد. في الحرب الأهلية لا قوانين ولا محرمات إنسانية او أخلاقية، كل شيء مباح وأصولنا البدوية تشدنا. البدو اشتهروا تاريخيا بالغزو والسبي وكله مباح عندهم.

زعم الدكتور أبو الفهد إن النبي محمد أجاز لأمته النهب والسلب والسبي بهدف تشجيع المحاربين على الذهاب إلى القتال.

قالت المرضة إن هذا السلوك كان موجودا قبل ألف وخمسماية سنة، ولا علاقة له بما يجري الآن، الإقتداء به جريمة واستمرار الإستشهاد به تهرب من تحمل المسؤولية. وأكدت قناعتها بأن القيادة هي المسؤولة عن أعمال النهب والتدمير التي وقعت في الحرب وضمنها ما حصل في درب السيم، لأنها لا تحاسب الحرامية بل تشجعهم على السرقة وتعرف أنهم يسرقون أموال الثورة وليس فقط بيوت الناس الغلبانة الساكين المهجرين.

قال أبو الفهد للمرضة إنها دائما تتسرع في إطلاق الأحكام، والمشكلة انها قادمة من مجتمع اوروبي، وهي حديثة العهد في التنظيم: "عليك أن تكوني دقيقة وأن تميزي بين قيادتنا والقيادات البرجوازية". ردت المرضة: "أنا في الأصل بنت مخيم، وشكرا للجمعية الخيرية التي اعتنت بي وساعدتني على الدراسة في اوروبا، وعلى كل حال رفاقنا ليسوا أحسن من الآخرين، زرت بيوت بعضهم في المخيم وشاهدت الادوات المسروقة، وزوجاتهم اعترفن لي. ومن لا يصدق حديثي يمكنه الذهاب ومشاهدة المسروقات بام عينه".

قلت: "معك حق يا رفيقة، والمهم ان يبقى هذا البيت الجميل سالما من العبث والدمار".

قالت بانفعال: "الراديو والفيديو صاروا طايرين، والله اعلم من اخذهما وماذا اخذ معهما ايضا، ويبدو ان الحبل على الجرار؟".

قال أبو الفهد إنه يتابع الموضوع، والأرجح أن يكون بعض من زارونا من الأصدقاء قد فعلوها.

قالت هي "مش أكيد، ويمكن رفاقنا أيضا".

قلت للدكتور من الضروري ملاحقة الموضوع. وأكدت على أهمية استعادة الأغراض المسروقة وإعادتها إلى مكانها، على الأقل إحتراما لرسالة صاحب البيت المسكين والتي لم أقرأها حتى الآن. وسألت عن الرفيق عبد الكريم قائد القوة؟

فتح أبو الفهد جهاز اللاسلكي اليدوي ونادى على المحطة الرئيسة وطلب منها ابلاغ نداء "صفر عرب" ضرورة الحضور إلى نداء ٦-٦ للضرورة القصوى حيث ينتظره نداء صفر محمد محمد. اغلق أبو الفهد الجهاز وقال: "آسف يا رفيق، نسينا اخباره بوجودك فقد طلب منا الاتصال به فور وصولك لطرفنا".

جلست على كرسي حديدي صغير هو واحد من اربعة وضعها صاحب البيت في الملجأ. فردت صفحات الرسالة. وقبل الشروع في القراءة، قالت المرضة إن من الضروري تعريفك على محتويات الواجهات الاخرى. وأشارت إلى واجهة المشروبات وبينت أنها تحتوي إلى جانب صنوف الخمرة البلدية صنوفا من العرق البلدي، منه الخفيف ومنه القوي المثلث. وهناك صنوف أخرى الأرجح أنها ليست صناعة بيتية. اما المخللات فصنوفها كثيرة، بعضها نعرفه وبعضها الاخر غير معروف لنا. المكسرات اغلبها جوز ولوز بلدي اضافة إلى زبيب العنب بأصنافه المتعددة. الموالح متوفرة بكثرة. واضافت المرضة أن نسبة الاستهلاك عندنا عالية جدا. وقالت إن صاحب البيت سامحنا سلفا. أما الواجهة الثانية فهي مليئة بصنوف المربيات اللذيذة. هذا مربى ورد جوري، وذاك مربى عنب متعدد الصنوف ومذاقاته متنوعة. وهناك مربى سفرجل، ومربى كرز، وطبعا هناك كمية من عسل النحل البلدي، مشفى وغير مشفى.

وفي الواجهة الثالثة، كان مخزون جيد من الحبوب والقرنيات المجففة والمعلبة، وكذلك مخزون من العدس والرز وحتى البندورة المجففة، وبينهما كميات من ورق العنب المكبوس الصالح للطبخ في كل أوقات السنة. كررت أن المهم هو الحفاظ على البيت وما فيه، ورجوت أن أقرا الرسالة قبل وصول عبد الكريم. خرجت المرضة لإعداد الطعام والشاي. وجلس أبو الفهد أمام صندوق من الأدوية وراح يقلب الادوية علبة علبة. ورحت أنا أقرأ الرسالة.

إجتماع هام في كنيسة مغدوشة

بعد ذكر الجهات التي يوجه لها الرسالة يقول صاحب البيت في رسالته:

"أيها الزائر الكريم من أي ملة أو دين كنت، اسمح لي في بداية هذه الرسالة أن أدعوك إن كنت مسيحيا إلى التوجه للمستودع والجلوس هناك وتناول كأس من الخمر وقراءة رسالتي على مهل وهدوء. أما إذا كنت مسلما فاعذرني إذا دعوتك للتوجه إلى المطبخ

حيث تجد هناك صنوفا كثيرة من الزهورات إضافة للقهوة والشاي، وأرجو أن تقدم لنفسك ما تريد وأن تقرأ الرسالة بهدوء. رسالتي هذه كتبتها بعد معاناة وبعد تفكير طويل. كتبتها في الملجأ ونحن تحت القصف نسرق لحظات النوم ونصحو على تراشق النيران. شرعت في كتابتها بعد اسبوع لم يغادر خلاله أي من افراد العائلة الملجأ، لا أنا ولا زوجتي ولا إبني الشاب ولا طفلتي الصغيرة، إلا لقضاء الحاجة الضرورية التي لابد من قضائها، وكنا نسرق الدقائق من المدافع والصواريخ والرشاشات لنقضيها. صبرنا ولكن للصبر حدود، وللقدرة على التحمل حدود أيضا، ولكل انسان قدرته وطاقته. في الأيام الأخيرة خشيت أن تصاب زوجتي وطفلتي بمرض الصرع أو سواه من الامراض العصبية الأخرى، ولهذا قررت مغادرة المنزل. فكرت في اغلاق الأبواب والشبابيك، ولكن بعد طول تفكير قررت العكس. قررت أن أترك البيت مفتوحا وأن أفتح كل الشبابيك والأبواب وأن أترك هذه الرسالة.

" زائري العزيز: صدق أو لا تصدق، هذا البيت هو كل ما أملك في الدنيا مع قليل من الليرات اللبنانية والتي لم تعد لها قيمة شرائية تذكر. فيه وضعت ما جنيته من غربتي عشر سنين وما جنته زوجتي من وظيفتها كمدرسة. وأظن ان الكثير من أبناء البلدة حالهم مثل حالي. لا أدري ما إذا كنت سأعود لبيتي أم انني سأموت على الطريق مثل الكثيرين الذين سمعنا انهم ماتوا دون ذنب اقترفوه.

" من عاداتنا نحن اهالي مغدوشة ان نموّن لفصل الشتاء. نخزن سنويا ما يكفي العائلة طيلة أربعين يوم "المربعنية"(٤). وهذه عادة ورثناها عن آبائنا وأجدادنا الذين كانوا يحرصون عليها لان طريق قريتنا كانت صعبة قبل شق الشوارع وظهور السيارات. المهم، وفقا لعادتنا، ستجد أيها الزائر الكريم مؤونة كافية. وسلفا أقول: صحة على قلبك وألف عافية، وثق بأني ساكون مسرورا جدا إذا عدت لمنزلي ولم أجد حتى حبة عدس. لي رجاء هو المحافظة على المكتبة. جمعتها كتابا كتابا وعلى مدى يزيد عن ربع قرن من الزمن. فيها بعض الكتب أظن أنها نادرة وغير موجودة في الاسواق. بعض هذه الكتب ورثته عن أبي الذي ورثها بدورة عن ابيه. وبعضها جمعته من عدد من الاصدقاء كبار السن، وبعضها قدم هدايا وفاء لوالدي.

"البيت مفروش، حرصت زوجتي على انتقاء اثاثه حسب ذوقها. ستجد في البيت بعض التحف الاثرية القديمة، بعضها يحمل ذكريات حياتي وبعضها يذكرني بتاريخ والدي وذكرياته. لم أحملها معي لا أدري لماذا بالرغم من انها خفيفة. فكرت في حملها وأنا أجمع بعض ملابسي وملابس إبني في شنطة واحدة ووحيدة. لكني اقنعت نفسي بأنها ستبقى وأنك أيها الزائر الكريم ستحافظ عليها إذا قرأت هذه الرسالة.

" بصراحة، راهنت على الجانب الانساني الطيب في البشر. وللعلم، زوجتي لم تحمل معها سوى شنطة واحدة لها ولابنتنا. ولا أدري هذه الحرب القذرة المفروضة عليك

وعلينا كم ستطول، وهل سيكون مصير بلدتنا التي أحبها كمصير الدامور ودرب السيم أم انها ستسلم(٥)؟ وهل سيكون مصيري كمصير صديقي الفلسطيني الذي غادر قريته في عام ١٩٤٨ وكله ثقة وأمل في أنه سيعود لبيته بعد بضعة ايام وبالحد الاقصى بضعة اسابيع، وهاهو ينتظر العودة بعد ما يقارب الأربعين عاما.

آمل في أن لا يكون مصيرنا هو نفس المصير. واعتقد ان من حقنا نحن ابناء مغدوشة ان الا يكون كذلك. شعب فلسطين صارع عدوا أجنبيا غاصبا جاء واحتل أرض الغير، أما نحن فلم نصارع أحدا ولا نطمع في أرض أحد. كتبت الحرب علينا بحكم موقع بلدتنا بين المتحاربين، وبسبب إستخدام طرف لها وتحويلها إلى قاعدة عسكرية. لا أدري من مات ومن بقي حيا من أهل بلدتنا، ولا أعرف أي البيوت دمر وأيها نجا من الدمار. كل ما أعرفه ان جحيم المعارك والمدافع والانفجارات لم يتوقف منذ أكثر من اسبوع. أتخيل ان معظم بيوت القرية قد دمر تماما. هكذا أتصور. أيها الرب.. آه ما أقسانا بعضنا على بعض!

"زائري الكريم، اعذرني، لقد عشت في البلدة فترات الحروب السابقة كلها، لكني لم أعش هول القصف الذي اعيشه الان. هذه الحرب هي أقسى الحروب واصعبها على أهل بلدتنا وبيوتها وحيواناتها ونباتاتها. لا أدري ما هي أنواع وصنوف الأسلحة التي تستخدم، ولا أعرف ما إذا كان هذا القصف من فعل جيوش. لا أخفيك، فكرت في الهجرة إلى إحدى الأميركتين لكني نجحت في قتل الفكرة وهي في مهدها. وأعترف لك بان عروضا واغراءات كثيرة قدمت لي ولأهل بلدتنا للرحيل إلى منطقة الشريط الحدودي او بيروت الشرقية ومناطق كسروان، لكني كنت أول الرافضين. وكنت من أشد المتحمسين للبقاء في البلدة. كنت أتصدى لكل الأفكار المعاكسة الانهزامية في كل الإجتماعات التي عقدها أبونا الخوري. وللأمانه، كان أبونا يعطيني الكلام بعد افتتاح الجلسة مباشرة لأكون أول المتحدثين، لأنه كان يعرف رأيي ويعرف ما سأقول.

"دعني أيها الزائر الكريم أرو لك ما حصل في آخر لقاء عقده أبونا الخوري في الكنيسة. كان ذلك قبل اسبوع من المصيبة التي تعيشها قريتنا الان. لم أعد أذكر التاريخ واحمد الله انني لازلت بكامل قواي العقلية. أن اصاب بالنسيان فقط خير ونعمة من الله، زوجة جارنا أبو بطرس هسترت، ولم نعد نعرف مصيرها. قبل أيام فقدها زوجها في عز القصف، ولاحقا أعادها الشباب حافية القدمين ثيابها ممزقة وهي شبه عارية. سمعناها تشتم الرب ويسوع والعذراء لأنهم لم يستطيعوا الدفاع عن أهل مغدوشة. سمعناها تنادي على خوري البلدة وتقول يا أبونا خل العذراء والرب يحموك ويحمو مرتك...

"المهم، ذهبنا نحن وجهاء البلدة إلى الكنيسة بناء على دعوة عاجلة من أبونا الخوري. أذكر ان الحضور كان ناقصا، ولا أدري أكان ذلك بسبب السرعة في الدعوة أم كان متعمدا من قبل أبونا بسبب زائر ثقيل الظل فرض نفسه على أبونا وعلى وجهاء البلدة (٦).

"إسمح لي يا أخي الزائر أن أقفز عن الأسماء، فليس في نيتي أن أكون سببا في أي يوم من الأيام في مصائب الآخرين. على غير عادته، افتتح أبونا الإجتماع دون الدعاء

الذي تعودنا أن نسمعه قبل النقاش. يومها، قدم أبونا الضيف ومرافقيه بكلمات بسيطة خلت من اللياقة: انه من ابناء مغدوشة، ومرافقيه من أبناء الطائفة الشيعية الكريمة ممن يخدمون في الجيش واظنهم من القرى المجاورة. ضيوفنا جاءوا ومعهم أخبار هامة، والرب وحده يعرف الحقيقة، دعوتكم لسماعها وبعد مغادرتهم نتدارس الأمر. هذا ما قاله أبونا.

"كان الرجل القادم بالاخبار من أبناء مغدوشة، لكن أبونا سماه الضيف. نعم انه ضيف ثقيل الدم والظل لانه غادر البلدة منذ سنين طويلة حين التحق بالخائن سعد حداد وجماعته الذين باعوا أنفسهم لإسرائيل. بدأ الضيف إبن مغدوشة حديثه بالقول: شكرا لأبونا، وأشكر النقيب... والملازم...اللذين أتاحا لي زيارة بلدتي بعد غياب طويل وأتاحا لي فرصة اللقاء بأهلها الكرام، فلولاهما لما تمكنت من الوصول اليكم. لا مجال للحديث الآن عن كم من الوقت والجهد استغرقت ترتيبات وصولي لطرفكم. والظروف لا تسمح الآن أيضا بالحديث الصريح عن الاتصالات التي تمت على اعلى المستويات حتى استطاع الحريصون على أهل مغدوشة تأمين نقلي من المطلة إلى مغدوشة.

" ثم انتقل الضيف إبن البلدة للحديث في المهمة الموكلة له وقال: بكل ألم وأسف أقول لكم إن معلومات الاستخبارات الإسرائيلية تقول إن مغدوشة سوف تدمر ولن يبقى فيها حجر فوق حجر. بعد أقل من أسبوع، ستقع المعركة الفاصلة بين الفلسطينيين وحركة "أمل". السوريون و "أمل" سيشردوا أهالي قرى شرق صيدا الذين بقوا في بيوتهم. وسيدمرون مخيم عين الحلوة عن بكرة أبيه، وكل ذلك سوف يتم بعد معارك طاحنة تكون مغدوشة ميدانها. كلكم تعرفون إن جهاز الموساد الإسرائيلي هو اقوى جهاز استخبارات في الشرق الاوسط. امريكا بعظمتها تعتمد على معلومات الموساد. دعونا نتذكر قصة كوهين السوري والمراتب العليا التي وصلها. تذكروا أبو عريضة القائد الفلسطيني الذي كانت تهتز لاسمه مدينة صيدا قبل حرب١٩٨٢،[٧] باعتباره الفدائي الاول الذي عرفته صيدا كأكبر متعصب ل"فتح" ولفلسطين والفلسطينيين. لا اريد ان اعرفكم بعظمة الموساد الإسرائيلي وقوتها فوجودي سالما بينكم شاهد حي على ذلك.

" وأضاف الزائر العميل: ما يدور على أرض لبنان سيناريو متكامل وضعه الكبار. ثم لا تنسوا أن ما يسمى الآن بالشريط الحدودي أو منطقة سعد حداد هو الآن "دولة لبنان الحر" بنتها الحركة الصهيونية[٨]. أدعوكم لمراجعة التاريخ. فكرة لبنان الحر او مورنة جبل عامل ومحيطة ليست جديدة، بل قديمة، وضعها قادة الحركة الصهيونية الأوائل. لم ينفذوها في الثلاثينات والأربيعانات لأن أولوياتهم تركزت على قيام دولة إسرائيل ولان الموارنة وكل المسيحيين لم يكونوا موحدين حول الفكرة. رحم الله الشيخ بشارة الخوري فقد كان بعيد النظر. وعلى كل حال لم تكن الظروف الدولية ناضجة في حينها لقيام دولة مارونية.

حين وصلت إلى هذه النقطة في الرسالة، دخلت الممرضة وهي تحمل الشاي. لم أنتبه لوجودها إلا بعد ان دعتني لشرب الشاي. فشكرتها وقلت إنها رسالة مهمة ومحزنة وصلت في القراءة عند نقطة حساسة. خرجت وهي تعلن أسفها. وأكملت القراءة:

"الرئيس بشارة الخوري إلتقى ساسون مبعوث الحركة الصهيونية وحاول الصهيونيون ان يستغلوا الظروف وطرحوا عليه مساعدة الكنيسة المارونية ماليا لشراء جبل عامل من الشيعة. وكان هناك من الطائفة الشيعية من إستعد لبيع الارض وتهجير الشيعة إلى العراق. الظرف الآن ناضج تماما والمشروع سوف ينفذ، وأنتم أحرار في اتخاذ القرار. الخيارات أمامكم مفتوحة. والوقت محدود. قلت مغدوشة سوف تدمر وأهلها سوف يهجرون. القيادة الإسرائيلية تعرض عليكم الرحيل إلى الشريط الحدودي إلى دولة لبنان الحر. ترتيبات الانتقال مرسومة ويمكن مناقشتها إذا كان جوابكم ايجابا.

"ويومها أضاف الضيف القادم كمبعوث إسرائيلي: "في دولة لبنان الحر سيكون لكم رعاية خاصة. السكن مؤمن، كثير من بيوت الشيعة في القرى الواقعة ضمن نطاق دولة لبنان الحر فارغة من سكانها. ومن لا يرغب في السكن في مناطق دولة لبنان الحر إسرائيل جاهزة لاسكانه في المدن الإسرائيلية. اعتقد انكم تعرفون ان دولة إسرائيل تستوعب شهريا عشرات الالوف من المهاجرين اليهود، وهي لن تعجز عن استيعاب بضعة الاف إضافية".

"وختم هذا الضيف حديثه بالقول: أنتم أحرار في الخيار والقرار، وأنا إبن مغدوشة أنصحكم من موقع الوفاء إلى الأهل بأن ترتبوا أموركم وتحسموا مواقفكم باتجاه الرحيل إلى دولتكم دولة لبنان الحر. وسأكون وكل أبناء البلدة في خدمتكم. إنسوا مغدوشة، مصيرها كقرية مسيحية حسم، القرية مشطوبة، وغير المحسوم حتى الآن هو أرضها هل ستكون ضمن نفوذ الشيعة أم ضمن نفوذ السنة، هذا الأمر ستكشف عنه الأسابيع والشهور القليلة القادمة. الدروز رتبوا أمورهم، قديما كانوا خدما عند الموارنة ويجب ان لا نسمح لهم بالتفوق على تفكيرنا، بنوا دولتهم او كنتونهم، ليس مهما الإسم. ولعلمكم الدولة الدرزية ستشمل جبل العرب في سوريا، والمهم أن نبني دولتنا المارونية المستقلة.

"عزيزي الزائر من أي ملة كنت، هذا هو ما سمعته في لقاء الكنيسة ورويت لك خلاصة ما قاله ابن بلدتنا الضيف. قد تتسائل لماذا لم ابلغ هذا الكلام الا الان؟ لماذا لم أنقله إلى مصطفى سعد أو إلى حركة "أمل" أو الفلسطينيين؟ جوابي بسيط، هو ان وجود ضابطين من الجيش اللبناني من ابناء القرى المجاورة هو الذي منعني من ذلك. وأظن ان أحدهما تردد اكثر من مرة على البلدة أثناء زيارته للقوة النظامية العاملة مع "أمل". كيف تريدني ان أتجرأ على التبليغ بعدما أبلغ النقيب الحضور تهديدا واضحا حين قال قبل مغادرته الكنيسة: هذا اللقاء سري، والحضور معروف، وإذا تسرب خبره فلن

نعجز عن معرفة الفاعلين، نحن مكلفون من أعلى المستويات بواجب عسكري قمنا به، نحن موجودون بينكم باعتبارنا أفرادا في الجيش واللقاء لمصلحتكم بغض النظر عن قراركم. اعرف ان بينكم من لديه عواطف مع مصطفى سعد او مع الفلسطينيين. ومن لديه مثل هذه العواطف الافضل له ان يحتفظ بها لنفسه.

"نعم، أعترف عزيزي الزائر بأني خفت على نفسي وعلى أولادي. صدقت ان مخابراتهم قوية. ودعني أصارحك بعد الذي جرى لي ويجري الان فوق ارض بلدتنا بأني بت مقتنعا بان مخابراتهم قوية جدا، ومعلوماتهم دقيقة. ابن البلد الضيف قال اسبوع واحد مغدوشة ستدمر عن بكرة أبيها، وما يجري الآن لا يخرج عما قاله، لا من حيث التوقيت ولا فيما يتعلق بمصير البلدة. لا أدري إذا ما بقي أحد من أهلها فيها، ولا أظن أن أحدا قادر على البقاء تحت هذا الجحيم المجنون. ولا أدري إذا ما كان أهلها سيعودون، وإذا عادوا هل سيجدون فيها مكانا يعيشون فيه.

"عزيزي الزائر: أعترف بأني كنت شجاعا أمام ابن بلدتنا وجبانا خلفه. لم أتحمل سماع حديثه، وقلت له في وجهه بعد ان أعطاني أبونا الخوري الكلام: عزيزنا ضيفنا ابن بلدتنا. ويومها قاطعني وقال: أنا لست ضيفا. قلت: دعني أكمل كلامي بعد أن استمعنا لك ولم نقاطعك، فسكت. وأكملت وقلت: قد يكون ما تقوله صحيحا وقد لا يكون كذلك. المخططات والسيناريوهات التي تحدثت عنها هي من صنع الغير كما قلت وما أنت الا رسول للبلاغ. لنفترض جدلا ان ما قلته صحيح وسيقع، فأنا ضد الرحيل في كل الأحوال إلى إسرائيل. إسرائيل دولة يهودية تستقبل المهاجرين اليهود من كل أنحاء العالم. وكل يهودي يصلها يصبح تلقائيا مواطنا من الدرجة الاولى. المسيحي لا مكان له في دولة يهودية وإذا عاش فيها فسيكون مواطنا من الدرجة الثانية أو الثالثة، حتى إذا كان مسيحيا أمريكيا أو أوروبيا، والشيء ذاته ينطبق على المسلمين. وإذا خيرت بين ان اعيش، لاقدر الله، مواطنا من الدرجة الثانية في دولة يهودية او مواطنا من الدرجة الثانية في دولة عربية اسلامية فسأختار العيش في الثانية على الأولى. أنا مستعد لدفع الجزية في دولة إسلامية على ان أعيش في إسرائيل.. وأضفت: لا أعتقد اننا نعيش في عصر دفع الجزيات، وعلى كل حال لا أعتقد أن الأمور ستصل إلى هذه الدرجة. وما يجري حرب سياسية واغراضها سياسية ليس عسيرا التعرف عليها، سيوفها وجنودها الطوائف والملل اللبنانية. مغدوشة ارض آبائنا واجدادنا، شخصيا، سأبقى فيها، وحتى لو دمرت فساعود لإبني بيتي فيها. لا أخفيك زائري العزيز انني اصبت بقشعريرة في تلك اللحظة عندما مرت في مخيلتي صورة بيتي المدمر، ولكنني تمالكت نفسي وأكملت وقلت: مغدوشة لا أعداء لها، عشنا مع جيراننا الشيعة في الغازية وعنقون قرونا طويلة، وعشنا مثلها مع السنة في صيدا. ومع الفلسطينيين لم نشعر بفارق الدين منذ جاورونا في عين الحلوة في عام ١٩٤٩. ويومها ختمت حديثي بالقول إن هذا هو رايي وكل إنسان حر في قراره، وهذه مسألة مستقبل ومصير، وأنا لا أريد لأبنائي أن يعيشوا أبد الدهر غرباء عن المنطقة معزولين عن جيرانهم.

" عزيزي الزائر: الأمانة تقضي أن أقول إن أبونا الخوري أثنى أمام الجميع على ما قلته. وبعد خروج الضيف ابن بلدتنا ومرافقيه، قال لنا أن إنسوا الموضوع ولا ضرورة لبحثة. وهذه الجملة كانت كافية عند الجميع لاعتبار الاجتماع وكأنه لم يقع. وروايتي لما حصل في اجتماع الكنيسة ليس توددا لك عزيزي الزائر بهدف انقاذ بيتي وانما لاني لم استطع ابقاء الأمر سرا بيني وبين نفسي. ومثل هذه الامور ترغب الطبيعة البشرية اوهكذا انا اشعر بالحديث عنها ولو لانسان آخر، فالنفس لا تهدأ الا بعد الحديث عنها حتى لو كان الحديث ضارا او غير مفيد او قد يجلب الندم لاحقا.

" لا أدري إذا كنت سأندم لاحقا على رسالتي هذه، المهم أنني الآن مرتاح الضمير بعدما أفرغت فيها بعض همومي. لن أطيل عليك أكثر فرسالتي طالت، ولكني اشعر بالرغبة بسرد بعض التفاصيل عن كل غرفة من غرف البيت. بامكانك تمزيق الرسالة، وبامكانك استكمال القراءة او التوقف إذا مللت. معزتي للاشياء وارتباطي بها يدفعني للكتابة عنها، ثم لا أخفيك انها المسألة الوحيدة التي استطعت ان اركز ذهني حولها في هذا الوقت العصيب. في الملجأ، لم أستطع القراءة ليس بسبب انقطاع التيار الكهربائي فقط بل ولانعدام القدرة على التركيز. مللت لعب طاولة الزهر مع زوجتي خصوصا بعدما بدأت تفقد توازنها. البيت يا عزيزي يتكون.. " .

في هذه اللحظات، دخل عبد الكريم قائد قوة الجبهة في مغدوشة ومعه عدد من الرفاق. توقفت عن القراءة عندما بادرني عبد الكريم بالسؤال اين وصلت في رسالة صاحبنا؟ هل قرأتها كلها؟ هذه نسخة ثانية، واخرج بعض الاوراق واضاف انها رسالة مأساوية تبعث على الالم والحزن لم يستطع هو إكمال قراءتها. قلت إني قرأت معظمها. قال عبد الكريم يبدو ان الرجل كاتب، وصفه للبيت جميل جدا، من الضروري ان تقرأه لتتمتع باللغة. اما التعرف على الموجدات فالأفضل من القراءة كما نصح عبد الكريم هو ان أقوم بجولة ميدانية في أرجاء البيت وكلي أمل ان لا يكون الرفاق قد عبثوا فيها " . ونظر نحو أبو الفهد.

رد أبو الفهد " أن كل شيء ظل كما تركته ونفذنا التعليمات بدقة " . اعترضت المرضة وعبرت عن اعتراضها بحركة خفيفة من شفتيها وبهزة بسيطة لرأسها.

طلبت أن نقوم فورا بجولة في المنزل. فاشترط عبد الكريم أن لا تكون الجولة طويلة. صحيح ان البيت اقرب إلى متحف جميل ويستحق إعطاءه وقتا أطول ولكن أمامك عمل كثير، هكذا قال ثم أضاف إن رفاقنا بالإنتظار، والجميع قلق من الأخبار عن الانسحاب، وشباب " فتح " بالانتظار أيضا، وسلوك كادرهم تجاه رفاقنا تغير. بدأوا بتحريض المقاتلين في بعض المواقع، وبعض كوادرهم عرضوا أموالا على بعض كوادر الجبهة وطلبوا منهم الانضمام لقوات " فتح " .

نزلت كلمات عبد الكريم كالصاعقة على دماغي، وأعادتني إلى أجواء الخلاف الفلسطيني الداخلي. طويت الرسالة ووضعتها في جيب الفيلد وقلت إنه طالما ان أجواء الإخوة في

"فتح" بلغت هذا المستوى من الشك فلنؤجل قراءة الرسالة ونؤجل الجولة في المنزل، ونبدأ العمل فورا، وتركت لعبد الكريم أن يختار من أين نبدأ، هل نبدأ باللقاء مع الرفاق او باللقاء مع شباب "فتح".

ـ الأفضل ان نبدأ مع شباب "فتح"، لاسيما وان علاء وعبد المعطي السبعاوي وأبو علي عصام مجتمعون الآن مع كوادرهم في مقر العمليات. ثم ان اللقاء مع "فتح" سوف يكون قصيرا بينما اللقاء مع الرفاق سيكون طويلا، فلديهم الكثير من الاسئلة المحقة.

قبل مغادرة المكان، أعطى عبد الكريم تعليمات مشددة بشأن البحث عن الراديو المسروق وضرورة الحفاظ على موجودات البيت. وأضفت أنا ان من الضروري أيضا نقل الرشاش من الشرفة إلى السطح أو إلى أي مكان آخر. وطلبت دعوة الكادر الى التجمع في هذا المكان بعد ساعة من الآن. لكن عبد الكريم قال إن اللقاء مع الرفاق مرتب في مكان آخر اكثر أمنا.

لم يكن اللقاء مع قيادة "فتح" ككل اللقاءات التي كانت تعقد بيننا. في السابق، كانت اللقاءات حميمة جدا يسودها ثقة كاملة متبادلة. هذه المرة كان الشك والفتور هما سيدي الموقف. لم يصدقوني عندما قلت إن قوات الجبهة موجودة في مغدوشة وستبقى فيها لحين معالجة مشكلة المخيمات المحاصرة بصورة مشتركة مع "فتح". ولم يثقوا بحديثي عن استعداد قوات الجبهة للمشاركة في عملية يتم فيها تنظيف بقية مغدوشة من بقايا قوات "أمل". بل قالوا إنهم أجّلوا الهجوم وتمنوا علينا أن نعطيهم ٤٨ ساعة حتى يجهزوا أوضاعهم إلى مرحلة ما بعد انسحابنا وحتى يحشدوا قوات بديلة عن قواتنا.

وبالرغم من قدم العلاقة والثقة الشخصية العميقة القديمة، لم أفلح في إقناعهم بان انسحاب قوات الجبهة لن يقع. قالوا إن معلومات الوالد (أبوعمار) من قلب دمشق تقول بأن مكتبكم السياسي قرر الانسحاب من مغدوشة وقراره لا رجعة عنه حسب حديث أمينكم العام نايف حواتمة. حاولت جاهدا اقناعهم بان هذا غير صحيح وان حديث الامين العام إذا نقل فهو يدخل في التكتيك وهو موجه للسوريين، الا ان حديثي لم يغير قناعاتهم بما قاله أبوعمار لهم. ولهذا كان اللقاء قصيرا، وكان مؤلما وقاسيا للطرفين. وعندها أدركت معنى سيادة الشك بين رفاق السلاح إبان المعركة.

غادرنا مقر عمليات "فتح" والصمت يخيم على المكان، لا يكسرة سوى بعض صليات متفرقة يطلقها هذا المقاتل المتخندق او ذاك، هنا او هناك. بعد اقل من عشرين خطوة، سمعت صوتا يناديني بإسمي ويطلب مني ألا أنسى دم محمود خليفاوي وأبو سمرة وأبو جهاد وبقية الشباب، ويقول إننا سنجعل من أماكن استشهادهم معلما من معالم تاريخ شعبنا. إلتفت خلفي فلم أشاهد أحدا، لكن الصوت تواصل وصار أقوى وبات يحيطني من كل الجهات. آخر جملة سمعتها قبل ان يخرجني عبد الكريم من شرودي كانت "كفى جرائم بحق الناس، لا تلعبوا بارواح البشر". قال: "عبد الكريم أين

وصلت، أراك سارح الذهن؟ لماذا لا تذهب إلى دمشق وتناقش الامر مباشرة مع الرفاق في المكتب السياسي؟ الأمر يستحق المغامرة".

- يفترض أن يكون ياسر قد وصل دمشق. دعنا ننتظر نتائج جهوده.

- وماذا ستقول للرفاق المجتمعين الان؟

- الكلام ذاته الذي قلته في اللقاء مع ياسر، والذي كررته في اللقاء مع قيادة "فتح".

- ولكن إذا...

- مافيش إذا.

لاحظ عبد الكريم توتري وقال إن لدينا وقتا كافيا وهو يأمل في أن يوفق ياسر في ثني الرفاق عن قرارهم. وإذا لم يوفق يمكن انقاذ الوضع عن طريق تسليم مغدوشة إلى أبو معروف وحزب الله. قلت إن من الصعب جمع الاثنين معا، والسوريون مصرون على إعادة "أمل" إلى مواقعها في مغدوشة. ويمكن ان يتنازلوا ويقبلوا بتسليم المواقع للجيش اللبناني، أي لحركة "أمل" بلباس الشرعية اللبنانية المفقودة. وعلى كل حال، لن يقبل ياسرعرفات بالنزول من مغدوشة، ونزول قواتنا لا يعني انسحاب "فتح" من مغدوشة. المهم ان يتمكن الاخوان في "فتح" من الصمود ٤٨ ساعة إذا انسحبت قواتنا بقرار المكتب السياسي. وأظن أنهم سيصمدون، والخاسر الأكبر سنكون نحن في الجبهة الديمقراطية، نخسرها مع الجميع. نخسرها أولا مع أهالي مخيم عين الحلوة، وهم لن يغفروا لنا الإنسحاب إذا انسحبنا، ونخسرها مع وليد جنبلاط ومع مصطفى سعد، ونخسرها مع "فتح". وأهالي مغدوشة لن يغفروا لنا الإنسحاب ولا التسبب في تدمير بلدتهم. وأظن أننا لن نرضي السوريين، وهم الآن غير راضين عنا.

شعرت برغبة شديدة بالهروب من الحديث عن الانسحاب. وسألت عبد الكريم عما إذا كان يعرف صاحب البيت صاحب الرسالة، وقلت إنه مسكين حالته تبكي الحجر، مثله مثل كل اللبنانيين. واستفهمت عما إذا وصلت معلومات عن أبو جهاد، هذا السوري القومي القديم الذي قد لا يعرف أحد قيمة ما قام به؟

قال عبد الكريم: "صاحب البيت علم من أعلام البلدة، رجل علماني ديمقراطي صديق قديم للحزب السوري القومي الاجتماعي. اما أبو جهاد فمنزله كما تعرف لا يزال ضمن المنطقة الخاضعة لسيطرة "أمل". خليفاوي كان من همومه الاساسية تحرير بيت أبو جهاد". وأضاف: "أظن أن هذا الهدف كان سببا في اصابته وبالتالي في استشهاده. وكما تعرف محمود أصيب شرقي الكنيسة على الأطراف الشرقية للبدة حيث يقع بيت أبو جهاد. ومن بيت أبو جهاد إنطلق محمود وكل الشباب وصوب بيته إستشهد".

هوامش الفصل التاسع

١- بعد إتفاق عمان الفلسطيني-الأردني، خشي قادة الاتحاد السوفيتي من تمدد كامب ديفيد إلى الجبهتين الفلسطينية والأردنية وعارضوا الإتفاق، وشجعوا هم والسوريون والليبيون المعارضة الفلسطينية على تكتيل نفسها في اطار محدد، وشكلت "جبهة الإنقاذ". وبعدها، لم يكتف الرفاق السوفيت بأن الجبهة الديمقراطية قاطعت المجلس ورفضت المشاركة في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير، بل مارسوا ضغطا معنويا على قيادة الجبهة للانضمام لجبهة "الانقاذ المعارضة للحلول الاستسلامية" والمضادة لتوجهات عرفات وقيادة المنظمة. لكن الجبهة رفضت الانضمام للانقاذ وانتهجت سياسة مهادنة.

٢- في إطار التنسيق الأمني بين الجبهة الديمقراطية والمخابرات السوفيتية K G B قدم جهاز أمن الجبهة الديمقراطية خدمات كبيرة للمخابرات السوفيتية، وفرز عشرات الكوادر في مختلف بلدان العالم للتعاون مع المخابرات السوفيتية تحت شعار التنسيق. وفعلاً، أدى الرفاق المهمة بنجاح أسعد السوفيت ووفر لهم معلومات ثمينة. وقد اشتمل الإتفاق بين قيادة امن الجبهة والمخابرات السوفيتية ان يقدم الرفاق السوفيت لجهاز أمن الجبهة مبالغ مالية تعادل رواتب الرفاق المفرزين للعمل معهم، لكن الرفاق السوفيت لم يكتفوا بالدفع لقيادة الامن بل أغدقوا المال على الأفراد مباشرة تحت شعار بدل مصروفات جيب، وانشد عدد من الرفاق للمخابرات السوفيتية على حساب انتمائهم للجبهة والثورة.

٣- النص في الكتاب بني على رسالة حقيقية تركها صاحب البيت، والوصف المثبت يعكس صورة حقيقية للواقع، وسياق النص ينسجم تماما مع اهداف الرسالة.

٤- المربعنية في حساب الشتاء عند الفلسطينيين وغيرهم من العرب هي الايام الاكثر بردا ومطرا وقد اشتقت التسمية من الأيام الاربعين الممتدة بين بداية فصل الشتاء اواخر شهر كانون الاول/ديسمبر وبين نهاية كانون الثاني/يناير وثلاثة ايام من شهر شباط/فبراير. ويروي كبار السن للاحفاد قصة مقاومة الإنسان لقسوة الطبيعة وقدرته على الانتصار والتغلب على المصاعب.

٥- في سياق الصراع ابان الحرب الاهلية، احتلت القوات الفلسطينية بلدات مسيحية كثيرة، وكان ضمنها بلدة الدامور على طريق صيدا بيروت ودرب السيم المجاورة لمخيم عين الحلوة ومدينة صيدا، وكان مصير البلدتين للاسف كارثيا حيث احرقت البيوت بعد نهبها، وبلغ النهب مستوى خلع الادوات الصحية والأبواب والشبابيك وقلع بلاط المنازل وهدم السقوف وسلب حديدها.

٦- وقائع الاجتماع ومضمونه المدونة في صفحات الكتاب مبنية على رواية حقيقية والمثبت هدفه خدمة التوجه وهو ينسجم معه تماما ويساهم في تشخيص الوضع ويوضح الصورة.

٧- قصة الجاسوس الإسرائيلي كوهن معروفة في عالم التجسس ونجاح الموساد الإسرائيلي في زرعه في دمشق بين١٩٦٢ و١٩٦٤: أدخل كوهن إلى سوريا اوائل عهد الانفصال كانون ثاني/يناير ١٩٦٢ كشف أمره وحوكم وأعدم. ولا تزال القصة عالقة بين إسرائيل وسوريا بعد اربعين سنة تقريبا إذ أن إسرائيل تطالب سوريا بتسليمها رفاته وتتعامل سوريا مع الموضوع كورقة مساومة خاصة لان لديها أسرى وجثث جنود عند الطرف الآخر. وقصة أبو عريضة تروي سيرة فلسطيني عمل لحساب إسرائيل، واشتهر في صيدا كعنصر في اجهزة الامن الفلسطينية متشدد جدا في الدفاع عن الثورة ومحاسبة المشبوهين، وكثيرا ما ارتكب أبو عريضة جرائم تحت شعار الدفاع عن الثورة. بعد دخول القوات الإسرائيلية مدينة صيدا ظهر أبو عريضة مع القوات الإسرائيلية وتابع مهمته القذرة.

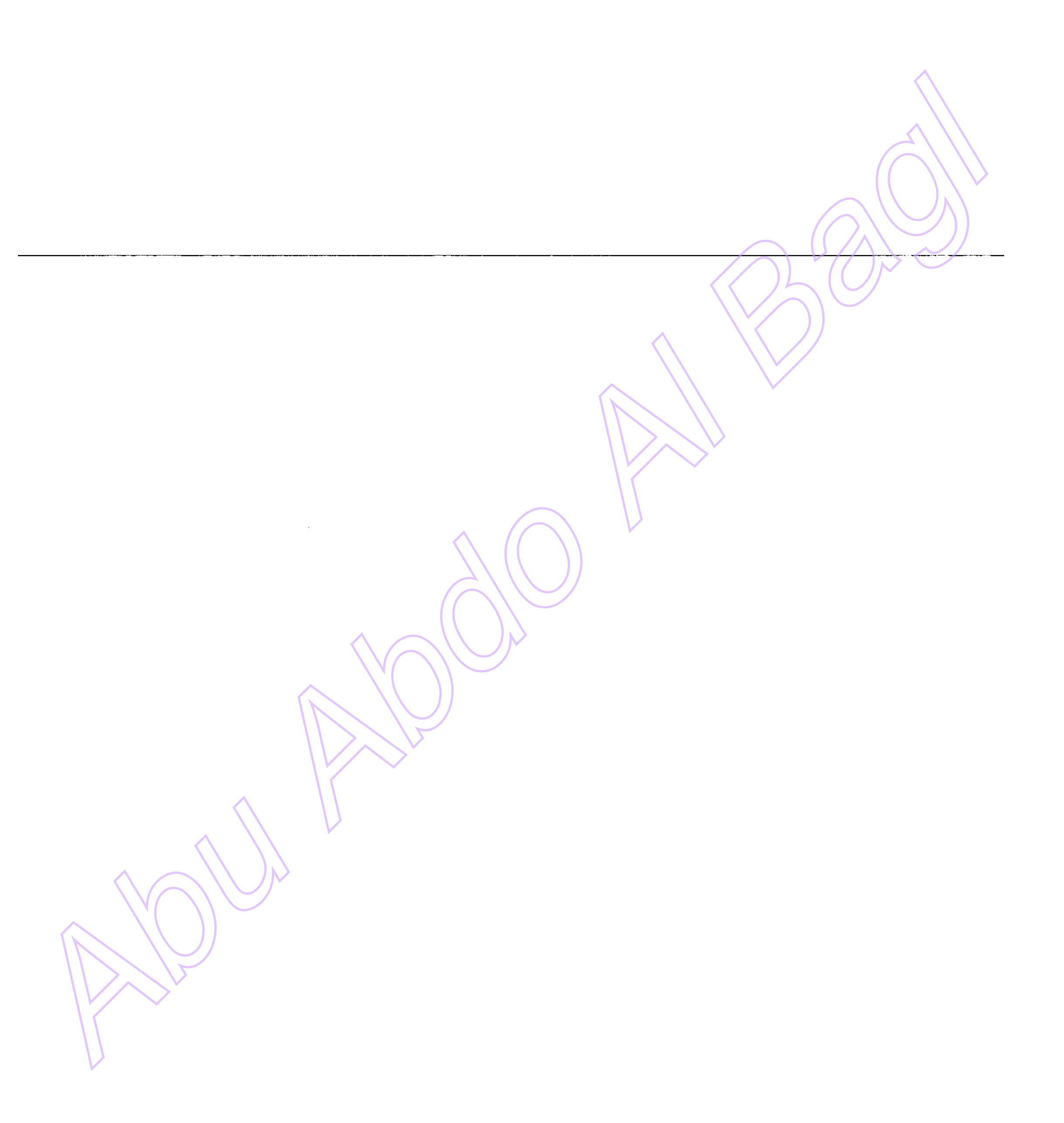
٨- بعد تصاعد العمليات العسكرية الفلسطينية من جنوب لبنان ضد المدن والقرى والمستوطنات في شمال إسرائيل شن الجيش الاسرائيلي سلسلة عمليات لطرد المقاتلين الفلسطينين من جنوب لبنان

المنطقة الواقعة جنوب نهر نهر الليطاني، وتوجت القوات الاسرائيلية عملياتها عام ١٩٧٨ باحتلال منطقة تمتد من البحر غربا حتى سفوح جبل الشيخ شرقا بعمق يتراوح بين ستة وعشرة كليومترات داخل الاراضي اللبنانية كان يقطنها قرابة مئة الف مواطن من ابناء الطائفتين الشيعية والمارونية. واعلنت اسرائيل في حينه قيام دولة لبنان الحر ونصبت الجنرال في الجيش اللبناني سعد حداد الذي تعاون مع إسرائيل على رأس هذه الدولة المسخ التي لم تعمر طويلا. واظن ان هدف إسرائيل من الإعلان كان محاولة تشجيع الأطراف اللبنانية على إعلان دول مشابهة كل في منطقته.



الفصل العاشر

أهالي المخيم ومدينة صيدا ضد الإنسحاب من مغدوشة


Abu Abdo Al Bagl

أهالي المخيم ومدينة صيدا ضد الإنسحاب من مغدوشة

تمزق وحدة الموقف في القوات والتنظيم

كان الطريق إلى مكان الاجتماع مع الرفاق آمنا وقصيرا، خصوصا بعدما تمكن الشباب من طرد قوات "أمل" من عدد اضافي من الزواريب. لقد خاضوا معركة تحرير السوق الداخلي لمغدوشة على طريقتهم الخاصة التي خاضوا فيها معارك الشياح والأسواق في بيروت[1] عام ١٩٧٥-١٩٧٦. شقوا أسوار المنازل وجدرانها وفتحوا لأنفسهم ممرات فيها. استخدموا قواذف ال آر بي جي ولم يقصروا في استعمال المتفجرات. نسفوا أبواب بيوت وحيطان كثيرة. كان شعارهم المعركة طالت والمهم شق الطريق وفتح ثغرة في الجدار أو السور حتى لو إنهار الجدار وسقط السور وسقطت نصف البناية، إذ المهم أن تكون طريق التقدم مستورة ومخفية عن قوات "أمل" من كل الجهات، وما عدا ذلك ليس أكثر من تفاصيل حتى لو كان فيه خراب بيوت.

وصلنا مكان الاجتماع، وهو بناية من أربعة طوابق تقع وسط مجموعة من الأبنية ليس سهلا حتى على قذائف الهاون اصابتها. اختار عبد الكريم الطابق الثاني كمكان للاجتماع باعتباره الطابق الاكثر أمنا. الأول او الأرضي لا يسلمان عادة من شظايا القذائف الطائشة أذا سقطت في الزاروب. والرابع والثالث يتأثران بما يحتمل سقوطه من قذائف على السطح.

دخلنا البناية عبر ثغرة أحدثها الرفاق في احد جوانبها، هدموا حائطا كاملا من جدران الطابق الأول. طوابق البناية متشابهة من حيث هندسة الشقق. الطابق الواحد شقة كاملة، مكونه من ثلاث غرف نوم واسعة وحمامين وصالون واسع ملحق به صالون صغير اقرب إلىغرفة تلفزيون وبجانبه غرفة طعام. الطابق الأول كان كامل الاثاث لكن من المستحيل الجلوس فيه. الأوساخ في كل مكان، بقايا الخبز الجاف متروكة هنا

وهناك. بقايا المعلبات المفتوحة مرمية على الأرض وعلى الطاولات والكراسي، جوارب وغيارات داخلية وسخة عفنة وقمصان مستعملة وبنطلونات مهترئة مبعثرة هنا وهناك وبقايا طين البساطير والأحذية. زيت السلاح مسكوب على الأرض وعلى حافة السرير واطراف الكنبات. شرشف وخرق ملابس سحبت من الخزائن واستعملت لمرة واحدة إما لتنظيف السلاح أو تنظيف البساطير أو لتجفيف الوجوه والأجسام بعد الغسل والاستحمام. الحالة واحدة للأسف في الصالون، في الممرات، وفي غرف النوم، والحمامات.

علقت ساخرا من حال البيت وقلت يبدو ان أصحاب البيت ناس يكرهون النظافة، أكيد تركوه هكذا وسخ حتى لا تسكنوا فيه!

رد عبد الكريم الطابق الثاني سليم معافى لم تصله أقدام الرفاق. أما الطابقان الثالث والرابع فليسا أحسن حالا من الطابق الأول لأن الرفاق طاقم الرشاش عيار ١٤,٥ المنصوب على السطح يستخدمونهما. صعدنا إلى الطابق الثاني حيث يتجمع الرفاق. كان الحضور قليلا. وتوقع عبد الكريم وصول بقية الرفاق الآخرين خلال عشر دقائق. فطلبت أن نصعد إلى سطح المبنى ونتأمل المنطقة وطرقات البلدة وزواريبها. صعدنا وصعد معنا عدد كبير من الكوادر. مجال الرؤية نحو الشرق والغرب والجنوب كان مفتوحا، أما جهة الشمال فكانت البناية المجاورة تحجب النظر.

من على السطح، أخذ أبو حسن قائد المحور الشرقي يشرح لنا الوضع العسكري. راح يحدد مواقع حركة "أمل" بالإشارة إلى البيت الأزرق او البيت ذي الشرفة الخضراء أو بيت سقفه القرميد الأحمر وهكذا، ولم ينسى أن يشير إلى مكان استشهاد محمود خليفاوي، ومكان استشهاد أبو سمرا.

قال كما تعرف هناك استشهد محمود وهناك قرب المدرسة استشهد أبو سمرا وذاك هو بيت أبوجهاد الذي منه انطلقنا في الهجوم[٢]. وعلق ضاحكا بأنه إذا عاد أهالي مغدوشة فأظن أنهم سيعدمون أبو جهاد ابن قريتهم قبل ان تعدمه حركة "أمل"، قصته معنا صارت معروفة للجميع، الكل يتحدث ويقول إن أبو جهاد خبأ مقاتلي الديمقراطية في بيته مدة ٤٨ ساعة قبل بدء الهجوم. أما أبو سمرا فكما تعرفون استشهد وسط الطريق. قلت، إن آخر ملاحظة قالها على الجهاز نحن الآن على باب المدرسة. وأكمل أبو حسن الشرح: هناك الكنيسة واضحة، كل الطرق الرئيسية والفرعية وكل الزواريب توصل لها ونحن الآن على مقربة منها.

كان أبو حسن يتحدث وعلامات الارتباك بادية على وجهه، تحدث بطلاقة لكنه ظل يتحاشى النظر في وجهي او في وجه عبد الكريم. وبدا لي أن أبو حسن شاعر بعبء الانسحاب. قال الليلة إذا لم ننسحب سنقوم بنسف ثلاث او أربع بيوت ونتخلص من الموقع الوحيد الذي يعيق وصولنا إلى ساحة الكنيسة.

ـ أليس بالإمكان تجنب عملية نسف البيوت؟

ـ عدم النسف يعني الهجوم المباشر وهذا سيكلفنا أربع او خمس شهداء جدد، دفعنا الكثير ويكفي. نهدم أربع بيوت بالمتفجرات أفضل من فقدان أربع رفاق.

أضاف عبد الكريم إن أموال المنظمة والحمد لله كثيرة هي تدمر وهي تعمر، هذه هي المعادلة منذ بدء الحرب الاهلية. القوات السورية تدمر والمنظمة تعوض الجميع، فلسطينيين ولبنانيين. الطيران الاسرائيلي يدمر البيوت والبيارات، والمنظمة تدفع التعويضات. الفدائيون يقتلون أولاد الناس بالخطأ أو لأسباب أخرى والمنظمة تدفع ديتهم. الفدائيون يقطعون الشجر والمنظمة تعوض. ثم قال إن مال قارون لن يعوض خسارة اهالي مغدوشة. البلدة حلوة وجميلة وقد تحولت بفضل قراراتكم الحكيمة..إلى كومة خراب ودمار. ثم ضحك عبد الكريم وقال: "أعرف أنني بدأت اللعب في النار".

قلت إن الجميع يلعب لعبة وسخة دخلناها وصرنا أسرى لها ولم نحسب حساب الخروج منها. وقال أبو حسن "قصدك صرنا مثل الواوي الذي واقع في العليقة".

قلت إن الأدق أننا صرنا مثل لاعب القمار الذي ادمن على لعب البوكر ولم يعد قادرا على التوقف. لعبنا اول مرة عام ١٩٧٥ وهات من يوقفنا، إنه على كل حال لعب كله خسارة في خسارة، حتى عندما نربح نكون خاسرين. الربح دم والخسارة دم.

قال عامرأبو غاليا قائد قوة الإسناد لو نسفنا البيوت الليلة الماضية لكنا نفدنا فيها. وتساءل عما إذا كان حديثي يعني أن النسف ممنوع. ثم علق "يظهر يا شباب كلام كوادر "فتح" وعامل الإشارة صحيح، وقرار الإنسحاب من مغدوشة في جيب الرفيق ممدوح". وأنهى جملته قائلا: "يا عمي فهمونا مذا تريدون أنتم القيادة. إذا المكتب السياسي قرر الانسحاب من مغدوشة ممكن أفهم ليش قرر الهجوم وقرر اقتحام مغدوشة؟ هل صعدنا إلى مغدوشة حتى ننزل من دون محمود وأبو سمرا؟ هل فكت سوريا الحصار عن مخيمات الرشيدية والبرج وشاتيلا؟" ثم أجهش في بكاء مر حقيقي وراح يردد إن الانتحار أفضل من الإنسحاب. وعبر عن أساه "لعن الله والدي الذي تسبب في وجودي في هذه الدنيا، ولعن الله اليوم الذي التحقت به بالثورة".

ـ أخطأت التفسير يا رفيق أبو غاليا. لا قرار بالإنسحاب من مغدوشة، والموضوع موضع بحث ونقاش داخلي. والتوجه العام هو عدم الانسحاب إلا بعد فك الحصار عن المخيمات.

ـ إذن ممكن ننسف البيوت الليلة ونتخلص من مواقع "أمل" المزعجة[٣]؟

ـ شخصيا ضد نسف البيوت لا الليلة ولا الليلة القادمة، الإخوان في "فتح" أجلوا هجومهم. لم يستكملوا التحضيرات المطلوبة وطلبو مهلة ٤٨ ساعة. ودعونا ندقق

في خيار النسف، هل هو الخيار الوحيد أم انه الخيار الأسهل؟ وهل إنعدمت الوسائط الأخرى لإخراج مقاتلي "أمل" من دون نسف وبدون خسائر؟ ثم ألا يمكن مثلا نسف منزل واحد بدل الأربعة إذا كان لابد من النسف والتدمير؟

قطع عبد الكريم النقاش وقال أظن أن الحضور إكتمل، ودعانا إلى الطابق الثاني على أن نناقش كل الأمور في الاجتماع.

لم يكن هذا هو أول اجتماع موسع للكادر منذ إحتلال مغدوشة، لكنه كان مختلفا عن سواه. اللقاءات السابقة كانت تتم مع قادة الوحدات وقادة الفصائل والمجموعات، وكانت موضوعاتها تتركز حول كيفية تحسين الوضع العسكري على الأرض، او البحث في الأوضاع العسكرية على محاور الأصدقاء وفي محيط المخيمات المحاصرة، او البحث في آخر المستجدات والتطورات السياسية والعسكرية على الصعيد الوطني. اما هذا الاجتماع فقد بينت الدردشة القصيرة على السطح ان موضوع الانسحاب او عدم الانسحاب من مغدوشة سوف يكون محور البحث والنقاش فيه ولا شيء سواه. لم أكن في حينه في حال يسمح بنقاش طويل لهكذا موضوع. صعدت إلى السطح لادرس إمكانية شن هجوم نهائي وتنظيف البلدة نهائيا من بقايا قوات "أمل" وفرض أمر واقع جديد. لكني للاسف وجدت الاجواء غير مناسبة للهجوم، لا عندنا ولا عند الاخوة في حركة "فتح".

بعد الوقوف دقيقة صمت على أرواح الشهداء، بدأت الحديث في الاجتماع بتعهدي ان أكون واضحا وصريحا: "أنا لم أحضر إلى هنا لابلغكم بقرار الانسحاب من مغدوشة، كونوا على ثقة بأن لا قرار بذلك، وإذا اتخذ قرار بذلك فلن أكون أنا من يبلغكم به. شخصيا أنا ضد الإنسحاب ولن أصدر أمرا من هذا المستوى يتعارض مع قناعتي يلحق الضرر باهالي المخيم وبالجبهة والثورة". وأوضحت ان هناك خلافا حقيقيا في المكتب السياسي حول هذه المسألة، واعتبرت الخلاف أمرا طبيعيا وأكدت إن الأمور تحسم في النهاية بالتفاهم داخل الهيئات. وعرضت بايجاز شديد نتائج زيارة الرفيق ياسر عبد ربه إلى لبنان ومنطقة صيدا والموقف الذي حمله معه إلى دمشق بعد اللقاءات مع وليد جنبلاط وأبو معروف ومشايخ حزب الله والاجتماع مع كوادر "فتح" والحديث المطول مع أبو عمار وأبو جهاد.

وأكدت ان تفكيرنا يجب ان يتركز حول كيفية تنظيف مغدوشة من بقايا قوات "امل" بسرعة، وليس في الانسحاب منها. وكان التقدير ان نشن هجومنا النهائي نحن والإخوان في "فتح" خلال ٢٤ او ٤٨ ساعة وليس اكثر، لكن أوضاع الاخوة في "فتح" ليست ناضجة لهكذا عملية، ويبدوا انها غير ناضجة عندنا أيضا. وختمت حديثي بالتشديد على استكمال التحضيرات اللازمة للقيام بهجوم خاطف ناجح. ومن المفيد ان يبحث الاجتماع مستلزمات الهجوم، من نوع حشد قوى إضافية وأسلحة وذخائر وكل ما يلزم لضمان النجاح السريع.

نعم دفعت باتجاه إختزال فترة الإجتماع وهربت إلى الأمام، وحملت حركة "فتح" مسؤولية تأخير الهجوم. لكن هذا الهروب لم يقنع الرفاق. احدهم قال: " دعونا نتكلم بصراحة، الرفيق ممدوح يتحدث عن الهجوم والرفاق في دمشق يتحدثون عن الانسحاب، من نصدق؟ بصراحة، المسألة ليست موقف فلان او علنتان من أعضاء المكتب السياسي، الأمر معروف قرار دمشق هو الانسحاب ووفقا للنظام الداخلي للجبهة على الأقلية ان تخضع لرأي الاكثرية وتنفذ قرارها، والأغلبية في القيادة مع الانسحاب.

آخر قال: "لا داعي لفلسفة الأمور، ولا للف والدوران، قيادة الجبهة في لبنان لم تعد موحدة، بعضهم مع قرار دمشق وآخرون ضده. عامل اللاسلكي سأل "هل مسموحا لي ان استشهد بالمعلومات المتوفرة لدي والتي استلمتها او أرسلتها على الجهاز؟"

قلت إن البرقيات الواردة والصادرة غير المشفرة يلتقطها كل الناس مباشرة، وحتى المشفر منها تستطيع جهات كثيرة فكها بسهولة، ونحن نعيش الان في عصر الكمبيوتر ولا أسرار في عالم اليوم "وبامكانك الاستشهاد بكل ما لديك من معلومات".

كنت أعرف أن أجواء الكادر ضد الإنسحاب وان عامل الإشارة سيفضح مواقف بعض الرفاق في المكتب السياسي الذين يدعون للانسحاب، ولهذا بسطت الموضوع وسمحت له بالحديث بالمفتوح.

عندها، بدأ رضوان الحديث بطلاقة وأورد بعض المعلومات التي لم أكن أنا نفسي أعرفها قال: "الرفيق فهد سليمان تحدث على الجهاز مباشرة مع الرفيق الامين العام نايف الموجود في الجزائر، وتحدث مع أبو ليلى الموجود في دمشق، والرفيقان شددا على ضرورة الانسحاب وقالا له لا رجعة عن هذا القرار بغض النظر عن رأي ممدوح او ما يحمله ياسر عبد ربه من أفكار". وأضاف العامل "أنا سمعت المكالمات على جهاز ال اف تي f -t، ولو كان عندي مسجل لسجلت كل المحادثة بينهم. الرفيق نايف قال للرفيق فهد سليمان، ممدوح نوفل قائد القوات متمرد على قرار المكتب السياسي ومواقفه لا علاقة للجبهة بها، وليد جنبلاط يمون على ممدوح أكثر مما يمون عليه المكتب السياسي للجبهة". وقال أيضا "إن ممدوح على اتصال دائم مع عرفات وأبو جهاد ويسمع لهما أكثر من المكتب السياسي، وجميع مكالمات ممدوح مع تونس مسجلة عند الإخوان السوريين". وأضاف العامل: "الرفيق الأمين العام طلب من فهد تحمل مسئوليته وانقاذ الجبهة من مخاطر اللعب بالتنظيم وبقرارات هيئاته القيادية، وانقاذها من الورطة التي أوقعنا فيها ممدوح. وطلب وقف أي هجوم جديد، وقال إن أي هجوم جديد يعني كسر عظم مع القيادة السورية ومع قيادة حركة "أمل". وطلب الرفيق الأمين العام وقف كل أشكال التنسيق مع حركة "فتح"، وانتظار رسول من طرفه يصل خلال ٤٨ ساعة".

ذهل الحاضرون مما قاله عامل الإشارة رضوان، وانشد نظرهم باتجاهي تراقب إنفعالات وجهي. حاول عبد الكريم التدخل لوقف رضوان عن الإسترسال في سرد

المعلومات. فقلت له "دعه يكمل، أنا وجميع الرفاق راغبون في سماع بقية المعلومات، وبعد ان ينهي رضوان حديثه ساعلق على الموضوع". أضاف رضوان "فهمت ان الرفيق أبو ليلى سيحضر من سوريا وأننا كجبهة صرنا نشارك في إجتماعات جبهة الإنقاذ في دمشق. وأن ما يتقرر في هذه الاجتماعات نحن ملتزمين به".

قاطعت رضوان، وسألته كم مرة تحدث فهد مع نايف ومع أبو ليلى، وماذا كان رد فهد على حديث الرفاق؟ رد رضوان بأنه سمع مكالمتين، وصوت الرفيق فهد لم يكن واضحا تماما. تدخل زياد ضابط الشيفرة متسائلا: "مش واضح أم أنك تخشى أن تقول ما سمعته لأنك تخشى ردة فعل الرفيق فهد الموجود بقربنا؟. وألح زياد على رضوان لكي يقول كل ما سمعه وان يعيد ما قاله هو نفسه لزياد حول الموضوع.

تابع رضوان الحديث "الرفيق فهد قال للأمين العام نحن في إقليم لبنان جزء من حزب الجبهة ولسنا حزبا مستقلا عن الجبهة، وما تقرره الهيئات ملزم للجميع وسيطبق بغض النظر عن راي أي رفيق. وأكد فهد للرفيق الأمين العام انه سيوقف أي هجوم بانتظار القرار النهائي وبانتظار وصول أبوليلى. وسمعته يقول أنا لم أشارك في معظم اللقاءات التي عقدها ياسر وممدوح مع القوى الوطنية اللبنانية ولا أعرف ما دار فيها، ونحن نلتزم بقرارات قيادتنا، ولا نلتزم باية اتفاقات مع الاخرين تتعارض مع قراراتنا. نحن نلتزم فقط بما يصادق علية مكتبنا السياسي".

توقف رضوان عن طرح المزيد من المعلومات وطرح عليّ عددا مما سماه استفسارات. الإستفسار الأول هل ستصدر أمر الإنسحاب إذا قرر المكتب السياسي الإنسحاب؟ والسؤال الثاني: هل سنوقف التنسيق مع "فتح"؟ والسؤال الثالث: هل صحيح ان الرفيق ممدوح متمرد على قرارات المكتب السياسي للجبهة ويتلقى تعليماته من أبوعمار ومن أبو جهاد ومن وليد جنبلاط؟ وتمنى رضوان أن يسمع إجابات واضحة وصريحة مني. وأضاف إن الوضع خطير جدا وأخشى ان يضيع دم الرفاق الشهداء وتضيع المخيمات المحاصرة ونضيع نحن وسط خلافات قيادة الجبهة. وفي نهاية حديثه طلب رضوان إعفاءه من العمل في قسم اللاسلكي، لأن العمل في هذا المجال حسب قوله متعب جسديا ومتعب نفسيا أكثر، ويجلب وجع راس، الشغل يفرض سهر ليل مع نهار، وجلوس ساعات وساعات على كرسي مكسور ومخلوع يكسر ويخلع الظهر، وعذاب يتبعه عذاب من سماع ما يقال على الأجهزة. جلس رضوان وفي صوته حشرجة مخنوقة لفتت نظر الحاضرين.

تناولت الكلام وسألت عما إذا كان ثمة استفسارات أخرى؟ أحد الكوادر أضاف إلى ما طرح أنه يريد معرفة ما دار في لقاء أمانة الإقليم قبل صعودي اليوم إلى مغدوشة، "الرفاق يقولون إن صوتكم وصراخكم كان مسموعا في الشارع". واقترح الكادر تأجيل الاستفسارات الأخرى لحين سماع الردود على ما طرح من استفسارات.

خلال حديث رضوان فكرت هل ابدأ بتعبئة القوات ضد مواقف الرفاق في المكتب السياسي، وضد الالتزام بقرار الانسحاب من مغدوشة؟ هل أروي لهم الوضع الداخلي على ما هو عليه؟ هل إتحدث عن خلفياته وقلت في نفسي: يجب توضيح الأمور، ولكن بدون تحريض رغم ان نايف وأبو ليلى دفعا الموضوع في منحى شخصي.

بدأت حديثي بالقول: "نحن يا رفاق تنظيم ديمقراطي ثوري، نواجه الآن، نحن وم.ت. ف وشعبنا في لبنان، منعطفا خطيرا. ما يجري ضد المخيمات هدفه شطب م.ت.ف بيد عربية بعدما عجزت إسرائيل عن شطبها في حرب ١٩٨٢. وأشرت إلى أن الصراع يدور منذ أكثر من عشرين عاما حول تكريس التمثيل المستقل للشعب الفلسطيني باعتباره المدخل الحقيقي للحقوق الوطنية وهو الذي يحدد سقفها، وأنه من الطبيعي في المنعطفات الحادة ان تبرز خلافات داخل الساحة الفلسطينية وداخل التنظيم الواحد، بما في ذلك تنظيمنا.

وقلت: "لا أريد الدخول في عرض العوامل الذاتية التي تساهم في تأجيج الخلافات السياسية الموضوعية، ولا أكشف سرا خطيرا إذا قلت أن لدينا خلافات حادة داخل المكتب السياسي حول مسألة الانسحاب من مغدوشة بينما لم يكن لدينا خلاف حول احتلال مغدوشة. وبينت ان مشاركتنا في الهجوم تمت بقرار من المكتب السياسي، وفهد سليمان ذهب بنفسه إلى دمشق قبل الهجوم ب ٢٤ ساعة وعاد بقرار المشاركة في الهجوم بكل ثقلنا. وفنّدت حديث الأمين العام وقلت أنني لم أورط أحدا، كنت مع الهجوم ولازلت مقتنعا بأن قرار الهجوم كان صائبا وأننا تأخرنا في اتخاذه وليس العكس. واعترفت بأني عملت بحماس شديد باتجاه تحويل موقفي وقناعتي إلى موقف رسمي للجبهة من خلال الهيئة التي انتمي لها وهي المكتب السياسي، ولم يكن الرفاق في قيادة الإقليم أقل حماسا مني.

وعرجت على مسألة العلاقة مع وليد جنبلاط ومع "فتح"، وأكدت ان لقاءاتي مع وليد جنبلاط ومع مصطفى سعد شبه يومية، وهي متواصلة دون انقطاع مع القوى الوطنية اللبنانية الأخرى، وهذ أمر طبيعي وهو يقع ضمن نطاق مسؤولياتي الحزبية والوطنية. وأكدت أنني اتوصل أحيانا معهم إلى اتفاقات او ما يشبه الاتفاقات، لكن كلها لا تتعارض مع توجهات الجبهة وكلها تصب في خدمة شعبنا على الساحة اللبنانية وحماية اهلنا، وبعضها كان يتم اخذ القرارات المركزية بشأنه إذا لزم الأمر.

وأشرت إلى أن ليس جميع أعضاء أمانة الإقليم على علم بكل تفاصيل تلك اللقاءات والاتفاقات. وأننا، في ظروف معينة نعمل بشيء من اللامركزية، خصوصا عندما يتعذر التشاور مثلا مع الرفاق أعضاء المكتب السياسي المتواجدين في دمشق في كل صغيرة وكبيرة. وقلت كلكم تعرفون ان بعض الامور الحساسة لا يمكن ارسالها عبر الاجهزة اللاسلكية، منها مثلا الموقف العملي للحزب التقدمي الاشتراكي من الحرب

على المخيمات. وبشأن موقف وليد جنبلاط والعلاقة معه، جميعكم شاهدتم ضباط جنبلاط في مغدوشة يدققون في الوضع على الأرض، أرسلهم وليد للتأكد من صحة ما ننقله من معلومات. خصوصا بعد التصريحات العنجهية التي أصدرها نبيه بري من دمشق وبعد تسريب جبهة الانقاذ معلومات مدسوسة تقول إن مغدوشة حسمت لصالح حركة "أمل".

وأكدت اعتزازي بالعلاقة الخاصة مع وليد جنبلاط، لكن، وكما تعرفون، وليد لا يصدر أوامر لي ولا للجبهة في لبنان ولا لحركة "فتح" عبر أبو علي عصام او سواه. وليد أكبر من أن يتصرف بهذه الطريقة، ونحن لسنا حبة صغيرة في نظره. وشرحت طبيعة العلاقة مع وليد، وأكدت أنها تقوم على الاحترام المتبادل، هو يطرح رأيه كما نطرح نحن رأينا. وبشأن التوريط قلت إنني لا أدري من الذي ورط الآخر في مغدوشة، نحن أم هو. على كل حال التاريخ سيكشف لاحقا لمصلحة من كانت هذه المعركة. شخصيا أعتقد ان معركة مغدوشة خففت الضغط على المخيمات ان لم توقف انهيار بعضها وسقوطها تحت ضربات "أمل".

وأكدت احترامي الشخصي لرأي وليد جنبلاط وصدقه في العلاقة معنا وحرصه على سلامة المخيمات. صحيح ان الحزب التقدمي له مصلحة في حماية الحزب ورئيسه، ووليد له مصلحة في حماية طائفته من الهيمنة الشيعية، وله مصلحة في اضعاف نبيه بري. ولكن نحن ايضا لنا مصلحة في ذلك، لا سيما وان هذا البعبع بدأ بنا وليس بالدروز. نبيه يتمرجل على نساء وشيوخ وأطفال المخيمات وليس على مشايخ ونساء الطائفة الدرزية. وليد لم يطلب منا بدء المعركة ضد نبيه بري، بل هو الذي بدأ المعركة ضد أهلنا بتشجيع سوري.

وأوضحت بجلاء أنني ضد الانسحاب من مغدوشة، ولن أشارك في تنفيذ هكذا قرار اذا اتخذ. ولن أسجل في تاريخي انني نفذت قرارا يضر بمصلحة شعبي. لو كان الضرر موضع اجتهاد لكان الأمر مختلفا. مغدوشة بلدة لبنانية، وتحريرها لا يعني تحرير قرية فلسطينية، انا مع الانسحاب من مغدوشة ولكن مقابل فك الحصار عن المخيمات المحاصرة. لا أشترط إنسحاب قوات "أمل" من محيط المخيمات بل فك الحصار عنها ودخول سيارة حليب وخبز لكل مخيم من المخيمات المحاصرة قبل الانسحاب من مغدوشة. أبو عمار هو القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية وقائد "فتح". "فتح" هي الشريك الأساسي في معركة مغدوشة ووقد تحملت العبء الأساسي في المعركة من كل النواحي، هذه حقيقة لا يجوز إنكارها، وخسائر "فتح" تساوي ثلاث أو أربع أضعاف خسائرنا. نحن واياهم بدأنا المعركة والهدف كان فك الحصار عن المخيمات، وهذا الهدف لم يتحقق حتى الآن. "فتح" وقائدها أبوعمار لهم الحق الكامل في اتخاذ قرار البقاء أو الانسحاب من مغدوشة.

الإخوان أبو عمار وأبوجهاد وقيادة "فتح" في لبنان ضد الانسحاب من مغدوشة، وأنا أيضا ضد هذا الانسحاب، وموقفي هذا معروف للرفاق قبل الحديث مع أبو عمار وقبل معرفة موقف قيادة "فتح" من الموضوع، وكل الرفاق في أمانة إقليم لبنان وفي القيادة العسكرية يعرفون ذلك. وقلت هذا ثم أشرت إلى أن تقاطع الأفكار وتلاقي المواقف مع أبو عمار وأبو جهاد لا يعني انني أتلقى الاوامر والتعليمات منهما. واذا أردنا التصرف حسب الاصول العسكرية، فأبو عمار هو القائد العام لقوات منظمة التحرير، ونحن جزء من المنظمة وأنا عضو في المجلس العسكري الأعلى لقوات الثورة عليّ نظاميا إطلاع القائد الأعلى على الموقف العسكري أولا بأول وان أتلقى أوامره. ورغم ذلك، الأمور في المنظمة والثورة لا تسير حسب هذا النظام، وما زالت مواقف الأحزاب والمنظمات ملزمة لأعضائها بما في ذلك العاملين في السفارات.

على كل أنا عضو في المكتب السياسي للجبهة، وقضية الانسحاب من مغدوشة لا يقررها عضوان أو ثلاثة أعضاء من هذه الهيئة. هذه قضية وطنية كبرى تمس كل وضع شعبنا في مخيمات لبنان، وتؤثر بشكل مباشر على أوضاع م.ت.ف. وليس بالضرورة أن يلتزم الإنسان بقرار غير مقتنع به. أكيد هناك حسابات عند أبو عمار غير حسابات الجبهة، ولهذا يفترض أن تبادر قيادة الجبهة إلى بحث الموضوع مع أبوعمار ومع قيادة "فتح"، لاسيما وان القضية قضية أمن المخيمات، وهذه قضية وطنية كبرى، و"فتح" شريك أساسي في العملية، واعتقد أن ليس من حق أي منا نحن أو "فتح" التصرف بالموضوع بمفرده.

ثم تحدثت أمام المجتمعين في قضية لا تعنيهم مباشرة وقلت إنني لا أفهم كيف يمكن ان تكون الجبهة الديمقراطية قوة رئيسية في منظمة التحرير، وكيف يمكن ان تلعب دورا رئيسيا في رسم السياسة الفلسطينية وقيادتها مقيمة في دمشق، بينما قيادة المنظمة موجودة في تونس والحرب السياسية والعسكرية والإعلامية بين المنظمة والقيادة السورية على أشدها.

وبشأن اجتماع أمانة الإقليم وما قيل حول الخلاف والصراخ، أكدت وجود تباين في أمانة الإقليم، وهذا أمر طبيعي، ومن حق كل عضو مكتب سياسي ان يجري الاتصالات المناسبة مع بقية أعضاء المكتب السياسي ومع الأمين العام. وختمت حديثي بالقول إن بعض المسائل الأخرى المطروحة من نوع ما قيل على الأجهزة يحتاج إلى تدقيق، ونحن في المقاومة معتادون على إرسال رسائل سياسية عبر الأجهزة. المهم نحن الآن في مغدوشة، ولا إنسحاب من مغدوشة قبل فك الحصار عن مخيمات الرشيدية والبرج وشاتيلا. وعلينا تحضير وضعنا العسكري بشكل مشترك لانهاء وجود حركة "أمل" في مغدوشة.

شعر عبد الكريم بأن الاجتماع طال أكثر من اللزوم ودخل في مواضيع ليس من اختصاصه وبحث تفاصيل تتعلق بالاوضاع القيادية في الجبهة، وحاول اختتام

الجلسة. لكن أكثر من صوت إرتفع وأعلن أننا لازلنا ضائعين. صوت عال قال أقترح رفع توصية من هذا الاجتماع إلى قيادة الاقليم والقيادة العسكرية بعدم الانسحاب من مغدوشة الا بعد فك الحصار عن المخيمات وبعد إطلاق سراح المعتقلين. وجد عبد الكريم في هذا الإقتراح مخرجا لإنهاء الإجتماع وسألني عن رأيي في الموضوع، فحبذت الإقتراح.

قال عبد الكريم: بصوت عال هناك اقتراح لا يحتاج إلى تصويت.

علق أحد الكوادر "طوّل بالك، طول عمرها القيادة تطبخ الطبخة وتطعمنا إياها ونحن نأكلها كلها حتى لو كانت سم". ونهض من مكانه وقال بصوت عال إن الرفاق أنهوا الاجتماع وعلى كل واحد منكم أن يتوجه إلى موقعه ومن يموت ويلحق بمحمود خليفاوي وأبو سمرا وبالشهداء الآخرين أرجوه إبلاغهم تحياتي الخاصة، وان يقول لهم إرجعوا لان قيادتنا سترجع حركة "أمل" إلى مغدوشة.

رد عبد الكريم بأن هذا الحديث مرفوض تماما. وقال إن علينا كمقاتلين الالتزام والمحافظة على الانضباط العسكري، والمهم تقوية التحصينات الدفاعية حول مواقعنا، ومواصلة استطلاع بقية مواقع حركة "أمل"، والاستعداد لحسم الوضع في مغدوشة، جنبا لجنب مع الإخوان في "فتح". وأعلن انتهاء الاجتماع مؤكدا على انه سيتم تبليغ الجميع بتطورات الموقف أولا بأول.

بدأ الرفاق بمغادرة مكان الاجتماع أفرادا وجماعات. وكالعادة، تحلق حولنا بعض الكوادر والمقاتلين. بعضهم بقي ليستجلي نقطة من النقاط المطروحة، وبعضهم تأخر ليشكو مسؤولة وآخر ليدلي ببعض المعلومات التي خاف من طرحها في الاجتماع،

خلال الدردشة مع المتواجدين، لفت نظري دخول مقاتل بالكاد يبلغ من العمر ١٧ سنة. تقدم نحو الحشد المتبقي فأشار له أبو جهاد شقيق الشهيد أبو سمرة نحوي. لاحظت تردده في الإقتراب. اقترب أبو جهاد وهمس في أذني: "هذا الشاب لديه مشكلة خطيرة ويريد التحدث معك حولها على انفراد. قلت جيد بعد قليل نستمع لمشكلته. والتفت نحو عبد الكريم متسائلا حول الموضوع. رد عبد الكريم صحيح، وطلب من بقايا المتواجدين أن يتوجه كل إلى موقعه. وبعد مغادرة الجميع باستثناء كادرين أو ثلاثة من الأساسيين حث عبد الكريم الشاب على الكلام "إحكي يا رفيق ما حصل معك. احمرت وجنات الشاب ودمعت عيناه وهي أصلا لامعة، وتحشرج صوته. تدخل عبد الكريم وقال إحكي لا تخجل. بقي الشاب صامتا وزادت دموعه. قال عبد الكريم: "رفيقنا العزيز أبوحسن...عملها مع الرفيق، اغتصبه بالقوة وهدده بالقتل بعدما إختلى به في أحد البيوت المهجورة. الرفيق متطوع جديد تدرب في المعسكر مدة أسبوعين فقط، خاف ان يقتله أبو حسن فرضخ له، واعتدى الرفيق "المبجل" عليه جنسيا. وأضاف عبد الكريم: "استفسرنا من رفيقنا أبو حسن حول الموضوع، فأنكر الأمر جملة وتفصيلا. واتهم

أبو غاليا بأنه حرض الشاب ولفق التهمة ضده". نطق الشاب ودموعه تنزل بغزارة "أقسم بالله بأنه هددني بالقتل وسحب مسدسة ووضع فوهته فوق قلبي. والآن على الباب هددني بالموت، وقال إذا فتحت فمك اعتبر نفسك شهيدا وطلب مني عدم الدخول والإنصراف من المكان(٤)".

وأضاف الفتى: "بيتنا قريب من مكتب الجبهة في مخيم اليرموك في دمشق، كنت أتردد على المكتب وإلعب بنغ بونغ مع الشباب واسمع معهم الاخبار. قبل أقل من شهر، قال مسؤول المكتب ان مخيمات شاتيلا والبرج والرشيدية محاصرة وان حركة "أمل" المدعومة من الجيش السوري تريد تدميرها وان أهالي المخيمات طلبوا النجدة وطلبوا متطوعين. تطوعت مع عدد من شباب الحي. تركت مدرستي ولم أبلغ أهلي، مسؤول المكتب قال لنا التطوع مدة شهر فقط. مضى على وجودي ما يقارب الشهر، ولو لم يحصل ما حصل لبقيت في القوات فترة أطول. تذكرتي أخذوها مني في مكتب الجبهة في مخيم اليرموك في الشام. أنا مستعد لأن أبقى ولكن ليس مع سرية أبو حسن. مستعد ان أنزل الآن في دورية إلى مخيم الرشيدية او شاتيلا وأرجوكم أن لا تبقوني عند أبو حسن وأن تحموني منه".

سألته عما إذا كان لديه أغراض شخصية في السرية، ملابس مدنية أو أوراق شخصية. فقال إنه ترك ملابسه المدنية في معسكر التدريب في الناعمة. قلت بامكانك المغادرة فورا والعودة إلى المعسكر ومن هناك إلى مكتب الجبهة في مخيم اليرموك ومن ثم إلى البيت، والأفضل ان تستكمل دراستك أولا وبعد التخرج تلتحق بالثورة. وطلبت منه أن يكون على ثقة بأننا سنحاسب أبو حسن على فعلته المدانة، والأفضل ان يبقى الموضوع محصورا وان لا يتحدث فيه مع أحد لا هنا ولا في المعسكر ولا في الشام.

طلب عبد الكريم من الشاب النزول إلى الطابق الأول وتسليم سلاحه وتجهيزاته العسكرية الأخرى إلىضابط الإدارة والانتظار هناك. غادر الشاب، وتابع عبد الكريم الحديث: "قصة شذوذ أبو حسن قصة عويصة تذكرني بقصة المرحوم كاسترو الفلسطيني. أبو حسن مقاتل جيد وكادر ميداني متقدم لا غبار على طاقاته وخبراته العسكرية الفنية، قائد بطارية مدفعية ممتاز، وقائد سرية مشاة ناجح جدا، لكنه لايصلح لان يكون عضوا في الحزب. الرجل شاذ جنسيا، وهذه ليست هي المرة الأولى التي يعملها مع الرفاق. أمره عجيب، متزوج، وزوجته ليست بشعة، وله عدة أولاد. مارس الشذوذ وزوجته بعيدة عنه ومارسه أيضا وزوجته قريبة منه. شخصيا محتار في كيفية التصرف مع هكذا حالات كادرية؟ يظهر ان من الصعب تخليصه من هذا المرض، الرجل شارف على الاربعين. الولد سنعيده إلى أهله مسخمط ومدمر نفسيا، ولكن ماذا سنفعل مع أبو حسن؟.

أحد الحاضرين سأل وما هي قصة كاسترو الفلسطيني وماذا فعلتم معه؟

قال عبد الكريم إن كاسترو الآن شهيد ولا يجوز على الشهداء الا الرحمة.

سألت أين ومتى استشهد؟

قبل حرب ١٩٨٢ بقليل، استشهد في عملية بحرية على شواطئ نهاريا مع الاخوان في حركة "فتح". في حينه، فعل كاسترو ما فعله أبو حسن، وكرر فعلته عدة مرات، ففصلناه من الجبهة وسرحناه من القوات، والمرحوم كان يتعاطى الحشيش. لكنه كان اذكى من أبو حسن. عريق في الشذوذ وله خبرة وباع طويل في الموضوع. حسب اعترافاته عملها مع أكثر من عشرة أفراد خلال فترة عام واحد، والغريب أن لا أحد قدم شكوى حول الموضوع. والأرجح أنه كان يورط فريسته بالحشيش أولا ثم يدفعة لممارسة الشذوذ مع أحد الشواذ الآخرين ثم ينقض عليه ويفترسه. قبل فصله من القوات كان قائد فصيلة مشاة في منطقة حاصبيا، دخل عليه قائد سريته بعد منتصف الليل خلال نوبة التفتيش على الحراسات. مواقع السرية كانت متقدمة في خط المواجهة. وجده قائدة عاري تماما وبجانبه أو تحته على فرشة اسفنج شاب صغير العمر. كان الفصل شتاء وبرد العرقوب كما هو معروف قارص. ورغم ذلك كان الإثنان عراة تحت بطانية خفيفة. كانت الغرفة تعبق برائحة الحشيش رغم ان شبابيكها مخلوعة ومكسرة ومظللة ببعض البطانيات البالية. النكته أن كاسترو رد على قائدة عندما سأله ماذا تفعل بالقول كما ترى وانا قمت بذلك لانكم لم ترسلوا لنا "جريدة السفير" منذ أكثر من يومين. المهم قائد السرية فصله من سريته وإرسله إلى القيادة. وعند المحاكمة، إعترف كاسترو بفعلته وأصر على قصة جريدة السفير.. كاسترو سكير وحشاش، لكنه كان مقاتلا ممتازا وشارك في العديد من العمليات القتالية الناجحة. بعد فصله، التحق بقوات "فتح"، مدحنا لهم شجاعته وحذرناهم من سلوكه الخاطئ والشاذ ورغم ذلك قبلوه عندهم بعدما تعهد لهم بالتوقف عن هكذا ممارسات. بعد ٦ شهور، استشهد في عملية بطولية وصدر بيان نعيه يحمل رتبة الشهيد البطل كاسترو.

وختم عبد الكريم حديثة بالقول إن كاسترو شهيد وقد كان فعلا شجاع ويستحق رتبة نقيب ولكنه حشاش وشاذ، ألا تستحق مثل هذه الظاهرة الدراسة والبحث عن العلاج؟

- صحيح ولكن المهم الآن أن يعود هذا الشاب إلى أهله، وان يتم تجميد وضع أبو حسن وسحبه من مغدوشة إلى الادارة العسكرية ريثما يبت بوضعه ونتفق على العلاج. أنا شخصيا مع تحويله إلى المنظمات الشعبية وتكليفة بمهام محددة في المليشيا والزامه بإحضار زوجته من سوريا والسكن في المخيم لعل وضعه يتحسن وسلوكه يتغيرمن خلال الاحتكاك بالناس والتعرف على العادات والتقاليد الاجتماعية. لسنا الآن في وضع يسمح لنا إجراء المعالجات النفسية المطلوبة.

رد عبد الكريم: على كل حال، يبدو ان اللواط مرض عالمي ليس محصورا فينا نحن العرب. سمعت ان مجلس العموم البريطاني ناقش الموضوع وأنهم انقسموا بين من هو

مع اباحته والسماح به وبين من عارضه. وأظن أن الشعوب الأوروبية الأخرى عندها نفس المشكلة، الدول الاسكندنافية والطليان، الموضوع شبه مرسم عندهم، وفي كل جيوش العالم تبرز مثل هذه المشكلة، والشيء ذاته في المدارس الداخلية. قبل بضعة أيام قرأت خبرا في الجريدة يقول ان بعض الاساتذة في مدرسة من مدارس لندن اعترفوا بممارسة الشذوذ الجنسي مع طلابهم، معلمون إنجليز يعيشون في قلب لندن بحاجة إلى علاج نفسي وليس فقط أبو حسن والشهيد كاسترو اللذان عاشا مشردين في قواعد الفدائيين.

- دعونا نتحرك الآن، يجب أن أعود إلى المخيم لمتابعة بعض الاتصالات. الليلة يفترض أن نلتقي ثنائيا مع الشيخ عباس الموسوي زعيم حزب الله، ونحن بحاجة إلى مزيد من المناقشات الداخلية، وكذلك مع الإخوان في "فتح" ومع وليد جنبلاط ومصطفى سعد.

عند مدخل المبنى، كان الشاب الصغير بالانتظار وكان يقف بجانبه رجل في الخمسين من عمره وامرأة في اوائل الاربعينات. بادرهم عبد الكريم بالسؤال: "خير يا أبو سمعان وأم سمعان؟ قلنا لكم الموضوع سيحل انشاء الله بعد إنتهاء المعركة. سنعيد كل الناس إلى مغدوشة، وسنعوض عن كل الأضرار التي لحقت بالبلدة، هذا قانون في الثورة وقيادتنا تقدر أهل مغدوشة ولن تبخل عليهم. منظمة التحرير الحمد لله غنية عوضت على الشيعة ولن تقصر مع المسيحيين".

قالت أم سمعان إنهم سمعوا أن مسؤولا كبيرا موجود هنا، فجاؤوا يحكون قصتهم. ثم اشتكت "بيوتنا خربت، والبلدة دمرت، طلبت منه ان نهاجر من كل لبنان لكنه رفض. نحن ميتين من الجوع وأبو سمعان رافض مغادرة البلدة. انا عندي اخوات في ساحل العاج".

قاطعها أبو سمعان: أنا قلت سأموت في مغدوشة يعني راح موت هوني مش هأرحل. البلد مرت عليها جيوش كثيرة ودكاني بقيت سالمة. القذائف لم تحرقها ياسيدي، الدكان راحت نهب على زمانكم. قبل عام ١٩٨٢، كان عندنا فدائيين فلسطينيين، كانوا معسكرين برا البلد في الكروم. كانوا شباب طيبين، كنا نسهر ونسكر مع بعض مسيحية وإسلام، وما كان في فرق بينا. كانوا يشترون من دكاني كل حاجياتهم وكانوا يدفعون حسابهم فورا. كنت أداين بعضهم حتى آخر الشهر، وكانوا يستلمون رواتبهم ويأتون ويقولون أبو سمعان خذ حسابك، ومن كان يتأخر في تسديد حسابه أو ينقل من البلدة كان المسئولون يعوضون علينا حقنا. عشنا أحباب وأصحاب مع الفلسطينيين قبل عام ١٩٨٢. راحوا الفلسطينية وجاء الإسرائيلية وأهل مغدوشة رفضوا التعاطي معهم رغم أنهم للأمانه كانوا دمثين معنا.

أبونا الخوري ما حبهم ورفض التعاطي معهم. بعضهم كان يأتي إلى دكاني ويشتري وكنت أرفض البيع بالشيكل الاسرائيلي. مع الاسرائيليين جاء زعران حاملين على صدورهم صلبان، كنت أقول لام سمعان المؤمن بالرب وبيسوع عن حق وحقيقة ما

بحط صليب وبيمشي مع اليهود اللي صلبوا المسيح وعذبوه. كان الزعران يحضرون إلى الدكان يشتروا ويشربوا ويمشوا، ولم أرغب في اقامة أي علاقة معهم. رفضت إدخال أي منهم بيتي رغم أنهم مسيحيين. لم أرفع كأس مع أي منهم رغم أنهم مسيحيين، لكني رفعته أنا وام سمعان مع فلسطينيين إسلام كثيرين. قبل شهر انتشر خبر في الضيعة يقول ان الفلسطينيين طردوا حركة "أمل" من جنسنايا ولم يكسروا لوح قزاز، والخبر قال إن الفدائيين الفلسطينيين حملوا معهم عرق ووسكي لأهل جنسنايا، أنا يومها قلت لام سمعان هولي أصحابي القدامى بكرا بيدخلوا مغدوشة وبنعيد معاهم أيام زمان. لكن يا خيي اللي حصل لنا شيء تاني.

"البلد دمرت، والبيوت تحطمت وخربت، والدكان نهبت. "أمل" لم تنهبها، صحيح منعونا من اقتناء وبيع المشروبات لكنهم للامانه لم ينهبونا. قعدتهم طالت عندنا، كرهناهم، لكنهم لم ينهبونا.

تدخلت أم سمعان وقالت: "إحنا يا أبو سمعان ما بنكرة حدا، بكرا بيرجعوا وما بتعرف شو بيصير فينا. كل من ياتي ويذهب ناس طيبين. الحرب ليست حربنا الحرب على أرضنا وهذا غضب من الرب علينا. المهم الدكان".

قاطعها أبو سمعان وقال والله لو قطعوا راسي لن أقول عن "أمل" طيبين" أنا لست ضد الإسلام لكن إسلام حركة "أمل" شي تاني". والتفت نحوي وقال ياسيدي مين راح يعوضنا عن الدكان؟ أنا وأم سمعان عايشين عليها وعلى كرم العنب. ومنها نرسل للولد والبنت مصروفهم في الجامعة في باريس".

- أهل مغدوشة محترمين ونحن وإياهم حبايب من أيام زمان، والله يجازي من كان السبب في خرابها وتدميرها. نحن آسفين لنهب الدكان، وسنحاول معرفة الفاعلين وسنحاسبهم، أما التعويض فسنبذل الممكن، ونأمل في المساعدة في وقت قريب. بعد انتهاء المعارك سنعوض على المتضررين ونأمل أن ننتهي من الحرب بسرعة حتى ترتاحوا ويرتاح أهل المخيمات الميتين جوع[٥].

صافحناهم والألم يمزق الطرفين. خلال المصافحة، همست أم سمعان قائلة: "نحن جوعانيين المونة خلصت من البيت والطحين راح من الدكان". قلت: "هذه بسيطة يا أم سمعان". وهمست في أذن عبد الكريم بضرورة تزويدهم هم وجميع المدنيين المتواجدين في مغدوشة بالخبز والمعلبات. أكد عبد الكريم أن قوات "فتح" والجبهة تزود المدنيين بما يلزم من تموين وتساعدهم في مسائل أخرى كثيرة، وذكرني بما كنا نفعله في بيروت خلال الحصار القاسي، وفترة حرب ١٩٨٢ الطويلة.

تحركنا باتجاه المستوصف، وتركنا ام سمعان وأبو سمعان غير مقتنعيين بأجوبتنا. سرنا وسار خلفنا الشاب المعتدى عليه يجر رجليه منحني الرأس يحمل بندقيته كأنها عصا.

ساد الصمت للحظات قطعه عبد الكريم بالاستفسار من الشاب لماذا لم يسلم بندقيته؟ رد علية بأنه لا يعرف لمن يسلمها لأنه جديد في القوات. حول عبد الكريم الحديث وسألني إلى متى سنستمر في تعذيب البشر وفي تعذيب أنفسنا؟ هل كل ما جرى ويجري سببه الإمبريالية العالمية عدوة الشعوب؟ هل الإمبريالية العالمية هي السبب في نهب بيت أبو سمعان وفي عذاب ام سمعان؟ هل الإمبريالية والصهيونية العالمية هي السبب في تدمير مغدوشة وتدمير نفسية هذا الشاب الصغير، وسرقة مسجل وراديو صاحب البيت؟

كان عبد الكريم يحدث نفسه والألم يمزقه. قاطعته: إلى اين نحن متجهين الان؟ قال: "كل الطرق تؤدي إلى الطاحون، إلى البيت الذي حتما سينهب، إلىبيت صاحب الرسالة. دكان أبو سمعان في منطقتنا وبعيدة عن مواقع الاخوان في "فتح". وأنا متأكد ان رفاقنا لهم دور مباشر في نهبها". وأشار إلى أنه ليس لديه معلومات دقيقة لكن عودة بعض المقاتلين وبعض عناصر المليشيا إلى المخيم وهم يحملون المسروقات يثبت ذلك. وقال "الحمد لله ان الطريق إلى المخيم لم ينجز حتى الان والمعارك لازالت حامية". وخشي أن تتحول مغدوشة إلى بلدة دامور أخرى او درب سيم جديدة وان لا يبقى حديد في سقوف منازلها كما في حصل في القريتين. وان يصبح النهب الجماعي مشرّع، وان يتم استخدام الشاحنات بعد فتح الطريق في نقل المسروقات.

ـ يجب الاتفاق من الان مع الإخوة في "فتح" على وضع حاجز مشترك من الشرطة العسكرية على الطريق يضع حدا لظاهرة السرقة.

ـ سنحاول، ولكن أنت تعرف كيف يتم الالتفاف على الحواجز.

في المستوصف، وجدنا أبو الفهد والممرضة والسائق والمرافق بالانتظار. بادرني السائق بالقول إن الشيخ ماهر حمود يبحث عنك وأرسل رسالة يؤكد فيها على الموعد في بيته في الساعة الثامنة. وأبو علي عصام سأل عني وينتظرني عند أبو معروف. وأبو ماهر فتحي أبو العردات سأل أيضا، وجورج أنهى شق الطريق. وأول سيارة وصلت البلد كانت سيارة أبو ماهر، وثاني سيارة كانت سيارة الإسعاف. وهي بانتظاري لأعود فيها إلى المخيم بعد أن نشرب الشاي وبعد القيام بجولة في البيت. قلت غني سأتعرف على موجودات البيت من خلال رسالة صاحبه. ولا داعي للشاي الآن فقد شربنا في هذه الزيارة هموما كثيرة، ويفضل أن أنزل إلى المخيم لأتابع بعض الأمور التي لابد منها.

قبل الصعود إلى سيارة الإسعاف، طلب عبد الكريم من الشاب الصغير أن يتأخر ليكتب تقريرا خطيا ويسلم بندقيته، ووعد بأن ينقله غدا صباحا إلىالمخيم ومنه إلى المعسكر فالوقت الآن متأخر ولا مجال للحركة.

إقتربت الممرضة مني وقالت بصوت هامس ممكن كلمة يا رفيق؟ أعرف أنت مرهق ولا أريد أن أضيف إلىهمومك هموما جديدة. قلت تفضلي وبإيجاز.

- باختصار شديد أرجو نقلي من عند أبوالفهد.

بحثت بعيوني عن أبو الفهد فلم أجده فقد اختفى بعدما لاحظ همسات المرضة. وقلت لماذا يا رفيقة؟

- لا مجال للحديث الان في الموضوع، ولا أريد أن آخذ المزيد من وقتك.

- معنا دقيقتين اضافيتين.

- مسألة تافة. أبو الفهد رجل متخلف رغم انه يقول عن نفسه دكتور، من الصعب ان ابقى معه في نفس المستوصف. هو المسؤول عن فقدان الراديو والمسجلة وأشياء أخرى من البيت. وهو معقد ومتملق للقيادة ولكل من هو أعلى منه مرتبة. سلطوي قاس مع كل من هم أدنى منه ويريدهم ان يكونوا خدما له. والأهم من ذلك كله الاخ يعتقد ان كل بنت تعمل في الثورة او في أي مكان خارج بيتها هي مومس. أرجوك نقلي، وأنا مستعدة للنزول في عملية خاصة ومستعدة للعمل في مجال نقل السلاح للداخل. أنا قادرة على تأمين جواز سفر اجنبي. أنا بنت متحررة درست في أوروبا، تمردت على أهلي منذ صغري، والتحقت بالثورة ثائرة لكرامتي وكرامة شعبي ولن أقبل أن أهان من قبل أبوالفهد أو أي إنسان آخر.

ذكرت طلب المرضة لعبد الكريم وسببه، وهي مستعدة للعمل في المجال الخاص وقادرة على تأمين جواز سفر أجنبي.

قال إن مشاكلها مع أبوالفهد متوقعة، وموضوع الجواز الأجنبي طازة وجديد ولم اسمع به من قبل. وسأل عن المكان الذي يمكن نقلها إليه. فاقترحت مستوصف المخيم على ان ندرس الموضوع الثاني لاحقا.

انفرجت أسارير وجه الرفيقة وقالت "المهم ان يقتصر الانسحاب من مغدوشة علي انا وحدي". قلت صرتم إثنين انت وهذا الشاب الصغير والحبل على الجرار".

حيرة حول الموقف السوفيتي

صعدت إلى السيارة وصعد معي السائق والمرافق ومسؤول التموين. كان الجو صحوا لكنه كان باردا. أغلقنا الشبابيك الكل صامت حتى المتحاربين كانوا صامتين هذا المساء على غير عادتهم ماذا ينتظرون؟ هل ينتظرون قرار الانسحاب من مغدوشة، أم قرار الهجوم؟ هدير محرك السيارة وأصوات الرياح تكسر الصمت لكنها لا تجيب على الاسئلة المطروحة بل تضيف لها اسئلة أخرى. العمل ضروري والحركة افضل من السكون لكن المهم النتيجة. مع الصمت يشتغل الذهن في ما يشغله ويقلقه. والذهن

مثل الطبيعة يكره الفراغ ولا يحب التوقف عن العمل طالما هو مستيقظ. وحتى عندما ينام العقل يستمر في التفكير. لا أدري هل هو الذي يواصل العمل والتفكير أم انه يسلم وردية الشغل عند النوم للعقل الباطني. ما تراه في النهار وخلال اليقظة يلاحقك في الليل خلال النوم ولكن على هيئة صور اخرى. صور النهار المزعجة هي كوابيس الليل الرهيبة. الصور النهارية الجميلة تبعث في العقل الباطني نشاطا وحيوية وتجعله يمارس شغله بهدوء وبدون ازعاج.

قطع عماد الشرود الذهني وقال: "نسيت أن أبلغك أن الرفيق السوفيتي، نسيت اسمه، الذي تلتقيه عادة حضر للمخيم وسأل عنك". قلت: هل التقى مع أحد من الرفاق؟" قال: "دخل المكتب ولا أعرف". منذ ذكر عماد السوفيت، عاد بسرعة مذهلة شريط علاقة أبو أدهم مسؤول الأمن في الجبهة مع الرفاق في الاستخبارات السوفيتية الـKGB وتعاونه معهم. وعادت فكرة مسؤولية ودور السوفيت ازاء وقف مجازر المخيمات لتخيم على ذهني من جديد[٦]. لم أستطع انتزاع فكرة قدرتهم على الضغط على السوريين وعلى "أمل" لوقف حروبهم ضد المخيمات. ألم يرسلوا رسالة مستعجلة من القيادة السوفيتية إلى القيادة السورية بشأن الحفاظ على حياة الرفيق صالح زيدان عندما وقع أسيرا بيد قوات "أمل" بعد تدمير مخيم الداعوق في الحرب الاولى على المخيمات؟ ألم ينبهوا نبيه بري إلى ضرورة الحفاظ على سلامة صالح زيدان، تماما كما تدخلوا في بداية السبعينات مع الحكومة الاردنية من أجل الحفاظ على حياة أبو داوود عضو المجلس الثوري لحركة "فتح"[٧]؟ كلي ثقة بأنهم قادرون على فعل شيء ما لانقاذ المخيمات، وفي الحد الأدنى تخفيف معاناة أهلها، لكن لا يتحركون. لماذا لم يتحركوا، هل هم مع انهاء وجود م.ت.ف في لبنان؟

شخصيا، لازلت مقتنعا بأنهم لم يفقدوا القدرة على الضغط على السوريين. هل اتفاق عمان الذي توصلت له منظمة التحرير مع الحكومة الاردنية في شباط ١٩٨٥ هو الذي يدفعهم لعدم التدخل؟ وهل يدفع الشعب الفلسطيني في لبنان الآن ثمن ذلك الاتفاق الذي عارضه السوفيت والسوريون والليبيون واتباعهم في الساحتين الفلسطينية واللبنانية؟

أسئلة كثيرة محيرة لا زالت إجاباتها غامضة بالنسبة لي. لكن حديث الملحق العسكري في السفارة في بيروت واسئلته حول جدوى وابعاد اعادة تسليح المخيمات الفلسطينية في لبنان واستغرابه إعادة بناء بنية عسكرية فلسطينية في لبنان كانت مبعثا للقلق. أما تساؤلاته عن إتفاق عمان وعن إمكانية وقوع كامب ديفيد فلسطيني إسرائيلي فهي التي تجعلني أربط بين الأمور بهذه الطريقة شبه الاستخبارية.

الواضح للجميع والمؤكد هو ان درجة الاهتمام السوفيتيي بالمعارك الدائرة محدودة جدا وتكاد تكون معدومة. وخبرة العلاقة معهم تؤكد أنهم عندما يكونون مهتمين بموضوع

ما تكون متابعتهم تفصيلية، ويكونون ملحاحين في إستفساراتهم وفي تقصي المعلومات لدرجة مزعجة. يستفسرون ويسجلون أصغر الأمور وأدقها. وينزلون إلى الميدان ليدققوا ويقاطعوا معلوماتهم. نظام عملهم دقيق لكنه معقد، وأظن انه يخلق شيء من البطء في التعامل مع الأمور الساخنة. في السفارة الواحدة لديهم ممثل لأكثر من جهاز وكل ممثل مستقل عن الآخر. وكلهم يهتمون بذات القضايا والمواضيع مع تفاوت بسيط في درجات الإهتمام. وكل ممثل يحاول ان ينال السبق في الحصول على المعلومات، ويتمنى على المصدر أن لا يعطيها للممثلين الآخرين.

في الطريق من مغدوشة إلى المخيم، استرجعت الذاكرة شريط علاقة الجبهة بالرفاق السوفيت. وقلت في نفسي يجب تكرار المحاولة، لابد من اللقاء مجددا مع صديقنا السفير السوفيتي في بيروت فاسيلي كلاتوشا، ولعل اللقاء مع السفير الالماني الديمقراطي مفيد أيضا في إنقاذ المخيمات وفك الحصار عنها. عند هذه الوصلة من التفكير ومن الشرود الذهني دخلت سيارة الاسعاف زواريب مخيم عين الحلوة، وأخذت تقترب تدريجيا من مقر الجبهة الديمقراطية، ومع لعلعة اصوات طلقات رشاش ٥٠٠ متفجرة انطلقت من تلة السنسبيل، أسرع السائق وتوقفت السيارة أمام المقر.

صدمة أهل المخيم من قرار الجبهة بالإنسحاب

خلال فترات المعارك والاشتباكات تعج مكاتب فصائل المقاومة الفلسطينية بالحركة والنشاط. ووفقا لطبيعة المعركة يتشكل الحضور وتتشكل الحركة. في المعارك ضد الجيش الإسرائيلي، تكثر حركة المقاتلين المحترفين وعناصر المليشيا ويبرز السلاح الثقيل على أبواب المكاتب، وتظهر حركة صناديق الذخائر بكل أنواعها، وكلها حركات لا تخلوا من بعض الاستعراض. أما سيارات الإسعاف فتكثر حركتها ويطلق العنان لزماميرها المزعجة دون مبرر، وتشعل أضواؤها المتحركة وهي متوقفة أمام هذا المكتب أو ذاك في هذه الحارة او تلك من حارات المخيمات.

أما في الاشتباكات الداخلية بين فصائل المقاومة، وهي ليست قليلة، فالحركة تكون مختلفة والحشد البشري مختلفا أيضا. في مثل هذه الحالة ينشط وجهاء المخيمات ممن لا ينتمون إلى الفصائل، ويتكثف دورهم باتجاه حقن الدماء الفلسطينية وتسوية الخلافات من خلال التمني على المتحاربين ان يرحموا شعبهم وان يرحموا أنفسهم. وكثيرا ما هدد الوجهاء الطرفين بالرحيل من المخيم وحرق مكاتب التنظيمات واخراج الاطفال والنساء في مظاهرات ضد وجود مكاتب للمقاومة في ازقة المخيمات. وتظهر أيضا بعض القيادات الفلسطينية واللبنانية ممن ليسوا طرفا في النزاع. كل ذلك بهدف تهدئة الخواطر والتوصل إلى اتفاق ينهي الإشكال الذي غالبا ما يكون تافها وصغيرا كبر لاعتبارات لا علاقة لها بالقضية الوطنية ولا بهموم أهل المخيم.

أما في معارك الدفاع عن المخيمات ضد إعتداءات الآخرين غير الإسرائيليين، مثل حزب الكتائب أو حركة "أمل"، فجميع سكان المخيم المعتدى عليه من تنظيمات واهالي وقوى لبنانية غير متورطة يتعاضدون ويتضامنون بعضهم مع بعض. يختلط الناس في المكاتب ويتشاركون في الهم. ويمتزج مقاتلو التنظيمات ويقفزون عن المشاكل القديمة العالقة بينهم. وتتحول المكاتب من مكاتب خاصة بهذا التنظيم او ذاك إلى مواقع عسكرية لجميع المقاتلين والمواطنين المتطوعين من مختلف القبائل والحمايل والبلدات والعشاير للدفاع عن مخيمهم. وتشهد مكاتب المقاومة حركة لا تتوقف طيلة ساعات الليل والنهار يختلط فيها نساء المخيم مع أطفاله مع وجهائه ومشايخه ومقاتليه العائدين من محاور القتال أو الذاهبين لها. وتشاهد في هذه الحالة عديد من نساء المخيم يحملن أباريق الشاي وغلايات القهوة او بضعة أرغفة تم عجنها وخبزها في البيوت ومعها عدد قليل من البيض المسلوق اوبضعة أرغفة من مناقيش الزعتر. الكل في مثل هذه الحالات يسأل عن الوضع والكل يجيب بعضه بعضا ويروي ما قاله فلان أو علنتان الذي عاد من محور الاشتباكات.

هكذا كانت حالة المقر الرئيسي للجبهة الديمقراطية عندما تقدم مقاتلوها مع مقاتلي حركة "فتح" واحتلوا مغدوشة، وهكذا كانت حالته طيلة فترة القتال في مغدوشة وفي شرق صيدا. فالجبهة طرف رئيسي في إحتلال مغدوشة و"فتح" الشريك الاساسي في العملية، ولهذا كانت مكاتبهما في مخيم عين الحلوة والمية ومية مراكز يلتقي فيها المقاتلون والنساء والرجال من وجهاء ومن ممثلين عن القوى الوطنية. كانت الحركة فيها لا تهدأ ليل نهار. لكن هذه الحركة المميزة بدأت تنحسر تدريجيا عن مقرات الجبهة بما في ذلك مقرها المركزي منذ بدأت الأقاويل بان قوات الجبهة سوف تنسحب من مغدوشة.

في الأيام الأولى من انتشار الخبر، تواصلت حركة الأهالي والمناضلين من التنظيمات الفلسطينية واللبنانية باتجاه مقرات الجبهة، وتركز حديث الناس والمناضلين حول المخاطر التي يجلبها الانسحاب من مغدوشة على المخيم وعلى مدينة صيدا وعلى كل الوضع الوطني الفلسطيني في لبنان. وكثر الترحم على الشهداء الذين سقطوا وتضحياتهم التي قد تذهب هباء منثورا. لكن هذه الحركة سرعان ما تراجعت خصوصا بعدما اصبح موضوع انسحاب قوات الجبهة من مغدوشة الحديث اليومي للمنظمات الفلسطينية والصحافة وتناقلته جميع الاذاعات اللبنانية الخاصة. حتى جيران مكاتب الجبهة لم يعودوا يزوروها، ولم يعد العاملون فيها يجدون من يسعفهم بابريق شاي أو فنجان قهوة.

بعد غروب الشمس بقليل، وصلنا من مغدوشة إلى مقر الجبهة ووجدناه شبه مهجور. شارعه خال من الناس، ومدخله بدون حراسات. وبالكاد ينبعث منه حزمة نور ضعيفة من شمعة أو شمعتين. تأخرت، هذا ما قاله لي فهد سليمان ورمزي وأبو السسعيد

معا. قلت خير ان شاء الله. وسألت عن سبب الجلوس على اضواء الشموع وعدم تشغيل المولد. رد أبوالسعيد، عضو امانة الاقليم وعضو اللجنة المركزية للجبهة وابن مخيم عين الحلوة، بأن الإنسحاب من مغدوشة على الأضواء الخافتة وفي ظل الاجواء الرومانسية اجمل وافضل واستر. قال فهد أن ثمة رسالة وصلت من دمشق يمكني قراءتها على نور الشمع، خلاصتها ضرورة انسحاب قوات الجبهة من مغدوشة خلال ٢٤ ساعة كحد اقصى. الاخوان السوريون اعتقلوا أبوالعبد (عصام عبد اللطيف) عضو المكتب السياسي، والرفاق يتوقعون مزيدا من الاعتقالات، وهناك إحتمال بإغلاق مراكز الجبهة في دمشق وترحيل الرفاق.

قلت: إن هذا أفضل عمل يقوم به السوريون، وأكبر خدمة يقدموها للجبهة ولمخيمات لبنان. واستفسرت عمن أحضر الرسالة، وهل تشير الرسالة إلى وصول ياسر إلى دمشق.

- "الأمور تتطور بسرعة وبصورة دراماتيكية، وتحتاج إلى نظرة أشمل لكل مصالح الجبهة في سوريا ولبنان" . هذا ما عقب به فهد على استخفافي بالموقف السوري.

- هذا صحيح ولم يعد ممكنا اللعب على أكثر من حبل، وأظنه صار ضارا بالمصالح الوطنية العليا وبالمصالح المباشرة والبعيدة للجبهة. والمعادلة أصبحت واضحة وأراها على النحو التالي: إما ان نلعب ضمن الفريق الوطني الفلسطيني وفوق أرض الملعب الفلسطيني أو نصبح خارج الملعب وخارج اللعبة الحقيقية وضمن فريق آخر لا علاقة له بشعبنا.

اعتبر فهد الأمر ليس أسود او ابيض، وأشار إلى ان رسول دمشق رفيقة موجودة تنتظر الرد. وقيادة الجبهة في دمشق في وضع حرج وحساس جدا ومصيري. ورسالة دمشق تقول إن قرار الانسحاب من مغدوشة أخذ باغلبية أعضاء المكتب السياسي، وليس فيها أية إشارة إلى وصول ياسر إلى هناك. ونقل فهد عن الرسول قوله ان الرفاق في دمشق بدأوا باخلاء المكاتب من الوثائق وخففوا من تواجدهم فيها بعد اعتقال عضو المكتب السياسي عصام عبد اللطيف، ووضعوا ترتيبات سرية لادامة الاتصال. والرفيقة فرزت للعمل في هذا المجال على خط سوريا لبنان باعتبارها لبنانية لا تخضع للتفتيش من قبل حواجز حركة "أمل" والحواجز السورية. وتقول انها عند عودتها إلى دمشق لن تمر على المكاتب فهناك شقة سرية للقاء معها واستلام البريد.

ناولني فهد الرسالة، وقال إن هذه الرسالة موجهة من المكتب السياسي إلى أمانة الإقليم كهيئة جماعية، وهي تطالب الأمانة بالالتزام بأصول العمل الحزبي خصوصا المركزية الديمقراطية، وتنفيذ الإنسحاب بغض النظر عن موقف الرفاق في أمانة إقليم لبنان كهيئة وكأفراد باعتبار أن القرار صادر عن اعلى هيئة في الجبهة. وتطلب الرسالة ردا رسميا من الامانة. والرسول ينتظر ليحمل الجواب.

رفعت الرسالة وتحركت باتجاه نور الشمعة. وقلت: "بسيطة، يبدو لي صعب قراءة الرسالة على ضوء الشمعة. لست مستعجلا على قراءتها وقد فهمت ما فيها. ولكن لدي رغبة في معرفة كاتبها من خلال التعرف على الخط. وأضفت إني أعتقد أن ليس بامكان الرسول العودة الليلة إلى دمشق، المواصلات من صيدا إلى بيروت معدومة في مثل هذا الوقت، وتحريك سيارة من سيارات الجبهة الآن فيه خطر. واذا وصلت الرفيقة إلى بيروت فمن المستحيل أن تجد سيارة تنقلها إلى دمشق باستثناء السيارات العسكرية السورية.

قال فهد إنه ليس مهما من كتبها ما دامت الرسالة مكتوبة بإسم المكتب السياسي.

"كاتب الرسالة أبو ليلى وهو قادم لطرفنا خلال ٣٦ ساعة حسب الرسالة. هكذا عقب رمزي، عضو أمانة الإقليم ومسؤول منظمة صيدا.

قلت اهلا وسهلا. رد فهد اقترح عقد اجتماع لأمانة الإقليم الليلة كي نصوغ الرد الرسمي.

- جيد ان يتم الالتزام بالرسميات وباصول العمل الحزبي. لكن لا يجوز تحويل الرسميات واصول العمل الحزبي إلى مايوه يلبس حسب هوية المسبح. إذا كان المطلوب جوابا رسميا من الأمانة فأعتقد أن المطلوب قبله إجتماع رسمي للمكتب السياسي يشارك فيه جميع أعضاء المكتب السياسي، أنا وأنت وعبد الكريم حمد أبو عدنان أعضاء فيه. ويمكن في الظرف الراهن عقد مثل هذا الإجتماع في لبنان أو في قبرص أو بالمراسلة أذا تعذر عقد لقاء مباشر بين الرفاق.

- هذا موضوع آخر يمكن مناقشته على مستوى آخر في اطار المكتب السياسي قال فهد هذا، وأضاف إن كلاتوشا السفير السوفيتي أرسل رسولا خصيصا للقاء بك. التقيته أنا بحضور رمزي. وهو يحمل رسالة شفوية من السفير ينصحنا فيها بالانسحاب من مغدوشة ويحذر من وقوع تدهور شديد في علاقة الجبهة مع السوريين. ومبعوث السفير قال ان معلومات الرفاق السوفيت تؤكد إحتمال تدخل سوري مباشر لطرد الفلسطينيين من بلدة مغدوشة. وشدد على ضرورة تنبيهك شخصيا من عملية إغتيال.

قلت: "الحبكة صارت واضحة ومفهومة". كنت أفكر في الاستعانة بالسوفيت والألمان للضغط على "أمل" والسوريين ليوقفوا جرائمهم ضد المخيمات وليفكوا الحصار المضروب حولها. واذا بالسوفيت يضغطون علينا للانسحاب من مغدوشة بدون ثمن وتسليم أمرنا للسوريين حتى لو كانت النتيجة تدمير المخيمات. أعتقد أن المطلوب هو تحريك أهالي المخيمات خصوصا المهجرين في بيروت للاعتصام في السفارات العربية والغربية والسفارة السوفيتية وسفارات البلدان الاشتراكية الاخرى وفي دار الافتاء وحيث أمكن وحيث مفيد.

ونظرت إلى ساعتي وقلت الساعة الان السابعة والربع ومن المستحيل عقد اجتماع للامانة الليلة. وهناك موعد مرتب مسبقا مع الشيخ عباس الموسوي زعيم حزب الله في بيت الشيخ ماهر حمود زعيم الجماعة الإسلامية في صيدا.

فتذّكر رمزي وبيّن أن الشيخ ماهر أرسل رسولا يؤكد على الموعد في الثامنة مساء. وأبوعلى عصام ممثل أبو عمار في لبنان سأل عني وكذلك أبو معروف. وفهمت من أبو علي ان وليد جنبلاط أرسل أبو إياد مسؤول الشحار ومنطقة الغرب في الحزب التقدمي الاشتراكي وكان أبو إياد يرغب في اللقاء بي.

قال فهد إن الحالة مفهومة، الشغل كثير، ويتوقع ان يزداد. لكنه رأى أن الأولية الآن هي لاجتماع أمانة الإقليم لترتيب أمورنا الداخلية وتحديد موقفنا بناء على قرار المكتب السياسي وابلاغه للقوى الوطنية الفلسطينية واللبنانية بصورة رسمية. وأشار إلى انه لا يجوز الاستمرار في بلبلة التنظيم ولا بد من ابلاغه بقرار المكتب السياسي. واستفسر عما سأقوله الليلة للشيخ عباس الموسوي أو لأبو معروف وأبو علي عصام، وقال: "حزبيا يفترض بك إبلاغهم بقرار المكتب السياسي بالانسحاب، وبأننا سوف ننفذ هذا القرار وبان المسألة ليست سوى مسألة توقيت الانسحاب".

- هكذا اذن، المسألة باتت توقيت الانسحاب وليس محاولة ايجاد مخرج ينقذ المخيمات من الدمار ومن الانهيار؟ اليس بالامكان بيع الانسحاب من مغدوشة ولو ببضع ربطات من الخبز وبضع علب من الحليب؟ ثم لماذا لا نفكر في بيع الانسحاب من مغدوشة إلى حزب الله او للتنظيم الناصري مثلا ؟ ثم أليس لنا شريك أساسي قدم تضحيات كبيرة في مغدوشة ؟ وهل الاخلاق الوطنية تسمح لنا بالانسحاب قبل التفاهم معه ؟ وماذا سنقول لاهالي عين الحلوة ؟ الا تروا اننا اصبحنا معزولين عن الناس وشبه منبوذين من أهل المخيم ؟ وأن مكاتبنا ومقراتنا تحولت إلى خراب وإلى بيوت شبه مهجورة ؟

قطع أبو السعيد الحديث وقال إن مصيبة شعبنا تكمن في مواقف قيادته لم تعرف طول عمرها كيف تستفيد من تضحياته. وجهر ابو السعيد بالشكوى "أنا إبن عين الحلوة، ووضعي مثل مختار المخيم إن لم أكن مختارا حقيقيا، وكلكم تعرفون أن بيتي لا يخلو من الزوار لا في ليل ولا في نهار. اقسم بشرفي وباولادي وبدم محمود خليفاوي وكل الشهداء ان جيراني لم يعودوا يطرحون علي السلام. ولم يزر بيتي لا رجل ولا إمرأة منذ ٤٨ ساعة، وبالتحديد منذ بدأ الحديث عن إنسحاب الجبهة من مغدوشة. يا جماعة حرام عليكم، إرحمونا وارحموا شعبكم. على كل حال، اذا حصل انسحاب أرجوكم ان تؤمنوا الي بيتا في الجبل أو الساحل أو في جهنم، المهم خارج المخيم لأني لن أستطيع البقاء فيه. ومن الآن أقول لكم إني لن أبقى فيه ساعة واحدة ولن أعمل في كل منطقة صيدا والجنوب".

تململ رمزي عضو اللجنة المركزية ومسؤول منطقة صيدا وقال: "يا أبو السعيد هذا كلام غير حزبي، وأنت تصب الزيت على النار. وبغض النظر عن رأيك الشخصي في

الانسحاب، فواجبك الحزبي يفرض عليك الدفاع عن قرار المكتب السياسي". رد أبو السعيد: "والله، الله بعظمته ما بيلزمني بالدفاع عن هكذا قرار. انت يا رمزي مسؤول المنطقة، تفضل دافع عن القرار، أنا أتحداكم ان تعقدوا ندوة جماهيرية، والله الناس سوف تضربنا بالكنادر اي بالاحذية. قال رمزي إن لدى الجبهة تراثها العريق والشعب قابل لأن يتفهم مواقفها، خصوصا إذا جرت مصارحته بحقيقة الوضع.

علق أبو السعيد: "تفضل اعقد ندوة يا سيد رمزي وقل للناس إننا سننسحب لأن السوريين والسوفيت يضغطون علينا. قل للناس مكتبنا السياسي إضطر للرضوخ للضغوط السورية. عندها سيقول لك الناس لماذا إذن ورطت المخيم والشعب في لبنان في حروب مع "أمل" ومع الكتائب ؟ ولماذا قتلت اولادنا " ؟

توتر الجو، وقال فهد بصوت عال: "إسمع يا أبو السعيد، مشكلتنا الكبرى في اقليم لبنان هي النزعات المحلية الضيقة. مرة يتم تغليب مصلحة عين الحلوة على مصلحة الجبهة والثورة، ومرة اخرى يتم تغليب مصلحة اولاد صفورية على مصلحة المخيم، ومرة ثالثة يتم تغليب مصلحة الفلسطينيين في لبنان على الشعب الفلسطيني ككل. نحن حزب، ولكل حزب انظمته الداخلية وقوانينه، وإذا لم تحترم هذه القوانين والأنظمة فلا يعود هناك حزب، بل نتحول إلى قبائل وعشائر وتجمعات مبعثرة. نعم، يمكن مكاشفة أهالي المخيم والقول لهم إن ثمن البقاء في مغدوشة إستمرار المعارك وتدمير المخيمات وضمنها مخيم عين الحلوة. السوريون لن يسمحوا بالبقاء في مغدوشة، واسرائيل لن تسمح لنا بالخروج من المخيمات باتجاه الحدود. ويمكن القول للناس ايضا إن الرفاق السوفيت طلبوا منا الانسحاب وتقديرهم أن البقاء في مغدوشة مكلف جدا". قال فهد هذا ثم أضاف: "أنا لا أفتري على الرفاق السوفيت، هذا الكلام سمعته منهم وسمعه معي رمزي. ويمكن القول للناس ايضا إن عرفات له حساباته الخاصة، حساباتنا نحن تختلف عن حساباته، وليس لنا مصلحة سوى مصلحة المخيمات وسكانها".

وأصر فهد على ان الأولوية هي لاجتماع أمانة الإقليم وأن اللقاءات الأخرى مع أبو معروف ومع حزب الله مضيعة للوقت تزيد في توريط الجبهة وتحشرها في مواقف تتعارض مع مصالحها ومع قرار قيادتها.

قلت: "هذا الكلام كبير وخطير، والوقت ضيق لا يسمح بناقشه وسوف أناقشه لاحقا، والآن السلام عليكم. أنا متوجه لطرف أبو معروف لمدة عشر دقائق، ومن هناك سأذهب إلى بيت الشيخ ماهر حمود للقاء الشيخ عباس الموسوي ولتوريط الجبهة أكثر، ولكن في مواقف وطنية، ومن يرغب منكم في المشاركة في اللقاء مع الشيخ بامكانه ملاقاتي هناك. إجتماع أمانة الإقليم ضروري ويمكن أن نعقده في الحادية عشر من صباح الغد.

وعلى هذا هممت بالمغادرة. نهض فهد وقال إن الرسولة بانتظارك، وهي تصر على اللقاء بك شخصيا ويبدو أن لديها ما تقوله لك شفويا.

- أين هي الآن؟

- في بيت رمزي.

- سألتقيها بعد الانتهاء من الاجتماع مع الشيخ عباس الموسوي، وقال فهد: طالما اتفقنا على تأجيل اجتماع أمانة الأقليم حتى لصباح، سأنام الليلة في الجبل.

- جيد، ولكن إنتبه من الحواجز السورية.

- معنا هويات وجوازات لبنانية، وهذا يسهل حركتنا.

مصطفى سعد: قراركم طعنة في الظهر

تحركت باتجاه بيت أبو معروف. وهناك كان البيت يعج بالحركة. أركانه الأساسيين متواجدون، قيادات من الحركة الوطنية وبعض قادة الانقاذ المحلين يملؤون الصالون.

مع دخولي، صمت الجميع، وكان موقف الجبهة موضع حديثهم. وجه أبو درويش القائد العسكري للتنظيم الناصري حديثه إلى أبومعروف وقال هذا ممدوح يا أبو معروف، لم يغادر صيدا كما قالوا لنا. وعندما تساءلت عن سر هذه الملاحظة. قال: سمعنا أنك كنت في مغدوشة وأقسمت أمام رفاقك بأنك لن تقبل تنفيذ قرار الانسحاب من مغدوشة، وأنك قلت أن هذا القرار لن ينفذ وأنت في صيدا".

قلت إن هذا صحيح وأنا لازلت في صيدا يا أبو معروف، وهذا يؤكد ان لا قرار بالانسحاب من مغدوشة. "هذه اشاعات مغرضة يا أبومعروف".

دعاني أبو معروف إلى خلوة. وقلت إني أتيت من أجل هذه الخلوة. دخلنا المكتب واستدعى أبومعروف شقيقه ونائبه أسامة سعد، والقائد العسكري للتنظيم أبو درويش. بدأ أبو معروف الكلام: "الوضع خطير جدا يا ممدوح، صيدا أصبحت في خطر أكبر من قبل والخطر عليها أشد من الخطر على عين الحلوة. إنسحابكم من مغدوشة بدون اتفاق كارثة علينا جميعنا. ماذا عدا مما بدا. مساء أمس وصباح اليوم التقينا وكان اتفاقنا عكس ما يجري تماما. اتفقنا على استكمال تنظيف مغدوشة والحديث الآن يدور حول الانسحاب من مغدوشة.

- لا جديد يا أبو معروف على ما اتفقنا عليه.

قال د. أسامة: "أرجوك يا ممدوح نحن إخوان، وصلتنا برقية من دمشق تؤكد ان الجبهة الديمقراطية قررت الانسحاب وان قرارها نهائي ولا رجعة عنه وأبو ليلى وأبو ماهر اليماني سيصلان غدا إلى صيدا. البرقية من عبد السلام جلود وهو يطلب فيها

من أبو معروف دعوة القيادة الفلسطينية واللبنانية إلى اجتماع مشترك للبحث في أوضاع مغدوشة بعد تسليمها إلى "أمل"، ويطلب تشكيل قيادة فلسطينية لبنانية تضم "أمل" ولا يشارك فيها العرفاتيون، وعلى هذه القيادة ان تضع خطة لفك الحصار عن المخيمات في الجنوب وإخراج العرفاتيين منها. وتؤكد برقية عبد السلام ان كل شيء قابل للبحث ولكن بعد انسحاب العرفاتيين من مغدوشة ومن المخيمات وبعد عودة "أمل" إلى مواقعها السابقة.

ـ هكذا اذن، القصة صارت محسوسة.

فقال أبو معروف قبل قليل حضر أبو علي عصام إلى طرفي وابلغ إلي أن قرار ياسر عرفات هو الصمود في مغدوشة وعدم الانسحاب منها مهما كان الثمن. عصام توجه إلى المختارة ليبلغ الى وليد التطورات ويطلعه على قرار ياسر عرفات. معلوماتي أن إخوانك في دمشق إلتزموا وتعهدوا للسوريين ولعبد السلام جلود ولجبهة الإنقاذ الأنسحاب من مغدوشة. إخوانك إستسلموا للسوريين بعد إعتقال أحد أعضاء المكتب السياسي، وتحدثوا مع الأمين العام للجبهة نايف حواتمة الموجود في الجزائر، ونايف أرسل كتابا خطيا يتضمن قرارا بالانسحاب من مغدوشة. هذه معلومات رسمية ومؤكدة يا ممدوح. هذه جريمة ترتكبها الجبهة الديمقراطية بحق شعبها أولا، وبحق أهالي مدينة صيدا ثانيا، وبحق مصطفى سعد والتنظيم الناصري ثالثا. أنا لم أطعن الديمقراطية. أنا دعمت الجبهة وكل الفلسطينيين. أنا فقدت بصري وابنتي نتاشا من أجل فلسطين وكرامة الفلسطينيين، ومن أجل الموقف الوطني اللبناني الحر والمسؤول ولم اركع ولن اركع".

واتهم أبو معروف قيادة الجبهة بمحاولة إركاع صيدا وتركيع مصطفى سعد تحت أقدام نبيه بري. وطلب إبلاغ أعضاء المكتب السياسي أن صيدا لن تركع ومصطفى سعد لن يركع. صيدا حرقت نفسها في التاريخ مرتين ولا مانع من ان تحرق نفسها مرة ثالثة. "ليس من حق الجبهة تدمير مغدوشة ثم الإنسحاب منها والمعركة لازالت على أشدها. ليس من حقكم تسليم مغدوشة إلى نبيه بري. انتم لستم أصحاب مغدوشة". وذكّر بانه هو المسؤول عن كل الجنوب، مسلمين ومسيحيين، سنة وشيعة وفلسطينيين. واعتبر تصرف الجبهة طعنا في الظهر. وقال: "إصمدوا بضعة أيام وسنصل إلى اتفاق شبيه باتفاق شرق صيدا". وسأل: "هل تخليتم عن المخيمات المحاصرة، هل فكت "أمل" حصارها عن أهلكم حتى تنسحبوا من مغدوشة؟ هل حررتم إخوانكم المساجين من زنازين "أمل"؟

كانت كلمات أبو معروف أقسى من طعن السكاكين في الاضلاع. كنت أستمع وأنا شارد الذهن. كنت مستسلما ولم أكن أتابع الكلمات، كنت مستسلما أمام لكمات متلاحقة تنزل على رأسي واحدة بعد الأخرى. هل أخرج من الاجتماع راكضا نحو السيارة دون أن

أرد بكلمة واحدة؟ هل أصعد إلى مغدوشة وأتوجه إلى كنيستها ؟ هل أذهب إلى السيدة العذراء وهي الفلسطينية، وأعترف لها وأطلب الغفران؟ هل أركب البحر وأهاجر؟ هل أهرب وأسجن نفسي في بيت لا يصله أحد ؟ هل أتوجه إلى مخيم الرشيدية مشيا على الأقدام؟ هل أفعل كما فعل المقاتلون في تموز ١٩٧١ حين قهروا في أحراش جرش وشدوا رحالهم باتجاه فلسطين ناسين أو متناسين أن الجيش الاسرائيلي يرابط فوقها وعلى طول حدودها وأنهم يستسلمون له على حساب كرامتهم وتاريخهم ومستقبلهم؟ هل أسحب مسدسي من وسطي وأطلق طلقتين في سقف مكتب أبومعروف والثالثة أطلقها نحو قلبي وأغادر هذا الكون الخانق؟

بدا وكأن كل شيء من حولي يتحرك: الغرفة تهتز، الكراسي تتطاير في الهواء، أبومعروف الضرير كان جاحظ العينين ولا استطيع النظر في عيونه الحادة، طفلته الشهيدة المعلقة في صورة نزلت عن الجدار، أراها تركض وتصرخ: بابا لا تتركني، أبو درويش يمسك بيدي الإثنتين ود. أسامة يشهر السكين في وجهي، خليفاوي يصرخ بأعلى صوته وأحاول أن أفهم ما يقول ولكن عبثا، صوته مبحوح حتى أن صوت عمي أبو فايز الذي انتزع السرطان حنجرته كان مسموعا أكثر منه وأشد وضوحا. كان عمي يناديني إياك والهجرة، وكانت أمي وهي تقرأ القرآن وأنا أبارك لها تعلمها القراءة بعد السبعين. تنادي باسمي وتقول عمر يا ولدي دير بالك على حالك ودير بالك على إمراتك وإبنك. وحضر بيتنا في قلقيلية منسوفا تحوم حوله الطيور، كان أبو سمرا واقفا أمامه يطرد الغربان من حوله ويصطاد العصافير، الطيران الإسرائيلي يحلق في الجو، يغير ويقصف، ونيران الرشاشات لا تطاله، صرخت أطلقوا صواريخ سام ٧، أطلقوا النار عل موكب نبيه بري، لا تقتلوا داوود داوود بل أحضروه، أمه فلسطينية تريد أن تبصق في وجهة وتقطع ثديها الذي أرضعته منه وترميه في المزبلة، يكفيه بصقة من أمه الفلسطينية الشريفة.

هل أطلب من أبو معروف وقف الكلام وإغلاق الراديو حتى لا أسمع إسم مغدوشة؟ هل أرفع الكأس وأشرب نخب وليد جنبلاط القادم وحوله ثلة من الضباط السوريين، أراه معصوب العينين، يمشي شامخا وهو يقول: الحياة وقفة عز هكذا علمنا كمال جنبلاط شهيد فلسطين. هل أنادي عبد الكريم وماهر حمدي وابو جهاد وابو فادي وماهر حمدي وأطلب منهما النزول من فوق تمثال العذراء ؟ هل أصرخ في وجهيهما وأقول لهما لا تركبوا العذراء ولا تتركوا الآخرين يركبونها فالرب لم يشأ فض بكارتها. أشعر بغثيان وبرد شديدين. وأحس بمياه تتدفق من جسدي. لن أطلب منشفة ولن أمسح دمي السائل من العينين، سأتركه يسيل، وسأجففه في البيت. كيف سأدخل البيت؟ هل أدخله من الباب؟ كلا. فدخول البيوت من أبوابها يعني أن الامور طبيعية وتسير عجلتها بانتظام. سأدخله من شباك المطبخ حتى لا يراني إبني وأنا جريح مكسور الخاطر وملطخ بالعار وبالوحول وبدماء الشهداء. سأروي له لاحقا كيف تتفجر عيون الانسان وكيف تخرج منها براكين الدموع جداول وأنهارا...

- سيجارتك وقعت على الفيلد...فيلدك احترق يا ممدوح.

إستيقظت على كلمات أبودرويش واسامة. نهضت ونفضت الفيلد بيدي وقلت: "أبو معروف لا تهتم في النهاية لن يصح إلا الصحيح". قال: إلى أين لم نسمع رأيك؟ وجهنا لك عدة أسئلة ولم تجب عليها؟ يبدو ان لا فائدة من الحديث، أنا سأرحل من صيدا كرمال قيادة الجبهة الديمقراطية، وسأعتزل العمل السياسي كرمال الجبهة وكل القيادة الفلسطينية. لن تشاهدوني بعد اليوم، سأغادر إلى موسكو وأعيش بقية حياتي هناك. زوجتي روسية واعتقد أنها تستطيع أن تكفل معيشتنا إذا تخلى الرفاق السوفيت عنا".

- آسف يا أبو معروف، اعتقدت أنك تعرف جوابي.

تدخل أبودرويش وقال: "ممدوح يا أبو معروف كان سارحا وهو متعب جدا. حرق فيلده وسالت دموعه ولم يشعر". قال أبو معروف: "آسف يا ممدوح إذا كان كلامي جارحا. أنا طول عمري صريح ومباشر خصوصا معك. موقفك معروف ولكنه لا يكفي فهو لا يعالج المشكلة، ولا ينقذ الموقف".

- أعتذر يا أبو معروف عن الإجابة عن الأسئلة الآن، نحن لازلنا في مغدوشة. غدا سيأتي أبو ليلى وان شاء الله ستسمع إجابتي على أسئلتك بحضوره وأمام كل القوى الوطنية الفلسطينية واللبنانية. شيء واحد أريد أن أقوله الآن، الحياة يا أبو معروف مدرسة سياسية واسعة وغنية، علومها ودروسها كثيرة ومتنوعة ومفيدة لمن يريد أن يتعلم. ودرس مغدوشة درس بليغ بالنسبة لي، ولكم عهد مني بأن لا أنسى هذا الدرس. سأعمل المستحيل لتعطيل قرار المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية، وارجو مساعدتكم وأن تسمحوا لي الآن بالمغادرة فلدي إرتباط مع الشيخ عباس الموسوي.

- أنت تبحث في الاتجاه الغلط يا ممدوح، حزب الله لا يقل خطورة عليكم وعلينا على المدى البعيد. ولا يجوز أن يكون حزب الله هو المخرج. إطرحوا انسحاب الطرفين المتحاربين من مغدوشة واطلبوا قوات من الحركة الوطنية بقيادة التنظيم الناصري. اطرحوا تسليم مغدوشة للجيش اللبناني على أن تختار صيدا عناصر القوة وقيادتها.

- بكير يا أبو معروف على طرح حلول تخرجنا من مغدوشة، وبعضها قد يعقد الامور ويجلب لكم بعض المتاعب. أنا ذاهب إلى بيت ماهر حمود لأسمع حديث الشيخ عباس الموسوي. وكن على أثقة بأني لن أسلمه مفاتيح مغدوشة. وأنا لا أملك وحدي حق التصرف بمغدوشة، وأنت تعرف ان "فتح" هي شريكنا الأساسي وهي الأغلبية هناك، وقيادة مغدوشة من الناحية العسكرية بيدهم، وأظنهم قادرين على الصمود فيها ولن يبيعوها لحزب الله. لقائي مع الشيخ عباس الموسوي هو عبارة عن محاولة استنجاد واستجارة بهم لعلهم يستطيعون إدخال بعض الأدوية والتموين للمخيمات المحاصرة

وليس أكثر. أرجوك يا أبومعروف ان تحافظ على ثقتك في ممدوح، خصوصا أنه ما من شيء انتقصها سوى المحرمات.

مددت يدي لمصافحته وعندها أدركت ان جسمي يرتجف. أعدت يدي قبل ان يحس هو الكفيف باني مددتها، ونفضت رأسي بقوة ثم مددت يدي ثانية بعد أن تصورت اني سيطرت عليها، لكن الرجفة كانت باقية. أدرك الدكتور أسامة صعوبة وضعي الصحي، وقال إني مرهق جدا وبحاجة إلى مستشفى. ونصحني بعدم الذهاب إلى اللقاء مع الشيخ عباس بل الذهاب إلى المستشفى أو إلى مكان ارتاح فيه: "أهرب فورا من كل هذه الأجواء قبل أن تقع مضاعفات لا تحمد عقباها". وقدم أبو معروف عرضا: "عندي بيت خاص في عبرا بامكانك الإنزواء فيه، وأنا مستعد لاستكمال السهرة معك".

غادرت مسرعا وأنا أقول شكرا على كرمك ولطفك يا أبو معروف. كنت أشعر بدوران وإرهاق شديد، أكاد أسقط على الأرض من شدة التعب والإعياء. بدأ العرق يتصبب من جسمي من جديد، ما العمل، هل أجلس على درج منزل أبو معروف؟ هل أدخل بيت سكنه المقابل لمكتبه؟ هل أعود إلى حيث كنت واتمدد على الأرض؟ أغمضت عيني وأسندت ظهري للحائط وأنا اقف على الدرجات الاخيرة. أعرف ان حارس أبو معروف يقف على مدخل البناية على بعد بضعة امتار عني. هل أنادي الحارس وأطلب منه دعوة الرفيق السائق او مساعدتي في الوصول إلى السيارة؟

مضت لحظات لا أدري كم طالت لكنها بالتأكيد لم تتعد بضع دقائق عدت بعدها لحالة اليقظة وبت قادرا على السيطرة على الذات. تنهدت ومسحت وجهي بيدي وتناولت سيجارة، ومعها شعرت بغزارة العرق يتصبب من كل أنحاء جسمي. وبالكاد، استطعت إشعال السيجارة وكان طعمها مختلفا عن طعم السجائر التي أدخنها، ومع أول مجة من دخانها، أحسست وكأن الرئتين مقفلتان تماما. تلبستني سعلة شديدة ترافقت مع ضغط شديد داخل جمجمة الراس وداخل العيون يقترب في قوته من حد تفجيرهما. ومع هذه السعلة، زادت اليقظة وزادت الصحوة.

نزلت خطوات الدرج الثلاث الباقية وأنا أسند يدي إلى الحائط. تمالكت نفسي، وتابعت خطواتي باتجاه باب البناية. غادرته وأنا أضغط على نفسي واقول لها يا نفس اصمدي حتى السيارة. مع وصولي السيارة، شعرت بتفوق نفسي على المرض. وسررت لأني لم أسقط أرضا. فتحت باب السيارة وجلست في المقعد الخلفي وتمددت على طول المقعد وطلبت من الرفيقين السائق والمرافق التوجه فورا إلى الشقة.

قال السائق: "الساعة الآن الثامنة، وحسب الاتفاق حان وقت اللقاء مع قيادة حزب الله، وأظن ان الشيخ ماهر حمود بالانتظار.

- بسيطة دعنا نمر على الشقة بضع دقائق قليلة ثم نتابع بعدها مشوارنا.

لاحظ المرافق ما بي فتساءل هل انت تعبان يا رفيق ؟

- صحيح يا جمال.

- هل نعرج في طريقنا على المستشفى؟ المستشفى في طريقنا.

- لا داعي لذلك. نذهب إلى الشقة ونرتاح قليلا ثم نتابع.

تعمد الرفيق السائق المرور من الشارع الرئيس لمدينة صيدا. وراح الرفيقان يتهامسان. لم اسمع حديثهما لكني استخلصت فحواه فتدخلت مؤكدا أن لا داعي للمستشفى. حالتي لابأس بها، هذا هو ما قلته لأطمئن رفيقي القلقين. أظن أنني أخذت لفحة برد هذا هو ما أضفته.

قال الرفيق السائق "كنا نتشاور حول شراء زجاجة عصير برتقال أو ليمون".

- فكرة جيدة، مع حبتي بندول.

في منتصف الشارع الرئيسي وقرب الدوار، توقفت السيارة ونزل الرفيقان. شعرت بالارتياح وبعض التحسن بعدما زالت رقابة المرافقين على حالتي التعيسة، لكن فترة الراحة لم تدم طويلا فقد عاد الرفيقان ومعهما زجاجة ماء وأخرى عصير ليمون.

تناولت زجاجة العصير، شربت كمية كبيرة منها. تنهدت، وبدأت أشعرت بالارتياح. وطلبت مواصلة الحركة باتجاه الشقة. وهناك، فور وصولي، كتبت رسالة قصيرة للشيخ ماهر حمود أعتذرت فيها عن التأخر عن الموعد مع الشيخ عباس، وطلبت أن نلتقي في التاسعة مساء بدلا من الثامنة.

هوامش الفصل العاشر

١- إبان الحرب الأهلية، اقتحم المقاتلون الفلسطينيون منطقة الاسواق في قلب بيروت، وهي منطقة مكتظة بالمباني الضخمة، واستخدموا فيها كميات كبيرة من المتفجرات في شق الطرق ونسف الاسوار وفتح ثغرات في الجدران، ونجحوا في تأمين ممرات طولها عشرات الأمتار دون الاضطرار إلى الظهور في الشوارع. وطبعا تم كل ذلك على حساب تدمير المباني وتخريب البيوت. والشيء ذاته اتبعه المقاتلون في منطقة الشياح ذات الاغلبية الشيعية المقابلة لحي عين الرمانة المسيحي.

٢- بعد توقف المعارك في منطقة مغدوشة، قدمت إلى مخيم عين الحلوة ابنة أبو جهاد ابن مغدوشة وابلغت الى قياد الجبهة ان قوات "أمل" اقتحمت منزلهم بعد بضعة أيام من بدء المعركة واعدمت والدها وحرقت بيتهم واجبروا أعضاء الاسرة على النزوح عن البلدة إلى بيوت أقاربهم في بيروت الشرقية. في حينه أمرت، بصرف المساعدة المقطوعة التي تصرف عادة لأسر الشهداء وتم اعتماد أبو جهاد على قائمة الشهداء الذين تصرف لهم مساعدة شهرية. وتعهدت مع أبو علي عصام ممثل أبو عمار بتقديم مساعدة لاعادة اعمار البيت.

٣- في معركة مغدوشة تصرف المقاتلون الفلسطينيون كما تصرفوا في الحرب الاهلية، وكثيرا ما تم نسف منزل او بناية كاملة بسبب تمركز قناص او لغرض شق طريق وتجاوز كمين. وكثيرا ايضا ما حرقت بيوت وبنايات للتغطية على جرائم سرقة ارتكبها مقاتلون او عناصر مليشيا.

٤- اللواط ظاهرة منتشرة في صفوف الجيوش. وكانت معروفة الى حد ما في صفوف قوات الثورة. وكانت اللوائح والقوانين الداخلية في الجبهة الديمقراطية تحذر ممارسة اللواط ويتم طرد من يمارسونه السلبي منهم والايجابي وكثيرا ما برزت مشكلات تقف حائلا دون الطرد في حال ممارسة اللواط من قبل كادر عسكري مهم.

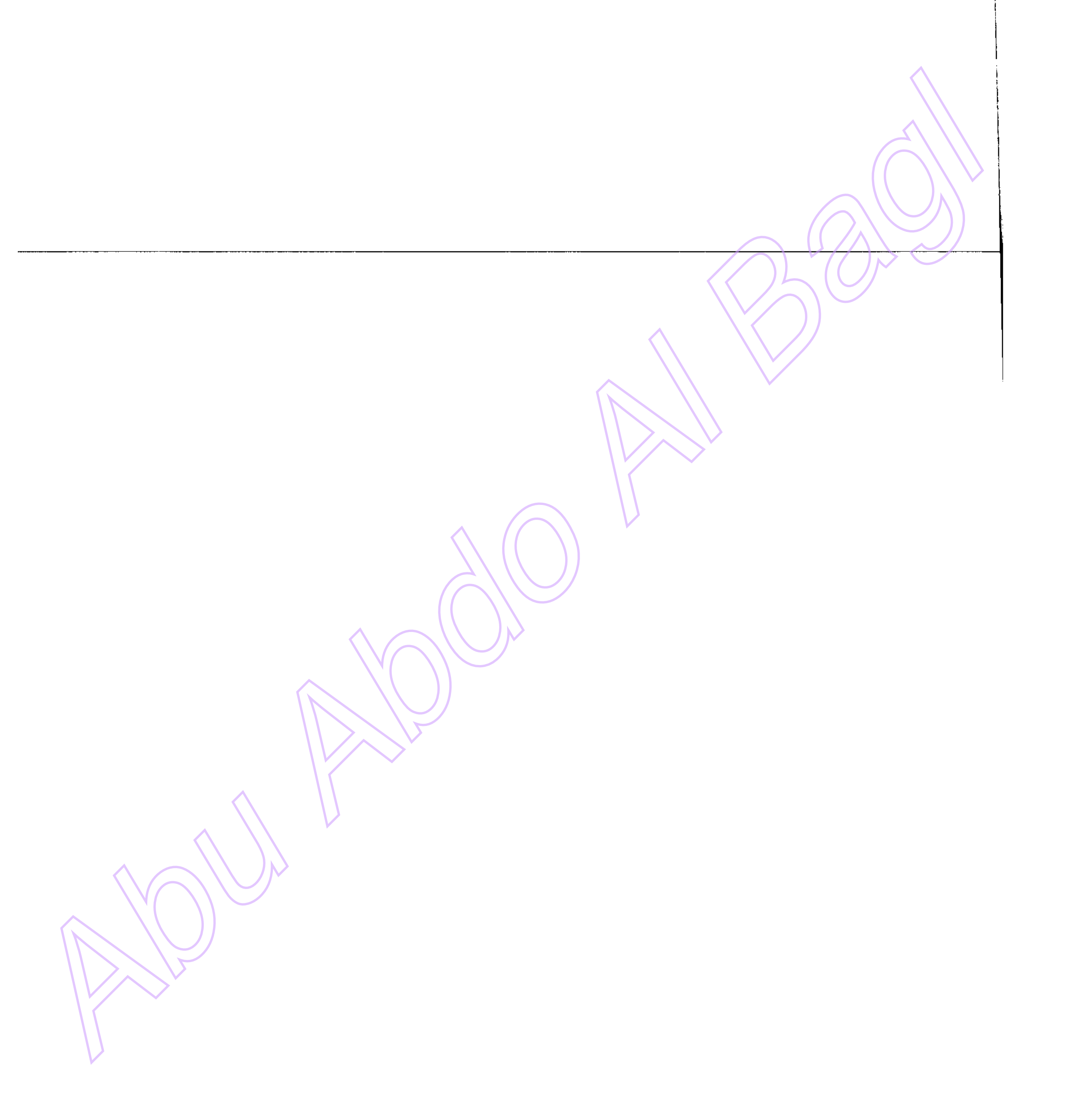
٥- اثناء تواجدها في لبنان، كانت قيادة الثورة الفلسطينية والمنظمة، بتوجيه من أبو عمار، تعوض على اللبنانيين الذين يلحق المقاتلون الفلسطينيين بهم أو باملاكهم اضرارا وخسائر مادية ومعنوية. وكثيرا ما ساهم هذا السلوك في تخفيف سلبيات بعض الممارسات الخاطئة واوقف ردود فعل انتقامية.

٦- بعد توصل قيادة م.ت.ف مع الحكومة الاردنية الى "إتفاق عمان" توترت العلاقة بين القيادة السوفيتية وقيادة م ت ف، وعندما وقعت حرب المخيمات لم تبذل القيادة السوفيتية الجهد اللازم لوقف الحرب، ولم تمارس اي ضغط جدي على قيادة "أمل" والسوريين. وكانت الذريعة هي ان علاقة الاتحاد السوفياتي مع سوريا تمر في مرحلة حساسة وهو لا يريد خسارة سوريا إذ يكفيه أنه خسر مصر.

٧- أبو داوود عضو المجلس الثوري لـ "فتح" عمل بعد حرب ايلول بين الجيش الاردني والفدائيين في مجال العمليات الخارجية في اطار جهاز امن اشرف عليه أبو إياد. القي القبض على أبو داوود في الأردن أثناء محاولة تنفيذ عملية اغتيال شخصية اردنية مهمة. في حينه، حكم عليه بالاعدام وتدخل السوفييت علنا وسرا بناء على طلب القيادة الفلسطينية واوقفوا تنفيذ حكم الاعدام وانقذوا حياته.

الفصل الحادي عشر

لقاء مع زعيم حزب الله الشيخ عباس الموسوي


Abu Abdo Al Bagl

لقاء مع زعيم حزب الله الشيخ عباس الموسوي

حزب الله يطرح نفسه بديلا لحركة "أمل"

يبدو أنك مهموم ياشيخ ممدوح.. أكيد لا تزال دون عشاء. السيد الشيخ عباس[1] بانتظارك منذ أكثر من ساعة، أرجو من الله أن يكون اللقاء ناجحا، وأن يوفقكما إلى ما فيه خير ومصلحة للمسلمين. بهذه الكلمات استقبلني الشيخ ماهر حمود على باب منزله[2].

أبديت أسفي على التأخير وعلى تأجيل الاجتماع ساعة، وقلت: "قاتل الله الظروف الطارئة لاسيما السيئة منها". وقبل هو العذر وقدّر ظرفي الصعب. وأشار إلى أنه منزعج من قرار حواتمة الإنسحاب من مغدوشة. وسأل هل صحيح ان نايف مسيحي سبتي، "يبدو أنه أقوى منك أنت وياسر عبد ربه؟". قلت للشيخ ماهر أن لا يصدق كل ما يسمع. وتلوت مطلع الآية "يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا..." وأضفت "الليل طويل يا شيخ، والمسيحيون أهل دين، والقصة ليست بين مسيحيين ومسلمين، القصة بين المسلمين والمنافقين. ثم لا تنس أن السيد المسيح عيسى إبن مريم نبي فلسطيني عن أب وجد".

قال الشيخ: إذا كان قصدك أن أجداد السيد المسيح لجهة الأم فلسطينيون فهذا صحيح، أما إذا كان قصدك الاثنين فاني استغفر الله لي ولك". ثم دعاني الى غرفة داخلية أشار بيده نحوها، وبيّن أنها مخصصة للصلاة وقراءة القرآن الكريم، وتمنى على الله ان يهديني وأصبح يوما من جلسائها الدائمين، وقال "الايمان يا أخ ممدوح يريح الانسان نفسيا ويقويه".

مع وصولي باب الغرفة، أغلق الشيخ عباس المصحف ونهض لاستقبالنا. وبعد تبادل التحية، بدأ الشيخ عباس الحديث: أخي الكريم، أردت هذه الخلوة راجيا الله ان تكون

فاتحة علاقة اخوية بيننا، وفاتحة تعاون على الخير وعلى ما فيه مصلحة للمسلمين. سأتكلم عن نفسي وعن الحزب الذي أمثل. وقبل مجيئك طلبت استخارة من الله[٣]، فتحت المصحف الشريف بعدما صليت ركعتين لوجه الله، وكانت النتيجة والحمد لله كما تمنيتها. الاستخارة زادتني قناعة بأنك رجل مخلص لامة الاسلام. وزادتني ثقة بأن لقاءنا سيكلل بالنجاح ان شاء الله.

- بداية، أشكر الشيخ ماهر على ترتيب اللقاء. أنا يا شيخ ابن مدينة اسمها قلقيلية في الضفة الغربية، عدد سكانها يزيد على ٣٥ الف وليس فيها سينما ولا خمّارة حتى الان. والدي حاج، وحيطان دارنا القديمة ملاصقة تماما لحيطان الجامع القديم، وهذا الجامع عمره مئآت السنين، ولا أدري ما إذا كانت أرض الجامع من أملاك جدي نوفل تبرع بها وبنى جامعا بجوار داره. أود أن أسألك: هل في الاستخارة نص قرآني، أو أنها سنة نبوية؟ أذكر أن الأخ أبوعمار كان يشغلنا خلال حصار بيروت في الاستخارات، وسأروي لك لاحقا واقعة كنت شاهدا عليها.

فتساءل الشيخ عما إذا كان أن أبوعمار رجلا مؤمنا؟ أم انه يستخدم الدين لأغراض سياسية ويتظاهر بالإيمان وقت يشاء ويشتم الدين والإسلام وقت يشاء؟ "يقولون إنه في الكرملين يشرب الخمرة ويرفع الأنخاب، وفي السعودية والمغرب يقطع المباحثات الرسمية ليصلي ويقرأ القران، وفي إيران لا يكتفي بأداء الصلاة في أوقاتها بل يضاعفها ويزيد من ركعاتها. أنا لا أعرف عرفات عن قرب، ولكن يقال إنه داهية سياسية، براجماتي وعملي وباطني، لا يحلل ولا يحرم والمهم أن يصل الى هدفه".

- الحديث عن شخصية أبوعمار يطول يا سيدي الشيخ، ولكن معرفتي به والتي اعتبرها عميقة تجعلني أقول بثقة تامة إن الرجل مؤمن بالله، أي انه رجل عقيدة وهو مقتنع بالعقيدة الإسلامية. وقناعته تساعده على التغلب على الكثير من المتاعب والصعوبات. الرجل يصوم، وهو يؤدي الصلوات الخمس في شهر رمضان فقط اما في غير هذا الشهر فهو يجمع الصلوات بما هو دائما على سفر ويقصرها بما هو مجاهد. يقرأ القران ويختمه في شهر رمضان. شخصيا لم أشاهده يقرأ القرآن خارج شهر رمضان إلا في الأوقات العصيبة. أصدق ما تقوله عن سلوكه في السعودية والمغرب وايران. وأظن انه يحاول ان يضرب عصفورين بحجر واحد: يكسب السعوديين والايرانيين والمغاربة ويكسب الأجر من ربه. وهو لا يتورع عن استخدام الإسلام لتحقيق أغراضه وأهدافه السياسية، وأعتقد أن هذه المسألة غير محرمة. ووفقا للرواية التاريخية فإن كل الخلفاء الراشدين استخدموا الإسلام لأغراض سياسية. وأن عمر بن الخطاب وعلي وعثمان قتلوا لأسباب سياسية وتحت حجج قرآنية. شخصيا، رافقت أبو عمار في رحلات عديدة الى الدول العربية والاشتراكية. ولم أره يوما يشرب الخمر. صحيح أنه يرفع الأنخاب ولكن بكؤوس من الماء او العصير. المتغير الوحيد في سلوكه وحديثه في البلدان الإشتراكية هو إستخدام كلمة يا رفيق بدلا من أخ.

قال الشيخ ماهر حمود إن الحديث مشوق من بدايته، هل نحضر العشاء الآن؟

وأراد الشيخ عباس أن ننتهي أولا من قصة الاستخارات عند أبوعمار، فأكملت القصة:

خلال حصار الإسرائيليين لبيروت عام ١٩٨٢، كان أبوعمار يلجأ الى الاستخارات عند الشدائد. وكان الرجل يلتزم دلالة ما يظهر له من آيات قرآنية. إحدى الإستخارات كان لها أثرها في قراره السياسي. لا أذكر التاريخ الآن، ولكني أتذكر أن القوات الإسرائيلية كانت قد احتلت الجنوب والجبل واستكملت تطويق بيروت من كل الجهات ووصلت بعبدا وعين الرمانة والميناء والمطار، وأخذت تضغط علينا. في حينه، أرسل أبو عمار هاني الحسن عضو اللجنة المركزية لحركة "فتح" وأبوالزعيم عطا الله عطا الله مسؤول الاستخبارات العسكرية الى أمين الجميل. أظن أنك سمعت بأبو الزعيم..؟

ـ أبو الزعيم أشهر من نار على علم. ومعروف عند اللبنانيين بالفجور وبقلة الدين[٤]. كان من رجالات عرفات الأساسيين يستخدمه للأعمال غير النظيفة. لكن الرجل غدر لاحقا بأبو عمار، ويقال في الأوساط السياسية اللبنانية انه عميل CIA.

ـ عميل الاستخبارات المركزية الأمريكية، الله أعلم، لكن أكيد أنه قليل دين. وصحيح أنه غدر بأبوعمار وتنكر لجميله. وبالمناسبة، أبو الزعيم كان يفتخر أمامنا بعلاقته الحميمة والخاصة مع الشهيد السيد الإمام موسى الصدر[٥]، وكثيرا ما روى قصصا وحكايات عن لقاءات مع الإمام في بعض بيوت بيروت الشرقية. كان أبو الزعيم قصير القامة وكان يحسد الإمام موسى الصدر على طوله وجماله. وعلى ذمة الراوي، والراوي ياسيدي هو أبو الزعيم، أن كثيرات من حسناوات بيروت الشرقية ومن الطبقة الارستقراطية اللبنانية كنّ يتغزلن بالسيد الإمام في حضوره وغيابه. ولا شك في أن شخصية الإمام جذابة خصوصا للنساء فهو يتمتع بقامة مهيبة وجمال.

ابتسم الشيخ عباس وقال: "حكايات أبو الزعيم لا تصدق. ثم أنك سميت الامام بالشهيد، هل لديك معلومات عن مصيره أم انها زلة لسان؟ نحن نعتبره حتى الآن الإمام المغيب ونتمى على الله ان يعيده إلينا سالما. وأكد أنهم ما زالوا يعتبرون الشيخ مهدي شمس الدين نائب رئيس المجلس الشيعي الأعلى، أما رئيس المجلس فهو السيد الإمام موسى الصدر. ثم أضاف: "طالما فتح الحديث حول موضوع الإمام، نحن في حزب الله نعتبر تغييبه، سواء أكان هو الآن شهيدا أم حيا يرزق، بداية مؤامرة ضد المسلمين في لبنان عامة وضد اخواننا الفلسطينيين خاصة. ولو كان الإمام موجودا لما كنا شاهدنا ما نشاهده من جرائم ترتكب بحق الفلسطينيين المسلمين على يد أبناء الإمام أبناء حركة "أمل" التي أسسها. ولما تجرأ نبيه بري على التطاول على الفلسطينيين وعلى حزب الله"[٦]. وأضاف أيضا: "بري يتحرك بتشجيع سوري، ومع الأسف الشديد نرى الشيخ مهدي شمس الدين يقدم له الغطاء الديني بغض النظر عن التصريحات التي يطلقها بين فترة واخرى. دقق في كلمات الشيخ مهدي لن تجد كلمة واحدة أو تصريحا واحدا يمس نبيه بري شخصيا".

استأذن الشيخ ماهر حمود وقال إن الحديث ذو شجون فأكملوا حديثكم الشيق واستأذن في مغادرتنا ليتمكن من تحضير العشاء. قلت: " على بركة الله، ولكن أرجوا أن يكون خفيفا ". قال: " ما قسمه الله لي ولكم. أما الذبيحة يا شيخ ممدوح فستكون جاهزة يوم يتم فك الحصار عن المخيمات، ويوم يتم تسليم مغدوشة الى المقاتلين المؤمنين ابناء حزب الله ".

- تسليم مغدوشة بالكامل الى حزب الله عملية صعبة يا شيخ، أما مشاركته فأمر ممكن ومفيد.

أردت من البداية طمأنة الشيخ عباس على أن لقاءنا سوف يكون ناجحا. ثم طلبت من الشيخ عباس أن ننهي أولا حكاية أبوعمار والاستخارات ثم نعود الى موضوع الإمام موسى الصدر: زار هاني الحسن وأبو الزعيم أمين الجميل ونقلا رسالة عبره الى المبعوث الأمريكي فيليب حبيب والى شارون وزير الدفاع الإسرائيلي، خلاصتها استعداد عرفات للتفاوض وايجاد مخرج للوضع القائم في بيروت. وقتها، عاد الرجلان وهما يحملان رد حبيب شارون، وكان الرد كما نقلاه عن أمين الجميل الموافقة على إنسحاب أبوعمار وكوادر ومقاتلي الثورة من بيروت كأفراد وبدون اي معدات عسكرية وبلباس الصليب الأحمر الدولي وفي سياراته وبواخره. يومها، دعا أبوعمار القيادة للاجتماع، وعقد الاجتماع في ملجأ من أربع طوابق تحت الارض، وعرض هاني وأبوالزعيم رد فيليب حبيب وشارون. وأعطى بعض القادة جوابا فوريا، ووافقوا على الحل المعروض ودافعوا عن وجهة نظرهم بدعوى أن خروج القيادة الفلسطينية سالمة يعني إستمرار الثورة ومتابعة النضال ".

- هل هذا صحيح ؟ حبذا لو أعرف بعض هذه الأسماء !

- هذا ما سمعته بأذني هذه التي سيأكلها الدود يوما ما. أما من هم، فالله تعالى يدعو الى الستر يا شيخ.

- بعد عمر طويل ان شاء الله، ولكن الإسلام لا يدعو إلى التستر على أمثال هؤلاء، بل يدعو الى فضحهم.

- الأخ أحمد جبريل كان أبرز أصحاب وجهة النظر هذه.

- لكن سمعة احمد جبريل انه مقاتل وميداني وجماعته يروون القصص والحكايات عن بطولاته وشجاعته.

- صحيح ولكن علينا التمييز بين الامرين. هذه الواقعة كنت أنا شاهدا عليها.

- وكيف كانت مواقف القيادات الأخرى؟

- يومها، بقي أبوعمار صامتا، سمع آراء الجميع وسجلها في دفتره ولم يتحدث، وطبعا لا أحد يعرف ماذا سجل. في نهاية الجلسة، قال أبوعمار: معنا وقت واقترح تأجيل الجلسة لليوم التالي. في حينه، قال البعض أن لا داعي للتأجيل وطالب باتخاذ القرار، عندها طلب أبوعمار فرصة لعمل استخارة.

- لا يفعلها إلا رجل مؤمن بالله إيمانا حقيقيا.

- هذا ما حصل يا شيخ. ويومها نهض أبوعمار وتوضأ ثم انزوى في غرفة مجاورة وغاب عنا ما يقارب الثلث ساعة. بعدها، عاد وقال هبت رياح الجنة يا إخوان. فتساءلنا عن مغزى هذا القول فقدم أبوعمار ايضاحه: صليت ركعتين لوجه الله تعالى، وقرأت سورة الفاتحة وسورة ياسين، ثم أغلقت المصحف وتلوت دعاء الاستخارة ثم فتحت المصحف فوقعت علي الآية التي تدعو إلى القتال حتى الاستشهاد. ونهض أبو عمار وهو يردد: هبت رياح الجنة، وقال: "سأرسل رسالة باسم القيادة الفلسطينية الى فليب حبيب وشارون أقول فيها إن العرض مرفوض وسنقاتل حتى آخر رجل وآخر طلقة. وسأطلب ابلاغ شارون أني سأصنع للشعب الفلسطيني وللأمتين العربية والإسلامية مسّادا يخلدها التاريخ وتتذكرها كل الأجيال".

دخل الشيخ ماهر حمود حاملا بين يدية سدر المنيوم كبير يحتوي عددا من أطباق الطعام، منها الزيت والزيتون والزعتر والبيض المقلي والمتبل والجبنة والمربى، وقال وهو يضع السدر على الأرض إن هذه هي قسمه الله لكم، وسأل أين وصلتم؟

قال الشيخ عباس سمعنا من الاخ ممدوح ما يؤكد ايمان أبو عمار بالاسلام. سمعنا عن الاستخارة وعن قول أبوعمار هبت رياح الجنة، حين طلب الاستشهاد مرضاة لوجة الله.

قال الشيخ ماهر: "الاخ ممدوح رجل صادق، صحيح انه يجمع الماركسية بالعرفاتية لكنه صادق في ما يقول". وهم بغادرتنا لاحضار بقية الطعام. وقلت له إن الطعام يكفي ويزيد وجلوسك معنا هام وضروري، لا سيما عندما ندخل في بحث القضايا الأساسية. لكن الشيخ الذي يستضيفنا في منزله أبى إلا أن يجلب المزيد. وعندها أضاف الشيخ عباس إن الشيخ ماهر رجل عميق في ايمانه، مخلص للاسلام والمسلمين وإنه يعتبر القضية الفلسطينية قضية الإسلام الأولى، موقفه في هذا البلد المنخور بالصراعات الطائفية والمذهبية ليس سهلا ولا بسيطا. وأشاد بقدرة مضيفنا على جمع أئمة الشيعة والسنة في بيته، ووصفه بأنه رجل لا تؤثر فيه الأقاويل، وهدفه الأول والأخير هو مرضاة الله ورسوله والوصول الى الحق.

لحظتها، دخل الشيخ ماهر وهو يردد اللهم أدم نعمتك علينا وارحمنا يا أرحم الراحمين. واقترح أن نبدأ بتناول الحساء الذي جلبه للتو قبل ان يبرد لانه مفيدة للمعدة لاسيما قبل النوم.

قلت: شكرا يا شيخ، كنا نستغيبك. فلم يؤخذ بملاحظتي، بل علق بأن الكلام في حضرة الشيخ عباس يكون دائما في الحق والصواب. ودعانا لتناول الطعام واكمال الحديث وقال إنه سيكون شاهدا أمام الله ورسوله على ما سنقول.

قال الشيخ عباس إننا توقفنا عند رسالة أبوعمار إلى فليب حبيب وشارون وما جرى بشانها. وسأل عما إذا كان الاتصال مباشرا مع فليب حبيب، وهل وافقت القيادة على رأي أبوعمار، وطلب أن لا أنسى استكمال موضوع الإمام الصدر ولو بكلمات قليلة.

- الاتصال الرسمي مع فليب حبيب كان يتم بواسطة شفيق الوزان رئيس الوزراء وصائب سلام وجوني عبده وبعض المسؤولين اللبنانيين الآخرين. في حينه، لم يكن فليب حبيب على استعداد لعقد لقاءات مباشرة مع الفلسطينيين. اما بشأن الرد المقترح فرأي بعض أعضاء القيادة كان مع رأي أبو عمار والبعض الآخر دعا للتريث ودراسة الموضوع بصورة أعمق وإجراء المشاورات العربية والدولية اللازمة. إلا ان أبوعمار غادر المكان وهو يقول: "على بركة الله يا اخوان، علينا ان نتوزع الان، بعدما اتفقنا على الرد" . ومن تقاليدنا الفلسطينية يا شيخ أن الكل يقول رأيه بصراحة وحرية تامة حتى لو لم يعجب أبوعمار، ولكن في النهاية يلخص أبوعمار الموقف، وتلخيصة يعكس عادة رأيه الشخصي ورغباته او الرأي الذي شكله واقتنع به خلال الحوار. أما موضوع الإمام، فأنا اعتذر إن كنت قد أخطأت في حقه، وقولي عنه الشهيد لا ينم عن وجود معلومات رسمية مؤكدة. ولكن لا الرسول عليه السلام ولا أي من المؤمنين شاهد وجه الخالق غز وجل. الكل منهم أسلم وآمن به وبأقواله وبنوا ايمانهم على منطق معين. السيد الإمام مضى على اختفائه عدة سنوات، وثارت حوله قضية طويلة عريضة، وتحرك من اجله شخصيات سياسية وازنة، الخبر الشائع وسط القيادة الفلسطينية أن العقيد القذافي شطبه وأمر باعدامه هو ومن كان معه، ولهذا قلت الشهيد.

- نحن نتعبره الامام الغائب. هل تعتقد ان للسوريين علاقة بالعمل الذي قام به معمر القذافي ضد الإمام؟ الثابت لنا أنهم شجعوا زيارة الإمام الى ليبيا، وساهموا في إقامة الصلة بين الامام ومعمر القذافي.

- لا أعرف، ولكن معلوماتي الأكيدة تقول إن المخابرات السورية تنسق مع المخابرات الليبية، هل نسقوا في مسألة الإمام، حقيقة لا أعرف ولم أسمع.

- هناك، في أوساط الفلسطينيين، من يتهم السوريين بأنهم لم يكونوا بعيدين عن الفعل الشنيع الذي أرتكب بحق السيد الإمام.

- صدقا يا شيخ، لا معلومات حقيقية لدينا حول الموضوع. ونحن الفلسطينون دفعنا ثمن التنسيق الأمني السوري الليبي. وكما تعرف، الإخوان الليبيون دعموا انشقاق " فتح " و م.ت.ف. في عام ١٩٨٣. الليبيون قدموا المال والسلاح الى أبوخالد العملة وأبو موسى

وجبهة الانقاذ، والسوريون قدموا لهم الدعم والاسناد السياسي والمعنوي. والاخوان السوريون يضغطون الآن على جبهة الانقاذ لمشاركة نبيه بري في حربه ضد المخيمات بدعوى ان محاربة عرفات والعرفاتيين مهمة فلسطينية وقومية. والمعلومات المتوفرة تفيد بأنهم يعملون على اشراك الانقاذ في معركة مغدوشة، وقد يفتحون جبهة إقليم الخروب ليخففوا الضغط عن حركة "أمل" وينقذوا نبيه بري من مأزقه. وطالما دخلنا في الموضوع، نحن يا شيخ لا هدف لنا في مغدوشة سوى وقف ما يجري ضد المخيمات. ولا أريد أن أكرر ما قيل في هذا البيت بحضور السادة المشايخ والعلماء. ما يجري يفوق كل تصور. شخصيا يا شيخ عباس لم أتوقع أن يصل الحقد على الفلسطينيين الى هذا الحد. ولو لم أكن شاهدا على ما يجرى فلن أصدق بعد عشر سنوات ما سيروى حول ما ارتكب بحق المخيمات. الشيء المقلق هو كيف استطاعت قيادة "أمل" تعبئة كوادر ومقاتلين مناضلين بسطاء بهذا المستوى من الحقد الأعمى. لا أدري ماذا تقول لهم قيادة "أمل" حتى تدفعهم الى قتل الأطفال والشيوخ والنساء بحماس وبدم بارد وبهدوء أعصاب. لا بد من اكتشاف هذا الخلل. لا شك في ان هناك أخطاء كبيرة ارتكبناها هي التي مكنت قيادة "أمل" من النجاح في التعبئة القذرة. الآن أفكر في المستقبل وأنا غير قادر على تصور تعايش حقيقي بين الفلسطينيين في لبنان واخوانهم الشيعة اهل الجنوب. على كل حال، العملي والأهم هو أن نركز على الوضع الحالي وما يمكن أن نفعله في الساعات والأيام القادمة. أما المستقبل القريب والبعيد فأظن أن لدينا الوقت الكافي للحديث فيه. وانا متأكد من أن الفلسطينيين لا يضمرون حقدا على أحد، ونحن جاهزون للتعاون وسماع آرائكم ونصائحكم، أنتم أعرف بخفايا الأمور عند حركة "أمل". قلت هذا كله ثم بينت أن الدول العربية من المغرب غربا حتى قطر وعمان شرقا صامتة على ما يجري وهي تتفرج على المذابح. علما بأن السعودية قادرة على التأثير والرئيس الأسد يستجيب لطلباتها بسرعة.

سأل الشيخ عباس هل يستجيب الأسد للسعودية أكثر من السوفيت؟

أجبت بان نعم. وبينت ان نفوذ السوفييت في سوريا محدود بالقياس لنفوذ القيادة السعودية، وتأثير السعوديين أكبر في مثل هذه الامور. جرت محاولات عدة مع السوفيت، لكنهم لم يفعلوا شيئا حتى الان، ظلوا ساكتين على ما يجري، أو أنهم عاجزون. هم بصراحة ضد ما قمنا به في شرق صيدا وفي مغدوشة وقد اعتبروه تصعيدا من جانبنا. يبدو ان هذه الحرب تجري في الوقت الضائع. ولاشيء في الافق يوحي بتحركات دولية او اقليمية ازاء معالجة قضايا المنطقة ونزاعاتها المستفحلة. وأشرت الى تخوف السوريين والسوفيت من اتفاق عمان ومن العلاقة الفلسطينية الاردنية[٧]، وأن ما يجري ضد المخيمات له علاقة بهذا التخوف وقد يكون الموقف السوفيتي مبنيا على حسابات خاطئة تتعلق باتفاق عمان، وهناك من زرع في ذهنهم فكرة كامب ديفيد فلسطيني.

وبينت أن منظمة التحرير كانت وستبقى مرفوضة من قبل الإسرائيليين والأمريكان، وعرفات ليس على إستعداد لشطب المنظمة لأن شطبها يعني شطبه شخصيا. منطقيا،

للسوريين والوطنيين اللبنانيين مصلحة في ان تكون المقاومة الفلسطينية قوية في لبنان وخارج لبنان. ويمكن استخدام ورقة م.ت.ف. في المساومة حول الحل في الجنوب اللبناني. قلت: هذا وأفضت في الشرح: الصورة المطروحة أمامنا معكوسة تماما. البعض يعتقد ان بالامكان فصل القضية اللبنانية عن القضية الفلسطينية، أظن أنهم سيكتشفون استحالة هذا الفصل، أقلة لسنوات طويلة. والربط قائم ليس بسبب تواجد الثورة الفلسطينية في لبنان، بل بسبب طبيعة المشروع الإسرائيلي، وبسبب تواجد اكثر من ٤٠٠ الف لاجئ فلسطيني في لبنان. إسرائيل أقامت الحزام العازل في الجنوب واطلقت عليه اسم دولة لبنان الحر. اليهود ياشيخ لا يقدمون على خطواتهم بصورة ارتجالية. لا يمكن تفكيك دولة لبنان الحر إلا إذا أخذوا حصتهم في كل لبنان. وحصتهم حددوها في اتفاق ١٧ أيار الذي تم الغاؤه.

وختمت مداخلتي بالقول إني أطلت في الحديث، وكلي أمل في ان نخرج من الاجتماع بشيء عملي يسعف وضعنا في المخيمات، ونحن نتطلع لدور اكبر يقوم به حزب الله. وأكدت أننا نتطلع أيضا لدور أكبر من الجمهورية الإسلامية في إيران ومن علماء المسلمين الخلص أمثال الشيخ ماهر الذي جمعنا في بيته الكريم.

قال الشيخ عباس: حديثكم قيم. قلتم اشياء كثيرة هامة وحيوية، وعندي الكثير مما يجب ان يقال في هذا اللقاء. وبالرغم من شمولية طرحكم، بقيت بضعة قضايا أرغب بما انا ابن حزب الله سماع رأيكم فيها بكل محبة واخوة. وإذا كان ما سأطرحه مزعجا لكم بامكانك القول ببساطة هذه أمور لا أريد التحدث فيها. المسألة الاولى سمعنا عن مشاكل جدية في تنظيمكم. وسمعنا من السوريين مباشرة عن قرار مكتبكم السياسي بالإنسحاب من مغدوشة، وسمعنا انك ضد هذا القرار وترفض تنفيذه. ويقولون بصريح العبارة إنك متمرد على أخوانك، فهل هذا الكلام دقيق وصحيح؟ المسألة الثانية، سمعنا أنكم و " فتح " بصدد احتلال الغازية والتقدم باتجاه مثلث الزهراني بهدف تكبير الضغط على حركة "أمل" والتقرب من مخيمات صور اكثر فأكثر، فهل هذا الكلام صحيح وله اساس؟ والموضوع الثالث، هل بامكانكم الالتزام بتنفيذ ما نتفق عليه دون العودة الى أبوعمار، هذا إذا اتفقنا على شيء محدد، أو إنكم مجبرون على العودة له وعلى أخذ موافقته؟ والمسألة الاخيرة، ما هو تقييمكم لموقف الجمهورية الاسلامية في ايران؟ وهل طلبكم الآن تدخلها تعبير عن موقف استراتيجي او انه موقف تكتيكي هدفه معالجة الاشكال الحالي؟ أرجوك أخ ممدوح ان تكون صريحا معنا. وما تريد الاجابة عليه أجب، وأقدر كل التقدير اعتذاركم عن الإجابة على أي قضية.

هنا، لاحظ الشيخ ماهر أنني لا آكل، واستأذن بالحديث ببعض القضايا التي تهم أمة الإسلام في هذة الفترة ليتيح لي، كما قال، أن آكل فيما هو يتحدث. وراح يسرد بعض الوقائع من التاريخ القديم والبعيد ومن الاحاديث النبوية الشريفة ليستدل منها على اسباب الحالة البائسة التي تعيشها أمة الإسلام والحالة اللاحقة التي سيبلغها المسلمون إن هم بقوا على حالتهم الراهنة ولم يعملوا بجد وإخلاص على الخلاص مما يعانون.

أكلت بضع لقيمات وقلت: "زادك مخلوف بالحلال يا شيخ ماهر، وان شاء الله نأكل معا في رحاب الأقصى في فلسطين، وانت والشيخ عباس مدعوان من الآن الى بيتنا في قلقيلية في فلسطين". ثم لفت النظر الى أن الساعة قاربت العاشرة والمواضيع المطروحة هامة وشيقة تفسح لي في المجال لاقول بعض في ما نفسي وأبث لكم بعض همومي الشخصية بالاضافة لهمومنا الوطنية العامة. ثم شرعت في الإجابة على أسئلة الشيخ عباس:

- بالنسبة للعلاقة مع ايران، نحن في الجبهة كنا أولى القوى التي رحبت بانتصار الثورة الايرانية، وقد تصادمنا مع العراق بسبب الموقف منها. لكن من الصعب القول اننا نطمح الآن إلى بناء تحالف استراتيجي مع ايران. ايران دولة اقليمية كبرى وهي تطمح لدور إقليمي كبير. نحن لسنا ضد مثل هذا التحالف لكن السؤال يدور حول ما إذا كانت اقامته مسألة واقعية وعملية الان. مصلحة المنظمة تكمن في توطيد العلاقة مع ايران طالما هي معادية لإسرائيل وتنادي بتحرير الاقصى من الاحتلال الإسرائيلي. غير أن ايران تحرص على اقامة علاقات قوية مع سوريا، وإذا خيرت بين المنظمة وسوريا اعتقد ان مصالحها تفرض عليها ترجيح الامور لصالح العلاقة مع السوريين. في الوضع الراهن مصلحتنا تتطلب ان يكون لايران وللقوى المتحالفة معها دور أساسي في الساحة اللبنانية، وأعني بذلك حزب الله والجماعات الإسلامية.

وحول وضع الجبهة الديمقراطية الداخلي، أكدت أن هناك خلافات ومشاكل داخلية متنوعة. وبشأن الإنسحاب من مغدوشة قلت: لازال الموقف غامضا. ولا أدري ما إذا كان إخواني المتواجدون في دمشق قد اتخذوا فعلا قرارا رسميا أم أنهم يطرحون الموضوع لكسب الوقت ولتجنب الاذى السوري. ما طرحه ياسر عبد ربه هنا في هذا البيت هو خلاصة ما اتفقنا عليه، لن ننسحب من مغدوشة قبل فك الحصار عن المخيمات، ولن نسلم مغدوشة لحركة "أمل" في كل الظروف والأحوال. وقد سمعتم ما قاله ياسر عبد ربه ولا أخفيك أن هناك خلافا حول الموضوع.

- معلوماتنا تفيد بان مهمة رفيقكم أبوليلى ومعه أبوماهر اليماني، اللذين سيصلان إلى صيدا غدا، محصورة في تنفيذ إنسحاب الديمقراطية من مغدوشة والضغط على قيادة "فتح" للإنسحاب ايضا.

- آلية العمل والعلاقة الداخلية عندنا تسمح يا شيخ بالمناورة. وكن على ثقة بأن ما نتفق عليه سنلتزم به وسوف ننفذه. ولا تنس أن لنا شريكا رئيسيا قراره النهائي لا إنسحاب من مغدوشة حتى لو انسحبت قوات الجبهة الديمقراطية. أما بشأن الحديث عن احتلال الغازية والتقدم باتجاه مثلث الزهراني فنحن مصدر هذا الحديث، وهو نوع من الحرب النفسية، هدفه رفع الروح المعنوية عند سكان المخيمات المحاصرة، وتوليد قوة ضغط شيعية على قيادة حركة "أمل"، وتخفيف الضغط عن المخيمات بدفع "أمل" إلى حشد

قواتها بعيدا عن المخيمات المحاصرة. الموضوع بصراحة يصبح مطروحا وقد تخرج الامور من سيطرتنا إذا سقط أو إنهار أحد المخيمات المحاصرة، وهذا امر غير مستبعد. ومن هنا تبرزاهمية قصوى لإرسال بعض العلماء إلى مخيم الرشيدية. لعل وجودهم يردع "أمل" عن ارتكاب حماقة استراتيجية.

الشيخ عباس تعهد حماية مخيم الرشيدية ومنع اقتحامه

شكرني الشيخ عباس على هذه الصراحة. ثم قال: "نحن في حزب الله نرى في نجاحكم في مغدوشة وقبلها في شرق صيدا نجاحا لنا في وجه نبيه بري وضد الظلم. وحزب الله لا ينسى لنبيه بري أنه أمر باعتقال المجاهدين أبناء حزب الله وإطلاق النار عليهم. وهذا النجاح أربك المخطط السوري وأداة سوريا في لبنان هي "أمل". وهذه الإداة ضربت في مغدوشة وشرق صيدا، وآثار الضربة ستظهر لاحقا. ولا مبالغة إذا قلت إن العد العكسي لهيمنة "أمل" على الشارع الشيعي وعلى الوضع اللبناني قد بدأ بعد هزيمتهم العسكرية والمعنوية في مغدوشة وقرى شرق صيدا".

وتوقع الشيخ فشل جهود المخابرات السورية في محاولة تمكين "أمل" من الاحتفاظ بنفوذها وسط الشيعة، قد ينجحون في إبقاء بعض الهيبة والاحتفاظ بدور سياسي ما لرموز "أمل"، لكن "أمل" بما هي حركة وجسم شيعي عريض ستبدأ بالتفكك، وحزب الله سوف يستقطب جمهور "أمل". وقال "نحن حزب الله البديل والوريث الشرعي لحركة "أمل".

وبين الشيخ عباس ان حزب الله أصدر فتوى داخلية بتكفير داوود داوود، وإن قتل هذا الكافر يفتت أوضاع "أمل" في منطقة صور، وقوات حركة "أمل" شبه منهارة ووضعها الراهن لا يمكنها من اقتحام أي من المخيمات المحاصرة. وراى ان الخطر الأكبر يتركز حول مخيمات بيروت لأن اقتحام البرج أو شاتيلا أو الإثنين أمر وارد في كل لحظة، وقد يقدم السوريون على مثل هذه الخطوة خلال ال ٤٨ ساعة القادمة، وبامكانهم تشغيل مخابراتهم واعوانهم من الفلسطينيين واللبنانيين، ولا يهمهم إذا فرزوا بعض قواتهم الاضافية لحركة "أمل"، وهذا أمر جار فعلا منذ فترة. وتعهد الشيخ عباس بضمان عدم اقتحام "أمل" لمخيم الرشيدية. وابلغني ان الحزب قرر إرسال إحد العلماء إلى المخيم لريثما يصل ممثل الإمام الخميني. وقال إن القرار الايراني كما عرفته هو إرسال ممثل الإمام الى مخيم الرشيدية بالتحديد بسرعة، ورأى أن هذا كاف لردع نبيه بري عن اقتحام المخيم.

بعد انتهاء الشيخ عباس من هذه الوصلة من الكلام، استأذن الشيخ ماهر وقال إنه سيغيب عنا ساعة واحدة فقط. والإخوان حراس المنزل سيقومون بخدمتنا وتقديم ما يلزم من الشاي والقهوة.

ودعنا الشيخ ماهر، وخلع الشيخ عباس جبته وعمامته، وجلس وهو يقول إننا سنأخذ الآن راحتنا أكثر: ما أريد أن تعرفه عني يا أخ ممدوح أو رفيق ممدوح، والأمر عندي سيان، هو أنني رجل سياسي ورجل دين في آن واحد، أنا مؤمن، والدين عندي عقيدة راسخة، وهو أيضا وسيلة للوصول الى السلطة وإلى أوسع قطاع من الناس. أنا درست الماركسية والراسمالية وقرأت معظم مؤلفات ماركس وانجلز ولينين. وأجد في الماركسية بعض المعالجات المفيدة للقضايا الاقتصادية.الشيعة هم أقرب الفرق الإسلامية للفكر الإشتراكي الذي تؤمن به. في العراق كان يقال شيعي يعني شيوعي".

قال الشيخ عباس هذا وأشار الى انه مقتنع بان لا أُفق للشيوعية والماركسية في البلدان الإسلامية وبخاصة العربية منها. وان الأحزاب الشيوعية والماركسية لن تتحول الى أحزاب جماهيرية عريضة إذا ظلت تضع نفسها في موقع المتصادم مع الإسلام وتتنكر للتراث العربي والإسلامي. والماركسيون يطلبون من الناس الإنسلاخ عن تاريخها وعن تراثها. وقال: "أعتقد أن دفع القوى الإستعمارية التي تسمونها الإمبريالية العالمية نحو التصادم مع الإسلام والمسلمين كمسلمين هو الطريق الاقصر لانهاء نفوذها في المنطقة". ولم ينف محاولة الإمبريالية استغلال الدين الإسلامي واستغلال الحركات الإسلامية في البلدان العربية والإسلامية لمقاومة الشيوعية وتسعير العداء ضدها، لكنه أكد ضرورة توحد القوى والعمل على تفجير طاقات الشعوب في وجه المستعمرين. ورأى أن الطريق الأسلم والأقصر هو الإسلام الكامن في النفوس. وبشأن علاقة حزب الله بايران، أكد أنها استراتيجية، لكنهم ليسوا ايرانيين. وقال: "نحن عرب ومسلمون. وعندما أقول عرب فأنا أعني ما أقول. ورغم أننا معروفون باننا اتباع ايران الا أنني اؤكد لك اننا لسنا اتباع أحد. القول بأننا اتباع الخيمني أو المذهب الشيعي مثلا هو الأقرب الى الصواب". وبين أن من مصلحة الحزب ان يكون له سند وظهير اقليمي قوي. تماما كما أن للفلسطينيين مصلحة في أن يكون السوفيت هم ظهيرهم الأممي. وعن المستقبل البعيد، قال: "لا أعرف كيف ستتطور علاقاتنا مع ايران".

وقال الشيخ ان خلاف حزب الله مع السوريين جوهري، وانه هو شخصيا لا يطيق المنطق السياسي للحكم السوري بشأن نفوذهم في لبنان. وهم بالنسبة له، هو اللبناني، أقرب الى الإستعمار، همهم الحفاظ على هيمنتهم على لبنان ومن أجل ذلك مستعدون للقيام بكل شيء. ووصف الشيخ السوفيت بالمساكين فيما يتعلق بعلاقتهم بالقيادة السورية، هي تبتزهم وتساوم عليهم مع الغرب والأمريكان. واقترح استغلال العلاقة الحميمة مع السوفيت وتقديم نصيحة لهم بتغيير تكتيكهم مع السوريين قبل أن يقع لهم ما وقع في مصر والصومال.

وأشار إلى أن المخابرات السورية تحاول اختراق صفوف حزب الله وهم يشتكون الحزب للايرانيين. وبعضهم يرى في وجود الحزب خطرا على مصالحهم في لبنان باعتباره تابعا لقوة إقليمية منافسة لهم. والحزب يرفض أن يكون عميلا او أجيرا لأحد.

وهو الشيخ عباس، يرفض ان يلعب الدور القذر الذي يلعبه نبيه بري. وهم يدفعون " أمل " للتحرش بحزب الله واعتقال شبابه. وقال: " تصور ان نبيه بري يعتقل شبابنا ويسلمهم للمخابرات السورية للتحقيق معهم ولتجنيد من يستطيعون تجنيده. سمعت بعض قياداتهم يشتم الشعب الفلسطيني كشعب ". وسأل عن سر كره القيادة السورية لمنظمة التحرير وقيادتها، وأكد أنهم لا يحترمون أيا من الفصائل الموالية لهم.

- لأننا شعب نمرود، ونرفض الخضوع لاحد، ونرفض ان نكون ورقة بيدهم يستخدموها في المساومات مع القوى الدولية، ولان وجودنا في لبنان يتعارض مع مصالحهم.

- هذا جانب، ولكن، هناك أمور أخرى يجب البحث عنها بعمق. بعض السوريين حاقدون ويريدون ذبحكم وليس فقط تجريدكم من السلاح. وآخرون ينظرون لكم كما ينظرون للإسرائيليين ويرون فيكم قوة منافسة، أما حزب الله فإنه يرى في القوة الفلسطينية خندق الدفاع الأمامي، وإذا ضربتم ضربنا، وإذا جردتم من السلاح جردنا منه بعدكم. وأكد احترامه الشخصي لنضال الشعب الفلسطيني. كما أكد قناعته بما هو رجل مؤمن بأنه مكتوب على الفلسطينيين ان يبقوا في صراع مع أعداء الإسلام الى يوم الدين. واستشهد الشيخ ببعض الآيات والأحاديث النبوية الشريفة.

- هل تسمح بكلمات قد لا تليق بالحديث عن الاسلام؟

- خذ راحتك. لك قناعاتك وانت حر بها.

- أريد أن أسأل لماذا خصنا الله بهذا العذاب وبهذا المصير؟ نحن لم نفعل له شيئا سلبيا، لماذا حاطط دقرنا ؟ قلنا لأمل حلوا عنا فلسنا نحن من قتل الإمام الحسين ابن علي. أبو عمار يقول دائما هذه العبارة التي ذكرتها " مرابطون الى يوم الدين "، وفي إحدى المرات قلت له ممكن أفهم اخ أبو عمار لماذا نحن وليس غيرنا مرابطون للآخرة، أنا لا أريد أن أبقى مرابطا في الخندق طول حياتي والى يوم الدين أيضا، أريد فترة أرتاح فيها من الجهاد.

ضحك الشيخ عباس، وقال: " استغفر الله، إذا سبقتك في الموت فسوف أسأل الله الباري هذا السؤال. وإذا سبقتني إسأله أنت. والامام الحسين قتله إتباعه الذين لم ينصروه. على كل، ليس صدفة أن يتصارع المسلمون واليهود والمسيحيون على الديار الفلسطينية. انبثاق الديانات السماوية من الديار الفلسطينية يعكس مستوى التقدم عند أهل فلسطين. دعنا يا أخ ممدوح نتابع موضوعنا.

- كم عمرك يا شيخ؟

- كم تقدر؟

- بدون الجبة والعمامة اقل من أربعين ٣٥-٣٧ سنة.

ـ كأنك حاضر ميلادي. كم عمرك انت؟

ـ تجاوزت الاربعين بعامين او ثلاثة.

ـ كم سنة لك في المقاومة؟

ـ ما يقارب ربع قرن، منها ١٩ سنة في العمل العسكري، منها ١٧ سنة في لبنان.

ـ التدين والعمامة والجبة قيود تلزم الانسان بسلوك معين في الحياة. وهذه ضريبة لابد من دفعها. صدقني يا اخ ممدوح انني لم اصارح احدا بما يدور في النفس ولا ادري لماذا أجد نفسي منفتحا ومتحررا من كل القيود معك. بالرغم من ان معرفتنا أحدنا بالآخر حديثة. على كل حال، لعنة الله على الشيطان. وسأحاول ضبط نفسي، وبصراحة، أعجبت بوصفك العذراء بأنها فلسطينية والفلسطيني يموت دفاعا عن عرضه وأرضه.

ـ يا شيخ، الساعة الآن قاربت منتصف الليل. والحديث معك ممتع جدا. وحتى نستمتع أكثر، اقترح ان لا ننهيه الليلة بل نبقي شيئا معلقا كي نضطر الى اللقاء ثانية، وأقترح ان يكون اللقاء عندي. أنا في لبنان أعزب، زوجتي وإبني في دمشق. ويمكن ان نلتقي في صيدا او في الجبل، فلدينا اكثر من بيت احتياطي.

ـ موافق على اللقاء ثانية شرط أن يكون عندي في بيتي في البقاع. هل تستطيع الذهاب إلى دمشق؟ هل يسمح لك السوريون بدخول الشام.

كان الشيخ يتحدث وملامح وجهه تشير إلى بعض الريبة والشك.

ـ لا يا شيخ، أذهب أحيانا عبر طرق التهريب وفي فترات متباعدة جدا ولأغراض حزبية اكثر منها شخصية. سكنت دمشق بعد حرب ١٩٨٢، وفي سنوات ١٩٨٣و١٩٨٤ كان وجودنا محصورا في البقاع، والبقاع قريب من دمشق، ولهذا لم أغير سكني. بعد تحرير الجبل وبيروت، لم أفكر في الموضوع، وكانت أمورنا سالكة مع السوريين. منذ الحرب الأولى على المخيمات، تعقدت العلاقة، وانا أفكر الآن في نقل العائلة الى لبنان. وكما ترى نحن الآن في وضع يندم فيه الانسان على أنه تزوج وجنى على أناس آخرين.

ـ لا أخفيك، فكرت للحظات أنني أخطأت في الحديث معك بهذه الصراحة. ولكن بعد هذا التوضيح زال هذا الشعور. إنني احترم أبوعمار حتى ولو كنا على خلاف، وأقدر له شجاعته وحكمته وتفانيه من أجل القضية. معركة بيروت ملحمة ومدرسة. وصمود المخيمات كل هذه الفترة هو من صمود القيادة في بيروت عام ١٩٨٢. وأقدر له حرصه على استقلالية القرار الفلسطيني ومناكفته للحكام العرب وأحترم موقفه.

وبعد هذه الإيضاحات، أبدى الشيخ عباس استعداد حزب الله لعقد تحالف استراتيجي غير معلن مع الثورة الفلسطينية. وقال إنهم مستعدون أيضا لتحالف تكتيكي لمواجهة

المرحلة، ومواجهة المشروع الجاري ضد الفلسطينيين. واعتبر الشيخ أن ما يجري ضد المخيمات هو تسديد فاتورة للأمريكان ولاستكمال ما عجز الجيش الإسرائيلي والقوات متعددة الجنسية عن إنجازه ضد الوطنين الفلسطينيين واللبنانيين خلال وبعد حرب ١٩٨٢. وأشار الى قناعة حزب الله بأن حرب ١٩٨٢ وقعت بقرار أمريكي هدفه تصفية الثورة والمنظمة، كخطوة أساسية على طريق تصفية القضية وتبديد الشعب الفلسطيني من جديد. وأشار إلى أن الأمريكان خرجوا من لبنان حاقدين على حزب الله. ولن يغفروا للحزب وللشيخ عباس تدمير مقر المارينز في بيروت[٨]. وقال: "لا أقول هذا الكلام لانتزع موقفا منك بشأن مغدوشة، كلامي نابع من قناعتي، ولا أقول ان كل اخواني يشاركونني في الرأي".

وأكد الشيخ عباس أن الموقف من عرفات شخصي جدا، وإذا كان لابد من نقله على لسانه فلينقل كما هو، وبغض النظر عن الموقف من مغدوشة "سأبقى عند رأيي". وطلب تفهم موقفه وقال إن الحزب قرر التواجد في مغدوشة. والقرار نهائي. قيادة "أمل" والسوريون يلحون على الحزب في الدخول بجانب قوات "أمل" والقتال معها. وأكد رفضه العرض السوري وأنه يريد الدخول عن طريق الفلسطينيين وليس عن طريق "أمل". وأبدى استعداده لدراسة الإخراج والتكتيك. ومصلحة الحزب تفرض الدخول فورا الى مغدوشة، وهذه فرصة لتثبيت الوجود العسكري الفاعل للحزب في كل الجنوب[٩]، لأنه، عبر مواقعه في مغدوشة يستطيع تسليح كل عناصره ويمكّنهم التحرك في الجنوب بأسلحتهم ويعززوا هيبة الحزب.

وأكد قدرة الحزب على إستثمار حالة الإنهيار التي تمر بها "أمل" وتقوية مواقعه وسط الناس كبديل منقذ لهم، وسحب قاعدة "أمل" الشيعية. وقيادة حزب الله مصممة على عدم تضييع الفرصة وعدم التصادم إطلاقا مع الفلسطينيين. وقال: "إذا رفضتم إعطاءنا دورا فسنكون مضطرين للتعاون مع "أمل" والدخول بواسطتها، وسنعمل بجانبها وليس تحت أمرتها، ولا ضمن تشكيلاتها العسكرية، وإذا اضطررنا على ذلك فلن نطلق النار عليكم".

وأكد انهم يحضرون أنفسهم للدخول خلال ٧٢ ساعة كحد اقصى. وبيّن أن قيادة "فتح" المحلية لا تعارض ذلك، بل إنها رحبت بوجود الحزب كقوة فصل، على ان يتم ذلك في اطار اتفاق على وقف إطلاق النار. وقد طلب قادة "فتح" مهلة للاتصال مع أبو عمار، وغدا مساء سوف يعطون الجواب. وقال: "أريد رأيك واقتراحاتك حول الموضوع". وبين ما يمكن ان يفعله الحزب من خلال وجوده في مغدوشة لصالح حماية المخيمات. وقال: "إذا دخلنا مغدوشة، فلن نسمح بسقوط أي من المخيمات. وسنقول لبري إننا سندخل مغدوشة ونمنع الفلسطينيين من اقتحام الغازية والتمدد حتى الزهراني مقابل ان نكون شركاء في التواجد في محيط المخيمات المحاصرة وبخاصة مخيم الرشيدية. وسنطلب منه تعهدا شخصيا بان لا تقوم قواته بأي أعمال هجومية ضد المخيمات في بيروت والجنوب".

وأضاف الشيخ: "المهم ان ندخل مغدوشة الان، وبعدها ستتغير الأمور على الأرض وبخاصة في محيط المخيمات. نحن ضد إنسحاب الجبهة الديمقراطية من مغدوشة. وإذا وقع الإنسحاب الآن فهذا ينهي امكانية دخولنا الى مغدوشة. إنسحابكم من مغدوشة هو الخيار السوري الاول، والاستعانه بحزب الله هو الخيار الثاني، وأرجو ان يفهم إخوانك في دمشق هذه المعادلة. المطلوب صمودكم في مغدوشة ٤٨ ساعة فقط. اخشى ان يكون قرار مكتبكم السياسي بالإنسحاب قرارا متعمدا هدفه تسليف السوريين موقفا، وان يكون للسوريين نفوذ كبير عندكم. أرجوك أن تعطل قرار مكتبكم السياسي، فهذه مصلحة شعبكم وتنظيمكم".

- وماذا بشأن دخول قوات مصطفى سعد بجانبكم، مثلا ؟

- لسنا ضد دخول قوات مصطفى سعد، لكن دخولها شبه مستحيل. السوريون ونبيه بري حاقدون عليه، وهم يعتبرونه تنظيما فلسطينيا غير مستقل عن عرفات. في مرحلة لاحقة قد يصبح تواجده في مغدوشة أسهل، وأنا أعدك بان أضغط من أجل ذلك. ومن أجل توضيح الأمور نحن مستعدين للقيام بزيارة الى بيت أبو معروف. ثم أرجوك ان تتدخل مع قيادة "فتح" في لبنان ومع أبو عمار لحسم المسألة خلال ٤٨ ساعة. شباب "فتح" متفهمون للموقف جيدا وتربطنا بهم، والأدق بجناح منهم، علاقات حميمة جدا. هناك تعاون ميداني متقدم في مجال الإستطلاع وجمع المعلومات، وأيضا في مجال العمليات العسكرية ضد إسرائيل وضد العميل أنطوان لحد في الشريط الحدودي. سنرسل مشايخ الى المخيمات المحاصرة بغض النظر عن قراركم. واقترح ان تلتقي غدا صباحا مع المسؤول العسكري لحزب الله، وهو أخ مؤمن ويعرفك جيدا وكان في يوم من الأيام ضمن تنظيم الجبهة الديمقراطية وتلقى تدريباته الأمنية والعسكرية عندكم ومن خلالكم. أظن أنك تتذكر الحاج عبد الهادي حمادة. دعنا نتفق على الزمان والمكان. الزمان أسمح لنفسي بتحديده غداً أما المكان فاترك لك تحديده. والحاج عبد الهادي معروف لشبابكم ويعرف كل مراكزكم وهوجاهز للقاء بك غدا في أي مكان.

- بارك الله فيك يا شيخ. وكن على ثقة بأني سأعمل على تعطيل الإنسحاب، وإذا لم أستطع فكن على ثقة بأنه لن يتم قبل ٧٢ ساعة من الآن، وليس ٤٨ ساعة فقط. أسمع الآن أصوات الاشتباكات في مغدوشة تتزايد والساعة الان قاربت من منتصف الليل، وليس من عادة "أمل" ان تشن هجمات خلال الليل، هم يفضلون الهجوم في فترة الصباح وتحديدا قبل طلوع الشمس وأحيانا قبل الغروب. الجديد الثاني في الاشتباكات التي نسمعها هو القصف المدفعي الثقيل. فهو قصف عميق ويأتي من بعيد. يبدو أن الإخوان السوريين دخلوا على الخط مباشرة. وإذا تواصل القصف واشتد فهذا يعني احتمال القيام بهجوم قوي ولا أستبعد ان يشارك فيه السوريين بصيغة او أخرى. على كل حال، الجلسة ممتعة وكان بودي أن يكون الشيخ ماهر موجودا حتى اشكره على ترتيب هذا اللقاء وحتى يكون شاهدا على كلامي.

خلال هذا الحديث، سمعنا طرقات خفيفة على باب الغرفة، نهضت ونهض الشيخ لفتح الباب، كان الحارس واقفا، ناولنا إبريق الشاي وقال إن الشيخ ماهر طلب منه إبلاغنا أنه متعب ودخل لينام ساعة، وعليّ أن أوقظه قبل مغادرة الأخ ممدوح.

قال الشيخ عباس: "سامحه الله، أيقظه يا أخ الآن".

وحين قلت أنا أن لا ضرورة لذلك، قال الحارس إن معصية الولاة الصالحين من معصية الخالق. واغلق الباب بلطف.

علقت مداعبا: "طاعة عمياء يا شيخ عباس ومؤدلجة، أنا شخصيا مع معصية الولاة وهذا النمط من التثقيف يولد الخنوع للحكام الطغاة".

- لكنه قال الولاة الصالحين، ولم يتركها مفتوحة، ولم يقل الولاة الطغاة والمستبدين.

دخل الشيخ ماهر، جلس وهو يفرك يديه ويقول مداعبا: "أنا أعرف أن الاخ ممدوح لا يرتاح لحضوري ولهذا فضلت ان أخلي المكان... المهم أين وصلتم، وهل اتفقتم؟ وهل من خطوات عملية؟ وضع مغدوشة الليلة غير طبيعي. مغدوشة تهدأ عادة في الليل وتشتعل في النهار. يبدو ان السوريين في سباق معكما على الزمن. أظن انهم يعرفون بلقائكم هذا".

- هل وصلت الأمور الى هذا المستوى؟

- بيتي مراقب من قبلهم، مخابراتهم تدور منذ مدة حول البيت. أعتقد انهم مروا الليلة عدة مرات، وهم يعرفون سيارة الشيخ عباس ومرافقيه، واظن أنهم يعرفون سيارتك ومرافقيك. على كل حال، هذا الأمر ليس مهما، المهم أن نكون أذكى منهم وأن لا نسمح لهم بأن يسبقونا مع نبيه بري.

قلت مازحا: "أنا والشيخ عباس اتفقنا على الخير والشر، وأرجو يا شيخ ماهر ان تمرر لنا إتفاقنا ولا تفركشه".

صحح الشيخ عباس عبارتي "نحن اتفقنا على الخير وكلانا مع الحق وضد الشر. كنا في نهاية الكلام وكان الأخ ممدوح يلخص موقفهم النهائي. وكان يجمل النقاط العملية التي سنشرع في تنفيذها معا. والله أرسلك لنا لتكون خير شاهد على ذلك".

- نحن اتفقنا على ان يكون هذا اللقاء فاتحة للقاءات أخرى. تتواصل في إطار علاقات إستراتيجية. واتفقنا على مبدأ تواجد حزب الله في مغدوشة.وانتم تعرفون أن لنا شركاء أساسيين أظن أن بالامكان إقناعهم، وأستطيع القول نيابة عنهم ان بامكان حزب الله التواجد في مغدوشة اعتبارا من بعد الغد.

ـ وماذا بشأن إنسحابكم من مغدوشة؟

ـ تعهدت للشيخ عباس بأن أعطل الإنسحاب، وفي حال فشلي تعهدت بأن أعمل على تأخيره مدة ٧٢ ساعة على الأقل. وسأتحدث مع أبوعمار إذا لزم الأمر بشأن دخول حزب الله. واعتقد ان دخول حزب الله من جهة "أمل" هو الأسرع والأسهل. ولا مانع من أن تأخذ قوات حزب الله مهمة الفصل بيننا وبين قوات "أمل". وأتمنى أن يدخل ولو شيخ واحد إلى الرشيدية غدا او بعد غد. وسالتقى غدا الحادية عشر مع الحاج عبد الهادي قائد قوات حزب الله في مقر عملياتنا في مخيم عين الحلوة. ويمكن للشيخ ماهر مساعدة الحاج عبد الهادي في الوصول الى مقرنا. شخصيا، أفضل أن يتم اللقاء في المخيم حتى يفهم الناس ان موقف حزب الله مختلف عن موقف "أمل". وهناك إشاعات قوية تقول ان حزب الله يقاتل مع "أمل". نحن نقاوم هذه الاشاعات، وحضور الحاج عبد الهادي يساعدنا في ذلك. وسأبحث مع الحاج عبد الهادي أيضا في موضوع الاستطلاع والعمليات القتالية ضد إسرائيل وضد قوات العميل لحد. ونحن جاهزون لعقد لقاء خاص للبحث في العلاقة الامنية. وأظن ان هذه الحصيلة كبيرة ومهمة. وصلنا لها ببركة المكان وصاحبه. وكما ترون، الوضع في مغدوشة ساخن وعلي المغادرة الآن لمتابعة الموضوع.

قال الشيخ ماهر على بركة الله ووفقكم الله لما فيه خير للمسلمين، وما توصلتم له هام جدا وكله تم بارادة الله. نهضت وودعت الشيخين، واتفقت مع الشيخ عباس الموسوي على ضرورة متابعة اللقاءات فيما بيننا.

بالرغم من حدة الاشتباكات في مغدوشة، وجدت الرفيق السائق والمرافق نائمين في السيارة. فتحت الباب وجلست خلف المقود وطلبت من السائق ان يجلس بجانبي. توجهت نحو غرفة العمليات، وفي الطريق، فكرت في العذاب الذي يعيشه الشعب الفلسطيني ومعه الشعب اللبناني. فكرت في نوم المرافقين في السيارة، وقلت لنفسي إن الناس تعودت على الحياة مع الحرب، وتعودت النوم بعمق مع أصوات القصف المدفعي. الشائع ان الخائف والجائع والبردان لا يستطيعون النوم، في لبنان، هذه القاعدة تحطمت. آلاف البشر، فلسطينيين ولبنانيين، ينامون كل ليلة وهم جوعى وبردانون وخائفون. آلاف الأطفال والنساء والشيوخ ينامون كل ليلة والخوف يلاحقهم ككوابيس رهيبة. البعض منهم يقاومها ويتغلب عليها بتلاوة آيات من القرآن الكريم، آخرون يتحايلون عليها بتناول المشروبات الروحية، وهناك من لجأ الى الحبوب المنومة، والبعض أدمن على الفاليوم ورفع عياره حتى بلغ الدرجة الخامسة. وهناك من لجأ الى الحشيش والأفيون، وبعضهم خلطهما مع المشروب وراح يهلوس في يقظته وفي منامه. بعض الامهات وضع المنوم في حليب الأطفال وفضل تنويمهم على مشاهدتهم وهم يتعذبون من الجوع والخوف.

المسافة من بيت الشيخ ماهر حتى المخيم قصيرة لا تستغرق أكثر من عشرة دقائق، لكنها كانت كافية ليستعرض دماغي مشاهد عديدة ومتنوعة. ومع توقف السيارة أمام المقر، كانت صورة المغدوشي وزوجته صاحبي الفيلا تنطبع أمامي. كان الرجل يشير الي باصبعه، وكانت زوجته تتقدم نحوي، وكنت أنا نازلا من مغدوشة مطأطأ الرأس حافي القدمين، اخفض عيني خجلا منها حتى لا تراني. نزلت من السيارة وشاهدتها تطاردني وتقول لماذا صعدتم الى مغدوشة طالما انكم ستنسحبون منها ؟ لماذا شربتم خمرنا إذا كنتم سترحلون عن بلدتنا؟ خمر مغدوشة لم يصنع لعابري السبيل. خمر مغدوشة صنع للاصدقاء ونحن لا نسقيه إلا للأوفياء. سمعتها تصرخ وتقول أوقفوا القصف والتدمير ولا تعيدوا حركة "أمل" إلى بلدتنا، اطردوهم وانصرفوا عنا الى بلدكم فلسطين !



هوامش الفصل الحادي عشر

١ـ الشيخ عباس الموسوي هو أول زعيم لحزب الله، كان شابا مثقفا واسع العلم والمعرفة في شئون الدين والدنيا. اغتالته القوات الإسرائيلية في غارة جوية استهدفت سيارته في احدى طرق الجنوب واستشهد معه إبنه وزوجته. وحسب معلومات اجهزة الامن الإسرائيلية والأمريكية، فهو المسئول عن تخطيط العمليتين الانتحاريتين الشهيرتين اللتين دمرتا مقر قوات المارينز ومقر القوات الفرنسية في بيروت عام ١٩٨٢ وعن عمليات نوعية ناجحة نفذها مقاتلو حزب الله ضد إسرائيل في جنوب لبنان.

٢ـ الشيخ ماهر حمود احد مشايخ السنة البارزين في منطقة صيدا. كان زعيما لمجموعة صغيرة في منطقة صيدا اطلقت على نفسها تسمية "الجماعة الاسلامية"، وكان هو وجماعته من القلائل في الطائفة السنية الذين ارتبطوا بحزب الله وأقاموا علاقة وثيقة مع ايران.

٣ـ يعتمد بعض المسلمين المؤمنين على القرآن في اتخاذ قراراتهم في الظروف الصعبة، وذلك بفتح كتاب القرآن عشوائيا وقراءة الآيات الكريمة التي تظهر والبحث في تفسيرها واستنباط القرار. وكان أبو عمار واحدا من الذين يستخدمون هذه الطريقة قبل اتخاذ القرارات الصعبة. وقد لجأ لها عندما اشتد الحصار على بيروت عام ١٩٨٢وتنوعت عروض الاستسلام، وبدأ بعض أركان القيادة الفلسطينية يحثونه على اتخاذ قرار الإنسحاب، وكان احمد جبريل قائد "القيادة العامة" اشدهم حماسا للإنسحاب باي ثمن.

٤ـ عطا الله عطا الله "أبو الزعيم" كان احد ضباط الجيش الاردني التحق بقوات "فتح" قبل معارك ايلول عام ١٩٧٠ بين الجيش الاردني والفدائيين. غادر الأراضي الأردنية مع قوات الثورة واسندت إليه مهمة قيادة الاستخبارات العسكرية الفلسطينية، وكان عضوا في قيادة "فتح" ومجلسها الثوري. ارتبط بعلاقة خاصة مع ياسر عرفات وكثيرا ما غطى له سلوكياته السلبية. بعد عام ١٩٨٢، تمرد أبو الزعيم على "فتح" وشكل جماعة خاصة به في الاردن واتهم في حينه بانه تحرك بناء على تعليمات المخابرات الاردنية. وصدم أبو عمار من سلوك أبو الزعيم وأعلن الندم أمام إخوانه على موقفه السابق من أبو الزعيم.

٥ـ قام الإمام موسى الصدر الزعيم الروحي للطائفة الشيعية في لبنان ومؤسس حركة "أمل" بزيارة طرابلس بناء على دعوة من القيادة الليبية ورافقه في تلك الرحلة احد معاونيه الشيخ محمد يعقوب، والتقى مع العقيد معمر القذافي. لاحقا اختفى اثر الاثنين، واعلنت السلطات الليبية انهما غادرا الاراضي الليبية. لم يصدق اللبنانيون الخبر الليبي، وحمل ابناء الطائفة الشيعية وزعامتهم الروحية في لبنان العقيد القذافي المسؤولية عن مصير الامام الصدر ومرافقه. ومنذ ذلك التاريخ حتى الان، لم يظهر الامام ولم يعرف مصيره، ويعتقد قادة في حركة "أمل" انهما اعدما من قبل الليبين بعد خلاف وقع مع العقيد القذافي. وحتى الان، لا تزال قضية الامام عالقة تمثل عقبة حقيقية في طريق العلاقة اللبنانية الليبية الرسمية. وتجدر الاشارة إلى ان أوساط الحركة الوطنية اللبنانية المقربة من ليبيا والاستخبارات الليبية كانت تتهم الإمام الصدر بالتعامل مع المخابرات المركزية الأمريكية. كما تجدر الاشارة إلى ان مسألة اختفاء الإمام ومرافقة لم تؤثر في العلاقة الليبية الايرانية.

٦ـ بعد هيمنة "أمل" بمساعدة المخابرات السورية على المناطق الوطنية اللبنانية، راحت قيادتها تتطاول على القيادات الوطنية والاسلامية وكثيرا ما استفزت عناصرها قواعد الحركة الوطنية والاسلامية اللبنانية وكوادرها. ولم تسلم قيادة حزب الله من تطاول نبيه بري بالرغم من ان اعضاءها بمعظمهم يعتبرون من علماء الطائفة الشيعية. وكثيرا ما احتجزت "أمل" قادة وكوادر في الحزب ومنعتهم من الحركة. وظلت علاقة حزب الله بقيادة "أمل" متوترة فترة طويلة. وفي احيان كثيرة وقعت اشتباكات

مسلحة بين الطرفين، خصوصا بعد تصاعد نفوذ الحزب، وسقط في الاشتباكات قتلى وجرحى، ولايزال كوادر حزب الله لا يكنون الاحترام لنبيه بري.

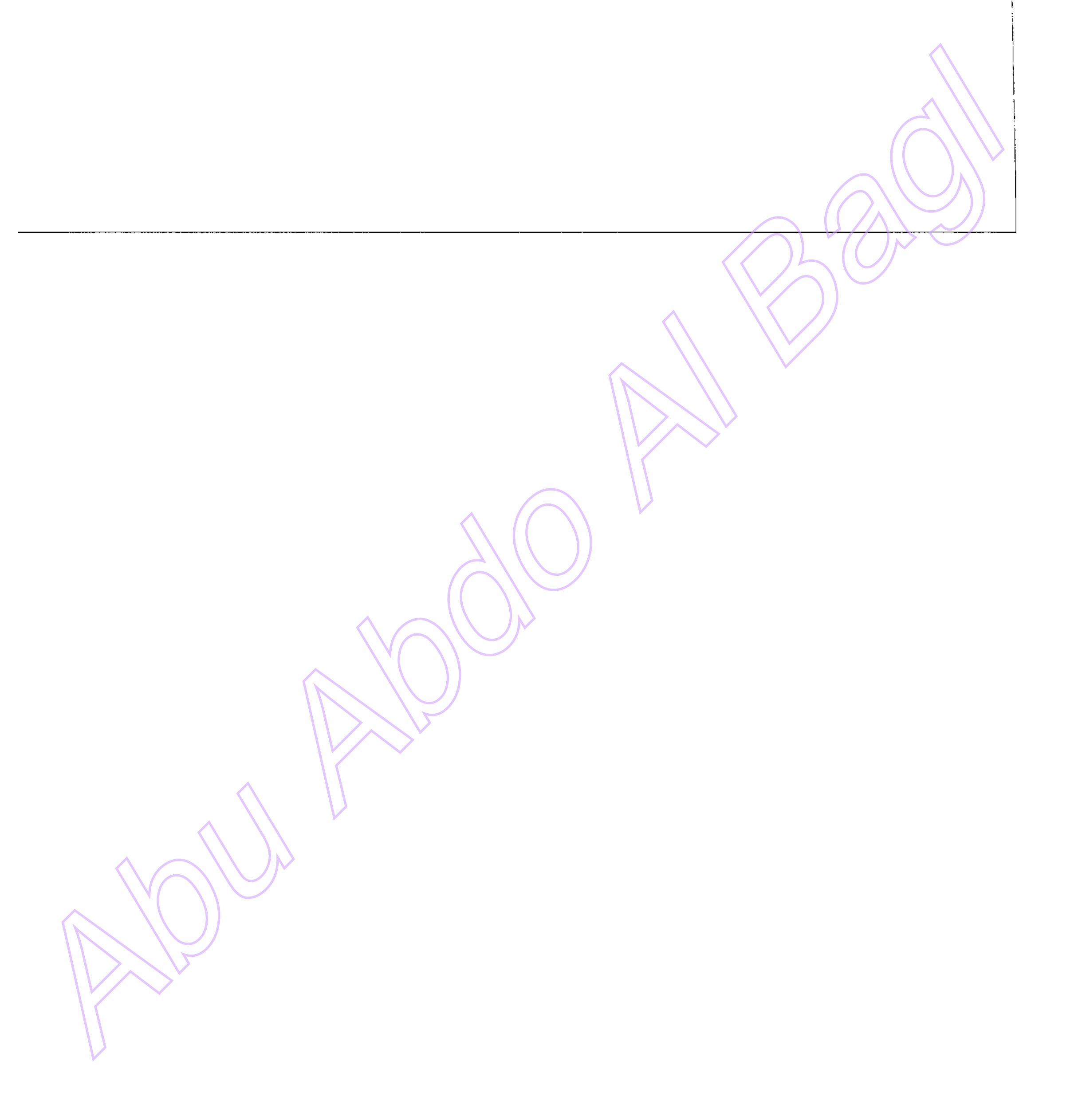
٧ - راجع نص إتفاق عمان في: وثائق فلسطين، م. ت. ف. دائرة الثقافة ١٩٨٧ .

٨ - بعد حرب ١٩٨٢، انتشرت قوات أمريكية وفرنسية في بيروت. وفي حينه عارضت سوريا وايران والسوفيت وحزب الله هذا التواجد لقوات الاطلسي في هذا البلد. ونفذ حزب الله عمليتين انتحاريتن دمر فيهما مقر قوات المارينز في بيروت ومقر القوات الفرنسية وقتل وجرح المئات من القوات الامريكية والفرنسية ورحل الطرفان عن الاراضي اللبنانية بعد العمليتين.

٩ - قبل معركة مغدوشة، لم تكن قيادة حركة "أمل" تسمح لحزب الله ببناء قواعد عسكرية مستقلة في الجنوب، ولم يكن الحزب يملك قوة عسكرية مهمة. فقط ، بعد تراجع دور "أمل" اثر خسارتها قرى شرق صيدا ومغدوشة، استطاع الحزب التمرد على مواقف "أمل" وانطلق في بناء قوته العسكرية التي تعاظمت بسرعة. وبعد احتلال القوات الفلسطينية مغدوشة، تحرك علماء شيعة مقربون من ايران، وبعضهم محسوب على حزب الله، وعقدوا لقاءات موسعة مع قيادة الجبهة و "فتح" في لبنان شارك فيها مندوب عن السفارة الايرانية في دمشق ومبعوث اية الله الخميني، تركز الحديث فيها على ادانة ما تقوم به حركة "أمل" والمساعدة في فك الحصار عن المخيمات، وتسليم المواقع الفلسطينية في مغدوشة لحزب الله لتعزيز مكانته السياسية والجماهيرية في وجه "أمل".

الفصل الثاني عشر

قوات حزب الله تدخل مغدوشة


Abu Abdo Al Bagl

قوات حزب الله تدخل مغدوشة

عرفات وافق على دخول قوات حزب الله إلى مغدوشة

على باب مقر العمليات المركزية للجبهة، كان الحارس جالسا وفي يده عصا وهو يدندن بكلمات غير مفهومة. بالدندنة، كان يسلي نفسه يكسر صمت المخيم وصمت المقر الذي ينبعث منه صفير جهاز اللاسلكي فقط. وبالعصا كان ينكش بقايا نار اوقدها من خشب صناديق الذخيرة والسلاح. بالدندنة ونكش النار، كان الحارس يتسلى في توحده ويقاوم هواجس الصمت والظلام الدامس. وهو يحصي عدد القذائف الثقيلة التي كانت تتساقط على مغدوشة وعلى المخيم. " ثلاث قذائف في الدقيقة أو أكثر "، بهذه الكلمات استقبلنا الحارس، وأضاف إنها كلها من عيار ١٣٠ و١٥٥ ملم، والرفاق ضباط المدفعية والراجمات مدافعهم وصواريخهم نائمة معهم على جسر الأولي. الشباب في مغدوشة هلكت ولم يقدم لهم اسناد جدي. حتى الان صدوا ثلاث هجمات قوية كلها تركزت على محوري أبو حسن وابو فادي. الشباب في مغدوشة يقولون إن حزب الله يشارك في الهجوم، ثم سأل كم الساعة يا رفيق؟ نوبة الحراسة طالت.

أجبت إنها الثانية عشرة وعشر دقائق، وسألت عن الموجود من الرفاق؟ ومن قال له إن حزب الله يشارك في الهجوم ؟

ـ لا أحد من القيادة في المقر، كلهم روّحوا لبيوتهم. والبرقيات الواردة على الجهاز كلها تقول إن هذا الهجوم هو من حزب الله. أنا حراستي انتهت منذ عشر دقائق، واللعين الرفيق مروان الإشارة لم يبلغني ولم ينبه الحارس البديل.

دخلت المقر وتوجهت رأسا الى غرفة الإشارة. كان الجميع نائما بما في ذلك عامل الإشارة. كان نائما على الكرسي والجهاز يصفر وينادي. رفعت الميكروفون وسألت محطة مغدوشة عن عبد الكريم وماهر حمدي وجاء الرد: قد طلبناك مرات عدة. وتمنى

الذي رد عليّ أن لا أغلق جهازي الخاص، وان أحاسب المرافقين عماد وجمال لان جهاز السيارة ظل مغلقا ساعات طويلة. قلت: "حاضر" وطلبت أحضار عبد الكريم أو ماهر حمدي أو كليهما على السمع.

استيقظ عامل المحطة المركزية، وتململ جسم صغير ممدد في السرير ومغطى بالكامل. وأبدى العامل أسفه وأكد انه يعمل وحده منذ الظهر وان زميله في العمل رضوان ذهب إلى الجبل ولم يعد، وقال "تعبت وأرهقت فنمت على الكرسي. والرفيقة المرضة نامت في السرير. أكثر من رفيق دعاها للنوم في بيته لكنها رفضت وأصرت على النوم في المقر".

استيقظت المرضة المنتقلة للتو من مغدوشة ورفعت الغطاء عن رأسها وقالت: "صباح الخير، آسفة على الإزعاج، هل أخرج من الغرفة؟ انا نمت فورا ولم أسمع أي مكالمات داخلية أو خارجية"[١].

قلت أن لا داعي للخروج. وبينت أن كل ما يقال على الأجهزة يسمعه الإسرائيليون والسوريون وكل هواة اللاسلكي. وسألت الرفيقة لماذا إذن يقول الرفاق دائما ان الدخول ممنوع لغير العاملين في اللاسلكي ويكتبون ذلك على باب غرفة الإشارة. أجبت بأن هذة من قواعد العمل في الإشارة ولها ضروراتها الأمنية والعملية ولم أجد رغبة في قول المزيد.

تحدث عبد الكريم من محطة مغدوشة: "صباح الخير ياسيدنا الشيخ، كل الرفاق والإخوان صاروا يتهموك بالمشيخة بسبب علاقتك الحميمة مع المشايخ. طلبناك أكثر من مرة وأنت عند الشيخ ماهر حمود، كيف كان اللقاء معهم؟ أنت جالس معهم وقواتهم قوات حزب الله تهاجم مع قوات "أمل".

- لا أعتقد يا عبد الكريم، اللقاء ممتاز، وحزب الله سيدخل مغدوشة غدا بناء على الإتفاق معهم. كيف الوضع بطرفكم الآن؟ المهم الصمود. غدا وبعد غد يومان حاسمان في وضع مغدوشة.

- يظهر أنها حاسمة على صعيد الوضع الداخلي في الجبهة ايضا. الوضع عندنا جيد جدا، السيد أبو حسن اختفى بعد نزولك من عندنا مباشرة، والهجوم تركز على محوره، حاولت قوات "أمل" إحتلال الزاروب الواقع بين أبو حسن والكنيسة ولكنها فشلت وأكلتها مرتين وتراجعت. في غياب أبو حسن، تولى ماهر حمدي قيادة المحور وعاد من هناك قبل قليل. أعتقد أن هجومهم إنتهى وفشل. التنصت اللاسلكي يؤكد مشاركة حزب الله في الهجوم. والاخوان في "فتح" قالوا ان هناك إتفاقا على دخول حزب الله الى مغدوشة. المدفعية السورية شاركت من جديد في قصف مواقعنا، ومرابضهم في منطقة مشغرة - القرعون هي التي قصفت[٢].

ـ هل من خسائر بطرفكم أو بطرف الإخوان في " فتح " ؟

ـ خسائرنا ثلاثة جرحى، أرسلنا إثنين منهم إلى المستشفى والثالث جراحه بسيطة. أما خسائر الإخوان في " فتح " فهي شهيدان وثلاثة جرحى وتدمير سيارة إسعاف حيث سقطت قذيفة على مدخل عملياتهم المركزية شطبت السيارة وشطبت معها شابا، والأخ علاء نجا بأعجوبة. التقينا علاء وأبو ياسر وأبلغا إلينا الموافقة على دخول حزب الله، سألا عنك، ورأيهما أن نرد على القصف السوري بقصف مقر العقيد زياد وكيل العميد غازي كنعان في صيدا والجنوب في صيدا وبقصف مرابض مدفعيتهم البعيدة.

ـ هذا خطأ كبير، قل لهما الرد سياسيا وليس عسكريا، والوضع حساس لا يتحمل مغامرات. غدا صباحا سألتقي مع عصام، آمل ان يكون أحدهم موجودا عند عصام حوالي العاشرة صباحا. الموافقة على حول دخول حزب الله الى مغدوشة قرار صحيح، لكن الأمر يحتاج قرار مشترك. من جانبنا، رحبنا بالموضوع مقابل التزامات معينة تعهد بها الشيخ عباس الموسوي. على كل حال، لا داعي للحديث التفصيلي على الجهاز. أنا واثق بأن حزب الله لم يدخل المعركة، الاحتمال الأكبر أن " أمل " تلقت بعض التعزيزات من الجيش او الإخوان السورين، من الضروري الانتباه بقية الليلة خصوصا ساعات الفجر الأولى.

ـ معلومات " فتح " ان السوريين نقلوا قوات كبيرة لحركة " أمل " من البقاع الى صيدا وأن أبو معروف إحتج على الموضوع وقال للسوريين إنه يخشى ان يقوم الفلسطينيون بضرب السيارات السورية او بالهجوم على حارة صيدا.

ـ بسيطة، سنلتقي أبو معروف غدا ونستفسر حول القصة، انا مرهق، هل أستطيع النوم أو أن هناك إحتمالا بأن تتطور الأمور بطرفكم نحو الأسوأ ؟

ـ الليلة، لا أظن، والأرجح ان تستمر المناوشات بالأسلحة العادية وان يتواصل القصف السوري من بعيد. المهم ما هي آخر أخبارنا، أخبار الجبهة أخبار الرفاق في دمشق، هل صحيح ان أبوليلى وصل الى البقاع في طريقه الى صيدا لتنفيذ قرار الانسحاب من مغدوشة، قصتنا صارت فضيحة وعليها شهود والكل يتحدث بها، الشباب في الرشيدية استفسروا حول الموضوع وكذلك شباب برج البراجنة وشاتيلا. الإذاعات قالت إن الانسحاب قد تم، ولم يصدق الرفاق في المخيمات البعيدة أننا لازلنا في مغدوشة، ولم يصدقوا الا بعد ان تحدثت معهم مباشرة وأقسمت لهم بأني أتحدث من مغدوشة. من المفيد ان تتصل، وهم يعتبرون عدم مخاطبتك إياهم منذ ٤٨ ساعة تأكيد على وجود أزمة داخل المكتب السياسي.

ـ الليلة مرهق تماما، حرقت الفيلد ولم أشعر، تصبحون على خير.

ـ تصبح على خير ولن نوقظك، ولن ننسحب حتى لو جاءت أوامر من الأمين العام مباشرة بالانسحاب من مغدوشة.

بعد إنتهاء المحادثة، تململت المرضة في السرير وقالت هل من المكن طرح سؤال أم أنك متعب؟

- إسألي يا رفيقة، سؤال زايد أو ناقص لن يغير كثيرا من حالتي.

- اذن أسأل سؤالين وأنت حر في الجواب. الأول هل قرأت رسالة صاحب البيت؟ أقترح ان يتم إغلاق البيت ووضع حراسة مشددة عليه. أنا واثقة بان كل أغراضه سوف تطير وستتبخر بشكل تدريجي. والسؤال الثاني هل من الممكن ان أذهب معك الى البيت، جسمي وسخ جدا، ولابد من تنظيفه من دم العادة الشهرية، [قالت الجملة الأخير بالإنجليزية] وأنا مستعدة لان أعمل لك الليلة شوربة، وغدا قهوة الصباح أيضا. الشباب يقولون انك مستعد لتقبيل اليد التي تعمل لك قهوة الصباح بغض النظر عن صاحبها.

ضحكت، وقلت: الرسالة لم أستكمل قراءتها بعد، سأحاول الليلة أو غدا صباحا، والرحيل من بيت صاحب الرسالة لا يحميه بل يعجل في سرقته. وتفضلي معي، ولكنك ستنامين في مكان آخر وترتاحين من عمل الشوربة والقهوة.

قبل مغادرة مقر العمليات، تصفحت الوارد والصادر من البرقيات، بعضها استوقفني للتدقيق فيها، الأولى كانت من منطقة الشمال تقول: "أرسلنا لكم بريدا مستعجلا، ولاحقا علمنا من السائق أن حاجز القوات السورية في موقع الأرز اعتقل حامله البريد الرفيقة أمل العابدي، والملفت للنظر أن الحاجز ناداها بالإسم. سنبذل الجهود الممكنة لإطلاق سراحها، نرجو جهودكم قدر المستطاع. الرفيقة أمل أم لأربعة أطفال، ووضعنا صار حرجا مع أهلها وأطفالها. سندقق في الاختراق السوري، وسنبلغكم بالنتيجة لاحقا".

برقية أخرى من بيروت تقول: "قامت عناصر من جماعة أبوموسى بالتحرش بمكتبنا في مخيم مار الياس، المعلومات المتوفرة تفيد بان هذا الاستفزاز مقصود ولا نستبعد امكانية تطوره بهدف الضغط والابتزاز للإنسحاب من مغدوشة[٢]. اتصلنا مع أبوطلال عبد الامير عباس الامين العام المساعد لحزب البعث في لبنان، وكان رده ان الإخوان في دمشق منزعجون جدا ومعلوماتهم أن مكتب مار الياس يستخدم لتهريب السلاح والعناصر الى جماعة عرفات في شاتيلا وبرج البراجنة وأن حركة "أمل" ألقت القبض على بعض العناصر العرفاتية التي ادلت بهذه المعلومات. ويؤكد أبو طلال على ضرورة اللقاء به غدا صباحا، وهو مستعد للقدوم الى صيدا للقاء بكم. أبلغناه أن الرفيق لديه اجتماعات حزبية ومواعيد مرتبة مسبقا، وفضلنا تأجيل اللقاء بضعة أيام".

برقية ثالثة من البقاع تقول: "قامت عدة مجموعات من جماعة أبوموسى واحمد جبريل بتطويق موقع فصيلة قب إلياس من قواتنا. الموقع كما تعرفون شبه خال إلا من الختيارين أبويحيى وأبوابراهيم، والذريعة هي ان الموقع كان قديما لجماعة عرفات.

والملفت للنظر ان الرفيق أبوالنور المفصول من الجبهة هو الذي قاد الهجوم. الختياران أخلي سبيلهما وهما الآن بطرفنا".

برقية رابعة من الجبل تقول: "إتصل أبوإياد من الحزب التقدمي الإشتراكي، وأبلغ إلينا رسالة من الأعلى [وليد جنبلاط] بضرورة رفع درجة الحيطة والحذر، ووقف حركة الامدادات الراجلة من البقاع والجبل. الحزب لم يعد بإمكانه المساعدة، وضغوط الأشقاء السوريين لم تعد تطاق".

هذا بعض حصيلة البرقيات الواردة، أما الصادرة فكانت أبرزها برقية من فهد الى أبوليلى تقول "نحن بانتظاركم، الأوضاع الداخلية شبه ناضجة لتنفيذ القرار، أما مواقف الآخرين من لبنانيين وفلسطينيين فتتراوح بين المزاودة ومحاولات التوريط والابتزاز".

بهذه الغلة من الهموم والمشاكل، اختتمت ذلك اليوم البائس. توجهت مع سائقي ومرافقي من مقر العمليات الخاصة إلى بيت سري في حي التعمير. وفي طريقنا، أنزلنا الممرضة عند باب الشقة التي تتواجد فيها الرسولة القادمة من دمشق.

بعد دخول البيت السري، عنفت الاشتباكات في مغدوشة، واشتد القصف المدفعي على المخيم، ولم تسلم مدينة صيدا من بعضه. حاولت النوم ولكن عبثا. حاولت تحديد أي المسائل التي تضغط على العقل الباطني اكثر من غيرها فتجعله يتردد في تحمل المسؤولية عن إدارة الحياة في جسدي المرهق فادركت أن المشاكل كثيرة، رحت أفرزها واحدة واحدة: الشوق للزوجة والإبن موجود لكنه ليس السبب. القلق الموجود والضاغط على الأعصاب يختلف عن ضغط الشوق أو الخوف على الزوجة والولد. فهذه ليست المرة الاولى التي أغيب فيها عنهما فترة تزيد عن الشهرين. اللقاء مع الشيخ عباس الموسوي حاضر في الذهن لكنه يمر مرور الكرام وبدون ضغط يذكر فاللقاء كان مريحا ونتائجه ايجابية.

حاولت تذكر صورة الحاج عبد الهادي حمادي الذي تحدث عنه الشيخ عباس، استحضرت أسماء اللبنانيين البارزين من أبناء الطائفة الشيعية الذين عملوا في أمن الجبهة عام ١٩٧٢-١٩٧٣ واشتغلوا معنا في تجارة السجائر المهربة ونقلها من مناطق بريتال وعرسال الى تجار بيروت، لكن دون جدوى(٤). استحضرت أيضا أسماء معظم الكوادر الأساسية التي خدمت في القوات وفي مؤسسات الجبهة الأخرى. فلم أعثر على ذلك الرجل. طويت الصفحة وأنا متأكد أنها ليست السبب في الارق.

سألت نفسي عما إذا للحاجة الجنسية دور في القلق، فحضرت أغنية "أنت فين والحب فين"، لا مزاج ولا رغبة، وليست هي السبب. الوضع في مغدوشة وضعته جانبا منذ تحدثت مع عبد الكريم حيث طمأنني. صحيح ان القصف شديد والاشتباكات حامية

لكن التجربة والخبرة تؤكد إن القصف المدفعي لا يحسم الأمور في حرب المدن، وقتال الشوارع دائما يطول، إلا إذا وقعت إنهيارات كاملة كما حصل في قوات حزب الكتائب خلال معركة الدامور. وضعنا العسكري في مغدوشة جيد، صحيح اننا غير قادرين على حسم وضع مغدوشة خلال ساعات، لكنه بالتأكيد قادر على الصمود أياما وأسابيع، حتى ولو وصلت لحركة "أمل" إمدادات من البقاع. وفشل هجوم "أمل" الأول والثاني يعني أنهم فقدوا عنصر المفاجئة، وهذا العنصر هام في حرب المدن وقتال الشوارع. المفاجئة تتحقق عادة عندما يتمكن المهاجم من نسف بناية كاملة يتمترس فيها عدوه مثلا أو عندما يتم خرق جدران حارة كاملة والتسلل منها الى قلب مواقع الخصم. على كل حال لا خطر على الوضع في مغدوشة وليس هو السبب في الأرق.

طال الوقت وأنا استعرض القضايا واحدة بعد الاخرى. قلت لنفسي: داوها بالتي كانت هي الداء. العلة معروفة ومصدر القلق والأرق واضح والهروب من الموضوع يبقيه حاضرا ولا ينهيه. نهضت من الفراش، واشعلت النور، وتوجهت الى المطبخ، الساعة قاربت الثالثة صباحا وتناول فنجان زهورات ومريمية ويانسون قد يساعد على جعل مناقشة الذات هادئة وقد يساعد على جذب النعاس. نعم، قصة الإنسحاب من مغدوشة هي العلة والسبب في الأرق ولا شيء آخر سواه. الجواب بسيط لا إنسحاب من مغدوشة. وهذا ما يجب أن يفهمه كل من يريد أن يفهم الموقف ومن لا يريد فهمه أيضا. انسحاب الجبهة المشين من مدينة إربد عام ١٩٧٠ لن يتكرر.

في حينه، كنت قائدا لقوات الجبهة في القطاع الشمالي في الأردن وعضوا في اللجنة المركزية للجبهة، وكان الرفيق أبو فراس "محمد كتمتو" هو المسئول السياسي والعسكري الاول باعتباره عضوا في المكتب السياسي. وبعد انسحاب القوات السورية من الأراضي الأردنية إثر التهديد الإسرائيلي الأمريكي، إختلفنا حول الإنسحاب من إربد، يومها عارضت الانسحاب وقلت نبقى مع الناس في المدينة والمخيم، وكان رأي أبو فراس والقيادة الانسحاب، ونفذ الإنسحاب وتعرضت الجبهة في حينه الى انتقادات داخلية وخارجية شديدة. ولا حقا تبين ان قرار الانسحاب كان هو الأسلم، ومشكلته الوحيدة انه سبق وقته وسحبت القوات دفعة واحدة، وبعد أقل من ٤٨ ساعة شرعت الفصائل الأخرى في سحب قواتها.

سأناقش أبوليلى عند وصوله بهدوء، إذا كان هو مستعدا لنقاش مسألة الانسحاب. وغدا قبل وصوله، سأناقش قيادة إقليم لبنان، ويمكن تمويت الموضوع عدة أيام بدعوى دعوة لجنة الإقليم الموسعة لعقد إجتماع طارئ، ودعوة المجلس العسكري واللجنة الحزبية للقوات للاجتماع. المهم تأجيل الانسحاب مدة ٤٨-٧٢ ساعة فقط لتمكين حزب الله من دخول مغدوشة. وهذا، إذا تم، يجعل من انسحاب قوات الجبهة حركة بدون معنى. ومعناها الوحيد إرضاء السوريين والهروب من تحمل المسؤولية. والكل يعرف انه مع دخول حزب الله مغدوشة يستقر الوضع فيها، وتصبح "فتح"

قادرة على الاستمرار في السيطرة على مواقعنا إضافة لمواقعها، ويزول الخطر عن مخيم عين الحلوة. سألت نفسي هل يمكن تمرير هذا التكتيك على الرفاق. الجواب كان: ليس سهلا تمرير الموضوع، ولكنه ليس مستحيلا.

أقنعت نفسي بهذه النتيجة وقررت طي الموضوع. وشرعت في التفكير في عقد لقاء مع قيادة "فتح" قبل اللقاء مع الحاج عبد الهادي وقبل اجتماع قيادة منظمة الجبهة في لبنان. المهم الاتفاق مع "فتح" على أمرين: الأول حسم دخول قوات حزب الله الى مغدوشة ووضعها في مواقع فاصلة بين القوات الفلسطينية وقوات "أمل"، والثاني دمج مواقع الجبهة ومواقع "فتح" في مغدوشة، فمثل هذا الدمج يقلص من الآثار السلبية التي يحدثها انسحاب قوات الجبهة في حال تنفيذه، ويسهل بقاء عدد من مقاتلي الجبهة بجانب "فتح" في المواقع. أقنعت نفسي بان هذه الخطوات هي الحل لوضعنا في مغدوشة، وان انجازها أمر سهل. وقبل التوجه للفراش من جديد اخرجت رسالة المغدوشي صاحب البيت ورحت أقلب صفحاتها بحثا عن السطر الذي توقفت عنده. تذكرت اخر ما قرأته كان حول محتويات البيت وقوله محتويات البيت غالية علية ليس لانها ثمينة وانما لأن معظمها يشد الى إناس يحبهم والى تاريخ يعز علية وأمكنة يحبه أن يتذكرها. تابعت قراءة الرسالة: "أسمح لنفسي ايها الزائر الكريم ان أطلعك على بعض أسرار حياتي الخاصة وبعض من تاريخي عبر الحديث عن بعض قطع اثاث البيت. في غرفة نومنا تجد أيها الزائر سجادة أثرية عمرها مئات السنيين ورثتها عن أمي وأبي اللذين ورثاها عن آبائهما وأجدادهما. وقالت لنا أمي يوما هذه أمانة غالية حافظوا عليها، صاحبها الأصلي راهب من القدس، سمح له جيش المسلمين بمرافقة فرسان الغرب يوم خروجهم من القدس الى صور. رافقهم ليطمئنوا وليودعهم. والسجادة كانت هديته لوالي صور. والوالي أهداها لجدكم يوم سفره من بلادنا الى بلاده.

عزيزي الزائر، لا أدري ما إذا كان مثل هذا التاريخ يهمك أم أن الحروب والحياة التي تحياها الأن تجعله ماضيا لا قيمة ولا معنى له عندك؟ أعرف أن من العبث في مثل هذا الظرف الحديث عن القيمة التاريخية للأشياء والتراث، فبالكاد تسمح الأوضاع بالتفكير قي مصير الإنسان. ما أريد قوله هو ان السجادة ثمينة ولا يعرف قيمتها إلا الإنسان الخبير بالسجاد العجمي العتيق. رجائي ان لا تمزق ولا تحرق. استخدامها او بيعها من قبل الغير مؤلم لي لكنه أخف ألما وأقل أذى من حرقها او تمزيقها. ما يهمني هو أن تبقى السجادة كتراث وكتاريخ، ولا أخفيك اني نادم لاني لم أطرز على أطرافها تاريخها وسيرة تنقلها. آمل أن أتمكن من ذلك في يوم من الأيام إذا خرجنا من هذه الحرب سالمين.

"ستلاحظ أيها الزائر ان كل غرف البيت مفتوحة ما عدا واحدة. اقسم لك انها لم تفتح منذ عدة سنوات. انها غرفة المرحومة والدتي الذي توفاها الله بعدما سكنا هذا البيت. بعد دفنها في مدافن العائلة، عدت الى البيت وجمعت كل أغراضها من الشحاطة حتى

محبس شعر رأسها ووضعتها في الغرفة وأغلقتها، ومنذ ذلك التاريخ وباب الغرفة مغلق ولم يفتح الا بضع مرات في بعض المناسبات، خصوصا عندما كان يأتي زوار يهتمون بالتاريخ القديم. كنت أفتحها لأطلعهم على بعض التحف وبعض انواع الملابس القديمة التي ورثتها أمي عن الأجداد الأولين. والخزانة الموجودة لها قصة، فهي موروثة عن جدتي، وأرجو ان يتسع صدرك لسماع قصتها.

" قالت لنا الجدة: هذه الخزانة خزانة عرسي، حملتها معي على فرس، كانت أحوالنا في البداية ميسورة، وكان جدكم كريما وحالته المادية حسنة. لاحقا، جارت الأيام عليه. طلب مني أن أبيع النحاسيات، لكني رفضت، ويومها بعت صوف الفراش ورفضت ان أبيع التحف والنحاسيات. ولاحقا، مع جور السنين، إضطررت على بيع الخزانة لعريس جديد. الزمن يا إبني دوار، يوم لك ويوم عليك. بعد سنين طويلة، أفرجها الرب علينا، وكان أول ما عملته أني استرجعت الخزانة ولم أتمكن من استرجاع صوف الفراش. بعد سرد هذه القصة لي رجاء أيها الزائر أن تفتح الغرفة بمفتاحها المعلق على الباب وسأكون ممنونا لك أبد الدهر إذا أغلقتها ثانية.

عن المكتبة، لن أتحدث طويلا، فهي أمامك، وستجد فيها مخطوطات أنا واثق انك سوف تقدر قيمتها التاريخية. لم أشأ توضيبها، أبقيتها على ما هي عليه كي يسهل الاطلاع على محتوياتها.

" عزيزي: هذه حكاية بعض موجودات البيت ولن اثقل عليك بالحديث عن المزيد منها. وأخيرا اشعر بأنني بهذه الرسالة عملت أقصى ما أستطيع عمله، ولكم حرية التصرف وحرية اتخاذ القرار بشأن البيت ومحتوياته. أملي كبير في أن أبقى حيا وأن أعود الى بيتي وأن يعود كل مهاجر وكل مهجر الى بيته وممتلكاته ".

طويت الرسالة وانا اقول لنفسي مسكين هذا الرجل ومثله في لبنان وفلسطين عشرات الالوف بل مئات الالوف من المساكين الطيبين الذين لا ذنب لهم في كل ما يدور وما سيدور على الاراضي اللبنانية والفلسطينية، آمل ان استطيع عمل اللازم من اجل تلبية امنية صاحب البيت.

بدأ النعاس يحوم حول السرير. الساعة قاربت الرابعة صباحا، تراجعت حدة الاشتباكات في مغدوشة، أطفأت النور وتذكرت كلمات المرحوم كمال جنبلاط حين قال في عام ١٩٧٥: "الحروب ستبقى في فلسطين وفي لبنان عشرين سنة حتى عام ١٩٩٥، وبعدها إما أن يعم السلام وتقوم الدولة الفلسطينية وإما على العرب واليهود السلام. يا عمي وعد بلفور عدد كلماته سبع وستون كلمة، وأصحابه قالوا عنه هذا مشروع للقرن العشرين، أما القرن القادم فالله أعلم".

صباح اليوم التالي، حضر عماد وجمال كالمعتاد ومعهما جرائد الصباح. أخبار مغدوشة تحتل عناوين الصفحة الاولى من جريدة "السفير" وكذلك جريدة "النهار".

مانشيت السفير كان يقول قوات "أمل" تحاصر العرفاتيين في محيط تمثال السيدة، والديمقراطية تنفذ انسحابها اليوم". سألني جمال هل صحيح يا رفيق ان قوات الجبهة ستنسحب اليوم مساء من مغدوشة؟

- الدنيا صباح يا جمال، هذه دعايات وإشاعات سورية.

- ولكن الرفاق في المكتب يقولون ان الرفيق فهد قال لهم إننا سننسحب اليوم مساء من مغدوشة؟

- بسيطة، جهزوا أنفسكم، ورشة عملنا اليوم طويلة وعريضة. وسنبدأ بالتوجه الى الشقة حيث رسولة دمشق بالإنتظار.

في الشقة، كانت الرفيقة المرسلة من دمشق والرفيقة المرضة كل منهما في غرفة مستقلة. القادمة من دمشق يقظة تشرب قهوة الصباح، أما المرضة فكانت لاتزال نائمة.

- انتظرتك حتى الثالثة صباحا، بعدها نمت. تأخرت على الرفاق في دمشق ويجب أن أعود إليهم قبل الظهر. وأي تأخير إضافي يسبب لي مشاكل أنا في غنى عنها. وآمل أن نلتقي وأنت في وضع أفضل وبمزاج أحسن .

- الظروف صعبة، وشكرا على الانتظار، وحتما سوف نلتقي عن قريب.

- بيتي في البقاع بدون تلفون، وهذا هو رقم الهاتف في الشقة التي استأجرها الأمن، الرقم يعرفه حتى الآن ثلاثة فقط: زوجي والأمن وأنت. تعليمات الأمن أن لا أعطيه لأحد إطلاقا. هذه مخالفة أمنية فاحشة سوف يحاسبني عليها. وماذا بشأن سفري اليوم؟

- حتما ستسافرين، ولكن بحدود الواحدة بعد الظهر. لدينا اجتماع، وبعده سأكتب الرد على الرسالة.

- هل يمكنني النزول الى سوق صيدا؟

- ممكن، ولكن أعتقد ان الحالة الأمنية لا تسمح بالتجول للبيع والشراء.

- أنت غلطان، أنا لبنانية وأعرف جيدا أهل لبنان. في لبنان كل شيء له وقته، هذا الشارع تنسفه سيارة مفخخة، والشارع المجاور تغلقه كراسي الأعراس، والثالث تغلقه خيمة عزاء. الناس هنا تحب الحياة. زهقت الحرب وأصبحت لامبالية. هذه سيارة إسعاف تحمل شهيد، ووراءها سيارة أخرى تحمل عروسا. الجامع الوحيد بينهما أن كلا منهما تسير وهي تطلق الرصاص. الأولى تطلقه حزنا على الشهيد والثانية تطلقه إبتهاجا بالعرس. ولولا هذه القدرة على التكيف لانفجرت الناس.

- جيد، بامكانك النزول الى السوق على ان تكوني هنا بحدود الثانية عشر ظهرا.

- سأكون قبل هذا الوقت. وهل البنت النائمة في الغرفة الثانية تعرف أني أعمل مع الامن؟

- لا تعرف أي شيء، ولا علاقة لها بهذا الموضوع.

- هل هي رسولة مثلي تعمل في جهاز آخر؟

- لا هي ممرضة، وتعمل في القوات، أرسلتها الى هنا للمبيت فقط.

- هل تنام هي دوما في هذا البيت خلال نومك فيه.

- الرفيقة ممرضة ومكان نومها هو مكان عملها. ولكن ليس هناك ما يمنع ان تنام هنا إذا اقتضت الضرورة ذلك. والى اللقاء.

- آسفة على الازعاج بالاسئلة وعلى محاولة فرض الذات.

- لست منزعجا، وقاتل الله الظروف، وسامح الله الناس على ما يقولون، والى اللقاء.

في الطريق من الشقة الى المكتب ومنه الى بيت أبوعلي عصام، توقف عماد أمام فرن العربي لشراء مناقيش زعتر وجبنة. فجأة، توقفت سيارة فهد. نزلت ونزل فهد. وقفنا لدقائق، استفسر فهد بفتور حول الوضع في مغدوشة. وسأل ما إذا كانت البنت الرسولة ما زالت في الشقة واقترح أن نكتب رسالة الرد الى دمشق قبل الاجتماع. وأضاف انه فكر الليلة الماضية في الموضوع، وزادت قناعته ببيع القصة للسوريين: " نسلفهم موقفا، وكما تعرف ليس لنا قدرة على معاداتهم أو التصادم معهم. أوضاعنا القيادية والحزبية في سوريا وفي لبنان لا تتحمل التصادم مع السوريين. أمس اعتقلوا الرفيقة أمل العابدي عضو لجنة الاقليم مسؤولة المنظمة النسائية في فرع الشمال. واليوم صباحا اعتقلوا أمل المصري[٥]. وغدا لا نعرف من من الكوادر سوف يعتقلون. واعتقال عضو مكتب سياسي أبو العبد عصام رسالة سورية واضحة علينا فهمها والتعامل معها بواقعية. خلاصة رسالتهم لنا : لا رؤوس كبيرة، الكل يمكن أن يطاله الاعتقال" . وكرر ما صرت أعرفه. وختم حديثه بالقول: يفترض ان يصل أبو ليلى اليوم الى هنا.

قلت إن الوضع في المخيمات لا يحتمل أي خطأ. الانسحاب من مغدوشة قد يؤدي إلى إنهيار الوضع في مخيم الرشيدية أو شاتيلا وبرج البراجنة، ناهيك عن ردود فعل الناس في مخيم عين الحلوة وفي مدينة صيدا. وأنبأته بأني ذاهب الى بيت أبوعلي عصام لأناقش الموضوع معه ومع الإخوان في " فتح " ، إذ ما دام لديهم قرارا حاسما من أبو عمار بان لا إنسحاب من مغدوشة إطلاقا، فإن هذا يعني بقاء الوضع على ما هو علية حتى لو انسحبنا. والخسارة تكون خاصة بنا فقط وستكون خسارة صافية. وكررت أننا لا نستطيع مجاراة مطالب السوريين، فهم لا يريدوننا بجانبهم بل في جيوبهم مثلنا مثل الصاعقة والقيادة العامة وأبو موسى، والقبول بهكذا وضع يعني نهايتنا سياسيا وعند شعبنا.

وذكرت لفهد أن حزب الله مستعد لدخول مغدوشة والفصل بيننا وبين قوات "أمل"، وان السوريين وقيادة "أمل" موافقون على ذلك. وإذا تم هذا فإنه يعني تسليم السوريين بالأمر الواقع، وسينشأ وضع جديد شبيه بوضعنا في شرق صيدا، "على كل حال، اترك رسالة دمشق الى ما بعد الاجتماع الحزبي. في العاشرة سألتقي الحاج عبد الهادي حمادة المسؤول العسكري لحزب الله، هل تعرفه؟"

ـ عبد الهادي حمادة مسؤول عسكري لحزب الله ؟ هذا مستحيل.

ـ لماذا مستحيل، هل تعرفه؟

ـ طبعا أعرفه، وأنت أعرف الناس به. إشطب الحاج وأبق عبد الهادي وأضف له الشياح، هل تذكرت عبد الهادي الشياح؟ عبد الهادي قائد موقع الجبهة في الشياح في عام ١٩٧٦؟

ـ سبحان مغير الأحوال، تذكرّته، كان أزعر الشباب، جدع مقاتل شرس. رجل طخ وقتل ممكن، رجل عصابات ممكن، أما أن يكون رجل دين فهذا ما لم أكن أتوقعه إطلاقا. كل شيء ممكن ما عدا رجل دين. قبل عشر سنوات كان كادرا بسيطا في الجبهة، والآن هو قائد في حزب الله. أذكره شبلا في وحدة الأمن والحماية، على كل حال لابد من التأكد من الموضوع.

ـ هل قال الشيخ عباس انه المسؤول العسكري الاول في حزب الله؟ لا، ولكن ممكن مسؤول عسكري في الجنوب أو في منطقة النبطية. مستحيل أن يكون مسؤولا أول إلا إذا كان هناك إنسان آخر إسمه عبد الهادي حمادة. المسؤول العسكري الحقيقي الأول لحزب الله كما تعرف هو ضابط إيراني من الحرس الثوري.

ـ كل شيء جائز، على كل حال، دعنا نلتق في الحادية عشر.

تركت فهد وانطلقت مع الرفيق السائق نحو بيت أبو علي عصام. وعند مدخل البناية استقبلني عصام بالقول: الختيار سأل عنك ويهديك تحياته، أين كنت ؟ وأبو ياسر إنتظرك فترة طويلة ثم غادر، المهم أن الختيار أعطى موافقته على دخول حزب الله الى مغدوشة، ومعلوماته المؤكدة أن قوات الجبهة سوف تنسحب من مغدوشة، يبدو ان ياسر لم يستطع تعطيل قرار مكتبكم السياسي، أو أنه يتكلم في صيدا بلغة وفي دمشق لغة أخرى. وروى عصام أن أبو الهول تحدث مع نايف وحاول ثنيه عن القرار ولكن دون جدوى، ومعلومات الختيار ان نايف أعطى تعهدا للسوريين بالانسحاب. وعما دار بشأني أنا، قال عصام: "عبد المعطي وأنا شرحنا للختيار موقفك. فقال أن لا داعي لشرح موقف ممدوح فهو معروف لي، وقال إن نايف هاجمك شخصيا في الحديث مع أبو الهول، ووصفك بأنك متمرد وستحاسب، والتمرد في الأحزاب الماركسية لا أفق له بالنجاح. وقال له أكثر من ذلك وأنا لا أريد صب الزيت على النار. رأيي ان تتكلم مع

أبو الهول وتفهم منه مباشرة حقيقة ما جرى. سأرسل سيارتي للبحث عن أبو ياسر لتتفاهموا على دخول حزب الله. الختيار شدد على أن يكون دخول حزب الله في المواقع التي تتواجد فيها حركة "أمل" وليس مواقعنا.

- حضرت لاضعكم في أجواء اللقاء مع الشيخ عباس الموسوي، ولنتفق على الموقف النهائي. وبعد قليل سألتقي مع المسؤول العسكري لحزب الله. نحن في سباق مع الزمن، اليوم حاسم في وضع مغدوشة. الخطة السورية باتت مكشوفة تماما. يعملون على خطين لإنهاء الوضع، الأول ضعضعة وضعنا العسكري في مغدوشة من خلال الضغط على قيادة الجبهة للإنسحاب، معتقدين أن انسحاب الجبهة سوف يولد إنهيارا في الوضع. والثاني تجميد الوضع العسكري فترة من خلال الموافقة على دخول حزب الله قوة فصل بيننا وبين "أمل".

- هذه تقديرات أبوعمار أيضا. ولذلك أعطى أوامره بأن تنتقل كل قيادة "فتح" إلى مغدوشة. ونحن جميعا رتبنا أمورنا على اساس ان نكون جميعا هناك قبل الساعة الخامسة مساء. والختيار سيتحدث معنا ونحن جميعا هناك. وقد قال إذا رغب ممدوح في البقاء في مغدوشة فإنه يكون قائدكم جميعا. وطلب منا عدم التحدث معك في هذا الموضوع وأن نترك لك المبادرة. أنا صريح معك وليس بيننا سوى المحرمات.

نهض أبو علي وطلب من سائقه البحث عن أبو ياسر. ثم عاد الى التيلفون. تحدث مع سنترال قبرص وطلب منه البحث عن أبو الهول وإبلاغه أن ممدوح نوفل يريد التحدث معه.

- لكن الساعة الآن التاسعة والنصف وهذا يعني انها السابعة والنصف في تونس. وأنت وأنا نعرف ان أبوالهول من عتقية المقاومة الذين قال عنهم المرحوم كمال جنبلاط إنهم يعملون مثل بنات الهوى اللواتي يعملن في الكباريهات: شغل طول الليل حتى الصباح ثم نوم طول النهار. أبو الهول نائم ياعصام. أبو الهول مثل أبوعمار يعمل حتى الثالثة او الرابعة صباحا وينام حتى التاسعة او العاشرة.

- مفيد الاتصال بين فترة وأخرى من قبلك مع أبوالهول. إتصالي أنا له حسابات وتفسيرات فتحاوية.

- أنا على إتصال معه باستمرار.

- آسف، قطعت عليك الحديث عن اللقاء مع حزب الله.

- الشيخ عباس يقول أن السوريين وافقوا لهم على الدخول الى مغوشة لأن وضع حركة "أمل" على وشك الإنهيار. والسوريون يخشون من تقدمنا باتجاه عنقون او الغازية

ومثلث الزاهراني. يبدو أنهم قبضوا إشاعاتنا. حزب الله مستعد للتعاون معنا وأظن أنهم صادقون . وعلى كل حال مصلحتهم تفرض عليهم هذا الموقف، ودخولهم إلى مغدوشة يقوي موقفهم في صفوف الطائفة.

ـ أرسلنا وراء أبو حسن مختار الغازية وأبلغنا اليه رسميا أننا سنهاجم الغازية وحارة صيدا إذا لم يفك الحصار عن مخيم الرشيدية، وطلبنا منه إبلاغ قيادة "أمل" أن انهيار الرشيدية او سقوطه يعني تحويل الغازية وعنقون الى دامور جديدة وتدميرهما وتهجير أهلهما. المختار أبو حسن نقل لنا حالة الرعب التي يعيشها أهالي عنقون والغازية وكل أهالي قرى الزهراني. وقال انهم يضغطون بقوة على قيادة "أمل" والسوريين. وطلب منا الاستمرار في الضغط ولكنه نصحنا بعدم التورط في إقتحام أي قرية شيعية، وطلب مهلة من الزمن للتحرك. أبو عمار حذرنا من خديعة سورية يكون حزب الله حصانها. نحن قلنا لأبو عمار ان السوريين ضد دخول حزب الله الى مغدوشة، وأدلجناها له وقلنا ان السوريين ضد أي دور لأي قوة إقليمية في لبنان بما في ذلك ايران. وشرحنا له مواقف علماء الشيعة ومشايخهم، وموقف جماعة السفارة الايرانية في بيروت ودمشق، وحدثناه عن جهودهم باتجاه فك الحصار عن المخيمات وادخال التموين والأدوية إليها. وبالرغم من كل حديثنا، قال أبو عمار لا تخطئوا، السوريون ليسوا ضد دخول حزب الله إلى مغدوشة، وأضاف: لكن توقيت دخولهم غير معروف.

ـ تحليل أبوعمار صحيح ومعلوماته دقيقة. هذا رجل ليس بسيطا. من تونس يتابع أدق التفاصيل، وتصله المعلومات من عدة اتجاهات، وبعضها يصله قبل ان يصلنا. ويا أبوعلي من يملك المعلومات يملك القدرة على التحليل الصحيح.

ـ الكل يكتب له، عشرون فاكس تعمل معه ليل نهار من لبنان، وتلفونات لبنان مع تونس لا تتوقف إطلاقا. ولا تنس أن كل الدكاكين السياسية اللبنانية والسورية بقيت محافظة على صلاتها مع أبوعمار، وأبو عمار لم يقطع مع أي منها على الإطلاق. الكل يقبض، والكل يبيع معلومات، والكل يعرض خدماته، لكنهم جميعا يتصرفون بصورة مختلفة تماما امام السوريين ما عدا الرجلين الشريفين محسن ابراهيم ومصطفى سعد[٦].

ـ نسيت صاحبك أبو تيمور، وهذه الهفوة سنسهر عليها ليلة كاملة.

ـ كلا، أنا لم أنس صاحبي، لم أذكره لأنني أعتبره معنا في قلب المعركة ضد السوريين. وأنا أعتبر أنه شريك كامل.

ـ إذن، معركتك مع أبوخالد (محسن ابراهيم). وأنت تعتبره أقل عداء للسوريين.

ـ أبو خالد محسن قائد "فتح" في لبنان وكلامه أوامر لنا جميعا. وهذه تعليمات أبو عمار.

- محسن قائد لكل الفلسطينيين في لبنان، الكل يحترمه، حتى عدوه يحترمه.

- صحيح عدوه يحترمه، ولكن حياته مهددة الآن. شخصيا أنا مع خروجه من لبنان لفترة، لأن الإخوان السوريين منزعجون جدا منه في هذه الأيام.

- الإخوان أكثر من منزعجن، صاروا حاقدين عليه. محسن رجل مبادئ، وحضرته مصر على إصدار تصريحه اليومي المدين للحرب الظالمة على المخيمات، وطالع نازل في زياراته للأحزاب والشخصيات الوطنية والاسلامية اللبنانية، وبعد كل لقاء يطرق الاخوان السوريين تصريحا ناريا. أمس، التقى محسن الشيخ فضل الله وحمّله مسؤولية ما يجري ضد الشعب الفلسطيني في لبنان. أعتقد أنه رفع الدوز ودخل في الزجاج، الأخ قال: "على كل الذين يشجعون ويدعمون الحرب الظالمة الجارية ضد الفلسطينيين في لبنان أن لا ينسوا ان القضية الفلسطينية كانت في الخمسينات والستينات سببا في وقوع متغيرات في العديد من الدول العربية. وأن أنهيار أو إسقاط أي من المخيمات سوف يكون له نتائج كبيرة ومؤثرة ليس فقط على الاوضاع في لبنان بل على الاوضاع والعلاقات العربية أيضا". وقال محسن ايضا إن شارون وبشير الجميل لم يستطيعا تحمل نتائج مجزرة صبرا وشاتيلا، ولا أظن أن أحدا من اللبنانيين بامكانه تحمل المسؤولية عن وقوع مجزرة جديدة في أي من المخيمات الفلسطينية.

- الاخ أبوعمار قال أنه سيتصل مع محسن وسيطلب منه الانتقال الى صيدا ولو لفترة قصيرة لأن رأسه صار مطلوبا. جورج حبش يحترم محسن ابراهيم بالرغم من انه دمر له حركة القوميين العرب. ولكن أعتقد ان نايف يكرهه مع أنه أقرب لكم.

- محسن يفرض إحترامه، ونايف حواتمة ذاتي جدا. والذاتيون لا يطيقون الآخرين المحترمين من القوى ومن الناس. لا يطيقون الرؤوس، ويريدون كل شيء لذاتهم. ثم لا تنس أن محسن هو منظر اليسار في حركة القوميين العرب. والأهم أن مواقف محسن السياسية تحشر نايف دائما. مثال ذلك موقف محسن الآن من قصة اليمين الفلسطيني وموقفه من حرب المخيمات. ونايف يعرف أن محسن محترم ومسموع عند أبوعمار وعند كل القيادات الفلسطينية، ويعرف ان محسن يتحدث عن مواقفه، هو نايف، بصورة سلبية ونقدية أمام قادة الجبهة وأمام كل القيادات الفلسطينية.

وفي سياق الحديث بيّن عصام ان لديهم تعليمات من أبو عمار بالتعامل مع كلام محسن باعتباره أوامر لهم جميعا وأنه يلتقي بين فترة وأخرى بقيادة "فتح" في لبنان بصورة جماعية. ولقاءاته مفيدة دائما فهي تخفف من مشكلات فتح الداخلية. وتحليلاته عن الوضع اللبناني والعربي دائما دقيقة وصائبة. وسأل ما رأيك في أن نلتقي به اليوم ولو لساعة. ومن المكن لقاؤه في المختارة عند وليد إذا تعذر اللقاء به في صيدا.

- أنا أستمتع باللقاءات مع أبو خالد، ولكن حالتي اليوم لا تسمح. ماذا سأقول له ولوليد عن موقف الجبهة؟ وماذا سيكون موقفي إذا سألاني عما سأفعل إن انسحبت الجبهة من مغدوشة.

فجأة، قرع جرس الباب. دخل عبد المعطي السبعاوي وباشر الكلام: أين أنت يا رجل؟ الختيار سأل عنك عدة مرات، وكذلك أبو الهول وأبو جهاد. سألوني عن بعض الأمور الداخلية في الجبهة. قلت لهم ممدوح معتصم في مغدوشة ولا يريد التحدث مع أحد. أبوالهول مصر على الحديث معك. بحثت عنك فلم أجدك. والحمد لله الذي ألهم أخانا أبو علي وتكرم علينا ودعانا الى بيته. هو دائما ينفرد بكم ونحن بصراحة نغار منه ونحسده على علاقته معكم. والان ما العمل يا اخ ممدوح ؟ قرار الجبهة معروف، والمهم عندنا هو قرارك الشخصي. أعتقد أن أبوعلي قد وضعك في صورة ما قاله أبوعمار بشأن وضعك".

- الدنيا صباح يا أبو ياسر، صبحك الله بالخير، أين علاء؟

- علاء في مغدوشة، ونحن قيادة "فتح" في لبنان موحدون اليوم على الخير والشر. متفقون وحبايب لأننا جميعا معرضون للموت في الساعات القادمة. قرار أبوعمار الجميع الجميع الى مغدوشة.

- هل ندخل في الموضوع يا أبوعلي أم ننتظر مكالمة أبو الهول؟

فضل عصام الإنتظار، ونهض باتجاه جهاز التلفون، وتحدث مع سنترال قبرص والتفت نحوي وقال أبو الهول يبحث عنا. وأخوك عبد المعطي أبو ياسر تحدث معه قبل قليل. وبيّن عصام أن عبد المعطي رجل أبو الهول في لبنان، وتقاريرة الخاصة يقدمها لأبو الهول فقط. وهذا يزعج الأخ أبوعمار. ورد عبد المعطي بأن هذا كلام غير صحيح، وقال إنه يكتب التقارير على نسختين، واحدة لأبو الهول والأخرى لأبوعمار.

مكالمة هاتفية حميمة مع هايل عبد الحميد "أبو الهول"

" صباح الخير أخ أبو الهول وآسف على الازعاج في هذا الصباح "، بدأت بهذا وأضفت مداعبا: "إن صاحبك نايف هو السبب، ويبدو لي أنه مصمم على مزاحمتك على العلاقة مع الأشقاء السوريين ومصمم على لطشها منك. اقتراحي أن تتنازل له عنها طوعا وأن تكلفه بالتوسط معهم لعلنا نحصل على حسنة واحدة من هذه العلاقة". واستجاب أبو الهول كعادته للمزاح: "أنا لا أسمح إطلاقا بالحديث عن صاحبي أبو النوف بهذه اللغة، والآن تأكدت من صحة قول صاحبي الرفيق الأمين العام نايف بأنك عرفاتي متمرد على قرارات الحزب وعليك أن تفهم أنه في الأحزاب الماركسية لا مجال للتمرد إطلاقا.

وأنا أكلمك بصفتي ممثل الماركسيين واللينينيين والشيوعيين الفلسطينيين، خصوصا من كانوا يوما قوميين عرب. وهذا التكليف حصلت عليه منذ تم عقد المجلس الوطني في دورته الخيانية التي عقدت في عمان.. وعندي كتب خطية بهذا التكليف من الزعيم المبجل أبو النوف، ومن المكتب السياسي للحزب الشيوعي، ومن قيادة الجبهة الشعبية. وإذا كنت معترضا على قرار الأمين العام بالإنسحاب من مغدوشة فعليك الخروج من الجبهة فورا، فلا مجال عندنا لمعارضة قرارات الحزب".

وبعد المزاح، بدأ أبو الهول حديثه:

كيف صحتك يا ممدوح، والله أني مشتاق ونشكر الله على وقوع مشكلة بينك وبين نايف حتى نسمع صوتك. أنا لم أعد أعرف نايف ولا أعرف إلى أين يريد الوصول. يا رجل كلمته أمس حول مغدوشة وشرحت له خطة السوريين، وأطلعته على كل المعلومات المتوفرة، وأعلمته بمصادرها مع أن هذا خطأ، إلا أنه رفض التجاوب معي وأصر على موقفه بالانسحاب من مغدوشة. تصور أنه يقول لي يا ممدوح إن هذه الحرب حرب ياسر عرفات ضد السوريين، ويحمل قيادة "فتح" مسؤولية عدم منع ياسر عرفات من تفجيرها. ومع الأسف الشديد انه حاول الدس عليك وتلبيسك الموضوع، وقال لي هذه معلومات مصدرها ممدوح.

ـ أعتقد أن التصريحات العلنية الصادرة عنا في لبنان تصلك. ما أريد أن أقوله هو أن صاحبنا تغير بعد الخروج من بيروت، وصار همه مراضاة السوريين. وهمه الآن يتركز حول العودة إلى دمشق بأي ثمن.

ـ أنت تعرف موقفي من موضوع العلاقة مع السوريين. فأنا الوحيد من بين جميع أعضاء اللجنة المركزية في "فتح" الذي لا زال محافظا على علاقته معهم. كل الإخوان ضد العلاقة وضد ترطيب الأجواء معهم. أنا الوحيد الذي ينادي بتصحيح العلاقة معهم ونسيان الماضي. فأنا أعتقد ان مصلحتنا كفلسطينيين وبخاصة في لبنان وفي هذا الظرف بالذات ان تكون علاقاتنا مع الجميع طبيعية ومن ضمنهم السوريون. أنا أعرف ان الموضوع كبير والإخوان متورطون في مشروع خطير وأكبر منهم. ما يجري الان عندكم هو استكمال لحرب ١٩٨٢، وهو ثمن عودة القوات السورية الى بيروت. انا صريح في الحديث معهم، وهمي الوحيد أن أوضح لهم أن المعروض عليهم ليس أكثر من عظمة خالية من اللحم. وهذه خدعة أمريكية كبرى هدفها توريطهم وضربنا بعضنا ببعض. قلت لهم شطب الورقة الفلسطينية في لبنان إضعاف للدور السوري في لبنان بالمنظور الاستراتيجي. والاخوان مخطئون إذا اعتقدوا ان بالامكان فصل القضية اللبنانية عن القضية الفلسطينية. كن على ثقة بان لا حل للقضية اللبنانية قبل الشروع الجدي في حل القضية الفلسطينية، والترابط بين القضيتين من صناعتهم وليس من صناعتنا[٧].

ـ اتفق معك تماما، ولكن المهم ان يفهمه صاحبك نايف. بعد بيروت، اختلفت حساباته تماما، بات يائسا، والمسألة الوطنية لم تعد هي الأساس، المهم استقرار وضع قيادة الجبهة في دمشق. وصاحبك الثاني أبو ليلى يساند بقوة هذا الموقف. نايف يريد مجاراة الجبهه الشعبية، وتحميل ياسر عرفات مسؤولية حرب المخيمات يريحه داخليا، ويستخدم كمبرر لعدم المشاركة في تحمل المسؤولية. ونايف يقول أن أبو اياد يحمل عرفات مسؤولية حرب المخيمات، وان حرب المخيمات وقعت لان ياسر عرفات عقد المجلس الوطني الفلسطيني في عمان، ويتهمه بتفجير هذه الحرب لتبرير سلوكه مع الأردن.

ـ أنت تعرف طبيعة علاقتي مع أبوعمار، أنا من القلائل الذين يواجهونه عندما يكون موقفه خاطئا. ولن تنجح لا أنت ولا كل العواذل في دق أسافين بين نايف وأبو إياد، أو بيني وبين أبو اياد، بالرغم من كل شيء فنحن جبهة موحدة ومتراصة. على كل، أنا كنت ضد خروج أبو عمار من طرابلس الى القاهرة، ولم أكن متحمسا لعقد المجلس الوطني في عمان. ولكن الآن أعترف بأن قرار عرفات كان قرارا صائبا، عقد المجلس الوطني أنقذ المنظمة، وحافظ على شرعية تمثيلها للشعب الفلسطيني وجعل المؤسسة التشريعية مؤسسة معترفا بها دوليا. يا رجل، ما حصل ليس بسيطا، ومعركة النصاب في المجلس الوطني زادت إحترام العالم للمؤسسة التشريعية الفلسطينية. العالم كله راقب معركة النصاب، أوروبا وأمريكا وكل الدول العربية راقبوا المعركة وتابعوا أعمال الدورة. وهذا له معانيه الهامة والكبيرة. أهمها أنهم ينظرون للمجلس باعتباره برلمان الشعب الفلسطيني مثله مثل البرلمانات الأخرى. وعلى كل حال، لا شيء مقدس عندنا سوى المصلحة الوطنية الفلسطينية. اتفاق عمان غير مقدس وأنا لا أريد التحدث على التلفون فكل شيء مراقب ومسجل. وما أريد أن أقوله هو أن نايف راكب رأسه، وكل ما قلته لك في بداية المكالمة هي كلمات نايف. لا أريد تحريضك عليه، قال لي كلاما غير معقول إطلاقا. وأبو ليلى مش فارقة معه. ولو كان عندي اتصال مع أبو ليلى لنصحته بالابتعاد عن نايف حواتمة قبل أن يبيعه ويتخلى عنه.

ـ مشكلتنا مع أبو ليلى أنه يعتبر نفسه منظر الجبهة والساحة الفلسطينية. اليوم سيصل هو وأبو ماهر الى صيدا.

ـ يعني اليوم ستنسحبون من مغدوشة؟ هل بالإمكان تأجيل الموضوع ولو ٤٨ ساعة ؟ حرام عليكم هذا غدر يا ممدوح، غدر بالشعب وغدر بالشهداء وغدر بالأحياء الشهداء الموجودين في الرشيدية وشاتيلا وبرج البراجنة، وغدر برفقة السلاح. وعلى كل، الخاسر الأكبر سوف يكون الجبهة الديمقراطية وقيادتها. قرار "فتح" يا ممدوح الصمود في مغدوشة. دوركم السياسي والعسكري كان أساسيا في هذه المرحلة ولكنكم ستخسرونه.

ـ أنا واثق بأن الشباب قد الحمل. لا تقلق على الوضع في مغدوشة. أنا واثق بانهم سوف يصمدون، سواء رحلت قوات الجبهة او بقيت. أنا ضد الانسحاب وسوف أقاومه

بكل السبل. سأناقش الأمر مع أبو ليلى وأبو ماهر اليماني. وحتى الآن أعتبر ما يقال عن موقف الجبهة مناورة. وأعتمد فقط ما اتفقت عليه مع ياسر عبد ربه خلال وجوده بطرفنا، سأتصل به، ومن المفيد الاتصال من جانبك. هو ضد الانسحاب كما فهمت منه. والاتصال من جديد مع نايف مفيد لإفهامه أن قوات الثورة سوف تبقى في مغدوشة، ان انسحاب الجبهة يدمرها داخليا ويفقدها كل السمعة الوطنية التي كسبتها في صفوف الشعب الفلسطيني، ويدمر كل التراث الفلسطيني الذي راكمته على مدى سنوات طويلة.

- هذا كلام قلته لنايف، ولا أظن انه سوف يتراجع. وبالرغم من ذلك، سوف أحاول الضغط على أبو اياد ليقوم بالاتصال مع نايف. أبو اياد مفجوع ومصدوم، وبإمكانك تصور عمق الصدمة إذا قلت لك انه يرفض الحديث مع نايف. ومن الضروري أن يفهم أبو ليلى وكل أعضاء المكتب السياسي للجبهة أن الموقف من مغدوشة سوف يترك آثاره على مستقبل العلاقة بين الجبهة و"فتح". هذا امتحان للوطنية الفلسطينية واستقلالية قرار الجبهة الديمقراطية. نحن الان نبذل جهودنا من أجل إستعادة الوحدة الوطنية الفلسطينية، وموقف الجبهة من مغدوشة يؤثر على هذه الجهود. تدمير جهودنا في هذا المجال حرام وجريمة. سأحاول الاتصال مع ياسر لكنه بعد عودته من عندكم إختفى. يبدو إنه غير قادر على تعطيل القرار، أو إنه انجرف مع التيار. على كل حال، يبدو ان السوريين اكتشفوا من إعتقال أبوالعبد عصام نقطة الضعف في مواقف الجبهة. إعتقال أبو العبد عصام له أثره يا ممدوح على قرار نايف وأبوليلى بالانسحاب من مغدوشة. أنا لا أفهم كيف يعتقل عضو مكتب سياسي ولا يصدر بيان أو تصريح من الجبهة يقول إنه اعتقل ويطالب بإطلاق سراحه[٨].

- معك حق يا أبو رضا، واقترح إصدار بيان باسم منظمة التحرير، فأبو العبد عضو في المجلس الوطني الفلسطيني.

- اليوم سوف نصدر بيانا. وإذا كانت قيادة الجبهة خائفة من ردود الفعل السورية فنحن في قيادة "فتح" مسؤلون عن كل الشعب الفلسطيني ومستعدون للدفاع عن كل عضو في قيادته. سكوت الجبهة على الموضوع مهين للجميع. وأنا من موقع مسؤوليتي الوطنية واطلاعي أعتبر هذا السكوت جريمة وطنية ولا أعتبره موقفا بريئا. دقق يا ممدوح، هذه رسالة موجهة لك ولياسرعبد ربه. أنا أعرف الناس بالعقلية السورية. إذا مر موضوع أبو العبد عصام بدون ضجة، فغدا سيطوّر الإخوان إجراءاتهم ضدكم، ولن تتوقف الأمور عند هذه الحدود. وبالمناسبة أرجوك أن تقلص من حركتك وأن تنتبه لنفسك. قرار شطبك صودق عليه من أعلى الجهات الأمنية. وأنا أتحدث عن معلومات رسمية وليس عن تحليل. جماعة أبو خالد العملة وأبو موسى حاولوا مرة وأحبطها وطني فلسطيني نحن أكرمناه على موقفه.

وقال أبو الهول: "لا أريد الإدعاء"، وأكد أنه سيضع التقارير والوثائق بين يدي يوما ما. وتمنى عليّ ان أتعامل مع الموضوع بجدية وبدون استهتار. وأشار إلى معلومات

مؤكدة تفيد أنني وعصام ممثل أبو عمار مطلوبين وعلينا الانتباه. ورأى أن إثارة ضجة حول إعتقال أبو العبد عصام عبد اللطيف يوفر حماية لي ولإخوان آخرين، والسكوت يشجع الأشقاء السوريين على التمادي، وهم لن يقبلوا من الجبهة بأقل مما فرضوه على المنشقين أبو موسى وأبو خالد العملة وأبو صالح. "انا اعرف أن هذه اللحظات حاسمة ومصيرية وأرجو أن لا يكون لكلامي أي تأثير على موقفك وعلى قرارك. لم أنم إلا بعد الساعة الرابعة والنصف، عملت المستحيل من أجل حمايتكم، واتصالاتنا العربية والدولية على مختلف المستويات لم تتوقف".

وأشار أبو الهول إلى أن ايران ستقوم بدور مهم خلال الأيام القليلة القادمة، ولقاءاتنا مع حزب الله مهمة ومفيدة وطلب متابعتها، والتعاون مع حزب الله مهم ومفيد جدا في هذه المرحلة. وقال إن عبد المعطي على إطلاع على الموضوع وعنده تعليمات واضحة بالتنسيق معي في كل الأمور وإمكاناته تحت تصرفي. وقال: أنا لا أريد صب الزيت على النار، لم أتوقع من نايف أن يقول عنك بعض ما قاله. تصور بكل بساطة يقول إن ممدوح سينفذ الانسحاب من مغدوشة وسوف يشرف شخصيا على سحب القوات، قلت وإذا لم ينفذ؟ رد وقال، إذا لم ينفذ سأفصله من الجبهة. ولا أريد أن أقول لك ماذا كان ردي عليه. أنا لم أسكت له، ولكني عرفت بدقة الى أي مدى نايف إبتعد عنا وعن القضية والى أي مدى هو مستعد أن يذهب".

- أبو رضا، القضية أكبر من ممدوح وأكبر من كل الأفراد. المسألة هل نحن موجودون لنبني مراكز وجاهات وزعامات لهذا الإنسان أو ذاك، أو أننا موجودون في أطرنا وتنظيماتنا لخدمة شعبنا وقضيتنا. كلنا ثرنا يا أبو رضا من أجل كرامة شعبنا وكرامتنا الشخصية. وعلى كل حال، عند الشدة تظهر الناس على حقيقتها، والأزمات هي التي تكشف عن معادن الناس.

- ممدوح، أريد رأيك الشخصي في حقيقة مواقف القوى اللبنانية وبخاصة وليد جنبلاط وأبو معروف وجماعة الحزب السوري القومي الاجتماعي، واللجان والروابط الشعبية بقيادة معن بشور وبشارة مرهج. بصراحة، تقارير إخواننا متناقضة، حتى الأخوين عصام وعبد المعطي الموجدين بجانبك تقرير كل منهما يختلف عن الآخر ويتناقض معه. الإثنان مجمعان على مدح موقف أبومعروف فقط. أخوك عبد المعطي يشكك في مواقف وليد ويتهمه بأنه يسعى لتوريطنا واستخدامنا كوجه وكدرع له. تقارير أخوك أبو علي لأبوعمار تجعل من وليد نبيا. أرجوك ان تبقي هذه المعلومة عندك وحدك. تقارير عصام تقول ان جماعة معن بشور والقومي يخشون السوريين ويصعب الاستفادة منهم. وكما تعرف أخوك أبو عمار لم يقطع المساعدة عن القوى اللبنانية حتى الآن. يا رجل هالكنا بالصرف عليها، وهالكنا من جهة ثانية بعدم تغطية متطلبات عمل جهازنا. كل يوم وفد لبناني طالع وآخر نازل من عند أبوعمار، بعضهم نعرفهم والبعض الاخر جديد علينا تماما.

- اخ أبو رضا، أنت تعرف أنها محضورة عندي الان، وأظن أن الحديث على التلفون مسجل كما قلت. ما أريد قوله هو أن موقف وليد مثل موقف أبومعروف وكل الناس الآخرين بركة وخير. ولا أحد يصلي لوجه الله، فكل من يذهب للصلاة يريد الغفران عن ذنوبه ويريد الثواب.

- ولكن تصريحات وليد قاسية ومزعجة جدا، وصاحبك أبو عمار لم يعد يتحملها، وأمس قرر وقف العلاقة معه، وأنت تعرف ماذا يعني هذا القرار.

- رأيي ان تستمر العلاقة مع وليد بكل أشكالها السابقة، بالرغم من ان اخوك أبوياسر بجانبي يبدي اعتراضه. وأظن أن من المفيد ترتيب لقاء بينك وبين وليد. وتصريحاته لا تعكس حقيقة موقفه. وإذا نايف حواتمة وجورج حبش وأعضاء مكاتب سياسية فلسطينية مضطرين كما يقولون على مجاراة مواقف الأشقاء السوريين ومراعاتهم فكيف بالذي قتل أبوه، وحياته مهددة.

- معك حق، وأرجو أن تكتب لنا رايك ولو باختصار حول مواقف القوى الاخرى حتى نستطيع التصرف معهم، وهذا يساعدنا مع أخيك أبوعمار. أود ان أسأل حول موقف جماعة أبو نضال صبري البنا. فهمت أنك ترغب في إدخالهم على الخط. خذ حذرك منهم يا ممدوح، هؤلاء ألعوبة بيد أكثر من جهة عربية ودولية. أقدر وضعكم وحرصكم على تجنيد كل القوى، ولكن لا تنس أن أبو نضال مشروع غير فلسطيني، وجماعته في لبنان مرتبطون مع المخابرات السورية - فرع القوى الجوية.

- الحذر ضروري، ولكن أعتقد ان دخول العقيد أبوعمر ومجموعته معهم في المجلس الثوري أحدث بعض التغيير على موقفهم في لبنان. وفهمت من العقيد أبو عمر انهم أصبحوا أصحاب ثقل في المجلس، وان أبو عمر نفسه صار المسؤول العسكري الأول للمجلس في لبنان واعتقد انه إنسان جيد.

- هذا رأي أخوك أبوإياد أيضا. وانت تعرف ان بعض جماعة أبو عمر لم تنقطع صلاتهم مع أبواياد[٩]. انا شخصيا غير مرتاح، وأشك في أن يكون السوريون أرسلوهم لتعزيز دور أبونضال وتقوية أوضاعه في لبنان على حساب المنظمة. جماعتهم في شاتيلا يعملون بوجهين. فهم من ناحية ضد "أمل" ويشاركون في الدفاع عن المخيمين لكن بعضهم يتآمر على أخيك علي أبو طوق قائد قوات المنظمة في شاتيلا، والأخت المناضلة آمنة سليمان عضو قيادة "فتح" في لبنان ومسؤولة قضايا المرأة، ويتآمرون على الإخوان الآخرين هناك ويسعوون لتصفيتهم. من المفيد إبلاغ هذا الى العقيد أبوعمر واختبار قدرته على التأثير على مواقف إخوانه هناك. حبذا يا ممدوح لو تتكلم شخصيا معه حول هذا الموضوع، وإذا أمكن اطلب منه سحب العناصر السيئة المتآمرة من هناك.

وبالمناسبة، تحدثنا مع علي أبو طوق ومع آمنة سليمان وتحدثنا مع مسؤولكم العسكري هناك حول موضوع مغدوشة، الكل مصدوم يا ممدوح من قرار الجبهة. مسؤولكم في

شاتيلا شاب فهيم تكلم بصورة مسؤولة وواعية، وطلبنا منه أن يتحدث معك ومع المكتب السياسي في دمشق. نايف مجنون، سياسته سوف تفقده كل الشباب الفلسطينيين الطيبين المخلصين. أمس كان عندنا اجتماع لجنة مركزية، الكل مفاجأ بموقف نايف، حساباته صغيرة جدا، ومن الضروري ان يفهم ان الدنيا ما زالت بخير. الثورة باقية والمنظمة باقية. صحيح أن الحرب على المخيمات الحقت خسائر كبيرة بشعبنا والحقت دمارا واسعا بالمخيمات، ولكنها، بصراحة، خدمتنا من نواحي عديدة. كنا نتمنى ان لا تقع، لكن وقوعها أكد للأمريكان وللإسرائيليين ان حرب ١٩٨٢ وحرب سلامة الجليل الاسرائيلية لم تضرب البنية التحتية للمنظمة في لبنان وان المنظمة لم تدمر.

في الاجتماع، فهمنا من أبوعمار ومن أبوجهاد ان الوضع العسكري بطرفكم ممتاز، وان أوضاع المخيمات ليست بالسوء الذي يجري الحديث عنه في وسائل الإعلام، وان المقاتلين وأهالي المخيمات يطالبون بحل ولكن ليس أي حل. نحن نريد حلا مشرفا لشعبنا ولقواتنا. وما قمت به في مغدوشة أعاد الاعتبار للعسكرية الفلسطينية.

- أكيد الجملة الأخيرة من أخوك أبوعمار.

- صحيح يا ممدوح ، وأنت واقف لي على الدعسة، أنا لا أريد ان أسرق أقوال القائد العام، وهو يقول ايضا ان مغدوشة أبرزت قيادات فلسطينية محنكة عسكريا وقادرة على ادارة معارك كبرى بغياب القيادة الأولى، وهذا اعتراف ليس بسيطا من أبوعمار كما تعرف. وانا أضيف: يبدو ان وجود القيادة سابقا في لبنان كان السبب في طمس العديد من الكفاءات القيادية الفلسطينية. أمس قلت رأيي بصراحة: أتركوا قيادة لبنان تتصرف فقد أثبتت جدارتها وأبرزت كفاءة عالية. معركة مغدوشة حركت العرب والعجم يا ممدوح. منذ احتلالكم مغدوشة، انهالت علينا الاتصالات العربية والدولية. حتى أصحابكم السوفييت تحركوا. ولكن حركتهم سلبية، يبدو ان البعثيين مخترقون الكرملين.. ومع الأسف الشديد، السوفييت يستشهدون باقوال نايف وجورج حاوي ويعتمدون تحليلاتهما بشأن افتعال عرفات لحرب المخيمات. موقف أبوانيس ونديم عبد الصمد وكريم مروة في قيادة الحزب الشيوعي اللبناني من الحرب الأولى مفهوم. ولكن تصريحاتهم الأخيرة غير مفهومة إطلاقا. المخيمات ليست وكرا للزعران والمخربين، أبو انيس لن يقبض شيئا من السوريين، وسوف يخرج من المولد بلا حمص، وما يقوله نايف للسوفيت طعنة في الظهر[١٠].

وأشار أبو الهول إلى أن نايف يقول للسوفييت ان عرفات فجر حرب المخيمات ويتهمه بأنه مسرور لابقائها مشتعلة حتى لو تدمرت بالكامل. ويقول ان عرفات يعتاش على دم الشعب الفلسطيني. ووصف هذا الكلام هذا بالانحطاط، وطلب العذر لانه منفعل من هذا السلوك ولن ينسى هذا الموقف المدان. واكد انه لا يدافع عن ياسر عرفات عندما يكون على خطأ، لكنه لا أسمح بالمساس بكرامة أي قائد فلسطينين وانه يدافع عن

الثورة وعن سمعة المنظمة. وتحميل المنظمة المسؤولية عن حرب المخيمات على لسان قائد تنظيم فلسطيني غير مقبول إطلاقا ويجب أن يحاسب عليه إذا كان في هذه الثورة من يحاسب. وقال " أنا أدافع عنكم وسوف أبقى أدافع عن كل المخلصين ".

وأشاد ابو الهول بدور الجبهة الديمقراطية في الدفاع عن المخيمات ووصفه بأنه كان أساسيا في الكثير من المحطات، وموقعها في اللجنة التنفيذية لا زال محفوظا. وذكّرني بخصوصية العلاقة بين الجبهة و" فتح ". وقال " أطلت الحديث وفي نهايته أريد أن أعرف منك أثر انسحاب قوات الجبهة من مغدوشة على صمود الشباب فيها، ومدى قدرتهم على الاحتفاظ بها، بصراحة أريد أن أعرف هل انسحابكم سيؤدي الى مجزرة في الكادر العسكري والسياسي لـ" فتح ". أمس أخوك أبو عمار أصدر أوامره باعتباره القائد العام لكل قيادات " فتح " وكوادرها الأساسية، الفلسطينية واللبنانية، بالصعود الى مغدوشة، وأظن أنهم أبلغوك القرار ".

قلت: أبو رضا، كن مطمئنا، وضع مغدوشة متين والشباب قادرون على الصمود اسابيع طويلة بدون قوات الجبهة ". وتمنيت أن لا نصل الى هذا الحد. وبينت له ان قوات " أمل " في المنطقة منهارة، وهذا ليس تقديرا شخصيا بل هو تقدير قيادات شيعية أساسية. ورويت له ما ذكره الشيخ ماهر حمود بهذا الخصوص وقلت إننا نامل أن ننجح في تطوير العلاقة مع حزب الله، "والشيخ عباس يا أبو رضا شيخ ماركسي وعلاقته بالمشيخة لا تختلف كثيرا عن مشيختنا نحن الإثنين ". وانه شاب ليبرالي منفتح على كل الأفكار، رجل سياسي محنك بلباس رجل دين. وحين سألت محدثي عما إذا كان قد دعا نايف الى تونس، أوضح أبو الهول أنه دعاه اكثر من مرة وإن أبو اياد دعاه أيضا، لكنه لا يريد الوصول الى تونس، وعينه على دمشق، ويبدو أنه صار متورطا معهم وقطع لهم وعودا وعهودا. ثم ان موقف نايف ضعيف، كما وصفه ابو الهول، ولا يستطيع الدفاع عنه. وقال له تفضل أنت وجميع إخوانك قيادة وكوادر الجبهة إلى تونس ونعيش بقية العمر بعضنا مع بعض، لكن نايف رفض. وأضاف أبو الهول: " سأتوجه الآن الى بيت أبو جهاد فهو قريب مني، سأفطر معه وأنقل له الصورة عن الوضع وبعدها نتوجه معا لطرف أبو عمار ". وأكد أنه وكافة أعضاء القيادة سيبقون طيلة هذا اليوم في حالة استنفار. وتمنى أن أكتب لهم ما جرى ما الشيخ عباس الموسوي زعيم حزب الله وما تم الاتفاق علية، وأن أرسل اقتراحات عملية محددة للاخ أبوعمار. وقال: " انت المسؤول العسكري الأول عن الوضع في لبنان وأبو عمار القائد العام وانت ملزم بالبقاء على اتصال مع قائدك القائد العام. ثم مازحني «هي عشائرية ولا عسكرية يا ممدوح». هذه مقولة أخوك أبوعمار الشهيرة أرددها نيابة عنه ".

وفي نهاية كلامه، تمنى أبو الهول لنا في قيادة لبنان التوفيق، و" أتمنى من كل قلبي لجبهتكم كل خير، وسوف نبقى حلفاء رغم أنف كل العواذل والأعداء. وطلب اليقظة والانتباه، ثم طلب التكلم مع أبو علي: " عيب واجبي ان أصبح عليه بالخير خصوصا

أني تكلمت صباحا مع عبد المعطي حتى لا يقول إن أبو الهول لا يتنازل للحديث مع زلم عرفات".

ناولت السماعة للاخ عصام وانا أقول الى اللقاء يا أبو رضا. وجلست مقابل عبد المعطي شارد الذهن أفكر في الذي قاله أبو الهول. فكرت في مصير الجبهة وفي مستقبلي فيها، وفي نتائج القرار الخاطئ بالانسحاب من مغدوشة على وضع الثورة وعلى الناس في المخيمات وعلى العلاقة بين "فتح" والجبهة.

- يبدو أن مفعول حديث أبو الهول فوري وقوي عندك، هذا ما تقوله تعابير وجهك. بهذه الكلمات رشقني عبد المعطي.

قلت معك حق يا أبو ياسر، أبو الهول إنسان صادق ووفي لأصحابه. وهو وطني فلسطيني مخلص لا يعرف المجاملة. مباشر في طرح الأمور يسمي الأشياء بأسمائها. رجل الوحدة الوطنية بكل معنى الكلمة لا يعرف التعصب التنظيمي إطلاقا. متعصب لفلسطين فقط. صحيح انه عضو مركزية "فتح"، ولكنني لم ألمس يوما أن أبوالهول يتصرف كقائد في "فتح". موقعه بما هو مسؤول عن الأمن يمكّنه من الاطلاع على خفايا الأمور ويجعل مواقفه دقيقة ومبنية على المعلومات. وأعتقد أن من سماه أبو الهول يصلح لأن يكون عالما في علم الاجتماع، فهو صبور، صامت، شاهد على التاريخ.

أبو الهول الصنم صامت في مصر ولكنه لو فاه ببعض ما عنده فسوف يسقط الكثير من نظريات التاريخ وعلم الكائنات والغيبيات. وأبو الهول الفلسطيني يفضل الإقلال من الكلام ويحتفظ لنفسه بالأسرار، وعندما يتكلم ينصت له الجميع بانتظار ظهور الحقيقة كما هي وبدون تزويق. لا يحب الخطب بل يكره فذلكة الكلام ويمقت اللف والدوران حول المواضيع، يدخل دائما في الأمور مباشرة ويتوجه نحوها ويتحدث باختصار. رجل المهمات الصعبة. وأجمل ما فيه صدقه وإخلاصه وأمانته. رجل نظيف، لا يحب الأضواء، ويبتعد دوما عن الكاميرات وعن عدسات التلفزيون، وهذ الموقف لا علاقة له بشغله في الأمن بل إنه نابع من قناعته بأن العمل هو الذي يؤكد حضور البشر وليس آلة التصوير وأجهزة الاعلام. ما قاله أبو الهول عن موقف نايف يدفعني للتعمق في التفكير، وعلينا وضع أسوأ الاحتمالات بالنسبة للوضع في مغدوشة.

أنهى عصام كلامه مع أبوالهول وجلس وهو يقول إن معلومات أبو الهول الرسمية تؤكد أن قوات الجبهة سوف تنسحب من مغدوشة خلال ٤٨ ساعة كحد أقصى. هذا موقف نايف، وهذا الموقف تم إبلاغه للسوفيت وللسوريين، وهذه معلومات تبلغها أبو الهول رسميا من السوفيت ومن أكثر من جهة. علق عبد المعطي بان معلومات المعلم أبورضا دقيقة دائما وهو لا يعتقد انك يا أخ ممدوح قادر على تغيير القرار او تعطيله. قبل حضوري قال لي ان وضع ممدوح صعب جدا. وتعطيل مثل هذا القرار يتطلب، كما قال ابو الهول، تدخلا خارجيا او تحضيرات داخلية مسبقة.

وروى عبد المعطي ان أبو الهول قال له إن ممدوح لم يرتب أموره من قبل لمثل هذا الموقف. وياسر لم يكن يتصور أن تصل الأمور الى هذا الحد وسوف تسير في هذا المنحى. وأكد عبد المعطي ثقته الشخصية المطلقة بكل كلمة يقولها أبو الهول وبمصادر معلوماته وتقديراته.

وبين عبد المعطي أن أبو الهول أنقذه من الموت أكثر من مرة، ولولا موقفه في طرابلس لما كان عبد المعطي موجودا في هذا المكان وعنده هذه المسؤوليات. وقال: "نحن كوادر "فتح" نظلم أنفسنا ولا نرحم أحدنا الاخر، سبحان الله لا أحد يحب الاخر، والكل يتربص بالآخر". واعترف عبد المعطي بان أولاد "فتح" موحدون دائما ضد الغريب أما حين يتعلق الأمر بعلاقاتهم بعضهم مع بعض، فهو يختلف. وكشف أن بعض إخوانه كتبوا خلال حصار طرابلس تقارير لأبوعمار وحملوه هو مسؤولية سقوط جبل تربل[11]، وابو الهول دافع عنه بقوة، وهو يعتز بعلاقته به. وبيّن أنه عاد الى لبنان ككادر من كوادر الأمن وليس من كوادر القوات. وبعد فترة ليست طويلة رضي أبو عمار عنه وعينه نائب قائد قوات "فتح" في لبنان ومسؤول العمليات المركزية.

قال عصام: "لا داعي لفتح الجروح، انت تعرف أن إخوانك يا أبو ياسر كتبوا لأبوعمار ان عصام سالم الممثل الشخصي لياسرعرفات عميل للمخابرات السورية وأني ألتقي بهم باستمرار وعندما أغادر صيدا للقاء مع وليد جنبلاط أو لتدبير السلاح يقولون عصام كان في بيروت أو ان عصام كان عند السوريين في شتورا، لكنهم جميعا جهلة بطبيعة علاقتي بياسر عرفات. أنا بدوي وفي ومخلص لياسر عرفات فقط. أنا وطني فلسطيني وياسر عرفات لم يؤمن حياته لأحد سواي. ممدوح يعرف أني الشخص الوحيد الذي كان مكلفا بتأمين منامة أبو عمار خلال حصار بيروت. كلكم تعرفون أن الموساد كان همه اكتشاف الأماكن الليلة والنهارية لتواجد ياسرعرفات لقتله. والكل يتذكر كم بناية دمروا ظنا منهم أن ياسر عرفات يتواجد فيها. رجال الموساد والمخابرات الأمريكية لم ينجحوا في معرفة أماكن إقامة أبو عمار. لا أحد يعرف كيف كنت أدبر البيوت السرية. في اليوم الواحد كنت أنقّله الى ثلاثة او أربعة مراكز وبيوت لا يمكن أن يخطر ببال أحد أن عرفات يمكن ان يتواجد فيها. ولولا علاقتي الشخصية مع وليد جنبلاط ومع كوادر الحزب التقدمي لما استطعت تأمين مستلزمات حماية ياسر عرفات في تلك الأيام العصيبة".

قلت: أبوعلي، الوقت من ذهب، وأنا أعرف أنك مغرم بالحديث عن ياسر عرفات، وانك مستعد للحديث عن علاقتك معه لعدة ساعات. دعنا يا أبوعلي ندخل في موضوعنا.

رد عصام بانه يريد أن يفهم أبو ياسر هذه القضايا علّه يوقف تقاريره السرية ضده، التقارير التي يرسل نسخة منها لأبو الهول والاخرى لأبوعمار.

علق عبد المعطي "أنا يا أبو علي لم أكتب تقارير ضدك ولكني بصراحة لا أستطيع وقف أي تقرير لاي أخ من إخواني في الأمن أو القوات".

قال عصام أن بالإمكان وقف التقرير الكاذبة والمنحطة. وبين عبد المعطي انه لا يوقف أي تقرير كي لا يتهم بإخفاء المعلومات عن القيادة. وقال إنه يرفع التقارير التي تصله حتى لو كانت ضد علاء او ضده شخصيا. بعض التقارير يعلق عليها وبعضها يرسلها كما هي بدون تعليق.

خطة مشتركة لمواجهة أسوأ الاحتمالات

ذكّرت القائدين الفتحاويين بأنهما صاعدان الى مغدوشة وقد يواجهان الموت فلا داعي لمثل هذا العتاب الآن. ومنيتهما بتوفر الوقت الكافي للجلوس ومناقشة هكذا أمور لاحقا. ودعوتهما الى البحث في ترتيب الوضع العسكري في مغدوشة. وقدمت لهما خلاصة لقائي بالشيخ عباس الموسوي، وبينت أني سألتقي بعد قليل بالحاج عبد الهادي حمادة لاني فهمت ان أبو عمار أعطى موافقته على تواجد قوات حزب الله في مغدوشة، فهذا يعني اننا متفقون على تمركز قوات حزب الله كقوة فصل بين قواتنا وقوات حركة "أمل" أي وقف معركة مغدوشة عند الحدود التي بلغتها الآن، أي وقف الاشتباكات قبل تطهيرها بصورة نهائية. وقلت ان هذه طبعا ثغرة أولى في موقفنا التفاوضي. والثغرة الثانية هي أننا لن نستطيع استخدام مغدوشة لاحقا لمتابعة الهجوم إذا اقتضت الضرورة ذلك. ونحن من الزاوية العملية نقبل وقف إطلاق النار قبل فك الحصار عن المخيمات المحاصرة وقبل إدخال التموين إليها. وهناك ثغرة سياسية وهي عدم وجود قوات أبومعروف في مغدوشة.

وبينت أن الشيخ عباس تعهد منع اقتحام مخيم الرشيدية وقال إن لديهم قرارا بإرسال أحد العلماء الى الرشيدية بانتظار وصول ممثل الإمام الخميني. وإذا دخل شيخ شيعي الى الرشيدية او ممثل الخميني فهذا يعني أن لا اقتحام لمخيم الرشيدية، ولا أدري ما سيكون رد فعل السوريين. وأضفت "فهمت من حديث الشيخ عباس ان السوريين ليسوا ضد دخول حزب الله الى مغدوشة. وانهم يفضلون معالجة الوضع على أساس بقاء قوات "أمل" في البلدة". وطالبت الاخوين بوضع تصور لأسوأ الاحتمالات ووضع خطة لملء الفراغ الذي قد ينشأ عن انسحاب قوات الجبهة. وكررت التأكيد على اني سوف أناضل بكل السبل لمنع تنفيذ الانسحاب ولكن مصلحة "فتح" والمصلحة الوطنية تتطلبان وضع خطة لمواجهة احتمال انسحاب قوات الجبهة. ولا مانع من ان يقوم أبو ياسر بالاتصال ببعض الكوادر والمقاتلين من الجبهة وحثهم على البقاء في مغدوشة وحتى الالتحاق بقوات "فتح"، كما يفعل الان. وأعتقد ان التركيز على المليشيا وعلى ابناء مخيمات عين الحلوة والجنوب يعطي نتائج أفضل. وأقترحت ان يتم الاتفاق على خطة لدخول قوات حزب الله، وان تنفذ العملية الليلة الساعة الثامنة مساء. وانه من المفيد إعطاء المسؤول العسكري للحزب الحاج عبد الهادي جهازا من شبكة

الاتصال التي نعمل عليها، أو جهازا يدويا يربطه مع إحدى المحطات الفرعية. ويمكن الطلب منه مثلا اشعال النيران في المواقع التي يدخلونها. ولا داعي لالتقاء عناصرنا مع عناصر حزب الله الليلة. في الصباح تنظم الاتصالات على المستوى القاعدي بحيث يتم التعارف بحضور قياديي من الطرفين.

قال: عصام إن ممدوح يتحدث وكأن قوات الجبهة قد انسحبت من مغدوشة وانه شخصيا غير موجود، "هذا أمر خطير جدا يا عزيزي وفيه الكثير من عدم الوفاء. لو كنت مكانك لتمردت على نايف حواتمة وعلى كل القيادة، ولا يفصل الرأس الا الذي ركبه. أنا تمردت سابقا على كل قيادة "فتح" لأسباب أقل بكثير. باستطاعتك الصعود الى مغدوشة وابلاغ الرفاق بحقيقة الموقف وبأنك سوف تبقى في مغدوشة، وأنا واثق بأنهم جميعا سيبقون في مغدوشة وسيتبعونك ويتمردون على هكذا قيادة. انا اعرف والاخ أبو ياسر يعرف ان كوادركم نظيفة، وطنية فلسطينية، ومع المحافظة على إستقلالية القرار الفلسطيني في وجه التدخلات السورية، وانهم جميعا ضد محاولات تركيع الثورة التي تقوم بها سوريا على يد "أمل" وغيرها. ثم تحداني: "ممدوح سجل علي، لن تستطيع العيش لاحقا مع هذه القيادة أنا واثق بهذا لأني أعرفك جيدا. الإنسحاب من مغدوشة يعني إنكسار الزجاج بينك وبينهم، والزجاج عندما ينكسر يستحيل تجميعه من جديد".

قال عبد المعطي: "اوف هذا تحريض مباشر يا أبو علي. والأخ ممدوح لا يحتاج الى تحريض، نحن جميعا جنوده باعتباره أعلى رتبة منا، وهو عضو في المجلس العسكري الاعلى وقائد قوات الثورة الفلسطينية في لبنان. اقتراحي أن يصعد الى مغدوشة ويرابط هناك باعتباره قائد قوات الثورة وليس قائد قوات الجبهة".

ضحكت وقلت:

الموضوع فعلا مضحك ومبك في آن واحد. لا أريد أن أثقل عليكم في فتح. ولا أريد تدمير علاقة الجبهة بـ"فتح" ولو لفترة أعلم انها لن تكون قصيرة، وليس لدي أي رغبة في أن أتحول إلى قائد تنظيم فلسطيني جديد صغير. لا أريد أن أصير أمينا عاما أو ما شابه ذلك، ولا أطمح في الانضمام لركب الأمناء العامين إطلاقا، وأعرف أن "فتح" قادرة على تحويلي إلى أمين عام إذا أرادت، وان أبوعمار مستعد دخول معركة كسر عظم مع نايف إذا حسمت أمري. لكني يا إخوان دخلت حلبة النضال لخدمة قضيتي ولم أفكر في المناصب. ما تقولونه يعني قيادة تمرد وانشقاق مدعوم من أبو عمار ومن "فتح". وانا أعرف ان أبو عمار قادر على حماية هكذا تمرد وانشقاق. لكني أنا ضد هذا السلوك، خصوصا ان الحركة الوطنية الفلسطينية تمر في مرحلة تراجع وانحسار، وانشقاق الجبهة الآن يولد تنظيما صغيرا لا يمثل جديدا في الساحة بل يضيف إسما لأسماء الفصائل والتنظيمات الكثيرة الصغيرة الموجودة في الساحة. ولكم علي عهد بأن لا

أبقى في الجبهة إذا وقع الانسحاب. حتما سأبقى في الثورة، وباستطاعتي أن أجد لي مكانا في هذا الجسم النضالي الفلسطيني الواسع، دون الانتماء لأي فصيل أو الالتحاق بأي تشكيل او عصابة من العصابات والفصائل المسلحة الموجودة. أوضاع فصائل الثورة يا اخوان بدأت تتحول تدريجيا إلى أوضاع شبيهة بالعصابات غير الثورية. لدينا عصابات كثيرة. فلنترك موضوع الجبهة، وانا أعرف كيف سأتصرف وكيف أتدبر أمري في حال وقع الطلاق. دعونا نكمل مناقشة موضوع مغدوشة ودخول حزب الله.

قال أبو علي: "أنا موافق على كل ما قلته فهو ينسجم مع موقف الاخ أبو عمار ومع موقف القيادة. وقبل قليل سمعنا كلام أبو الهول، وامس سهرنا على الهاتف حتى الصباح مع أبوعمار.

قلت سجل يا أبو علي للتاريخ وللشغل: أولا أكد الاخ ممدوح نوفل عضو المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية وقائد قواتها المسلحة على موافقة الجبهة على.. قطع أبو علي الكلام وقال أرجوك هذه وثيقة تاريخية ولا بد من تسجيل نقاطها بدقة وأمانة. أنت لست قائدا لقوات الجبهة فقط أنت قائد قوات الثورة في لبنان في هذه المرحلة.

قلت سجل يا أبو علي كل ما تريد وشر البلية ما يضحك ويتحول الى نكتة. سجل: أولا: الموافقة على دخول قوات حزب الله الى مغدوشة إعتبارا من الساعة الثامنة من مساء اليوم، وأن يكون تموضعها في نطاق مواقع قوات "أمل"، ويتحمل حزب الله المسؤولية عن كل طلقة تطلق من المواقع التي تتواجد فيها قواته.

ثانيا: يلتزم حزب الله بادخال أحد المشايخ الى مخيم الرشيدية، وآخر الى مخيم برج البراجنة وثالث الى مخيم شاتيلا إذا أمكن ذلك على أن يتم ذلك اليوم أو غدا صباحا كحد اقصى.

ثالثا: تقوم "فتح" بوضع اعداد من قواتها في كل المواقع والمحاور الأمامية المسند لقوات الجبهة الديمقراطية في مغدوشة ويمكن للجبهة إرسال أعداد من قواتها الى مواقع قوات "فتح"، أي تحويل كل المواقع الفلسطينية في مغدوشة الى مواقع ومحاور مشتركة من الطرفين.

رابعا: تبقى قوات الإسناد المدفعي موحدة وتلتزم مدفعية الجبهة بالقيام بكل الواجبات التي قد تطلب منها. ويحظر على الجبهة سحب مدافعها من المرابض المشتركة.

خامسا: يتم الرد على مصادر النيران التي تطلق باتجاه مواقع قوات الثورة بغض النظر عن مصادر هذه النيران.

سادسا: يعمل على عقد اتفاق رسمي لوقف إطلاق النار وفك الحصار عن المخيمات وأن يتم ذلك باشراف أبو معروف والقوى الوطنية اللبنانية الأخرى.

سابعا: ابلاغ أبو معروف باستعدادنا توضيع مقاتلين من قوات التنظيم الشعبي الناصري ضمن مواقع قوات الثورة في مغدوشة مقابل تموضع قوات حزب الله في مواقع الطرف الآخر.

ثامنا: وضع حاجز من الشرطة العسكرية الفلسطينية ومن قوات التنظيم الناصري على مداخل مغدوشة لمنع السرقات حتى لو تطلب ذلك إستخدام القوة.

سجل أبو علي جميع النقاط واتفقنا على تبليغ هذه النقاط الى وليد جنبلاط وكل القوى الوطنية اللبنانية الأخرى. سأل عبد المعطي هل ستنسحب قوات الجبهة من قرى شرق صيدا أعني عين الدلب والقرية وجنسنايا وبيصور. قلت: لا، إنها سوف تبقى في مواقعها والإشكال محصور في مغدوشة. قال عبد المعطي إذن سجل نقطة تاسعة تلتزم قوات الجبهة بالبقاء في المواقع التي تتواجد فيها في قرى شرق صيدا.

سجل أبو علي النقطة. وتساءل عبد المعطي عن امكانية تسجيل نقطة عاشرة تقول إن من حق أي كادر أو مقاتل من الجبهة البقاء في مغدوشة مؤقتا مع قوات "فتح"، أي اعطاء المقاتلين حق الانسحاب او البقاء. فوافقت على هذه النقطة من حيث المبدأ، وقلت إن من الضروري الشغل الجدي عليها وحبذت عدم تسجيلها مكتوبة فهي تمس الأوضاع الداخلية للجبهة وإذا سجلت كنقطة اتفاق فقد تتحول الى حكاية كبيرة يستخدمها اصحاب قرار الانسحاب ليغطوا على الصراع الداخلي الجاري واللاحق حول الإنسحاب من مغدوشة، وعندها سوف يقال إن ممدوح باع مقاتلي وكوادر الجبهة لحركة "فتح". وأنا لست في حاجة الى مشاكل فرعية تغطي على قصة مغدوشة. فأقر عبد المعطي رأيي.

وسأل أبو علي عمن سيبلغ هذه النقاط الى الجهات المعنية، أي حزب الله وأبو معروف ووليد جنبلاط والقوى اللبنانية الأخرى. قلت أني سأبلغ الأمر إلى الحاج عبد الهادي من قيادة حزب الله ويفضل ان يقوم أبوياسر من جهته تبليغه الى الجهات الاخرى في حزب الله. وكررت طلبي استثناء النقطة المتعلقة بتواجد قوات الجبهة.

قال عصام إن موقف الجبهة محزن جدا، وهو ملزم بارسال النقاط فورا للأخ أبوعمار واخذ موافقته وتوقيعه بالقلم الأحمر عليها، وكل نقطة او فاصلة يضيفها تعتبر جزء من النقاط. قال عبد المعطي إنه سيقوم بإرسالها للاخ أبوالهول، وسيرسل نسخة للاخ أبوعمار واخرى للحاج اسماعيل واللواء عبد الرزاق المجايدة باعتبارهما أعضاء في لجنة لبنان المسؤلة "شكليا" عنا[١٢]. وقالا كلاهما من المستحيل ابقاء الموضوع محصورا بيننا. من هنا اقترحت ان نرسل النقاط بوصفها مشروع اتفاق ونبلغ الى حزب الله كل ما يتعلق به، وطلبت فرصة حتى المساء كي أبذل محاولة أخيرة مع رفاقنا في دمشق، ومع أبوليلى، الذي سيصل بعد ظهر اليوم، وكان من رأيي ان من الأفضل ارسالها الى أبو عمار على أنها مشروع ورقة. قال أبو علي إنه موافق وتعهد بان نبقى على اتصال ويفترض ان نتحرك معا لطرف أبو معروف ووليد جنبلاط، فهو لا يستطيع ابلاغهما بتوجهاتنا وحده.

قال عبد المعطي إنه موافق ولاسيما اننا بحاجة لبعض الوقت لإجراء بعض الترتيبات الميدانية. ثم أنبأني بأنهم اتخذوا منذ مساء الامس بعض الخطوات الاحتياطية تحسبا لأي مفاجئة.

ـ تصرفوا كما تشاؤون، فهذا حقكم وواجبكم الوطني. ما أصعب ان يعيش الإنسان صراعا مع الذات بين قناعته الشخصية وبين الإلتزام بقرارات التنظيم خصوصا عندما يكون الفرد على حق ويكون التنظيم على خطأ. تبا لهكذا أحزاب ولهكذا علاقات حزبية ديكتاتورية.

قال أبو علي: " وانا اضيف من عندي، تبا لهكذا فصائل واحزاب وقيادات تتحكم برقاب العباد وتتاجر بالوطن وبدم الشعب وبكل القضية ". انتقلت الى الحديث حول وضع مغدوشة: هدوء كامل، ولا طلقة منذ الصباح، وتساءلت عن سر هذا الهدوء.

قال عبد المعطي إنهم حاولوا أمس تحسين مواقعهم، وأكلوها. وتذكّر محمود خليفاوي وأبو سمرة فقد كانا يطمحان لطرد " أمل " من كل مغدوشة وكانا يريدان فك الحصار عن المخيمات المحاصرة. ليقول : "لا أدري ماذا سيكون موقفهما من الانسحاب من مغدوشة فيما لو بقيا أحياء؟ " قلت: " ضد الانسحاب ولا داعي لصب الزيت على النار ".

تركت منزل عصام وتوجهت الى المقر. وهناك، التقيت فهد وسألته عما إذا كان الشيخ عبد الهادي قد حضر؟

صحيح انتظرك نصف ساعة، غادر بعدها وقال انه موجود عند الشيخ ماهر حمود. اقتراحي إهماله، أنا أهملته تماما، فكرت الباشا باشا طلع الباشا هو الزلمي عبد الهادي حمادة اياه الذي عمل في جهاز أمن الجبهة. واقترح فهد تكليف رمزي باللقاء معه، خاصة أن رمزي كان مسؤولا عنه. والأهم من لقاء حزب الله هو لقاء السوريين او من يمون عليهم.

قلت، لكن عبد الهادي مسؤول عسكري في حزب الله، ونحن نتعامل مع قوة سياسية. على كل أنا سالتقيه بعد قليل، ثم إن أي لقاء الآن مع السوريين يتسبب لنا بفضيحة سياسية ولن نخرج منه إلا بسواد الوجه مع الناس.

تحركت الى منزل الشيخ ماهر فوجدت الحاج عبد الهادي بالانتظار. ولم أكن بحاجة ليعرفني على نفسه. واقترحت أن نتحرك الى المخيم لأن اجتماعنا يجب أن يتم هناك لاعتبارات سياسية وعملية، واستأذنت الشيخ ماهر الذي رحب بالفكرة وحيا الشجاعة الشخصية والروح العملية، وقال إن الشيخ عبد الهادي أمانة في عنقكّ. فطمأنته:

ـ لا تخف ياشيخ، عبد الهادي ابن الجبهة والثورة قبل ان يكون شيخا وهو ابن المخيمات الفلسطينية يعرف ناسها مثلي وأكثر مني.

في الطريق إلى المخيم حدثني عبد الهادي عن نفسه وعن مسئولياته وكيف تاب وانتسب الى حزب الله وأدى مناسك الحج وزار ايران. وفي مكتب الجبهة في المخيم، استرسل عبد الهادي في الحديث عن سيرته الشخصية وتطور مواقفه السياسية ومفاهيمه الفكرية والتنظيمية والنضالية. قاطعته: "جيد يمكن ان نلتقي لاحقا ونتحدث مطولا عن تطور حياتنا الشخصية والنضالية"، واقترحت ان ندخل مباشرة في ترتيب دخول حزب الله إلى مغدوشة. ونقلت له موافقتنا المشتركة "فتح" والديمقراطية على دخولهم والنقاط الأساسية التي تم تثبيتها في منزل عصام. وتركت وضع الترتيبات الميدانية للقاء يعده الحاج مع الرفاق في مغدوشة، عبد الكريم وماهر حمدي وابو جهاد وابو فادي والاخرين. واقترحت عليه أن يتحرك هو فورا من المخيم الى مغدوشة وأن يسلك طريق درب السم ويمر عبر مواقع قواتنا وقوات "فتح". وصارحته باني أريد ان يفهم الجميع ان الحزب يقف بجانب الفلسطينيين ولا يقاتل مع "أمل".

فرح الحاج كثيرا، ونهض فكلفت مرافقي مرافقة عبد الهادي الى أول موقع من مواقع قوات الجبهة في مغدوشة. وأرسلت ملاحظة عبر اللاسلكي الى عبد الكريم لاستقبال عبد الهادي والاتفاق معه على موعد يعقد بحضور الإخوة في "فتح" يسبقه لقاء مع المعنيين من "فتح" للاتفاق الثنائي أولا قبل الاتفاق مع حزب الله. وطلبت أن يتم وضع الترتيبات العملية لدخول قوات حزب الله الى مغدوشة، وان تكون مواقعهم في مناطق "امل".

فتح الشيخ عبد الهادي حمادة جهازه وتحدث مع المعنيين في قيادة حزب الله، وانطلق فرحا. بعد أن اتفقنا على لقاء آخر في بلدة مغدوشة، وتحرك معه المرافق والسائق جمال وعماد ليؤمنا له سلامة الخروج من المخيم والوصول الى مقر عمليات الجبهة الديمقراطية في مغدوشة، وأن يتصل بي من هناك.

هوامش الفصل الثاني عشر

١ـ حسب قواعد العمل في اللاسلكي يحذر على من ليس له علاقة دخول غرف الاتصالات باعتبار أن ما يجري داخلها وما يرسل على الاجهزة يندرج تحت بند اسرار لا يجوز الاطلاع عليها لغير المعنيين بها. وطبعا النوم في هذه الغرفة مسموح فقط للعاملين في ذات المحطة.

٢ـ مشغرة: بلدة لبنانية تقع في البقاع الغربي وهي قريبة من بحيرة القرعون. ورغم قربها من الحدود الإسرائيلية اللبنانية، تمركزت فيها وحدات مدفعية ثقيلة للجيش السوري بدعوى حماية انتشار وحدات الجيش في منطقة جزين. ومن مواقعها في جزين، شاركت المدفعية في تقديم دعم واسناد لقوات "أمل".

٣ـ استجابة للموقف السوري، قامت قوات المنشقين عن "فتح" جماعة "فتح"ـ الانتفاضة بقيادة أبو موسى وأبو خالد العملة بالتحرش بمواقع الجبهة الديمقراطية التنظيمية والعسكرية في بيروت والجبل والشمال والبقاع بهدف الضغط على قيادة الجبهة لوقف تحالفها وتعاونها مع جماعة عرفات والإنسحاب من مغدوشة هذا من جهة، ومن جهة اخرى حاول المنشقون اغراء قيادة الجبهة بالانضمام إلى جبهة الإنقاذ لكن الجبهة الديمقراطية لم تنضم لتلك الجبهة.

٤ـ في بداية انطلاقة الجبهة الديمقراطية عام ١٩٦٩، عملت قيادتها على تأمين مداخيل مالية، واشتغل جهاز الامن تحت اشراف لجنة المالية في تهريب السجاير من الكويت، إلى سوريا ولبنان والاردن. ووظف الجهاز في هذا المجال عددا وافرا من العناصر اللبنانية وبنى علاقة مع المهربين في لبنان.

٥ـ في سياق عمليات الضغط والابتزاز للالتحاق بجبهة الرفض، اعتقلت القوات السورية رفيقتين من كوادر الجبهة الديمقراطية من قيادة المنظمة النسائية. وكانت عملية الاعتقال بمثابة رسالة واضحة بان المخابرات السورية لن تتردد في اعتقال قيادات وكوادر اساسية في الجبهة.

٦ـ في سياق تعزيز مكانة "فتح" والثورة في لبنان، قدم أبو عمار مساعدات سخية لصف واسع من الاحزاب والجماعات والشخصيات اللبنانية بعضها له تاثيره في المجتمع وآخرون هامشيون لا يتمتعون باي وزن او تاثير ولا نفوذ.

٧ـ في مرحلة التواجد الفلسطيني الكثيف في لبنان ١٩٧١ـ١٩٨٢ سادت نظرية فلسطينية خلاصتها تشديد الترابط في حل القضيتين الفلسطينية واللبنانية، واعتقدت القيادة الفلسطينية ان سيطرتها على لبنان توحّد المسألتين لجهة حلهما. وجاءت التطورات اللاحقة على حرب ١٩٨٢ وبعدها المصالحة الوطنية بين الاطراف اللبنانية ومؤتمر الطائف، واكدت خطأ هذه النظرية وتم فصل القضيتين. والنظرية ذاتها تحكمت بالموقف السوري. وحاولت القيادة السورية اقناع العالم بان استقرار لبنان ممكن فقط من خلال التواجد السوري، وان سوريا سوف تبقى في لبنان لحين حل قضية الجولان. مؤخرا نسفت الادارة الأمريكية بتنسيق مع فرنسا ودول الاتحاد الاوروبي النظرية واجبرت القوات السورية على الإنسحاب من لبنان إلى داخل الأراضي السورية.

٨ـ بفعل دور الجبهة الديمقراطية في مواجهة حروب "أمل" على المخيمات، فرضت المخابرات السورية اجراءات استثنائية ضد تنقلات كوادر الجبهة وقيادتها في المناطق اللبنانية الخاضعة لسيطرتها. وبعد مساعدة قدمتها كوادر الجبهة وقيادتها في لبنان إلى أبو جهاد في الانتقال من بعلبك إلى طرابلس، شددت سوريا اجراءاتها ضد كوادر الجبهة واصبح عدد من قيادة الجبهة مطلوبا للسوريين. وكنت واحدا من المستهدفين وأقمت في منطقة صيدا ولم اتحرك خارجها فترة طويلة استمرت عمليا حتى تاريخ مغادرتي لبنان اواخر آب عام ١٩٨٨. وفي حينه ترددت قيادة الجبهة الديمقراطية في اصدار بيان يفضح اعتقال المخابرات السورية عضو مكتبها السياسي عصام عبد اللطيف وخشيت ان تنفذ

القيادة السورية تهديدها اعتقال اعضاء آخرين في المكتب السياسي في حال اصدر الجبهة بيانات وخلقت ضجة سياسية حول الموضوع. وتحولت هذه القصة إلى أحد قضايا الخلاف الداخلي التي ادت إلى الانشقاق.

٩ـ أقام أبو إياد باعتباره مسؤول الامن المركزي علاقة مع كوادر المنشقين. ونجح في اختراق جماعة أبو نضال، ولم يتردد أبو نضال في اعدام كل من اكتشف ان له علاقة مع "فتح".

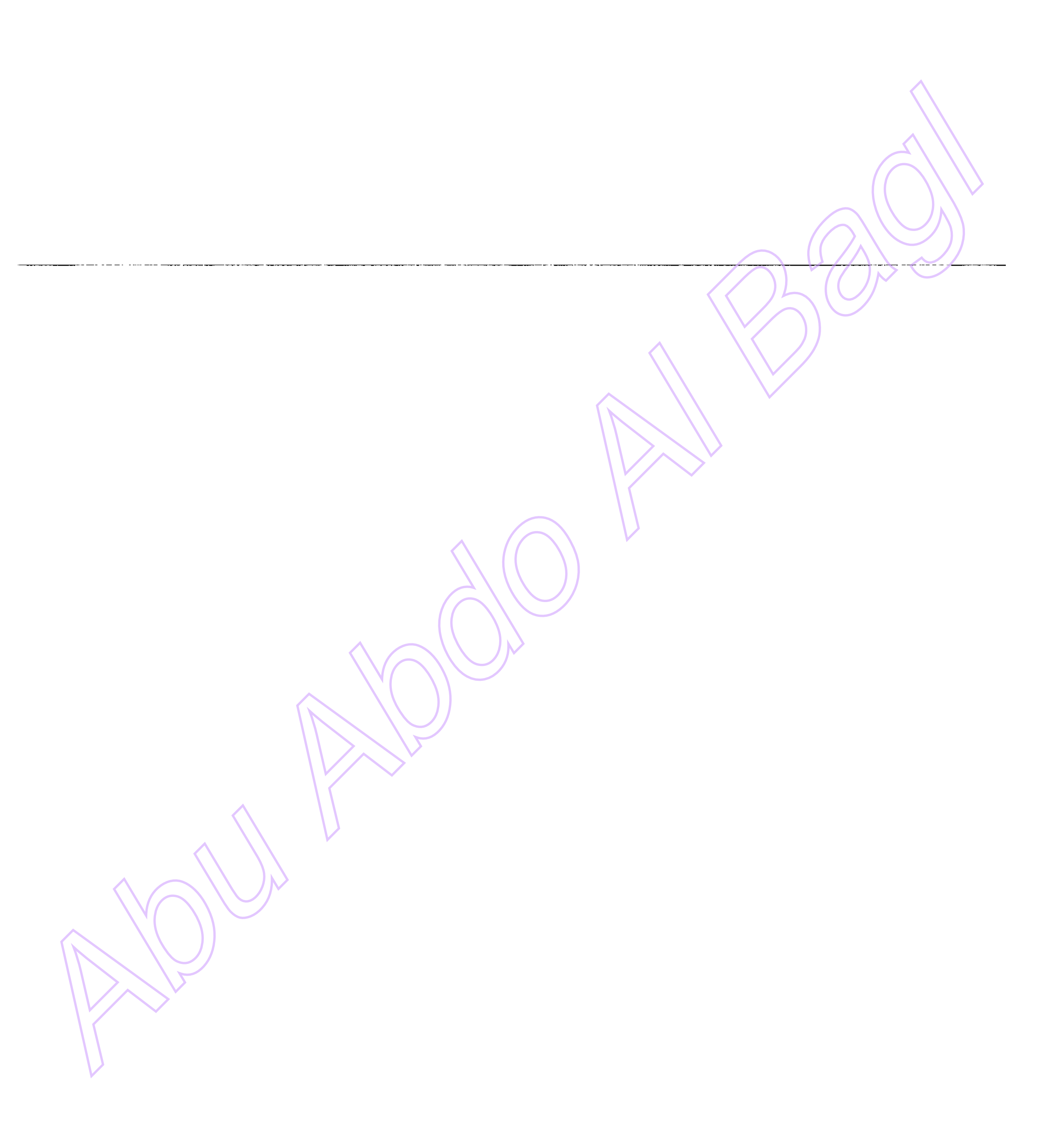
١٠ـ لعب جورج حاوي أمين عام الحزب الشيوعي اللبناني ونايف حواتمة امين عام الجبهة الديمقراطية دورا مباشرا في تحريض القيادة السوفيتية ضد عرفات وتوجهاته في لبنان ونحو اعادة العلاقة مع مصر والاردن واظن أن دور حاوي ونايف كان له تأثيره في الموقف السوفيتي السلبي من منظمة في تلك الفترة.

١١ـ تربل: مرتفع جبلي يشرف على مدينة طرابلس ومخيمي البارد والبداوي الفلسطينيين، نجحت قوات أبو موسى ومعها قوات جيش التحرير الفلسطيني بمساندة القوات السورية في احتلاله في فترة الحرب ضد عرفات ومحاصرته في طرابلس عام ١٩٨٣، وكان لسقوط هذا الجبل اثرا مباشرا في سير معركة طرابلس التي انتهت بترحيل عرفات وقوات "فتح" من المدينة على ظهر البواخر.

١٢ـ بعد خروج منظمة التحرير من لبنان عام ١٩٨٢، شكل أبو عمار لجنة خاصة سميت لجنة لبنان كان مقرها في تونس وضمت في عضويتها اللواء عبد الرزاق المجايدة والحاج اسماعيل جبر وأبو خالد العربية وعبر هذه اللجنة أدار أبو عمار الصراع في لبنان وتابع اوضاع تنظيم "فتح" من غزة ورام الله.

الفصل الثالث عشر

محاولة أخيرة لتعطيل قرار الإنسحاب



محاولة أخيرة لتعطيل قرار الإنسحاب

مواجهة ساخنة وتبادل الاتهامات

قبل مغيب الشمس، أرسل أبومعروف رسالة يستغرب فيها تغيبي عن الاجتماع الوطني الفلسطيني اللبناني الذي انعقد في بيته بحضور ابو ليلى وابو ماهر اليماني المبعوثين القادمين من دمشق لمعالجة وضع مغدوشة. توجهت إلى مقر العمليات للإستفسار عن ساعة وصول أبوليلى إلى صيدا والتدقيق في الخلل الذي حصل في عدم تبليغي موعد الاجتماع.

الوضع غير طبيعي، أبو معروف يدعو لاجتماع ولا أعرف به، موفد المكتب السياسي أبوليلى يصل صيدا ولا أحد يبلغ، اجتماع وطني حاسم يعقد في بيت أبومعروف أغيب قسرا عنه. تغيب "فتح" عن هذا الاجتماع أمر طبيعي ومفهوم أما تغيبي فلا مبرر له إطلاقا وستبنى عليه عدة تفسيرات سياسية.

في غرفة العمليات، استفسرت عن رمزي وقيل لي أنه مع أبو ليلى في اجتماع عند أبو معروف. عدت للبيت لتحضير الذات للمواجهة بعدما بلغ اللعب من خلف الظهر مستوى غير مقبول لم يعد مسموحا به من وجهة نظري. وعدم تبليغي الاجتماع مقصود، والأرجح أنه تم بالاتفاق بين أبوليلى وفهد ورمزي رباح ، والهدف هو تمكين أبو ليلى من طرح الموقف من الإنسحاب باعتباره أمرا مفروغا منه بالنسبة للجبهة. والرفاق يدركون ان وجودي سوف يخلق اشكالات امام القوى الوطنية المشاركة في الاجتماع ويظهر تباينا في موقف الجبهة. نعم، توجه أبو ليلى مع أبو ماهر اليماني عضو المكتب السياسي الى بيت أبو معروف مباشرة ليقول ما يريد ويؤكد امتلاكه صلاحيات تنفيذ الإنسحاب. وأظن أن تغيب فهد عن الاجتماع هو جزء من المسرحية يتضمن فصلا من فصول الإنتهازية.

فهد يريد تجنب الاحراج أمام القوى الوطنية اللبنانية التي سمعته مرات كثيرة يقول أن لا للإنسحاب من مغدوشة قبل فك الحصار عن المخيمات. وهو يريد أيضا أن يفسح في

المجال أمام أبو ليلى رسول مركز القيادة في دمشق كي يكون الناطق الرسمي الوحيد باسم الجبهة الديمقراطية، ويعفي نفسه من صدام مباشر معي حول عدم تبليغي نبأ الاجتماع. والتقاليد الحزبية تفرض على رمزي ومن هو من مستواه الحزبي من أعضاء اللجنة المركزية الصمت في اللقاءات الوطنية في حضرة أعضاء في المكتب السياسي. والتقاليد الحزبية ذاتها تمنع عضو اللجنة المركزية من قول رأيه او ملاحظاته على أي موقف يقوله عضو المكتب السياسي في اللقاءات مع القوى الأخرى، حتى لو كان الموضوع المطروح جديدا وإبن لحظته وغير مناقش مسبقا. ورمزي رفيق من نوعية غير صدامية تربى في مؤسسة الأمن، في العادة يؤثر الصمت وبالكاد يطرح مواقفه في الاجتماعات الداخلية، لاسيما إذا تباينت المواقف وكان له رأي مخالف لرأي الأمين العام وأعضاء في المكتب السياسي، وهو من النوع الذي يحتفظ بموقفه ولا يتردد في تغييره وفقا لمواقف القيادة او القائد المباشر(١).

قلت لنفسي إن الإنسحاب من مغدوشة سيقع طالما أنك ترفض التمرد والتمترس في مغدوشة. وما دام أن الإنسحاب سيقع فلابد من ان يفهم نايف وأبو ليلى ان ثمنه كبير على المستوى الوطني وعلى المستوى التنظيمي الداخلي.

مضت ساعة، ساعتان، وأبو ليلى ورمزي لم يعودا من الاجتماع، وفهد متغيب وشبه مفقود وجهازه لا يجاوب. أرسلت عماد إلى بيت أبو معروف للتأكد مما إذا كان الاجتماع مستمرا. عاد وقال إن الاجتماع إنتهى منذ أكثر من ساعة. إذن، بعد الاجتماع، عقد الرفاق فهد وأبو ليلى ورمزي وربما إلياس عضو قيادة الإقليم مسؤول الإعلام خلوة لتدارس الموقف.

في حدود العاشرة مساء، حضر أبوليلى ورمزي، واستقبلتهم بفتور وجفاء شديدين. جلسا واستفسرا عن فهد. ضحكت وقلت أعتقد انكم أدرى.

قال أبو ليلى، إن فهد لم يحضر الاجتماع، وأقسم أنه لم يلتقه حتى الآن. ورجح رمزي ان يكون فهدد في بيت الرفيق الياس. وحين ذكّرتهما بان الاجتماع في بيت أبو معروف إنتهى منذ أكثر من ساعة قال أبو ليلى إن هذا صحيح وأنه هو بقي مع أبو ماهر اليماني ثم ذهبوا إلى مكتب الشعبية، وكان هناك بعض ممثلي جبهة الانقاذ.

قلت إنكم عقدتم اجتماعا مصغرا خاصا لتدرسوا كيف تواجهون تمرد ممدوح.

قال رمزي: "كلا، لم يحصل مثل هذا الاجتماع، أنا بصراحة تركت أبوليلى في مكتب الشعبية وذهبت للبيت لترتيب العشاء".

قلت على كل حال، هذا موضوع مهم لكنه فرعي، دعونا ندخل في الموضوع الرئيس.

- سأل أبو ليلى من أين نبدأ ؟

- من آخر اجتماع عقد في صيدا بغيابي أنا مسؤول إقليم لبنان.

- هل تقصد اللقاء مع الإنقاذ في مكتب الشعبية ؟

-إبدأ من الإنقاذ أو من الاجتماع في بيت أبو معروف مصطفى سعد، او من بيت الياس. ابدأ من حيث تريد،ليس مهما المكان، المهم أين وصلنا في حكاية الإنسحاب التي صرعتمونا بها كرمال عين مدير المخابرات السورية علي دوبا والسيد عبد الحليم خدام.

عدل أبوليلى جلسته وقال: "أرفض هذا الاستفزاز. بناء على قرار المكتب السياسي حضرت أنا وأبو ماهر اليماني إلى صيدا[٢]. الإخوان السوريون أصروا على تأخيرنا على الطريق بحجة أن مرور الفلسطينيين ممنوع والحواجز السورية من مدينة شتورا حتى مدينة صيدا لديها تعليمات مشددة بإعتقال كل فلسطيني يمر من أمامها". وروى أبو ليلى أن القوات السورية أبقتهم اكثر من ساعتين واقفين عند الحاجز الأول حتى أبلغوا إلى بقية الحواجز اسماء الوفد وأعطوهم إذن مرور، وعلى الطريق واجهوا مشكلة بسبب عدم ابلاغ الحواجز إسم الرفيق السائق ضمن القائمة. وقد رفض حاجز خلدة بإصرار تمريره وكاد أن يعتقله وهذا الإشكال أخر الحركة ساعة كاملة.

-المهم وصلتم صيدا بالسلامة بعد هذه المسرحية السورية المفضوحة وتوجهتم مباشرة إلى الاجتماع في بيت أبو معروف.

- صحيح، ولكن بعد عذاب شديد. وواضح أبو ليلى ان السوريين بصدد التصعيد، ولا أدري ما إذا كانوا سيسمحون له بالعودة إلى دمشق أم أنهم سيعتقلوه كما اعتقلوا أبو العبد عصام؟

- لا لن يعتقلوكم، أبو ليلى وأبو ماهر اليماني لن يعتقلا من قبل السوريين طالما أنهما يعملان على الانسحاب من مغدوشة. شعار الإخوان السوريين: حسب مواقفكم من مغدوشة تعاملون، المهم ماذا تم في الاجتماع؟

- في الاجتماع، طرح أبو ماهر اليماني موقف الجبهة الشعبية وموقف جبهة الانقاذ[٣] المعروف، وكانت خلاصته ان مغدوشة توريطة من عرفات، وان عرفات يعيش على مذابح الشعب الفلسطيني، وعرفات يريد مبررا لارتكاب الخيانة الوطنية، عرفات ورط الجبهة الديمقراطية. وطالب أبو ماهر بالإنسحاب من مغدوشة فورا. ودعا القوى الوطنية اللبنانية للدفاع عن القرار الوطني اللبناني المستقل. وطبعا، أبوماهر زادها حبة، ولم يتورع عن ان يغمز من قناتك حين قال إن ممدوح نوفل عرفاتي وأخطر رجل لياسرعرفات في لبنان، وقال إن ممدوح متمرد على الجبهة الديمقراطية ويتلقى قراراته من تونس..الخ. طبعا، لم نسمح له بالاسترسال ولم نمرر ما قاله. وللأمانة، الأخ أبومعروف ومحمد ياسين ممثل جبهة التحرير الفلسطينية وكثيرون من الحاضرين تصدوا له.

ـ موقف أبوماهر اليماني من "فتح" وممدوح ومن الحرب على المخيمات معروف ولا يهمني كثيرا، لكن من غير المفهوم ان يصدر هكذا موقف من لاجئ عاش في مخيمات لبنان وعانى الأمرين على يد المكتب الثاني اللبناني وآخرين. هو مرعوب من المخابرات السورية ويصفي حساباته الشخصية مع عرفات، هو حر في موقفه. يمكن ببساطة ان أرد عليه بنفس اللغة وأقول له أن تكون رجلا لعرفات خير من أن تكون عميلاً او ذنبا للمخابرات السورية، والمهم ماذا كان موقفكما ؟

ـ طرحنا موقف الجبهة المعروف لكم .

ـ الموقف يا أبوليلى غير معروف لي، عندنا مواقف أشكال وألوان، وكل واحد له موقفه.

ـ موقف الجبهة هو قرار المكتب السياسي الذي أبلغه اليكم الرفيق الامين العام في أكثر من رسالة وبرقية.

ـ هذا موقف أبو ليلى والأمين العام، والمكتب السياسي ليس عضوين فقط. صالح رأفت ضد هذا الموقف، وأظن ان ياسر عبد ربه ضد هذا الموقف، هكذا كان موقفه في لبنان، وعصام عبد اللطيف في السجن ضد هذا الموقف، وممدوح وفهد وأبو عدنان ثلاثة أعضاء في المكتب السياسي لم تحاولوا أخذ آرائهم[٤].

شعر رمزي بارتفاع حرارة النقاش، وأدرك أنه يتجه نحو التصادم، فوقف واقترح تأجيل النقاش والذهاب إلى بيته لتناول العشاء. وقال ان الجلسة مع الكأس وقليل من المازات تهدئ الأعصاب وتخفف حدة التوتر. وكرر: كأس وسكي او عرق او نبيذ مع وجود رفاق آخرين يرطب الجو ويبقيه ضمن حدوده المعقولة ويضع له ضوابط معينه.

ـ لا، بعد بكير على العشاء، دعنا نكمل بحث الموضوع.

قال أبوليلى: لابأس، أنا في بيت أبومعروف طرحت الموقف الذي أحمله معي من دمشق. وبصراحة، وجدت القوى الوطنية اللبنانية مع الإنسحاب الفوري من مغدوشة، وضد التمدد الفلسطيني خارج المخيمات. وما سمعته يختلف عن الكلام الذي نقله لنا ياسر عن موقف هذه القوى، ومختلف عما ورد في جميع رسائلكم. لم أسمع في الاجتماع قوة لبنانية واحدة تقول لا للإنسحاب من مغدوشة أو حتى نعم للإنسحاب بعد فك الحصار عن المخيمات او الإنسحاب بعد دخول التموين والدواء للمخيمات. الجميع بمن فيهم أبو معروف قالوا مغدوشة توريطة عرفاتية يجب الإنسحاب منها فورا. وأولهم أبو معروف، وشدد على معارضته دخول حزب الله إلى مغدوشة، لانه يعتبر ان دخوله يعقد الموضوع مع السوريين ومع اهالي صيدا وقواها الوطنية خصوصا التنظيم الشعبي الناصري.

- القوى الوطنية اللبنانية يا أبوليلى تبدل أقوالها من جلسة إلى أخرى حسب من سيرسل إليه التقرير. معك ومع أبوماهر القادمين من دمشق بقرار سوري لايمكن ان تسمع غير الذي سمعته، خصوصا أنكم قادمون بموقف مسبق خلاصته الخلاص من شياطين عرفات في لبنان. جميع القوى الوطنية اللبنانية مرعوبة من السوريين، ويخافون ان يتم نقل مواقفهم الحقيقية، وكلامهم أمامك لا يعكس مواقفهم الحقيقية. بل يعكس خوفهم من أن ينقل الى السوريين. ما نقله ياسر لكم وما قاله عنهم وما ورد في رسائلنا لكم هي المواقف الحقيقية لمصطفى سعد والقوى الوطنية اللبنانية. ثم عليك التدقيق في الحضور. هل الحزب التقدمي الاشتراكي كان حاضرا في الاجتماع؟ هل حزب الله كان حاضرا؟ هل محسن ابراهيم وقادة منظمة العمل كانوا حاضرين؟ هل علماء الشيعة كانوا حاضرين؟ هل مفتي صيدا الشيخ جلال الدين كان حاضرا؟ هل " فتح " كانت حاضرة؟ من الحاضر..هل قادة الجماعة الاسلامية وجماعة الشيخ ماهر حمود كانوا حاضرين؟ الحاضرون معروفون ومواقفهم معروفة سلفا.

- الحزب الشيوعي اللبناني كان موجودا وكان موقفه واضحا، الإنسحاب فورا من مغدوشة وعدم السماح بالعودة بالاوضاع إلى ما كانت عليه قبل عام ١٩٨٢، وضد التمدد الفلسطيني خارج المخيمات في شرق صيدا ومغدوشة.

- أفهم ذلك، الرفيق جورج حاوي وقيادة الحزب الشيوعي اللبناني موقفهم يلخصه المثل اللبناني: "من يتزوج أمي هو عمي". قبل حرب ١٩٨٢ وقبل خروج المقاومة من لبنان كانوا عرفاتيين أكثر من الفتحاويين، ملكيين أكثر من الملك. ولا تنس أننا تصادمنا معهم أكثر من مرة عندما كنا نختلف مع أبوعمار. كانوا يتهموننا بالتطرف. وعلى كل حال، أظن أن علينا أن لا ننسى كلام نديم عبد الصمد وجورج حاوي عن أبناء شعبنا ووصفهم للمخيمات بأنها أوكار للزعران وللعصابات والمخربين(٥). هذا الحزب وبعض الاحزاب الشيوعية العربية تبخر للاسف للانظمة الحاكمة في بلدانها، بدء من حزب علي يعتة في المغرب الذي تحول في فترة من الفترات إلى ممثل شخصي للملك الحسن الثاني مرورا بالحزب الشيوعي العراقي الذي صوّر لنا في يوم من الأيام صدام حسين على أنه فيدل كاسترو العرب، وانتهاء بخالد بكداش الذي يعارض اعتداء النظام السوري البعثي على الفلسطينيين لكنه لا يوقف تعاون حزبه معهم وينظّر للعلاقة مع حزب البعث، ويحمل الشمسية في دمشق إذا أمطرت في موسكو.

- هذه هي قوى حركة التحرر العربية، وليس من مهمتنا تغييرها، ولا بديل لها. وليس مهما ما يقولونه في اللقاءات الثنائية، المهم ما يطرحونه علنا وفي الاجتماعات الرسمية. جميع من حضر الاجتماع في بيت أبو معروف كان مع الإنسحاب من مغدوشة.

- أنا لا أطلب شن حرب ضد القوى العربية، ولا أطالب بتغيير مواقفها، أطالب بتفهم ظروفها وعدم محاكمة مواقفها وفقا لما يطرحونه في بعض الاجتماعات، ولا يجوز أن

ننسى ما طرحوه في اجتماعات اخرى. والاهم ان لا أبني موقفي على ما هم مضطرون لقوله في بعض الاجتماعات. هل توصل الاجتماع إلى نتيجة نهائية؟

ـ القرار تأجيل الإنسحاب ٢٤ ساعة، وهذا تم بناء على طلب أبومعروف ريثما يتم عقد لقاء مع وجهاء مخيم عين الحلوة أحضره أنا وأبو ماهر اليماني، وقد اتفق على عقد هذا اللقاء غدا في مسجد المخيم بعد صلاة الظهر. وعلى كل حال، قوات الجبهة الشعبية والنضال والتحرير الفلسطينية انسحبت. وأبومعروف سوف يبذل محاولة نهائية مع عرفات مباشرة ومع قيادة "فتح" في لبنان لدفعهم إلى الإنسحاب بالتي هي أحسن.

وقد فهمت من حديث أبو معروف ان معظم قيادة "فتح" في لبنان مع الإنسحاب، لكن عصام وبعض الاخوان العسكريين متشددون ويرفضون الإنسحاب. أبومعروف لا يريد التواجد في مغدوشة، وهو ضد دخول حزب الله إلى هناك. وقد وصف دخول هذا الحزب بأنه أخطر من تواجد حركة "أمل" على صيدا وعلى الفلسطينيين. وقال ابو ليلى هذا ثم، وجه إلي هذا السوال:

هل صحيح ان حزب الله يقاتل سرا مع "أمل"، وان كوادره هبت هبة رجل واحد للدفاع عن القرى الشيعية بعد احتلال مغدوشة؟

ـ من قال لك هذا الكلام؟

ـ أبو معروف وعدد من الاخوان الحاضرين، وقد قالوا ان ناس حزب الله يتصرفون باعتبارهم جميعا أبناء الإمام علي، وأبناء الإمام لا يقاتلون بعضهم بعضا لأنه محرم عليهم هذا الصنف من القتال. واضاف رمزي إلى ما قاله أبو ليلى أن المعلومات المؤكدة تقول إن حزب الله يقاتل بصورة غير رسمية مع "أمل". ثم جزم بان حزب الله يلعب لعبة مزدوجة وسخة. مع أهالي القرى الشيعية يقول إن مقاتليه صامدون في مغدوشة وهم الذين منعوا الفلسطينيين من التقدم باتجاه الغازية وعنقون، ومعنا ومع "فتح" يقولون إنهم ضد نبيه بري وضد السوريين ويعدون بارسال مشايخ إلى المخيمات. واعتبر رمزي أن حزب الله أخطر من "أمل" بكثير على الفلسطينيين، لأنه قوة اقليمية ولاؤها غير لبناني وغير عربي، وولاؤها لايران مئة بالمئة.

ـ لا داعي للتسرع، فطالما ذبح الشيعة أولاد الإمام علي بعضهم بعضا، وما أكثر الحروب التي وقعت بين الشيعة منذ مقتل الحسين ابن علي حتى الان. منذ ذلك التاريخ، تفرقوا وانقسموا وتحاربوا، وآخر مذابحهم كانت في صحاري العراق وايران. والكل يعرف أن الحرب العراقية الايرانية كان وقودها دم أبناء الإمام علي من شيعة العراق وشيعة ايران، على كل حال، الدنيا مصالح وليست عروقا أنواعا وألوانا.

انفعل أبوليلى وفهم من كلامي أني اتهمه بتغليب المصالح الشخصية على مصلحة أبناء المخيمات. وقال إنه لا داعي لاستمرار النقاش إذا كانت العصبوية القبلية والنزعة

المحلية سوف تستخدم في الهجوم على المواقف السياسية والتنظيمية. وأضاف إن مشكلتنا مع تنظيم الجبهة في لبنان هي طغيان النزعة المحلية الضيقة في المنظمة ككل وفي فروعها. وكل واحد في هذا الاقليم يتعصب لقريته أو يتعصب لمخيمه في أحسن الأحوال. واستحضر أبو ليلى ما حصل في المؤتمر الثاني للجبهة الديمقراطية عام ١٩٨١، حين صوت أعضاء المؤتمر من لبنان أحدهم للآخر وحجبوا أصواتهم عن كل من ليس من لبنان. وقال: إن هذه الذهنية لابد من مكافحتها، نحن حزب ماركسي لينيني ولسنا تنظيما رجعيا قبليا، نحن حزب أممي ولا مكان فيه للنزعات الإقليمية والمحلية الضيقة.

ـ مهلك، أبو ليلى! حديثي عن المصالح الشخصية الخاصة مقصود به القوى اللبنانية. وما أريد قوله بوضوح هو أن مواقف الفصائل الفلسطينية أو اللبنانية ليس لها عندي الاهمية الأولى، ما يهمني في المقام الأول هو مصلحة الناس في المخيمات ومصلحة الجبهة. وبصدد الوضع في مغدوشة، أعتقد ان حزب الله له مصلحة كبيرة في التواجد في مغدوشة، ومصالحه الآن مختلفة عن مصالح "أمل" وسوريا، ويمكننا الاستفادة من هذا التعارض بين مصالح الطرفين. والمسألة لم تعد مسألة تقديرات وتحليلات نختلف حولها. أمس، التقينا الشيخ عباس الموسوي أمين عام حزب الله واليوم إلتقيت الحاج عبد الهادي حمادة مسؤولهم العسكري في المنطقة، وتبين لي أن حزب الله يريد وراثة "أمل" على مستوى العمل في الطائفة الشيعية إذا استطاع. وعلى كل حال، وضعنا معهم ترتيبات عملية، ورمزي يعرف الموضوع.

قال رمزي: "أرجوك، رفيق ممدوح لا تورطني.. صحيح انا اعرف، ولكن الصحيح أيضا ان هذه الترتيبات وضعت من قبلك دون أخذ رأيي ورأي أمانة الإقليم، أنا عندي موقف وفهمت أن فهد ضدها أيضا. أنت تلتقي مع القوى الوطنية الفلسطينية واللبنانية وتتوصل معهم إلى اتفاقات وترتيبات وتفرضها على التنظيم والقوات. وأرجو ان لا تورطني في أمور لا أرغب فيها، وعندما ينعقد اجتماع اللجنة المركزية للجبهة التي أنا عضو فيها سأقول كل ما لدي، وسأوضح موقفي من العمل في الإقليم، وحتى من وجودي في اللجنة المركزية للجبهة. ولكي لا أسمع قضايا هي من إختصاص المكتب السياسي، أنا ذاهب إلى المطبخ لأعمل الشاي".

ـ قبل الشاي يا رمزي، لا بد من سماع جملة: أرجو ان تقول كل ما لديك في اجتماع اللجنة المركزية، بما في ذلك قناعتك بشان قرار الرفاق بالإنسحاب من مغدوشة، وان تقول رأي المنظمة الحزبية التي تقودها وبالتحديد رأي منظمة عين الحلوة وصيدا.

ـ سأقوله، وسوف تسمعه يا رفيق، ولا أحد بات يهتم برأي التنظيم ولا برأي اعضاء اللجنة المركزية، وكل واحد صار يعمل حسب رأيه الشخصي ووفقا لمزاجه الخاص.

غادر رمزي. وكان الجو مكهربا. واصبح الصمت سيد الموقف للحظات، ثم قطعه أبوليلى بالاستفسار عن الترتيبات العملية التي تم التوصل إليها مع حزب الله، وتساءل:

ألم يكن ممكنا الانتظار ريثما يصل القادم من دمشق ويحمل معه موقفا محددا من المكتب السياسي؟ ارسلنا لكم رسولا ولم يعد حتى الان، أرسلنا لكم برقيات ولم يلتزم بها، هذه ليست علاقات حزبية وهذا ليس عملا حزبيا على الاطلاق، هذا سلوك زعماء وليس قادة حزبيين. رسميا أبلغ اليك أننا لسنا ملتزمين بأي ترتيبات مع حزب الله، كفى يا ممدوح توريطا للتنظيم! عضو مكتب سياسي اعتقل، ورفيقات اعتقلن، ورخص السيارات سحبت، ومكتب الفروع الخارجية في المزة أغلق بالشمع الأحمر، وقيادة الجبهة صارت ممنوعة من الدخول والخروج من وإلى سوريا.. ماذا تريد، إلى أين تريد دفع الامور مع السوريين؟ هل تريد تسفير المكتب السياسي من دمشق؟ هل تريد إغلاق مكاتب الجبهة في سوريا، هل تريد زج كل قيادة إقليم لبنان في السجون السورية؟ أنت تحدثت عن مصالح الجبهة، مصلحة الجبهة ان نتجنب كل هذه الأمور. عرفات مرتاح في تونس ولا يهمه ما يجري في سوريا ولبنان ولا يهمه ماذا سيحل بنا. كفى، قدمنا ما لم يقدمه أي طرف فلسطيني آخر. رغم خلافنا مع عرفات حول اتفاق عمان وحول زيارة القاهرة، فقد دعمناه وتصادمنا مع جبهة الانقاذ ومع السوريين، ودفعنا الثمن. والسيد عرفات عاقبنا بوقف دفع المبلغ الشهري المخصص للجبهة من منظمة التحرير الفلسطينية[٦]. الجبهة الشعبية أشطر منا، فكت التحالف الديمقراطي[٧] وفككت التحالف معنا، وانضمت لجبهة الانقاذ إرضاء للسوريين. الشعبية تصرفت على أساس مصالحها أولا وقبل كل شيء. امورهم مسهلة في سوريا وفي لبنان ولاحقا سيصححون علاقاتهم مع عرفات. لا، لن نتورط في تصادم مع السوريين، هذا هو قرار المكتب السياسي للجبهة. رصيدنا السياسي كبير ويتحمل ان يؤكل قسم منه في هذه المرحلة الصعبة. الإنسحاب من مغدوشة لن يكون نهاية الكون والحياة، وبعد الإنسحاب لن يكون نهاية العالم.

الإنسحاب من مغدوشة ليس موضع نقاش، الإنسحاب قرار أقره المكتب السياسي وهي غير قابل للنقاش ويجب ان ينفذ، يظهر أننا أخطأنا في تأخيره ٢٤ ساعة، كان علي ان أقول إننا في الجبهة سوف ننسحب الليلة حتى لو لم ينسحب الآخرون. وإعطاء أبو معروف فرصة لإجراء الاتصالات اللازمة لا يتعارض مع إنسحابنا الفوري.

- مهلك يا أبوليلى! الموضوع مصيري، على الأقل بالنسبة لي، وقبل الحديث عن الإنسحاب آمل ان تسمعني جيدا، وقبل ان اقول ما عندي لدي بعض الاستفسارات: الأول، هل عقد المكتب السياسي اجتماعا رسميا بعد عودة ياسر من لبنان ؟ وهل فهد وأبو عدنان وممدوح نوفل ما زالوا أعضاء في المكتب السياسي أو أنهم صاروا خارجه بدون علمهم، ولماذا لم يدعوا الى الإجتماع أو يؤخذ رأيهم؟ انت تعرف ان قوانين العمل الحزبي تفرض أخذ رأي كل أعضاء المكتب السياسي، لماذا لم يؤخذ رأيي في الموضوع، وكما أعرف لم يؤخذ أيضا رأي أبو عدنان وفهد؟ هل اصبح أبوليلى ونايف حواتمة هما المكتب السياسي؟ هل من حق المكتب السياسي ان يناقش وان يتخذ

قرارات تهم ساحة مثل لبنان دون أخذ رأي قيادة هذه الساحة، بالرغم من أن فيها ثلاثة أعضاء مكتب سياسي وسبعة أعضاء لجنة المركزية ؟ واستفسار أخير، هل مصلحة الحزب او الجبهة فوق مصالح الشعب الفلسطيني وبالتحديد مصالح أبناء المخيمات المحاصرة؟ وبوضوح أكبر، إذا كانت مصلحة الشعب هي البقاء في مغدوشة ومصلحة عدد محدود من أعضاء القيادة هي الإنسحاب، هل من حق هذا العدد المحدود وضع مصالهم الشخصية فوق مصالح الشعب؟ ألم يكن ممكنا أن يأتي أبو ليلى ويسمع رأي إخوانه أعضاء المكتب السياسي وقيادة لبنان قبل الذهاب إلى اجتماع وطني في بيت أبو معروف وتبليغ الاجتماع أن هناك قرارا بالإنسحاب، لكن هذه المسألة مختلف حولها؟

- هذه الأمور أفضل مناقشتها في اجتماع للمكتب السياسي، ولا أريد الدخول في مناقشتها معك الان، انت تعرف موقفي، وانا لست قادما إلى هنا لاخضع لهكذا استجواب. أنا مكلف من أعضاء المكتب السياسي المتواجدين في دمشق بتنفيذ قرار الانسجاب وليس مناقشته، وأكرر تنفيذه وليس مناقشته، ولذا فإن ما أريد بحثه هو التنفيذ فقط وبعدها نبحث في المسائل الاخرى. لم يعد يهمني الجانب السياسي من الموضوع، المسألة أصبحت حزبية صرفة وهي بالضبط هل يستطيع المكتب السياسي اتخاذ قرار وتنفيذه ام لا، هذا هو الموضوع الآن من وجهة نظري.

- لا أنتظر منك إجابة على أسئلتي، وأنا اعرف الجواب سلفا، ما أريد ان تفهمه انت ونايف حواتمة أنني التحقت بالعمل الحزبي والسياسي الفلسطيني قبل ربع قرن لأخدم شعبي وقضيتي، وساهمت في انشقاق الديمقراطية عن الشعبية لذات السبب، وفي حينها، شعرت بان المسألة الرئيسية عند البعض كانت تكريس زعامات شخصية، ولأن الأمور في الشعبية كانت ترتب وفقا للولاءات الشخصية للزعيم. أنا أولا وأخيرا وطني فلسطيني ولائي كان وسيبقى لفلسطين. شعبنا لا ينقصة زعامات لدية ما يكفي ويزيد، ولم ادخل الجبهة لابني زعماء جددا على اكتافي، ولم أدخل هذا التنظيم ليتحول إلى أداة بيد النظام الرسمي العربي.

- نحن لسنا ادوات بيد أحد، وأنت تعرف هذا الموضوع.

- سمعت لك، وعليك ان تسمعني جيدا، لان هذه الجلسة حاسمة بالنسبة لي. ومن يرضخ للنظام السوري في هذه القضية يرضخ في القضايا الأخرى الأخطر. ومن يفكر في تأمين وجود مريح في سوريا لعدد من أعضاء القيادة على حساب مصلحة الشعب والتنظيم سوف يرضخ لاحقا مقابل ثمن أقل أو حتى دون ثمن. الإنسحاب من مغدوشة بداية خضوع وركوع للسوريين، الإنسحاب من مغدوشة تدمير للجبهة ولتراثها الفلسطيني. اقتراحي ان تسمع انت ونايف ما يقوله الرفاق في المخيمات في الرشيدية وبرج البراجنة وشاتيلا. وان تسمع رأي كوادر التنظيم في مخيم عين الحلوة ومدينة صيدا. وعلى كل حال غدا، ستسمع أنت وأبو ماهر رأي الناس في عين الحلوة.

- من قال لك إنني قادم لأسمع كل هذه الآراء ؟ موقف أهل المخيم معروف، ولكن من قال لك أن رأي القاعدة وعامة الناس هو الصواب، التنظيم الثوري والقيادة الثورية لا ينجران وراء عفوية الجماهير.

دخل رمزي ومعه غلاية القهوة، ووضعها مع فناجين فوق الطاولة وقال: طبيعي أن يكون أهالي عين الحلوة ضد الإنسحاب من مغدوشة. منظمتنا الحزبية وأهالي عين الحلوة ضد الإنسحاب، ولكن أنا مع أبوليلى وضد الإنجرار وراء عفوية الجماهير، ونحن لم ننجر يوما للعفوية، ولو سمعنا رأي أهالي عين الحلوة لكنا الآن في معركة طاحنة مع أهالي حارة صيدا وأهل الغازية. الناس في عين الحلوة مع اقتحام الغازية والحارة منذ فترة طويلة، وانا ضد ان يلتقي أبو ليلى مع الناس في الجامع لأني بصراحة ضد ان يتبهدل وأن يهان. على كل حال آسف قطعت عليكم الكلام.

جرح تنظيمي شخصي لم يندمل

قلت: بسيطة، وضع مغدوشة يختلف عن الهجوم على الغازية وحارة صيدا. نحن لم نهجم على الحارة، والناس تفهم هذا وتحترمنا، انت الان ضد ان يلتقي أبو ليلى مع الناس لانك تخشى البهدلة والاهانة. ثم يا أبوليلى إذا انسحبنا اليوم من مغدوشة فغدا سوف يطالبوننا بالإنسحاب من شرق صيدا وبعدها تسليم أسلحتنا لهم، وبعدها الخروج من كل لبنان. الإنسحاب الآن يعني عند الناس العاديين التخلي عنهم والانضمام للجوقة السورية ضد عرفات وضد العرفاتيين، وعلى كل حال، تصريحاتكم من دمشق وتصريحات نايف منذ عدة أيام فيها مؤشرات رسمية للانضمام للجوقة السورية، وفيها ردح ضد ياسر عرفات لا مبرر له. ماذا ستقولون للناس بعد الإنسحاب من مغدوشة؟ هل ستقولون إن عرفات ورطنا وورط المخيمات في حرب مع حركة "أمل". أنا مع الإنسحاب من مغدوشة مقابل دخول سيارة حليب وخبز لكل مخيم من المخيمات المحاصرة. لا أطالبكم بفك الحصار كاملا عن المخيمات وإطلاق سراح المعتقلين مقابل الإنسحاب من مغدوشة، ساوموا على مغدوشة ولا تبيعوها ببلاش إلا ربع، ولا تجعلوا من تأمين الإقامة لكم في دمشق ثمنا للإنسحاب. ولعلمك، حزب الله دخل الان مغدوشة ووضع قواته في مناطق فاصلة بيننا وبين القوات السورية، أسف قوات حركة "أمل"، لا، لست آسفا إذ لا فرق بين الجهتين. وأبومعروف يا أبوليلى ليس بسيطا، تعامل معكم ببراعة، قال لكم أنه مع الإنسحاب من مغدوشة وضد التمدد الفلسطيني... الخ وهو يعرف أن حزب الله سيدخل الليلة إلى مغدوشة. نعم، هو يخشى من نفوذ حزب الله، لكن تواجد قوات التنظيم في مغدوشة مضمون. لذا قال لكم: إلتقوا مع أهل المخيم، إنه يعرف موقف الناس في المخيم من الإنسحاب وقد أراد ان تسمعوا رأي أهل المخيم كما أراد كسب الوقت لإعطاء حزب الله فرصة للدخول إلى مغدوشة فيدخل هو لاحقا. أبو

معروف ليس بسيطا أرادكم ان تسمعوا من الناس ما لم يستطع ان يقوله هو لكم ونجح في تنويم الموضوع ٢٤ ساعة ومكن حزب الله من دخول مغدوشة.

الآن، حزب الله في مغدوشة وهذا تطور جديد يستحق إعادة النظر في الموقف. نحن الآن أربعة أعضاء مكتب سياسي في لبنان، أبوعدنان وفهد وأنت وأنا يمكننا عقد لقاء سريع واتخاذ قرار بالبقاء في مغدوشة على ضوء المستجدات. أعرف ان ثمن هذا الموقف سوف يكون عدم عودتك مؤقتا إلى دمشق واعتقال عدد من الرفاق الآخرين، ولكن هذا الموضوع يستحق التضحية، وهذا أفضل لنا في قيادة الجبهة من أن يقال عنا في عين الحلوة والمخيمات إننا عملاء لسوريا، وأفضل من أن يقال إن أبو ليلى ونايف حواتمة باعا دم الشهداء بثمن بخس، وأفضل من أن يقال إنكما لو كنتما ومن سكان المخيمات لما قررتما الإنسحاب من مغدوشة.

ـ هذا تهكم وتجريح شخصي وأنا لا أسمح به إطلاقا.

ـ هذه صراحة، وأنا لا أنتظر اذنا حتى أقول ما أريد. إذا نفذتم الإنسحاب فلن يبقى شيء يربطني بكم وبجبهتكم. الإنسحاب بالنسبة لي طلاق مع المكتب السياسي. ولن أقبل أن يسجل علي أنني بعت دم محمود خليفاوي وأبو سمرة وبقية الشهداء من أجل راحة المكتب السياسي في دمشق. لن أقبل ان يقال عني إني بعت دم الشهداء مقابل إرضاء المخابرات السورية وخوفا من الاعتقال. هذه قضية وطنية فلسطينية كبيرة وغير مسموح لأحد اللعب بها. كفى مداهنة للنظام السوري، كفى تغطية على الجريمة التي ترتكب ضد المخيمات! الشعب يذبح ويموت جوعا وأنتم تجتمعون مع جبهة الرفض التي تبرر الاعتداءات على الشعب الفلسطيني. الاعتداءات على المخيمات واضحة وضوح الشمس ونايف يعطي تصريحات علنية من بعيد يقول فيها إن عرفات فجر حرب المخيمات. الشعب يموت على يد عملاء سوريا، ودمشق تشق الثورة وتعمل على تدمير م.ت.ف وأنتم متمسكون بالإقامة فيها، أخرجوا من دمشق، انطقوا بكلمة حول إعتقال عضو المكتب السياسي عصام عبد اللطيف واعتقال الرفيقات! أبو العبد أعتقل لتخويف المكتب السياسي وقد حققت المخابرات السورية هدفها.

كنت منفعلا والكلمات تنطلق مني مثل زخات المطر المتلاحقة، وأبوليلى صامت يفرك يديه أحيانا ويفرك بيده اليمنى طرف شاربه الأيمن. حاول المقاطعة أكثر من مرة، لكن ارتفاع صوتي وانفعالي وانطلاق كلماتي تباعا حالت دون ذلك. فجأة، نهض عن كرسيه، خبط المنضدة بيده وقال: "كفى تطاولا وإهانات، هناك قرار مكتب سياسي يجب تنفيذه وسينفذ الليلة، وسوف تحاسب في اول اجتماع للمكتب السياسي على كل كلمة قلتها، ولن أبقى في المكتب السياسي الذي تتواجد فيه".

ـ إجلس لا ترفع صوتك! ستسمع ما لم تسمعه أنت ونايف من قبل. حان الوقت لتسمعوا، كفى، لقد صبرنا سنوات. لم يعد يهمني لا مكتب سياسي ولا لجنة مركزية.

قال إيه؟ قرر المكتب السياسي الإنسحاب.. طز في هيك مكتب سياسي وفي قراراته اللاوطنية! انتم مثل غيركم انتهازيون وصوليون تغلبون مصالحكم ومصلحة التنظيم على مصلحة الناس.

ويبدو اني قلت في لحظة الانفعال ما هو أكثر من ذلك". أما هو فقال: "كفى إهانات، كفى تحقيرا لقيادة الجبهة، هذه عربدة لا علاقة لها بالعلاقات الحزبية والرفاقية".

كان يصرخ بانفعال، كان ينظر باتجاه رمزي وكأنه يريد ان يشهده على ما حصل. وكنت أرد بصوت أعلى، ولم أسمع كل ما قاله، ويبدو أنه قال أيضا أكثر مما استوعبت في تلك اللحظة.

نهض رمزي وقال: "انتم القيادة الأولى للجبهة صراخكما وصل الشارع، ماذا سيقول الناس، بعض الجيران من حركة "فتح" وآخرون من جماعة أبو معروف، بصراحة هذه فضيحة وعليها شهود. أرجوك ممدوح نحن مغادرون، والليلة لا يمكن ان يتم سحب قوات الجبهة، الوقت صار متأخرا".

كان رمزي يتكلم وهو ممسك بيد أبو ليلى يحثه على المغادرة، وقد تحركا نحو الباب، فتبعهما صوتي "انصرفوا روحوا إركعوا للمخابرات، روحوا إلى جهنم، لا، لن اسكت على التلاعب بأمن المخيمات".

لم يكن هذا الصدام هو الأول من نوعه الذي يقع بين عضوين في المكتب السياسي للجبهة او بيني وبين أبو ليلى في اجتماعات المكتب السياسي، لكنه بالتأكيد كان الأعنف على الإطلاق والاشد خروجا عن المألوف. المشاحنات والمصادمات التي وقعت في السابق داخل المكتب السياسي وأمانة سر اللجنة المركزية كلها لم تصل إلى حدود كسر العظم كما وقع في هذا الصدام. المصادمات السابقة كانت تحصل لأسباب كانت في معظمها تنظيمية ولكنها كانت تبقى ضمن حدود رسمت نفسها مع الزمن، وكلها كانت تنتهي داخل الاجتماع وفي الجلسة ذاتها أو في اليوم التالي وكان المخطئ او الذي "تخنها" يبادر لزيارة الآخر في بيته أو مكتبه ويتناول القهوة وينتهي الإشكال. أما هذا فهو صدام من نوع جديد ومن العيار الثقيل، من نوع لاتمكن معالجته وفقا للتقاليد الدارجة.

بعد مغادرتهما، تناولت كأس الشاي وكان فاترا. شعرت بشي من الندم على ما بدر مني من كلمات جارحة، لكنه لم يكن ندما طاغيا، بل إنه جلب بعض الراحة النفسية. قلت لنفسي لابد من الوصول إلى بيروت واللقاء مع السفير السوفيتي، كلاتوشا صديق قديم وكلامه مسموع عند الرفاق في دمشق، ولا بد من وضعه في صورة التطورات واقناعه بمضار الإنسحاب. قد يساعد كلاتوشا في تعطيل الإنسحاب، ولكن هل يمكن لكلاتوشا تغليب العلاقات الشخصية على الموقف الرسمي لدولته؟ زيارته ضرورية لابد منها. ولابد من زيارة وليد جنبلاط أيضا لوضعه في صورة التطورات.

وسألت نفسي عما إذا كان من المفيد أن اتصل مع قيادة الجبهة في المخيمات المحاصرة وأحرضهم مباشرة على قرار المكتب السياسي، هل أعمم برقية إلى جميع المحطات حول قرار المكتب السياسي واكشف خلفياته ومخاطرة على الجبهة والمخيمات؟ هل أصعد إلى مغدوشة وأغلق الأجهزة وأقطع الاتصال مع كل المحطات؟ هل أصعد إلى مغدوشة وأضع حاجزا على مدخلها يمنع دخول أي عضو من قيادة الجبهة إلى البلدة؟.

كل هذه الأسئلة استعرضها ذهني وانضافت اليها أسئلة اخرى: كيف ستعيش يا مسكين؟ الجملة الاخيرة أفرج عنها العقل الباطني وأطلقها اللسان بصوت عال ومسموع. وما الذي ستفعله مادام فرض موقفك على المكتب السياسي يحتاج إلى تحضيرات لا مجال لانجازها، والخيار الوحيد المتاح أمامك هو التمرد أي الالتحاق بحركة "فتح" او البقاء تحت وصايتها أنت ومن يناصرك من الشباب، والتحاقك مع "فتح" في هذا الوقت يضر ولا يفيد، ويدخلك في صراع لا طائل منه. لماذا لا تتركهم يدمرون التنظيم الذي لايمكنك إصلاحه على الإطلاق؟.

نهضت وأنا أدرك ان مرحلة جديدة من حياتي بدأت، لم يعد لي موقع في هذا التنظيم، المواجهة تحتاج إلى تفكير هادئ، وكل شيء ممكن لاحقا، والأفكار الواردة قابلة كلها للتأجيل، المهم الآن هو تعطيل الإنسحاب. المعركة مع قرار المكتب السياسي لم تنته، وأمامك ساعات محدودة لابد من عمل شيء. الوقت من ذهب، تحرك فورا. تصرف، لا تبق جامدا تحرك وبسرعة، لا تتكاسل ولا تستسلم.

توجهت إلى المطبخ، وتناولت كأسا فارغا سكبت فيه رشفة كبيرة من الكونياك جرعتها دفعة واحدة. نظرت إلى الساعة فتأففت، الساعة الان قاربت منتصف الليل وانا نسيت السائق والمرافق في السيارة أمام الدار. لابد من الخروج ولكن إلى أين؟ حدد وجهتك قبل أن تفتح الباب. قلت إلى بيت عصام، "فتح" شريكة في مغدوشة وعليها سيقع العبء سواء تم الإنسحاب أم لم يتم، ولا بد من تنبيههم والمساهمة في وضع الترتيبات.

فتحت الباب وخرجت. كان جمال نائما، أما عماد فكان يتسلى بتنقيل إبرة اللاسلكي ويتصنت على مختلف المحطات. أبديت أسفي لأني نسيتهم، وطلبت أن نتحرك إلى بيت عصام. صحا جمال من غفوته، أدار عماد محرك السيارة واتجهنا نحو صيدا. قال عماد إن حزب الله دخل مغدوشة، ثم سأل: "ألا تعتقد أنهم سيخدعون رفاقنا، هؤلاء في نظر الناس في المخيم مثل حركة "أمل" لا يطمأن لهم ولا يؤتمن جانبهم. معظم سلاح حركة "أمل" من "فتح"، وقيادة "فتح" ساهمت في خلق حركة "أمل" وسلحتها أيام المرحوم الإمام موسى الصدر، والآن "أمل" تقاتل "فتح". هكذا يقول السنة في لبنان وأيضا أهل المخيمات. انا فلسطيني خلقت في لبنان، السنة، فلسطينيين ولبنانيين، عندهم قناعة بان الدروز والشيعة بعيدون عن الإسلام. قليلون فقط من فلسطيني لبنان تزوجوا شيعيات".

ـ هذه الأفكار يا عماد غير صحيحة، وغير علمية، وجزء من التربية والثقافة الطائفية السائدة في هذا البلد المنخور بالطائفية. لنعد إلى المخيم، لنقرأ أولا البرقيات الواردة والصادرة، من قال لك إن حزب الله دخل إلى مغدوشة ؟

ـ سمعتهم على الجهاز يتحدثون مع الرفاق عبد الكريم وماهر حمدي ومع عامر قاروط. سمعتهم يحددون بعضهم لبعض أماكن التواجد وأماكن اللقاء. والرفيق عبد الكريم تحدث على الجهاز مع شخص قال إن اسمه الحاج عبد الهادي واتفقا على اللقاء الليلة وحددا البيت الأزرق الواقع في رأس زاروب مقر ابو فادي. انا خايف من ان يقتلوا عبد الكريم. أعتقد أن من الخطأ ان يتم اول لقاء معهم في الليل، أليس كذلك يا رفيق ؟

ـ بسيطة، كان الأفضل تأجيل اللقاء حتى الصباح، ولكن لا خطر، فاللقاء متفق عليه في إطار التنسيق مع الشيخ عباس الموسوي وهو ليس أول لقاء.

ـ فعلا التقى بالقرب من الكنيسة عبد الكريم ومعه ماهر حمدي بالشيخ عبد الهادي حمادة مندوب حزب الله وحضر اللقاء أبو أحمد من السفارة الايرانية.

هنا استأذن جمال في أن يوجه لي سؤالا لم يعد قادرا على تأجيله: لماذا الرفاق في دمشق مصرون على الإنسحاب من مغدوشة؟. وقال لي إن صراخي مع أبو ليلى كان مسموعا في الشارع، وأصحاب الشقة في الطابق العلوي خرجوا على الشرفات، وكذلك الجيران من الجهة الأخرى. وروى جمال أن " فتح " شغلت الليلة ميكروفونات الجامع ودعت كل شباب " فتح " والمخيم إلى الصعود إلى مغدوشة للدفاع عن أنفسهم وعن مخيمهم، قالوا في الميكروفونات ان قيادة الجبهة الديمقراطية المتواجدة في دمشق قررت الإنسحاب من مغدوشة، وسموا الرفيق الامين العام بالإسم وحملوه مسؤولية القرار. عيب عليهم، نحن حلفاء، ولم ننسحب حتى الآن، تنكروا بسرعة للتحالف وللعيش والملح ".

ـ الإنسحاب يا جمال قصة طويلة، والسبب أننا ثورة خارج أرضها، والسوريون لا يريدون أي دور لمنظمة التحرير في لبنان. وكل شيء له ثمن، إقامة الرفاق في دمشق لها ثمن وكذلك التحرك بحرية في لبنان له ثمن أيضا، والثمن المطلوب هو الإنسحاب من مغدوشة. والمثل الفلسطيني يقول: لا يحرث الارض الا عجولها. والآن وصلنا مقر العمليات، نكمل الحديث لاحقا، وبامكانك طرح رأيك في الموضوع في الاجتماعات الحزبية.

الانسحاب من المواجهة بعد صراع مرير بانتظار ظروف انسب

نزلنا من السيارة وجمال يقول: "والله يا رفيق اذا طرحت رأيي فلا أدري ماذا يفعلون بي، قد يسجنوني أو يفصلونني، وأنت تعرف أننا تابعون للمنظمة الحزبية في الأمن الوطني".

فكررت النصيحة اطرحوا آراءكم ولا تخافوا! وتوجهت نحو باب مقر العمليات. سمع الحارس أبو يوسف كلمة بسيطة، فقال لا والله يا رفيق ممدوح مش بسيطة، تبهدلنا كثير يا رفيق".

قلت: "عم تتحدث يا أبو يوسف ومن الذي بهدلنا".

رد أبو يوسف بصوت شبه مخنوق فيه ألم وحزن: "الإنسحاب من مغدوشة ليس مسألة بسيطة يا رفيق، كل أهل المخيم ضدنا، و"فتح" صبت الزيت على النار، مش معقول، مش معقول، "فتح" هاجمتنا في ميكروفونات الجامع، "فتح" قالت عنا إننا خذلناهم. "فتح" قالت لكل الناس إن الديمقراطية تخلت عن دم الشهداء. الله اكبر! "فتح" تقول عنا إننا بعنا دم محمود خليفاوي ودم أبو سمرا وكل الشهداء، ذكرتهم بالإسم يا رفيق. "فتح" هاجمت الرفيق الأمين العام بالإسم، أنا والله يا رفيق تمنيت لو أني مت مع محمود وأبو سمرا، انا غير قادر على البقاء في هذا الموقع، والله لولا العيب لذهبت الان إلى مغدوشة، ولكن لا أحد في المقر هنا، مقرنا يا رفيق صار خرابة الكل يهرب منه، ولا أحد من أهل المخيم يزوره".

- طول بالك يا أبو يوسف، البكاء والعويل لا يفيدان ولايعالجان الاشكال.

- أرجوك يا رفيق، حلها قبل أن تدمر الجبهة!

دخلت غرفة الإشارة. تبعني الختيار أبو يوسف صديق الشهيد الحاج سامي هو يبكي ويقول ويكرر: حلها يا رفيق قبل ما تخرب بالمرة. وكانت لديه حزمة أنباء: كثير من الرفاق من مليشيا عين الحلوة حضروا للمكتب ولم يجدوا أي مسؤول، بعضهم قال إنه سيسلم سلاحه، والبعض الآخر قال إنه صاعد إلى مغدوشة مع شباب "فتح". المسؤولون هربوا، أحد الرفاق قال لي إنه ذهب إلى بيت أبو السعيد ولم يجده وذهب إلى بيت رمزي فرفضوا مقابلته وقالوا له إنهم في اجتماع مغلق. "تصور يا رفيق مجتمعين ،تصور مجتمعين والميكروفونات شغالة ضدنا".

- طول بالك يا أبو يوسف، دعني أفهم الموضوع. دعني أقرأ البرقيات، اتركونا يا شباب أريد التحدث على الجهاز.

غادر عماد وجمال غرفة الاشارة وغادرها أبو يوسف وهو يقول: "لا، لن أطول بالي، لن أبقى في هذا المخيم، لن أبقى في الجبهة، ولن أبقى في الثورة حتى لو مت جوعا

وماتت امرأتي واولادي جوعا، سأعمل زبالا فهذا أفضل وأشرف من العمل في هذا التنظيم وهذه الثورة كلها".

استعرضت ملف البرقيات الواردة فوجدت برقية من الأمين العام إلى أبوليلى ولاطلاع أعضاء اللجنة المركزية وأعضاء أمانة الإقليم تقول: "لا يحق لأحد كائنا من كان أن يلغي قرار المكتب السياسي، ونؤكد على: أولا، ضرورة إحترام قرارات الهيئات الاعلى. ثانيا، ضرورة تنفيذ قرار الإنسحاب من مغدوشة الليلة قبل الصباح. ثالثا، ستصلكم غدا صباحا رسالة من المكتب السياسي يرجى قراءتها على الجميع".

أغلقت الملف باستياء، ولاحظ عامل الاشارة حركتي المتوترة ورأى اني لم أقرأ اي برقيات أخرى، فقال إن هناك عددا آخر من البرقيات الهامة من الضروري الاطلاع عليها، ومن ضمنها برقية من الشمال تحتاج إلى رد، وكذلك برقيات من الرشيدية وشاتيلا والبرج. ثم أوضح منذ المساء والرفاق يطلبون الرد وأنا أقول لهم انتظروا ريثما يأتي المعني بالأمر! استفسارات من الجميع حول الإنسحاب من مغدوشة، وحول نص الاتفاق مع حزب الله بشأن الدخول إلى مغدوشة. الكل يسأل عما اذا كانت ترتيبات دخول حزب الله تتضمن اي ترتيبات بشان المخيمات المحاصرة. وهناك برقية من الرفيق ابراهيم النمر من الرشيدية تقول ان أحد المشايخ المحسوبين على حزب الله دخل إلى مخيم الرشيدية، وقد اجتمعوا به ثم اوضح ان دخوله جاء ضمن ترتيبات تم الاتفاق عليها معك ومع الاخوان في قيادة "فتح". ولاحقا تأكدت أن الشيخ سلم الرفيق ابراهيم النمر المبلغ المالي الذي سلمناه للشيخ عباس الموسوي لتأمين وصوله إلى مخيم الرشيدية. وفهمت من الرفاق في المخيم أن مرافقي المشايخ والعلماء الذين رافقوا مندوب الإمام الخميني إلى المخيم تركوا ذخائرهم في المخيم في تصرف المدافعين عنه.

فكرت بما يمكن أن أقول للمستفسرين، وبماذا سأرد على برقياتهم؟ وحسمت الأمر بالهروب من الموضوع، وقلت: جيد، الرفاق جميعهم الان نائمون وغدا صباحا نقوم بالرد عليهم.

- لا أحد نائم، وكلهم يقظون ينتظرون الرد، واذا لم يتلقوه فسوف يفشون خلقهم فيّ.

- أبلغهم ان المعني الأول حضر وأجل الرد حتى الصباح.

- هل تكتب هذه الملاحظة حتى لا أتحمل المسؤولية، وحتى أرسلها بصورة خطية ورسمية. تناولت القلم ودفتر البرقيات وكتب الملاحظة. استغل العامل هذه الحركة القصيرة والسريعة ليقول إن الرفيق أبوليلى أرسل تقريرا مطولا إلى دمشق، ورجاني العامل أن أقراه. تناولت الملف. وقال العامل إن التقرير تفصيلي أرسله الرفيق رمزي مع سائقه، تردد هو العامل في بثه لأنه يتضمن معلومات وتفاصيل سيئة من الخطأ

إرسالها على الجهاز. وذكّرني بان السوريين يلتقطون انفاسنا وليس برقياتنا فقط والتقاطهم هذا التقرير يعرض حياتي أنا للخطر.

قرأت السطور الأولى وبعض الكلمات المتناثرة من الصفحة الأولى وقلت: " بسيطة هذه وثيقة شرف ".

- حاولت عدم إرساله، وأرسلت ملاحظة للرفيق رمزي لفت نظره إلى خطورة إرسال هكذا تقرير بالمفتوح، وقلت له لا أستطيع تشفيره لأنه طويل جدا. لكن الرفيق رمزي أرسل لي رسالة خطية قاسية، ومنفعلة تطلب أن يرسل التقرير فورا كما هو وأي تأخير يضعني تحت طائل المسؤولية.

- فليرسلوا ما يشاؤون، المهم الآن أن لا خوف على الرشيدية وعين الحلوة، فحزب الله دخل الرشيدية ودخل مغدوشة، إطلب لي عبد الكريم.

- عبد الكريم في لقاء عند حزب الله ولم يعد حتى الآن.

- في حال اتصاله بكم أبلغ إليه أني سألت عنه وسألتقيه غدا صباحا في مغدوشة.

- لكن برقية الرفيق الأمين العام تقول بضرورة الإنسحاب الليلة، فهل سنبقى في مغدوشة يا رفيق ؟

- أكيد حتى مساء الغد، أما بعدها فلا أدري.

قبل مغادرة مقر العمليات باتجاه بيت عصام توقفت للحظات مع الحارس أبو يوسف في محاولة للتخفيف عنه، إلا أنني فشلت، فتركته حزينا، لم أستطع تبديد حيرته أو تخفيف ألمه. ومع صعودنا السيارة، أغلق عماد جهاز الاتصال، وأدار جهاز الراديو وراح يلعب بابرته وكأنه كان يبحث عن إذاعة معينة ليسمع شيئا محددا. هذه محطة تغني وتلك تذيع خطابا وثالثة تتحدث بلغة أجنبية. أوقف عماد إبرة الراديو على محطة تقرأ القرآن. قلت في نفسي عماد شاب ذكي يريد أن يعبر لي عن حزنه، يريد أن يقول أنا حزين وأعيش في مأتم وأسير في جنازة. وعلى غير عادته، ساق عماد سيارته ببطء شديد.

قلت لنفسي: اتركه يفعل ما يشاء، اتركه يعبر عن ألمه وحزنه بالطريقة التي يراها مناسبة، فليس لديك ما تقوله له او لسواه من الرفاق سوى وداعا يا من أحببت. واضح أن قرارك هو الهروب وليس قيادة إنقلاب عسكري، أنت لا تؤمن بالانقلابات وتمردك ليس وقته الآن. فالثورة الفلسطينية في حالة تراجع وسكون وليست في حالة مد وصعود. أتركه واترك سواه من الرفاق المناضلين ليقرروا ما يريدون بعدما قررت لنفسك الرحيل.

حين توقفت السيارة أمام منزل عصام، أبلغ الحارس إلينا أن الأخ أبو علي موجود في مغدوشة وقد ترك مفتاح الشقة وكلف الحارس تسليمي إياه إن أردت النوم، وطلب

ابلاغي أنه وكل الشباب وكل الإخوان في القيادة صعدوا إلى مغدوشة، وهم بانتظاري هناك ويتمنون علي أن أجيء إليهم.

شكرت الحارس وقلت إني سأحاول زيارتهم الليلة أو غدا صباحا. عدنا إلى الشقة وطلبت من الرفاق ان إنسوا الموضوع وناموا. اشعلت نور الحمام، وجلست أنتظر إرتفاع درجة حرارة الماء. ورحت أدون في دفتري عناوين المحطات الرئيسية للأزمة وعناوين اللقاءات التي سبقت إحتلال مغدوشة. بعد ارتفاع حرارة الماء، ملأت البانيو وكانت الحرارة شديدة نسبيا. تمددت وانا أقول لنفسي أنت بحاجة إلى ما يزودك بالدفء بعدما خسرت كل الطاقة التي شحنت بها نفسك ربع قرن من الزمن. خرجت من الحمام وأنا اقول لنفسي هل ستستطيع النوم أيها الشقي؟ شكرا لهذا الدماغ الذي لم ينفجر حتى الآن، شكرا له على صموده فقد أكد انه يتحمل الدعك. تمددت في السرير وتناولت كتاب التوارة الذي حملته معي من بيت الشيخ ماهر حمود. وفتحته على سفر التكوين ومنه إلى سفر نشيد الانشاد جذبتني اللغة الجميلة، لكن هموم ذلك اليوم كانت قد أجهدتني ونمت، ومنذ غفوت، داهمتني الكوابيس.

هوامش الفصل الثالث عشر

١- رمزي رباح : في حينه، كان عضو لجنة مركزية في الجبهة الديمقراطية وعضوا في قيادة لبنان تولى مهام قيادية متنوعة منها نائب مسئول منظمة الامن الوطني ثم صار قائدا لجهاز الامن، وعمل سكرتيرا تنظيميا لمنظمة الجبهة في منطقة صيدا، اشتهر بجمود مواقفه في القضايا الحزبية الداخلية وبأنه دائما منضبط ومطيع للقيادة الاعلى.

٢- أبو ماهر أحمد اليماني عضو مكتب سياسي في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين فلسطيني من ابناء الجليل ممن هاجروا إلى لبنان وقت النكبة. من مؤسسي تنظيم ابطال العودة في لبنان. وقد ساهم في تاسيس الجبهة الشعبية ومثلها فترة طويلة في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية.

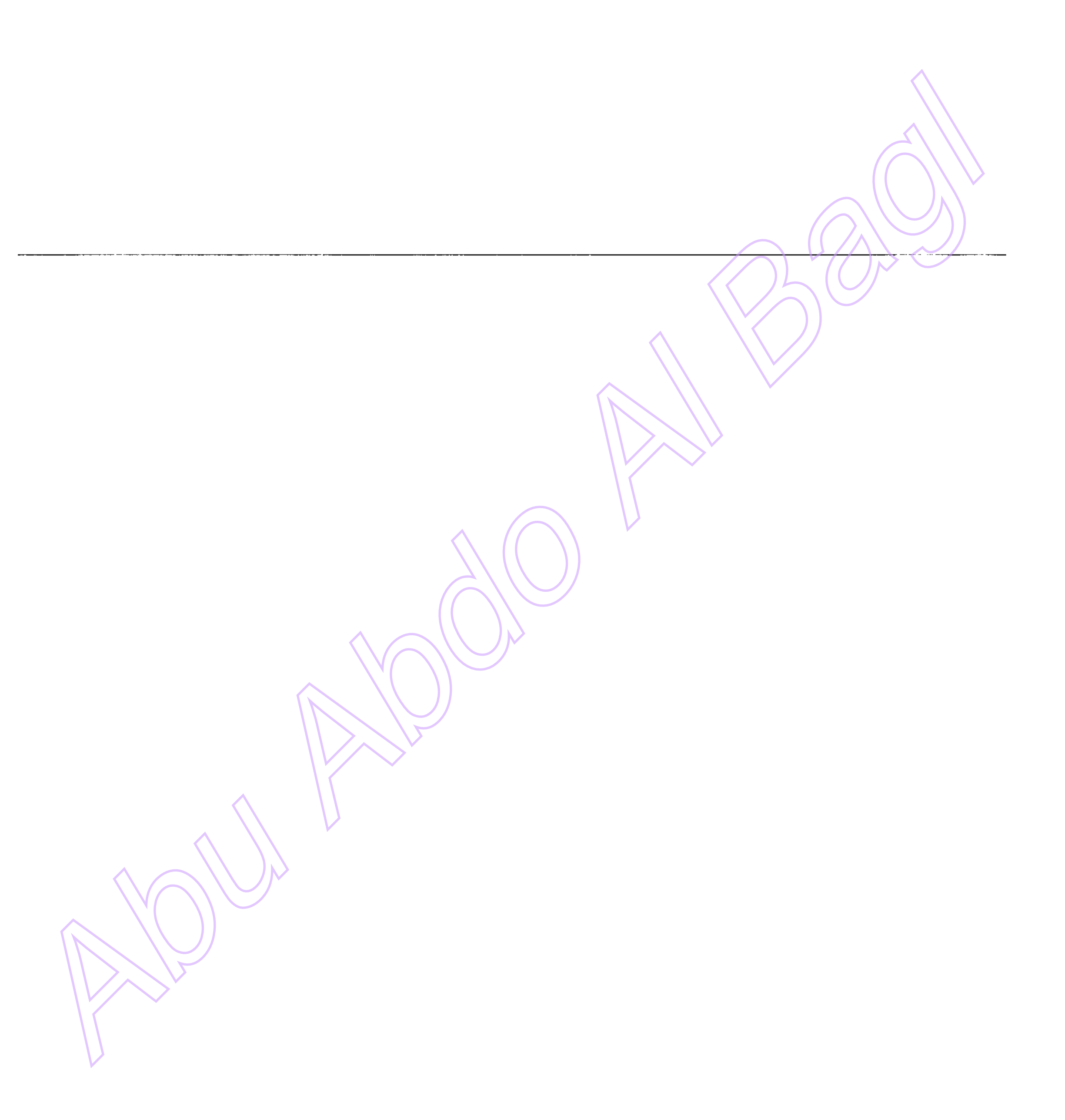
٣- جبهة الانقاذ الوطني اطار سياسي فلسطيني شكل بدعم سوري ابان الخلافات الداخلية وازمة العلاقة بين القيادتين الفلسطينية والسورية، وضم الجبهة الشعبية ومنظمة الصاعقة والجبهة الشعبية "القيادة العامة" وحركة "فتح" الانتفاضة جماعة أبو موسى وجبهة التحرير الفلسطينية وجبهة النضال الشعبي.

٤- فجرت معركة مغدوشة خلافات عنيفة داخل المكتب السياسي للجبهة. في البداية، وافق المكتب السياسي بالاجماع على احتلال البلدة بالتعاون مع قوات "فتح"، وبعد تعرض الجبهة لضغوط سورية قوية واعتقال عدد من كوادرها وتهديدها بتصفية وجودها القيادي والاداري والتنظيمي في سوريا، بدّل المكتب السياسي موقفه، ثم لم يلبث أن قرر بأغلبية بسيطة، احتسبت الاصوات فيها بالمراسلة، الإنسحاب من مغدوشة. ونشأت ازمة حقيقة داخل المكتب السياسي حول مفهوم استقلالية قرار الجبهة في العلاقة مع سوريا كان لها دورها لاحقا في التحريض والخلافات الداخلية التي ادت إلى انشقاق الجبهة عام ١٩٩١.

٥- اتخذ الحزب الشيوعي اللبناني موقفا غير متوقع من حرب "أمل" على المخيمات الفلسطينية. وكان واضحا ان موقفه طرح في سياق استرضاء القيادة السورية واسترضاء قيادة "أمل" وتجنب الضغوط من الجهتين. وفي حينه استغربت قوى لبنانية كثيرة مواقف الحزب وانتقده أحزاب شيوعية عربية بينها الحزب الشيوعي السوري ذاته. ولاحقا تراجع الحزب الشيوعي اللبناني عن مواقفه لكنه لم يعتذر للفلسطينيين.

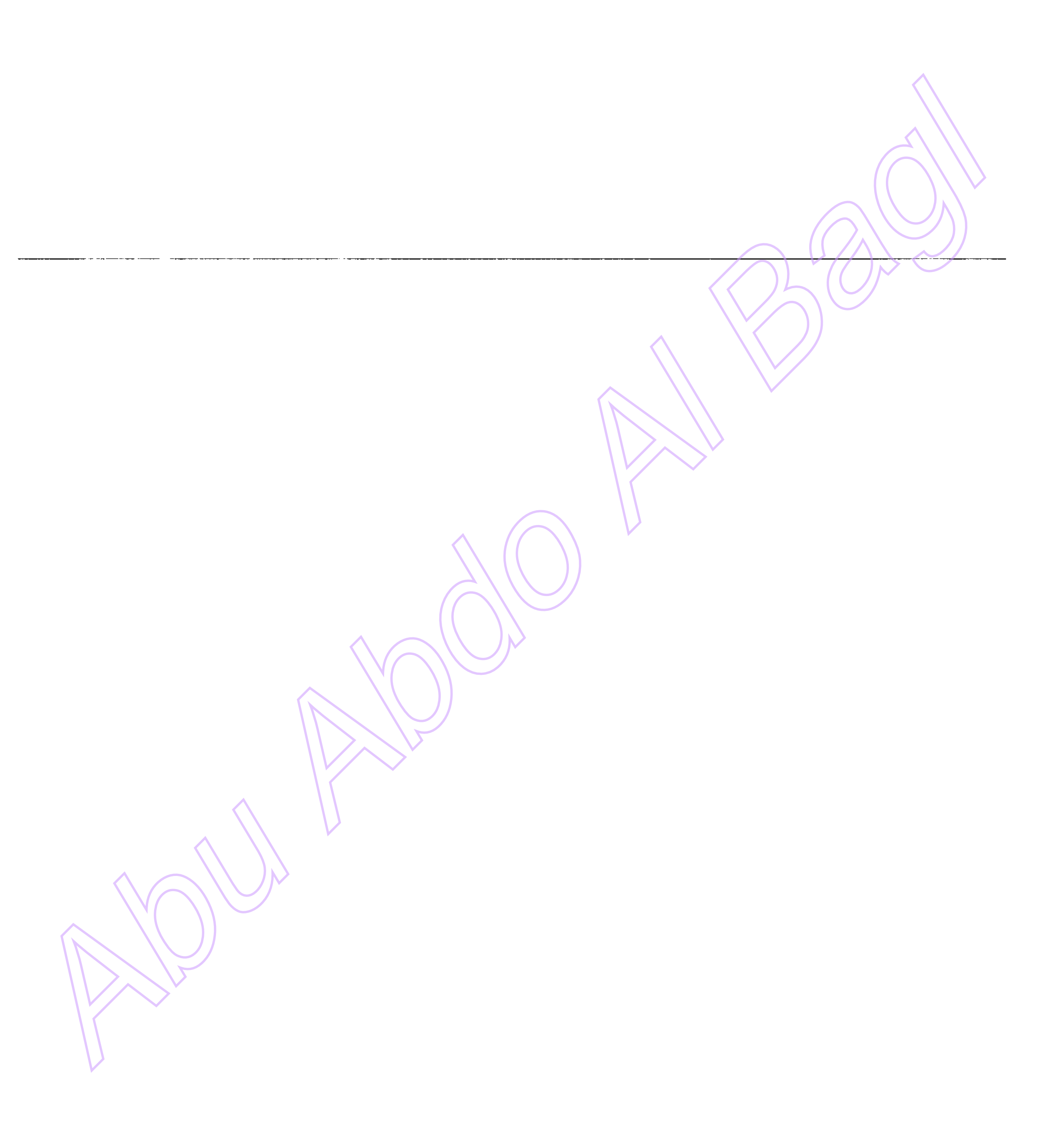
٦- في وقت مبكر، قررت قيادة منظمة التحرير صرف مبالغ شهرية من الصندوق القومي الفلسطيني للفصائل التي تتبنى الكفاح المسلح الفلسطيني، وكان نصيب الجبهة الديمقراطية في مرحلة ازدهار العمل العسكري قرابة ٢٠٠ الف دولار شهريا، وكانت حصة كل من الجبهة الشعبية ومنظمة الصاعقة أكبر قليلا لأن عدد أعضاء كل منهما في المجلس الوطني الفلسطيني كان يفوق عدد اعضاء الجبهة الديمقراطية.

٧- أعلن عن تشكيل التحالف الديموقراطي في آذار/مارس ١٩٨٤ اثر اجتماع عقد في عدن ضم الجبهة الديمقراطية والجبهة الشعبية وجبهة التحرير الفلسطينية بقيادة طلعت يعقوب والحزب الشيوعي الفلسطيني. وشارك في الاجتماع ممثل حزب الاشتراكي اليمني. وضم التحالف التنظيمات الفلسطينية الاربعة التي رفضت الانضمام لجبهة الانقاذ التي شكلتها سوريا. وهي التنظيمات التي لم تكن موافقة على بعض سياسات ياسر عرفات. ودعا التحالف إلى حل الخلافات الداخلية بالطرق السلمية ورفض الاقتتال الداخلي


Abu Abdo Al Bagl

الفصل الرابع عشر

تنفيذ الإنسحاب من مغدوشة



تنفيذ الإنسحاب من مغدوشة

ميكرفونات "فتح" تهاجم مواقف قيادة الجبهة الديمقراطية

في الصباح، أحضر الرفيقان المرافق والسائق جمال وعماد الجرائد كعادتهما كل يوم، وجهزا فطورا غير عادي وكأنهما يعدان مائدة الوداع. تناولنا الفطور ثلاثتنا وكنا مبتهجين. قلت لهم يا شباب إن هناك مثلا فلسطينيا يقول "إذا كثرت همومك إضحك لها". في درب النضال يستشهد رفاق وعلى الاحياء ان يستمروا في الحياة وان يفرحوا ويرقصوا ويغنوا. وأنبأت الرفيقين بأني قررت الاستراحة اليوم حتى الرابعة بعد الظهر. وطلبت منهما الذهاب إلى مقر العمليات وانتظاري هناك وعدم إبلاغ أحد باستثناء فهد ورمزي مكان وجودي، وإبلاغ كل من يسأل عني أني ذهبت في مشوار قصير وسأعود بعد قليل.

قررت الهروب من اللقاءات مع الناس والانصراف لترتيب أوراقي وأغراضي الشخصية تمهيدا للرحيل عن مدينة صيدا. قلت لنفسي طالما أنك لم تقرر التمرد وانك ترفض الالتحاق بحركة "فتح"، فالإنسحاب سيتم والتزام نايف مع السوريين سينفذ، والمسألة ليست كما يحاول أبو ليلى تصويرها حين يتذرع بالحرص الشديد على تنفيذ قرار حزبي، وليست دفاعا عن هيبة الهيئات القيادية وكرامة هذا الرفيق أو ذاك. الموضوع أبعد وأخطر، إنه وجهة سياسية جديدة للجبهة بدأت بعد رحيل قوات الثورة من بيروت، وكان أول ترجماتها إصرار نايف على تجميع كل قوات الجبهة في البقاع، وتركيز مقراتها القيادية وأجهزتها الإدراية في دمشق وبقية الأراضي السورية[1]. تلاها الموقف من الإنشقاق داخل "فتح" الذي قام به المنشقون عام ١٩٨٣-١٩٨٤ بتشجيع سوري، والذي وصفه نايف باقتتال الإخوة في "فتح"، ثم جاء القول إن عرفات إفتعل حرب المخيمات، وتحميله المسؤولية على قدم المساواة مع حركة "أمل". ثم الإصرار على البقاء في الشام ورفض كل العروض التي قدمت بالانتقال إلى تونس. والإنسحاب من مغدوشة هو خطوة جديدة، والحبل على الجرار.

لابد من الرحيل من صيدا، لكن إلى أين؟ إلى الجبل أو البقاع بالرغم من خطورة الوضع. المهم مغادرة صيدا حتى لا تكون شاهدا على جريمة الإنسحاب من مغدوشة ولا تضطر الى مواجهة الناس والرفاق. لاخوف على مغدوشة، لن تعود لحركة "أمل"، والقتال توقف مع دخول حزب الله، وأظن أن لا خوف أيضا على مخيم الرشيدية بعد دخول ممثل الإمام الخميني إلى هناك. أسمع الآن أصوات ميكروفونات، الكلمات حماسية لكنها غير واضحة تماما، وأسماء مغدوشة والرشيدية والجبهة الديمقراطية وصيدا و"فتح" تسمع بوضوح وتكرر اكثر من مرة. هل عادت "فتح" وشغلت الميكروفونات لتحريض أهل المخيم ضد قيادة الجبهة ودعوة أبناء المخيم للصعود إلى مغدوشة؟ هل أخرج مشيا على الأقدام لأسمع ما يذاع وما تقوله الميكروفونات؟ نعم لدي رغبة شديدة في سماع ما تقوله "فتح" حول الموضوع. وسألت نفسي: ماذا ستفعل إذا خرجت هل ستطلب من "فتح" وقف الهجوم على الجبهة؟ أو أنك ستنضم للمذيع لتقول كل ما في قلبك؟ أو ستحمل بندقيتك وتصعد مع ملبي النداء من أبناء المخيم إلى مغدوشة؟ وماذا ستقول للرفاق المقاتلين ولوجهاء المخيم وللناس العاديين؟ وأجبت نفسي لافائدة من الخروج خصوصا أنك قررت الإنسحاب من المعركة. حاولت ان أنسى الموضوع وأن أغير اتجاه التفكير، ولكن عبثا. كررت السؤال: هل ستنسحب من الجبهة وإلى أين ستنسحب؟ أين ستعزل نفسك عن البشر وعن الرفاق؟ الطريق إلى البيت حيث الزوجة والولد مغلق في وجهك وانت ممنوع من دخول سوريا، تريد دخولها واللجوء إليها وأنت تعاديها، هذا منطق أعوج.

المهم هو الهروب من صيدا. التفكير في لقاء الزوجة والولد يأتي بعد الخروج من صيدا. هل يقبل وليد جنبلاط ان تقيم في عمق منطقة الشوف؟ وهل هو مستعد لحمايتك من السوريين؟ وهل هو قادر على ذلك إذا أراد؟ هذا خيار، والرحيل بحرا إلى قبرص خيار آخر، ولكن هل يحل الاشكال؟ هل أقابل كلاتوشا السفير الروسي وأطلب منه مساعدتي في السفر إلى موسكو في بعثة عسكرية أو حزبية تكون غطاء للانزواء عن الناس؟ هذا خيار ثالث. البقاء في صيدا وفي كل لبنان صار شبه مستحيل بعد الآن. الاستمرار في التعايش مع نايف وأغلبية المكتب السياسي في الجبهة مستحيل. ما فعلوه وسيفعلونه بالتنظيم وبالقضية وبك شخصيا دفعك لتقرر شطب ١٧ عاما من العمل معهم. إنه تاريخك، ماذا ستقول للناس؟ هل ستعترف لاحقا بأنك ساهمت في بناء قوة فلسطينية وبناء زعامات جديدة إرتكبت أخطاء ترقى لمستوى الجريمة بحق الشعب والقضية الفلسطينية وسترتكب المزيد لاحقا؟

كيف ستوفق بين فضح جرائمهم وبين استمرارك في العمل معهم كل هذا العمر الطويل؟ هل هروبك يمنحك شهادة براءة من تنظيم ساهمت في ولادته وبذلت كل جهد لينمو ويكبر ثم تحوّل أخيرا بفعل سياسة قيادته إلى قوة بيد نظام عربي يستخدمه ضد شعبك؟ كيف ستدافع عن تاريخك، هل يمكن فرزه عن تاريخ التنظيم؟[٢]

فجأة، بدأ صوت الميكروفون يقترب مني وراح يضغط على الدماغ. لا، لا تغلق أذنيك، ولا تحاول وضع القطن فيهما فالصوت يأتيك من كل الاتجاهات وهو قادر على إختراق الحواجز. الترددات والنبرات القادمة من داخلك أقوى من تلك التي تأتيك عبر تموجات الهواء.

الصوت يقترب. أخرج إلى الشارع او إلجأ إلى الشرفة، دقق في الصوت وافهم ما يقال. أخرج كما خرج الجيران، واسمع ما يقوله المذياع المحمول على سيارة عسكرية. شاهد ما يشاهده الناس. وإذا كنت عاجزا عن التعبير عن رأيك وعن قناعتك بكلمة يسمعها الناس فاصرخ بها لنفسك بصوت عال عل ذلك يخفف عنك ضغط صوت المذياع! ماذا ستقول للجيران إذا خرجت وإذا شاهدوك على الشرفة أو في الشارع؟ أنت معروف لهم، ومنك تعودوا ان يسمعوا آخر الأخبار. حتى الأمس القريب، كنت تعتز أمامهم بعملك وبانتمائك. اطعموك زادهم واحترموك، أدخلوك بيوتهم، ورووا لك مشاكلهم بما في ذلك الداخلية منها لسبب وحيد هو أنهم وثقوا بك عندما كنت تقاتل دفاعا عنهم وعن كل أبناء المخيمات. هل ستشرح لهم حكاية مغدوشة من أولها إلى آخرها، وإذا سألوك السؤال اياه هل ستقول الحقيقة. لا داعي للخروج أهرب من وجوههم أسرع في الهروب! لكن إلى أين ستهرب، أنت الآن محاصر في هذه الشقة، أنت مطوق من كل الاتجاهات. ماذا لو طرقوا بابك واقتحموا الشقة وقذفوا السؤال داخل الشقة؟ أين ستهرب؟ إنهض، أسرع، أغلق الباب بالمفتاح، أغلق الأباجورات، لا تفتح لاحد إذا طرق الباب. لا، لا تتحرك، إغلاق الأباجورات والشبابيك يلفت الانتباه لوجودك. إبق مكانك لا تتحرك إطلاقا، إجمد مكانك فوق الكرسي الذي تجلس عليه لا تتحرك ولا تخرج صوتا قد يسمعه من يسكن تحتك أو فوقك أو بجوارك.

شباك المطبخ مفتوح وهو يطل على شرفات الجيران، لماذا لم تغلقه من قبل؟ إخلع نعليك تسلل حافيا إلى هناك وأغلق الشباك. بقاء الشباك مفتوحا إشارة على وجودك في البيت، هكذا تعود الجيران. أنت في مأزق، حشرت نفسك، بنيت علاقات حميمة مع الجيران ومع كثير من سكان الحي والمخيم. أنت المسؤول، أنت قصير النظر لم تفكر في كل الاحتمالات. قبلت أن تكون مشهورا ومعروفا في لبنان ولم تتردد في إبراز ذاتك. كونت لنفسك شخصية وطنية إجتماعية بالإضافة لشخصيتك الحزبية، وتصدرت اللقاءات مع القوى الفلسطينية واللبنانية وخطبت في الناس، زاودت على كثيرين ولم تحسب حساب هذه اللحظات، عليك دفع الثمن، ولن تستطيع الهروب. أينما هربت وكيفما هربت ستدفع الثمن وستجد من يعرفك ويسألك السؤال: لماذا صعدتم إلى مغدوشة إذا كنتم ستنزلون منها ؟

صوت المذياع يبتعد، لا تتحرك، إنتظر ريثما يبتعد أكثر، لا تتسرع، إبق مكانك. عدم القدرة على الوصول إلى المطبخ لعمل فنجان قهوة ضريبة عليك ان تدفعها، اصمد وابق مكانك. حتى الذهاب إلى الحمام حذار من التفكير فيه، أصمد واضغط على نفسك،

فأنانبيب المجارير في المبنى متداخلة ومربوطة بعضها ببعض واستخدام الحمام كاف لكشف وجودك في الشقة. حذار من إرتكاب أي خطأ يكشف وجودك، كفى أخطاء. ويكفي أنك أخطأت ولم تصعد إلى مغدوشة، وأخطات وأبقيت باب الشقة غير مقفل وشباك المطبخ مفتوحا واباجورات الشبابيك مفتوحة. ماذا ستفعل إذا حضر جمال وعماد وتجمهر الناس أمام البناية أو الشقة ليسألوك السؤال إياه، هل ستفتح لهم الباب، وكيف ستقف أمام الناس وماذا ستقول؟ هل تستطيع النظر في عيونهم ؟

افتح جهاز اللاسلكي، الجهاز أمامك وفتحه لا يتطلب أي حركة، ناد على المحطة الرئيسية واطلب منها إبلاغ عماد وجمال البقاء في مواقعهما وعدم الحضور إلى الشقة في كل الظروف والأحوال قبل المساء.

سيحضران في الرابعة بعد الظهر، لديك وقت كاف، إذن لا داعي للاتصال. ولاتنس ان فتح الجهاز قد يؤدي إلى الكشف عن وجودك حتى لو لم تتكلم، فالجهاز يلتقط كلام الآخرين وقد يسمعه الجيران. أما إذا تكلمت فالفضيحة ستصل إلى كل مكان خصوصا من هم معك على الشبكة وكل المتنصتين على أجهزة المقاومة. إبق مكانك وإقرأ ما هو أمامك. أمامك جرائد الصباح وجرائد قديمة تكفيك لساعات طويلة، وإذا مللت من القراءة فكر في مستقبلك، فأنت منذ هذه اللحظة عاطل عن العمل. هل ستستطيع العودة إلى الحياة المدنية. زوجتك أيضا عاطلة عن العمل، هل ستلجأ لاخوانك المتواجدين في الكويت ليساعدوك؟ هل ستقبل ان يستمر التنظيم في تغطية مصروفاتك الأساسية إذا تكرموا بذلك؟ أم انك ستطلب انهاء تفرغك وتطلب مستحقاتك وفقا للنظام المالي المعمول به في التنظيم، شهر عن كل سنة يوفر لك مبلغا تستطيع العيش فيه لحين تدبير رأسك؟

صوت المذياع المتنقل إختفى، أما مكبرات المسجد فما تزال شغاله. أظن أن الأمور مرت بسلام، وعليك أن تحمد ربك لأن أحدا لم يطرق بابك حتى الآن. الآن بإمكانك التحرك ولكن بحذر شديد. لا تتسرع يمكنك الوصول إلى المطبخ وعمل فنجان قهوة وليس اكثر، يمكنك إستخدام الحمام بحدود تعرفها. عليك الانتباه لكل عاداتك القديمة ولا تسمح لها بان تكون سببا في فضح وجودك، فالإنسان أسير عاداته. اتعبت نفسك كثيرا واضح أن ذهنك مشتت وغير قادر على التركيز.

إصح وتحرك بشكل طبيعي ولا تهرب من الناس. أطرق باب الجيران وقل لهم الإنسحاب من مغدوشة خطأ جسيم أنا كنت وما أزال ضده وأغلبية قيادة الجبهة هي المسؤولة عن هكذا قرار. قل لهم أنا أنهيت علاقتي بالتنظيم بسبب هذا القرار. أخرج للناس وقل لهم لا تقلقوا على الوضع في مغدوشة. قل لهم أن لا خطر بعد الآن على عين الحلوة فقوات "أمل" مستنزفة وقد تهشمت عسكريا ومعنويا. قل لهم مغدوشة ستبقى تحت السيطرة الفلسطينية وقوات "فتح" باقية فيها حتى لو انسحبت قوات الجبهة الديمقراطية. كن شجاعا واخرج للناس وقل لهم إذهبوا إلى مغدوشة وساندوا

إخوانكم الصامدين هناك. لا تعذب نفسك في التفكير في المستقبل، أنت الآن في وضع انتقالي لا يسمح لك باتخاذ أي قرار نهائي.

قبل ان استعيد السيطرة الكاملة على تفكيري، سمعت طرقات قوية على باب الشقة. انتظرت وركزت انتباهي باتجاه الباب لأتحقق مما إذا كانت هذه طرقات حقيقية أم إنها استمرار لحالة التشوش والوسواس القسري والشرود الذهني المزعج التي كنت أعيشها قبل هذه اللحظة. عاود الطارق طرق الباب بقوة أكبر. نهضت وفتحت الباب.

دخل فهد. صباح الخير يبدو أنك مغلق الجهاز؟

ـ صباح الخير، أغلقت الجهاز لأني أخذت قراري وحسمت أمري.

ـ قبل الحديث عن قرارك أو قرارات الرفاق في دمشق أو قرارات الرفاق في لبنان لا بد من التحرك، لا بد من وقف سفالات "فتح"، قبل قليل، كاد أن يقع اشتباك بيننا وبينهم. بلا أخلاق وليس لهم صاحب.

ـ حول ماذا الإشتباك؟

ـ حول ماذا يا ممدوح؟ ألم تسمع ما يقولونه في الميكروفونات، لم يكفهم ما قالوه طيلة ليلة امس حتى صباح اليوم أيضا، شغلوا ميكروفون المسجد وآخر على سيارة متنقلة، هدفهم الوحيد الهجوم على الجبهة والتشهير بالرفيق الأمين العام. بعض شباب تنظيم الجبهة في صيدا المدينة استفزوا، وحاولوا مناقشة شباب "فتح"، وكانت النتيجة سحب سلاح.

وطلب فهد مني التدخل لوقف ما أسماه السفالات والولدنات. طلب ان اتصل أنا مع أبو علي عصام ومع عبد المعطي وعلاء وأطلب منهم وقف الإبتزاز والتشهير. وقال: "لن نسمح باستمرار التحريض والتشهير مهما كانت النتيجة".

ـ ماذا كنت تتوقع منهم أن يفعلوا؟ طعنتهم في الظهر، وغدرت بهم في أصعب اللحظات، وتريد منهم أن يسكتوا عن حقهم في دعوة الناس للدفاع عن النفس. من حق "فتح" أن تقول الحقيقة للناس. أليست الجبهة الديمقراطية صاحبة نظرية كل الحقيقة للجماهير؟

ـ أن يدعوا أهل المخيم للدفاع عن مخيمهم شيء، وأن يشنوا هجومهم على الجبهة وقيادتها شيء آخر مختلف تماما. قيادة "فتح" في لبنان لا صاحب ولا حليف لها، نسوا بسرعة المساعدات التي قدمتها لهم الجبهة خلال صراعهم مع أبو موسى. حتى اللحظة قواتنا لا زلت في مغدوشة، وسنرى بطولاتهم بعد إنسحاب قواتنا من هناك.

ـ سيصمدون وستبقى مغدوشة تحت سيطرة "فتح".

ـ أشك في هذا.

وكرر فهد طلب الاتصال مع عصام وعلاء وعبد المعطي لوقف تحريض الناس ومقاتلي الجبهة ومليشيتها ضد قيادة الجبهة ووقف الاغراءات المالية التي يعرضونها على الشباب. وأكد أنه سيفصل كل عنصر مليشيا التحق ب "فتح" في مغدوشة وكل مقاتل يبقى هناك بعد تنفيذ الإنسحاب(٣).

ـ يا فهد، بلّغ إلى أصحابك أني مستقيل من الجبهة، وإذا كان لكم عندي شيء خذوه. أنتم أحرار، اشتبكوا مع "فتح"، انضموا إلى جبهة الانقاذ بقيادة أبو موسى وجبريل، ساندوا حركة "أمل" في مقاتلة العرفاتيين، واستعينوا بالجيش السوري إذا شئتم. افعلوا ما تشاؤون، اسحبوا قواتكم أو أبقوها، اتصلوا مع عصام ومع من شئتم من "فتح" في لبنان وفي تونس، أنا لم يعد لي علاقة بكم اطلاقا. انسوا شخصاً اسمه ممدوح، انسوه تماما، بامكان السيدين أبو ليلى ونايف حواتمة الاتصال مع أبوعمار وأبو إياد وأبو جهاد وأبو الهول وبحث الاشكال معهم.

ـ اتركنا من هذا الكلام الان، كل شيء يجري بحثه في وقته، وعلى ظهر من سوف تترك كل هذه المصائب. أنا لست مستعدا للبقاء ساعة واحدة في لبنان، انت تعرف أني فكرت اكثر من مرة بالرحيل إلى ألمانيا. وسأرحل قبل الجميع إذا لم يقم كل واحد بمهماته. إذهب إلى مغدوشة حيث يتواجد قادة "فتح". وجميع الرفاق يطلبون اللقاء بك.

ـ فهد، اسمعني جيداً. أنا لم يعد لي علاقة بالتنظيم، اليوم سوف اغادر صيدا بدون رجعة. بعد ساعات ساغادر إلى الجبل، وبعدها سأغادر الجبل.

واقترحت عليه أن يصعد هو مع أبو ليلى إلى مغدوشة وأكدت أني لن أذهب إليها بعد إنسحاب قوات الجبهة منها. وسأحرص على صداقتي الشخصية مع كوادر "فتح" ومع من أريد من قيادة الجبهة.

ـ إياك مغادرة جسر الأولي!

قال هذا التحذير، وأكد ان معلومات الرفاق في دمشق تؤكد ان السوريين يترصدون تحركاتي وحقدهم كبير. وقال: "انت لم تسمع كل ما عند أبو ليلى خصوصاً حول هذا الموضوع". وبين ان معلومات الرفاق انه سوف يتم ترحيل كل الرفاق من دمشق إذا لم يتم الإنسحاب خلال ٤٨ ساعة، وستغلق المخابرات كل المكاتب، وقد وجهوا إنذاراً رسمياً للجبهة خلاصته إما الإنسحاب من مغدوشة وإما اتخاذ إجراءات شبيهة بالاجراءات التي اتخذت ضد "فتح" قبل الإنشقاق، وهذا يعني اعتبار الجبهة الديمقراطية تنظيماً محظوراً على الساحتين السورية واللبنانية. وأضاف: "وأنت تعرف انهم سبق لهم أن رحلوا ياسر عرفات بعظمته من دمشق، رحلوه خلال ساعات، ولن يترددوا في ترحيلنا، ونحن لا نتحمل هكذا اجراءات، لا نتحمل ما تحمله عرفات".

وأشار إلى ان معلومات أبو ليلى تقول إن السوريين جهزوا قوة لاقتحام منطقة صيدا إذا لزم الأمر. وهناك معلومات مؤكدة بأنهم سيرسلون الليلة قوات إلى مغدوشة لتنظيفها من " فتح "، وحتى ظهر الغد لن يبقى فيها أحد من الفلسطينيين. سينظفونها ويعطونها لنبيه بري وعاصم قانصو وجورج حاوي، وسوف يعاقبون وليد جنبلاط وأبو معروف على مواقفهما. وجدد اقتراح الذهاب إلى مغدوشة وتقديم نصيحة لشباب " فتح " بالإنسحاب قبل أن يدمروا ويرحلوا من لبنان كما رحلوا من طرابلس. وقال: " تفضل هم يسمعون منك، أوراقي أنا سقطت عندهم وأوراق أبو ليلى محروقة تماما ".

- انتهى كل شيء بالنسبة لي، لا علاقة لي بكم ولا بـ " فتح ". أنتم أحرار، صدقوا ما تقوله المخابرات السورية، حزب الله دخل إلى مغدوشة وانتهى الموضوع، الجيش السوري لن يدخل إلى صيدا ولن يرسلوا قوات إلى مغدوشة. السوريون قبلوا بالحل عن طريق حزب الله. دخلوا صيدا عام ١٩٧٦ ودفعوا الثمن، واعتقد انهم لن يكرروا خطأهم. لن يدخلوا صيدا الا برضى الامريكان اولا، وأصحابها ثانيا وعلى رأسهم أبومعروف. السوريون أذكى من أن يدخلوا في إشتباك مباشر مع الفلسطينيين. لديهم أدواتهم وما يقولونه ليس سوى ابتزاز لكم للإنسحاب من مغدوشة.

- لا تغلط في الحساب، معلومات الرفاق من السوريين مباشرة، بعض الضباط الوطنيين الشرفاء أطلعوا أبو أدهم على التعليمات الصادرة بخصوص التصرف مع الجبهة، يوسف فيصل والشيوعيون نقلوا نفس المعلومات. السوريون دمروا حماة وقتلوا عشرين ألف سوري ولن يترددوا في قتل بضعة آلاف من الفلسطينيين واللبنانيين في لبنان، تفضل مارس مهماتك، تفضل أنقذ الموقف وأنقذ أصحابك في " فتح " !

- يا فهد، كبر عقلك، السوريون استخدموا مخابراتهم واستخدموا الشيوعيين للضغط على الرفاق في دمشق وتخويفهم، والآن يستخدمون الرفاق في دمشق للضغط علينا في لبنان، وأبو ليلى يريد ان يستخدمني ويستخدمك في الضغط على " فتحٍ " في صيدا. " فتح " لديها قرار بالقتال والصمود ولن تتراجع عنه اطلاقا. وأنا شخصياً ضد إنسحابهم من مغدوشة لأن إنسحابهم يعني تهجير مخيم عين الحلوة. أنصحك بعدم تضييع الوقت معي فقد أخذت قراري وسأغادر بعد قليل إلى الجبل.

- هل أنت مجنون، السوريون يسعون إلى تصفيتك وليس إلى اعتقالك، ويعتبرونك خطرا عليهم. إياك ان تتحرك من صيدا، صيدا أفضل مكان لك. كيف ستمر عبر حواجزهم؟ وكيف ستقيم في منطقة خاضعة لهم؟ أنصحك بعدم التهور، واعتقالك يضع قيادة الجبهة في ورطة جديدة مزدوجة، داخلية وخارجية. وسوف تتهم القيادة بالتواطؤ مع المخابرات السورية، و" فتح " ستقول إن نايف سلم ممدوح للسوريين، يكفينا اعتقال عضو مكتب سياسي واحد.

- اعتقد ان أبوالعبد عضو المكتب السياسي المعتقل عندهم مرتاح من كل هذه العذابات. ان يكون الإنسان في المعتقل خير ألف مرة من ان يكون خارجه ويرى تنظيمه ينهار أمام الابتزازات السورية. أليس من العار صمت الجبهة على اعتقال أبو العبد؟

- نحن أمام عاصفة قوية علينا الإنحناء أمامها وبامكاننا الهروب مؤقتا. موقفك مغامر وانتحاري. الشعبية كما ترى مبطوحة وليست منحنية فقط، القوى الوطنية اللبنانية كلها مبطوحة ومستسلمة للسوريين وفي مقدمتها الرفاق في حزب الطبقة العاملة.

وذكرني بصمود الجبهة وحدها أكثر من عام ونصف. واقترح علي ان نتحرك معاً إلى مغدوشة:

- بامكانك أن تقول للجميع إنك ضد الإنسحاب ولكنك تنفذ قرار المكتب السياسي.

وبيّن ان أبو ليلى معتكف هو الاخر في بيت رمزي. وأكمل فهد: حضرتك أهنته وجرحته، وهو يقول إما أنا في هذا التنظيم وإما ممدوح. أمس عرض رمزي ما حصل بينكما بالتفصيل. فعلا، ما قلته كان جارحا، وجميع الرفاق أعضاء الأمانة تأثروا بالرواية، وبعد الصدام مع أبوليلى جميعهم أصبحوا مع تنفيذ قرار المكتب السياسي لأنك حشرتهم، أي موقف ضد تنفيذ الإنسحاب سوف يكون له بعد الان تفسير مختلف. سنسمع عن تفسيرات تكتلية وشللية وارتباطات شخصية.

- يا فهد، إهانة فرد جريمة لا تغتفر، أما إهانة شعب والتلاعب بمصير مخيم فمسألة فيها نظر، أهذا ما تريد أن تقنعني أنا به. أبلغ أبو ليلى ان الجبهة مبروكة عليه. ولا أريد مناقشة موقف الرفاق، أكملوا المسرحية، أنا مستقيل من الجبهة وهذا أضعف الإيمان، ولن أسجل على نفسي تنفيذ قرار ضد شعبي، إعملوا ما شئتم وسأعمل ما أريد. لو كانت الثورة في حال مختلف لكان قراري مختلفا.

- هذا موقف تدميري للجبهة، موقف متسرع وتهور.

- فسروه كما شئتم.

- يعني لا فائدة، وماذا سيقول الناس؟

- ليقولوا ما يشاؤون، وأظن أن ما سسيقولونه حول موقف ممدوح أخف ألف مرة مما سيقولونه حول جريمة الإنسحاب من مغدوشة والتخلي عن الناس في المخيم. حاول أن تعمل شيئا آخر مفيدا أما انا فلا جدوى مني.

ناولني فهد عدة رسائل وبرقيات من الأمين العام شخصيا وبعضها من المكتب السياسي في دمشق وتمنى علي قراءتها. فطلبت أن لا يترك عندي شيئا، وكررت أني مغادر، ولا أريد قراءة شيء من قيادة الجبهة.

- لكن بعضها موجه إليك مباشرة. ودعني ألخص موقفك.

- لا داعي للتلخيص، موقفي واضح وملخص نفسه بنفسه.

- ألخصه بنقاط محددة: ضد الإنسحاب في كل الظروف، وضد الالتزام بتنفيذ قرار المكتب السياسي والامين العام، ولا تعارض تنفيذ الإنسحاب في غيابك.

- إفهم موقفي كما تريد، أنا ضد الإنسحاب بحضوري أو غيابي، تصرفوا كما تشاؤون، الأمر أصبح من الماضي بالنسبة لي.

- سأقول للرفاق إن ممدوح ضد الإنسحاب وسيغيب عن صيدا ٤٨ ساعة.

- قل لهم ما تريد، لكن لا داعي لخداعهم، قل لهم ممدوح إستقال من الجبهة وهو يعتذر من كل الشهداء ومنكم عن عدم التوديع ويتمنى للجميع التوفيق.

- لي رجاء ان تبقى في صيدا ريثما نرى كيف ستتطور الامور. هناك خطر حقيقي على حياتك، ونحن سنسحب القوات اليوم مساء. وسنراقب ما يدور، وبعدها لكل حادث حديث، أرجوك، رسالة قصيرة منك إلى عصام ليوقف التحريض ضد الجبهة واعتبرها خدمة رفاقية.

- لن اكتب شيئا، ولن أبقى في صيدا، سأنتظر غروب الشمس وأتوجه بعدها إلى الجبل إلى البيت في الشويفات، وسأحاول بعدها التوجه إلى الشوف.

- وبعدها؟

- صدقا لا أعرف، يمكن إلى سجن المزة، يمكن إلى المختارة، يمكن إلى قبرص. لا أعرف الآن، صدقني لا أعرف.

غادر فهد وهو يقول إن هذا تدمير للجبهة، ويكرر القول إنه لن يبقى لحظة واحدة في لبنان بل سيرحل إلى المانيا. ودعته وأنا أقول إن الإنسحاب من مغدوشة والاستسلام للسوريين هو الذي سيدمر الجبهة ويفقدها نكهتها الفلسطينية.

أهالي المخيم يرفعون الأحذية في وجه دعاة الإنسحاب

بعد مغاردة فهد، شعرت ببعض الارتياح، وبقيت في الشقة بانتظار قدوم عماد وجمال. كتبت سطرين لأبوعلي عصام قلت: "قوات الجبهة الديمقراطية ستنسحب الليلة، استقلت من الجبهة نهائيا وسأغادر صيدا إلى الدوحة، ومن هناك قد أذهب إلى المختارة، خذوا حذركم، إصمدوا دفاعا عن شعبكم، هذا قدركم، لا تصغوا للاشاعات السورية حول دخول صيدا، وجود حزب الله في مغدوشة يعني تجميد القتال. تحياتي لك ولكل الإخوان، وإلى اللقاء".

في الوقت المحدد لهما، حضر عماد وجمال الى الشقة، كانا حزينين كئيبين، ملامح وجهيهما تقول ان لديهما الكثير من الكلام الذي يريدان أن يقولاه، لكنهما ترددا في الحديث.

المرافقون في الثورة كنز معلومات، بعضها يندرج تحت بند أسرار عليا وبعضها عادية. بعضهم يصونها وبعضهم الآخر يفضحها وبعضهم يستغلها. مصادر معلوماتهم كثيرة ومتنوعة، والمعلومات بصنوفها تركض نحوهم وتفرض نفسها عليهم، وبعضها يصلهم عن طريق الصدفة. بعض المرافقين يهوى تجميع المعلومات، وبعضهم لا يولي الموضوع أي أهمية تذكر. كل الذين يسعون للتجميع يكونون عادة من النوعيات الثرثارة والمتملقة. يسعون لتجميع المعلومات اما لتقديمها في تقارير خطية للجهات الامنية المسؤولة عنهم أو لنقلها للقائد أو للاستعراض أمام الآخرين أو لكل هذه الأغراض مجتمعة.

عماد وجمال ليسا من العناصر الاستعراضية أو المتملقة وليسا من النوعية التي تستغل المعلومات. قلت للرفيقين إن ملامح وجهيكما تظهر ان لديكما ما تقولانه، هل أنتما جاهزين للتحرك؟ على الطريق يمكنكما قول ما لديكما.

وناولتهما الرسالة الموجهة إلى أبو علي عصام وقلت إن من الضروري ان تصله اليوم مساء. ونصحتهما بأن يبحثا عنه في مستشفى الهمشري أو في البيت، وإذا لم يجداه فليتركاها له عند المرافقين ويقولا لهم إنها رسالة مستعجلة.

ـ مرافقوا أبوعلي مروا على العمليات وسألوا عنك وقالوا انهم يريدونك لأمر هام جدا، وقد أكدوا على ضرورة ابلاغك ان أبوعلي بانتظارك في الهمشري، وانه نزل من مغدوشة خصيصا للقاء معك.

ـ اذن، أسرع يا عماد!

ـ كيف، وإلى أين يا رفيق؟ الخروج من صيدا مستحيل، الرفاق يقولون ان السوريين مستنفرون من جسر الأولي حتى مدينة طرابلس، وهم يعتقلون كل من يحمل هوية الجبهة الديمقراطية.

ـ بسيطة، سنمر كالعادة.

ـ مستحيل يا رفيق، الأوضاع اليوم متوترة جدا. والمخيم في حالة غليان، والناس ضربوا أبوماهر اليماني بالصرامي.

ـ من الذي ضربه؟

ـ ضربه وجهاء المخيم ومشايخه بعد الصلاة، والكل يقول ان "فتح" رتبت الموضوع.

جماعة الصاعقة والقيادة العامة يقولون ان القوات السورية ستدخل صيدا ومخيم عين الحلوة ومغدوشة. ويقولون ان ضرب أبو ماهر اليماني وتر السوريين أكثر. الشعبية عندها استنفار، وأبو معروف تلقى إنذارا من ضابط المخابرات السورية العقيد زياد. في البداية، إعتقد الرفاق ان أبوليلى ضرب بالصرامي مع أبوماهر ثم اتضح أنه "مزط" منها، أبوماهر هو وحده الذي أكلها. ذهب للمسجد لاقناع الناس بأهمية وضرورة الإنسحاب من المخيم، شخصيا كنت هناك وشهدت الطوشة. بعد صلاة العصر، وقف أبو ماهر يخطب في الناس. الاخ إما مجنون أو أهبل، بدأ كلامه بالهجوم على ياسر عرفات والعرفاتيين في صيدا ولبنان، وتهكم على المقاتلين الذين احتلوا مغدوشة، وقال هذه توريطة من عرفات. سأله أحد الحاضرين عن الشهداء الذين سقطوا في مغدوشة، قال هؤلاء ليسوا شهداء. عندها، تصدى له مشايخ المخيم ووجهاؤه، الحاضرون بمعظمهم صرخوا في وجهه وركضوا على الصرامي وتناولوها وضربوه بها، بعضهم رماها عليه من بعيد وبعضهم حملها ورفعها في وجهه. وعندها إختلط الحابل بالنابل واختلطت أحذية المصلين. منظر مضحك يارفيق! أبو ماهر عضو القيادة الفلسطينية يصرخ بأعلى صوته ويشتم عرفات والعرفاتيين، وبعض الناس يشدونه ليخرجوه من المسجد، وآخرون يدفعونه ليبقوه تحت ضرب الصرامي التي كانت تتساقط عليه وعل كل المحيطين به. بعدها، خرج أبو ماهر من المسجد مهانا ومبهدلا بهدلة طويلة عريضة. بصراحة، كنت أتمنى يا رفيق أن يكون الرفيق نايف وكل الرفاق أعضاء المكتب السياسي حاضرين حتى يشاهدوا هذا المنظر وحتى يعرفوا موقف الناس من الإنسحاب من مغدوشة. المهم، بعد خروج أبوماهر من المسجد، ضاعت كنادر الناس واختلطت بعضها ببعض، الكل غادر المسجد وهو يبحث عن فردة كندرته. والله يا رفيق منظر مضحك مبكي، قيادات فلسطينية يضربها الناس بالأحذية، لا أدري كيف ستكون آخرة هيك قيادة وهيك ثورة. ولا أعرف إذا كان الرفاق ما زالوا مصرين على الإنسحاب من مغدوشة بعد هذا الذي حصل. بعض الرفاق من تنظيم الجبهة ساهموا في رمي الكنادر على أبو ماهر. أنا أعرفهم وأنا رأيتهم بعيني، وخلع أحدهم حذاءه من باب الجامع ورماه باتجاه أبو ماهر داخل الجامع. معظم شباب الشعبية من أبناء المخيم إنسحبوا من الجامع عند بدء الطوشة، تخلوا عن أبوماهر، وعدد قليل منهم حاول مساعدة أبوماهر على الخروج من المسجد.

تدخل جمال وقال:

أنت تعرف يا رفيق وضع المخيم وتركيبته. المخيم عشائري، وهذا المخيم بالتحديد محكوم بالعشائر. ابناء العشيرة الواحدة موزعون على معظم التنظيمات. الشباب من لوبية أو صفورية أو أيه عشيرة لا كلام لهم عندما يكون المشايخ وكبار السن حاضرين. مساكين شباب الشعبية المحتارين، وقعوا بين نارين، نار العشيرة ونار التنظيم. شباب الصاعقة والقيادة العامة وبعض شبابنا يقولون ان أبو معروف هو

الذي دبر مع عصام ومع قيادة "فتح" مؤامرة ضرب أبو ماهر بالصرامي. عناصر من القيادة العامة والصاعقة قالوا ان إهانة أبو ماهر إهانة لسوريا ولجبهة الرفض. وبعضهم قال سننتقم الليلة من شباب "فتح"، آخرون قالوا الانتقام يجب ان يكون من "فتح" ومن أبو معروف. تصور الإنحطاط يا رفيق، بعضهم قال الإنتقام من الأعمى أبو معروف. أبو معروف فقد عينيه وفقد ابنته من أجل فلسطين والثورة الفلسطينية، ووالده معروف سعد استشهد من اجل فلسطين، ورغم ذلك يسمونه الأعمى ويتشفون بمصابه، لعن الله أبو السياسة ومن يعمل فيها[٤]. الوضع في صيدا متوتر جدا وأخشى ان تنفجر الحرب فيها بين لحظة وأخرى. والله خايف يا رفيق من قتال فلسطيني فلسطيني ولبناني لبناني وفلسطيني لبناني.

كان جمال يتكلم بطلاقة وكذلك كان عماد، ولم أستطع ضبط نفسي بل ضحكت وحزنت في آن، وقلت لهما إن أبو ماهر يستحق الضرب وحبذا لو كان أبو ليلى حاضرا الحفلة حتى يأخذ نصيبه.

لم يفاجئني ما حصل. وعقدت العزم على التشبث بموقفي، وكنت واثقا بأن ما حصل لن يثني المكتب السياسي عن تنفيذ الإنسحاب من مغدوشة لتبرئة الذمة أمام السوريين، بل سيزيده تصميما. قلت يا عماد خذ رسالة أبو علي إلى الهمشري وأرجع لي بسرعة.

ذهب عماد. فتحت الراديو، ورحت أبحث عن محطة، أي محطة محلية تتحدث عن الوضع في مغدوشة والمخيمات، كانت إذاعة صوت الجبل، صوت الحزب التقدمي الاشتراكي تذيع تعليقا تحذر فيه الفلسطينيين من مغبة الاستمرار في إحتلال مغدوشة، وتحذر من تحول حرب مغدوشة إلى حرب فلسطينية ـ فلسطينية وفلسطينية ـ لبنانية. وفي سياق التعليق، أشارت الإذاعة إلى وصول أبوماهر اليماني عضو قيادة الشعبية وأبو ليلى مندوب الجبهة الديمقراطية إلى صيدا، وقالت إن إنسحاب قوات الديمقراطية سيتم في غضون الساعات القليلة القادمة، وقيادة الجبهة الديمقراطية أبلغت إلى القيادة السورية واللبنانية هذا القرار. وأشارت الإذاعة إلى أن رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي إستدعى على عجل إلى دمشق لحضور الاجتماع الفلسطيني الليبي اللبناني الذي سيعقد مساء اليوم. وأشارت إلى ان الفلسطينيين بدأوا باللعب على التناقضات اللبنانية اللبنانية، وأنهم سهلوا دخول حزب الله إلى بلدة مغدوشة. واعتبرت الإذاعة هذه الخطوة تطورا جديدا يزيد من تعقيد الامور.

عاد عماد ومعه أبو علي عصام. كان أبو علي يضحك وعلى وجهه إمارات الحيوية والنشاط. وفور دخوله الشقة هتف: مبروك، مبروك.

ـ بارك الله فيك، ما المبروك؟

ـ ضربة أبو ماهر بالصرامي وفشل مهمة أبو ليلى، تفضل معي.

- إلى أين؟

- إلى المختارة.

نظرت في وجهيّ عماد وجمال وفهما اشارتي فغادرا الشقة. قلت لهما إنتظرا دقائق قليلة. وقلت لعصام لم يعد لي علاقة بالجبهة والثورة، ولم يحن الوقت، بعد، لألتقي بصفتي الشخصية مع أبو تيمور.

- قرأت رسالتك، أنت انهزامي، لو كنت مكانك لتمردت وقدت انقلابا في الجبهة، ولصعدت إلى مغدوشة واعتصمت هناك. "فتح" جاهزة لتزويدك أنت وكل الشباب بكل ما يلزم. إصعد معي إلى مغدوشة وهناك نعيش معا أو نموت معا. حرام عليكم، شبابكم هناك ضد الإنسحاب. وقد يفرط تنظيم الجبهة في مخيم عين الحلوة بالكامل وقد يتمرد على القيادة. عناصر مليشيا الجبهتين الديمقراطية والشعبية ومليشيا جبهة الانقاذ صعدوا بمعظمهم إلى مغدوشة، شعروا بالخطر وصعدوا للدفاع عن أنفسهم وأهلهم. حمية جديدة ولدت في نفوس شباب "فتح". الناس فيها خير رغم وجود عدد من القيادات "ال..." على رأسها. يقولون يمين فلسطيني، يا رجل، قواعد اليسار التحقت باليمين، خلال أقل من ساعتين كلهم صعدوا إلى مغدوشة، كنا نعاني من نقص في المقاتلين في مغدوشة، الآن عندنا فائض كبير. شخصيا، كنت خائفا على الوضع، الآن صرت مطمئنا تماما. شباب حزب الله في مغدوشة معظمهم جيدون وقد سبق وخدموا في "فتح" وفي الحزب الشيوعي اللبناني. الأمور تتطور بسرعة، أبو تيمور أرسل يطلبنا للتشاور كالعادة. أنا مبسوط جدا على ضربة أبوماهر بالصرامي، وآمل ان تكون درسا لنايف حواتمة وفهد وأبو ليلى، شلينا عرضهم في الميكروفونات. تفضل لنتحرك معا إلى المختارة، وعلى الطريق نستكمل الحديث.

- الظروف الذاتية والوطنية المحيطة لا تسمح بعمل انشقاقات جديدة، واي تنظيم جديد لن يمثل اضافة جدية، أنا ذاهب إلى البيت في الجبل. يصعب علي لقاء وليد في هذا الظرف بالتحديد، ماذا سأقول له؟ سألتقيه لاحقا وأعتذر، وقبل قليل سمعت صوت الجبل يقول إن رئيس الحزب التقدمي سيتوجه إلى دمشق بناء على طلب عاجل.

- هذا كلام إذاعات. وليد بانتظارنا في المختارة. وأبو إياد مسؤول منطقة الغرب في الحزب حضر خصيصا ليؤمن نقلي إلى المختارة، لكني تأخرت في مغدوشة وأبو إياد غادر صيدا. شدني أبو علي من يدي وقال: "تفضل، أنت الوحيد القادر على تأمين وصولي سالما إلى المختارة والوحيد الذي أسلمه نفسي".

- الوضع الآن صار مختلفا تماما، ولا أعرف من منا سيتم اعتقاله او اغتياله قبل الاخر، ومن سيسبق الآخر إلى القبر أو نحو السجون السورية. قبل وصولك كنت أفكر في الذهاب إلى خلدة عن طريق الجبل. أظن ان الخروج من الأولي والمرور على الحواجز السورية فيه مغامرة زائدة.

- يا رجل، أنت تعرف الحواجز السورية، رأس مالها رانج روفر مع سيارة مرسيدس لف ويؤدون لك التحية، وهذه ليست هي المرة الأولى التي نمر فيها على الحواجز السورية بهذا الاسلوب. إذا كنت مترددا، تفضل نعبر نهر الأولي مشيا على الأقدام كالعادة، وعماد وجمال يعبرون الجسر بالسيارة وينتظروننا عند الحاجز الترابي المعروف، ومن هناك نتوجه إلى المختارة.

- جيد، نعبر النهر ونتوجه معا نحو المختارة، وعند مفرق دير القمر بعقلين يذهب كل منا في طريقة، أنت تذهب إلى المختارة وأنا أذهب إلى الدوحة.

- موافق على عبور النهر والتحرك معا، ولدينا على الطريق ساعة كاملة أعتقد انني ساتمكن من اقناعك خلالها بزيارة أبو تيمور، ولا اعتقد انك ستضحي بالسهرة، وسأعرف كيف أرغمك على الوصول إلى المختارة. إشارة بسيطة لحاجز الاشتراكيين تكفي لأخذك مخفورا إلى قصر جنبلاط.

انتقال من المعلوم إلى المجهول

في حدود الخامسة مساء من هذا اليوم الحاسم، غادرنا الشقة وتوجهنا في سيارة أبو علي نحو نقطة عبور فرعية على نهر الأولي وأرسلت عماد وجمال لملاقاتنا على الطريق الرسمي بعد أن نعبر أنا وعصام النهر مشيا على الأقدام. ودقائق قليلة حضر بعدها عماد وجمال. سألتهما عن وضع الحاجز السوري وإجراءاته ومعاملته لهما. قالا انهما فعلا ما يفعلانه كل مرة "سيارة قيادة"، وكالعادة قال الجندي تفضلوا. وذكر جمال ان الجديد هو وجود مخابرات بملابس مدنية. الجندي يشير لبعض السيارات بالتوقف على اليمين والمخابرات تقوم بتفتيشها، معظم السيارات تمر دون تفتيش، نحن مررنا بدون تفتيش.

قال عصام: "ما رأيك في ان تقود السيارة حتى نأخذ راحتنا في الكلام"؟ قلت: "أنا متوتر ومرهق جدا يا أبو علي وأخشى أن يشرد ذهني خلال قيادتي للسيارة".

- إذن أقودها أنا.

- أرجوك بلاها، سواقتك سكر قليل، وأنا لا أطمئن لها، والآن وقت مغيب الشمس. إصعد نجلس نحن الإثنين في الكرسي الخلفي وعماد وجمال يتسليان بالراديو.

على الطريق، راح أبو علي يروي ما حصل مع أبوماهر اليماني في المسجد، وأقسم ان ما حصل له لم يكن مدبرا بل تم بصورة عفوية وتلقائية من الناس. كان يتكلم وكنت أتظاهر بأني أصغي ما يقول. إلا أنني كنت أفكر في أمور أخرى. روى واقعة ضرب أبوماهر، وروى تفاصيل مكالمة هاتفية تمت مع أبوعمار، وكيف تعمد أبوعمار ان

يتحدث مع أعضاء قيادة "فتح" في مغدوشة فردا فردا، وأظن انه روى قصصا قديمة وأخرى جديدة لم أنتبه لها. شعر أبوعلي بأني لا أتابع ما يقول فسأل: هل أنت نائم؟

- لا يا أبو علي، تابعت حديثك ولكن ذهني شرد مني للحظات.

- يا رجل لا تهتم، بعد قليل نصل ونطلب من وليد إرسال رسالة إلى حواتمة يطلب منه وقف الإنسحاب وينتهي الموضوع.

- وليد لن يرسل لنايف أي رسالة خطية أو شفوية، وليد لا يثق بنايف وأنت تعرف ذلك. وليد يخشى أن تنقل رسائله إلى السوريين وهو على حق. وأكثر من مرة قال لي: ماذا يفعل ياسر ونايف في دمشق. وأكثر من مرة قال أمامك وأمامي عيب على القيادات الفلسطينية التواجد في دمشق في وقت ترتكب فيه المجازر ضد المخيمات الفلسطينية. ثم ان الموضوع ليس بهذه البساطة يا أبوعلي.

- إذا كنت واثقا بأن رسالة من وليد توقف الإنسحاب فأنا مستعد لاقناع وليد والتمني علية باسم الاخ أبوعمار إرسالها وأنت تعرف مدى علاقتي به.

- وليد لن يرسل أي رسالة، ونايف لن يستجيب لأي رسالة، اللهم الا إذا جاءت من السوفيت، والسوفيت مع الإنسحاب من مغدوشة(٥). موقف نايف خيار سياسي ولن يتراجع عنه إلا إذا عادت دولة الفاكهاني. ودولة الفاكهاني انتهت إلى الأبد ولن تعود. دولة الفاكهاني بنيت في ظروف عربية ودولية وفي مرحلة كانت فيها بيروت غير بيروت اليوم والثورة في حالة صعود. اما الان فالظروف العربية والدولية تغيرت تماما والثورة في مرحلة جزر. والحرب الجارية ضد المخيمات هدفها استكمال شطب المنظمة وما بقي من دولة الفاكهاني ومنع قيامها من جديد. وأظن أن هذا الأمر مفيد للثورة والقضية على المدى المتوسط والبعيد.

- إذن، نذهب إلى المختارة، ونضع أبو تيمور في صورة التطورات، ونسهر معا، ونعود معا إلى صيدا.

حاولت التعرف على المنطقة التي بلغناها، كان الظلام قد أحكم سيطرته على الأرض. وحين نظرت خارج السيارة لم أستطع تحديد موقعنا بالضبط. وذكّرت عماد بأننا سنفترق عن أبو علي عند مفرق المختارة. قال عماد إنها خمس دقائق ونصل المفرق. قال أبو علي: "مستحيل ان اتركك، تصل المختارة ولا تدخل قصر أبو تيمور، أقسم بشرفي على أنك إذا فعلتها فسأفضحك عند وليد وعند أبوعمار وعند أبومعروف وعند كل الفلسطينيين واللبنانيين". ثم سأل هل تتكلم جد؟

- يا أبو علي، اسمعني جيدا، لا أستطيع الجلوس بعد الانسحاب من مغدوشة مع وليد جنبلاط ولا مع أي من الأصدقاء القدامى، الفضيحة الكبرى وقعت وصار عليها شهود.

اظن ان قوات الجبهة بدأت الإنسحاب من مغدوشة الآن، واعتقد ان شعبنا وكل الوطنيين اللبنانيين لن يغفروا للقيادات المتخاذلة هذه الفعلة، ويجب ان لا يغفروا إطلاقا لا للقيادات المتخاذلة ولا لكل من يتخلى عنهم وقت الشدائد والمحن. ويجب ان لا يغفروا لكل من باع موقفه للاخرين، وكل من تطاول على المخيمات وارتكب المجازر بحق أهلها. أعتقد ان على أبناء الثورة المخلصين ان يعدوا قائمة بأسماء كل من أساء للشعب الفلسطيني وان يصنفوهم حسب درجات الإساءة وان يحاكموهم ولو بعد عشرات السنيين.

ـ نحن شعب سريع النسيان، اليهود لم ينسوا المجرمين الألمان، لاحقوهم وقتلوا من استطاعوا قتله ولا زالوا يبحثون عن الاخرين، وخطفوا أيخمن وحاكموه وأعدموه، علينا الشروع منذ الان في تصفية من نستطيع من العملاء والمأجورين. على ان نبدأ أولا بمحاكمة الخونة من الفلسطينيين.

خفف عماد من سرعة السيارة ونبهت أنا أبو علي إلى أننا وصلنا:

ـ سلم على الصديق وليد وقل له ما تشاء. قل له ممدوح هرب منك ومن كل اللبنانيين الذين آزروا الشعب الفلسطيني وأثبتوا انهم فلسطينيون أكثر من كثير من الفلسطينيين بما في ذلك أمناء عامون وأعضاء مكاتب سياسية لبعض فصائل الثورة. قل له كل ما تعرفه، قل له صاحبك حاول منع وقوع جريمة الانسحاب لكنه فشل. لك الحرية المطلقة يا أبو علي والحق الكامل في ان تزيد من عندك ما تريد.

توقفت السيارة وقال أبو علي: هل أنت مصمم على موقفك ؟

ـ صحيح.

ـ وبعد الدوحة إلى أين ستتوجه. أرجوك، اترك لي خبرا، واسمع مني: صيدا مكان أمين لكل المشردين، أدام الله لنا أبو معروف وأطال في عمره لانه أبقاها ملاذا لكل المشردين والمطاردين من الأنظمة العربية.

ـ سلم على الجميع، وسنلتقي حتما ، ولكن لا أدري أين سيكون لقاؤنا القادم، قد يكون في السجن، وقد يكون في القبر، وقد يكون في تونس، وقد يكون في فلسطين.

ودعنا أبوعلي، وتابعنا المشوار باتجاه منطقة الدوحة. وتعمدت النزول اليها من الجبل فهذا افضل امنيا من الصعود اليها من الساحل. النازل من عرمون ومن قبر شمول إلى الدوحة لا يخضع للتدقيق من قبل السوريين كالصاعد لها من بيروت أو من الدامور، فهو بالنسبة للحواجز السورية الكثيرة قادم من ناحية البقاع الخاضع للسيطرة الكاملة للقوات للسورية.

على باب البناية، ودعت عماد وجمال، وقلت لهما: " عودا إلى صيدا عبر الطريق الساحلي، ولا تبلغا أحدا مكان وجودي. عودا الى المسؤول عنكما، أنا لم أعد مسؤولا عنكما ولا عن سواكما، وثقا بأني لو كنت اعرف مصيري ولو ليوم واحد لما تخليت عنكما إطلاقا. ولو كنت قادرا على تأمين مصيركما ومصير عائلاتيكما لما تخليت عنكما.

قالا كلاهما: لا، سننام الليلة في الجبل وسنأتيك غدا في الصباح كالعادة.

في الدوحة، تحشدت قطعات كثيرة من قوات الجيش السوري. وكانت آلياتهم وخيمهم، مشاتهم ومدفعيتهم ودباباتهم تحيط بالبناية من كل الجهات. الدوحة مظلمة تماما، فالتيار الكهربائي مقطوع كالعادة. الدوحة موحشة بسبب تجنب الناس أي حركة أو احتكاك مع الجيش السوري، والكل يغلق بابه قبل الغروب. درج البناية معتم، أصحاب الشقق الأخرى رحلوا من بيوتهم منذ قدوم السوريين. صعدت الدرج على نور الولاعة. فتحت باب الشقة وما كدت أشعل ضوء مصباح الغاز حتى حضرت في دماغي أصوات المقاتلين المنسحبين. شاهدتهم مصطفين في طوابير نظامية وسمعتهم ينشدون بأعلى أصواتهم. وكان لهذه الاصوات في رأسي وقع الانفجارات.

هلي هلي يا مغدوشة .... طلي طلي يا نغنوشة

قصة غريبة مش مكشوفة

قيادتنا أمرت نعمل طوشة.. وقالت عليهم يلا

قلنا عليهم والله

قالوا شدوا ع الصمود.. قلنا مغدوشة خط حدود

لكنهم أضاعوا دم أبو سمرا ومحمود

هلي هلي .....

طلي طلي .... هلي وطلي يا مغدوشة

هلي وطلي وولي يا مغدوشة

هلي وطلي وولي يا مغدوشة !

هوامش الفصل الرابع عشر

١- بعد حرب ١٩٨٢ وإنسحاب قوات الجبهة والثورة من بيروت، بنت قيادة الجبهة توجهاتها التنظيمية على اساس تجميع الاجهزة الادارية والمالية ومراكز القيادية السياسية في دمشق والمخيمات الفلسطينية في سورية، وإعادة تجميع قوات الجبهة وجهاز الامن في البقاع اللبناني. لاحقا، بينت الوقائع ان هذا التوجه كان خاطئا وقد قيد حرية حركة قيادة الجبهة وكوادرها واضعفت تاثيرها في صنع القرار الفلسطيني الذي انتقل مركز صنعه إلى تونس منذ انتقل عرفات وقيادة م.ت.ف واركان "فتح" اليها.

٢- يصعب الحديث عن حياة خاصة لأي عضو قيادي في الثورة الفلسطينية او في الحزب السياسي بمعزل عن سيرة الثورة والحزب خصوصا إذا كان الإنسان متفرغا لهذا العمل وامضى شبابه في اطار التنظيم.

٣- حاول كوادر "فتح" استقطاب معارفهم من كوادر ومقاتلي الجبهة الديمقراطية وعناصر المليشيا الشعبية وجندوا بعضهم باغراءات مالية. والتحق آخرون بقوات فتح لقناعتهم بضرورة الصمود في بلدة مغدوشة والدفاع عن مخيم عين الحلوة والمية ومية ومدينة صيدا.

٤- فقد مصطفى سعد ابنته الطفلة نتاشا بجانب نظره، بسبب موقفه الوطني ودعمه للفلسطينيين وحظي باحترام كبير من القوى الوطنية الفلسطينية، والناس في المخيمات يقدرون موقفه ويعتبرون اي مس بسمعته ضربا من عدم الوفاء.

٥- كان للموقف السوفيتي دوره في بلورة توجهات الجبهة وقرارتها السياسية، خاصة في عقد الثمانينات من القرن الماضي بعد تبلور موقف الجبهة من الصراع الصيني السوفيتي وتطور علاقة الجبهة بالرفاق السوفيت. وكثيرا ما استشهد في اجتماعات قيادة الجبهة بالموقف السوفيتي واقوال الرفاق في موسكو.

المصــادر

أولا: مذكرات شخصية مستخلصة من محاضر واجتماعات وطنية وحزبية منها:

- اجتماعات القيادة الفلسطينية.
- اجتماعات المجلس الوطني الفلسطيني.
- اجتماعات المجلس العسكري الأعلى للثورة الفلسطينية.
- اجتماعات اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية.
- اجتماعات المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية.
- اجتماعات القيادة العسكرية للجبهة الديمقراطية.
- اجتماعات القيادة التنظيمية للجبهة الديمقراطية في لبنان.
- لقاءات قيادة الجبهة الديمقراطية مع فتح.
- الاتفاق اللبناني - الإسرائيلي بعد حرب ١٩٨٢ عرف باتفاق ١٧ أيار ١٩٨٣.
- قرار أبو عمار إجراء تنقلات للضباط من الصف الأول أيار١٩٨٣ سرّع في إنشقاق فتح.
- قرار القيادة السورية حول إبعاد أبوعمار من سوريا ٢٤/٦/١٩٨٣.
- اتفاق الجبهتين الديمقراطية والشعبية بشان تشكيل قيادة مشتركة حزيران ١٩٨٣.
- اتفاق الشعبية والديمقراطية والتحرير الفلسطينية والحزب الشيوعي الفلسطيني على تشكيل التحالف الديمقراطي - إعلان عدن - ٢٣/٣/١٩٨٤.
- اتفاق دمشق بين حركة أمل وجبهة الإنقاذ حول المخيمات ٥/١٠/١٩٨٦.
- تقرير لجنة إقليم لبنان في الجبهة ديمقراطية حول حرب المخيمات حزيران ١٩٨٨.
- رسالة ياسر عبد ربه للتنظيم حول الخلافات في الجبهة الديمقراطية.
- اجتماع قادة التيار الديمقراطي في الجبهة الديمقراطية في تونس..
- رسالة علنية من أبو مازن إلى نايف حواتمة.

ثانيا: النشريات والمجلات والصحف

- كراس القرارات الدولية حول القضية الفلسطينية ١٩١٧-١٩٩١ إصدار م.ت.ف ١٩٩١.
- كراس وثائق فلسطين، مائتان وثمانون وثيقة مختارة ١٩٣٨-١٩٨٧ إصدار م. ت. ف. ١٩٨٧.
- كراس قرارات المجلس الوطني الفلسطيني إصدار منظمة التحرير. تونس، ١٩٨٧.
- كراس قضايا التجديد والديمقراطية - الوثائق المقدمة إلى اجتماع اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية، ١٩٩٠.
- الوثائق الفلسطينية العربية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت ١٩٨٢.
- البرنامج والنظام الداخي الجبهة الديمقراطية ١٩٨٥.
- مجلة الحرية الناطقة بلسان الجبهة الديمقراطية، بيروت - دمشق، ١٩٨٥-١٩٨٨.
- مجلة الهدف الناطقة بلسان الجبهة الشعبية ، بيروت - دمشق ١٩٨٦-١٩٨٧..
- مجلة شؤون فلسطينية، بيروت - نيقوسيا، أعداد سنة ١٩٨٦-١٩٨٧.
- مجلة دراسات فلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت، أعداد سنة ١٩٨٦-١٩٨٧.
- مجلة صوت الوطن الناطقة بلسان الحزب الشيوعي الفلسطيني، نيقوسيا، ١٩٨٦-١٩٨٧.

تعريف بالمؤلف

- ولد في مدينة قلقيلية في الضفة الغربية سنة ١٩٤٤، وتلقى دراسته الابتدائية والثانوية فيها. التحق بدار المعلمين وعمل مدرسا في مدارس الضفة الغربية.
- انخرط في العمل الحزبي والسياسي مبكرا وانتمى لحركة القوميين العرب عام ١٩٦٢. وشارك في نشاطاتها السياسية والجماهيرية الطلابية في الضفة الغربية، وانتقل للجناح العسكري للحركة "شباب الثأر" و "أبطال العودة" عام ١٩٦٥.
- ترك التدريس بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ والتحق بالعمل الفدائي في صفوف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين عام ١٩٦٧، وساهم في تأسيس جناحها العسكري.
- ساهم في تأسيس الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين عام ١٩٦٩. وتولى قيادة قواتها العسكرية من عام ١٩٧٢ حتى ١٩٨٨، وكان عضوا في قيادتها السياسية والتنظيمية الأولى.
- ساهم في تأسيس الاتحاد الديمقراطي "فدا" عام ١٩٩١ وصار عضو في قيادته السياسية.
- عين عضوا في المجلس الوطني الفلسطيني منذ العام ١٩٧١، وعضوا في المجلس العسكري الأعلى للثورة منذ تأسيسه، ويحمل رتبة عميد في القوات النظامية الفلسطينية.
- أسندت له مهمة قيادة قوات الثورة في لبنان سنوات ١٩٨٥-١٩٨٨.
- عمل عضوا في اللجنة العليا لشؤون الوطن المحتل. وعضو قيادة العمل اليومي للانتفاضة الأولى التي ترأسها ياسر عرفات في تونس. وكان منذ العام ١٩٩١ عضوا في اللجنة العليا لمتابعة المفاوضات الفلسطينية - الإسرائيلية، وظل فيها حتى عام ١٩٩٦، وشارك في أعمال مؤتمر مدريد للسلام عام ١٩٩١ مندوبا عن لجنة المفاوضات.
- عاد إلى فلسطين عام ١٩٩٦، وثبت مستشارا في السلطة الوطنية، عضوا في مجلس الأمن القومي الفلسطيني.
- صدر له خمسة كتب نشرت جميعها في عدة صحف عربية:

١- ليلة انتخاب السيد الرئيس رام الله: دار الشروق ٢٠٠٥ قدم له د. فضل النقيب.

٢- الانتفاضة،انفجار عملية السلام، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع ٢٠٠٢.

٣- البحث عن الدولة الفلسطينية - رام الله - المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية مواطن ٢٠٠٠، أعاد طبعه: الأهلية للنشر والتوزيع، عمان ٢٠٠١.

٤- مفاوضات مدريد - واشنطن، "الانقلاب" (قدم له الاستاذ محمد حسنين هيكل)، عمان الشروق للنشر والتوزيع عام ١٩٩٦.

٥- "طبخة أوسلو" (قدم له الاستاذ محمد حسنين هيكل) عمان : الأهلية للنشر والتوزيع ١٩٩٥.

- هذه الكتب نشرت في حينه في عدة صحف عربية.

بالاضافة الى ما تقدم، نشر دراسات ومقالات عديدة في يوميات وفصليات متخصصة، بالعربية والانجليزية.

سلسلة التجربة الفلسطينية

هذا الكتاب

لا أدري، هل هذا الكتاب مذكرات شخصية أو شهادة تاريخية، أم رواية واقعية لأحداث عشتها؟ طبعا، الحكم النهائي للقارئ. وسيجد القارئ في فصوله صورة حية حقيقية عن حال حركة المقاومة الفلسطينية واهتماماتها في تلك المرحلة، وعن طبيعة علاقاتها الداخلية والعربية والدولية. وليس عسيرا على القارئ ان يكتشف ان هذه القوى غرقت في قضايا الدفاع عن وجودها في الخارج وابتعدت كثيرا عن مهمتها الرئيسية المتمثلة في مقارعة الاحتلال الإسرائيلي. وما أرويه في الكتاب يعبّر عن وجهة نظري وتفسيري للأحداث. طبعا لا أستطيع ادعاء البراءة والحياد، لكني حاولت ان اكون موضوعيا قدر الامكان، وسر النجاح يكمن في ان معظم ما آلمني وأزعجني في تلك الفترة يضحكني الان. وأؤكد أني لا أريد ايذاء أحد ولا الوشاية بأحد أمام محكمة التاريخ أو على الورق.

المؤلف

يظهر في وسط الصورة أبو عمار، وعلى يمينه أبو جهاد وسعد صايل "أبو الوليد"
وعلى يساره ممدوح نوفل وأبو اياد


مواطن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية

ISBN 9950-312-27-2